

بسم الله الرحمن الرحيم
في هذا الكتاب من طبعه في سنة ١٣١٥ هـ
في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٥ هـ

المجلد الثاني عشر

١٣١٥

بسم الله الرحمن الرحيم
في هذا الكتاب من طبعه في سنة ١٣١٥ هـ
في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٥ هـ

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و ه منارا ه كثار الطريق ه

(مصر — الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ — ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩)

فاتحة السنة الثانية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا

جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع السريسراً ومع
الشدة فرجاً ، ومن يثق بالله بإقامة سنته يجعل له مخرجاً ، ان الله بالغ
أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعث الى الايمن والأمان ، وتقام بأمر

ربه ١٥ : ه فأصدع بما تؤمر ، ففكر به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو

يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم فقبضوه وحاربوه ، حتى شجعوا

رأسه ، وكسر واسننه ، وعذبوا من اتبعه من ضمقاء المؤمنين ، فصبر وصبروا
حتى كانت الفاتحة للمؤمنين ، ٤٧ : ١١٦ وَلَصَرْنَاكُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفَالِغِينَ .
وبعد فإنا نقص في فاتحة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له ،
نبأ من تاريخه الصريح ، الذي كنا نشير اليه بالتلويح ، تذكيراً وتقصيلاً
للقراء السابقين ، وصبرة للقراء اللاحقين ، وأخص الثمانيين الذين ظلوا
ارتعدت فرائضهم عند ذكر المنار ، حتى وبما كنى عنه مجوه بلفظ المنار ،
أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثمان
صفحات ، وقد بينت في العدد الأول منه الغرض من انشائه ، ومذهبه
في الإصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان مناجه في
الإصلاح السياسي ، مع التصريح بزعمه الثمانية ، وخدمته للدولة الطيبة ،
واتما أسكتي عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى)
فقد سكت استشرته في انشائه ، وقرأت له تلك الفاتحة قبل طبعا ،
وكان فيها ان من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام
على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك الفاتحة الا هذه الكلمة ،
فاقترح علي ان أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في
ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض
في السياسة الثمانية فتنة يفتني ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس هنا
لا يحبون ان يسموا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها
سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالثرية والتطعيم ، فلا تخطط السياسة بمقاصدك
الإصلاحية لئلا تفسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته
هذا معني ما قاله ، وقد حذفت تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سالتني كما سالتها ، ولكن أبي عليها
الخرق والفتور ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فأدنتني بالحرب ، وأدنتني
في الأهل والصحب ، حتى أُلجأتني اعتداؤهما على حقيقتي ، الى التضييق
في استعراف ظلمها لامي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لرؤسائها
واعوانها الظالمين ، ٥٠:٥١ : فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَقَرِّبِينَ
جئت مصر وأنا أحسن الظن بالسلطان ، دون من يحيط به من
الوزراء والقرناء والخصيان ، وأسئ الظن بطلاب الإصلاح من الأحرار ،
واعتقد أنهم إنما يطلبون الرتب والأوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح
بهذا وذلك في السنة الأولى مع المطالبة بالإصلاح ، والشكوى من عاقبة
الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقد ، وأبث الا ما أعلم وأجد ،
منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة
الاستبداد) توزيع المدد الثاني من السنة الأولى وأرسل البرقيات الى
جميع أنحاء الولاية بوجوب جمع ما وزع منه واحرقه ، ولم يكن فيه
شيء مما كانت تنكره الحكومة في ذلك الوقت ، وإنما فعل ذلك مرضاة
للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد
جمال الدين الأفغاني ، فهو الذي أوعز الى الوالي بأن يصادر المنار ، كما أوعز
بذلك الى بدرية باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منهما يمنع
بعض الأعداد ، التي يؤذن بتوزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد ، حتى
هبطت الإرادة السنية ، وصدرت الأوامر العلية ، بمنع من جميع الولايات
العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !

لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدرية باشا واعوانه

بأن يؤذوا والدي وأخوتي ، ويندروا عشيرتي وذوي مودتي ، ولما رأى
 يدري بأشأن مجلس إدارة اللواء ، لا يوافق على ما يقصد من الإيذاء ،
 وإن الإيذاء يغير يد الحكومة ، لا يشجع تلك النفس الضاربة المنهومة ،
 أبدي هو وشيعته السيد الوالد (رحمه الله تعالى) وأجز الشراء ثم أشخصوه
 إلى مصر ، ليحفظني على مشايعة أبي المهدي ، وعدم المبالاة بمن دونه من
 الوري ، وبعد طول المذاكرة رضي مني بأن أكتب إليه كتاباً مني أبين
 له فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه وإني لا أريد إلا إصلاح ما
 استطعت ، وكتب هو إليه كتاباً آخر ، فاتفق أن جاءنا منه الجواب
 وهذا نص ما كتبه إلي بخطه :

الحمد لله وحده

من الفقير إليه تعالى محمد أبو المهدي الصليبي الرفاعي عني عنه إلى
 جناب الأديب الكاتب الشيخ رشيد رضا أفندي كان الله لنا وله والمسلمين .
 وحفظي قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتاباً من والدكم وكتبت له
 الجواب في يوم اليوم فكن راض الخاطر طيب البال نعم إني أرى جريدتك
 طائفة بشقائق المتألفين جمال الدين الملقبة وقد تدرجت به إلى الحسنية
 التي كان يزعمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسماً أنه ما زنديقاني من
 من أجلاف الشيعة بعد الخفاضة مع سفارة إيران بدار السعادة والسفارة
 السنية في إيران وهو حي وما قدروا على الدفاع ، وهو مارق من الدين كما
 سبق السهم من الروية ، وإراك تملأ جريدتك كل يوم بانتقاد الصوفية
 بأبحاث جليها ما هي من طريقهم وكذا أولتها وفي بعضها أنت عني بلا شبهة
 إلا أنك تعلم أن العلماء الآن ما هم كالشافعي وأبي حنيفة وعطاء السلف

تمسك بالشرع ولا عامة الأمة كالعامة الاول فلو انصفت وخدمت دينك
بغير هذه المواضع واذا انزمت طورك وقلبك بالتعلق فهناك تتقدم
أعمال الاعمال السائرة من غير الاسلام اعتقاداً عظيماً يستحيل ان القلوب ويرغمي
عنه ربك لكان أولى، ولما طالب قلبنا لك نصحتناك والموعود الله في كل غاية
والسلام م ١٩ رجب سنة ١٢٦٠

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤله من النار محصور في أمرين
أحدهما التنويه بالسيد جمال الدين الافغانى وذكره بقلب « السيد » ولم
أكن أمنع أبا الهدى هذا القلب لأنني لا أعتقد شرفه - وثانيهما اعتقاد
خرافات أهل الطريق التي جعلها أساس مجده، ولكنه كان يوم السلطان
أن النار لم ينشأ الا لأجل الطمن فيه كما يعلم عما يأتي. فكتبت اليه كتاباً يفت
فيه انني لم اكتب ولا اكتب الا ما اعتقد أنه نافع وذكرته له رأيي في
السيد جمال الدين فلم يلبث ان أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولدنا الروحاني الأديب الأريب الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي

آل رضا المحترم

أدعوا لكم ولوالدكم بالخير والنافع ودوام التوفيق، ووجدت ممنوناً من
تحرير انكم الرسالة والمأمول من عناية الله وفضله أن يقدم لكم التوفيقات فيما
يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدريه من مراتب الطمينة الشريفة لك
فهي ان شاء الله أول الفيوضات ولا يجنحن باللك ان ذلك انوارش هذه الدنيا
بل اني أعجبني قولك واطمأن قلبي لصدقك ولبراءتك وارجو الله اصلاح
شأنك في الله كما هو مطوي في كل من له للجناب الرفيع نسبة . وأوصي
رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبيض الوجه حالة القدوم على الله

ورسوله الأ عظم صلى الله عليه وسلم^(١) وبحوله تعالى عند حيثكم البناواتكم
عن هذه العوارض الحاضرة الزائدة التي لا تطبق على مجد النسبة نوعاً ما
وان كان تصدكم حسناً فهناك تبليغ فيكم أنوار نسبتكم بالتعق في
الطريق الأقوم تحت نظر سر الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون اذن
خدمتكم للدين والمسلمين على النهج الشرعي الصحيح الأمين ومنى لكم
الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام

كتبه محمد أبو الهدى

١٦ شعبان سنة ١٦

عني عنه

قرأت هذا فبادرت الى ارسال كتاب اليه جزمت فيه بأنني لا أنبل
الربة الطيبة التي طلبها لي واني من الذين يرفقون عن الرب والارسة
فيجب الرجوع عن طلبها واني لا استبدل بخدمة المنار للملة خدمة أخرى
مهما كان مظهرها وقائمتها واني لا اطلب من الاستانة الا الاذن بدخول
المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب او في قبله
بترك التنويه بالسيد جمال الدين مادام المنار مأذوناً له بدخول بلاد الدولة .
وسكنت على ذلك وسكتنا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه المكاتبة كتب ناظر خارجية انكلترا
الى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاستانة كتب
اليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين
معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاساسي وان الخديو ومختار

(١) يريد برقيق عبد الحليم حلمي اقصي مراد وكان يومئذ مديراً لاشغال المنار

وكان سافر الى الاستانة قبل ذلك وبخبره ان اجتمع بابي الهدى ولم أدر ماذا كان بينهما
ولم يكن ذلك السفر علاقة بالمنار

باشا النازي يساعدنا بها وان السلطان يرغب اليه بأن يسمي لدى حكومته بإبطال
هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك يدا يكافئه السلطان عليها ١١ فأخبر اللورد
الامير بذلك فجب أشد الجب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا بمساعد
للنار ولا للقانون الاساسي بل لم يكن يعرف من مشرب النار الا ما يخبره
الاستاذ الامام من أنه جريدة دينية أدبية.

سألني الامير عن ذلك سرا في يوم عيد الانقيص (سنة ١٣١٦) عند
ما أردت الخروج مع الطاء من مقابلة التهته له باليد وأمرني بأن أذهب
الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم احمد شفيق
باشا رئيس الديوان الخديوي) فذهبت من حضرة الامير الى عرقه وكان
يقرا النار ويظلم انه ليس فيه تحمل على السلطان بل لا يخلو من مدح له
ورأيت جازما بأن أبا الهدى هو الذي سعى عند السلطان هذه الساية وضرب
سهامه فيها الى عدوين من أعدائه : الامير ومختار باشا النازي . فأخبرته
بأن بيني وبين أبي الهدى سلاما ذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان
يحتج بهما فقلت له ان الرسالة بالامانة وانني لا اجيز نفسي ان أظهرهما
مادمت أعلم أن أظهرهما يؤذي به بتفسير السلطان عليه ، واستدلا بهما على خيائته
له ، اذ يجهله ترسا يدافع به عن نفسه . وأما اللورد فقد جرى في المسألة على
ما تعود من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بعد البحث ومعرفة الحقيقة
كرّاهوا ان أبي الهدى على أهلي كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم
فصربوا احدا خوتني وهو خارج من طرابلس الى القلمون ليلا وسرقوا فرسا
لنا وحاولوا اخذ مسجدنا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالظمن في
النار واتهموا لها المساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى اصعدتني

فاضطرت الى كتابة مقال عنوانه « مؤاخذه الملاء » (٣٩٩ ص ١٩٥١ م)
استكتبها به عن الهادي في الطعن ، ولكن المستقيم لم تسكت عن السب
واللعن ، الا بعد ان ادى اليهم ، وخضعت لتشيرو كتبهم وذهبت ويحجمهم ، وخرج
بصري باشا من طرابلس مذموم مدموم ، وبدلنا به عبد القوي باشا المأبدو كان لنا
وليا حبيبا ، بل غلب نفوذ عزت باشا المأبدو على قوفا الشيخ ابي الهادي في جميع
البلاد السورية ، فازداد انتشار النار فيها وان لم يرسل الا في البرد الاجنبية ، وامن
الاهل والقرى على انفسهم طائفة من الزمان ، حتى كان منذ اربع سنين ما كان ،
ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني النار . وفي اواخر الثانية
واول الثالثة صار يتروك علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في
الاستانة ويعرض علينا الرتب والوظائف اللائقة اذا نحن تركنا النار ،
وخافنا هذه الدبر ، فلو شئت ان اكون يومئذ قاضيا او مقبلا في الشام
او بيروت او آخذ صرتا شهريا عظيما من الدولة لعلت ، وقد قيل عبد الحليم
افندي حلمي ان يترك مصر ويكون معاونا لناظر النخوس في بيروت بمرتبة
كربت الناظر فقال ذلك على انه لم يكن كاتبيا ولا سياسيا ولا ذا شأن في
النار وقد بلغني وقتئذ ان ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ١٠٠ ليرة
هائية مماها غنا لمطبعة النار ولم يكن للنار يومئذ مطبعة تساوي ٥٠٠ قرش
وفي اثناء السنة الرابعة غضب علي أمير هذه البلاد وأذنتي صديقي
حسن باشا حاكم (وكان دمه الله يومئذ رئيس التشريفات) بانه لا يرضى ان
أقابه بعد وكان يقول لي قبل ذلك ان لك ان تجي الي في قصر عابدين
أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضا على الاستاذ الامام وكما
اشتد غضبه على أحدنا يشتد على الآخر ولا أحب ان اذكر الآن شيئا

بما سمعته أو علمته من آثار هذا القصب إلا ما قيل من مزمه على إخراجي من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للأستاذ الإمام مرة إن أفندينا يريد أن يتقي صاحب المنار من مصر ويطلب منك أن تسكت على ذلك ولا تحمل لورد كرومر على المعارضة فيه . . . وسمعت مثل هذا الخبر بعد وفاة الأستاذ الإمام . وقال لي أحد معارفني في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦ إن السرفورست على وفاق مع الخديو وهو لا يعارضه في الانتقام ممن يعصب عليه ولا سيما إذا كان عثمانياً لأنه ليس كلورد كرومر في المحافظة على الحرية الشخصية وقد علمت أن الخديو غضبان عليك فيجب أن تسمى في استرضائه ثلاثاً يفيك من هذه الديار وأنه ربما يفعل ذلك . فقلت له انتني لا أكتب في هذه السنين شيئاً عنه ولا أعلم أن في المنار شيئاً يسوءه فإذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في المنار ثناء ، وإنما هي أقوال عنه وآراء ، ولا يمكن أن يخلو المنار من ذكره ، وإن مصر لا منزلة لها عندي إلا الحرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فإذا كان الخديو يتقي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا أحرص أنا على الإقامة بها ، أو آسى على البعد عنها ؟ انتني إذا أضمن إلى الهند ، وانتني لا أعلم أنه يكون لي فيها مقام كريم لا أجد مثله في مصر . وهذا وإن مثل هذا الخبر ليس برهانا يمينياً على صحة ما قيل عن الأمير برأه الله وحماه عما لا يليق به ، وإن كان عند بعض الكبراء ونظار الحكومة نبأ منه ،

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في المنار ومقالات «الاسلام والتصرانية مع العلم والمدينة» فضايف قراء المنار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائنه ولا سيما في القطر السوري ،

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فرغب اليه الاستاذ الامام أن لا أنمها فوافقت ورغبته ولكنني ضقت ذرعاً بسوء حالنا السياسية فصرت أكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يجيز ذلك لأنه إنما ينهي عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثر ديب عقارب السماية من جواسيس المايين بمصر ونوأت التناحر في الاستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الذي يبلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان ينفذ بين الاستاذ مودة سابقة مذ كانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الا صنفه عزت الجديدة في المايين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السمايات والمفاسد قد زور رسائل بنو قيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المايين فاشتد خوف السلطان من الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي ارجع بعض المستشرقين عن السعي لإنشاء دولة عربية لا اعتقاده ان التفريق بين الترك والمرب يضيف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة نحو الدولة الاسلامية من الارض واني ماوقفت على اكثر ما اشترت اليه هنا الا بعد موته

وما دخلت السنة الثامنة الا وقد صار النفور والخلاف بين الامير والاستاذ على اشد هما كما ان السعاية الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض على الاستاذ حتى كان يجود بنفسه في الاسكندرية والحكومة الممائية تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلغوا الماين انه سافر الى بيروت متكرراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية !! الا قاتل الله اولئك التحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيانتهم له والدولة والامة . وفي هاتين السنتين كان الاستبداد قد شد الخناق على عجي العلم والاضطهاد لمقتي الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطرأ بس بحسنى بك متصرفاً ، وكنا من شر اعدوان الاستبداد والمخلصين له فيما يحاول من الظلم والافساد ، فأسرفا في تفتيش البيوت ، واخذ الكتب والاوراق منها ، والمواخذة على اقتنائها ، حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم بالنار ، ومنهم من كان يدفعها بل يدهما كما تهد الجاهلية البنات ، حتى احرق في سنة واحدة عشرات الألوف من المجلدات !

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الجرائر ، منها الصغائر ومنها الكبار ، وكان اقتناء المنار او ما طبع بمطبعة المنار ، هو اعظم القنوب وأثقل الاوزار ، وكان الحكيم على مجرمي الكتب بالهوى لا بالشرع ولا القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رافة ، ولا تقبل منهم شفاعاة ولا عدل ولا هم ينصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين ، لم يستعملوا بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك الدم وافساد الأمن ، واهلاك الحرث والنسل ، فماذا كان حقنا من حكمهم ؟ دسروا الدار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على دأره
الحراس والخبراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يجود
بنفسه ، وينتظر أمر ربه ، وبناته مع أمهن امام سريره يطلقن العبرات ،
ويصعدن الزفرات ، فقد هن طيبين ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن
حيل بينه وبين أولاده الأبرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فمنهم القريب
الذي هو في حكم البعد ، والسجين الذي هو في حكم المستبعد ، وهذا
والجنود السلطانية تحيط بهن ، وتطوف حول منزلهن ، شاكية السلاح ،
مستعدة للكفاح ، تدل بأسها وشدها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية »
وعظمتها ، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في
قرية القامون ، وهكذا قضى الوالد نحبه فانا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجلا
آخر بغير حق واطمعت في الاستيلاء على تقاراتنا بدعوى أنها وقف كما
اطمعت غيره من أشقياء طرابلس قهبروا ما وجدوا في الدار من الثياب
والعالي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما
تكونت حكومة الدستور ، فحقوقنا لا تزال مهضومة لفساد الحكام ،
واختلال الأمن العام ، فهذا يجمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل
من كثير ظلمها لغيرنا ، ممن أجرموا كاجرامنا ، فشكوا من الظلم والجهل ،
ودعوا الى العدل والمعدل ،

كان يصل إلينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع القتل والافساد ،
وبعد وفاة الأستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نجالسه
فيه الى مجالسة اخواننا الميادين المقيمين في القاهرة فازدنا علما بسوء

الحال ، وخطر المال ، فأسسنا جمعية الشورى العثمانية لاجل جمع كلمة
العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، لعلنا بأن جمعية
الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وأن العثمانيين ما داموا مشرقين شيعة ،
ومتقطين مالا وأمما ، فحكومتهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ،
فأنلفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم وألبانهم واكرادهم ، ومن
النصارى عربهم ورومهم وأرمنهم ، ودعي إليها بعض اليهود ولكن لم يكن
في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا المجلس (صاحب هذه المجلة)
رئيسا لمجلس ادارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها
ومشوراتها السرية ، الى الرومى والى الانطاولى والى استانة المليية ،
اهتم السلطان بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما
علمنا من رواية العارفين الثقات ، فقد كان - وأقر الله بالدستور عينه ،
ولا سجد في عهد الحرية جفنه - كثيرا ما يشارك أحرار أمته في أرقهم ،
ويساهمهم في قلقهم ، وإن كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمروا ،
وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ
ما كان من وحدتهم بعد حين ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر
فرغب اليها ان نضم ججيتنا الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة
ذلك عليه ، وكان مما قلته له ان تسدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد
لا يد تفرقا ولا يحدث ضعفا ، واتنا نرى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق
عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون ججيتنا لا يمنع قبول غير
المسلمين فيها ، قلت نعم واتنا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه
فما قانونكم - وليس في ججيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني - الا

كقوانين السلطنة « جبر على ورق » ولو تخذ السلطان قوانين الدولة على
علامها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لاشراك الامة معه في الاحكام
هذا ملخص تاريخنا السياسي في السنين الخالية : سألنا السياسة
قساويرت وواثبت ، وأسلمنا لما فجعت وتقععت ، وكناهم بها في بعض
الاحيان ، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ، ولم نزل منها ما نبراهه الا بعد
ان اصطفاه الله ، وليس المنار حظ في السياسة العملية ، وإنما هي أن
يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة المالية ، واذا كان (كسائر الصحف)
قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة ، فقد بقي عليه أن يجاهد
مع غيره استبداد الامة . فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال ، في
العلوم والافكار والاعمال ، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما
يرى أصحابها ، وان ينشر فيها ما يعتقدون لا ما يعتقد كتابها ، وما كتاب
الصحف الا معلمون ومرشدون ، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون
ويربي المرشد مريديه كما يريدون !! وقد جرى على هذا كثير من أصحاب
الصحف المصرية وما كانوا مصلحين ، ويجري عليه الآن بعض أصحاب
الصحف العثمانية وما هم بمعتدين ، وسيدى المنار على صراطه لا يالي بالخالفين ،
نعم ان المنار يستقبل جهادا جديدا في البلاد العثمانية ، وقد فرغ من مثله
فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية ، فأكثر المسلمين العثمانيين ،
لم يأنفوا حرية البحث في السياسة والعلم والدين ، ينظر اغلب الباحثين
الى القائلين دون الأقوال ، وينصرون التقليد على الاستقلال ، ولكن
يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم ، واستنارت باحق بصيرتهم ،
يشعرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية ، ويعلمون

انه يقف على استقلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلوبهم ليعلمون
أولئك على صكوتهم ، وسيبرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين
لا مجالدين ، يتلون (٧ : ٩ : ٧) كم من فئة قليلة فلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المنار أزرها ويشد بها أزرها ،
وينصرها في جهادها ويتقاضاها نصره ، ٧٢ : ٤٠ : وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ •

سيقول الصنفاء من الناس ، وأهل الارجاف والوسواس ، ان هذا
المنار يدعو الى الفوضى في الدين ، بترك مذاهب الاثمة المجتهدين ، وينصر
مذهب الرومانية ، على مذهب السنة أبي الحشوية ، ويطل القول
بالكرامات ، بأنحائه على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على
هؤلاء ، ومن يقلدهم من الدهماء ، الذي ثبت انه يحرق الحق والصواب ،
ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب على مذهب ،
هي قبوله انتقاد المتقدين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أبدت الاولى
بالعلم والمقل ، والثانية بما صبح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ،
 واجتناب الحشو والاطناب ، فمن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ،
دون أن يمضي الله بنيتة والطمع عليه ، ولحق السلطات على الباطل
(٢١ : ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ١٣ : ١٩
فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك
ينصرب الله الامثال)
منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

خطاب صاحب المنار

على طلاب الكلية الأمريكية المسلمين في بيروت

أيها الأخوة الكرام:

انكم انتم محل رجاء البلاد بترقيتكم وما تلهون من العلوم العالية لتلك أحب في هذا الوقت القصير ان اذكر كم بما ينبغي لطالب العلم ان يكون عليه ليتحقق رجاء أمته فيه ان العلوم تطلب لغرضين صحيحين : احدهما تكبيل النفس وترقية العقل وثانيها العمل بالعلم والعمل به مسلكان احدهما جعله حرفة ومستقلاً للعامل والاخر جعله وسيلة لترقية الأمة واعلاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الفرض الأول لا بد منه لكل عاقل وهو العون الاكبر على الفرض الثاني فان من استثار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تعاونته ويكون جديراً بالاحسان في العمل والاتقان للصنع فيجب اذاً ان يكون هو أول شيء توجه اليه همته وتظم فيه رغبتكم يظن بعض ضغفاء المقول وصفار النفوس ان طلب العلم لأجل ترقية شأن الأمة به ينافي ما أودع في الفرائض من كون منفعة الانسان لنفسه هي العلة الفاتية لكل عمل من احواله وان من توجه الى ذلك وجعله همه من حياته تقوته مصالحه ومنافعه التي لا بد له منها تلك خديعة الطبع اللئيم ووسوسة شيطان الخسة والصغار لصغار الهمة فقد رأينا بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ ان الذين يقعون حياتهم على خدمة أمهم لا يعوزهم الطعام واللباس الا انهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها اللهم من الكرامة ورفعة الذكرا ان لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

ان من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه ان يجعله دكاناً يتجر به أو يستأجر به ليعيش منه لا يرتفع به الى ما هو أعلى من هذا المقصد فان قيمته في الوجود لا تعارفية غيره من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالنجارة والحداة والزراعة لا أقول ان هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك واعمالهم لا بد منها للمجتمع الانساني وانما أقول ان هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرتقوا في افق الانسانية ويسهل على طلاب العلوم لا جيل الكسب والاحتراف

ان يكونوا في افق اعلى من افقهم بان يوجهوا نفوسهم الى اعلام شأن الامة بكسبهم واعمالهم ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لاحد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا ويطلب ما فوقه ، وان افراده يتفاوتون في ذلك تفاوتاً لا نظير له في غيره من المخلوقات فمنهم من يكون وجوده بمقدار محيط جسمه لا يكاد يهيم شيء وراء توفية مطالبه كبعض الحيوانات الدنيا ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلداً كبيراً او مملكة عظيمة ، وربما تعلم بعض الناس همته الى جعل وجودهم المضيئ سارياً في ايام كثيرة ما لنا الارض التي يعيش فيها الانسان . ولا تكلم في هم الانسان واستشر الله لما هو وراء ذلك من عالم الغيب اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر فقهه بطله وعمله فلا شك ان من توجه نفسه الى رفع جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لا يتوجه الا الى رفع امة واحدة او شعب واحد ولكن كيف يتأتى للفرد من الناس ان يخدم ائمة كثيرة ؟ الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المعقولة التي جاء بها الحديث النبوي وجرى عليها الشرع الاسلامي وهي « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول : الاقرب فالاقرب » وقد قال قهاوتاً ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه الاقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلاً انتفى منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان ينفق على المضطر من غير المسلمين ما لم يكن محارباً لنا وانه يقدم الجار على غيره قربة افعلى هذا يجب علينا ان نبدأ بنشر العلم والقيام بالاعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم يفيض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم المبرة في المدرسة التي تتعلمون فيها أليس منشؤ هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم واثقال مذهبهم الديني في نفوس من يعلمونهم ؟ بلى وان في حاكم هذه المبرة لنا يجب علينا ان نتربها وان نرفع انفسنا لتكون أولى بهذه المنفعة منهم يجب عليكم ان تتعاونوا وتعتصموا بعروة الاجتماع وانكم ربما تفتنون كيداً واحراجاً فشدوا وتكبروا جادة الاعتدال في استساكم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

فيجب ان تتسع صدوركم لجميع ما يتكرون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون لهم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم المحبة عند دولتكم ودولتهم

انكم لم قصدوا بما كان منكم الا ارضاء ضاركم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم اني يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب. واني اجلكم عن قصد العناد لروثائكم واساتذتكم او الجنوح للاستعلاء بالنظر لذاته

وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديقة المدرسة فقد قال تينا صلي الله عليه وسلم « جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا »

انكم تقيمون واجبي ديني ملي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين « واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »

المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية

المدرسة الكلية الامريكانية

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين، ولبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم. ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يثرون فيها دعوتهم، وينشرون بها مذهبهم، الا أن المدارس الأمريكية أحسن من غيرها تعلما وأعلى تأديا وأشد استقلالا وأقل تعصبا على المخالفين في الدين والسياسة، اذ ليس لأمرىكا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تؤيد هذه المدارس سياسة انكلترا

إن عقلاء المسلمين يقدرون غير مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها ويعرفون مقدار المستخدمين فيها لنشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم، ويتمنون لو يوجد في أممهم الاسلامية اسخياء اجواد يذلون المال لنشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه، والعمل الصالح (المستشفيات) الذي هو أقوى أركانه،

وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويعلمون بما فيها من الضرر لأولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الإقبال عليها ، والخوف على عقائد النشء الجديد يمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانع والمقتضي

فمنهم من يرجح المقتضي من غير تفكير في عواقب المانع لأن الشعور بالحاجة الى العلم قد استحوذت على فكره ، حتى حال بينه وبين سلطان قلبه ، ومن يرجحه لاعتقاده ان المسلم لا يكون نصرانياً لأن الدين قد سار على سنة الارتقاء تبعاً لاستعداد البشر فكان الاسلام متعياً ارتقائه وهو الدين المعروف تاريخه ، المتواتر كتابه ، المحفوظ سنده ، ومن وصل الى الدرجة العليا في شيء لا يرضى لنفسه ان يهبط الى مادونها ، ولذلك يذل دعاة النصرانية الألوف المكرومة من الدنانير في دعوة المسلمين الى دينهم بالأساليب العجيبة ويقضون السنين الكثيرة في البلد من بلادهم ولا ينجحون باستمالة رجل واحد وإرجاعه عن الاسلام ، وان كانوا يوهمون جمعياتهم التي تقدم بالمال فيكتبون اليها في كل عام انه قد تنصر في هذه السنة على أيدينا فلان وفلان ، ويذكرون أسماء سموها بأقلامهم لم يعرف مسمياتها الزمان ، ولكن الاسلام يجذب الى وحابه الفسح في كل سنة ألوفاً من الناس بغیر دعوة ولا ترغيب كترغيب دعاة الانكليز والامريكان ، ولا ترهيب كترهيب دعاة الروس في بلادهم .

نعم ربما يذف الفقر في كل حقبة من الزمن برجل من المسلمين جنسية لاحقة فيلقبه في : احاً من ملاجئهم أو فناء من أفئدتهم فيسهل له العوز اتصال اسم من اسمائهم ، أو لقب من ألقابهم وربما أغراه المال بأن يكون داعياً من دعائهم ، كافيلاً « أرميا الحزين » الذي استجاب لوقيتهم بمصر ثم فضضهم وهو يبشر لهم في الجزائر ، اذ كتب مقالات في المؤيد يبين فيها انهم يدعون في كل بلد اسلامي بنجاح دعوتهم في غيره ، ويدعون في قاديروهم التي يرسلونها الى جمعياتهم انهم تاجحون في كل بلد ، والغالب فيمن ينجح لهم ان يعود الى الاسلام ولو بعد حين

وقال السيد جمال الدين الافغاني في بيان سبب إختلاق دعوة المبشرين بين مسلمي الهند : ان المسلم لا يمكن ان يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة

فإنه يقرر الايمان ببسبي وبما جاء به من عند الله تعالى دون ما زاده القار على ذلك
 ويريد على ذلك الايمان بمحمد (عليهما الصلاة والسلام) وبما جاء به مصداقاً لآله.
 وحديثي شاكر بك الذي كان رئيساً للجزء بطرابلس الشام من بضع عشرة
 سنة انه كان في بلدة ليس فيها مدرسة للبنات الجمعية للراهبات فوضع بنته فيها فرائها
 أمها يوماً ترسم شكل الصليب على وجهها أو صدرها فوجت وامتنعت، وشكت
 وبكت، وقالت لا بد من إخراجها من هذه المدرسة. قال فهونت عليها ألا مروكت
 أقول لها: جئتم ان ابن المسلم لا يكون نصرانياً أبداً ولم أقبل توسلها الي بإخراجها وقد
 تعلمت حتى أتمت تعليمها عند الراهبات وهي الآن تقرأ القرآن الشريف وتصلي
 وتصوم ولم يضرها حرص الراهبات على تصديرها

هذا ما يراه بعض الذين يطمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية. ومنهم من
 يرجح المانع على المقتضي كما هو المقتضي في المسألة عند أهل الأصول كما أشار الى ذلك الشاعر

بقوله قالوا فلان عالم قاضل فأكرموه مثلاً يرتضي

قلت لا لم يكن عاملاً نمارض المانع والمقتضي

وببلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تخطر على المسلم المتمكن في دينه
 ان يدخل مع النصراني وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين معادهم بهيئتهم
 الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم
 صار مرتداً وان بقي متميزاً عنهم بحيث لا يشبه بهم لا يكون مرتداً الا اذا قال أو
 فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة. ويقولون ان
 من الخطر على دين غير المتمكنين في دينهم كالأولاد الذين يوضعون في هذه
 المدارس ان يسمح لهم بهذه الأعمال التي يطلب ان تكون عندنا كفراً وردة
 وأهونها ان تكون معصية فإذا علق النوع الأول في ذهن التلميذ منومات قبل ان
 يصح اعتقاده بمعاشره المسلمين العارفين أو مراجعة العلماء الراسخين مات مرتداً
 لأنزله ولا نعامله معاملة موتانا اذا كنا عالمين بحاله واذا مات أبوه أو أمه أو غيرها
 من الأقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئاً. ويقولون أيضاً ان بعض قهاتنا
 صرح بأن الرضى بالكفر كفر فإذا رضىنا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً

(الماريج ١٢م) الكلية الامريكانية . إلزامها المسلمين بدخول الكنيسة ٢١

وهذا الذي يتخوفونه على دينهم ليس بعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولا سيما مدارس الجزويت كما بلغنا من مصادر كثيرة تصل الى درجة التواتر المنفرد من انهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع تقاليدهم الدينية حتى تنظيم الصور والتماثيل والاستنارة بالقدسين وذلك في حكم الاسلام شرك فنعداً أنه طرأ على النصرانية بعد المسيح عليه السلام وحواريه عليهم الرضوان بعدة قرون . وان كان القرآن لا يدخلهم في لقب المشركين ولا نحن نخطبهم به لأنهم يتبرؤن منه ويتأذون به وإلذاؤهم محرم علينا سواء كانوا ذميين أو مهادين وقد بينا ذلك في المنار أكثر من مرة . أما ما ذكرناه في هذا المقال فيان لا يعتقد المتساهلون وغير المتساهلين منا نرجو ان يكون سبباً لحسن التفاهم بيننا وبين العقلاء المعتدلين منهم كمدة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت قد قلنا في أول المقال ان مدارس الامريكان أقل تعصبا على المخالفين وقد جرى بيني وبين أحد أساتذة المدرسة الكلية الامريكانية بيروت حديث في الخلاف الذي جرى بين تلاميذ المسلمين وعمدة المدرسة على دخول الكنيسة لسماع الوعظ الديني اذ اتمتع التلاميذ من الدخول بعد ما صارت الحكومة اللبنانية دستورية حرة وأصرت المدرسة على إلزامهم أحداً من إياها الاستمرار على دخول الكنيسة كما كان الأمر على عهد الحكومة الاستبدادية وإما الخروج من المدرسة وترك التعلم فيها ، فاجتمعوا وقاسموا لتبين على رأينا : لا ندخل ولا نخرج . حتى رفع الأمر الى الاستانة وبعد مراجعة حكومتنا هناك لسفير الولايات المتحدة قرر بينهما ما بطلته نظارة الداخلية لوالي بيروت وهو انه لا يلزم المسلمون دخول الكنيسة بل يجب ان يبنى لهم مسجد يصلون فيه : وان السفير بلغ مقصد (قنصل) حكومته في بيروت ذلك ليبلغه المدرسة الكلية . وقد كان الحديث بيني وبين ذلك الأستاذ قبل ورود هذا البلاغ من الاستانة وحضره جماعة من فضلاء النصارى

قال الأستاذ ما معناه : ان المدرسة الكلية لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقرها بعض مذاهب النصرانية ولا تعلم في أديانهم ولا مذاهبهم التي يخالف مذاهب مؤسسها وإنما تلقى عليهم مواضع عامة تتفق مع كل دين وان كانت من الكتاب المقدس لأجل ان تفرس في قلوبهم قوى الله وحبه الفضية

٢٢ فريقا المسلمين . وجوب احترام المعتقدات (المخرج ١٢)

وتبعدهم عن الابداد والتعطيل فان المؤمنين لما من أهل الدين والحفاظة عليه أهم مقاصدهم . وان المكان الذي تقى فيه المواقف الدينية ليس كنيسة مؤسسة لأجل العبادة بل هو مكان تقى فيه الخطب العلمية والأدبية وغيرها ويعرف الحسان فيه بآلات الموسيقى . (قال) فهل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟

قلت ان المسلمين فريقان منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع قهوا مذهبهم والمشهور عن قهوا المذاهب التي عليها هو لا التلاميذ ان الدخول الى مساكن المخالفين لنا في الدين ومشاركتهم فيها هو خاص بهم من أمور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر في تفصيل لم في ذلك فلهل تلاميذكم يستقدون ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وان كان لا يقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس مبدا دينيا ولا يقى فيه شيء مخالف للإسلام (ثم قلت) ان احترام النظام في المدارس والبيوت وكل مكان ركن عظيم من اركان التربية ومن لم يترب على احترام النظام والتزامه لا يكون رجلا عظيما نافعا لأمة ووطنه . ولكن احترام الاعتقاد والضبير أقدس وأعلى من احترام النظام فان من لا يحترم اعتقاد نفسه يكون منافقا لا يوثق به في شيء من الاشياء . وان اكراه التلميذ على ذلك أشد إفسادا لأخلاقه من كل ما يخطر في البال انه يفسد الاخلاق اذ لا يرجي ممن لا يحترم اعتقاده ان يحترم أسرته ولا امته فضلا عن احترامه لمن لا يتصل به في وشيجة رحم ولا مصلحة وطن

(قلت) اني اذا رأيت إنسانا يستقربان هذه البلاطة من الرخام (واشترت الى بلاطة في الارض) تنفع وتضر ورأيتهم يعبدونها ويحترموها فاني لا أجيز لنفسي أن أكرمه على دوسها والوطا عليها ولأن أمره بذلك الا بعد أن أقفه يطلان اعتقاده فيها . وقد وقع لي واقعة في ذلك : وهي ان رجلا أخبرني بأن خصامي في محاكمة شرعية حمله كتابا الى آخر ومأني ماذا يفعل فيه وأنا اعلم انه يطعنني في كل ما أمره به وان في الكتاب حجة لي على خصمي تصلح فصلا للنزاع وتوفر علي وقتا طويلا ونفقة كثيرة ولو شئت لأخذت الكتاب فان حامله لا يخالف أمري ومع هذا لم استحل أن أمره بالحياة

ولما حدثت مشكلة القضاء الشرعي بمصر من زهاء عشر سنين وهزم الانكليز على إلزام الخديو بعزل القاضي المولى من السلطان وتولية قاضٍ مصري مكانه كره الخديو ذلك ولكنه لم يهتد إلى الخرج منه فطلب أن يجيء الأستاذ الإمام من القاهرة إلى الاسكندرية (وكان الخديو في مصطافه فيها) فجاء (رحمه الله) ليلاً وقابل الأمير في الصباح فقال له انني طلبتك لسان البرق لاستشيرك في مشكلة القاضي وبعد خروجك من هنا سيدخل لورد كرومر لأجل ان يكلمني في وجوب عزل جمال الدين أفندي وتولية احد علماء مصر منصب قضاء مصر الشرعي وسيجتمع بعد ذهابه مجلس النظار هنا لتقرير ذلك فهاذا أدفع اللورد بحسب رأيك فقال الأستاذ ان الانكليز من أشد خلق الله احتراماً لحرية الضير والاعتقاد حتى انهم ربما ذكروا ذلك في قوانينهم فانهم لما وضعوا قانون التلقيح للوقاية من الجدري كان من مواده انه يجبر عليه كل أحد الا من يقول إن ضميره لا يجيز ذلك . فاذا كنتم تعتقدون ان تولية القاضي من حقوق السلطان وانه لا يجوز لكم ان تعينوا القاضي من قبلكم فيكفي في إقناع اللورد بالرجوع عن طلبه ان يقول له أفندينا ان ضميري لا يسمح لي بذلك لأنني اعتقد ان هذا حق السلطان وحده . فشي سيع هذا الجواب يدعني له ولا يمكن لثقل لورد كرومر في تريته الانكليزية العالية ان يقول لكم خالفوا ضميركم وقد كان الامر كما قال الأستاذ وبذلك انحلت المشكلة بعد ان كان عزل قاضي السلطان قد صار في الأمر القضي الذي لا مراجعة فيه حتى ان جمال الدين أفندي باع داره ونهباً للسفر من مصر إلى الاسكندرية هذا ما أجبت به احد اساتذة المدرسة الكلية وقد استحسنه من سمعه واعتبروا بأن من افساد الاخلاق ان يؤمر الانسان بفعل ما يعتقد انه قبيح او محرم عليه ، ثم جاني بعض تلاميذ الكلية من المسلمين وسألوني عن رأيي في مسائلهم ومآلهم عن سببها وعلتها فاستفدت من المراجعة ما يأتي

- (١) ان التلاميذ يلزمون الدخول كل يوم الكنيسة (Chapel) والمكث ربع او ثلث ساعة لسماع نبذة من العهد الجديد او العهد القديم تختم بالدعاء الذي يبرون عنه بالصلاة ، وكل يوم احد ثلاث مرات بمكثون كل مرة زهاء ساعة ونصف
- (٢) انه يوجد في المدرسة جمعية ارمنية لتلاميذ الأرمن وجمعية يونانية

ليونانيين وجمعية للمصريين من المسلمين والنصارى وجمعية مسيحية تسمى جمعية الثبان المسيحيين وجمعية اليهود

(٣) طلب التلاميذ المسلمون إنشاء جمعية إسلامية تبحث في ترقى المسلمين

مع عدم الخوض في السياسة فرفض طلبهم

(٤) طلبوا ان يجتمعوا ليلة المولد النبوي للبحث في سبب الاحتفال في مثل ذلك

اليوم وما يحسن فيه فنصروا . فهذا هو السبب لتألب المسلمين . وقد كرر لي عبارات

شاذة في الطعن في الاسلام نصريحا او تلويحا سقطت من بعض رجال المدرسة

الأمريكانيين حاجت النفوس وأعدتها للحركة التي ظهرت بعد ذلك عند ما جاء

وقتها ولا تذكروا في هذا المقال لانها ليست من نظام المدرسة ولا من اعمالها المطردة

بعد هذا كله نقول ان مؤسسي المدرسة بأموالهم ومديري شؤونها والعلمانيين فيها

كثيرون من أهل الفضل والخير والعلم بطائع الأمم وأخلاق البشر وأحوال الاجتماع

فهم يعلمون ان الظلم (ومنه منع المسلمين من الاجتماع كاليهود بآلة النصارى) يشج

في المستقبل ضد ما يراد منه في الحال وان الأمم لا ترقى في زمن الدستور والحرية،

بما كانت ترهقه في زمن الاستبداد والعبودية فكان عليهم ان يتذكروا هذا فيلنوا

ويشاعروا مع التلاميذ المسلمين عند امتناعهم عن دخول الكنيسة ثم يستمبلوهم إلى

احترام المدرسة بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم من الملل والشعوب في تأليف

الجمعيات بأن يأذنوا لهم بتأليف جمعية إسلامية فان الرئيس الذي لا يميل لاطاع

بالاحترام وكيف يطالب بالنظام من يتعصب ويحايي في النظام، ثم يجملون تلك

المواظف خالية مما يخالف الاسلام ويعارضه ويقنعون أولئك التلاميذ بأن حضورها بهذه

الصفة لا يحظره الاسلام فيكون نفاقا — وما أسهل ذلك عليهم اذا جاؤه من باب

ان جميع من في المدرسة الكلية من الرؤساء والمعلمين يعلمون أن ما يلقى فيها

من المواظف عادة لا يرد المسلم من الاسلام الى النصرانية ولكنه لا يخلو من نوع من

الألفة والمودة وتقريب الطوائف بعضها من بعض، وهذا المقصد العالي الذي يسعى

إليه الحكماء الذين يخدمون الإنسانية خدمة خالصة من شوائب السياسة والهوى .

فإذا كان رؤساء المدرسة يرمون الى هذا الغرض فليعلم ان يتذكروا ان الرمي اليه

(المار ج ١ م ١٢) كلية الامر يكان . كيف نُحل مشكل الاعتصاب ٢٥

عن قوس العزة والإدلال ، والإكراه والإذلال ، هو الذي يعيش سبه ، ويقضي الى ضد ما يراد منه وأن الحب لا يكون بالتعصب ، وإنما التعجب داهية الحب ، بلقي أنهم يقولون ان المدرسة مسيحية انشئت بال المسيحيين لأجل بث الدين المسيحي فمن لم يرض بدخول الكنيسة وتلقي التعليم المسيحي فيها فلا يدخلن مدرستنا وهذا القول على مخالفته لفحوى ماسمعه من أحد معلمي المدرسة يمكن ان يقوله بعض رؤساء المدرسة احتجاجا واتصارا لأنفسهم وما أظن ان جميع أولي الشأن في المدرسة يرضون بأن يكون فصل الخطاب في الساتة حرمان المسلمين من المدرسة أو إخضاعهم لما سبق بيانه من المعاملة التي تنفر القلوب وتورث العداوة والبغضاء والتعصب الدميم

وصفة الكلام في هذا المقام أنه يتعد على المدرسة الآن الزام من فيها من المسلمين ما ذكرنا بعد ما اجتمعوا وتكاسموا واتفقت حكومة الاساتنة مع سفارة الولايات المتحدة على عدم جواز ذلك . وان أمامها في السنة الآتية أحد أعزبن : إما التساهل والتسامح في قبول التلاميذ المسلمين لتأليف النفوس وجذب القلوب بعضها الى بعض والاكتفاء من الخدمة الدينية بهذا المقدار مع ترقية العقول بالعلم والنفوس بالتربية الادبية الاجتماعية ، وإما عدم قبول المسلمين في مدرستهم وهم أحرار يختارون في ذلك

فان اختاروا الأمر الأول حمدهم المسلمون وحمدتهم الإنسانية وكانوا أقرب الى مقصد الدين الحقيقي الذي لا خلاف فيه بين المسيحية والاسلامية وهي خير البشر وتألفهم ، وان اختاروا الأمر الثاني فانهم يعلمون المسلمين درسا جديدا قد يضرهم ويضر من يعيش معهم من جهة تباعد القلوب وقوة التعصب الذي يشكو منه مجبو التأليف والتوفيق ولكنه ينفعهم من جهة أخرى بما ينهض من همهم ويرفع من نفوسهم ويدفعها الى الاعتماد على ذاتها ومباراتهم في تأليف الجمعيات الدينية لإنشاء أمثال هذه المدارس لأنفسهم

سيقولون ان المسلمين لا يستطيعون الآن إنشاء مدارس كالمدرسة الكلية بل

كثيرا ما قالوا . ولكن هذا القول لاحجة له الا ما يهدون من بخل اغنياء المسلمين
بالمال في سبيل العلم والدين . وهذا عرض لا يدوم فيها نحن أولاء نرى اخواننا
المصريين قد بدأوا يبدلون الالوف من الدنانير لانشاء المدارس وقد سبقهم الى ذلك
مسلمو الهند ومسلمو روسيا . وقد دبت الحياة في المملكة العثمانية فيرجى ان تبقى
غيرها في هذا المضمار لمكاتها العالية من سائر بلاد المسلمين

ان مسلمي العثمانيين لا بد ان ينشطوا في هذا العصر من عقلم ويملوا ان
التعليم الاجنبي الخفض مما عظم نفعه لا يؤمن ضرره ، فانه ان خلا من الطعن في
الاسلام أو تفضيل غيره عليه فانه لا يخلو من اضرار للعاطفة المليّة ، وحل
لرابطة القومية ، فانه يحول مجاري الفكر في العلوم ومهاب أهواء النفوس في الاخلاق
والآداب الى جهة المعلمين والمربين من الاجانب فيجعل عقول نابتنا وقلوبها
ملكاً لهم أو وقفا عليهم أو مجذوبة اليهم أو مفضلة لقومات أمتهم على غيرها وبذلك
يقص من مقومات أمتنا ومن احترامها في نفوس نابتنا بمقدار ما يزيد في نفوسها
من عظمتهم فلا نطمع في مجاراتهم ومباراتهم ، فضلا عن مسابقتهم ومقاومتهم ، بل نكون
دائما عيالا عليهم . ناهيك بما في العلوم من الشبهات على الدين التي يسهل دفعها
عن الاسلام لو كان المعلمون عارفين بحقيقته ، وادين عين شريته

فهذه العلوم التي تؤخذ من هذه المدارس لا تكون حياة حقيقية لأمتنا الا بد
ان يصير زمام التعليم والثرية في أيدينا . فيجب على تلاميذنا في المدرسة الكلية
الامريكانية في بيروت وعلى امثالهم في غيرها ان يعدوا انفسهم ليكونوا عوناً لنا على
ذلك باتقان اساليب التعليم ونقل العلوم الى لقتنا ، وسيرون من الأمة نهضة مباركة في
إمدادهم بالمال ، وان لا يكرهوا ما يرون من هضم حقوقهم وعدم مساواتهم برفاقهم
من ابناء الملل الاخرى فان هذه المعاملة هي التي تحرك غيرتهم ويجمع كلمتهم
فليتقباوها بسعة الصدر ، وإطالة الفكر ، وحسن المعاملة ، وكثرة المجاملة ، وطاعة النظام ،
ولين الكلام ، والتواصي بالحق والصبر ، حتي تكون حجتهم هي الناهضة وعاقبتهم
هي الحسني « وعسى ان تكرر هوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

الإصلاح الأهم المقدم

﴿ في السلطنة العثمانية ﴾

كثير حديث الناس في الحكومة العثمانية الجديدة قوما ينتظر منها من الإصلاح بعد ان قضى أحرار الأمة وجيشها على الحكم الشخصي الاستبدادي ، وأدالوا منه حكم الشورى الدستوري ، وكثرت اقوال الجرائد في ذلك ، ولكتنا نرى أكثر الحديث في الأمور المالية التي لا يكون إصلاحها الا في السنين الطوال كالمالية والعارف والحرية والبحرية والعدلية (الخفانية) والزراعة ، وقلنا نرى أحدا يذكر أهم المهمات الذي يجب تقديمه على كل شيء بلا استثناء ، ألا وهو تنظيم الشرطة (الضابطة والبوليس) لأجل حفظ الأمن العام وتنفيذ الشرع والقوانين بالعدل والمساواة أعلن الدستور وأعيد قانون الاساسي فصاح الصائحون بالناس في كل بلد أن يحتفلوا به قاحتلوا ، وقبل لم اخطبوا واهتفوا فخطبوا واهتفوا ، وقام الأحرار والمستعدون بالحرية في وجوه أعوان الاستبداد والعبودية ، فأنزلوا اناسا عن مراتبهم ، وعزلوا افرادا من مناصبهم ، واندروا آخرين بلاء بجل بهم ، وبشروا العامة بالخير القريب ، والغز العتيد ، والنعيم المقيم ، فذهبت النفوس في فهم ذلك مذاهب ، ووردت منه مشارب ، حتى فسره بعضهم بإباحة الحقوق وإنهاء الاتاوات والضرائب ، وقد اقسم الناس في فهم الدستور الى اقسام ليس من غرضنا بيانها في هذه المقالة وإنما قول إنه يوجد في البلاد العثمانية كثير من المستخدمين في الحكومة والذين عزلوا بعد الدستور أو استقالوا ومن اصحاب النفوذ والجاه — يمتنون الحكومة العاصرة ويحنون الى الاستبداد السابق لا اعتقادهم انه نبي مالم ويوسع دائرة جباهم لانهم يتبعون هوى رؤسائه مهما كان فيه من خراب ذمتهم ودينهم وخراب بيوت معظم الأمة والقضاء العاجل على الدولة — فهو لاء يوسوسون للعامة : ماذا استفدنا من الدستور والحرية ؟ كان يستبد بنا في البلد رجل واحد فصار يستبد بنا جميع الاشقياء ومثل

٢٨ الإصلاح الأهم المقدم في السلطنة العثمانية (المجلد ١ ص ١٢)

هذا الكلام يروج عند العامة التي تنتظر الراحة والسعادة من الحكومة الجديدة اذا لم تكذبه هذه الحكومة بالعمل في اقرب وقت

ماذا يجب على الحكومة قبل كل شيء ؟ الجواب عن هذا السؤال بديهي وهو ان الواجب قبل كل شيء حفظ الأمن العام والحرية الشخصية ولا يتم هذا على وجهه الا بتنظيم الشرطة (الضابطة) ولتلك نرى الولاة والمتصرفين يتعلمون من كثرة الاعتداء بالضرب والقتل فاذا طوبوا بتولية المجرمين يقولون انا نتظر التعليمات الجديدة في إصلاح الشرطة من الاساتذة في أول السنة المالية القادمة

هكذا قالوا لنا عندما تكلمنا معهم ورأيناهم يعلمون كما نعلم ان من في البلاد من الشحنة والشرطة قد افسد اكثرهم حكم الاستبداد الماضي فصاروا اعوانا للاشقياء والمجرمين ، وقد اقترحنا عليهم ان يستبدلوا شرطة لواء بشرطة لواء آخر فاعتذروا عن ذلك بقلة الرواتب وقالوا ان من يتقل من بلد الى بلد يحتاج الى نفقات جديدة لا يفي بها راتبه وستزاد الرواتب في اول العام القابل فيتيسر قتل هؤلاء الى بلاد لا صلة لهم بأشقيائنا ويكونون تحت مراقبة شديدة

هذا ما ينتظره والي الشام وجميع ولاة المملكة لأجل حفظ الأمن وحماية الحرية الشخصية ومحاسبة الجمهور غير مباين بما يقع حيناً بعد آخر من الجنايات والمظالمات التي تنبئ بأحقار العامة للحكومة

لولا أن الاجل المضروب للبدء بالإصلاح المطلوب قريب لخشنا ان يفضي إهمال الحكومة للعامة الى الفوضى وان كان أكثر أهالي بلادنا لا يزالون على حظ عظيم من حب السلامة وحسن الاخلاق على ما أفسد الاستبداد من أخلاقهم ، فقد رأينا مثال ذلك في مصر فالت الجنايات واهلاك الحرث والنسل في القطر المصري أشد وأكث مما هو في القطر السوري على كون الحكومة المصرية أرقى من الحكومة العثمانية . والسبب في ذلك ما أعطته الحرية للعامة من احتقار الحكومة والأمن من سطوتها الا ان ثبتت تهمة على متهم في المحاكم مع جهل أكثر الأهالي وإفساد الاستبداد السابق لأخلاقهم ولا تزال الحكومة المصرية في حيرة من أمر

الأمن العام على كثرة بحث أصحاب الجرائد وغيرهم من الكتاب وأهل الاختبار في وسائل ذلك منذ سنين

لو أخذ ولاتنا بالحزم في أوائل العهد بإعلان الدستور وساعدتهم جمعية الاتحاد والترقي التي أخذت يدها صولجان السلطة عدة أشهر لدى حكومة الاستانة بأمرها قُبضوا على كل من يرتكب جريمة وعجلوا بمجازاته حتى بالقتل ان قتل لأراحوا أنفسهم وأراحوا الأمة في الحال مما تشكو منه والحكومة في المستقبل مما سوف تشكو منه إذا كانت تريد ان تبقى على سياسة الرقة واللفظ (التزاهة) التي اتبعها منذ أعلن الدستور إلى اليوم وتعيد الحكم بطواهر ألقاظ القوانين

رأي زعماء سياسة الرقة واللفظ اننا قد أخذنا الدستور نظيفا غير ملوث بالدم فيجب ان تبقى سفك الدم في دور الانقلاب ونداري المفسدين والمجرمين الى ان يستقر الدستور في نصابه وهو على نظامه . ولكن هذا الرأي إنما يصح في بلاد ينحش فيها من الفتن والثورات الداخلية إذا فوجئ أهلها بما يكرهون كبلاد الحجاز لا في بر الشام الذي ليس فيه استعداد للثورة ولا خطر في بال أحد من أشقيائه انه يمكنه ان يقف في وجه الحكومة بنفسه أو بعصبته اذا هي حاولت ان تسلط العدل على الأخذ بناصيته !!

ألا إن أكثر زعماء سياستنا ليجاهلون حال الأمة في جميع الولايات ويولون عليها من الولاة والمتصرفين من لا وقوف لهم على حقيقة حالها حتى انني أحسب ان ناظم باشا لا يزال غير محيط علما بحال ولايتي بيروت وسورية على ذكائه واختباره لما في سني الاستبداد وشهور الدستور فما ظن القاري بأدم بك والي بيروت الجديد الذي كان عائشا في أوربا فانتقل منها بعد الدستور الى الاستانة في بيروت ؟ ثم يمثل متصرف طرابلس جاويد بك ؟ ولقد يبرز على هذا المتصرف وذلك الوالي ان يعرفوا حال البلاد وأهلها في زمن قريب لعائنين فيما : عدم التكلم بالعريية ، والعزلة ، فإنهما يكادان لا يكلمان أحدا في غير أمور الحكومة الرسمية في دار الحكومة ! ومن كان هذا شأنه كيف يقف على حقيقة حال البلاد ومن لا يقف على حقيقة حالها كيف يسوسها على وجه الحكمة والهداد !!

يفتن امثال هؤلاء لا يطلب من الوالي او المتصرف الدستوري الا ان يكون
 حقيقيا مستقيما مراعيًا في سيرته للقوانين وقائما ان معرفة حال الناس الذين وضع
 القانون لاجل اصلاح شأنهم مقدمة على معرفة القانون والحرم على تنفيذه لان
 العدل في التنفيذ لا يكون الا بتطبيق المواد على الوقائع وهذا التطبيق يتوقف على
 معرفة حال المتلبسين بالوقائع التي تطبق عليها تلك المواد . وان وراء ذلك من
 الاجتهاد في حسن الادارة مالا تقني عنه القوانين وان فُتت بالعدل

يتوهم بعض الولاة والمتصرفين أن للاشقياء الذين اشتدت جرائمهم في عهد
 الدستور عصابات تشد أزورهم وان الحكومة لا تقدر على تزييتهم الا بعد تنظيم الشرطة
 وانها اذا حاولت الآن ان تقبض على المشهورين منهم أو تلزم الشرادم الذين هتاتون
 عليها حدم وتحفظ هيتها في نفوسهم يثورون عليها ويقاومونها بقوة السلاح وان تركهم
 على ما هم عليه هو الواجب الآن عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين وهذا وهم
 باطل بالنسبة الى ولايتي بيروت وسورية فان هذه البلاد وان ساءت حالها وكثر
 اختلالها في أواخر عهد الاستبداد فهي لم تصل في الشر والبهجة الى هذا الحد الذي
 قد يتوهمه بعض حكامها

هذا التوهم هو الذي كف أيدي الحكومة الجديدة عن تزييت المجرمين
 فامتدت ايديهم الى ما لم تكن تمتد اليه في عهد الاستبداد حتى صار القلاء يخشون ان
 يفضي احتقار الاشقياء للحكومة الى القوضى ، وهم لا يندرون الولاة على إهمالهم
 ولا يعرفون سبب هذا الإهمال اذ لو عرفوه لاجتهدوا في إقناعهم بأن البلاد ليس
 فيها عصابات ذات قوة ولا جماعات سرية وان الوالي اذا شاء ان يقبض على مجرم
 وينفذ القانون على أي معتد فعل الا ان يفر الشقي الذي تأمر الحكومة بالقبض عليه
 قبل ان تهمل يدها اليه ، وأنه لا يوجد في مدن سورية كلها شقي تحده نفسه بأن
 يعصي على الحكومة فجرا ، او يغري الاهالي بمصائبها سرا ، على ان إقام هذا الوالي بيروت
 لأجل حمله على القيام بعمل لحفظ الأمن قديمت من البعث فانه لا يرجع الى عمل ما
 في ذلك إلا بعد ورود ما ينتظر من تنظيم الشرطة والشحنة في أول السنة المالية
 القادمة وما هي بعيد

يجب ان يعدّ الولاية ومن دونهم من رجال الادارة لهذا الإصلاح عدته فانه هو الإصلاح الذي يتوقف عليه كل إصلاح . يجب ان يستخرجوا من المحاكم اسماء المحكوم عليهم بالأعدام وما دونه من المقربات ويتفقدوا ذلك كله بمشي الجسد والحزم ثم ينعوا الاقتات على الحكومة بالمظاهرات التي لا يبيحها القانون أو يطالب بها ما لا يبيحه القانون ومن أصرّ على غيّه يؤخذ منه باليمين

ويجب على الاستانة ان لا تهدد الولاية بقيود كثيرة وان لا تجعلهم عيالاً على نظارة الداخلية في كل شيء ولا في أكثر الاشياء بل فيما لا بد منه ولا غنى عنه من الأمور الإجمالية . يجب ان يباح لروساء المحاكم من الولاية وتغيرهم الاجتهاد في فهم القوانين وتنفيذها بالمشاورة كل فيما يختص به مع تشديد التبعة (المسؤولية) عليهم وجعلهم تحت مراقبة المجالس العمومية التي يجب توسيع اختصاصها وكذا اختصاص مجالس الادارة . واذا أعيد التفتيش على الولايات يكون للأمة اربعة انواع من الضمان الذي يحول دون استبداد الولاية ومن دونهم من رؤساء الادارة : مجالس الادارة في كل لواء ومركز وناحية والمجلس العمومي في الولاية والتفتيش وشدة التبعة يضاف اليها من قبل الأمة نفسها انتقاد الجرائد وما وراءه من إثارة سخط الرأي العام . وكذا يقال في المحاكم مع ما يجب من استقلال القضاء وجعل المحاكم الشرعية المولفة من عدة أعضاء يحكم فيها بالاتفاق او أكثر الآراء وإيجاد محاكم استئنافية شرعية في كل ولاية

هذا ما عنّ لنا ان نكتبه الآن ، ويغلب على ظننا ان حكومتنا تحتاج في تنظيم الشرطة والشحنة الى الاستعانة بالأجانب كما تحتاج الى ذلك في كثير من الأعمال فان الرجال القادرين على الإصلاح عندنا قليلون كما سيظهر بالعمل ونندعو الله ان يوفق مجلس الأمة الى خير الإصلاح المنتظر



تنبيه الجرائد السورية

الى الاعتبار بتاريخ الجرائد المصرية (*)

اذا كانت تربية الاطفال فنا من ادق الفنون وهو لا يبلغ درجة الكمال على
هناية العلماء والفلاسفة به فاذا نقول في تربية الام ؟

يوجد الوف كثيرة من المريات والمربين في كل امة من الام المتحدة ولكن
الذين يربون الام قليلون في كل امة وكل زمان

ان للام اطوارا كما ان للأفراد اطوارا، ولا يحتاج المربي للأفراد في طور من
اطوارهم الى العلم الواسع والخبرة الدقيقة والناية العظيمة كطور الانتقال من المراهقة
الى البلوغ او من التقليد والالزام الى الرشد والاستقلال، وان المربي للام يكون عند
انتقالها من حكم الاستبداد والعبودية الى حكم الشورى والحرية اخرج من مربي
الأفراد الى العلم والخبرة والبصيرة والحكمة

ان خطباء الام والقائمين على تربيتها بالارشاد والتعليم وانتقادالحاكمين والعاملين
هم اصحاب الجرائد ، وقد كانت الجرائد العثمانية في مازق لا نستطيع فيه حرا كما
فخرجت الى مجال فسيح وميدان واسع، ولكن الجولان في هذا المجال والجري في هذا
الميدان لا ينبغي الا للفرسان المهرة فان الارض على رحبها غير ممهدة ، والطرق على
سعتها غير مصيطة ، فامام من يريد الجولان عواثير يخشى عليه من التردى فيها، وعقبات
يصعب اقتحامها ، واعلام مشبهة لا يؤمن الضلال ينبا

فنون الكلام في الجرائد كثيرة، والانتقاد ادقها سلكا واصعبها مراكبا واشدها على
النفوس وقعا واكثرها ضرا وقعا، فمن وظائف الجرائد قد الحكم والاحكام، وقد
العمال والاعمال، وقد العلماء وكسب العلوم، فلا شيء الا وهو معرض لتقديم، فان احسن
كتابها النقد كانوا خير العون على الاصلاح، وان اسوأ كانوا من عوامل الفساد

(*) نشرناها أولا في جريدة «دبايل» اليبروتية وقتلها ضحايا جريدة الاتحاد المصري

والافساد ، لا سيما في مثل الطور الذي دخلت فيه الامة العثمانية الآن لا يعرف أحد كنه تأثير الجرائد في مثل هذا الطور كما يعرفه أهل البصيرة الذين خبروا بأنفسهم أمة كان الاستبداد يسومها سوء العذاب ، فانتقلت الى الحرية فجأة ووجد فيها جرائد كثيرة مرخية العنان مطلقة من القيود ورأوا باعينهم ما كان لها من التأثير في تلك الامة . وان هذا الوصف ليصدق على بعض العثمانيين الذين اقاموا في القطر المصري زمنا طويلا موجهين عنايتهم الى اكتناه احواله الاجتماعية فاذا اشتغل هؤلاء بالصحافة العثمانية وجونا ان يفيدوا الامة جميعا

لقد نفعت الجرائد في مصر كثيرا واضرت كثيرا ، واذا كر على سبيل العبرة للجرائد السورية مثالا من نفعها ومثالا من ضررها :

ان للجرائد المصرية احسن الاثر في النهضة العلمية في القطر المصري حيث صار الموسرون يتبارون في دفع الوف من الجنيهات لانشاء المدارس ، ويقفون عليها وعلى الجمعيات التي تقوم بادارتها الاواصي الواسعة ذات الربيع العظيم ، وقد كانت اشراك الجمعية الخيرية الاسلامية لا يخرج من كيس الفتي الكبير منهم الا تكديبا بعد مطالبات كثيرة ، وما ذلك الا شراك الاجنيهان أو اربعة جنيهات في العام .

لم يكن الحث على انشاء المدارس والدعوة الى التربية والتعليم غرضا خاصا لجريدة من تلك الجرائد ، ومذهبها ملتزما تدعو اليه وتجعله مدارا لنهضة الامة وسعادتها الا بحجة المنار التي صرح في فاتحة العدد الاول منها بهذه الكلمة : « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ثم كنا نستطرد من كل موضوع يكتب فيها الى الحث على التربية والتعليم . ولا أريد بهذا الاستثناء ان انبط بالمنار ما ذكرت من النهضة العلمية فادعي انه هو روحها الذي به حياتها ونماؤها ، بل لا أنكر ان الجرائد اليومية أعم تأثيرا منه في ذلك ، ناهيك بنشرها لاسماء المتبرعين بما قل أو أكثر مع الحمد والثناء . ولو انها جعلت الدعوة الى ذلك مذهبها متبعا ومشرقا ، وورودا لكان النفع أعظم ، ولكن شغلها السياسة عن ذلك وهو أنفع لهم في سياستهم

فهل للجرائد العثمانية ان تعتبر بهذا فتجعل الدعوة الى التربية والتعليم ديدنها ،

والحث على التبرع لذلك وتأسيس الجمعيات لاجله مذهبها الذي توجه الى نشره
 جل عنايتها ؟ فاذا كان للجرائد المصرية بعض العذر في جعل جل همها في السياسة
 فان جرائد سورية لا نصيب لها من هذا العذر ، لا نه ليس في بلادها سلطان متعارضتان
 احدهما اجنبية يدها الحل والعقد بالفعل ، والاخرى رسمية لها الاسم ومالا يعارض
 سياسة الاولى من الفعل . على اننا قد نبهنا اصحاب الجرائد السورية الى تقصير
 الجرائد المصرية في الدعوة الى التربية والتعليم على الوجه الذي هو ارجى
 لتكوين الامة وجعلها امة عزيزة مستقلة في نفسها استقلالاً يفضي الى استقلالها في
 احكامها وسياستها

هذا : وأما المثال لضرر الجرائد المصرية فهو طريق انتقادها ولا سيما للحكومة ، فقد
 سلك اكثرها فيه مسلكاً أسقط هبة الحكومة من النفوس بعد ما كان لها من هياكل
 العظمة في كل خيال ، وشعور الخشية والبأس في كل قلب ، فوثبت الجرائد بالشعب
 المصري من طرف الى طرف ، من غير ان تمر به على الوسط أو ما يقرب من الوسط .
 ذلك المسلك هو اتهام الحكومة بمشايمة الانكليز على ما يريدون من سوء
 بالبلاد ، فكان أولئك الكتاب ينحون بقبحهم وطعنهم على الوزارة « مجلس النظارة »
 في الجملة وعلى رئيسها وافرادها وعلى المديرين وغيرهم من رؤساء الاعمال في
 التفصيل ، فذلك الانتقاد أو الطعن كان الفرض منه تأييد سياستهم في مقاومة الاحتلال
 والتشفي من الانكليز وبيان ان الامر كله في أيديهم وتبعته عليهم ، وان النظارة وسائر
 الموظفين المصريين آلات صماء ، تنجر كما هذه الايدي كما تشاء ، ولكن فيما يضر البلاد
 ولا ينفعها وفيما يسلب السلطة الشرعية من أميرها ، وهو الذي يريد لها الخير لولا
 انه عاجز عنه . وكان يقوم في وجه هذه الجرائد الكثيرة جريدة أو جريدتان أو
 ثلاث تندد بالامير و بطاقته ، وتلمز ذلك المقام بما ينقص من قدره — فبذلك كله زالت
 هبة الامير وحكومته الرسمية من النفوس ، فتجراً الاثقياء على السلب والنهب ،
 واهلاك الحرث والنسل ، وكثر الجنايات في الارياق حتى ان الحكومة لاتزال في
 حيرة من حفظ الامن الى هذا اليوم

نعم انه قد استقر في أذهان جميع المصريين ان الامر كله للانكليز ، وأنهم

يستطيعون ان يفعلوا ما أرادوا من حيث لا تستطيع الحكومة المصرية من دونهم شيئاً ، ولكنهم علموا مع هذا أن الانكليز لا يحفلون بالمسائل الجزئية التي تتعلق بافراد الاهالي وانما يكون الامر فيها الى الحكومة المصرية تنظر فيها بحسب القوانين ، فلا يستطيع المأمور ولا المدير ولا رئيس النيابة (المدعي العمومي) ولا القاضي ان يعاقب جانياً الا اذا ثبتت جنايته في المحكمة ، وقلاً يقدم الجناة على عملهم الا وهم آمنون من ثبوته عليهم ، فاختلال الامن في القطر المصري نشأ من سقوط هيبة الحكومة من نفوس العامة ، والتطرف في الحرية والانتقال من حكومة استبدادية عرفية ، الى حكومة قانونية حرفية ، اي يجري فيها الحكم على ظواهر الفاظ القانون من غير تطبيق على المصلحة العامة التي وضع لاجلها القانون . وما كان لاكثر الجرائد من عمل في ذلك الا ما ذكرناه ، فما كان من خطأ يقع كانوا يحملونه على سوء النية من الحكومة ، وما كان من صواب يسكتون عنه او يحملونه على غير محله ، حتي كانوا ربما يطعنون في أنفع الاعمال كانشاء الخزان في اسوان — فلذا ولغيره من الخطأ الذي لا ينفع هذا المقال لشرحه كان الاستاذ الامام يقول « جرائدنا احدى بلايانا »

فيجب ان تعتبر الجرائد السورية بخطأ الجرائد المصرية التي سبقها في الاستقلال والحرية كما تعتبر بصوابها ، فكما يجب عليها ان تتخذها مذاهب في الاصلاح الاجتماعي لا تشغلها عنه السياسة يجب عليها أن تتخذها اسلوباً حكيماً في انتقاد الحكومة يرجي نفسه ولا يخشى ضرره ، ويجمع بين حفظ هيبتها في نفوس العامة من حيث هي امينة على مصالحها ومنفذة لشرعيتها وقوانينها التي اقرها نوابها ووكلاؤها ، وبين تكريم الامة واعلاء شأنها وغرس مبادئ الحكم الذاتي في نفوسها .

كيف تنتقد الحكومة

تنتقد اعمال الحكومة لغرضين شريطين : أحدهما وهو الاصل صيانة الحقوق وحمل الحكم على العدل واداء الأمانة بالتزام الشريعة وتطبيق القانون على المصلحة العامة . وثانيهما عرضي تمس اليه حاجة الامة أو ضرورتها في مثل الطور الذي نحن فيه الآن في بلاد الدولة عامة والقطر المصري خاصة ، وهو بث مبادئ الحكم الذاتي في نفوس الامة (أي حكم نفسها بنفسها)

اما الأول فطريقته ان يبحث الكتاب عن الأعمال والاحكام ، وبينون ما يجب بيانه في انطباقها على الشرع والقوانين وعدمه من غير بدء ولا استعلاء ولا طعن يسقط المهابة ويذهب باحترام الحكومة من نفوس العامة . وانما نفي بالأعمال أعمال الحكومة دون الأعمال الشخصية التي لا دخل لها ولا تأثير في المصالح العامة .

ومن كان مخلصا في انتقاده يتحرى الحق فيه ، فاذا ظهر له انه اخطأ فيما كتبه رجع عنه وجوعا صريحا وبين سبب خطئه الأول ومشرق انبلاج الصواب له وبذلك يكون كلامه مؤثرا في القلوب ذا سلطان على النفوس فيقدره قلوبه الحاكمون ، فاذا لم يرجع به المسي عن غير آخذه رؤساؤه على سوء فعله ومن آيات الانحلاص ان يسعى مرید الانتقاد ان تبسر له كأن يراجع الحاكم فيما يرى انه يسيء أو يجور فيه ، فان تم له ذلك والا لجأ الى الانتقاد وينبغي ان يبدأ بالرمز والتلويح ، ثم يترقى في سلايم التصريح ، فاذا استقام الجائر وعدل الظالم وجب ان يقف الناقد عند الدرجة التي ارتقى اليها في تقدمه ثم يثني على العمل الذي يستحق الثناء

ومما يتحتم مراعاته ان تكون الفقرة التي ينتقد بها القضاة ورؤساء الادارة بحيث يفهمها الخاصة دون العامة ، كأن تورد بضروب من المجاز والاستعارة وتستعمل فيها الالفاظ الغريبة لئلا تزول مهابة الحكومة من نفوس العوام وتقل ثقتهم بالقضاء ويعتقدوا انه لا سبيل الى قضاء مصالحهم الا بالرشوة ، ويعطع المبطون منهم بهضم الحقوق ويضري الاشقياء ، بالتعدي على الضعفاء ، اعتمادا على ضعف الاحكام او ظلمهم وإما يجب مراعاة ما ذكر في انتقاد من يسيء مستغنيا ، واما من يجهر بالسوء ويعرف عنه الظلم فأولئك هم الذين لا تحفظ لهم حرمة ، ولا ترقب فيهم ذمّة ، فيجبر الكتاب بانتقادهم ، ويحرضون الامة على الشكوى منهم ، اذا لم يبادر رؤساؤهم والمفتشون عليهم الى النظر في أمرهم ، ولكن الشكوى الى المجالس العمومية في الولايات ثم الى مجلس المبعوثان في الاستانة بعد مراعاة ما اشترطه القانون الاساسي في ذلك اما الطعن في الحكومة على الاطلاق فضرره عظيم جدا في مثل بلادنا ولا سيما

في أول العهد بالانقلاب كذا الزمن . مثال ذلك طعن المثقفين أو الرجبين (على الخلاف بين كتاب العرب وكتاب الترك في لقبهم) في حكومة الشورى الحاضرة من حيث شكلها والاستدلال على ذلك بالخلل والفساد الذي أظهرته الحرية في الأمة والحكومة جميعاً بزعمهم ، وما هو إلا من رزايا الحكومة السابقة التي يتعذر تطهير الأرض من نقيها في بضعة شهور أو بضع سنين

ومن أمثله استبطاء كثير من المحيين للحكومة الحاضرة لأعمال مجلس الأمة وإظهارهم قلة الثقة به وشكهم في أنفسهم وتشكيكهم للناس في قدرته على القيام بما عهد إليه من إصلاح حال الدولة ، وترقية شؤون الأمة ، وما ذلك إلا لجهلهم بحاله وبحال الحكومة التي ينظر في أمر إصلاحها

ان مثل مبعوثينا ونوابنا في مجلسهم كمثل مهندس كلف وضع رسم أو رسوم لبناء بلد كسيني « لا مسينا كما تضبطه الجرائد » قد دمرته الزلازل وان يستحضر البنائين لإعادة بنائه على أحسن مما كان عليه ، ويراقب عملهم الى ان يتم ثم يكون أمينا عليه حافظا له فأراد ان يشرع في العمل فوجد معظم اقتاض البلد معقودة قد تلف بعضها وسرق بعض ولم يجد من البنائين المهرة والصناع والتجارين عددا كافيا للاسراع في العمارة !! فحل يلام المهندس ويرى بالتقصير وحده وينسى ذلك الزلزال الذي دمر البلد وأولئك اللصوص الأدياء الذين كانوا يهبون اقتاضه وما يهباً لبنائه !!!

ألا ان عذر مبعوثينا أظهر من عذر ذلك المهندس ، فان زلزال الاستبداد قد توالى على المملكة العثمانية من زهاء ثلاثة اجيال ، وقد اشتد في عهدنا هذا من أول هذا القرن الهجري حتى كاد يجهل المملكة أثرا بعد عين . وقد كان أكثر رجال حكومتنا في ذلك الدور كأولئك التحوت الذين اقترصوا زلزال (مسيني) فسارعوا الى نهب كل ما وصلت اليه أيديهم الاثيمة من أموال الهالكين والمشرفين على الهلاك فإذا عسى ان يفعل نوابنا في أيام أو شهور ؟

قال أمامي بعض هؤلاء المستعدين الطيبة قلوبهم النعمة عقولهم أوالقليل اختبارهم : ان بعض المبعوثين يسأل في المجلس أسئلة سخيفة تدل على ان مجلسنا في سن

الطفولية ! قلت هل كان فيها أسخف من سؤال بعض نواب الانكليز في مجلسهم الذي هو أعلى وأرقى بمجلس نيابي في الأرض عن الكنف (المراحض) في القاهرة وكونها قليلة أو غير موجودة في الأحياء الوطنية ! !

ومن أمثلة الانتقاد المطلق في الحكومة الحاضرة ما يلج به الناس من جميع الطبقات في جميع البلاد من قصيرها في حفظ الأمن وإرسالها جبال الأشقياء على غواربهم ، وهذا الانتقاد واقع ماله من دافع لظهور موجبه لكل أحد ، وهو هو علة الانتقاد الذي ذكر قبله ، ولأمر ما كان كلام الجرائد فيه دون كلام الناس في أنديتهم وسماهم ويوتهم وسائر مجامعهم وفي الطرق والأسواق ! .

وإذا طال العهد على هذا الأهال فأنني أخشى أن يتفاقم أمره ، ويستشري شره ، وقد كلمت فيه والي بيروت قبلاً « والي سورية الآن » والي بيروت الآن والمدعي العمومي لولاية بيروت ومتصرف طرابلس فرأيتهم ينتظرون أول السنة المالية التي قربت خطواتها لأصلاح حال الشحنة والشرطة والدخول على حفظ الأمن من بابه ان عذر الولاية والمتصرفين في القصير في حفظ الأمن محصور في ظنهم انه لا يمكن بطريقة قانونية لا استبداد فيها ولا ظلم الا بعد تنظيم الشرطة وإيجاد قوة عسكرية كافية لتلافي ما ربما يحدث من الثورات الداخلية ، وهو عذر مبني على عدم اختبار حال البلاد في مثل ولاية بيروت قفاسوها على مثل ولاية الموصل وعلى حوران من ولاية سورية ، ويعسر علينا إقناعهم بان هذه البلاد لم تصل الى هذه الدرجة من الشر والفساد ، وانه لا يوجد فيها احد من الأشقياء يفكر في مقاومة الحكومة قط ، وان اي وال أو متصرف أخذ بالحزم يسهل عليه ان يحفظ الأمن . على ان من يفتح منهم بذلك لا يتجراً على الاقدام عليه وتحمل تبعته في عهد هذه الحكومة ولا سيما مع بقاء الاسلحة مستأجرة بالسلطة العليا ومقيدة لسلطة الولاية بله المتصرفين فمن دونهم ! اذا طال العهد على الحال التي نحن عليها - وما هو بالذي يطول ان شاء الله -

يتقوض بناء عهبة الحكومة من نفوس العامة فلا يبقى منه شيء ، وتصير البلاد فوضى ، ولو لا ان سلامة القلوب ومحاسن الاخلاق لا تزال ذات السلطان الغالب في بلادنا لكانت بضعة شهور كافية لانتشار الفوضى وطعم الأشقياء في الخروج على

الحكومة ولكن شيئا من ذلك لم يكن ولن يكون ان شاء الله تعالى
ان الحكومة قادرة الآن على التكيل بالاشقياء فكيف بها بعد التنظيم الذي
اظننا زمانه وادركنا ابانه . وان ما حصل طبيعي في طور الانقلاب فما هو بالامر الغريب
الذي يبيع للناس ولا للجرائد الطعن في الحكومة على الاطلاق
اذا رأينا بعد استقرار الحكومة الجديدة واقامة النظام المنتظر عجزا عن حفظ
الامن في ناحية لسوء ادارة مديرها او في قضاء لجهل القاتقمام او في لواء لضعف
المتصرف او في ولاية لعله في الرالي - فانا نسى لدى مرجع كل واحد من هؤلاء
لاستبداله ، اذا اعوزنا اصلاح حاله ، ولا نطعن في الحكومة طعنا مطلقا يذهب بثقة
العامة بها ، ولا نتهمها بالخيانة والفساد ، ولا نرميها بالعجز والضعف ، فان ذلك كله
نسوء عاقبته على كونه لا يمكن أن يكون صحيحا على اطلاقه

حسبنا هذه الكلمات في بيان الغرض الاول من غرضي الانتقاد الصحيحين
فان المخاطب بها هم الكتاب الالباء والليب تكفيه الاشارة

واما الغرض الثاني من ذينك الغرضين وهو تقوية روح الحكم الذاتي في
الامة فقد يحتاج اليه في البلاد المصرية اكثر مما يحتاج اليه في البلاد السورية ، لمكان
الظنة في استئثار الانكليز بالسلطة وجعل المصريين الآن في أيديهم . ومع ذلك
نرى الجرائد المصرية قد قصرت فيما يجب عليها من الرمي الى غرض نفوذ الامة
فكان معظم نضالها أو جميعه دون نفوذ الامير نفسه ، أي لتقرير الحكومة الشخصية
والانتقال من استبداد أجنبي محدود إلى استبداد شخصي وطني لا حد له . الا انه
قد كثر خوض هذه الجرائد في هذه السنين الاخيرة في طلب المجلس النيابي لمصر
وكون ذلك موافقا لرغبة الامير في رأي بعضها . ولكن الصحيفة المصرية التي
اتخذت تقوية سلطة الامة نفسها مذهبها تراعيه في انتقادها على الحكومة هي (الجريدة)
التي أسسها جماعة من الوجهاء وأهل الرأي تنفيذا لما كان دعاهم اليه الاستاذ الامام
في آخر حياته . ويعلم الله ان هذا ما كنت اقترحه عليه من بضع سنين حتى اتى
كنت قد اخترت له المحررين ووضعت له الميزانية بعد المذاكرة الطويلة معه في
المذهب السياسي — وهو سلطة الامة وفي المنهاج الاجتماعي الأدبي وجعله في

انتقاد الاخلاق والعادات . فهل للجرائد السورية ان تفكر في هذا وتقدمه حق قدره ؟
ان الجرائد العثمانية كلها تحتاج الى انتقاد الحكومة فيما يختص بسلطة الامة
عند وضع بعض القوانين التي تقوي سيطرة الحاكم وتضع الثرات في سبيل الامة
كقانون المطبوعات وقانون الجزاء (العقوبات) وقانون المعارف ولوائحها ونظام
مدارسها ، بل يجب ان تنتقد مجلس الامة اذا لم يجعل تنقيح القانون الاساسي مقبدا
لحكم الشخصي ، مطلقا لحكم الشورى من تلك القيود المروقة ، واذا نازعت الحكومة
فيما يقوي به سلطة الامة وجب على الجرائد ان تحمل عليها حملة شعواء ، وان لا
ترضي اقلامها بما دون الطعنة النجلاء .

كذلك يجب على الجرائد في كل ولاية ان تنتقد الولاة اذا هم حاولوا الاستبداد
في امر المجالس العمومية ومجالس الادارة او اظهروا التعصب لجنسهم كتعصب
التركي للترك والعربي للعرب فان المصيبة الجنسية من الحكم تضعف الجامعة
العثمانية وتحدث فيها الاحداث والمفاسد

ولا يجوز بحال من الاحوال ان تهم الحكومة في جملتها بهضم حقوق الامة
وكراهة حكمها الذي هو حكم الشورى ، وان كان الكثيرون من الوجهاء والرؤساء
السابقين قد قل انتفاعهم ونقص ما لهم وجاههم في عهد الحكومة الحاضرة ، فهم يحنون
الى الاستبداد ويتمنون الرجوع اليه حتي صارت جرائد الاستانة تسميهم الرجعيين .
فمن بقي في الحكومة من هؤلاء ومن يدخل فيها على عهد الدستور للجهل بحالهم
او الحاجة اليهم على عوجهم لا يألون جهدا في الاستبداد اذا وجدوا منفذا من
المنافذ ، وأمنوا المراقب والمؤاخذ

فمن أقدم وظائف الجرائد وواجباتها ان تتبع عوارهم وتقلب اظفارهم وتكتب
انصارهم ، مع مراعاة ما أشرنا اليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي أحسن
كما أرشدنا الذكر الحكيم . وليكن الاخلاص رائدنا ، وإيثار المصلحة العامة غايتنا ،
فلا شيء انفع وأرفع من العمل بخير الناس ، ولا مرشد إلى ذلك اهدى من الاخلاص .

باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا منشي المار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحمته ولا زلت في نعيم مقيم

سيدي: من العجب انكم لم تعرضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الحديثية من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المعهود من حضرتكم ومحاكمة ابن حجر فيما قاله حتي يتبين الرشد من الغي ! . وهنا نجد اكثر الجامدين من اصحاب العائم يتمكنون بتغير البسطاء عن مطالعة المار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المار يلقيه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبد خذله الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

وتجد محب المار الغير المطلع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجئ الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغني أن كثيراً من العلماء العظام انتقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي نقل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي - سمطرا)

(المار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نسال عنه على اننا كنا

(المجلد الثاني عشر)

(٦)

(المار ج ١)

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الغزالي . ويغاب على ظننا ان الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى لم يطالع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقده عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يبعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشم الذي يجلب مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشراني في كتاب اليواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودستت فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطالع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يشعروا بمثله على أحد حتى شهد له معاصروه ومناظره بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . ويميز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يجلون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما . ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كمال الدين الزمكاني والشيخ نصر بن المنبجي على ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محيي الدين بن عربي، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيديويه ونخطشته له . فهو لا، الثلاثة والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حقهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما اتصروا به لابن عربي وسيديويه ولكن كل واحد منهم قد اثى عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتابا خاصة في الثناء على ابن تيمية والانتصار له، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمديين) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر وانا نقل عن كل منهما طائفة من القول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في التفسير وأقوي ودرس وله

(المناج ١م ١٢) الحافظان الذهبي والمزي . تقيهما ابن تيمية ٤٣

نحو العشرين ، وصنف التصانيف وصار من اكابر العلماء في حياة شيخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين . وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره وشيوخه أكثر من مثي شيخ ومعرفة بالتفسير إليها انتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه . وأما نقله للفقهاء ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيرا ، ويدري جملة صالحة من اللغة ، وعريته قوية جدا ومعرفة بالتفسير والتاريخ فعجب عجب . انتهى ملخصا من كلام شيخ الاسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقرار التام في تقده الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين : ابن تيمية أكبر من أن ينسب مثلي على نهوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وفي حديث « كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين » حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين ونهايك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للفتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بهبارة وشيقة وعين مفتوحة

وقال حافظ الاسلام الجبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتحذيل شيخ الحديث جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين : ما رأيت مثله بعيني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لها منه . اه
وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه ونهايك بهذا الكلام من الحفاظين العدلين المستوعبين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

وقال الشيخ الإمام بهية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى ما بقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد . ذكره الحافظ المذكور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء ومن يخطئ ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كنقطة في بحر لجي وخطوؤه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة بحجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني . نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذى بسببه ومع انه خالف الأئمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسير فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل !! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد بجمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسألة منكرة قط وان كان قد خالف الأئمة الاربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطّة الحنبلي في الابانة الصغرى وسند كره عن قريب ان شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه : ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أقبى بزندقته ولا أقبى بسفك

دمه مع شدة المتعصين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم
بالأسكندرية ومع ذلك فكلمهم معترف بسعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسخاء
والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية
فكيف لا ينكر على من أطلق عليه أنه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الإسلام
الكفر وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب والمسائل التي
أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصح على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناده
وهذه تصانيفه طائفة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه ومع ذلك فهو بشر
بخطيئته وبصيبه فالذي أصاب فيه وهو إلا كثير يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي
أخطأ فيه لا يقلد فيه أي كسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لأن أئمة عصره شهدوا
بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصين عليه والقائمين في إيصال
الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزمكاني يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين
ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره. ومن أعجب المعجب أن هذا الرجل كان
اعظم الناس قياماً على أهل البدع من الروافض والخوالية والاتحادية وتصانيفه في ذلك
كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فياقرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره
ويأسروهم إذا رأوا من يكفر من لا يكفره. فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له
عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من السنة من يوثق به من
أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصيح ويثني
عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولو لم يكن للشيخ تقي الدين
من المناقب إلا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف
النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمته
منزله فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره
من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة. فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو
على من سماه شيخ الإسلام لا يلتفت إليه ولا يهول في هذا المقام عليه بل يجب ردع
عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويدع عن الاصواب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور - : ولقد اقتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزي لم يكتب لفظة شيخ الاسلام الا لابيهِ وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابي عمر فلولا ان ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ما قرن ابن السبكي اباهِ معه في هذه المنبة التي نقلها ، ولو كان ابن تيمية مبتدعا أوزنديقا ما رضى أن يكون أبوه قرينا له . نعم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب لرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألي الزيارة والطلاق وأفرد كلا منهما بتصنيف وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلا وكل أحد يؤخذ من قوله أو يترك الا صاحب هذا القبر » (١) والسعيد من عدت غلطاته ، وأنحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك تهورا وعدوانا ، حاش لله بل له لرأي رآه وأقام عليه برهانا ، ولم تقف الى الآن بعد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما وقفت على ماردته على أهل البدع والاهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلى مرتبته في العلم والدين . وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا - وفي رواية --- حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسند كر ان شاء الله تعالى قريبا ما يكون صريحا في تنزيهه عما نسب اليه .

من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبد الله التهقي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على ما نقل اليانا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالما متمنيا مقللا من الدنيا معرضا عنها متمكنا من إقامة الأدلة على الخصوم وحافظا

(١) حكاية لكلمة الامام مالك الي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الي

القبر الشريف

(المنارج ١٢م) شيخ الاسلام العيني والبساطي . مدحها ابن تيمية ٤٧

للسنة عارفا بطرقها عارفا بالاصاين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط في تخرج المعاني لا يومه (له لا تأخذه) في الله اومة لأثم على أهل البدع المحسنة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لا يقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريد منه؟! (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألان المذكوران ليستا من أصول الاديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على ان الخطي فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الاسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلقع بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلعة بن قلعة وهيان بن بيان وهي بن بي وضل ابن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شتم عرانيين الافاضل ، ومن جم براهين الاماثل ، (قال) وهو الذاب عن الدين ، طعن الزنادقة والملحدين ، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال انه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيف والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الأنام ، فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للاسلام .

وقال شيخ الاسلام البساطي المالكي . واما قول من قال انه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه انه شيخ الاسلام كافر فهذه مقالة تقشعر لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين بها ويشمت ، وتنشرح بها أفئدة المخالفين وتسمت ، ثم يقال كيف لو فرضنا انك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستدك في الكلام الثاني وكيف تصح لك هذه الكلمة المتناولة لمن سبقك ولن

هو آت بعدك إلي يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بني الايام ، والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واهيا برج به تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اهـ

(قلت) فتأمل رعاك الله كلام هؤلاء الاعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام ! »

(المنار) هذا ما أورده الشيخ صفي الدين الحنفي البخاري في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليهِ فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نهمان خير الدين الآكوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العيين) في محاكمة الأحمدين (بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والمحققين في الثناء عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام)

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين مانصه :
« قال الذهبي وما ابعد ان نصانيفه الى الآن تبلغ خمس مئة مجلد . وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قواه : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا إلهيا وكرما ونصحا للأمة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع مبالغ ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال مبالغ ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه قتل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، واثق العربية اصولا وفروعا ، ونظر في العقليات وعرف افعال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأودى في ذات الله من الخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلی الله

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكتب أعداءه ، وهدى به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته ، واحيا به الشام ، بل الاسلام ، بعد أن كاد ينظم خصوصاً في كائنة التار وهو أكبر من أن يذبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت بعيني مثله وأنه ما رأى مثل نفسه لما خشت اه

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبع مئة وأربع راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار ويندرها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأراح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً . وبهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه . فحسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لأثم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكر وهوا أكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم يقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجاء . اه

قل من جملة اسباب حبسه خوفهم أنه ربما يدعي ويطلب الامارة فلقى عليه أعداؤه طريقاً من ذلك ، فحسوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك . وكتب الشيخ كمال الدين الزملي كافي : كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهيبهم منه أشياء ولا يعرف أنه ناظر احداً فاقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان ممن علم الشرع او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها (قلت) ورأيت في نثر الدر الذائب ، في الأفراد والفرائب من كتاب الاشباه

والنظائر النحوية للإمام السيوطي عليه الرحمة ما نصه : جواب سؤال سائل عن «لو» لسيدنا وشيخنا الامام العالم الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين او حد علماء الدين بركة الاسلام حجة الاعلام برهان المتكلمين قانع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ودامت به على أعدائه الحجة واستبانته ببركته وهديه المحجة تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جللت عن الحصر
هو حجة الله قاهرة هو بيتنا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنواره اربت على الفجر

نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم ، نقلت من خط الحافظ علم الدين البرازلي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع امام الأئمة خير الأئمة مفتي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عمدة الحافظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قاصم البدعة تقي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يرضى به الرحمن ، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو » وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه « فم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه » على معناها المعروف وذكرت ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاءً أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عمدي بما بلغني مما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما اراجعه في ذلك فأقول : اه بحر وفه . ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته ، وافر المترجم على ترجمته ، فان اردته فارجع الى الاشباه والنظائر ، فان فيه جلاء الابصار والبصائر ، (هـ)

وكتب الحافظ ابن سيد الناس : ألفيته ممن ادرك العلوم حظا ، وكاد يستوعب (هـ) وفي هامش الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور نقل عنه بعض الاقوال النحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سمعت له الامامة

السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان اقي في الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا رأت عيني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرهم وتهديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الا حاطة لله تعالى . غير انه يضرب فيه من بحر وغيره من الائمة يقتربون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير اه من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة نحو ما من اربعة كراريس . وله التأليف العظيمة في كثير من العلوم وما يعد ان تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وبقي سنين يتي بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية وكان دائم الاتيهال كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له ايراد واذا كان يديها لا يدهن ولا يحايي ، محبوا عند العلماء والصلحاء والأمراء والتجار والنجباء . وصار بينه وبين معاصرة وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل اقي فيها بما قامت عنده الادلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك القتال وتكلم معه بكلام خشن ولم يهبه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعاءه منصف اكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصا واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل ما انفاه : « فوالله ثم والله لم يرتحت اديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحلما وقياما في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته . أصدق الناس عقدا واصحهم علما وعزما وانفذهم واعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة ، واستخام كفا

وأكلهم اتباعا لنبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اهـ

وقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقدمت عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » فقيل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يحب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحافظ الذهبي في امر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « قالمالك يتحقق قدره وزخاره بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوز الوصف . والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الا وفي غرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطبوعة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر بن المنجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن عربي فكتب يعاتبه على ذلك فما أعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يخط على ابن تيمية ويغري (به) ببيس الجانكبير وكان ببيس يفرط في محبة ويعظامه . واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الحريري اتصر للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا باثناء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها « انه منذ ثلاث مئة ما رأى الناس مثله » اهـ

وتنقل الامام العسقلاني ايضا عن الحافظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

(المنارج ١ م ١٢) ابن تيمية . مناظرته لأبي حيان . صفاته . وفاته ٥٣

حيان المفسر فقال ما رأيت عياي مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها
بديهة وانشده إياها وهي :

لما أتانا تقي الدين لاح لنا داع الى الله فرد ماله وزور
على محياه من سبيل الألى صعبوا خير البرية نور دونه القهر
حبر تسربل منه دهره حبرا ببحر تقاذف من امواجه الدور
قام ابن تيمية في نصر شرعنا مقام سيد تيم اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذا آثاره اندرست واخذ الشر إذا طارت له شرور
يامن يحدث عن علم الكتاب أصح هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدد . وقد صرح بذلك ايضا العماد الواسطي . ثم دار
بينهما كلام فجرى ذكر سيدييه فأغاظ الشيخ ابن تيمية القول في سيدييه فناظره ابو
حيان بسببه ثم عاد دأماً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر (ويقال) ان ابن تيمية قال له :
ما كان سيدييه نبي النحر ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً ما
تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعة إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء
وكذا في مختصره الهر اه

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه
بالثناء الحسن وذكروا له كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والعبادات وتجنباً
عن البدع وشدة اتباع لسان وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتي مات
وكان ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره إلى شحمة اذنيه
عيناه لسانان ناطقان ، ربة من الرجال بعيد ما بين المنكين جهوري الصوت .
وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين
في طبقاته ، وفصل ايضا سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة
الحرام في السجن ! فأخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوماً مشهوداً لم يعهد
بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديداً وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه
ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مراراً . وحزر من حضر جنازته بمئتي الف

ومن النساء بخمسة عشر الفا وختمت له ختمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة
(المار) بعد ان اورد المؤلف هنا مرثية الشيخ عمر ابن الوردى احدى تلك
المراثى التى يشع فيها على من آذوه وحبسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يفتنون في الله تعالى ويصبرون
وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخبر في الامم السابقة يقتلون ويحرقون
وينشر احمدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك
ما يطول : وقد سمّ ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسمّ الحسن وقتل الحسين وابن
الزبير وطلب حبيب ابن عدي . وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن
جبير وغيرها . وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد
الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربع مئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضربه
عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة
صوف ، وحبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة
سوط وذلك انه حدث عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال « اذا بلغ بنو ابي العاص
ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا » فكان عمر اذا قيل « أبشر »
قال « كيف بخبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة
سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في
السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سماً ، والامام مالك بن أنس ضربه المنصور
ايضا سبعين سوطا في عيين المكره وكان مالك يقول لا يلزمه اليمين . والامام احمد
امتنح وسجن وضرب في أيام بني العباس ، والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الأئمة
أسوة . ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه وبيان سيرته ومفضل
أحواله لأفضى بنا إلى الطول ، والقلم - لاملت - ملول ، ويكفي من القلادة ما
احاط بالجلد .

(المار) وعقد بعد هذا فصلا في تبرئة الشيخ مما نسب اليه، وثناء المحققين
المتأخرين عليه . فنقل عن صوفى الفقهاء وفقه الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني
الشافعي وعن علامة المراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الآلوسي المقي ، وعن عالم بلد الله الحرام الملا علي الهروي ، وعن
امير العلماء وعالم الامراء ابي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد
فصولا أخرى ذكر فيها كل ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي وبين الحق فيه فليراجعه
من شاء . فمن اشبهه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من
مراجعتها في كتاب جلاء العينين أو راجعها وبقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا
عنها إن احب . وانا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق
قبل ان نطالع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط
الا تليذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونفع المسلمين بعلومهما

الحجاز بعد الدستور (*)

بعث الدستور بعد ان قبر ، وبذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان
الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، فهل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد
وشرب زمنا طويلا ، فما هي الا عشية أوضاعها حتى استعالت الصهبا فاصبح
افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاحمر على اسود الا بتقوى الله ، قد ألف الله بين
قلوبهم ، لو انقمت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
كذب الله بقيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا
السلطان وفائق حكمته ووافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد
من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماها وأموالها
وشرفها فالملكة مدينة له بما فعل
وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر المملكة ، ولم يرق في اعينهم فقاموا
بما قاموا به ، اذ جازكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابدت ظباياها النافقاء ، وما تخفي
صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

(*) لأحد فضلاء المسلمين في ستغافوره (س . س . ي)

ولكن قل لي اين هم اصدقاء الاسلام ؟ اين ما قاموا به ؟ اين مواساتهم في هذه الازمة ؟ اين من مد لنا يده في طور انتقالنا الخفيف ؟ هل نحس منهم من أخذ أو تسمع لهم ركرا ؟

شاهت الوجوه ، وقبح اللعوم ومن يرجوه ، نعم قد سمعنا عن الإنكليز جعجة ولم ترطحتا ، فشكرا لهم على ذلك ان لم يك استدرأجا ومكرا ، ولقد كانت نعمة الدستور عامة على كل الممالك العثمانية ، وكان حظ الحجاز منها غير قليل ، لو لم يكن غير تطهيره من ذلك الطاغية وابالسته فكيف وغير ذلك كثير ؟ ولكن الحجاز لكونه اول ولاية عثمانية ، وهو قبة المسلمين كلهم ومحل نسكهم ، ولطول عهده بالخراب والدمار والاستبداد يحتاج الى اكثر مما صار ، وهو أحق بلاد الله بالأصلاح والمصلحين ، واصلاحه يفيد الدولة فائدة عظيمة وهو اوجب عليها من اصلاح غيره بحكم الشرع والعقل . ولست احتاج الى إقامة الدليل الشرعي لبدايته ولكنني اشير الى العقلي السياسي : وذلك ان الحجاز هو المكان الذي تحشر فيه وفود المسلمين وجلهم في هذه العصور يحكمون بالأجانب ، وقل من يقصد منهم من بلاد المسلمين غير الحجاز ، فاذا تقوا فيه اصناف الشقاء وانواع التماسه مع ما يعلمون له من المكانة الدينية والسياسية وكونه النموذج المعروف لو فود كل الأمم ، وكون السلطان حفظه الله ينعمت كل جمعة على كل منبر في الدنيا افتخارا بخادم الحرمين الشريفين وحاميها ، فاذا كانت حاله كما هي الآن فكيف يكون الحكم على باقي المملكة وعلى ساستها ؟

لو قلت لا يجب اعداء الدولة معولا يهدمون به نفوذها في المسلمين ، وصابونا يفسلون به حبها من قلوب الأمة ، وحجة يقيمونها للأمم على ان الترك اعداء الانسانية والاسلام والحرب خصوصا - اكبر وأوضح من الحال التي كان بها الحجاز ونرجو ان لا يعود الى ما يقاربها - لو قلت هذا لم يفند قولي عاقل عالم منصف إن الاصلاحات التي يجب إجراؤها في الحجاز كثيرة جدا ولندع ما كان منها فنيا او قانونيا لمن هو أقرب عهدا متابها واوسع اطلاعا منا ، ولكننا نلمع الى شيء قليل مما لا يجوز السكوت عنه :

إن الحرم الشريف وهو المسجد الوحيد المشترك بين أكثر من ثلاث مئة وأربعين مليوناً من البشر على حال يتأفف منها العقلاء، قد احاطت به بيوت يسمونها المدارس يسكنها الوف من الناس وكلها فيها كنف (مراحيض) ذات بلايم في الأرض تحتن بها الاقدار، فاذا سالت السيول امتلاً الحرم بتلك النجاسات وبقي عفناً عدة أسابيع وقد تكرر وقوع ذلك. وإذا نزلت الأمطار تشربتها الأرض فيتصاعد حينئذ منها بخار متين من كل أرض المسجد، فلا يقدر أحد أن يضع جبهته للسجود إلا كأنما نفسه كأنه واضع انفه على ثقب كنيف مسدود، ولو كان نحن سجادته شبرا !! هذا امر عرفته بنفسى ويعرفه كل من اقام هناك، مع أن تلك المدارس (البيوت) واجب ازالها اذ هي قائمة على أرض لا يجوز تملكها البتة ولكن اقامها الجور ودعمتها الرشوة ! ثم ان المياه التي تشربها الأرض تنحدر الى المنخفضات، ولا ريب بأنه يصيب بئر زمزم حظ من تلك النجاسات السائلة، فلذلك صار ماؤها كثير الديدان والجراثيم الضارة ! فاذا كنا لا نقوم بتطهير ما يقارب تلك البئر المقدسة ولا نبعد عنها السوائل النجسة القذرة السامة ولا نعيد الحرم كما كان في العصور الصالحة كامل النظافة اذ كانت مواضع الاقدار بعيدة عنه وعلى ظهر الأرض - فأني حجة لنا على الاجانب اذا حكموا باراقة ما تزوده الحجاج من ذلك الماء المبارك كما تراق المستقدرات، ومنعوا إدخاله الى بلادهم حرصاً على حفظ الصحة !!

إننا لو قمنا بالنظافة المطلوبة التي هي من الايمان، وطهرنا ما جاور البيت من الانجاس والادرن، لكان لنا من ماء زمزم المبارك مورد عظيم، ولوجدنا مئات الشهادات من نطس الأطباء فيما له من الخواص العجيبة الحسية فضلاً عن الخواص المعنوية، واذ ذاك يمكننا ان نبني منه في اقطار العالم ملايين من القوارير فتمت نرى تلك الاراضي المقتصبة من المسجد الحرام ومن حواشى المسعى قد أعيدت؟ ولو ارادت الحكومة ان تبذل لأصحابها الظالمين بدل تلك البنايات الغير محترمة فاتها تيجد من كرام المسلمين تلبية تسرها يبذل الاموال حباً في تطهير الحرم الطاهر من آثار الاستبداد والجور

ثم انه لا بد من ائارة الحرم الشريف بالنور الكهربائي لوفور ضوئه وحسنه
وبهائه، وبذلك يتوفر أكثر من نصف ما يصرف الآن عبثا للاسراج بتلك القناديل
الوسخة التي لا يتجاوز نورها زجاجها ١ ويستغنى عن جيوش السراجين . ويمكنهم
استخدام تلك الآلات نهارا في جلب الماء من زمزم واجرائه في مواسير الى خارج
المسجد فيسلم من بلل قرب السقائين المحرقة ونحو ذلك

ولا غناء عن هدم مقامات الائمة لأنها مبتدعة فيكتفى بامام واحد يرضي فضله
وعلمه ودينه ، ولينزه اليه وصحنه من خدمة الاغوات الذين هم تركة المصور المظلمة
الظالمة وخدمة الجبابرة من الملوك الذين لجهلهم بالدين أحبوا ان يجعلوا خدمة
الكعبة وحجرة النبي (ص) من جنس ما يستخدمون في بيوتهم ١ وهبها هبها ،
ويمكن ان يوظف بدلهم نحو ثلث عددهم من الأخيار الاتقياء الحسنين السيرة
المعروفين لدى الدول ، ولا شك بأنه يكفي لمن ذكرنا قليل مما يذهب ضياعا مع
أولئك الاغوات .

انني كنت في بعض جهات أوروبا فزعم بعضهم ان الخصاء مما يأمر به الاسلام
وانه من الحتم عند المسلمين ان لا يخدم السلطان ولا يعمل في الكعبة ولا يتولى
سدانة الحجرة المنيفة الا الخصيان ! وقد أفدت محذني بتحريم الشريعة الحمدية
للخصاء وبراءتها من تلك البربرية فلم يقتنع ، ولم تكن له حجة الا هذه القطع المحزنة
المسيئة سمعة الاسلام ، ولعمر الحق ان التقالي في اثمهم لما يغري النخامين الطماعين
فالواجب حسم الداء من أصله

وأرى ان يمنع من رمي الحبوب للحمام حتى تضطر إلى مفارقة الحرم بمحدوده
وهناك تهنص ، فقد جلبت كثرتها أذية المسلمين وتنجيسا وتوسيخا للمسجد ،
ونشأ عن ذرقها الكثير أمراض ضارة ، ولكثرة الحمام يسهل اقتناصه على الهرة فتأكل
بعضه وتدع البعض يتعفن فتنبعث منه أمراض كثيرة الى نحو ذلك

ومن الواجب طرد الكلاب من الحرم كله ثم تسميمها بعد ذلك ، فقد صح
أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها إلا ما استثنى ، والموجود بمكة جله من المرضى

المجرحة فيقع عليها الذباب الكثير ينقل عنها مواد التلقيح لجملة امراض الى بني
الانسان صغارا وكبارا

ويمكن ان يصرف لطلبة العلم الشريف جميع ما يصرف الآن على الحمام
والكلاب فان ذلك خير وأبقى

ونحن نرغب إلى مشايخنا الأجلاء ان لا يجعلونا مضغة في الافواه وهزوا
لدى العقلاء، وان لا يلصقوا بديننا النقي ما برأه الله منه من النقائص والفساسف
وعلى الله الاعتماد وحده

هذه أمور نلفت اليها انظار رجال الدولة واعضاء مجلسي الأمة والشورى ومولانا
الشريف الحسين وصاحب الدولة والي الحجاز كاظم باشا ليعملوا ما يرونه أقرب للتقوى

اتحاد علماء المسلمين

العام الهجري الجديد (*)

﴿ سنة ١٣٢٧ ﴾

اطل على الأكوان والخلق تنظر	هلال رآه المسلمون فكبروا
نجلى لهم في صورة زاد حسنها	على الدهر حسنا انها تتكرر
فبشرهم من وجهه وجينه	وغرته والناظرين مبشر
واذ كرم يوما اغر محجلا	به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع الى الهدى	يحف به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسمي وراءه	ملائكة توعى خطاه وتخفر

(*) احتفل المصريون بدخول العام الهجري الجديد، وقروت الحكومة جعل أول
يوم منه عيداً رسمياً تقفل فيه دواوينها وتعطل اعمالها، ولقد نظم الشعراء القصائد في
ذلك، فأثرنا ان نثبت منها هذه القصيدة

يسرا بهرمان من الله ساطع هدى ويمناه الكتاب المطهر
فكانت على ابواب مكة ركة وفي يثرب انواره تنفجر

مضى العام ميمون الشهور مباركا تسدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فان يدكروا له هتات قطع الدهر يصفو ويكدر
وان قيل أودى بالآلوف اجابهم بحبيب لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسان امرىء باساة فارى عليها فالاساة تفخر
ففيه افاق النائمون وقد أتت عليهم كأهل الكهف في النوم اعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة له أثر باق وذكر معطر
سلوا الترك عما ادركوا فيه من منى وما بدلوا في الترفين وغيروا
وان لم يقم الا (نيازي) و (أنور) فقد ملأ الدنيا نيازي وانور
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجى سيوفا وجدوا جدتهم وتدبروا
فسادوا وشادوا لللال منازل على هامها سعد الكواكب ينثر
نجلى بها عبد الحميد بوجهه على شعبة والشاه خزبان ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه وامته ما قام في الشرق منبر

سلوا الفرس عن ذكرى اياديه عندهم فقد كان فيه الفرس عميا قابصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم فباتوا على أربابها وتجمروا
ينادون: أن مني علينا بنظرة واحي قلوبا أوشكت تقطر
كلانا مشوق والسبيل مهمد الى الوصال نولاً ذلك المتعشمر
اطلعي علينا لا تخافي فانا بترك أوفى منه حولا واقدر
سلام عليكم امة الفرس انكم خلقون ان تحيوا كراما وتفخروا
ولا اقرئ الشاه السلام فانه يريق دماء المصلحين ويهدر

وفيه هوى عبد العزيز وعرشه واخفى عليه الدهر والامر مدبر

ولا عجب إنك ثل عرش ملك
فألقى إلى عبد الحفيظ بتاجه
وقام بأمر المسلمين موفق
على عهد مرآكش تتحضر
قوائمه عود ودف ومزهرا
ومرّ على درّاجة يتعشرا

وفي دولة الافغان كانت شهره
أقام بها والعود ربات أخضر
وعودها بالله من شر طامع
إذما رمى (أدورد) أورايش قبصر
وايامه بالسعد واليمن تزهر
وفارقها والعود فينات مشر

وفيه ثمت في الهند للعلم نهضة
فتجري الى العليا والمجد شوطها
وفيه بدت في أفق «جاوة» لمعة
وباليتة أولى الجزائر منة
وفي تونس الخضراء ياليتة بني
أرى تحتها سرا خفيا سيظهرا
ويخصب فيها كل جذب وينضر
أضاءت لأهلها السبيل فبكروا
تفك بها تلك القيود وتكسر
له أرا في لوحة الدهر يذكر

وفيه سرت في مصر روح جديدة
خبت زمتا حتى توهمت أنها
تصدى فأورها وهيبات ان يرى
مضى زمن التتويم يا ليل وانقضى
وقد كان «مورفين» الدماء تحذرا
شهرنا بحاجات الحياة فان ورت
شهرنا وحسنا ربات نفوسنا
إذا الله الحياة ان يردّها
رجال الغد المأمول أنا بحاجة
رجال الغد المأمول أنا بحاجة
رجال الغد المأمول أنا بحاجة
مباركة من غيرة تنسر
تحافت عن الأبراء لولا كرومر
سبيلنا الى اتحادها وهي تزفر
ففي مصر أيقاظ على مصر تنسر
فأصبح في اعصابنا يتخدر
عن ثمتا عن نيلها فكيف نغدر
من العيش إلا في ذرى العز تسخر
الى الموت قهار ولا متجير
الى قادة تبني وشعب مصر
الى مصلح يدعو وتابع يذكر
الى حكمة تلي وصكف تهر

رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول لا تركوا غدا
رجال الفد المأمول انت بلادكم
عليكم حقوق للبلاد أجلها
قصارى منى أوطانكم ان ترى لكم
فكونوا رجالا عاملين أعزة
ويطالبي الدستور لا تسكنوا ولا
اعدوا له صدر المكاتب فاني
ولا تنطقوا الا صواباً فاني
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله
لقد ظفر الأتراك عدلاً بسوءهم
هم لهم العام القديم مقدر
ثقوا بالامير القائم اليوم انه
فلا زال محروس الأريكة جالساً
الى عالم يدري وعلم يقرر
اليكم فسدوا النقص فينا وشهروا
يمر مرور الأتس والعيش أغبر
تناشدكم بالله انت تذكروا
تعهد روض العلم فالروض مقفر
يدا تبني مجدا ورأساً يفكر
وصوروا حتى أوطانكم وتحرروا
تيتوا على يأس ولا تتضجروا
أراه على أبوابكم يتخطر
أخاف عليكم انت يقال تهودوا
وما ناله في العالمين مقصر
ونحن على الآثار لا شك نظفر
ونحن لنا العام الجديد مقدر
بكم وبما ترجون أدرى وأخبر
على عرش وادي النيل ينهي ويأمر
محمد حافظ ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة السلطان (*)

(في ضيافته للمبعوثين)

أيها المبعوثون الافندية

لاني اصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتناولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أمي
العثمانية ورعيي الشاهانية فكأنني مع جميع افراد أمي العزيزة !! زاد حضرة الحق تعالى
عددنا وسعادة حالنا . ان هذه الليلة مباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ
دولتنا الطيبة ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها .
ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاساسي لدولتنا
وامتنا ووطننا والتي سيمنحها في المستقبل الى ما شاء الله تعالى . فهو اذا جدير بالتبجيل

أيها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة
ومجلس نوابها لذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطلوبي ان تجعلوا اسمعكم
وغيرتكم وقصدكم ونيتمكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية . واني اؤكد لكم باني
نصبت نفسي بعناية الكريم للمحافظة على أحكام القانون الاساسي الضامن واليكافل

(*) ادب السلطان للمبعوثين مأدبة حضرها معظم المبعوثين ، وتخلف فريق
منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة
ذلك الأثر السيء الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم (راجع ص

لهذه الحقوق المقدسة . واؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأكون أول خصمه
وأول عدوه أيا كان بصفتي خائفتكم ولساطنكم
نضرم إلى الله تعالى أن يكون همينا وظهيرنا لنا في سعيينا وغيرتنا في سبيل دولتنا
وأمتنا وسلامة وطننا المقدس (١)



جواب رئيس مجلس المبعوثان

﴿ عن خطبة السلطان ﴾

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل إلى الآن في حياتنا
السياسية يوماً عظيماً بهذا المقدار . ان السلطان والأمة اللذين كان يتحسر أحدهما
على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من
إناء واحد . ولم يعرف مثل هذا الائتلاف والاتحاد إلا في عصر السعادة (٢)
مرت ثلاثة عشر قرناً والشرق محروم من رؤية السلطان مع الأمة وجوداً واحداً .
ان العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين
قلبا وقالبا مع سلطانهم . وبذلك يكونون موقفين لاعلاء شأن الوطن والتوفر على
حفظه وصيافته ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الأمة يرضون لذاتكم
السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من جلالكم من الاعزاز والالتفات

(١) بعد ان اتم جواد بك رئيس كتاب المايين هذه الخطبة التفت السلطان
إلى احمد بك رضا رئيس المبعوثين قائلا : اني لا اذكر دقيقة واحدة من عمري
كنت سعيدا فيها بهذا المقدار ! »

(٢) يريد بذلك عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه
لا ميزة له على أحد من أفراد الأمة . ذلك العصر الذي كان يجرأ فيه رجل من
آحاد اليهود أن يمد يده إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطباياه بقوله :
انكم يا بني عبد المطلب قوم مثطل ! انه لعصر جدير بأن يسعى عصر السعادة

نهضة الأزهرين

عسير على المفكر أن يحيط علما بكل ما يقع تحت نظره ، وعزير عليه أن يجهل اسباب أمر واقع ، ولهذا كان الفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، وإذا ذاك يرى أنه إذا حكم على شيء كان ذلك الحكم مدعما بالاستقراء ، تأمجا عن مقدمات لا تتجبع غيره .

أن فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيرا مما يكون موضحا للشبهة والأفكار فيه مسارح ومذاهب ، لعلهم من معاملة ونقاء كتبه ، ولذلك لم يتحقق الإجماع على ما لا يعد من البديهيات الأقبيا ندر وقل ، وإن مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف عمل ما عند حد محدود ، لا يتنزل إلى هبوط ولا يتوغل إلى صعود .

لا يبعد أن يذهب قصار النظر إلى إمكان ذلك ، وأتي لا أوجه كلاما إلى هؤلاء ، بل مخاطب به أر باب العقل ، وأرى يديهم أولئك الذين لا يهملون أمر الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة ومنحى

تأمل في أي عمل من الأعمال تأمل نافذ البصر ثاقب البصيرة ، ثم ارجع إلى نفسك ، وأنا ضمين بأنك تحكم إما بترقيته وأما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما أثبتته المشاهدات ، واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات ، التي راع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر وبقائه في نقطة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر إليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضلة للافهام .

أفرغ ذلك العاقل الحكيم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده جهده في سبيل إصلاح الأزهر وقضى دأبا على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة للأخرائن حكمة وعرفانا صاح بالأزهرين صيحة صمت منها آذان وتمتعت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله ، وثار آخرون ينبرونه باللقب ، ويعرقلون مساعيه العظيمة ، فريق منهم عانده عن غي وجهل ، وآخرون كانوا يمتنون ويوعدون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

كارهون !! ولكن الامام كان في أول الامر مؤيدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعياتهم ، فأسس للأزهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لا يدع لكبير نفوذ فيه ، ولا لامير سلطة عليه ، ونفخ روح الاستقلال في رجاله ، بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على العقول ، ومربي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائير الأولى صادرة له عما اتدب له وصمم عليه ، بل كان لا يابه لها - وذلك شأن أرباب النفوس الكبيرة - الى ان ظهرت له بشكل جديد ، عدها نفوذ قوي ، ويؤيدها مقام علي ، فتكرها كما تنكرت له ، وواثبها حينما كما واثبته ، حتى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكنه ، واظهر ما اخفاه واجنئه ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومساائل الشخصيات بالدين ويكثرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شي من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الاروقة التي عمرت حديثا على نفقة ديوان الاوقاف كان من اهل الأزهر نفسه من يهددهم بالعساكر ويتوعددهم بالنفي ويستفز نفوسهم بمثل ذلك للقليل والقال والاضطراب والهياج ، الى ان قال :

« واول شي اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماءه وطلبته الا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شي »

نطق الامير بخطبته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظواهرها ، فاستيقن أن العراقيل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن مكانه ، فانها كفيلة بتعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حضرة الأمير والأسف مشتمل على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، فحين يدعو بين ما يريد - أصبح واجبا محتما ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه العامل الشيخ عبد الكريم سلان ، ولقد كان تركها الأزهر اضطراب وحزن

شاركت مصرفيه سائر انحاء العالم الاسلامي ، لان الرجاء بالاصلاح الاسلامي كانت معقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام إلى ربه ولسانه يتاجلج بقوله : ولكنه دين أردت صلاحه . أحاذر أن تقضي عليه العمائم

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه سيصير طلاباً دارساً ، لأن طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مر من قبل ، واجمع الكثيرون على أن الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة من أمر الأزهر ، فطائفتان واقفت ساكن لا يسير إلى تدل ولا إلى رقي !! وهذا هو الحال بعينه . وقد كان الأستاذ الامام يقول : يستحيل أن يبقى الأزهر في هذا العصر على ما هو عليه فإن لم يعمر ويرتق فلا بد أن يخرب ويذول

رأى الأمير بعد ذلك أن يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، وتغير رأيه في حظ الحكومة منه ، وادخل العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراها من الفروض المحتمة ، فألف له مجلساً عالياً هو رئيسه في بعض الأحيان ، فقرر المجلس وضع نظام جديد للأزهر ، ودأب أعضاؤه يجمعون نظامات المدارس الأميرية وما كان وضعه المرحوم الأستاذ الامام ، وخلصوا من كل ذلك نظاماً جديداً وضعوه ليسير عليه الأزهر ، فكان من عيوبه الكثيرة أن الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ، فقد وضعوا فيه علوماً جديدة أوجبوا على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم يتوفر على تحصيلها من قبل أن يلم بها ، وحثموا على من أوشكوا أن ينتهوا من الامتحان تأدية الامتحان فيها ، مع علمهم بأن هذا من الارهاق الذي لا يستطيع حمله ، فإن الطالب الذي بلغ اثلاثين أو ما فوقها يعسر عليه أن يرجع إلى مدرسة كتب السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أو سنتان !! على أنه لا يوجد من الاساتذة من يحسن تدريسها بل لا يوجد من ألم بها أو زاولها !

سألني أستاذ عهد انه تدريس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ لإقراءها ؟ ابن خلدون أم ابن الأثير ؟ ! وجاني أستاذ آخر يسألني ما هي المحاضرات ؟ ! وربما كان السائلون لغيري أكثر ، على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فإياك بعلم الطبيعة والرياضة ونحوها ؟
 جاء البرنامج الذي وضعه حاويا أكثر من عشرين فنا مابين قديم وجديد ،
 وأوجبوا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يمتحنوا فيها فكانتهم بهذا فرضوا عليهم
 أن يعودوا الى السنة الأولى ! ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ! فمن
 ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ! وأرادوا على تدريس الرياضة
 من لا يحسن القواعد الأربع ! وهكذا كانت توزيع سائر العلوم على المدرسين
 فكانوا كلهم توهلوا في تطبيق النظام ازداد التهوريش والاضطراب
 رأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير معبدة ونهج غير سوي ، فاستيقنوا
 أن النهاية ستكون شرا من البداية ، وكان كثيرون منهم عن حضروا دروس الأستاذ
 الامام عرفوا منها ان الانسان أملا في هذه الدنيا يسمى اليه ، وغاية يقصدها بطله وعمله ،
 ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في غير ولا تغير ، فاضطربت أفئدتهم وحزنت نفوسهم ،
 اطلوا على مستقبل مظلم ، مسبوق بالنكد والارهاق ، ورأوا الأهواء تصرفهم ،
 وبؤس العيش يؤذيهم ، فهبوا من رقبتهم ، واستيقظوا من غفوتهم ، ونهضوا نهضة
 من نضحت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا تحرك لها فركتها حرارة هذا
 النظام وبرودة تنفذه من جهة فصارت رجحا عاصفا

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلال غير الحي والوئد
 من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سينفرون من الأزهر بقضيمهم
 وقضيمهم وهم بضمة آلاف ليعلموا لماذا ان ما هم فيه لا يرضى به من كان إنسانا ؟
 وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار تستطيع ان تحشر الموتى
 والمختلف معا ، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طريقه ؟

خرج الطلاب من أزهرهم حذرا ما أريدوا عليه ، وابتغاء الوصول الى خير
 منه ، فطوفوا في الشوارع ، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا ، وكان مظهرهم من أجمل
 ما تقع عليه العين ، وكان أحسن ما هم فيه نظامهم وأناتهم ، فقد كانت صفوفهم
 متوازية ، وأبصارهم خاشعة ، قادبا بأدب الدين ، ونحلقا بأخلاق حملة العلم .

سر الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب ، وارتاحت نفوسهم

إلى الازهرين بعد ان حكموا عليهم بالموت الزوأم ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمفتشين ريعوا وغضبوا ، وصوروا الحال للأمبر بعكس ماوقع ، فأومروه ان فريقا أو أفرادا حقيرين « وكلتهم الحقيقة : هلاقت ا » قاموا يصخبون ويصيحون ، وأن تأديهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأمبر بندايتهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لانفسهم وللأمبر ، ورواوا من اتحاد الازهرين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وان الامر واقع ماله من دافع ، فلم يزدحم ذلك الا تشددا وعتا ، ظانينهم أن الشدة تفرق جمعهم ، وتحمل عرى اتحادهم ، فجاءوهم برجال الشرطة وركبائها ، فأحاطوا بالازهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى ان فريقا منهم لم يرض بما دون التهرش بقاله وأعماله ، فابن من هذا تهديد المفارقة الذي عده الأمبر بدعا ، ولكنهم ألغوا الطلاب مدربين بالأناة والصبر ، معتصمين بحبوة التوادة والسكينة ، فما استطاعوا حملهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه ، لم تقف الحكومة موقف الحكمة امام حركة الازهرين ، بل رقت شاخصة بعصرها كن تعرض امامه أنواع من الصور المتحركة ، ولم تحفل بمطالب الازهرين الذين اضرخوا عن حضور دروسهم رجاء نيلها ، على انه لم يكن من العسير اجابتهم الى بعضها ، ولو انهم اجيبوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الاخرى واعتقدوا طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الازهر مئة قرش وراتب ضريعه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع ان الازهر رأس المعاهد الدينية . فمن ذا الذي لا يقول انهم طلبوا حقا والتسوا مساواة وعدلا ؟

طلبوا مدرسين من ارباب الكفاة والاضطلاع ولا سيما الذين يهد اليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وان تلقى اليهم على نحو القائما في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج اتباعا لسنة الارتقاء الطبيعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ، ويحملوا على الجري عليه كلمة كلمة ، افليسوا بهذا المطالب محقين ، وبه جديرين ؟

طلبوا أن يكون لرحلة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الاستخدام في المحاكم الشرعية والأوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقبية .
فهل هم بذلك مخطئون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدي الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من أمرها شيئاً ، لأن حملها على أداء الامتحان فيها من الأرهاق والظلم الين فهل اساءوا وظلموا !

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الأديان الأخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا أمراً إذا ؟

تلك معظم مطالب الأزهريين فأني منصف بل اي مجحف يبيع نفسه الادعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها ، رأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطي اخوانهم في الاسكندرية فوق ما سألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علماً ، بل لم يعرفوا لها حداً ولا رسماً ، وقد مر على القارىء ان الإماء عهد في تدريسه الى اعمى ، والرياضة الى من لا يعرف لها مسمى ، فكيف مع هذا لا يكونون محققين في طلب المدرسين الا كفاء ، والعلماء الفضلاء . . رأوا ان الحامل منهم الشهادة الابتدائية اسوأ حظاً من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاولي ما هو دون مهنتهم فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقبية ، فهل هم بذلك ظالمون ؟ وأما انهم ممتنعون مزدرون وان واحدهم اذل من قيسي بجمص ، وان أندادهم واقبلهم من ارباب الديانات الأخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حملهم على الطلب بأن يعاملوا مثليهم ، فهل يعد هذا من الافتيات ! وهنا لك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقاً وعدلاً ، كطلب تعيين شيخ الجامع الأزهر بالانتخاب وغير ذلك وور بما يكونون طلبوا كل ذلك ليجابوا الى بعضه ، على ان الحكومة تهرأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للأزهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الاسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بالجامع الأزهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الحائزين عليها بحسب تبعيتهم للأزهر ويمنعون من دخوله الخ،
جوزي الأزهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب، وسيحفظه التاريخ الذي
لا ينسى شيئا، ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم !!

لم ار فيما رأيت في هذه البلاد امرا عنت به الامة واضطربت له عنايتها
واضطرابها بأمر الأزهريين، وليس لهذا من سبب الا الشعور العام بأنهم مضطرون
مضطهدون، فكان اندفاع الامة في الرغبة الى الحكومة والالتماس من الامير
بمعاملة الأزهريين بالرفق والحسنى، وإجابتهم الى ما طلبوه بحق وعدل - كانت
ذلك سببا لانهضة النظر ورغبتهم الى الامير ان يصفح عما عده ذنبا للأزهريين، وقد
كان ذلك وقررا إرجاع الأزهر الى قانون سنة ١٣١٤

سكنت نائرة الأزهريين وارتاحت نفوسهم الى هذا القرار، وأفرخ روع الامة
بعد القلق والاضطراب، ولكن قام فريق من اصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون
بغير وجدانهم، ويكتبون بموثرات كاذبة يخلقونها لأنفسهم - - يصبحون ويصبحون
متعلمين من هذه المغبة، متبرمين من سوء النتيجة، ناعين على جرائد أخرى كانت
تشدأزر الأزهريين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأييد، وذلك ليوهموا الامة
ان الرجوع الى ذلك القانون خسران مبین !!

لولم يكن في الرجوع الى ذلك القانون إلا حصر سلطة الأزهر في مجلس ادارته لحد
هذا وحده غنا واي غنم، على ان نظام القانون القديم الدراسي كان وضعه على نمط
يجعل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على ما لا يستطيعون،
فقد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختيار في الامتحان في العلوم
الجديدة، فله ان يمتحن فيها اذا شاء ويكون اذ ذلك مقدما على غير الممتحن فيها، وذا حظ
من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها - فاین هذا من القانون الجديد
الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة ان يمتحن في تلك العلوم كلها؟
ليس من يملك على ما لا يستطيع حمله بالقسر كن يسوقك الى صنع المستطاع
الهنين بما في وسعه من أنواع الترغيب والتحييب، وهذا ما جعل الطلاب يتلقون القانون
القديم بالرغبة والجدل، وحملهم على النفور من الجديد بالكراهة والسخط، وذلك

أمر متفطر والمثل يقول « ان رمت ان تطامق فسل ما استطاع »
يقول المتفهبون اللاغظون إن تقور الأزهريين من النظام الجديد دليل على
جهودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان
الأزهريين لم يرفضوه لأنفسهم لأنه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون
ان يضربوا بسهم فيها !! وساطاني انهم رفضوه لكونه مشوها مضطربا لا يمكن السير
عليه ، وقد مر على القارىء الاماع إلى شيء من مساوئه ، أما العلوم الجديدة فانهم
عرفوها أيام كان كثيرون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاويلها بالتضليل
والتكفير ، فالرياضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها
الأزهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوزوا السنة الرابعة الدراسية لا كما قضى النظام
الجديد بإرغام جميع الطلاب عليها !

الغرض الأول من الأزهر تخرج الاختصاصيين في علوم الشرع ، ومن الضروري
ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو
والأعمى شرع ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إخصائيا
في الرياضة والطبيعة والهندسة وغير ذلك ،

ألا ان الإصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون
بالرجال الكفاء الضليعين الذين يزنون الأشياء بميزانها ويضعون كل شيء في موضعه
إذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الإصلاح . وإن بين ظهرانينا كثيرين من
هؤلاء وهم من متخرجي الأزهر وموظفي الحكومة ، فإذا على الحكومة لو عهدت إلى
هؤلاء إصلاح الأزهر — وهم القادرون وحدهم على ذلك — إذا كانت تريد الإصلاح !
واحسن ما نلتهم به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من
استقلال فكره وكمال رجوليته ما ذكرنا بكلمة الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يليق
لمشيخة الأزهر » بل ما حمله على الاستقالة لأنه لم يجب إلى مطالب الأزهريين إذ
سألها ، فكان ضيقنا بكرامته ان تهان ، وبارادته أن تتلاعب بها الأهواء ، وهذا هو
الرجل الفذا ! كثر الله فينا من أمثاله
حسين وصفي رضا

ندوة العلماء الهندية

﴿ تأسيسها داراً للعلوم ﴾

ان ندوة العلماء في الهند مساعي في خدمة الدين الحنيف جليلة، وسعياً في خير النوع الانساني مبروراً، وقد اتجه عزمها الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم (جامعة) دعته (دار العلوم) واحتفلت في أول شهر ذي القعدة الماضي بوضع الحجر الأول من اساسها، وقد قالت في ذلك مجلة البيان التي تصدر في مدينة لكنؤ (الهند) :

« عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنؤ فامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء، وكانت الحفلة بهيجة لم ير الناس مثلاً في حسن انتظامها وبلاغتها ما ألقى فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف وإعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملى واصلاح ذات الدين وتوطيد الاخاء والوثام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب أو يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء.

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهندو وكان بين المسلمين اهل السنة وعلمائهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والأحناف والوهابية والمتفرجة، وهو أول اجتماع ديني حفل أهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولاحات الساعة المعينة اتى الوالي السرجون هويت وقرينته فاستقباهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلسهما فجلسا على كوسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا القاريء آيات من القرآن الحكيم، وقدمت الى الوالي عريضة الخالي فأجاب بخطبة مسهبه اثني فيها على الخطه التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام

ونشر المعارف الحديثة موزجة بعلوم الدين وعدأ أعضاء الندوة من مخلصي دولته وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر أساس المدرسة .
وهذا نص المريضة التي قدمت الى الوالي نقلها عن المجلة الخاصة التي تصدرها الندوة باسمها :

مولاي الاكرم : نحن أعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر أساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قدر شبر من الارض الا وفيه انصار الندوة وحماتها وقد استبان بهذا ما للدولة من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك الحكومة وعمودها فان الندوة ليست إلا جمعية دينية

مولاي الاكرم : نحن نستدعي من حضرتم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجليلة دار علومنا هذه

مولاي الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في أمور الدين واحكامه والامة كانت تقفوا اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يمس بالدين ولو في أمور الدنيا وكانوا انموذجا لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تقوم به جنسية المسلمين ليست خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما هي للامم الأخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبده . ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا يبعدوا عن قصد المحجة . وهذا الامر دعا الى أن نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الأخرى ومن مزية امة الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرمى وغاية . وما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني امر لا تشار كفايه امة حتى ان الروؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لها كرامة . والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من

المكانة عند القوم وحينئذ حُرمت الآداب من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الأمور وبلغ الحال إلى أن رفعت الشكاوي إلى الحاكم السلطانية فقام حينئذ حزب من العلماء لصدّ الخلل وإقامة معالم الإصلاح وكان من أول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة، انعقدت حفلاتها الأولى في كانفور سنة ١٨٩٣م وفي سنة ١٨٩٨م صادقت الحكومة عليها رسمياً وبلغت حفلاتها اثني عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف أهوائهم وأذواقهم - أمام طالب الندوة فتحصر مهماتها في أربعة أمور :

(١) ترقية المدارس العربية وإصلاحها (٢) رفع المخاصمات الدينية (٣) إصلاح أمور المعاشرة والأخلاق (٤) نشر الإسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية في بدء الأمر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الأمة كافة فتوسعت حينئذ مطالبها وكان من أول مساعيها أنها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في أحزاب الأمة وإصلاح ذات البين وفازت في ذلك إلى حد لا يستهان به ، وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم لم يذهب ادراج الرياح ، ثم إن الندوة أقامت دار الأيتام في لكنؤ ومجلاً للإيتام في كانفور ولكن كان أهم مطالبها أمر التعليم ، إصلاح ما فسد منه ليكون سبباً لوجود شريعة تهدي الناس في الأمور الدينية

ومن البين أن التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعتري الأمة وحجزها عن سبيل رقيها ونظراً إلى ذلك أسست الندوة في سنة ١٨٩٨م مدرسة سميتها بدار العلوم كانت في أول الأمر مدرسة ابتدائية ثم تحولت إلى كلية في سنة ١٩٠١م وصارت كأنها أساس جامعة دينية ولما كان أمر التربية أعظم خطراً من التعليم أسست دار إقامة للطلبة ولكن كان من شؤم الحظ أن الأمة لم تقدر مسعى الندوة حق قدره فالفئة القديمة أساءت الظن أن إدخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهناً في الدين ، حتى ألفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة ، وفوق ذلك أن الناشئة الجديدة أيضاً كانت تتقاعد عن الأخذ بنا صرنا فاتها كانت تحسب أن الندوة تقيد حرية الأفكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع إحياء العلوم العربية أصلاً ومع أن الندوة كانت هدفًا لسهام كلتا الطائفتين لم تنزل لها قدم ولزمت محجتها واختارت

لنفسها جادة وسطاً فرتبت نصاباً جديداً رجح فيه جانب الأدب والعلوم الدينية، ومع أن دار العلوم لم يمس عليها روح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على أن يجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق له مثيل ! وكان ينداء نادراً في إبان الحكومة الإسلامية أيضاً وقد أضفنا إلى نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد وكفراً في المدارس القديمة، وعما زاد الطين بلة أنا أدخلنا في نصابنا تعليم اللسان الإنكليزي لزوماً، فكان من ثمرة حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى أن بعضاً منهم استرجع أرضاً كان وقفها على دار العلوم ! ولم نأل جهداً في الاستفادة مما لأهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية وخزائنها تحتوي على أكثر ما كتبه المستشرقون في أمثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح أن تكون زينة لكل متحف علمي، وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة من تلك الخزانة، ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات عامة يستحق التنويه بها

والآن أردنا أن ننشيء لجنة يكون أعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة - وبناء على ما توارثنا من آباءنا لا نأخذ للتعليم أجره، ونريد أن نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن أهم مزايا مدرستنا أن الذين بقوا على الحيادة عن المدارس الدولية لأجل التعصب الديني أو لأجل عدم الثروة لا يجنحون إلا إلى مثل التعليم الذي اختارته الندوة فإنها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترى على أن نعرض على مسامعكم أن دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها ارتبت على أمثالها من كلا النوعين بنوع خاص، فإنهم أبعد ذيلاً عن التقشف وبراء من الفحفة الفاسدة - ومع أن مدرستنا لا تقدر على أحداث طائفة يصلحون للتوظيف في أعمال الدواة ولكن نحن على ثقة أن مدرستنا تنشيء رجالاً يقدرون على إطفاء الثورات الحالية التي تريد أمحاء سيطرة الخلق والمخلوق معا - رجالاً يكون من شيمتهم الاستكانة للأكابر والمواساة للعجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك : الاتقياء للحكومة والخضوع فمدرستنا تنفخ في طلبها روح المساعدة الدينية التي فتحت أبوابها لكل حزب، فلم يعين طلبتنا ولا أساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين المفتين العظامين من المسلمين وعلماء

لجئنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلاح فخرجوا من دارنا ودارنا والمدارس التي تتبع
سبيلها انها تخرج طلبة سيدودون الامة ويلكون ازماتها مرة اخرى ويحسمون التناقض
ويشقون عصا النفاق، ويصبحون لتوسيعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين
الفئة الناشئة وحزب التمهيد العتيق، ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم
يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة واتقيادا للحكومة. والآن تقدم الى جنابكم
ازكي التكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا
وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعدتهم الى هذا الحد ونخص من
بينهم أولا سمو النظام أمير (حيدرآباد) الذي نستغرف من جود امارته من نعمة
أظفارنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن، وبعد ذلك نوادي مقترض الولاء الى سمو
الملكة اميرة بوفال التي تمنحنا وظيفة اعانة سنوية ونبت ايادي اماره ههنا وبالفور التي
وقدت اميرتها غير ما تسمح به امارتها سنويا بمنحة تساوي خمسين الف روبية، هيأتنا
لنشرف بان نضع سعادتكم حجر اساس كليتنا ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير
هو هؤلاء الكرام الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر
عبد المجيد خان وزير خارجية اماره بلالاه ونحن نشكر المستر أي سال - ساندروس -
والمستراس ايج بطاري . اي . اي والمسترال ام جابلت الذي نصرنا بتحصيل
القطعة التي انضمم بها علينا . وفي الختام نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا بما
نقيم اليها من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي تقدمه الى جنابكم حيث قبلتم
ان تضعوا يديكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألکم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير
الذي يبقى على كمال الدهر .

﴿ لقب حاكم المسلمين ﴾

لصاحب الامضاء

رأيت في بعض جرائد الاستانة كلاما عن الخلافة واتهام خديو مصر
بالسي في التلقب بها الى نحو ذلك ولا أدري أي عقل صياني يقبل تلك المقترحات
الباردة ! ان لقب الخلافة لقب شريف وله شروط والخلفاء الحقيقيون الذين هم
خلفاء بدون شك قد مضوا ورحمهم الله تعالى كما في الحديث المشهور « الخلافة بعدني

﴿ التاريخ الهجري الشمسي ﴾

عند ما شرعت بوضع النظام أو القانون للجمعية الخيرية الإسلامية في طرابلس الشام خطر لي أن تكون سنيتها هجرية شمسية وإن يكون أول سنتها شهر ماوت (آذار) كالسنة المالية العثمانية وقد ذكرت ذلك في القانون ثم خطر لي أن أذكر هذا التاريخ في المناوإحياء له مع ذكر السنة القمرية التي عليها المعول في الأمور الدينية للاستغناء فيها عن الفلكيين والحاسين . وقد جاء في حساب أن سنة ١٩٠٩ الميلادية توافق ١٢٨٥ هجرية شمسية لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم وبعث على رأس الأربعمين وأعلن بعثته بعد ثلاث سنين من نزول الوحي عليه أول مرة وهاجر بعد عشر سنين من إعلان الدعوة فبتلك ٥٣ سنة تجمع إلى سنة الولادة فتكون معها ٦٢٤ تطرح من ١٩٠٩ فيبقى ١٢٨٥ ولكن رأيت بعد ذلك أن الدولة العلية عذمت على أن تجعل حسابا المائي على السنة الهجرية الشمسية وأن سنة ١٩٠٩ وافقت على حسابها ١٢٨٨ هجرية وكن الحاسين الذين قالوا بذلك لم يحسبوا سني الفترة بين أول الوحي وإعلان الدعوة وهي ثلاث على المشهور فيجب أن يتقوا مثل غلط الصاري في تاريخ البلاد فقد أخطأ فيه بعدة سنين ثم لم يمكنهم الرجوع إلى القمواب بعد أن ملئت الكتب والدفاتر بالخط

أتم ما أمالب من مجلس المبعوثان

- (١) إصلاح نظارة الأوقاف وجعل أموال الأوقاف التي تراش شروطها والتي جهات شروطها والتي وقعت على شروطها من كتب الأوقاف العامة والخاصة ونشرها في جميع البلاد ومختصاتها في وفاء
- (٢) إصلاح نظام السرية وتعميمها في كل بلاد الشام وجعل نظام السرية كالتسمية مؤلفة من اثنين أو ثلاثة وثلاث كتب على كذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا واستثنائية وتعيينية (أو غير ذلك) وتعيين رؤس الأوقاف في كل ولاية من الأقاليم والكتب ومنهم من أخذ الرسوم

(٣) جعل اللغة العربية محتمة في جميع مدارس الحكومة وإنشاء مدارس
معلمين ومدارس زراعة

❖ ذيل لكشف الظنون ❖

كنت شرعت منذ ست عشرة سنة بتأليف ذيل لكتاب (كشف الظنون
عن اسامي الكتب والفنون) تصنيف الملامة منلا كاتب جلبي المعروف بحاجي
خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ جمعت فيه ما فاتته ذكره من أسماء الكتب والمصنفات مع
اسماء المؤلفات التي حدثت بعد عصره في اللغات الثلاث الشرقية الى يومنا هذا .
رجعت في ذلك الى كتب التراجم وفهارس المكاتب العمومية وبعض المكاتب
الخصوصية وضمنت الى ذلك الكتب التي وقفت على اسمائها في أثناء مطالعتي لكتب
شئ مختلفة المواضيع وأسماء كتب كثيرة دخلت في يدي مع ما وقفت عليه من أسماء
المؤلفات التي اعلنت الجرائد والمجلات طبعها وقد احببت ان اطبع هذا الذيل
الحافل اجزاء متتابعة كل جزء مائة صحيفة بقطع الاصل بحيث يصدر في كل شهرين
جزء منها . وبما اني قد ذكرت في كتابي هذا كثيرا من مؤلفات المعاصرين
احببت ان لا يفوتني ذكر كثير منها مما لم اطعم عليه لتعذر الاحاطة فارجو من
فضلاء العصر وكتابه وادبائه ان يتحفوني في مدة شهرين ونصف باسماء مؤلفاتهم
ومؤلفات اسلافهم كما بانهم واقربائهم مع ذكر شئ من خطبة الكتاب ونبذة من ترجمة
مؤلفه وتاريخ ولادته وان كان متوفى فتاريخ وفاته ومحل طبع الكتاب ان كان مطبوعا
وسنة طبعه . وبما اني رقيت هذا الذيل على حروف المعجم كالأصل فاذا أخر أحد
ارسال اسماء مؤلفاته الى ما بعد الاجل المعين وكان فيها كتاب يدخل في الحرف الذي تم
طبعه فاتي ذكر ذلك الكتاب . وأرجو أيضا من أصحاب الجرائد والمجلات ان
يتحفوني باسماء جرائدهم ومجلاتهم وتاريخ انشائها وبيان وصفها إجمالاً حيث اجعل
ذكرها والتنويه بشأنها خاتمة للكتاب وانني اسلف كل من تفضل علي بآثاره كل
شكر جزيل وثناء جميل .

بخابري من شاء هذا العنوان : (بحاسب المعارف في بيروت جميل العظم)

بؤني الحكمة من يشاهد من بؤني الحكمة فقد أوتي
خير كبراً وميلاً مستكراً إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر جهادى الدين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق »

« مصر — الاثنين ٢٩ صفر ١٣٢٧ — ٢٢ مارث (آذار) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م »

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنّا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بهم ذلك ان ير من الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمنا قد منّا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمنا أحيانا غير مشترك لثقل هذا ، ولن نعفي على - مؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذ كر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر وصحيح لا ذفاله

﴿ اوراق الیٰانصیب وسندات المصارف ﴾

(س ۱) من بورت سودان لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام وفيلسوف الأنام مربى الأئمة ومرشدها وغرة عصرها وعالمها
عبيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء نفعتي الله بعلومه آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد جمعتي وجماعة من نبغاء بورت
سودان وفضلائها مجلس انعقد بمنزل فضيلة قاضها الشرعي لسماع درس التوحيد
وبهذه أخذنا تتجاذب اطراف الحديث الذي وصل بنا إلى تحليل أو تحريم أوراق
اليانصيب وطال الجدل في هذا الموضوع وانقسمنا إلى قسمين

قسم منا حرمها من أولها لآخرها سواء في ذلك سندات سكة حديد تركيا
(الروملي) والبنك العقاري جديدها وقديمها

والقسم الآخر فصل في الموضوع حيث حرم كل الأوراق ما عدا سندات
البنك العقاري وسكة حديد تركيا فقال بالحل فيها إلا انه لم يجزم بهذا القول
واشترط في أوراق البنك العقاري عدم أخذ (الكون) أي الربح السنوي

وبالنسبة لكوننا لم نوفق للفصل في هذا الموضوع نهائيا قر القراء على الاستعلام
من بعضكم وأخذنا في هذا الموضوع للاهتمام بهديكم وكلفوني أن أسألكم
عن هذا الموضوع وأرجو أن يكون جوابكم جئت اليكم بهذا واجيا إرشادنا في هذا

الموضوع أرشدكم الله والفصل فيه ليحق الحق ويبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا
 كما اني أرجوكم ان كان سبق لسيادتكم التكلم عنه في مجلدات غابرة ان
 تجيئوني عليه وأكون ممنونا لو تفضلتم بالإجابة في أول عدد لأهميته عندنا والسلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته
 كاتبه

أحمد كرم
 أحد قراء المنار

(ج) اقتينا في المنار من قبل (ص ٤٧ م ١٠) بأن اليا نصيب من القمار المحرم لما
 فيه من الضرر الظاهر فان المقامر يضع ماله لتوهم الربح وقد فصلنا القول في ضرر الميسر في
 تفسير قوله تعالى « ٢١٩: ٢ يسألونك عن الخمر والميسر » فليراجع في (ص ٣٢٩ ج ٢)
 من التفسير . واما مثل سندات البنك المقاري فهي نفسها ليست من « اليا نصيب »
 وان كان يعمل لها « يانصيب » بل هي ضرب من ضروب التجارة لأن لها أثمانا
 كأثمان سهام الشركات المالية تزيد وتنقص وتشبه من جهة أخرى الدين بربح قابل
 لأن صاحب المال يأخذ عليه كل سنة ربحا « كوبون Coupon » ولكنها خالية من ضرر
 القمار لأنه ليس فيها إضاعة مال محقق لربح متوهم ومن ضرر الربا الممهر عنه بقوله
 تعالى في خاتمة آيات الربا « لا تظلمون ولا تظلمون » وهي مع ذلك مشكلة والظاهر
 من اقوال الفقهاء وقواعدهم انها غير جائزة لذاتها ولكن بعضهم يجيز ذلك في غير
 دار الاسلام أو مع الحريين لأن التزام العقود الاسلامية إنما يجب في البلاد التي
 يحكم فيها الاسلام ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة (راجع ص ٦٣٩ م ٧ وص ٢٦٨
 و ٢٩١ و ٥٩٠ م ٨)

ثم ان الفقهاء قد جعلوا الشرع العملي قسمين عبادات ومعاملات فالمعاملات
 ليس فيها امور تعبدية بل كلها معقولة المعنى منطبقة على مصالح الناس ومنافعهم ودفع
 المضار عنهم فلا يحرم منها الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره وما يترضى به الناس من
 المعاملات من غير غش فلا يحرم عليهم الا انه اذا كن من شأنه ان يضر لا يلزمهم
 الا عني ما كانوا يتراضوا به اذا هم اختلفوا به ذلك وتحاكوا اليه ولا يفتيهم المفتي بوجوبه
 شرعا فقد جاء في الآثار الصحيحة عند البخاري وغيره ان المقرض اذا اعطى افضل مما

أخذ أي كيفاً أو كماً فلا بأس بذلك ما لم يشترط ذلك أي يجعل حقاً شرعياً . وهذا في الربا الذي هو اغتظ المحرمات المتعلقة بالمعاملات المالية فإذا أعطى صاحب سندات البنك العقاري مالا من البنك قدر يحبه بالسحب برضى أصحاب البنك فإنه لا يظهر لي أن أخذه محرم عليه ولا سيما إذا كان أصحاب البنك من الأجانب الذين لا يلتزمون أحكام شريعتنا من أنفسهم ولا توجد حكومة إسلامية تلزمهم العمل بها ولا يظهر لي أن هذا من القمار إلا بالنسبة لمن يشتري أوراق السحب التي تباع في الأسواق والشوارع لأن هؤلاء يضيعون أموالهم على التوهم وأما أصحاب السندات فإن أموالهم محفوظة لهم لا يضيع منها شيء والله اعلم وأحكم

﴿ دين المستقبل وهل يكثر من له رأي فيه ﴾

(س ٢) من بغداد لصاحب التوقيع الذي عهد إلينا بكتبان اسمه

حضرة سيدي المحترم محمد رشيد رضا أفندي أدام الله مجده

أما بعد فقد جئت طالبا من فضلكم نشر سؤالي هذا على صفحات (المنار) الأغر وسرد جوابه بما ينراي لكم لأن الأمر أشكل في بغداد والأقوال تضاربت فجئت طالبا فتواكم ولكم الأجر

إن أحد الكتاب نشر مقالة في جريدة بغداد في عددها الأول ونقل فيها : أن حضرة السيد البكري تقيب أشراف مصر قال سألت الشيخ جمال الدين الأفغاني عن دين البشر في المستقبل فأجابني بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والناصري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) فقام بعض المدعين للعالم وقال

(١) المنار : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال أمامنا إن السيد قال له انقشوا

هذه الآية على هرم الجيزة إلى أن يجيء المستقبل فيفسرها . وليراجع في المنار ما قاله الأستاذ الإمام في تفسيرها

ان هذا الناقل الذي نشر المقالة قد كفر وخرج من دين الاسلام وطلب من الحكومة مجازاته وهو القتل كفراً لا حداً والىاذ بالله ثم وكل الأمر الى أربعة من المدرسين وهذا المكفر معهم خامس فاما أحدهم فقال إن الرجل ناقل وليس عليه شيء من دون ان يعنى البحث في أصل الموضوع فرفضوا قوله واجتمع الأربعة على انه يجب تعزيز هذا الناقل تعزيزاً شديداً وقدموا قرارهم هذا للعدلية ولا ندرى ما سيكون منه فترجواكم تدقيق هذا البحث باطرافه بحق قائله وناقله والحاكين فيه ليتضح الحال خدمة للوطن والدين والأمة دامت أفضالكم
الامضاء

غيور اغثار للدين

(ج) لا وجه للقول بكفر هذا الناقل ، ولا ذلك القائل ، ولا تعزيز من يرى ذلك الرأي سواء كان خطأ ام صوابا والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا معنى سوال البكري ولا جواب الافغاني لأنهم لم يفكروا في مثل هذا البحث ولا في سببه لا لبلادة في أذهانهم ولا لجهلهم باللغة التي عبر بها القائل والناقل . نعم ان المشتغلين منا بالفقهيات ، الجامدين على التقاليد والعادات ، كثيرا ما يتجربون على التكفير ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، واطن ان من ذكرتم من علماء بغداد ، لو فهموا معنى السؤال والجواب ، لما خطر في بالهم ان يعدوا القول به ذنباً ، فضلا عن ان يعدوه كفراً ،

يقول كثير من علماء الاجتماع إن البشر في مجموعهم يسرون الى الكفر والإلحاد عاما بعد عام وان هذا السير ينتهي بترك الأمم كلها للتدين بعد قرون كثيرة او قليلة ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالاسلام ومنهم من هو متدين بغيره ومنهم من هو ملحد لا يدين بدين

ويقول آخرون ان البشر لا يمكن ان يستغنوا عن الدين ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين فلا بد ان يبقى الناس متدينين وان يقولوا مختلفين في الدين ويذهب آخرون الى انه لا بد ان يسود في المستقبل دين يكون عليه أكثر البشر وهل يكون ذلك دينا جديدا ام أحد الأديان الحاضرة بعد تنقيحه وتطبيقه على حال الناس في المدنية المستقبلية ؟ انهم مختلفون في هذا وسمعت الأستاذ الامام

يقول أكثر من مرة أنني اعتقد منذ عشرين سنة أن دين المستقبل هو الإسلام ولي على ذلك أدلة اجتماعية وأدلة عقلية كالإعتماد على الدين كله وهو عندي في مرتبة اليقين . ولا يخفى أن أصول الدين الإلهي الخلق التي دعا إليها جميع رسل الله هي الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح . والكتاب والسنة تفصيل لهذه الأصول . وعبارة السيد جمال الدين مجلة فلا يدري رأيه كأي تلميذه الأستاذ الإمام ويريد بالأصول المجملية في الآية ما هو مفصل في غيرها من الآيات أم يريد أن البشر لا يتفقون على تفصيل الإسلام ولا غيره وإنما يستقر رأيهم على تلك الأصول المتفق عليها ويتركون لكل فرد رأيه واجتهاده في تفصيلها؟ الله أعلم بتفصيل رأيه ولكن الذي يجب الجزم به أنه لا يجوز أن نكفره ولا أن نفسقه برأيه لأنه لا علاقة بين مثل هذا الرأي وبين قوة الإيمان وصحة الإسلام بل لا يجوز أن نقول بكفر من يرى أن البشر يتركون كل دين ولا بتعزيره أو لونه على ذلك . فليثق الله علماءنا في المسلمين وليعلموا أن عاقبة هذا التشديد والجراءة منفرة عن الإسلام وإنما يوشك أن تفضي إلى ما لا يحبون لأنفسهم ولا لدينهم

أما المدلية فلا أدري ما هي علاقتها بأراء الناس وافكارهم فإذا كان رجال المدلية في بغداد كمن ذكرتم من العلماء فهماً لهذه المسألة وكان رأيهم في العقوبات القانونية ، كأي أولئك الفقهاء في العقوبات الشرعية ، فياحسرة على بغداد ، فإنها لا تزال ترسف في قيود الجهل والاستبداد ،

﴿ تعدد صلاة الجماعة في وقت واحد ﴾

(س ٣) من بغداد لصاحب التوقيع

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار دام فضله

اتفقت أقوال العلماء على أن لا فرق بين أقوال الائمة الأربعة المجتهدين رضوان الله عليهم وأنهم تجمعهم السنة والجماعة ولكن مع الأسف نرى في أغلب جوامع بغداد تقام للصلاة جماعتان حنفية وشافعية في آن واحد وكل يصلي بصلاة بحيث

لا يكاد يميز السامع بين تكبير إمام وآخرهما القول في ذلك ؟ واغرب منه ان يقوم مع وجود الامامين امام ثالث حنفي ويصلي بالناس مع ان صف الجماعة المقتدين به متصل كمال الاتصال يصف المصلين خلف الشافعي بحيث لا يمكن معرفة الحد الفاصل بين الجماعتين قط . و بعد تمام صلاتهما تقام جماعة حنفية أخرى ؛ فما القول في الامامين الاولين على ان الشافعي راتب والحنفي فضولي والحنفي الذي يصلي أخيرا راتب ؟ أوجوكم دفع هذا الالتباس ولكم الاجر الامضاء

مسلم لا يحب تفرقة الاسلام

(ج) ان تعدد الجماعة في وقت واحد بدعة مذمومة لاسبب لها فيما نعلم إلا جعلها وسيلة للمرتبات التي يأخذها أئمة المساجد من الأوقاف أجرة على الإمامة وفي هذه الأجرة ما فيها . ولا التباس في المسألة فنحتاج إلى إزالته لان هؤلاء المفرقين لا يقولون ان إقامة جماعتين فأكثر في مسجد واحد في وقت واحد مشروع فردد عليهم . ولا يرجي ان يترك هؤلاء الأئمة ذلك باختيارهم الا بأحد أسباب ثلاثة (١) علم أولئك الأئمة بالسنة والحرص على اتباعها (٢) رغبة المأمومين عن التعدد كأن يقبض الله لهم من يعلمهم ان أمتنا أمة واحدة وديننا واحد حرم الله علينا التفرق فيه بمثل قوله « أقيموا الدين ولا تفرقوا » وان سلفنا الصالحين ما كانوا يقيمون جماعتين أو جماعات في وقت واحد مع مخالفة بعضهم لبعض في بعض الفروع الاجتهادية كما عليه الشافعية والحنفية وغيرهم ، وأن هؤلاء الخلف ما تفرقوا عن الجماعة إلا لاجل الدنيا . فاذا علم العامة ذلك لا يباشرون ان يصلوا مع الجماعة الاولى في كل وقت ، ولكن هذا أبعد مما قبله لان علماءنا أهملوا تعليم العامة دينهم وصار أكثرهم يكتفي من خدمة الدين بتكفير من يخالف رأيه أو هواه من المسلمين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . (٣) أن يصير المسلمين رياسة دينية محترمة عند الحكومة وعند الناس يوكل اليها الفصل في أمثال هذه المسائل كأن يجعل ذلك من شأن المفتي ، فان قيل إن الدين الاسلامي لا رياسة فيه كغيره من الأديان قلنا لا نفني ان يكون له رؤساء يسيطرون على الناس في دينهم بل رؤساء يحترمون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أمور الدين المتفق عليه ،

﴿ منع غير المسلمين من سكنى الحجاز ﴾

(س ٤) من الخواجه إلياس لطف الله به سليمان بينوغستا (الأرجتين)

حضرة العلامة العامل والأستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا أدامه الله

بخصوع واحترام أقدم كامل الواجبات لشخصكم الشريف وأرجو من سيادتكم الافادة إذا كان منع غير المسلمين من الدخول إلى أرض الحجاز المقدسة هو أمر ديني مقرر في الكتب الشريفة المنزلة أو في الحديث الشريف أم هذه عادة وفي الخالين أرجوكم إذا لم يكن من مانع أن تكرموا بالأبضاح في أحد أعداد مناركم المنيرولكم جزيل الفضل والمعروف . قال سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر في عدد ٥٥٦٧ ما معناه ان المهندسين العثمانيين في سكة حديد الحجاز انفردوا بالعمل كله من العلاء إلى المدينة لعدم جواز دخول غير المسلم أرض الحجاز . انتم بتكرار رجائي والله يديمكم مرجعا في جميع الامور كي تستنير منكم ومن مناركم العهوم سيدي

(ج) روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ونسبت الثالثة والذي نسي الثالثة هو سليمان الاحول وهي النهي عن اتخاذ قبره وثنا أو تجهيز جيش أسامة

وروى أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها إلا مسلما » وروى أحمد من حديث عائشة قالت : آخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يترك بجزيرة العرب دينان . وروى أحمد أيضا والبيهقي من حديث أبي

عبيدة ابن الجراح قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب »

وذكر الحافظ ابن حجر في كتاب الجهاد من شرحه للبخاري ان الجمهور على ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة قال وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على ان الذين لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب . أقول قال في القاموس : جزيرة العرب ما أحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أبين إلى اطراف الشام طولا ومن جدة إلى ريف العراق عرضا . والذي جرى عليه العمل هو إخراج غير المسلمين من الحجاز ففي صحيح البخاري ان عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . وذكر يهود خيبر فقال أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء . وجعل بعضهم حديث أبي عبيدة مخصصا لتصريحه بلفظ « أهل الحجاز » وقال بعضهم انه لا يصلح مخصصا

وليس من غرضنا هنا تحقيق الخلاف وتحرير الدلالة وإنما نقول ان الحجاز هو الذي نفذ فيه الأمر وجرى عليه العمل فهو عند المسلمين كالمسجد ولا يشاركهم في مساجدهم الا من دان بدينهم وشاركهم في عبادتهم . وهذا التخصيص على كونه دينيا يتعلق بسياسة الاسلام فانه لما فيه من التساهل مع المخالفين لا يستغني أهله عن بقعة خاصة بهم لا يزاحمهم فيها غيرهم يأرزون اليها عند إلقاء الحوادث ومطاردة الكوارث . وليس الحجاز مما يصلح لكسب الدنيا والتمتع بزيارتها فما منع غير المسلمين الا من مكان لاحظ لغير المسلم فيه الا ان يريد مزاحمته أو الاقيات عليه في خاصة دينه . وقد بين المحققون ان حكم الاسلام في مكة انها وقف للمسلمين عامة . قال ابن القيم : وأما مكة فان فيها شيئا آخر يمنع قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى (اي التي تفتح عنوة) وهي انها لا تملك فانها دار التمسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى الذي جملة للناس سواء المالك فيه والباد ففي وقف الله على العالمين وهم فيه سواء ومنى مناخ من سبق قال تعالى « ٢٢ : ٦٥ ان الذين كفروا ويصدون

عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد — الى ان قال — فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبد لهم فهي مسجد من الله وقفه ووضعته خلقة » الخ

ثم ان لسائر ارض الحرمين احكاما خاصة فلا يحل صيدها ولا يحتل خلاها فمن هنا يعلم ان منع غير المسلمين من سكني بلاد الحجاز ليس هو الحكم الذي يختص به وحده هذه البلاد . واما دخولها لغير السكني ففيه أقوال اصحابنا عند قول الشافعي انه لا يمكن غير المسلم من دخول ارض الحرم الا باذن الامام لمصلحة المسلمين . على ان المشهور في مذهبه أنه يجوز لغير المسلم دخول مساجد المسلمين باذن اي مسلم لا يختص بالامام الاعظم ولا يقيد بالمصلحة العامة . وقال بعض العلماء يجوز دخولهم ما عدا المسجد الحرام والحجاز

(الزكاة في القراطيس المالية « الانواط »)

(س ٥) من الشيخ محمد بسيوني في (سمبلس برنيو)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء متعني بوجوده أمين .

وبعد أهديكم ازكى التحية والاحترام أرجو من فضيلة سيدي الجواب عن هذا السؤال . لا زلتم مشكورين .

ما قولكم في الانواط هل يجب فيها الزكاة أم لا ؟ وما العلة في وجوبها أو عدمه اقتوني سيدي بالقول الصحيح المعتمد مأجورين .

(ج) ينال في الفتوى ٢٨ من المجلد العاشر (ص ٥٣٩) ان القراطيس المالية التي تسمى (بنك نوت وانواط) من قبيل النقود الذهبية . وفي الفتوى الاولى من المجلد الخامس كلام في الخلاف فيها واعتماد كونها من قبيل النقد لا عروض التجارة وكون الزكاة يجب فيها والربا يحصل بها فليرجع الى ذلك ولو قلنا ان الزكاة لا يجب

١٠٠ حديث من آذى ذمياً . الدخان بمجلس القرآن (المار ج ٢ م ١٢)

في هذه القراطيس لا يمكن للغني الذي يملك ألوف الألوف من الذهب أن لا يودي زكاة قط ولا يبيع الربا بسهولة في أكثر معاملات المصارف (البنوك)

﴿ حديث من آذى ذمياً ﴾

(س ٦) من محمد افندي احمد شمس بالاسكندرية

ملخص السؤال انه اطالع على خطبة للشيخ بشير الغزي العالم الحلبي الشهير فرأى حديثاً لم يطرق سمعه وهو « من آذى ذمياً فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وسأل عن تخريجه لياهي بتساهل الاسلام فيه

(ج) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى معجم الطبراني الاوسط وأشار الى انه حديث حسن . وفي معناه أحاديث أخرى في الوصية بالذميين والمعاهدين منها حديث عبدالله بن عمرو عند احمد والبخاري والنسائي وابن ماجه « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاماً » وحديث علي عند الحاكم « منغني ربي ان أظلم معاهداً ولا غيره » والاسلام يأمر بأكثر من ذلك فقد قالوا انه يجب على المسلمين اطعام الذمي عند الضرورة ويستحب مع غير الضرورة كما يجب حمايتهم والدفاع عنهم ولو بمحاربة المعتدي عليهم

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن ﴾

(س ٧) من الشيخ ابراهيم حسين بهوارة عدلان (الفيوم)

حضرة العلامة الكامل والاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الفراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي ومولاي : جرى الخلاف بين طائفة من أهل العلم في حكم التدخين أي شرب الدخان في مجلس تلاوة القرآن الشريف فمنهم من حرّمه ومنهم من جوزه مع الكراهة مراعاة لآداب ولم يذعن احد الطرفين

قول الآخر وحيث ان سيدي ممن يرجع اليه في فصل الخلاف فقد حررت هذا
لفضيلتكم راجيا التفضل بالجواب مبسوطا في العدد الآتي في مجلتكم مؤيدا بالتحقيق
الأقناعية بدون احالة على ما نشرتموه سابقا في المجلة لاجاله ولصعوبة العبور عليه الآن
على مثنا ولفضيلتكم جزيل الشكر

(ج) قد بسطنا الكلام على هذه المسألة في الفتوى ٧١ من المجلد
السابع (ص ٥٣٧) وحاصل رأينا فيها أن شرب الدخان في مجلس القرآن يعد محظورا إذا
كان العرف العام يهده من إساءة الأدب والأوجب على كل امرئ مراعاة ما يستقده
وتعلم أن اليه نفسه مع الاحتياط في التزام الأدب . وان الجرأة على التحريم من
أكبر الجنايات على الدين إذا لم يكن الدليل عن الشارع واضحا نصا أو دلالة ولا
نص في مسألتنا ولا دليل إلا ما يقال في مسألة الأدب وهو شيء يتعلق إما بالعرف
وإما باعتقاد الشخص وهو ما اعتمدنا عليه من قبل وما نقوله الآن والله أعلم

— (احتمال ساعة الذهب وليس خاتمه) —

(ص ٨) من كتاب الشيخ عبد الله ليف أبي عوف بدقه (السودان)
أرجوكم إفادتي بوجه السرعة على صفحات مجلتكم الغراء عن حكم لبس الساعة
التي داخلها شيء من الذهب وكذا الخاتم ومقدار ذلك الذهب أعني عيار ١٢ أو
أقل ولكم الشكر

(ج) في الفتوى ٥٧ من فتاوى المجلد السابع (ص ٤١٩) تفصيل لمسألة
التحلي بالذهب واستعماله ومنه بعد ذكر الأحاديث الواردة في المسألة والبحث
فيها « وجلة القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني
الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التخم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه
بجمرة من فار ولم أره في المتقى . واما مذاهب العلماء فيها فقد سئل الأقلون النهي
على التنزيه دون التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني النحاس والباحة
ما عداها من أنواع الاستعمال وقاس كثير من الفقهاء غير الأكل والشرب عليها

حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني وان لم تستعمل « ثم بحثنا في علة ذلك واختلافها باختلاف الزمان . وذكرنا في آخر الفتوى ان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيها وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص . وراجع التفصيل ان شئت (في ص ٤٢١ - ٤٢٤ م ٧) والظاهر ان المراد بالذهب في النهي ما يعم التبر الخالص والمزيج من الذهب وغيره ما سمي ذهباً ويحتمل ان يقام الذهب على الحرير عند من يقولون ان الثوب المحرم منه هو ما كان ابريساً خالصاً أو ما كان الابريس هو الغالب فيه وزناً أو نسيجاً . واتي اعتقد ان استعمال الساعة الذهبية انما تحرم إذا كان فيها إسراف أو مخيلة وكذا غيرها مما لا نص في النهي عنه والا فهو مباح او مكروه في الاكثر والله أعلم

﴿ رابطه النقشبندية ﴾

(س ٩) من ع . ب . ح في ستغافوره

حضرة القاضى صاحب النار بمصر

نحن معاشر اهل الطريقة بهذه الجهات قد عثرنا على فتواكم في رابطه اهل الطريقة فحمدنا الله على صنيعكم وما ايدتم طريقتنا بقولكم (يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه - الى أن قلتم - فمثل هذا لا يعد مشركاً لشيخه مع ربه) ونحن فإله الحمد عرفنا بعقيدة الاسلام وان احضارنا صورة شيوخنا عند ذكر الله لانه من آكد الآداب والاستمداد منه هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه يحاذي فكرنا الى صاحب الطرق نبينا محمد (ص) وقلبه (ص) دائم التوجه الى الحضرة الالهية كما هو مقرر في كتب الطريقة وقد عمل بالرابطة ابناء الله الصالحين ونحن من مشيبيهم وتبعي النبي (ص) وسلسلة طريقتنا متصلة اليهم والى حضرة النبي (ص) فكيف يقول شيوخ الامام باستغافوره ان الرابطة بدعة لم يعمل بها النبي ولا اصحابه ولا التابعون بل قال الرجل ان اختراع الرابطة لم يكن في عهد الامام النبي ولا في عهد الوهاب المشركين ولا في القرون الجيلائي فهل يتصور ان

كبار العلماء القائلين بالرابطة اخطأوا فيها وهذا المدعي واضرا به مصيون فيتركهم الناس ويتبعون المدعي واضرا به كلا ثم كلا وقد تجرأ المدعي على أهل الطريقة قال ما مضاه: ومن قال ان الدين الاسلامي يأمر بالرابطة فهو كاذب من خطيب سببس لأن ذلك الخطيب وغيره قد نشروا ردودا على مجلة الامام بالجرائد ومن قول ذلك الخطيب ما مضاه حيث ان الامام قد انكر الرابطة وقال انها بدعة لم يأمر بها الدين بل هي ممنوعة وجبت عليه التوبة ووجب عليه اعلان توبته بمجلته و بالجرائد التي كتب فيها مسألة الرابطة لثلاثين اناس بقوله في الدين اه و نرجو من المنار بسط الجواب هل هي بدعة ممنوعة ام لا

(ج) قد علم من جوابنا السابق ان الرابطة لم يرد فيها شيء من كتاب ولا سنة نبوية وانها ليست من أعمال الدين فيطالب كل مسلم بها ويهد مقصرا في دينه اذا تركها وينكر عليه اذا أنكرها كما يهد مبتدعا اذا فعلها . وإنما هي طريقة في تربية النفس كغيرها من الطرق التي استحدثها الناس في التربية والتعليم واستفادوا منها بالتجربة ما كان عوناً لهم على مقصدهم فمن قال ان الدين يثبتها أو ينفيها لذاتها فهو مخطئ . لأنه ليس فيها نص ديني ومثله كمثل من يقول إن طريقة كذا في التعليم مطلوبة أو ممنوعة ديناً . نعم ان ما يستحدثه الناس من طرق التربية والتعليم قد يخل عرضاً بأمر من أمور الدين فيكون محظوراً ديناً لذلك العارض كما اذا اعتقد المرشد ان شيخه يملك بالرابطة نفعه أو ضرره وهدايته أو غوايته وضلاله .

واعلم يا أخي في الدين والنظر بقة تلك لا نستطيع أن تدافع عن الرابطة إلا اذا قلت اننا لا نتخذها ديناً وحيداً لا يسرك كونها بدعة لأن البدعة إنما تكون ضلالة اذا كانت في الدين وأما البدعة في غير الدين فمنها الحسن ومنها القبيح كما يروى عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فمليه وزرها وزر من عمل بها إلى يوم القيمة » . والظاهر ان ما ليس له حظ في تقطاع الوحي ان يسن في الدين شيئاً وإنما هي سنة في أمور الناس في تربيتهم وتعليمهم وسياسةهم وسائر مقاصد الدارين التي لا يمكن حصرها في شيء .

في دينهم لا يعد حكما دينيا يطالب به الناس على انه دين لان شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة ثم اعلم ان عمل بعض الصالحين بالرابطة لا يدل على انها من الدين لانه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم ان عمل الصالحين حجة في الدين وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي ويجوز عقلا ان يخطئ بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها مثل صاحب مجلة الامام من المعاصرين . ولو شئت لأفشيت سر الطريقة وزدت بيانا ولكن لا محل لذلك هنا ولا حاجة اليه وجملته القول ان صاحب مجلة الامام قد أصاب في قوله ان الرابطة ليست من الدين ولكن يظهر لي انه بالغ في الإنكار حتى جعل الدين محرما لها لذاتها وان لم يترتب عليها محذور أو تجمل شرعا ودينا كما بالغ المنتسبون الى الطريقة فجعلوها دينا كأنه وقع بها التكليف من رب العالمين على جميع المسلمين حتى صار المنكر لها كالمنكر ببعض ما ورد في الكتاب والسنة من أمور الدين . وهذا مما نكره على الفريقين . وأوصي أهل الطريقة بترك المراء والجدل والنز بالالفاظ وأن لا يجعلوا ذلك سببا للتفرق أو الخلاف في الدين فان ذلك يخرج صاحبه من حظيرة الدين (١٠٥: ٣) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليات وأولئك لهم عذاب عظيم)

تذكير مجلس المبعوثان

﴿ بعض شؤون الإصلاح ﴾^(١)

المحاكم الشرعية

مازل حفظ المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية دون حفظ المحاكم النظامية وسائر دواوين الحكومة ومصالحها فإننا لم نسمع حتى الآن صوتاً قوياً من المبعوثين في مجلس الأمة بطلب ما يجب من إصلاحها فهل تهيب حكومتنا لإصلاح هذه المحاكم أو تتعاس عنها كما فعلت الحكومة المصرية ؟

ان المحرك للحكومة المصرية والمرسل لها إلى الإصلاح أو المسك لها عنه انما هو الاختلال الانكليزي وكان الرؤساء من الانكليز يقولون اننا لانفس الامور الدينية لانها لا تقبل الإصلاح أو لأن المسلمين لا يريدون اصلاحها أو يهتمون فيها تهمة نحن في غنى عن التعرض لها ثم محاولة تبرئة أنفسنا منها . وقد ضج مسلمو مصر بعد ذلك بطلب إصلاح هذه المحاكم فكانوا مع الانكليز كالذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء .

ان المحاكم الشرعية في القطر المصري أمثل منها في سائر الولايات العثمانية من بعض الوجوه على ان اختصاص هذه أوسع من اختصاص تلك وليس لمجلس الأمة في الاستانة ان يتعلل بمثل ما يتعلل به الانكليز عند مطالبتهم بإصلاح هذه المحاكم فتم نسمع صيحة أهل العلم المحيين للإصلاح في المجلس بيان ما يجب من إصلاحها ؟

أينسى أولئك المبعوثون أصحاب الفيرة على الشرع ان هذه المحاكم كادت تكون حجة على الاسلام وفتنة للمسلمين ؟ أينسى أولئك الأحرار الواقفون للاستبداد

(١) نشرناها في جريدة المفيد ببيروت

بالمرصاد انه لا يوجد معهد من معاهد الحكومة يباح فيه الاستبداد بغير تبعة ولا مسؤولية إلا في المحاكم الشرعية حيث يحكم القاضي برأيه بلا مشاورة في الامر ولا مشاركة في الرأي ولا معرفة للمتقاضين بالمسائل التي يجب بها الحكم .!! فهل يرضى مجلس الامة ان تبقى هذه المحاكم على هذه الحال وهي المنسوبة إلى الشرع الذي نبى على الشورى وأمر الرسول المعصوم بالمشاورة (صلى الله عليه وسلم) وجرى الخلفاء الراشدون على الحكم بها ؟

ألا يعلم نوابنا الكرام ان فساد هذه المحاكم مفسد لكثير من البيوت (العائلات) التي هي مرجعها في مسائل الطلاق والنفقات وغير ذلك من أمور الزوجية ؟ أيسلمون بأمر الاوقاف وما لها من العلاقة بالأمور الدينية والاعمال الخيرية التي لها شأن كبير في صلاح الامة وفسادها ؟

أول شيء يجب الالتفات اليه في إصلاح هذه المحاكم هو إدخال الشورى فيها بجعلها مؤلفة من اعضاء يحكمون بأكثر الآراء كما هو الشأن في المحاكم النظامية حتى ما يحكم فيها بالشرع الشريف كما حكم الحقوق التي يحكم فيها بالمجلة . وقد سبقت مصر إلى هذا الإصلاح في محكمة القاهرة التي يرأسها القاضي الأكبر الذي يرسل اليها من دار السلطنة العثمانية . فإقامة هذا الركن الاسلامي في المحاكم الشرعية يعطل استبداد القضاة في الاحكام ويقلل ارتكابهم لجريمة الرشوة ويجعل الاقضية سرية الانجاز فيصل الناس إلى حقوقهم في وقت أقرب مما يصلون فيه الآن ان وصلوا .!

يلي هذا الركن وضع كتاب في الاحكام التي تختص بها هذه المحاكم ككتاب بجلة الاحكام المدنية في سهولته وترتيبه وتقسيمه إلى مواد معدودة ومسائل محدودة تازم الحكم بها وبيان عدد المسألة التي يستند في الحكم اليها . ولا حاجة إلى التذكير بفوائد هذا الكتاب التي (منها) كون المتقاضين يعلمون منه الاحكام التي يحكم بها في دعاويهم فيطبقونها عليها ويطالبون الحكم بها . (ومنها) توحيد الاحكام في الدعاوي التي موضوعها واحد لا كما يقع الآن كثير من حكم المحاكم المختلفة بل المحكمة الواحدة في مثل هذه القضايا باحكام مختلفة يؤخذ فيها مرة بقول فلان ومرة بقول غيره ، ناهيك بما في

كتب هذه الخفية من الخلاف في التصحيح والترجيح وما يكون في هذه الاحكام المتعارضة من الفضاخ وضعف الثقة بالدين واهله (ومنها) سهولة تناول الحكم وتضييق مسالك الخلاف فيه بين اعضاء المحكمة . وبوجود مثل هذا الكتاب تتحقق قاعدة كون الجهل ليس بهذر . وانه ليسر الآن على من زاول كتب الفقه عدة سنين أن يعرف الحكم الذي يحكم به القاضي الشرعي في قضية ما فما بالك بمن لم يزاول هذه الكتب واكثر المسلمين لا يستطيعون ذلك

ولا بد من تمييز هذين الركنين بثالث وهو وضع نظام لسير هذه المحاكم في اعمالها وكتبها وسجلاتها ويجب ان تغل فيه يد رئيسها عن الاستبداد في الاعمال كمثل الكتاب ومتولي الاوقاف وموظفي المساجد واستبداد غيرهم بهم أو تقديم بعض القضايا على بعض بل يجب ان يكون كتبة المحكمة كسائر عمال الحكومة لا يمزلون الا بمحاكمة يثبت فيها عليهم ما يوجب عزلهم . وانا لانتظر من حكومتنا الجديدة قانونا عادلا لمجالس أو محاكم التأديب التي يحاكم فيها جميع عمالها اما الرسوم التي تؤخذ في هذه المحاكم وقسم بين القاضي والكتبة فيقلب على ظني أن المالية تبطلها ان لم تكن قررت ابطالها بالفعل في الميزانية الجديدة وحددت مرتبات القضاة ورؤساء الكتاب وسائر الكتبة فان في أخذ المحكمة للرسوم مفسد كثيرة لا تخفى على اولي الامر وما هم لها بمهملين

الركن الرابع من اركان الاصلاح جعل هذه المحاكم ابتدائية واستئنافية في كل ولاية كالمحاكم النظامية وابقاء التمييز في الاستانة ما بقي تميز الاحكام المدنية فيها وان كان في ذلك مشقة على أهل الولايات البعيدة ونعويق للاحكام النهائية يرجى ان تلافها الحكومة أو يتلافها مجلس الامة

وأقترح على باب المشيخة الاسلامية وعلى مجلس الامة ان يعهدا الى اللجنة التي تنظر في اصلاح المحاكم الشرعية بمطالعة تقرير الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الذي قدمه لنظارة الحقانية في شأن محاكم القطر المصري وما يلزم لاصلاحها ومطالعة لائحة محاكم القطر القديمة والنظام الجديد الذي وضع اخيرا فان في ذلك عوننا كثيرا والله الموفق

خطبتي

﴿ على أعضاء المجلس العمومي بيروت ﴾

دعا كامل بك الاسعد كبير عشائر جبل عامل رفاقه أعضاء المجلس العمومي بولاية بيروت الى داره فيها وأعتد لهم مأدبة حضرها صاحب هذه المجلة وبعض وجهاء بيروت. وبعد الفراغ من الطعام وقف دعاس افندي جريس أحد الأعضاء وأثنى على رب الدار، وأطرى صاحب المنار، وأشار الى رغبة الحاضرين في استماع شيء منه في موضوع المجلس العمومي ورأيت الانظار موجهة الي تنظر الاجابة فشكرت وقلت بعد مقدمة فكاهية مملخصة :

ان للمجلس العمومي فائدين فائدة اجتماعية وفائدة عملية أما الفائدة الاجتماعية فهي تنشئة الامة وتربيتها على الحكم النيابي اعني حكمها لنفسها بنفسها ان امر هذه المجالس العمومية من أفضل ما في القانون الاساسي من الاصلاح فلما لم يكن للامة أحد من قبلها ينظر في مصالحها إلا المبعوثون في عاصمة السلطنة لا يمكن ان يبقى أهل الولايات ولا سيما البعيدة عن العاصمة جاهلين لمعنى مشاركة الامة للحكومة في ادارة مصالحها ولكن وجود أفراد من كل قضاء بكل ولاية في مجلس قريب منهم يشرف على اعمال حكومتهم وينظر في مصالحهم ومنافعهم هو الذي يعاينهم بالعمل معنى الحكومة الديمقراطية ويمجملهم واثقين بان حكاهم عمال مخلصون لاسادة قاهرون وانهم لا يستطيعون ان يستبدوا فيهم أو يظلموهم الا اذا ظلموا هم انفسهم ان المبعوثين يشتغلون بأمور الدولة الكلية فصالح الاهالي لا تتعلق بهم مباشرة وانما تتعلق بحكومتهم المحلية فذلك المجلس ينظر في القوانين العامة ولكنه لا ينظر في كيفية العمل بها في كل قضاء بحسب حاجته ولكن هذه المجالس العمومية هي التي تنظر في ذلك فتقرر اصلاح كذا من الطرق وانشاء كذا من المكاتب والمدارس في الاماكن التي تسببها والاهالي يرون ذلك بأعينهم ويعلمون انهم نالوه برأي نوابهم ونفوذهم في

حكومتهم فبذلك يثربون على الحكم النيابي ويعرفون قيمته فلا يرجعون عنه ولا يرضون بالحكم الشخصي بعده

ان مجلسكم هذا صورة مصغرة لمجلس المبعوثان فاذا قتم بما عهد اليكم كما يرجى من غيرتكم وخبرتكم فانكم تكونون أولى من غيركم بالترجيح في الانتخابات القابلة لأن الاهالي يكونون قدوةوا بكم عن تجربة وخبرة كما يكونون أكثر عناية بالانتخاب وأكبر أملا في المنتخبين

ان ما ذكرته في معنى تربية الامة على الحكم النيابي أمر عظيم يجب ان يكون نصب أمينكم فان له علاقة عظيمة بمستقبل البلاد وعظمة الدولة . ان الدولة لا تكون دولة دستورية الا اذا استقر الحكم الدستوري في كل ولاية من ولاياتها وعمرت به البلاد وارتقى أهلها

ان كل ولاية من الولايات تعد عضوا من أعضاء جسم الدولة ولا يمكن ان يكون الجسم حيا قويا سوريا اذا كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها مصابا بالفالج . ثم انني أذكركم بما لا تنسونه من ان في الامة حزبا يرى وجوب استقلال كل ولاية من ولايات الدولة في ادارتها الداخلية كالولايات الالمانية أو الولايات المتحدة فاذا كانت البلاد العثمانية غير مستعدة لذلك الآن واذا كان هذا الحزب الآن ضمينا لا يستطيع تنفيذ رأيه فما يدرينا ماذا يكون في المستقبل البعيد أو القريب من أمره وأمر البلاد ؟ ألا يجوز ان يقوى بعد وان تكون الوزارة في يوم ما من أعضائه والرأي الغالب في مجلس الامة هو رأيه ؟ (يجوز يجوز) اذا كيف يكون حال ولايتنا هذه وسائر الولايات العربية التي هي دونها ودون سائر ولايات الدولة في الاستعداد للاستقلال الاداري ؟ . اتنا نعرف باننا عاجزون الآن عن ادارة شؤون ولايتنا بدون استعانة باخواننا من الترك مع ان ولايتنا أرقى الولايات العربية وقد قلت من قبل وكثير في النار ان الولايات السورية تعد وسطا في الاستعداد والارتقاء بين ولايات الرومي وبعض ولايات الاناطول وبين سائر الولايات العربية كالعراق والحجاز واليمن . فيجب ان نرقي انفسنا وان نكون مصدرا أو عونا لسائر الولايات العربية على الارتقاء إلى قول ان اخواننا الترك الذين نعرف لهم بانهم أرق منا لا يستقنون الآن

عن الاستعانة بالأجانب لترقية ولاياتهم كما نحتاج نحن اليهم وإلى الأجانب وهذا الرأي عندي قديم وقد كاشفت به متصرف طرابلس والوالي أيضاً فمن المحتم أن توجه جلّ عنايتنا للحكم الذاتي والاستقناء بأنفسنا عن الأجانب أيها الأعضاء الكرام : إن هذا الغرض الذي تطالبون به عظيم ولكن قوة الإرادة في الإنسان تصفر كل عظيم وتسهل كل عسير فإذا وجهتم عزائمكم إلى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون إلى الغاية بأذن الله

وقل من جدد في أمر يحاوله واستعمل الصبر الأفاضل بالظفر يرى بعض الفلاسفة أن الإنسان لا يجزم إرادته بأمر ممكن إلا وينفذ وكان الأستاذ الامام على هذا الرأي وقد قال أكثر من مرة أنه لم يجزم إرادته بطلب شيء جزماً تاماً لا تردد فيه إلا وحصل وقد كان حكماً الصوفية على هذا الرأي وعبر عنه بعضهم بقوله « إن لله عبادة إذا أرادوا أراد » أي إذا صح توجه إرادتهم إلى شيء تعلقت به إرادة الله وما تعلقت به إرادة الله نفذ حتماً فعلى الإنسان أن يعرف قيمة نفسه وإرادته فيوجهها إلى خدمة وطنه جازماً بأنه أهل لأن يرقيه وهو بهذا يكون أهلاً له مهما كانت معارفه فإن تفاضل الناس بالإرادة فوق تفاضلهم بالمعرفة فما كل عالم ينفع وكل من أراد أن ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

هذا ما أحببت أن أذكر به من أمر الفائدة الاجتماعية في المجالس العمومية وأما الفائدة العملية فهي قسمان مادية وأخرى إصلاح الزراعة وتسهيل المواصلات وتعديل الأموال الأميرية . ومعنوية وهي التربية والتعليم والبحث في هذه المسائل يطول وأنتم أعلم بحاجة البلاد وطرق عمرانها من رجل مثلي ليس له مثل اختباركم ولكنني أذكركم بثلاثة أمور تتعلق بالتعليم هي أهم المسائل في رأيي : مراقبة التعليم والتربية في المدارس ، وإنشاء مدرسة للمعلمين ، وإحياء لغة البلاد

إن مدارس الحكومة ليس فيها تربية ولا تعليم نافع بل ربما كان ضررها أكبر من نفعها وإنما كان حظ الحكومة المستبدة السابقة منها هو التمتع بصورة الملك دون التربية التي تكون النفوس الفاضلة والتعليم الذي يربي العقول الكبيرة إن الدول تؤلف في هذا العصر من عدة وزارات منها وزارة المعارف وهذه

الوزارة لا تكون بغير مدارس فكان بقاء المكاتب والمدارس في عهد الاستبداد الماضي لدولتنا لأجل استكمال صورة الملك والتمتع بها فإن التمتع بالمظاهر الصورية له ثمة كما ترون في تمثيل القصص والا فإن الاستبداد كان يحارب العلم حرباً هواناً فإن أردتم أن يكون التعليم نافعا في مدارس الحكومة فيجب أن تبدأوا بالامر الأول وهو مراقبة التعليم بأن تطلبوا تعيين مفتشين ممن يرضى الأهالي معرفتهم وغيرتهم وصدقهم يتعهدون هذه المدارس ويراقبون سيرة مديريها ومعلميها في التربية والتعليم · ثم إن فساد التعليم في الزمن الماضي قضى بأن يكون المعلمون الأكفاء فينا انهم من الكبريت الأحمر فلا صلاح الحقيقي للتعليم يتوقف على إنشاء مدارس لتخريج المعلمين القادرين على التربية والتعليم بالطرق المصرية القرية · يجب أن يكون الأستاذ المعلم على علمه بالفن الذي يعلمه مهذبا ليكون قدوة للمعلمين في الفضيلة فإن فاقده الشيء لا يعطيه · ويجب أن يكون مع ذلك عارفا بطرق التربية والتعليم فما كل مذهب يعرف كيف تتكون ملكات الفضائل في النفوس ولا كل عالم يعلم كيف ترسم مسائل العلوم في الأذهان فلا بد من إنشاء مدرسة للمعلمين في مركز الولاية وأما إحياء لغة البلاد واعني بها اللغة العربية فالذي نطالب به الحكومة من وسائله هو جعل تعليمها في مدارسها كلها إلزاميا كأختها التركية وجعل دراسة العلوم في الولايات العربية بلغة أهلها وفي سائر الولايات بالتركية كما كان بحسب القانون والذي يقرر هذا هو مجلس الأمة في الاستانة وإنما على المجالس العمومية المطالبة به لا يقال إن هذا يفتح علينا باب تمصّب الجنسيات في الدولة وإنما في أشد الحاجة إلى الاتفاق والتسامح الأجناس فإن الفرق بين العرب وبين ما عدا الترك من الأجناس واضح جدا

إن الشعب العربي يعد نَحْوًا من ثلثي نفوس الدولة ويقل فيه من يعرف التركية وأما سائر الأجناس : الألبانيين والأكراد والأرمن والروم فكلهم يعرفون اللغة التركية فلا يحتاج الحكام والموظفون فيهم إلى معرفة لغاتهم ليحسنوا القيام بأعمال الحكومة فيهم بل إن أكثرهم ليس لهم لغات عليه ذات فنون ومطامير تصلح للتعليم فالأرمن قديم عهد بتدوين لغتهم وجعلها تعليمية والألبان والأكراد

لما نيم لم ذلك بل قرأنا في بعض جرائد هذا الشهر ان الالبان قد عزموا على اختيار الحروف العربية لفهم التي يشتغلون بتدوينها ومن المقرر ان غرض الحكومة الأول من مدارسها هو تخرج الموظفين الأكفاء فإذا كان المخرجون فيها جاهلين باللغة العربية التي هي لغة أكثر العثمانيين يتعذر عليهم ان يقوموا بوظائفهم كما يجب في أكثر بلاد الدولة فان من يجهل لغة قوم يتعذر عليه ان يعرف حقيقة حالهم وما ينبغي لهم وما يتظلمون منه . ولا يقول عاقل انهم يستفنون بالترجمين لما في ذلك من العسر والنقائص وأين يتعلم المترجمون ؟ على أن العربية ركن للتركية فعلمها يزيد التعلم كمالا فيها اما جعل اللغة العربية هي لغة العلوم والاكتفاء من التركية في بلادنا بالهراة والكتابة فذلك ان الأمة التي لا تتلقى العلوم بلغتها لا تكون امة علم وانما يكون مبلغا من العلم أن يوجد فيها بعض المترجمين لبعض ما يقرره العلماء المستقلون ولا يوجد فيها المحققون والمخترعون والمكتشفون

ان لغة الأمة صفة مقومة لها واللغات التي يتعلمها بعض افرادها اعراض تعرض لها وتنفارقها فاذا تلقت العلم بلغتها يصير صفة لاحية بجبايتها نامية بنمايتها واذا تلقت بلغة اجنبية فقصاراه أن يكون زينة عارضة لبعض افرادها ولا ارتقاء للام في هذا العصر الا بالعلم فيجب علينا أن نبذل جل عنايتنا في تحصيل العلوم العصرية ونقلها الى لغتنا ولا حياة لنا بغير ذلك واننا في عملنا هذا لا نبعد عن اخواننا الترك بل نكون اخوة متساوين في المزايا والحقوق كما يجب أن يكون الاخوة . والمساواة الحقيقية لا تكون مع التفاوت في العلم والعرفان (فليس سواء عالم وجهول)

ارجو عفووا فقد اطلت عليكم عقب الاكل ووقت طلب الراحة فان خلطت في الكلام فربما كان سبب ذلك الخلط في الطعام ، وتوجه اكثر الدم الى المعدة واقطعه الى الدماغ والسلام

الحرية واستقلال الفكر

آخر خطبة لي ببيروت

دعيت الى حضور الاجتماع الشهري لجمعية الجامعة العثمانية ببيروت في أوائل هذا الشهر (آذار) فأقترح علي رئيسها ان أخطب فيهم بما يفتح الله به حاكيا عن وغبة الجمهور فقلت ما ملخصه بحسب ما أتذكر

أيها الاخوان الكرام

إن المسائل التي نحتاج الى البحث فيها واستجلاء غوامضها كثيرة جدا فمن الناس من اذا اقترح عليه ان يخاطب يبادر الى الكلام في الموضوع الذي يبادر الى ذهنه سواء كان مطابقا لمقتضى الحال يرجى ان يستفيد منه السامعون ما يصح أفكارهم أو يقوم أعمالهم أم لا . ومنهم من يرى هذه الطريقة متقدمة وانه لا بد ان يخاطب الناس بما يتعلق بمحالمهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في أفكارهم وأعمالهم فلا يحثهم على ما سبيل اليه ولا يقرر لهم مالا يفهمون حقيقة

مثال من ذلك : ان بعض الخطباء يقف فيقول أيها العثمانيون عليكم ، بالاتحاد عليكم بالاتلاف ان الاتحاد هو مقيض العمران ومرقي الأوطان ورافع شأن الإنسان . ويكتفي بمثل هذه الخطايات المجهلة التي لا يعلم السامعون كيف يمكن العمل بها فان اتحاد المختلفين في التربية والتعليم والعقائد والأفكار والأخلاق والتقاليد والعادات من الأمور لا يمكن ان تحصل بمجرد الحث عليها ومدحها وإنما يجب بيان ما يشترك فيه من يراد حثهم على الاتحاد واقناعهم بأن منافعهم ومصالحهم مرتبطة به وانها إنما تحفظ وتتمو باتحادهم واتفاقهم وتذهب أو تضعف بتخاذلهم وتفرقهم

أما أنا فأقول ان كل كلام صحيح المعنى لا يخلو من فائدة والفكرة الاجمالية لا تخرج الى حيز التفصيل إلا بآراؤها بالقول أو بالكتابة ومن لم يستفد اليوم من الكلام

الصحيح فائدة تامة يرجى أن يستفيد غدا فليقل كل أحد ما يرى أنه حق نافع وليقدم
الاهم على غيره وهو ما كانت حاجة الناس اليه اكثر . واذا قيل لنا ما هو اهم ما نحتاج
اليه الان ؟ قلنا أننا محتاجون الى اشياء كثيرة من العلوم والاعمال لاجل ان نهض
لما نكون به أمة عزيزة ولكن نهوضنا يتوقف على أمر عظيم لا يحصل بدونه . فما هو
هذا الأمر الذي هو شرط للارتقاء في كل علم وكل عمل بحيث يلزم من عدمه العدم ؟
ألا إنه هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر

قد قلت في بعض الخطب التي تكلمت فيها عن الحرية ان استعداد البشر
للارتقاء ليس له حد يعرف ولا غاية تحدد فاذا عاشوا ملايين من السنين يمكن أن
يكونوا في ارتقاء مستمر لا ينقطع اذا كانت حريتهم في العلم والعمل مصونة من عبث
المستبدين فهكذا ترتقي الامم على قدر صيانتها واحترامها لحرية وتتخلف عن الارتقاء
بل ترجع الى الوراء على قدر عبثها بالحرية ونحكمها في الباحثين والماملين

مضت سنة الله في البشر بأن الفكر يسبق العمل فاذا كانت أفكار العقلاء
والاذكياء مضغوطة متنوعة من الحركة والنمو فإنها لا تكون مستقلة والامة لا تخطو خطوة
واحدة الى الأمام الا اذا أطلقنا العنان لجياد الافكار تجول في ميادين الكتابة والخطابة
بلا حرج ولا ضغط لا فرق في ذلك بين المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها
يجب علينا أن نحترم رأي من يخالفنا كما نحترم رأي من يوافقنا لأن الفلاح
متوقف على ظهور الحقائق وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث
والكتابة والخطابة ولا يخاف على دينه من حرية البحث إلا من لا ثقة له بدينه ومن
كان واثقا بأنه على الحق فانه يعلم أن مخالفته فيه لا تزيد الا قوة وظهورا فقد نطق
الكتاب العزيز بما هو ثابت عقلا واختبارا من أن الحق يعلو ولا يعلى وانه ما تصارع
الحق والباطل الا وصرع الأول الثاني . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
هو زاهق . وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

علينا أن نبحث بعد هذا عن أنفسنا لنعلم هل نحن نحترم استقلال الفكر وحرية
القول والعمل ؟ هل قمنا بحق هذا الشرط الذي يتوقف عليه كل مقومات الحياة
الاجتماعية والسياسية واسبابها ؟ إن حكومتنا تركت الضغط على عقولنا وافكارنا

والحجر على ألسنتنا وأقلامنا لنكون أحراراً في أقوالنا وأعمالنا فهل صرنا أحراراً بالفعل؟
نعم أن الحكومة تركت الاستبداد والاستعباد وأباحت لنا الحرية طوعاً أو كرهاً
ولكننا ما قبلناها فإن الأفكار لا تزال مضبوطة ومحجوراً عليها أن تبرز من مضيق الدماغ
إلى فضاء الوجود الخارجي والحرية الشخصية مهددة لا من الحكومة بل منا أنفسنا
في البلد حوادث حيوية كثيرة لا يكتب أحد من أصحاب الجرائد رأيها فيها
بالحرية. ولماذا؟ أيتخاف من « المراقب » أن يرجعها له؟ لا إن الجرائد لا تعرض
الآن على المراقبين كما كانت تعرض في زمن استبداد الحكومة ولكن ما سقط
مراقب الحكومة إلا وتقامم مثل عمله من لا يحصى من دهاء الأمة يقتاتون على
أصحاب الجرائد وكتابها وعلى الحكومة نفسها وربما كان هذا الاستبداد أشد وطأة
وأثقل ضغطاً من استبداد الحكومة

إن جرائد بيروت كان لها مدير واحد لسياستها هو المراقب وكانت نسبة
أصحابها ومحرريها إليه كنسبة محرري الجرائد الكبيرة في البلاد الحرة إلى رئيس
التحرير أو مدير السياسة. فكانوا إذا أرادوا كتابة شيء يتحرون أن يكون بحيث
يرضيه وقد عرفوا ما يرضيه ويمجبه فلم تكن مراعاته متعذرة عليهم ولكن يتعذر عليهم
الآن أن يعرفوا ما يرضي هؤلاء المراقبين الذين حلوا محله لأن عقولهم وآراءهم
ليس لها قاعدة ترجع إليها ولا ميزان توزن به. فهل يمكن أن ترقى الصحافة أو
الأفكار في بلاد يفتات على حملة الأقلام وارباب الأفكار فيها كل أحد حتى
البحار والجمال وياثع الحص والنول !!

أنا قد تقنيا باسم الحرية في أيام إعلان الدستور وألقينا الخطب الكثيرة في
وصفها، وانشدنا القصائد العديدة في مدحها والتعزُّل بها، وكان هتاف الجماهير للخطباء
والشعراء « يهاو في الجوح حتى يبلغ غنان السماء » وكتبنا ذلك الاسم الجميل « الحرية »
بالخطوط الجميلة وزينا به البيوت والمعاهد العامة والخاصة والحدائق فظهرنا بمظهر العاشق
الولغان لهذه الحرية الجميلة ولستني أخشى أن نكون في عشقنا لها كعاشق أم عمرو؟
وأمل بعض الحاضرين لا يعرف خبر هذا العاشق فاذا تراه إعلاماً له وتذكيراً لغيره
مر بعض الناس بصديق له مرة فراه على غير ما يعهد : وأنه قلنا مضطرباً فأنشأه

من حاله فقال إني عاشق وإني لا يقري لي قرار ، ولا يطيب لي اضطبار ، ولا يهنا
لي طعام ، ولا يزود جفني منام ، قال له صاحبه من عشقت ؟ قال عشقت أم عمرو ،
أجل نساء المصر ، قال من هي أم عمرو ومتى رأيت وجهها المليح ، فبرح بك هذا
التبريح ، قال لا أدري من هي ولا ألحقتها عيني وإنما سمعت رجلاً ينشد في الطريق :
يا أم عمرو جزاك الله مكرمة وذني علي فؤادي أينما كانا

قلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه أروع النساء جمالا وحسنا ، وأوفرهن من
القسامة قسما ، لما قال الشاعر فيها هذا القول فمشقتها

وقد طال على هذا الماشق الأحق عشق تلك المشوقة المجهولة حتى مر به
صاحبه يوما فاذا هو يبكي ويندب قد ساورة الأحزان ، وواثبة الأشجان ، فسأله
مادهاك ؟ فصاح أواه وأويلاه ! لقد بليت بأشد المصائب وأعظم النوائب فقد ماتت
أم عمرو . وغلبه النشيج وأخذ في النحيب ، ولما سكت عنه الروع قال له ومن أخبرك
بموتها فهل رأيتها وعرفتها ؟ قال لا ولكنني سمعت الشاعر ينشد في الطريق :
لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

قلت لولا أنها ماتت لرجعت ولما قال الشاعر هذا القول

نعم اتني أخشى أن تكون حريتنا المشوقة ، هي أم عمرو المجهولة ، فإن الحرية
الحقيقية قد تعرفت إلينا فنكرناها ، وزغبت فينا فرغنا عنها ، وأحبت القرب منا فاختارنا
البعد عنها ، والاف بالالكثيرين منا ، يسلطون العامة على من يدي رأيا يخالف رأيهم
أوهوى أنفسهم ، يهددونه ويهينونه ، وإذا لم يوجد له عصبة تحميه منهم فأنهم يضر بونه ، ومتى
كانت الحكومة المستبدة تضطهد حرية الفكر والعلم أشد من هذا الاضطهاد ، وتحاول
استعباد أقبح من هذا الاستعباد ، أي العبوديتين اذل ، آلعبودية للحكومة أم العبودية للعامة ؟
كان الخطباء والشعراء يقولون في أيام عيد الحرية في مدح الأمة محمداً يقولونه
في مدح الحرية نفسها لا إظهار التناسب بينهما ولا يزال كثيرون منهم يسمعوننا مدح
أنفسنا ، ويشيدون بفضلائنا وفضل سلفنا ، ويمثلون بقول شاعرنا : نبني كما كانت أوائنا الخ
أما أخوكم هذا فيقول إن ما كان يقال في أيام عيد الحرية لا ينبغي أن يقال اليوم ولا
في كل يوم . إن الأعياد في عرف الناس هي أيام السور والابتهاج فيحسن أن

يتنامي فيها ما يسوء ويتحرى فيها ما يسر ، وهذه أيام الجد والعمل فيجب ان نعرف فيها ما نحتاج اليه في هذا العصر لتجاري الامم العزيزة القوية ، الائمة في بحبوحة المدنية ، لان أن نعي النفس بالأقوال التي يلذ سماعها ، ونترك السنن التي ترقى باتباعها ، يقوم اننا مرضى ومن كتم داءه قتله ، انا مرضى ويجب علينا ان نداوي أنفسنا ، ان الادوية لا يقصد بها اللذة ، بل يقصد بها المنفعة ، هل سمعتم ان الأطباء يداوون المريض المذنب باطعامه اللحوم المعالجة بالقول والافاوية والكنافة والبقلابة والاشربة الثلوجة ؟ لالا انهم يداوونه بالمسهلات البشعة الطعم والكينا المرة ورماد اووه بالسكين بنال شيئا من بدنه . وكذلك تكون أدوية الامراض النفسية . وانه ليسوءني ان اصرح لكم بما يولكم ولكنها الحقيقة لا بد منها وان كانت مرة كالدواء . أخوك من صدقك لا من صدقك ، ان من فضل الحرية علينا ان صرنا قادرين على البحث عن مرضنا وعلى الاجتهاد في معالجته فيجب ان نعرف قيمة هذه النعمة وان نشكر الله تعالى عليها بالعمل الذي نستفيد به منها

أعود فأقول اننا لا يجوز لنا ان ندعي اننا عرفنا الحرية واننا تقدرها قدرها الا اذا كنا نحترم استقلال الفكر فلا نعارض أحدا في إبداء رأيه واظهار علمه باللسان أو القلم ولا يمكن ان نخطو خطوة واحدة الى الامام بدون هذا

فعلكم أيها الفضلاء المحبون خيرا أمتكم وتقدم بلادكم أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية وأن تبدلوا جهد المستطاع في بث هذا الفكر في طبقات الامة وتقتنوا أولئك الذين نسمع أخبار افئسائهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن عملهم هذا ضار ببلادهم وان الذين يغرونهم بذلك هم اهل الأهواء الذين يتبعون حظوظ أنفسهم ولو فيما يضر ببلادهم

انصروا حرية البحث والطباعة لكي تتجلى للامة الحقائق فتعرف ما يضرها وما ينفعها ولكي تنربي فيها العقول الكبيرة بعد رفع الضغط عنها . ان تعملوا هذا نخدموا بلادكم أحل خدمة . وأراني اطلت عليكم في هذا الكلام الحار مع حرارة الجوب بكثرة الاضواء وازدحام الناس فحسبي هذا والسلام

خوارق العادات

﴿ في الاسلام ﴾

اطوار البشر والممجزات - المعجزات العقلية والحسية - علم الغيب - التنويم المغناطيسي
استحضار الارواح - الكهانة - الاحلام - السنن الكونية والممجزات
جرائم الامم والافراد والعقوبات الالهية عليها

أتى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ، فسادت
الآوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ،
والسحرة والمسموذون ، وملكوا نواصي الناس بافكهم وكذبهم ، وصاوا يتصرفون في
جميع أمورهم ، فما كان أحديهم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ،
فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ،
وأفهام ساذجة ، وبصائر قاصرة ، وجهل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقدمهم ،
وتفرحهم وتحزنهم ، وتخيفهم وتزعجهم ، فاذا برق برق من السماء ارتجفوا واضطربوا ،
وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتعبوا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدفعه
الاوراق ، أو استنجدوا براق ، وإذا نظر إلى بينهم ناظر حوطلوهم بالتمائم ، وأطلقوا
حوطهم بنحور المباخر ، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف
وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على ما يزعمون . - إلى غير ذلك من الاوهام والباطيل .
هذا كان شأن الجماهير إلا من شذ منهم وندر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور
العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في
طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثروا من وعظهم
ونصحتهم وانذارهم ووعدهم ووعيدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

(بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطيب بسجن طره)

السحرة والمشعوذين بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهره لهم من الآيات
البيّنات ، التي تركت السحرة مغلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات
لما قدر الأنبياء على تخلص أممهم من حائل الدجالين والمختالين ، بل الإبلية
والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الأفكار
وأعجزت السحرة وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لبيعة من ظهرت على أيديهم
فيؤمنون له ويقيمونه ، ويعطيونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم
يأخذ الله المطاعين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يميزوا بين
الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء
لهم وعبرة لغيرهم لعلهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتوالى القرون والأجيال ، وانتقل البشر من حال
إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور . فأخذت العقول تستدير ، والأفكار تضيء
والسحر يضمحل ، والأنبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة بعثه سيد الأنبياء
 والمرسلين . وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية إلى سن الرشد
فأصبحوا لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقبل
فيهم تأثير المختالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من
طريقها ، فساعدتهم الإسلام على ذلك ونهج بهم منها لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل
الحجج العلمية والدلائل العقلية رائدة في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل مبانيه ،
وقل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عتبة في رقي عقل
الإنسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله لكل أجل
كتاب . يحمر الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة
المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لا علاقة بينها وبين دعوى
النبوة ، وأنها لا يسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ،
وأنها إن أقنعت تلك العقول القديمة وأرعبت تلك النفوس وهي صغيرة وحملتها على
الإيمان فأنها أصبحت لا تقني العقل فتلا ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن الدليل

إن لم يكن له من العقل أكبر نصير فهو أضعف ضئيف ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعانت والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء ، وإلا فان أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لهم يومنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إغاث الماعدين المستهزين ، والزيادة في تثبيت ضمائم المهتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك من تدبر آياته . فانه هو المعجزة التي تلتزم مع الدعوة ، وتعلو بالمقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبة في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تنبش عليهم بحيل الدجالين وتدليس الخنايين ، ولا بكذب القصاصين وافك الراوين ، وتغيب الواهين واختراع الكاذبين ، بل تساعد على البحث وتحضهم على التفكير والنقد والتحصيل والاستدلال والاستنتاج

فبيعة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر المعجائب والفرائب وبدأ عصر العلم والعقل فهو الحد بين المصريين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلا وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسباً لزمه عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الأزمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكان الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصارهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصارهم في العصر الأول كانت ضئيفة لصغرهم فلا تتحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأنبيائه ورسله الكثرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسرقون السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لأن الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديبهم وتهذيبهم وترغيبهم وترهيبهم ومكافأهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يسد منهم فاذا صاروا رجالاً كف عن ذلك

واكتفى بإبداء بعض تعاليمه العامة وإرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستعملون عقولهم فيما يرونه صالحا لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الأعلى) بعد أن بلغ الإنسان رشده أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الأمور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحى للأمم السابقة كنبى إسرائيل مثلاً في كل جزئية من جزئيات الأمور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والأصول الثابتة فانها مع ما يوحى إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الأمور بعد أن بلغنا رشداً

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والسكينة وأخبرنا بذلك كله صريحاً في الكتاب العزيز فلم يبق لمجتال علينا حيلة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة وبذلك خلاص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحاً لا يحجبه عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف ، ولكي لا يبقى هناك ثلمة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصاً صريحاً لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب أن يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المقنطيسي واستحضار الأرواح والأحلام الصادقة تكشف كثيراً من الغيب وكانت السكينة تكشف كثيراً منه من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المقنطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئاً مما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المخصوصة وغاية الأمر أنه لا يحجبه عن رؤيا بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كدورة المادة إذ ذاك ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالأعراض التي تنصيده مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الأشياء المرضية قبل حصولها لمعرفة الأمراض وأسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعها أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا أو استنباطا من موجود وإلا فالغيب (وهو ما غاب عن الإنسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويقشور بين الناس كما أطلع الله رسوله (الملائكة والأنبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخيل للناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلة بينهم وبين عالم الأرواح وإن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعالم الأخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك يمكن البشر الاطلاع على بعض المغيبات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلعوا على بعض طرق الأحلام الصادقة، قائما من بقايا الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يرى الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بإرادته كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبل وليس البشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يفعله الله متى شاء وكيف شاء .

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاهد دعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا للخبر فلا يكون إلا اتفاقا ما لم يكن موحى به .

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فإن الغيب أمر اعتياري فما غاب عنه لا يغيب عن

(المار ج ٧ م ١٢) السنن لا تبدل . المعجزات وقتلات الطبيعة وحكمتها ١٢٣

غيرك وما لم تعرفه لجهلك بشي ، ما يعرفه غيرك ممن علم هذا الشيء .
أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة
يمكن . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تبدل ولا تتغير كما نطق به القرآن
الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق المادة ليس خرقا للسنن فإن من سنن الله
إيجاد الشواذ في كثير من الأشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك
نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفئات الطبيعية)
ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس
الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية
خلقها لمجزوا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الأشياء
الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئا من مبالغ قدرته وعظمته وأن قدرته
تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما
كيفية خلق هذه الشواذ والعلى المباشرة لتوليدها فانا تجهلها الآن كال الجهل وربما
علما عنها شيئا في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي
أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحياء بالانبياء فيتعلمون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم
فصلح حالهم . وتفهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبعدهم عنهم . ولكننا إلى
الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشأها وغاية ما نقول إنه
هكذا أوجدتها القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن
كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هناك فرقا عظيما بين المعجزات وبين هذه الشواذ
الطبيعية التي اتخذتها مثلا لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ
فانها تشاهد كل يوم فان كانت المعجزات حقيقة وجارية على سنن الكون
فلم انقطعت الآن ؟ ؟ ونقول أما انقطاع المعجزات فهو لا تقضاء زمن الانبياء
ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيرا من الشواذ في العالم الطبيعي
قد انقرضت الآن لا قراض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكأن
سنن الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر

ولو وجدت بعض الأنواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ
الخاصة في خلقها وكيفية معيشتها ما يدعونا الآن وبعد من المصائب والعقوبات. وقد
كانت الأحياء في مبدأ أمرها تتولد من الجمادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي)
وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقاً فلم لا ينكره
المنكرون لا تقضاء هذه الآن كما تنقضي زمن المسجرات ؟ إن هذا الأمر عجايب ١١
بقيت كلمة واحدة تمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما معناه إن الله
تعالى كان يؤدب الأمم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالخسف والمسخ
والقحط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟
الجواب - إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالأمم من المصائب
المهلكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)
وكذلك ما يصيب الأشخاص من المصائب هو في الغالب جزاء لهم على ذنب
ارتكبه (إن ربك بالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم) ولكن
لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الإنسان بل إن ذلك
بحسب الغالب . فإن الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العدم فإنه يخصص
بمثل قوله تعالى (وانبأونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس
والثروات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة
كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إفادة
الكلية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية . فالله تعالى لم يترك البشر في هذا
الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاة لهم على أعمالهم كلا ١١ بل هو أرحم من
الأب الحكيم لا يترك أبناءه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثرت إجرامهم بل قد
يتدخل في أمورهم ويعاقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون
(المنار) اتبع الدكتور فيما ذكر من ترقى الدين رسالة التوحيد وهذا هو الأصل
في نسخ الشرائع الذي يحتاج به عليه الشيخ صالح اليافعي في الرسالة التي بعد هذه
وهو لا ينكره . ويرد عليه أن الخوارق لم تنقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في هذا
المصر كالمصور الأولى

باب المراسلة والمناظرة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين ﴾

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (ص) وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد على حضرة العلامة والمفضل الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وفقنا الله وإياه للهداية والتوفيق آمين وحيث إنني رأيته لم يأت بدلائل جديد وانما كرر كتابة ما قد بينت للقارئين فسادة في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وان أفوض الى قراء المنار وغيرهم من علماء الاسلام تولى ترجيح أحد القواين والحكم بتخطة أحد الخصمين بعد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يهز علي من أهل البيت الاطهار نجمة الاخيار سيدي احمد بن حسين المطاس باعلوي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محبي المنار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأنه اخانا الفاضل علي أن ما كتبه في

(جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح الياقيني يرد بها على الدكتور محمد توفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فانه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

١٢٦ شبهات الكفار على النسخ في القرآن (المبتلوج ٢ م ١٢)

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد بينا والله الحمد خطاه وايضا هو لم يبطل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص ثقلي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي مما لا قيمة لها اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اضعف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بخيالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام - وما أنا ذا أقدم للواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردتها العلامة الممدوح عنهم ووجه دلائلها ثم اتبع ذلك بردها وأتمس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار أن يصلح ما فيها من القصور والخطال وان ينبه أحدنا على زلته ، ويده له على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « تناصحوا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيائه في ماله وان الله مسائلكم » ولنشرع في المقصود بهون الجواد المعبود فاقول: قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه للسواب « الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن » الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لأنه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعيبا إما في مفزاه أي غايته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته الخل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا يفهمهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فمحصل ما ذكروه ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستنتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الدهاء والتحليل بحيث صار يلعب بمقول اصحابه وذكر عنهم ما ملخصه وحاصله ان محمدا (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما انتقده عليه المنتقدون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تعلق بدهائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجويز وترويج مسألة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به

(المراجع ٢م ١٢) القول بالنسخ خير من الحاجة الى التأويل ١٢٧

من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل اليها كله. ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه لحكم غير مقبول، اذ لم يقدروا المسلمون على تحليل ذلك بجملة مقولة - وقتل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ما بقي من القرآن في أحكامه شطط وان عباراته متناقضة مختلفة - وذكر عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسويغ نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ما أدى وظيفته لا يلزم بقاءه فقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه قال فاذا صحح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت ومنها فلماذا لم تنسخ الفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنيا وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين !! انتهى

أقول والكلام على ما أورده عنهم من وجوه

(احدها) ان قول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتنقيح تجد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات الى آخره لا ترد علينا ولا على من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لا ينفصل عن هذه الإيرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع ، والتأويل اذا صار لا يصح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه بالفاظ غير ما عبر الله به عنه فهو يكون لا محالة من باب التبديل والتعريف للذين ذم الله أهلهم ونهى عنهم وكما انت مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين وغير المسلمين أيضا لا يقتنعون به وهو أعظم منفر لهم عن الاسلام ، لجواز ان يعتقدوا ان ذلك إصلاح خلل وتكميل قص في القرآن والدين - فاعتراضاتهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من الحال ،

اما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا هذه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وإنما يلزمنا الاستدلال على جواز النسخ عقلاً ويحسن منا إذا بينا حسنه وحكمته في المورد المعين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضاً — لأن جهلنا بالشئ لا يستلزم عدمه في الواقع — وإنما يضر لو كان بعض ما علمنا أنه من الدين مخالفاً للحقيقة في نفس الأمر وليس في الإسلام شيء من ذلك — وفضلاً عن الإيرادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفردة لمن يريد انتحاله التي لو أردنا إيرادها لظال بها الكلام فإن مدلول النسخ الذي يمكن أن ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائفون والتأويل الذي يؤقل القرآن إليه حضرة الفاضل الدكتور متعدد لا فرق بينهما إلا أن هذا الأخير يكون من الرب الذي يفعل ويأمر بالحكمة والمعدل فليتناهل الناظرون لينصفوا أخونا الدكتور الفاضل — ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح — أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن المصلحة الراجحة والحكمة العائدة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يعدل إلى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولا دل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام أن ما اعترض به علينا في نسخ الأحكام غير المسلمين هو وإن كان فاسداً كما سيأتي إلا أنه وارد عليه أيضاً لأنه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات الحديث أبي سعيد (رض) المختلف في رفعه ووقفه المعارض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنة القولية النبوية فانتظروه —

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما يخلصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ فقط

(الوجه الثاني) أن مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح أن يوردها إلا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقاً أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان من يجوز ذلك في شي مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت العلة أو نظيرها وبالأولى فيما هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فمن باب أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بعيد عن معتقداتهم الموروثة لاسيما اذا كان قد تدبى بها أنبياء كثيرون لان ما جاء به العدد الكثير قد تستبعد بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد - فما يسامه الدكتور الفاضل من النسخ هو أولى بأيراد الشبهات مما ينكره - ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون منوطا بمناسبة الاحكام لافراد معتقبيها المعينين - كان كلما كثروا تتجدد الاحكام وتعديل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الامة ليكون الدين شريعة عامة فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لطفا حسنا وعليه فالنسخ في شريعة أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المعارضين عليه منه فيها بعد ثبوتها فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها سيان مطلقا ان لم تقل جواز ذلك في الاخير أظهر والله أعلم

ثم نقول لمن لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الا لنقص أو عيب في المنسوخ بحيث يستلزم نقص الشارع ومعاذ الله من ذلك لانا نقول ان النسخ في الأديان لازم ومساوق لتري نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبيعي ولا يكون الاول الا للحكمة ومصلحة راجحة ، فالحكم الثاني النسخ يوجد عند ما تكون الامة مستعدة له وتخطو إلى التقدم من المقام الاول الذي يحسن ان تنتهي مدة الحكم المنسوخ بجوارها له - لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم بل قد يجب ان لا يكفوه في أوان كالم وما كانت الأم السالفة محجورة عنه لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الأزمان رفع حجرهم عنه إذ لو كلف الجهال ونحوهم ما يتسع له العلماء لازم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهذا من لازمه قلب الحقائق ولو حجر على العقلاء البحث في الحقائق المستعدين لادراكها

١٣٠ حسن النسخ عقلا ووقوعه . دخائل الشرائع الماضية (المنازع ٢ م ١٢)

وتقديرها قدرها لكان في ذلك الظلم المنزه ربنا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما لا يطيقه أو ما لا يطيقه إلا من هو أكل منه لكان كذلك وإذا استحال كل ذلك فلا شك ان حالات الام السالفة واستعداداتهم تخالف حالات الام واستعداداتهم اليوم فتكليف بني الانس انفس اليوم بسرائع أولئك أو المكس اقل حالاته ان يكون تكليفا بما لا يناسب الفشوة الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطاق أو من باب الحجر على المستعد عما هو مستعد له فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف . ولو أطلق للاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي بمجهولة لديهم او لم يستعدوا لمعرفتها لكان ذكر تقريرهم وتكليفهم لما لا يطيقونه وما كان كذلك فالله لا يرضى بقاءه بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوقين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لهيب ونقص في المنسوخ ولا لجهل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل فحش التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

فثبت بما ذكرناه وما لم نذكره من الحجج اليقينية أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك نقلا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنسيت بسرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لا ينطيل بذكره وان أبي المعارضون لزمهم فوق ما قدمناه من المحالات ان تكون شرائع الله المحكمة المحتم على البشر قبولها وامثالها والايمان بها متضاربة متناقضة ، وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بجميعها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى المباد

والاديان والشرائع قبل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب — أما التكليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة بخلاف الواقع والحكميات المستبعدة في كتبهم الدينية فما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجزم بان تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى ديننا للبشر الى آخر الدهر - ولذا ونحوه قال نينا صلى عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث اقل من اللازم ان يبدل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة محفوظة عن تغيير المبدلين وعبت العائدين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالحالة التي عرفت حجة لله على عباده فالو صل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات اليناث فما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والو صل السابقين الا وقد ايد نينا (ص) بثله وبأظهر واوضح منه وصح لدينا نقلا لا يثريه شك باسناد صحيحة متواترة متصلة . ولو لا شهادة الله في كتابه القرآن وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك القول والقصص فيها الى مرتبة القان فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بميزان التحقيق في شرائط النقل لم تحصل منها ما يصح اعتباره مسندا متصلا عن القلة المروية بشروط الرواية

وبناء على ما ذكرناه نقول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قادم فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات - فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قادحا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فمن يقدح بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قادحا في صحة دين من تقدمه من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم اولا يعلم رضي ام أبي

ونقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم نقل يؤيدها ويصححها أو دلالة عقل تعينت على ما ذكره أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو ممارسة أو معاندة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متعين فما الدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره ينقض مزعمكم أم لا ؟ وحينئذ لا يصح ان يدفع اثبات ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها . واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك نقلا وكانت رسالة نبينا (ص) ثابتة بالحجج البينة بأصح ما يمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فتعين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ما عرفت مع وجود ما يدفعه ويكذبه باطل لا يجوز لما قل ان يلتفت اليه أو يصتبي بإيراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء أن صار يلعب بعقول اصحابه فيملهم قبلون منه ما لا يقبل من غيره فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأبي هو وأبي لم يكن من أهل الخيل والدها وانما كان من الانبياء الاتقياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند أعدائه أما أصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهو ما جاء بما في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله واذا كان كذلك فمن البهت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقبلون منه ما لا يقبل من غيره لان نقول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه أصحابه الا ما يقبل عن المرسلين والا لا تقلب الامر وكان النسخ في الشرائع محالا وقدمت فسادة عقلا وشرعا

فما ذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانها في غير محلها وانها لا يتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح ايرادها على بعض الشرائع السابقة لركاكة ما عرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيتها لتدين جميع البشر الى آخر الابد والوهن في نقلها وضبطها — فان صحة توجيهها على الاسلام ضرب من المحال وتقص عن الكمال لما في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكمته بالصراحة تارة وبالتضمن والاتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فهمه عن أنزل عليه (ص) فمنها ان يذكر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائده وغايته أو غير ذلك مما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخه بأن أنزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يذكر سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك مما تعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لا يوجد في كل شيء ومع ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكاملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لانحمل ذلك على

نقص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وانما نقول ان تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم اذ ذاك وهي غير مريدة فناسب ان تكون كذلك حتى يترقى الانسان الى اعلا مقاماته مما تطلع به اليه خلقته وفطرته المخصوصة وحينئذ يتناسب ان يشرع له دين بالغ في التحقيق اقصى غاياته فكان الامر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه

(لها بقية)

أشعار علي بن أبي طالب عليه السلام

التربية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه بيروت في المحرم

سنة ١٣٢٧

هي الاخلاق تنبت كالنبات	إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهد بها الرب	على ساق القضيبة مشورات
وتسوء للمكارم بالناسق	كما اتسقت أنابيب القناة
وتنفض من صميم المجدروحا	بازهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل	يهذبها كحضن الامهات
فحضن الأم مدرسة تسامت	بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا	بأخلاق النساء الوالدات
وليس ريب عالية المزايا	كثل ريب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان	كثل النبت ينبت في الفلاة
فيا صدر الفتاة رحبت صدرا	فأنت مقرأسنى العاطفات
نراك إذا ضممت الطفل لوحا	يفوق جميع الواح الحياة
إذا استند الوليد عليك لاحت	تصاوير الحنان مصورات

لأخلاق الصبي بك انعكاس،
وما ضربات قلبك غير درس
فأول درس تهذيب السجيا
فكيف نطق بالابناء خيرا
وهل يرجي لأطفال كمال
فما للأمهات جهلن حتى
حنون على الرضيع بغير علم

أأم المؤمنين اليك نشكو
فتلك مصيبة يا أم منها
نخذنا بعدك العادات دينا
فقد سلكوا بهن سبيل خسر
بحيث لزمهن قهر البيت حتى
وعدوهن أضعف من ذباب
وقالوا شرعة الإسلام تقضي
وقالوا ان معنى العلم شيء
وقالوا الجاهلات أعف نفسا
لقد تذبذبا على الإسلام كذبا
أليس العلم في الإسلام فرضا
وكانت لنا في العلم بهرا
وعلمها التي أبطل علم
لذا قال أرجعوا أبناء اليها
وكان العلم تلقينا فامسى
والتقرير من كتب ضخم
الم تر في الحسان الفيدقلا

مصيبة مجهل المومنات
«نكاد نفص بالماء الفرات»
فاشقى المسلمون المسلمات
وصدوهن عن سبل الحياة
نزان به بمنزلة الاداة
بلا جنح واهون من شذاة
بتفضيل الذين على اللواتي
تضيق به صدور الغنيات
عن الفحشا من المتعلقات
تزل الشيم منه منزللات
على ابناؤه وعلى البنات
نحل لسانها المشكلات
فكانت من أبطل العالمات
بأنى دينكم ذي البنات
يحصل بانتداب المدرسات
وبالقلم المد من الدواة
وانس كتيبات شهرات

وقد كانت نساء القوم قدما
يكن لهم على الاعداء عوناً
وكم منهن من اسرت وذاقت
يرحن الى الحروب مع الغزاة
ويضمدن الجروح الداميات
عذاب الهون في اسر العداة

فإذا اليوم ضر لو الفتاة
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا
نرى جمل الفتاة لما عفا
ونحتر الحلائل لا لجرم
ونلزمهن قعر البيت قهراً
لأن وأدوا البنات فقد قهرنا
حجبتناهن عن طلب المعالي
ولو عذمت طابع القوم لوئماً
وتهذيب الرجال أجل شرط
وما ضر العفيفة كشف وجهه
فدعى للخلائق الاعراب نفسي
فكم برزت بحجهم الفواني
وكم خشف بمرهم وظي
ولو لا الجمل ثم اقلت مرحى
الى اسلافنا بعض الفئات
بتهاج الفرق والشتات
كان الجمل حصن الفتاة
فتؤذين أنواع الاذاة
ونحسبن فيه من الهنات
جميع ناسنا قبل الهات
فغش بجهلهم متهكات
لما عذت النساء محجبات
لجمل ناسهم متهدبات
بدا بين الاعفاء الالباء
وان وصفوا لدينا بالجفاة
حواسر غير ما مزيات
ير مع الجداية والمهابة
لأن ألفوا البداة في الغلاة

تقر يظ المطبوعات الجديلة

نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

اهدانا المعلم عبد الحميد الفراهي (من العلماء في الهند) بضع رسائل في تفسير سور
متفرقة من القرآن العزيز سماها بما ذكر في العنوان . وهي سورة التحريم والقيامة والشمس
والنصر والكافرون والمسد أو ه تبت . وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من

النظر فاذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى
 المعاني من حيث هي هداية إلهية ، دون المباحث الفنية المريية ، ولكنه لا يفسر كل
 آيات السورة وكلماتها ولا يتكلم على ما يفسره بالترتيب وإنما يتكلم عن المماثل الكلية
 والمقاصد التي تهدي إليها الآيات كلاما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام . فمن
 فصول تفسير سورة التحريم : (١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في
 الاحتساب (٣) عمود السورة هو الاحتساب والتشهير له (٤) دين الفطرة هو
 الاعتدال بين الفسق والرهبانة (٥) تفرق الفسق والرهبانة (٦) نزول القرآن
 حسب احسن المواقع (٧) شأن نزول هذه السورة حسب الكليات (٨) شأن
 نزول آيتين ١ - ٢ حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست .
 الخ وان للمؤلف فيها ثاقبا في القرآن وان له فيه مذاهب في البيان وطرائق في
 الاستطراد منها القريب والبعيد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى موارد ها والصدور عنها
 ويان من شواهد ها فقد كتب في تفسير كلمة « صفت » من قوله تعالى « ان تروا
 الى الله فقد صفت قلوبكم بها » اكثر من صفحة على انه قد صنف كتابا في هذا
 القرآن كما فعل الراغب الاصفهاني . وإن أدري أفسر القرآن كله على هذا النمط
 هو يشغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها . وقد رأيت فيما قرأت
 ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين كالمفردات وتاريخ القرآن والامثال الإلهية وأصول
 الشرائع فعمى أن يتفضل باخبارنا عنها أم لا ، أطلع منها شيء أم لا ؟
 هذا وقد أرسل إلينا عدة نسخ من تفسير بعض السور لأجل ييمها عندنا وهي
 مطبوعة طبعا حجريا عن خط فارسي حسن فمن أحب ان يطلع عليها فليطلبها من ادارة
 المناو وثن تفسير سورة التحريم قرشان وماعداه فثمنه قرش او قرش ونصف

﴿ رحلة الحبشة ﴾

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وفائدة وفكاهة ألّفها بالتركية عادي
 باشا المؤيد العظم الفريق الأول بالجيش العثماني للسلطان عبد الحميد بأمره وهو الذي
 أرسله إلى نجاشي الحبش بكتاب منه فكتب مارآه وشاهده في طريقه وفي البلاد

والمواقع التي نزل بها لاسيما الصومال وما ارتآه واستنبطه من المسائل العسكرية والاجتماعية وما علمه من التقاليد والعادات مع شيء من التاريخ القديم والحديث عن الحبشة فجاءت رحلة جامعة لكثير من الفوائد المتنوعة من كل فن وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين ايطاليا والحبشة مفصلة وختمها بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الجيش رجالا ونساء . وقد ترجمها بالعربية رفبق بك المظم وحقي بك المظم وطبعتها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي ومتصلا بها خريتان احدهما رسم فيها الطريق الذي مر به والثانية رسمت فيها بلاد الحبش . وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ٣٢٠ وثمنها اثني عشر قرشا صحيحا

وانا نقل شيئا من كلامه عن مسلمي الصومال وتعلقهم بالدولة العلية . قال في سياق كلامه عن جيبوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية مانصه

« ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يقدون علينا أفواجا مرحبين بنا بعبوات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي وده آتو يوسف » خارج المحل وعند ما خرجنا رافقونا مهلين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج يرافقونا من محل الى آخر ويتهزون كل فرصة لظهار سرورهم العظيم من وروونا ثغرهم فاذا طلبنا مركبة يهري العشرات منهم لاحضارها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لأن الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيه ليكون (مهياندارا) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكرًا انسانيتهوا كتفت بجند الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا » وبعد قليل من وصولنا الفندق تكأأ المسلمون بعضهم على بعض في الردة الكائنة امام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيرا فكانوا لا يقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المنوال امام المنزل الى ما بعد العشاء »

ثم ذكر انه قبل السفر من جيبوتي آذنه خادم الفندق بقدوم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني . قال

« هذا وقد غاب الخادم قليلا ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلي عيسا ودانجالي وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء فجلهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قمصا طويلا وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس . وشمرهم الكتف فوق رؤوسهم يشبه الهامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهبا طويلا مصنوعا أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الفرييات قبعاتهن على شعورهن . ويتصلون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول أصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيدا والباقيون لا يعرفون منها إلا قليلا

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة الطيبة السلطانية وابلقتي انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القرية من جيبوتي للتسليم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاساتذة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفري اليها

« وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في رجله نعل مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشمر بهيئتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

« بينما كنا نتجاذب اطراف الحديث اذ جاء الموسير بونهور والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون اديتهم الرسمية وكان يمشي أمام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة فلما رأى الوالي الموما اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصائحهم جميعا يدايد وسأل عن احوالهم وصحتهم ولم يمض قليل من وصول الوالي حتي جاء أيضا (آتو يوسف) قنصل الحبشة في جيبوتي وبعد ان

مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا إياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أهداها أكراما للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعائي ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيوتي »

ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها

« وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت انفاما وأصواتا آتية من بعيد وبينما أنا أفكر في ما عسى أن يكون ذلك إذ أخبرت بورود وفد قبائل عسا فخرجت إلى شرفة الفندق فرأيت جمهورا من الناس نحوا من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيرى الاجسام متناسي الاعضاء مسلحين بالحراب والهراتات ويكبرون مرة وينشدون الأناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق أخذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا يفضون ويرقصون والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على انهم اقوام حريون أولو بأس شديد وميل للحرب والطماع . وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانغاليين وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورقبتي لحضور المأدبة التي دعينا اليها » اه المراد

وفيه من العبرة ان للدولة العلية وسلطانها نفوذا مضمونيا في نفوس جميع المسلمين لم تحسن الانتفاع منه ولا النفع به في الماضي فحسى أن تتفهم به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه وهو آخر الرجاء في حياة هذه الدولة فحسى ان لا يقطعها أصحاب النفوذ بالمتازعات الجنسية والأهواء الشخصية . وفيه أيضا ان الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يعدم متوحشين بالاحترام ليؤنسهم بحكمه ويأمن جانبهم ويكسب مودتهم ودولتنا تحترق أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق فينبذل حبيهم لها بغضا ويميلهم اليها نفورا وإعراضا فحسى ان لا تعود إلى ذلك في هذا الزمان وقد انتقدنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه المولف (وهو نيسان) دون

ذكر السنة في أولها وجريانه على ذلك في اثنتائها حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو) ولكن يعرف القاري أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براءة الوسام الذي اهداه النجاشي الى صادق باشا وترجمة المكتوبات التي ارسلها اليه نظار النجاشي وآل بيته

﴿ عقود الجواهر . في تراجم من لهم ٥٠ تصنيفاً فثمة فاكثر ﴾

نشرنا في آخر الجزء الماضي اعلانا لجليل بك العظم محاسب المعارف بيروت عنوانه « ذيل لكشف الظنون » علم منه انه يعني منذ ١٦ سنة بجمع ما فات صاحب كشف الظنون من أسماء الكتب وما حدث بعده منها . وقد استحسن في اثناء بحثه ان يضع كتابا في تراجم المكثرين من التصنيف الذين لهم خمسون تصنيفاً فثمة فاكثر وقد أتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه « عقود الجواهر » وطبعه وهو يدكر العالم ترجمة مختصرة ثم يدكر مصنفاته مرتبة على حروف المعجم فجزاه الله خيرا . وقد اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل رأسا فيؤلف كتابا مستقلا في أسماء الكتب والفنون فغضى أن يلقى من المساعدة ما يرجع ذلك عنده

﴿ الاشتقاق والتعريب ﴾

قد علم قراء المنار في العام الماضي ما كان من أعضاء نادي دارالعلوم من المناظرات في مسألة التعريب . وقد عني الشيخ عبد القادر افندي المغربي أحد محرري جريدة المؤيد في أثناء ذلك بوضع كتاب مستقل في المسألة وطبعه في هذا العام فبلغ زهاء ١٥٠ صفحة بقطع كتاب الاسلام والنصرانية . وقد ترجم المؤلف كتابه بقواه فيه « يبحث في ما يعرض للغة العربية من تكرار كلماتها بواسطة الاشتقاق والتعريب » وأن هذا الأخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات « وأن استعمال المعرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك » فهو اذا مؤيد الرأي القائلين بجواز التعريب والتصرف في اللغة بحسب الحاجة بل توسع في ذلك بما لا يوافقونه كلهم عليه فيما ظن

ودعم كلامه بضروب من الأمثلة والشواهد والدلائل لم يسبقه إليها الباحثون وقال في أواخر الكتاب ما نصه :

نتائج وملاحظات

قد تحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قد بان قسم عربي محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام كسندس وأبريق . ويسمى في الاصطلاح مهرباً . ومنه ما أدخله المولدون في صدر الإسلام ويسمى مولداً . ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثاً أو عامياً . والطريقة في أحداث النوعين الأخيرين المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق : كالمربية والبارود والفسقية . وقد تكون التعريب : كالبروس والباذر والمأهية وقد تكون التصرف في الاستعمال : بأن تستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب : كالقطر والقطائف . والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحيط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه وإن كان في أصله غير عربي لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب ، والأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية نتيجتها « أن الكلمات العربية المهربة أو بقوة المربية » حتى لا يكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عربية الأصل : بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة « رصاص » الأجنبية المهربة في كل موضع تستعمل فيه كلمة « صرّقان » العربية . وما يدرينا أن صرّقان وأمثالها من الألفاظ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا رائحة فيها للاشتقاق من لغة عربية — غير عربية في أصلها وإنما هي دخيلة .

وقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلاً لا نزاع في صدق دلالته : وهو أن علماء اللغة أنفسهم حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر معرفة ومن الغرابة ومن مخالفة القياس ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربياً . إلا شائبة فيه المعجمة .

والنتيجة في الكلمة الدخيلة التي تودعها كلامك خلوصها عما ذكره علماء

البلاغة كان كلامك فضيح المفردات . وعليك بعد ذلك ان تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام وبلاغته . حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحاً بليفاً . لا يكون كلامك فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريباً عن افهام المخاطبين أو ما تنبر عنه اذواقهم وتجانى طباعهم مثل أن تقول « وكانت الطهاة يعرفون ألوان الطعام بالفشليل » والفشليل كلمة معربة عن قفيلز الأعجمية . ومعناها المفرقة . كما لا يكون فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول « أنا مختللاً في مشيته . منفشلاً لحيته » تفني منفشاً لها . أو تقول « لحاه الله من رجل عفنحش » أي فظ جانبي الطباع . ومن هذا القبيل الكلمات الانكليزية أو الالمانية مثلاً التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نهدها مثلاً في مخارج لغتنا . حتى إذا اضطررنا إلى ادخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا كانت علينا حينئذ ان نشذبها ونهذبها ونوفق بينها وبين أوزان لغتنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . كي تواتينا ويسهل علينا النطق بها . والا كان علينا أن نهجرها ونهد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما إذا تضمن كلمة متنافرة مثلاً من الكلمات العربية الأصل كالهمنخ وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقك؟ قال تركتها ترعى الهمنخ . وكأن تقول لا آخر : اياك أن تنزوج الهمنقة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تفني الحقاء الورهاء . (١) واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا إما كان أصلها ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والاعيان مثل نرجس وجام . وقسم مدلوله المعاني والاحداث مثل البوس : فكلتا القسم الاول إذا شاعت بيننا . وحلت في اسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتنهزت عن أن تكون من « الفاظ السفلة » كما سيجي .

(١) المنار : ان بعض ما مثل به من الغريب ليس مما يثقل على اللسان كنفشل ولكنه غير مألوف لعدم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة . وما كانت ثقيلاً كالهمنخ الذي يذكره في كتب البلاغة إنما ينافي مثله الفصاحة ويكره استعماله إذا كان له مرادف يقوم مقامه والاحسن استعماله عند الحاجة اليه ورأيت أكثر ادباء عصرنا غافلين عن هذا وذاك

(المخرج ٢ م ١٢) قياسية الدخيل في أسماء الاجناس لا المعاني ١٤٣

في قول ابن المقفع - ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وادماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف مهجور وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهرا . وعذرنا فيه مقبولا . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستخدمها أيضا اقتداء بأهل اللغة أنفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية إلى مرادفاتهما من الكلمات المعربة الدخيلة مثال ذلك كلمة «كوسج» الأعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلما تراهم يستعملون كلمة الاثبط العربية . بل إذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج . لكونها أشهر منها وعلق بأذهان الناس كما يفسر شراح الحديث كلمتي «الدجر» و«اللياء» العريتين بكلمة اللوياء الأعجمية المعربة

وقد كثرت استعمال الدخيل والاعراض عن الأصل في كلامهم كثرة تشر بأن هذا الصنيع طبيعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسا لأهل اللغة من ورائه غاية محدودة : هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارستها هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والأعيان . أما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والأحداث كاللبوس فهذا ربما ضر الإستكثار منه فيما أظن : إذ يكون مدرجة لضياع اللغة ومسحها وتحويلها عن أصلها . وقلما نجد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو اسلوبا خاصا من أساليب كلام الأعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها وإن كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي «الهرج . والنفاق» الحبشيتين . (١)

وأكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في زمن الجاهلية فلم يخط القبايل التي عاشت مع الأعاجم وكثرت امتزاجها بهم كفسان ونخم وجذام . ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم أن اللغة بمجموعها جواهر وأحداثا محولة عن لغة أعجمية كما اثبتناه

(١) المنار : الكلمتان عريتان ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداخل واضطراب وقتل وقول أبي موسى إن الهرج في لسان الحبشة القتل لا يدل على أن العرب أخذتها عن الحبشة وربما كان العكس . والثانية مشتقة من النافقاء (راجع ص ١١٨٨٥)

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في اقدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم اذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وانما يرجعون إلى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضمنون أو يشتقون للمعاني التي تحول في نفوسهم من الكلمات ما يفضيهم عن التطفل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والأعيان . فقد يتعذروا ويتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد أن ضرب المستضعفون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيلار واللوييا والباذنجان والكوب والا بريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والداق والدرهم والدينار والعربون إلى غير ذلك أسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الأسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا إلى أن يرجعوا بها ويلقوا حبلها على غاربها اه المراد منه وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

نصيحة

﴿ لمسلمي يروت عامة ، وفتيانهم الشجعان خاصة ﴾

انني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلتكم على غيركم ، ووجوت منكم نكير البلاد ما لم أرجه من سواكم ، وانما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تنشيطاً للعاملين ، وتنبيهاً للخاملين ، ذلك بأنني رأيت من احترام الحرية عندكم ما لم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرها من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها على ضفتها - في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم .

ثم انني أقمت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأحييت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة ، عسى أن تكون الكتابة أعم وأفع ، ولا أقول ان هذا الامر المتقدم خاص بكم وإنما أرجو ان ترجموا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تتكون الحكومة الجديدة وتستقر قرجهم عنه بالقوة القاهرة ان لم يترجموا خوفا منها .

ذلك الامر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب ألقته في نادي الجامعة المصرية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لا سيما حرية أصحاب الصحف . وقد حددكم العقلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الاتهام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطاننا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم : ان جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود الى ذلك . ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فانبرى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء حبه قسائل الاولون وانتهى الكلام بالتدابير لرجال لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر ولما جاءه السؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقنصتها بأن الإهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل عمله يصبر به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وإنما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئ . وقلت لهما ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرها من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناولات من جرائد كانت بجانب نسخة من المويد فأطلعتهما على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية. وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبل أيدي بعدان كانا أحديهما ممي حديث الخضم مع الخضم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال مصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخطائهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بائع تلك الجريدة فمزقها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل إهانة بعضهم بالفعل . وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رأي استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزمهم . وأقمته بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين يهان بهوانهم ويعتز بهمزتهم ويشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو رجحا من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مقاسد هذا الشقاق الذي يلقيه بعض أهل الأهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فاشتد مقتنعا شاكرًا

هذا ما تركت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فإذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه مامعناه : انكم قد تركتم الاسلام وأبى الدليل على اسلامكم وأنتم تصلون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالمعاهرات . فقلت في نفسي لو كان

(المناج ٢ م ١٢) التفرق أضرب على الأمة من كل ذنب ١٤٧

هذا الخطيب في يروت لا نزلوه عن المنبر بالقوة ومنعوه من إتمام خطبته مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل ان مسلمي يروت أقرب الى الخير والاستعداد للترقي من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة واكثر ما ينفذ عليهم مما ذكر يقع منهم بحسن النية غالباً لا أعرف فيهم غير رجل واحد يحب إثارة الفتن بسوء نية ولمله يندر ان يوجد له أقتال ونظراء في ذلك

فالذي تنصح به لم وغيرهم هو ان يطهروا انه لا شيء أضرب على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كان في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرراً كبر الكبار - كالقتل والزنا وشهادة الزور - هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزتها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من المفسد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك توعد الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتوعد على غيره بل جعل المتفرقين في الدين برآء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دینه فقال (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشقة بعضهم لبعض يوم بعاث (٣ : ١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فالتدبر للقرآن يرى انه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن نكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحقره أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمراً بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول ان الاهانة والايذاء من المعروف ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالتي هي أحسن فهل يرضى

منا ان نجادل إخواننا المؤمنين بالتي هي أسوأ وأقبح؛ أما ما قال الله عز وجل (١٦:٥١٦) أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) اما قال مع ذلك (٣٣:٢١) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ؛ ان الله تعالى ما ذكر فرضية الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع النهي عن التفرق والاختلاف إلا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الأمة وحفاظها فأقامتها تمنع التفرق كما قال الأستاذ الامام فاذا جملنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببا للتفرق والاختلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلنا مقصد الدين وقضنا ميثاقه وقطعنا ما أمر الله به ان يوصل وافسدنا في الأرض (١٢:٢٥) والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المنشور في الجزئين الثامن والتاسع من مجلد المنار العاشر ولا يصلح لها على الإطلاق الا أهل العلم والعرفان . فأني إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالأفتيات على أهل العلم وحملة الاقلام والتصدي لأمرهم ونهيهم . بل وجد من شياطين الافساد والتفريق من اغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة !! حدثني بذلك بعض شبان بيروت قلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما من اداء الصلاة لأننا غضباناه بحق أو ياتل ؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصمة في كل طاعة من الطاعات . ولا يبيع لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله تعالى بعثة نبينا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل أحد من المسلمين الذين يعتقد أحد من بعده الا ما قاله الامامية من الشيعة في الائمة الاثني عشر من آل بيت النبي بسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فلم مما ينه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو من المفسد المحرمة شرعا والقيحة عقلا وكل من يغري بها فهو شيطان رجيم يجب

(النازح ٢ م ١٢) ما يستطيعه قتيان يروت من خدمة البلد ١٤٩

عصيانه والبعد عنه والاستعانة بالله من شره . والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبحها وإثمها قال الله تعالى (٥ : ٢) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

بعد هذا كله أقول لقتيان يروت الذين يعرفون بقسب «الأبضايات» انكم أيها الشجعان البواسل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون محافظون عليها حتى اثني عليكم العقلاء في غير بلادكم بمالم يشنوا به على سواكم ألا وهي محاسنة خطائكم وعشرائكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة . فهل يليق بكم بعد فضيلة مسالة هؤلاء ان تتلو ثواب رذيلة معاداة من يشارككم في كل شيء حتى في الدين فتكونوا كن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤) بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ؟ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يغشكم الفاشون فلا تكونوا آله لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان تخدموا بلادكم باتقان كل واحد منهم لعماد فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك . انكم تستطيعون ان تتعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتتعاونوا على إصلاح ذات الين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تقدررون على الهيمنة على العلماء والسياسيين والمراقبة على الخطباء والمحربين ونفع الأمة بإيقاف هؤلاء عند حدود لا يتعدونها . وانكم اذا تصدينم لذلك تضررون الأمة ضررا عظيما . ولا تستقلوا ما قلت انكم لا تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالأمن والراحة العمومية وهو أول شيء تطالب به الحكومة فاذا قمتم في يروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجليل ومن الله الثواب الجزيل

رحلة صاحب المجلد

﴿ في سورية ﴾

٤

حمص . وحاطا الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٥٥ دقيقة مساء فاذا بالضيف الكريم والولي الحميم السيد عبد الحميد افندي الزهراوي ينتظرنني فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد زيهان الذي حبيه البناء على البعد مائى النيا من عقله واخلاقه وجبه للاصلاح مع علمه وحسن سيرته . أقمت في حمص أربع ليال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها أكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت المداخلة خاصة بهم ليلا ونهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة ما لم أراه نظيرا في سائر البلاد السورية ولا بيروت فان جل مامد حناه من أهل بيروت هو ترك القتال والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيد عن الآخر في المعاشرة والمعاملة الا ما لا يخلو منه مكان بحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى انني قلت لكثيرين منهم انني ارى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبيا لا ايجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة اللبنانية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزاور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابى

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص ونصاراها شديد لمادة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرائد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فتني ما رأيت في بيت من بيت طرابلس ولا بيروت مثالا رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم اتيت لم أر في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والافتيات على الحكام والتبرم من جمعية الاتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس مؤلفين متعارفين لا ينقم الناس منهم شيئاً ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذاً وقلما اتفق هذا للجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

نعم انه ينتقد على أهل حمص ما ينتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشرعوا في عمل مفيد للبلاد . وقد حثت طائفة من الوجهاء على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الأهلية ومساعدة الفقراء على تربية أولادهم وتعليمهم فألفت منهم ارتياحاً واستحساناً وقد مرت الشهور ولم يشرعوا في العمل ولكنا لم نأس من همتهم وغيرتهم فحسبنا ان نسمع منهم عن قريب ما تقر به العين هذا وان عمران حمص ينمو نمواً عظيماً والزراعة والصناعة تتقدم فيها تقدماً مديناً ولكنها متخلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التأنق في الاطعمة بين مثل طرابلس وبيروت ودمشق وبين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلهية فالظاهر ان التأنق في حمص خاص ببعض أهل السعة والبيوت المطروقة وان الفقير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كثير من المدن ، واني لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسها الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الحلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . فقلة التنوق في الاطعمة بمحمص محدودة لما عندي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتجعل حظاً منها عظيماً للتعليم والترية

طرابلس أيضاً

سافرنا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (١٣١ أكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسه» فوصلنا إلى طرابلس بعد العصر وطفقت أنهي السفر إلى مصر ، وكنت عازماً على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفمبر) ولكن عرض ما حال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) رغبت إلى متي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية اسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجوه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأهمها إنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على نفقة الجمعية وأولاد الاغنياء بالاجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بماله وحاله واستحسن أن أدعو الوجاه والاغنياء إلى ذلك فقلت له انت كيرالبلد وزعيمها وانا قدصرت غريباً او كالفريب لاتي مسافر بعد ثلاث فاذا لم تقم انت بهذا العمل لا ينجح . ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة فآتي أوضحها لهم وأبين وجه الحاجة اليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ وأقول هنا ان رشيد افندي كرامي متي طرابلس على كونه سيد بلده وأوسع أهلها ثروة وجاها هو أقرب وجهائها وأغنيائها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطيبهم نفساً وأبسطهم مع القصد والروية يدا كما يظهر ذلك لمن يعاشره خلافاً لما عليه أكثر الاغنياء في بلادنا فهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كبد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منهما على ابتكار العمل والنهوض به بل يقولان مثلاً كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجبكم اليها . وإنما كان هذا يساعد بالعمل وذالك يساعدان بالمال فهما خير أغنياء بلادها

كان عنده حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد المشروعات هو عدم الثقة باجابة الناس وثباتهم على العمل ولا بن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى ككثرة أعمالها وما لا حاجة إلى بيانه الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القلمون فباتت ثباتي وحاجتي وأرسلتها إلى الميناء في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المفتي كان وعدني بجمع الوجاه ليلة السبت لاجل تأسيس الجمعية الخيرية فأفئته قد أوجأ

دعوتهم للاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لان الولاية امرت بإتمام الانتخاب يوم السبت ولكنرة الامطار التي كان يظن انها تحول دون عودتي من القاهرة على قرب المسافة وقال ان اقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه إذا نحن دعوناهم بعد انتخاب المبعوث غداً هو ليلة الثلاثاء فوأيستبان أرجى السفر أسبوعاً لأجل إتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبة

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلاً لإجابة لدعوة المفتي وهم من وجهاء لواء طرابلس لا المدينة نفسها فقط فخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنراعيها وتأثيرها في ترقية البشر في العلم والأعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقية حتى ان الرجل الأفريقي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن يذل شيئاً من ماله لمساعدة فقراء أهله فإنه إنما يرميه إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حوالة مالية في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضع في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الأمور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشهود الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان رج بالمال به فيها رجلاً عظيماً أن يخصص ليلة بمجمل دخلها للجمعية الخيرية الاسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية ثم قلت: أيها السادة ان حكومتكم قد دخلت في طور جديد فصارت ديمقراطية أمرها بيد الشعب بعد أن كنت استبدادية شبه الاستقرائية بالانغناء والشرقاء من النفوذ فيها واعلموا ان كثيراً من الأحرار الذين اقبلت السلطة الاستبدادية بسببهم متطرفون في الدية الخطية وان معظم الأحكام ستكون في أيديهم عاجلاً أو آجلاً وأن الشعب سيشرع بهذا سبب اليه كراهة الكبراء والأغنياء فيكرههم وتنفخ فيه روح الاشتراكية فيبيع عليهم بالعمل فإذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أشرت اليهم وكن والي الولاية منهم أيضاً فاعلموا ان ما تعودتموه من

الجاه والكرامة في وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحبكم بتحييم اليه قبل ذلك والا دهوركم واسقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافرنجية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوروبا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الى مثله من كونت ودوق ومركيز ثم يقوم من طبقات الشعب الدنيا من يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق . وما أظن ان صدوركم تنشرح لتلك الحال ولا ان اعينكم تتهيج برويته . واني أحب ان تكونوا أنتم زعماء بلدكم في زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تتجهبوا الى الشعب هذا اليوم بنشر التربية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله

اني لا أحب الارستقراطية وان كنت من بيت شريف ، واني ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين ، وانما أميل الى بقاء زعامة وطني في وجهاته واياكم أعني لاعتقادي انه لا يوجد في دمهاته من يصلح للزعامة كما وجدني فرنسا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد ، ان فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استعدت ما لم نستعد بمثله نحن اليوم حتى نبغ فيها من دماء الشعب من يصلحون للزعامة بعلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقهم

اني لعلمي بهذا الفرق ولما رأيت في بلاد مصر التي تمت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحب ان نستبر نحن العثمانيين بحال الأمة الانكليزية التي هي أعرق الأمم في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الأمة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا . وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا وتسلق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجهل يتف في طريق نهضتنا وأن عناية وجهائنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أتوا البيوت من أبوابها فتهبهم في الغالب على شيء من الاخلاق والعلم أو الاختبار

ثم قلت ان خدمة الأمة والتعجب اليها لما يكونان بالتعاون على تربية أولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المنكوبين والمهوزين من فقرائها وذلك لا يتيسر

الا بتأليف جمعية خيرية يجمل معظم زعماء الانشاء المدارس وبقية لإغاثة المنكوبين والمعوذين وهذا ما أودعكم اليه الا كتاب له يسان قضية المقي الخريص على هذا العمل المبرور الراجب في هذا السعي المشكور وسبجكم في ليلة أخرى لأجل المذاكرة في القانون الذي بوضع تلك وانتخاب الاعضاء العاملين . ثم شرعنا في الا كتاب والتمعه التي في ورقة كتبت في اعلائها ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم

« وتعاونوا على البر والتقوى »

هذا بيان ما تبني به الدوائر المذكورة اسماؤهم بخطوطهم اذناه لتأسيس جمعية خيرية اسلامية في طرابلس الشام لتشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة العصرية وإلغائه المصايين والمنكوبين المعوزين بمقتضى قانون بحري العمل بوجبه بعد إقرار المكنيين له في اجتماع خاص وقد جري هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٢٦ للهجرة الشريفة .

في اسماء المكنيين لتأسيس جمعية خيرية اسلامية بطرابلس الشام

ونذ كر اسماء المكنيين مع الاقارب وهم كتبوها مجردة كما هي المادفون فيها على حسب قيمة الا كتاب

ليزة عثمانية

- ١٠٠ هادي اللوات وشيد افندي كرامي
- ١٠٠ عمر باشا الحمد من اعيان اللوات
- ٥٠ عثمان باشا الحمد
- ٥٠ علي باشا الحمد
- ٥٠ مصطفى افندي عز الدين من كبار التجار
- ٥٠ عبد القادر باشا الملا رئيس شركة الترام والشوارع
- ٥٠٠ ابراهيم بك الاحمد من اعيان

ليرة عثمانية

- ٠٠٥ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (الحالي)
 ٠٠٥ خير الدين بك حدره من كبار التجار
 ٠٠٥ عبد الحلي افندي الملك من الوجاه
 ٠٠٥ عبد القادر افندي القباقي البيروني الشير (وكان في طرابلس)
 ٠٠٥ عبد القادر افندي اللوق من كبار التجار
 ٠٠٥ محمد فؤاد افندي اللوق
 ٠٠٥ محمد صديق بك (غير قلم متكو بجي الولاية) الذي كان وكيل المصرف يومئذ
 ٠٠٥ محمد كامل بك البجيردي صاحب جريدة طرابلس
 ٠٠٣ عبد الطيف افندي الفلايني وكيل الدعاوى
 ٠٠٣ محمود افندي السداد من التجار
 ٠٠٢ الشيخ اسماعيل افندي الحافظ رئيس كتاب المحكة الشرعية
 ٠٠٢ صبيح بك شريف
 ٠٠١ عبد الرحمن افندي اديب من التجار

١٩٣٦ المجموع

وقد وعدني بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر مما كتبوا منهم مصطلقى افندي
 عز الدين والشيخ اسماعيل افندي الحافظ كما وعد بعض من حضر وكتب اسمه ولم
 يبعين بلانا كتب الله افندي الثمين من كبار الوجاه اصحاب النفوذ الادبي في اللواء
 وعضو مجلس الادارة الآن

هذا وان الذين اجابوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعاهم
 المتقي - وقد ابنى حضورها بعض المتقربين بالجد التليد الذين يرون انهم يستفنون
 به عن الجهد الطريف ومنهم من صار يسمى بعد ذلك في لبطال العمل ويشيط عنه
 وكان لسعيهم هذا تأثير اوقف التنفيذ إلى أجل ولولا ذلك لما ذكرت عن امر
 هذه الجمعية إلا ان جماعة من أهل الفضل في طرابلس تسبوا جمعية خيرية
 إسلامية فلم الشكر والله

يوجد في كل بلد أفراد مجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويوثق لهم منظر الخير في غيرهم لأنه بعمله تحلى بما أعوزهم وأعجزهم فهم يقدمون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويففونها عوجاً . لأجل هؤلاء أحب مقى طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بعد دعوة جميع الوجهاء حتى لا يعتذر بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لأنهم لم يدعوا إليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأي

على أن بعض من دعي ولم يجب من ذكرنا ومفهم اقتديوا بالإحباط العمل والتثييط عنه حتى ان منهم من لم يستح من مخاطبة المقى نفسه بذلك ولما لم يجد وجهاء وجهاء التثييط قلاله انه لا ينبغي السماحكم ان تقوموا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابته المقى جواب العاقل الفاضل فقال أولاً ان هذا العمل خير لا ريب في نفعه وفائدته فسواء كان من دعائي اليه دوني أو مثلي أو فوقى لا فرق في ذلك وثانياً ان الداعي الى ذلك هو واحد منا ومن أهل العالم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حمله عليه ولا هو يريد الإقامة في هذه البلاد فنقول انه ينفرد بشرف العمل فيه سجا بالشهرة الخ

إني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل للمقى ولغيره كففت عن السعي فيما كنت آخذاً فيه من تأليف لجنة موقفة لإدارة العمل والدعوة إليه ان يشترك في الجمعية عدد كبير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من افرادها أعضاء للإدارة . وكنت اسمى الى من اظن فيهم الخير في يوتهم ومحل محلم . وإنما كففت لأرى ماذا يصنع المعتذرون او المشبطون هل يتقنون مع المقى وينهضون بالعمل ام يرتاحون الى السكوت عنه لأنه هو المأمور لهم بالذات؟ فبين بعد ذلك أنهم لا يريدون إلا إحباط العمل لأنهم لا يعملون الخير ولا يحجون ان يعمل غيرهم وقد كتبت في مذكري في أوائل شهر ذي القعدة مانصه : ذكرلي غير واحد من الوجهاء أن نجاح الجمعية الخيرية الاسلامية بطرابلس لا يرجي وان الذين اكتبوا إنما استعجوا مني وهم لا يعتقدون أنهم يدفعون شيئاً بل قالوا ان المقى نفسه يسايرني مسaire ويهدني بأن سيبدأ في جهده وهو يعتقد ان الله يصير سيظهر من غيره . وألح علي (فلان) .

بأن أترك التشبث بالجمعية . وظهر لي أنه يرى أن ذلك يفر القوم مني من حيث لا أشتد
 مما أريد شيئا » الخ ما كتبه في شأن أفراد معينين ، من قاتل ومقول فيه
 أ كتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمفتي وغيره السبب في
 اكتفائي بعد ذلك باتقاء نفر من برجي نجدتهم لإدارة الجمعية وقتاوايذان المفتي بذلك في
 يوم الأربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ ديسمبر ١٩٠٦) بعد دعوة كل واحد منهم على
 حدته ووعدته لي يبذل الجهد في ذلك إلا واحدا منهم (وهو محمود أفندي الملا) قال
 أنه لا يدخل في العمل إلا بعد أن يشرعوا فيه بالفعل ، وإن لي رجاء قوي في همة المفتي
 وغيره وهمة أولئك الأنجاد بأن ينهضوا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هدوء الاضطراب
 الذي أحدثه ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة . واتي أساعدهم بالقلم
 من هنا وكون عوناهم على اليائسين الذين لم يكتب ما كتبت الآن إلا ليعلموا أن
 كيدهم في تضليل «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس الشرعي

لقد علم القاضي والداني من عثماني وغير عثماني أن حكومة الاستبداد الماضية قد
 أسرفت في الجور على بيتنا وظلم أهلنا انتقاما مني (راجع فاتحة السنة الثانية عشرة
 في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم أنه لما توفي والدنا تغمده الله برحمته صرت أنا
 المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام
 التوجيهات الناطق وفقا للشرع بأن يوجه ما ينحل عن الوالد من الوظائف المتعلقة
 بالأوقاف إلى أكبر أولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجهت تولية مسجدنا
 على رجل آخر اسمه عثمان النصري واشتهر أنه أعطى القاضي (نوري أفندي) على
 ذلك أربعين ليرة . ثم أعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن - على مائة وذا -
 سبعين أو ثمانين ليرة فعزل عثمان النصري بعد دعوى ملققة ووجه التولية على محمود حسن
 فلما أردت السفر من طرابلس إلى مصر قدمت دعوى إلى المحكمة الشرعية
 ملخصها أن تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة واتي أنا صاحب الحق
 في هذه التولية فأطلب توجيهها علي عملا بالنظام وإذا فرضنا أن توليته صحيحة فإني
 أثبت حياته بترك معاهد الوقف عرضة للخراب وترك عمارة ما حارب منها في زمن

تولى والزيادة في النفقات والنقص من الربيع ووكلت غني وكيان شرعين تمهيات
السكر فحدث ما ذكر آتقا من الشئب بتأسيس جمعية خيرية ثم جاء نابري بأن نيابة
طرابلس (أي قضاءها الشرعي) وجئت الى عبد المجيد افندي الجعفري وأنه سيحضر
من الأستاذة قاضدا طرابلس ثم لم يلبث ان حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي انني أقول لك وان كان لا ينبغي القاضي
ان يصرح برأيه قبل الحكم ان حاك ظاهري وانني سأعيد ذلك بعد استيفاء المطالبات الشرعية
... وكنت على ثقة من ظهور هذا الحق اعتقدت ان الدعوى تنهي في اسبوع أو اسبوعين
فأجلت السفر وتأملت سير الدعوى بنفسي وأنا أظن في كل أسبوع انني افترغ فيه من
الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الإقامة في سورية خمسة اسابيع فقط
لكثرة شغلي في مصر فأقمت ستة اشهر والدعوى على حالها يزيد هذا النائب كل يوم فتقديدا
انني لم أك اجالس هذا القاضي مرة بين أو ثلاثا الا وقد جزمتم بأنه سيهان في
طرابلس إهانة لم يسبق لها نظير فكنت حريصا على إنجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة
حاله التي تنفي ما توقعته بالقراءة وكشفت به غير واحد ولكن هذا القاضي لا ينجز
عمله ان يفتد مثلي في نيل حقه على انه محق وقادر على إثبات حقه

انتشأ هذا القاضي يوم جيل جلسات الدعوى ويبحث وكيالي الخصمين على كتابة ما شاء
في جريدتها ويماطل في قراءة ما كتبنا وقد ثبت لديه ان تولية المدعى عليه غير صحيحة
وأنه خائن تارك للعبارة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف من قبل المحكمة وشهادتنا لشهود
ومع هذا لم يحكم بشيء حتى آن الأوان وضع الألف من الناس بالشكوى منه واجتمعوا
عند المحكمة وهم ألف يأمرون فليسقط القاضي الظالم المرتكب وشكروا أمره الشيعي
الاسلامية فامرت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدتنا لسان الحال
وغيرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث مصاحفي امته
الوكلاء (الخامون) من الهجي الى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع بحكمه بعد كتابته
ومنها كراهته الحكومة الدستورية واعتنازه بكونه من جمعية قد اكرام ملت و قد
علنا بعد ذلك أنه كان تابيا في صيدا فأحدث فيها فتنة حتى هرب منه لبلدان ذلك شأنه
في كل بلد كان فيها حاكما

قانون المطبوعات وتقييد الصحافة بمصر

لم نكف نستقر قدما بمصر بعد هودتنا من سورية (في الأسبوع الأخير من هذا الشهر) حتى صنع سمعنا نيا منم الحكومة على العمل بقانون المطبوعات الذي وضع عقب الثورة العراقية لئلا تعيد الجرائد ذلك التسيج سيرة الأولى ثم سمعنا ان هذا كان من اتفاق بين الأمانة المصرية والحكومة الانكليزية وان نظار الحكومة المصرية لم يكن لهم به من علم الا ان يكون رئيسهم الجديد بطرس باشا فخالي وانهم عندما خرجوا طلب تقرير ذلك القانون اياهم وقضوا الاستقالة على ذلك وروى بعض الجرائد الانجليزية ان سعد باشا زعمول ناظر المعارف ومحمد سعيد باشا ناظر الداخلية هما اللذان عارضا وكانا يستحيلان ثم اقضا فلم يستبلا وان الوزارة لم ترض اخيرا بتنفيذ ذلك القانون الا بعد تعديل ماوافق على عدم التصديق به على المطبوعات ولا المراقبة على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها وتخص المراقبة الجرائد لقننها من الاسراف في العطن والتهباء الذي لم يسلم منه الأمير ولا رجال الحكومة فضلا عن غيرهم ومن تسيج الناس على الأعمال التي قد تحدث الاضطراب وتغير السخط العام على الحكومة . ولقد كان وقع نيا هذا القانون اليها شديدا على رجال الصحافة وغيرهم ويخشون ان يكون مبدأ نشر اعظم منه الأمن هم على رأي السلطة التي أعادته

كان الادارة الانكليزية في مصر مؤيدان عنليتان لا نزاع فيها ويقول الكثيرون انه يكن ظا من مزية سواهما الا وهما يسر البلاد المالي وسرية الطباعة وقد ذهبت العسرة المالية منذ سنتين بالزيرة الأولى وكانت انكلترا قادرة على توفيرها كما خرجت عسرة أمريكا التي هي أعظم منها بكثير من الاضغف فاذا زالت المزية الثانية بقانون المطبوعات اتقدم الجديد فاية مزية تبقى لهم في مصر ينون بها على البلاد ويقاضون بها الامم نو كلا الأمرين حدث بعد مقدرة لورد كرومر لمصر وهو الذي كان صاحب الميزتين عن ان الحزب الوطني وجرائده واكثر الجرائد الاخرى ومنها المريد كادوا يحسرون شكواهم من الاخلال في شخصه فصاروا كثير من اليوم تحت قول الشاعر :
رب يوم بكيت منه فلما هربت في غيره بكيت عليه

بإذن المحكمة من نظام من وزارة العدل
غير كذا وما يندرج تحتها

المجلد الثاني

في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٧
أوائل الذين هم أول الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - الاربعاء ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٧ - ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

فتاوى المبتلى

فهذا هذا الباب لا حاجة لأسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وبقاقد من امتاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولما في على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكروا مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

مسألة خلق القرآن وقدمه

(س ١٠) من جدة (الحجاز) لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج رأس السنية سيدي محمد رشيد
رضا افندي منشي مجلة المنار الفراء لا زال في مقام كريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - من العجب أني لم أعتد في مجلدات المنار
على مبحث في القرآن المجيد المكتوب في المصاحف الخ تكونون كتبتموه أو سئلتم

(المجلد ١٢٣) ضرر الفرق والمذاهب - الاعتقاد بالقرآن ١٨٣

عنه لنكتفي عن أن نستلزم قسوم من غيركم على الدين الإسلامي إن تقيّدوا بما هو الحق الذي يجب اعتقاده في مسألة القرآن الواقع فيها الخلاف بين الجماعة وأتباع الحنفية والمالكية والشافعية الآن ببيان الثاني الكافي بأدلة الفريقين ونرجيع أي الاعتقادين على الآخر لأنّ لكم القدر المظلي في هذا الفن ولكم الأجر والشكر في الدنيا والآخرة
محمد حسين

(ج) اعلم يا أخي قبل كل شيء أنه ما أضر الإسلام والمسلمين شيء كاختلاف والفرق فيه إلى شيع ومذاهب يوجه كل باحث منهم قواه إلى تأييد أقوال مذهبه الذي ينسب إليه وتفنيد كل ما يخالفه ولذلك وردت الآيات والأحاديث الشريفة في حظر الخلاف والتشجيع على التحالفين حتى قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٥٩: ٦) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء (١) وقال للمسلمين (١٠٥: ٣) ولا تكونوا كالألدين تفرقوا واختلّفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (٢) ولعل الجليل بمسألة من المسائل مع الوقوف والاجتماع يكون أحيانا خيرا من العلم بما مع الخلاف فيها والفرق ولذلك كان النبي (ص) يريد أن يبين شيئا قبيحا يانه لأجل خلاف المسلمين في الحاجة إليه كما فعل يوم أراد أن يكتب لهم كتابا أن يضلوا بعده أبدا كما في صحيح البخاري . وقريب من ذلك ما كان حين أراد أن يبين لهم ليلة القدر كافي الصحيح أيضا وغرضنا من هذا تذكير السائل الكريم بأنه لا ينبغي له ولا غيره أن يسأل عن شيء لأجل تأييد ما يراه هو فيه ويبان خطأ الخالف له من المسلمين

واعلم يا أخي ثانيا أن المحاكمة بين المذاهب لأجل ترجيح بعضها على بعض هي من أقوى أسباب الحل على تعصب أهل كل مذهب لمذهبه وملاحاة الخالفين لهم ومعاداتهم وقلا يوجد منسب إلى مذهب ينظر في قول الخالف وفي دلائله نظر المستعني للحقيقة بل ينظر إليه بعين التقدير والبحث عن مواضع الضعف ولو في التعبير ليهجم عليه من موقع ضعفه فينقض بنيانه ويدين بطلانه

إذا علمت هذا وذلك وأنت تعلم أن النار أنشأ للجمع والتوفيق لا للتخلل والتفريق تبين لك وجه العشر في عدم الإجابة إلى ذكر أدلة المذاهب في المسألة

١٢٨٤ ضرر الفرق والاطلاف والذاهب . الاعتقاد بالقرآن (المارح ٣ ١٢٢)

والرجيح بينها مكتفيا ببيان الحق فيها وهو ما كان عليه السلف الصالح من غير جدال ولا فضال ، ولا ما كره لنا الله من القيل والقال

ان هذا القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المنور بالأنسنة هو كلام الله المنزل على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والرسول المبلغ له من الله تعالى ليس فيه صنع ولا عمل . والقول بأنه مخلوق على الإطلاق أو باعتبار قراءته أو كتابته من البدع المذمومة التي لم يأذن بها الله ولا قال بها رسوله ولا أصحاب رسوله ولا التابعون لهم في هدايتهم ولا هي مما يحتاج إليه الأمة في حفظ دينها ولا مصلحة دنياها . ومن البدع أيضا أن يقال ان حروفه مخلوقة وان قراءتي له مخلوقة . وربما كان ذريعة إلى ما هو شر منه مع عدم الحاجة إليه وضرر إضاعة الوقت في مثله

اننا لم نخض في مسألة الخلاف في خلق القرآن اتباعا للسلف ولكننا بقا في تفسير أول آية من الجزء الثالث من القرآن معنى كلام الله وتكليمه وكون كلامه عز وجل شأنا من شؤونه قلبا بقدمه . واتباع مذهب السلف يخضعون الخوض في الخلاف فعن نين الحق الذي نستقده وتدين الله به وتدعو إليه ولا نريد على ذلك . وقد كان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى كتب في رسالة التوحيد جملة في مسألة هذا الخلاف ثم اعترف بأنه أخطأ مذهب السلف في ذلك وأمر بحذف تلك الجملة من الرسالة في الطبعة الثانية ولما وقفنا لطبع الرسالة ثانية مصححة بتصحيحه حذفنا تلك الجملة منها

ومن المعلوم أن فتنة القول بخلق القرآن حدثت في أول القرن الثالث عشر لما ان تجلأ نسيا منسيا وتكون في ذلك كأهل القرن الأول والثاني . فإن قيل كان يكون هذا حسا لو رضي الناس به وجروا عليه ولكن المسألة لا تزال تهرأ في الكتب فتعلق شبهة البدعة ببعض الأذهان فوجب إبطال تلك الشبهة التي يزعم أصحابها أنهم جاوزوا إحقاق الفلسفة إذ جعلوا القرآن عشرين منه كلام قسي وكلام لفظي وقالوا هذا حادث وذاك قديم . قلنا ان المجادلات النظرية تحي تلك النظريات الفلسفية وإنما نتميتها بالذهي عنها عنها وبيان الحق الذي كان عليه السلف لا يرى غير ذلك وبالله التوفيق

﴿ جعل الدية على العاقلة وحكمة ذلك ﴾

(س ١١) من بيروت لصاحب الامضاء

حضرة العالم الفاضل والغيور الصانع مقدم الامة الاسلامية السيد محمد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار الاعز

هل قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة الجاني (كما ثبت في
الصحيحين) جناية على الانسانية ، واجحاف بحقوق المدنية ، كما يظهر ذلك من
مقالة سطرت في جريدة - لبنان - الصادرة في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٦
عدد ٧٧٧ تحت عنوان (مجلس الادارة وجريدة لبنان) أم هو نهاية في العداة
ومحض خير للامة ، وغاية في حفظ دماء البشر ، وتعليم للناس ليعين بعضهم بعضا
إذا اخطأ ، وزرية لهم حتى لا يمكن أحدهم ابن حيه باللعب بمسدس مثلا ، أفيدونا
الجواب ، ولكم من الله الثواب ،

سبب المقالة فيما يظهر ان بعض اللبنانيين يود انتخاب أناس من مجلس الادارة
وبعضهم يروم انتخابهم من مشايخ الصلح ومنهم صاحب الجريدة . حجة الفريق
الاول ان بعض مشايخ الصلح أخطأ في أمر ما فلزم لهذا الاعراض عنهم وتيمم رجال
مجلس الادارة لذلك قال كاتب المقالة ما نصه (بلا زيادة حرف)

« على انه إذا صح لنا تبديل النظام ونزع ذلك الحق من أيدي مشايخ الصلح
نخطأ ارتكبه واحد منهم صح استبدال نظام كل حكومة عند ما يرتكب أحد رجالها
جريمة من الجرائم ومجازاة كل مأمورها . وكانت مثلهم مثل العاقلة في الشرع
الشريف . فانه إذا قتل أحد الصاغة مثلا في قرية وما أمكن معرفة قاتله وجبت
الدية على جميع ابناء حرفه وهكذا مشايخ صلح وجب بحسب تلك القاعدة إلقاءهم
جميعا تحت تبعة ما يرتكبه أحدهم » اه ثم رد على من يتغنى الانتخاب من مجلس
الادارة اللبنانية وحض على الانتخاب من مشايخ الصلح اه كامل الفلايني

(ج) جعل الدية على العاقلة وهي عصبة المشيرة (العائلة) خاص بقتل الخطأ وحكمته تكافل العشيرة وتعاونها في المصيبة فهو من قبيل إيجاب النفقة للمعسر من الأقربين على الموسرين منهم على ما في هذا وذلك من التفصيل والخلاف . وهذا يرد زعم بعض الجاهلين بالشريعة أن الاسلام لم يقرر في امر العائلات شيئاً كأن العائلة لا وجود لها في الاسلام على أنه لا يوجد في شريعة الهية ولا وضعية من اقدم الشرائع الى أحدثها مثل ما يوجد في الشريعة الاسلامية الفراء من إحكام روابط القرابة ووشيجة الرحم من الاحكام والآداب ومن أهمها مسائل النفقات ومسألة جعل دية قتل الخطأ على عاقلة القاتل (وربما كان لفظ العائلة محرفاً عن العاقلة) لأنه لما كان معذوراً بخطأه وكانت الدية ربما تذهب بثروته لا سيما اذا تكرر الخطأ منه جعلتها الشريعة في عاقلة يتعاونون عليها وقد تقدم في التفسير من هذا الجزء وفي غيره كلام في تكافل الامة فما بالك بتكافل العشيرة

وحكم العاقلة ورد في الحديث لا في القرآن وقال العلماء في شرح بعض الاحاديث الواردة في ذلك انه يخالف لظاهر قوله تعالى (١٨: ٣٥) ولا تزر وازرة وزر أخرى) وأجابوا عن ذلك بجعل الاحاديث الواردة في ذلك مخصصة لعموم الآية بناء على قول جمهور أهل الأصول بتخصيص القرآن بأحاديث الآحاد ونقلوا عن بعض العلماء والمذاهب خلافاً فيها

قال في نيل الاطار : وعاقلة الرجل عشيرته فيبدأ بفنخذه الأدنى فان عجزوا ضم اليهم الأقرب فالأقرب المكلف الذي ذكر الحر من عصبة النسب ثم السبب ثم في بيت المال . وقال الناصر انها تجب على العصبة ثم على أهل الديوان يعني جند السلطان . وقال ابو حنيفة انها تجب على أهل الديوان دون أهل المبرات ولم ينكر هكذا في البحر . ولا يخفى ما في ذلك من المخالفة للأحاديث الصحيحة وقد حكى في البحر عن الأصم وابن علية واكثر الخواارج ان دية الخطأ في مال القاتل ولا يلزم العاقلة وحكي عن عاتمة وابن أبي ليلى وابن شبرمة والبيهقي وأبي ثور ان الذي يلزم العاقلة هو الخطأ المحض وعند الخطأ في مال القاتل لم

أقول وورد في بعض الأحاديث المتأخرة مظاهره نسخ العاقلة كحديث عمرو بن

على تعجب الدية في ذمة القاتل أولاً بناء على هذا الأصل: والقتل قاتل غيره من
الحقوق في أسباب القصاص المنتصاه بالحكم وذلك أن دية القاتل مال كثير والعاقلة إذا
تعمل الخطأ ولا تعمل الصواب بالاعتقاد ولا شبهة على الصحيح والخطأ يندر فيه إلا ناس
فيجاب الدية في ماله في ضرر عظيم عليه من غير ذنب فعنده وانما اودم القاتل من غير
ضمان بالكيفية في اضرار اولاده وورثته فلا بد من ايجاب بدله فكان من محاسن
الشريعة وتعاليمها بصلاح العباد أن أوجب بدله على من عليهم موالاة القاتل ونصرته
فأوجب عليهم اطلاقه على ذلك وهذا كايجاب النقات على الأقارب وكسوتهم وكفا
مسكنهم وإعتاقهم إذا طلبوا النكاح وكذا ايجاب فكك الأسير من بلد العدو فإن
هذا أسير بالدية التي لم يتعد سبب وجوبها ولا وجبت باختيار مستحقها كالقروض
والبيع وليست قليلة الثالث في القاتل لا يندر على محله وهذا بخلاف الصمد فإن
الجاني ظالم مستحق العقوبة ليس أهلاً أن يحمل عنه بدل القتل ويختلف شبه الصمد
لأنه قصد للجنابة متعدد لها غير آثم متعدد ويختلف بدل الخلف من الأموال فإن
قليل في القاتل لا يكاد الخلف يصير عن محله وشأن القوم غير شأن الكاهن
ولهذا لم تعمل العاقلة مادون الثلث عند الإمام أحمد وبذلك قلته وأحسب
أنه وعند أبي حنيفة لا تعمل مادون أقل القدر كدرش الموصعة وتعمل ما فوقه
وعند الشافعي تحمل القليل والكثير على القياس وتظهر بهذا كونها لا تعمل الصمد
قلته سلامة من السلع ومال من الأموال فهو حملت بدله خلقت بدل الحيوان والمباح
وأما الصلح والاعتراف فعارض هذه الحركة فيما معنى آخر وهو أن المدعي
والمدعى عليه قد يوافقا على الإقرار بالجنابة ويشتركان فيما يحمله العاقلة يتصالحان
على تعريم العاقلة فلا يسري اقراءه ولا صلحه فلا يجوز اقراءه في حق العاقلة ولا يعمل
قوله فيما يجب عليها من الدرامة وهذا هو القياس الصحيح فإن الصلح والاعتراف
يتضمن اقراءه ودعواه على العاقلة بوجوب المال عليها فلا يقبل ذلك في حقهم ويقبل
بالنسبة إلى المتعرف كظاهرة

فتبين أن إيجاب الدية على العاقلة من جنس ما أوجب الشارع من الإحسان إلى
الاحتاجين كبناء السبيل والفقراء والمساكين وهذا من تمام الحركة التي بها قيام مصلحة

العالم فإن الله سبحانه وتعالى قسم خلقه الى غني وفقير ولا تتم مصالحهم إلا بسد خلة
 الفقير فأوجب سبحانه في فضول أموال الأغنياء ما يسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي
 يضر بالمحتاج فكان أمره بالصدقة ونهيه عن الربا أخوين شقيقين ولذا جمع الله بينهما
 في قوله (يحق الله الربا ويربي الصدقات) وقوله (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال
 الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضمضون)
 وذكر سبحانه أحكام الناس في الأموال في آخر سورة البقرة وهي ثلاثة عدل وظلم
 وفضل فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم
 المرايين وذكر عقابهم وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى والمقصود أن حمل الدية
 من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض العباد على بعض كحق المملوك والزوجة والاقارب
 والضعيف ليست من باب عقوبة الانسان بمجناية غيره فهذه لون وذاك لون والله الموفق اه
 فحين مما تقدم كله أن جعل الدية على العاقلة بشروطه هو من باب إعانة من
 وقع في مصيبة وتلزمه غرامة لم يعتمد سببها وانه من أسباب تكافل الاسر والعشائر
 (العائلات) وتضامنها وإحكام روابط المودة وتقوية وشائج الرحم بينها وان من كتب
 ما كتب في جريدة لبنان لم يفهم معنى كون الدية على العاقلة جملة ولا تفصيلا فكيف يفهم حكمته
 وهكذا نرى شأن الذين ينتقدون احكام الاسلام تصرحيا أو تلويحا يقولون
 ما لا يعلمون ويهرفون بما لا يعرفون فيجنون على العلم من جهة ويورثون الاضغان
 الدينية من جهة أخرى وما كان أغناهم من الخالين اذا لم يكونوا متعمدين للافساد
 كما هو شأن الكثيرين منهم

﴿ القضاء والقدر ﴾

(س ١٢) من مشترك بالسودان

جناب مدير المآر الأغر

بعد التحية، ذكرتم في صحيفة ٧٢٣ (ج ١٠ م ١) كلمة بخصوص مسألة القضاء
 والقدر. ولما كان المآر هو المجلة الوحيدة في العالم الاسلامي التي يهتم بها البحث في فلسفة

الدين وشؤون الاجتماع والعمران. وكانت مسألة القضاء والقدر هي الامر الذي اعترف به الصديق والعدو انه السبب الوحيد في تأخر المسلمين. رأيت ان ما ذكره المناوئ في هذا الجزء والاجزاء السابقة لم يشف غليل العقول ولا هو ذخر شيئا من أساس المبدأ الثابت في أدمغة العام والخاص القائل عنه (هي الدين بن تيمية) من اثنين مضت: فمن كان من أهل السعادة اثرت أوامره فيه بتيسير صنعه ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة وإذا كانت العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وإن هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمه المسلمون التي توجه للاصلاح والتقدم ليست إلا ضربا من التقليد والتشبه للام الحية التي لا تعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة لهمم والعقول فتزول منهم اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية الداعية لهذا التشبه لان الدين أرسخ في الازهار من مبدأ وقتي أثره تقليدي. اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين وتشعبت النفوس تدريجا بالمباديء الطبيعية التي تسير مع تقدم الامم أو تكون هذه المسئلة على خلاف ذلك إذا إن ما ذكرتموه في المثال (عن ولي عهد المانيا وأخيه بمصر) لا يبرهن للأوربي الذي يتبرأ من هذه العقيدة انه كان من الازل مقرر اصابة أحد الاخوين بالحمى ليتأخر عن الميعاد الذي حدد له سفره وانه لا بد ان يصاب به حتما بل هو يقول لك كما يقول العقل والعلم: انه لو لم يتعرض للاسباب التي أوجبت هذا المرض لسبب عدم علمه بها لسافر في ميعاده المحدد وانه كان في امكانه ان يتجنبها لو علم بها. فاذا مسألة اصابته بالمرض ليست محتملة له من الازل. ولا كان الله تعالى مخصصها اليه بالذات ولكنها تخصصت له منه تعالى بسبب جهله تلك الاسباب ليس الا... وبقول (منه تعالى) تخصصت له انه خالق كل الاسباب التي يتعرض لها الانسان بإرادته سواء علم بتأثيرها أو جهلها. فاذا قلتم حسب مبدأكم ومبدأي (ابن تيمية) السالف ان ولي العهد عقود له من الازل ان يحضر مصر وكان لا بد ان يمرض بمرضه هذا فقلت لكم ان الله الذي قطع يده بسبب ما سرق كان لا بد ان يسوقه الله تعالى للسرقة لزوم قطع يده الختم وتكون هنا إرادة الانسان ومشيئته في الدنيا والآخرة عما يفعل خسران (ع) حيث

ضروب السخرية وتتميم رواية ليس لها نتيجة . . . ونكون كما قال (ابن تيمية)
 وحكمته العليا اقضت ما قضت من الـ غرور يعلم ثم أيد ورحمة
 يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي يقدره نحو العقاب بعزة
 ويهدي أولي التعميم نحو تعميم بأعمال صدق في خشوع وخشية
 وما دامت الأسباب التي هي حجة للتأنيق مقدرة حتمية . . . فالتأنيق بالطبع
 تابعة لهذا الإلزام . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس إلا لتعميم رواية
 كلامية وإذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلزم من الأمم الإسلامية الماضية وما كانت
 فيه من الاضمحلال . . . ولا داعي لاستخراج نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الاخذ
 بأسباب الترقى والهرب من القديم ولا عيب على حكومات الاستبداد . . .
 ولا مانع من البقاء في الجهل . الخ . إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتفسير
 معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحرير القدر الإلهي القابض على
 الأسباب بيد حديدية

وعلى هذا . . . هل أقول مع (المنار) لاذين يعتقدون من غير المسلمين ان
 عقيدة القضاء والقدر بهذا الشكل هي السبب في تأخر المسلمين : (ان ما ينتقد
 هلى المسلمين من ذلك لا يرجع منه شيء الى الاسلام الخالص فما قدره فهو الحق
 الواقع في نفسه الذي لا يمكن اموئه ولا ملحد انكاره) ؟ أم ماذا نقول اذا كان
 ما سبق هو ما يريد المنار وتقريره ؟ وأشكركم سلفاً

(ج) لكل مقام مقال فتحرير النزاع ولرد الشبه مقال غير مقال التذكير بأمر
 مقرر ، واعتقاد محرر ، وقد كان ما ذكر في ص ٧٢٣ ج ١٠ م ١١ من المنار من القسم
 الأخير ونحن اتباعاً لهداية القرآن نكرر المسائل المهمة لا سيما في التفسير فنذكرها
 تارة بالايجاز وتارة بالاطناب وما اشرتم اليه هو قول الاستاذ الامام والفرض منه
 التذكير بأن الانسان ليس مستقلاً في عمله تمام الاستقلال لجهله وعجزه والنظريات
 التي ذكرتموها لا تنقض شيئاً من قوله بل تؤيده وحكم القضايا الممكنة ، غير حكم
 القضايا المطلقة كما هو مقرر في المنطق فقولك إنه كان في إمكان ولي عهد ألمانيا ان
 يتجنب أسباب المرض لو علم بها وإذا لا تُنفذ الترتيب الذي وضعه لسفره فمسألة

إصابته بذلك المرض لم تكن محزنة له من الأزل الخ قول ظاهر البطلان. لأن قضية مرضه جبرها الإطلاق لوقوعها بالقبل والامكان لا يناقض الإطلاق. وبعبارة عامية: أنه كان لابد من مرضه بدليل وقوة. وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض. على أن هناك أمراضاً تعرف أسبابها كالسرطان وأمراضاً تعرف أسبابها وقد يتعذر اجتنبها كالحسل نكتفي بهذه الإشارة ولا نضيع الوقت في المناقشة الطويلة ببيان بطلان كل نظرية من النظريات الباطلة التي أوردناها قفلاً أو رأياً وهي مشهورة لأن الإطالة في ذلك لا تزيد المسألة إلا تعقيداً كما صرحنا بذلك منذ سنين فقد قلنا في الدرس الرابع عشر من الأملالي الدينية التي كنا نلقيها بمصر الذي نشرناه في جزء المنار الذي صدر في غرة جمادي الثانية سنة ١٣١٨

« هذه المسألة من توابع البحث في العلم والإرادة وهي الفتن التي ابتليت بها الأمم فوقعوا في بحار الخيرة تدافعهم أمواج الشكوك ويلتقاهم آذي الشبهات (أي موجها) حتى غرق فيها أكثر الخائضين ونجوا الأقلون ومن عجيب أمرها أن العامة أعلم بها من الخاصة، وإن الأमीين أقرب إلى اليقين بها من السكاتيين، وإن شئت قل إن الجمل بمحققتها، تابع لسعة العلم بمباحثها، فكما زاد الإنسان نظراً فيها زاد عمياً عنها، لأن الخفاء كما يكون من شدة البعد، يكون من شدة القرب، الخ ما قلناه تمهيداً للقول « بأن المسألة في نفسها بديهة عوملت معاملة النظريات والبداهة كلما زاد البحث فيه بعد عن الإدراك، الخ

لقد قن علماء اللاهوت من النصارى في هذه المسألة كما قن المسلمون، وقد صنف المسلمون فيها مصنفات خاصة فما أغنت عنهم من شيء. وكانت تعد من المشكلات العقلية فألبسها أهل هذا الزمان ثوب المشكلات الاجتماعية وزعموا أنها سبب ضعف المسلمين ولاستاذ الأمام مقالة طويلة في إبطال هذا الزعم وبيان أن هذه العقيدة من أسباب التقدم والارتقاء تطلب من المنار (ص ٢٦٥ م ١٣) ومن الجزء الثاني من تاريخه (ص ٢٦٣)

إن الناس يأخذون من دينهم في كل عصر من الأعصار ما يناسب حالهم الاجتماعية حتى أن العقيدة الواحدة تكون في الأمة الواحدة مصدراً لآثار متناقضة في زمنين

مختلفين كقيدة القدر كانت في زمن من الأزمان مصدر الشجاعة والاقدام والفتح
والمران والكسب المسلمين وفي زمن آخر مصدر الجبن والكسل والتواني والتواكل
والإهمال . وأكثر الذين يتكلمون في ضعف المسلمين وأسبابه غافلون عن
هذه القاعدة وجاهلون حقيقة الدين فهم يجهلون المسلمين حجة على دينهم والدين
حجة عليهم بدليل أثره في سلفهم أيام كانوا بدينهم سادات العالم في كل علم وكل عمل
ومن البديهي ان الناس يتمسكون بالدين في أول ظهوره أشد مما يتمسكون به بعد ان
يطول عليهم الامد ، وتكون معرفتهم بحقيقته في أول العهد به أصح وأقوى منها بعد ذلك
ان السائل أو المتقدم لم يطلع فيما يظهر لنا على ما كتبناه في هذه المسألة بقصد إيضاحها
في السنين الأولى للنار وإنما وإن اطلنا القول فيها من قبل نذكر فيها الآن جملا
وجيزة تتجلى بها الحق لمن يطلب الحق بذاته لذاته بعد الاعراض عن النظريات
الفلسفية المشهورة في المسألة وهاك ما تريد بيانه الآن

(١ - القضاء) كان السلف يسمي هذه المسألة (مسألة القدر) ثم صار الناس يقولون
مسألة القضاء والقدر . وقد ورد لفظ القضاء ولفظ القدر في الكتاب العزيز بمكان
مختلفة لا يهمل من الالفاظ المشتركة في اللغة العربية

ورد القضاء بمعنى الفصل والحكم في الشيء قولاً أو فعلاً وبمعنى الاعلام به وبمعنى
إتمام الشيء وإنهائه قال تعالى (١٧: ٢٣) وقضى ربك ان لا تعبدوا إلاياه أي حكم
بذلك قولاً في الكتاب المنزل على رسوله . وقال (٩٠: ٩٣) ان ربك يقضي بينهم يوم
القيامة أي يحكم ويفصل بالفعل وقال (١٧: ٤) وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الأرض مرتين الخ وقال (وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبوعين) وكلاهما بمعنى الاعلام بذلك والخبار بوقوعه وقال (٤١: ١٢) قضاهن
سبع سموات في يومين أي أتم خلقهن . وقال (٢٨: ٢٩) فلما قضى موسى الاجل
أي أتمه . وأكثر ما ورد من هذا اللفظ قد جاء بهذا المعنى

ولم يرد في القرآن لفظ في القضاء يظهر فيه معنى المشيئة ويكون اصلاً فيما نحن فيه
الاقوله (٢: ١١٧) بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن

فيكون — ٣: ٤٧ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (ومثله في ١٩: ٣٦ و ٤٠: ٦٨ فالآية الاولى في مقام خلق السموات والارض والثانية والثالثة في مقام خلق عيسى عليه السلام والرابعة في مقام ذكر الاحياء والامماتة . وقد ورد هذا المعنى نفسه بلفظ الارادة قال تعالى (٣٦: ٨١ أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العظيم ٨٢) انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) والمعنى في التعبيرين واحد وهو عما لم يختلف فيه الاديان فاليهود الذين سأل سائلهم المسلمين مستشكلا معنى القضاء بتلك الايات التي اولها

أيا علماء الدين ذمي دينكم تخير ردوه بأوضح حجة

اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

يقولون بذلك . وقد اجبتنا عن سؤاله في (ص ١٢٥ م ٣) وأجاب قبلنا غير واحد منهم ابن تيمية الذي أورد السائل بعض آياته . وكذا النصارى الذين منهم الاوربيون لا ينكرون كون الله تعالى اذا قضى أمرا وأراد ان ينفذه بقدرته محالا كما هو مفهوم العبارة (ويراجع تفسيرها في المار وفي ص ٣١٩ من ج ٣ تفسير) لأنه لو عجز عن إيجاد ما يريد لم يكن إلهًا وإلا لشكل في مسألة القضاء الإلهي فرع الايمان بوجود الله اذ لا معنى للبحث في الفرع مع إنكار الاصل . فحاصل معنى القضاء في هذا المقام ان الله تعالى اذا أراد شيئا أو أنفذه وأتمه فإنما يكون ذلك على نحو ان تقول للشيء كن فيكون بلا إمهال ولا تمكث . ولا إشكال في هذا عند من يؤمن بالله مهما كان دينه

(٢ - القدر) القدر (بفتح الدال وسكونها) والمقدار والتقدير

ألفاظ وردت في القرآن بمعنى جعل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة فهي داخلة في معنى النظام والترتيب قال تعالى (٢٣ : ١٨) وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الارض) أي بمقدار معين له نظام يتعلق بتشبع الجو بالبخر ودرجة برودة الهواء كما قال (١٣ : ١٧) أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أي بمقدار ما يسعه كل واحد من الماء . وقال بعد ان ذكر بروج السماء وكواكبها والارض ورواسيها وإنبائه فيها من كل شيء موزون ، وما فيها من أسباب المعاش (١٥ : ٢٠) وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله

إلا بقدر معلوم) وقال (٥٤: إنا كل شيء خلقناه بقدر) فهذا القدر العام بمعنى ذلك
 القدر الخاص أيضا وقال في العموم بعد ذكر أمور خاصة (١٣: ٨ الله يعلم ما تحمل كل
 أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) أي إن لكل شيء من
 مخلوقاته سنا ونواميس ومقادير منتظمة كسنته في حمل الإناث وعقبها وزيادة علق
 الأرحام ونقصها ومن أفاضل التقدير في مقام التخصيص قوله عز وجل (٣٦: ٣٩ والقمر
 قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال في ذلك (١٠: ٥ هو الذي جعل
 الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقال في
 خلق الإنسان (٨٠: ١٨ من أي شيء خلقه ١٩ من نقطة خلقه فقدره) وبين
 هذا التقرير بالاتقال من طور إلى طور في أول سورة المؤمنين . وقال في الزمن
 (٦٣: ٢٠ والله يقدر الليل والنهار) وقال في سرد الدروع وصنعها خطابا لداود عليه
 السلام (٣٤: ٣٤ أن اعمل ما يغتفر في السر) والتقدير في نسج الدرع وسردها
 هو جعل خلقها متساوية ونظامها واحدا . وقال في الطرق وترتيب السير بين قراها في قصة
 سبأ (٣٤: ١٨ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير
 سيروافيها ليالي وأياما آمنين) وقال في التعميم (٢٥: ٢ وخلق كل شيء فقدره تقديرا)
 فعلم من هذه الشواهد كلها أن عقيدة القدر والمقدار والتقدير في كتاب الله
 الذي هو أصل الإسلام وأساسه هي التي تعلم المؤمنين بهذا الكتاب أن هذا
 الكون نظاما محكما وسنا مطردة ترتبطت فيها الأسباب بالمسببات وأنه ليس في
 خلق الرحمن خلل ولا تفاوت ، ولا فيه قذفات مصادفات ، ولا خلل استبداد ،
 وأنه لا استئناف في الإيجاد والإمداد ، ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون
 أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات ، وتعرف سنن الله في المخلوقات ، وطلب
 الأشياء من أسبابها ، والجري إليها في سننها ، ولا نعلم أن هذا البيان كان مفصلا
 في الديانات السابقة ولكني أقول أنه لا يقول عاقل شمس رائحة الصلح أو داق طعمه
 أن هذا الاعتقاد هو سبب تأخر المسلمين ، كيف وأنه هو الجدير بتزقيتهم وإن
 أكثرهم أمسوا جاهلين بهذه الحقائق لأنهم لا يأخذون دينهم من القرآن وإنما
 يأخذونه من كتب بعض الأموات

(٣ - القدرية) كان السلف الصالحون يفهمون القدر بهذا المعنى ولذلك ضلوا القدرية الذين أنكروا الأسباب وقالوا « الأمر أنف » أي ان الله تعالى يستأنف ويبتدىء ما يريد إيجاد كل شيء في وقته من غير تقدير ولا نظام سابق يجري عليه سنته فيه ولا أسباب يرتبط بعضها ببعض بل قال قدماءهم من غير علم سبق وإنما يعلم الشيء عند وقوعه وقد كفر هذه الفرقة السلف الصالحون وهي قد حدثت في عصر الصحابة . تلقى بدعتهم هذه مصعب الجهني عن سيبويه الجبوسي . ففي صحيح مسلم وكتب السنن الثلاثة ان عبد الله بن عمر (رض) سئل عنهم فقبل له انه قد ظهر فينا ناس يقرءون القرآن ويفقدون العلم وذكر (السائل وهو يحيى بن عمر) من شأنهم وانهم يزعمون ان لا قدر وأن الأمر أنف . فقال ابن عمر إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم ساق حديث جبريل وفيه « وتوؤمن بالقدر خيره وشره » أي ان كلا من الخير والشر يجري في الكون بمقادير وموازن ومن أسباب اقتضاها الحكمة البالغة . ومن مذهبهم ان الانسان إذا فعل شيئاً فإنما يفعله أنفاً أيضاً من غير أن يكون لله تعالى علم سابق بذلك أو سنة يجري عمل الانسان عليها فالانسان مستقل بذلك تمام الاستقلال . ثم ان المتأخرين منهم اعترفوا بأن الله تعالى علما أزليا بالاشياء ولكنهم أنكروا أن يكون له ارادة تتعلق بأفعال العباد مع أن معنى الارادة هو وقوع الفعل من العالم على حسب علمه

(٤ - الجبرية) غلا أولئك فوقفوا في طرف وعبدوا الله على حرف فجاء بعدهم آخرون وقفوا على الطرف المقابل لطرفهم وهم الجبرية فقالوا ان الانسان ليس له عمل ولا قدرة وإنما هو كالرشة المعلقة في الهواء تحركها رياح الاقدار ، من غير ان يكون لها ارادة ولا اختيار ، واننا نرى أكثر الناس لا سيما المتفرنجين منهم يظنون ان عقيدة الجبر هي عقيدة القضاء والقدر لان ألفاظ الجبر راجت في المسلمين بواسطة جهالة المتصوفة كما بينا ذلك مرارا كثيرة . آخرها ما في بحث التوكل والأسباب من (ج ١١ م ١١) وقد أوردنا فيه الآيات والأحاديث وأقوال السلف في إثبات

(المناج ٣ م ١٢) اعتقاد متأخري المسلمين . المتكلمون ونظرياتهم ١٩٧

الأسباب وإسناد عمل الإنسان إليه . فإذا قل القائل أن الجبر من أسباب ضعف المسلمين فطالما أيدنا هذا القول ولكن الجبر ما جاء المسلمين عن دينهم وإنما جاءهم من فلسفتهم التي لونوها بصبغة الدين لما وقعوا في جميع علومهم وأعمالهم الدنيوية وهذه الفلسفة شرع بينهم وبين جميع الأمم حتى الأفرنج كما نبينه في المسألة السابقة وكأن السائل صاحب الأشكال نسي هذا وما فيه من تنفيد النزعات الجبرية حتى ردنا على الإمام الغزالي في بعض ما أورده فيها وتعلق بعبارة الأستاذ الإمام المختصرة فألصق بها تلك الشبهات المشهورة في المسألة

(٥ - متأخرو المسلمين) المسلمون في هذه الأزمنة الأخيرة قد اختلط عليهم الأمر مفهوم الجهل وفساد طرق التعليم حيث يوجد وذلك ترى في كلامهم ما يدل تارة على شيء من عقيدة القدرية وتارة على عقيدة الجبرية وتارة على عقيدة المعتزلة وقد بينا في العدد الثاني من سنة المنار الأولى أن الواحد منهم يجمع بين العقائد المختلفة (لاضطراب اعتقاده وعدم تلقيه عن العارفين فإن المسلمين في فوضى دينية وعلمية لأنه ليس لهم رئاسة دينية ولا مدارس منتظمة) وأنهم في الغالب يميلون إلى الجبرية في المسائل المتعلقة بإقامة الدين أو خدمة الأمة والقيام بالمصالح العامة وإلى عقيدة المعتزلة أو القدرية في المسائل الدنيوية فلا حجة في حاكمهم على الإسلام بل الإسلام حجة عليهم

(٦ - المتكلمون) إن علماء الكلام سلكوا الطريقة النظرية العقلية في الرد على المخالفين من الملاحدة والبتدعة ورد الأشاعرة على المعتزلة والقدرية والجبرية . والمسائل النظرية مثل الشبهات والأشكالات وبذلك دخلت مسألة القضاء والقدر في قالب فلسفي نظري وكثر فيها القيل والقال والقرآن فوق ذلك كله لا تمسه الأوهام ولا تنال منه الشبهات كما علمت . وإنما هي مباحث فلسفية تتعلق بقدرة الله وإرادته وبخلق الإنسان وغرائزه وارتباط أعماله بعلمه وإدراكه وهي مشتركة بين جميع الأمم ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها فلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف إلا وقد قتل بمثلها غيرهم ويقول بها بعض علماء أوروبا اليوم

(٧ - فلاسفة المسلمين والأفرنج في الجبر) كان من فلسفة المسلمين في الجبر الذي ألبس ثوب القضاء والقدر أن عمل الإنسان أثر طبيعي لاعتقاده بالمنافع

والمضار وشعوره بالذات والآلام فهو يتبع علمه بذلك وعلمه صفة من صفاته أو حال من أحواله لا يمكن دفعها ولا الانسلاخ منها والعلم بقسميه يحرك الإرادة والإرادة تزعج القدرة إلى تحريك الأعضاء العمل وهي سلسلة ضرورية لا يملك الإنسان باختياره إبطاها ولا الفصل بين حلقاتها أو منع تحريك أحدها بمحركة الأخرى . وللغزالي شرح طويل لهذا المعنى أورد له مثالا بليغا وجرى على هذا فلاسفة الافرنج وأيدوا المسألة بمباحثهم الفسيولوجية والبيكولوجية فقالوا ان أعمال الإنسان آثار طبيعية منعسكة عما في محه من الآثار التي وصلت إليه من طريق الحواس أو ثبتت فيه بتأثير الوراثة والعادات ، فالأعصاب الحساسة تلقي ما تحمله من ادراك الحواس إلى المخ ثم يهود منه إلى الأعضاء العاملة بواسطة الأعصاب المحركة التي تحرك العضلات بالفعل . فما في المخ ينعكس إلى العضلات بواسطة الأعصاب فيحركها بسرعة أو يبطئ فما كان بسرعة لا نشعر بأن لنا فيه اختيارا وما كان يبطئ نشعر به فنسمي ذلك اختيارا وهو حتم لا يمكن التفصي منه . وقد سبق البحث في ذلك في المجلد العاشر وغرضنا مما أوردناه الآن ان نبين للسائل ان الافرنج أعرق من المسلمين في هذه العقيدة الجبرية فلا يخافن من تسجيلهم الضعف على المسلمين بمثل ذلك

وإذا قال ان هذا القول لا يخلو من شبهة على الدين قلنا انه ليس على الاسلام وحده بل هو شبهة على النصرانية أيضا وموضوع سوء ال السائل ان عقيدة القدر عند المسلمين من العقائد المشككة والضارة بمعتقدنا وقد بينا ان الامر فيها ليس كذلك . بل ربما كانت الشبهة على الاسلام هنا ضد الشبهة التي هي موضوع السوء ال أو تقييدها بأن يقال ان الاسلام يثبت الانسان عملا ومشية واختيارا وبذلك جملة مكلفا مطالبا بالأعمال الحسنة وإن فلسفتنا تقول لنا انه لا مشية له في الحقيقة بل هو مجبور مضطر في جميع ما يصدر عنه بمقتضى ذلك النظام المطرد المنعكس في التأثير والتأثير بين محه وأعصابه وعضلاته فإذا كان لهذا الوجود وما فيه من النظام مصدر واجب قديم فيجب إسناد الافعال التي هي أثر الانعكاس بين محه وعضلاته إلى ذلك المصدر الواضع هو لنظامه وهو الله سبحانه وإلا فإلى الضرورة العمياء التي أبدعت هذه العوالم كلها من الهباء (أرأيت كيف ان باب المباحث العلمية والنظرية

(المآرج ١٢م ١) حكم الاسلام في عمل الانسان . علم الله وقدره وعمل الانسان ١٩٩

في المسألة واسع جداً حتى انه يمكن كتابة أسفار كثيرة فيه ؛)

(٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) إن دين الفطرة لا يكلف الناس عناء هذه الفلسفة ولا يمنعهم النظر فيها وإنما يرشدهم الى الاعتقاد الحق الذي لا يضر معه بحث بل يمكن معه الاستفادة من كل بحث وهو ان الله تعالى خلق كل شيء بحكمة ونظام وقدر سابق على الفعل تجري عليه السنن العامة (التواميس) وأن معرفة الخلقات انما تكون بالنظر فيها مع التأمل والبصيرة وان منها نوع الانسان الذي يعمل عن علم بما يعمل يرجح به ما يراه صواباً على ما يراه خطأ فيكثر صوابه بمقدار سمعته علمه بالواقع وأسبابه ويكثر خطؤه على قدر جهله بالحقائق وسفهاً لأنه يسير في ذلك على سنن الله في خلقه وقدره الذي قام به نظام ملكه « وكل شيء عنده بمقدار » وأن عليه ان يتحرى العلم الصحيح بالمصالح والعمل الصالح بحسب ما يشعر به من قدرته وتمكنه من ذلك مهما كانت علة ذلك وفلسفته . ونعني بالعلم هنا ما يستفاد ولو بالمادة والتربية أي ما يعم العلم النظري والعلم الحسي والوجداني والعلم العملي أي الذي يطبقه العمل في النفس

(٩ - علم الله بعمل الانسان واختياره) ان سبق علم الله بما سيعمله الانسان وتقديره له ووضع سنن اجتماعية يسير عليها في عمله لا يتنافى شيء من ذلك كونه خلقه ذاعلم وإرادته وعمله فان كونه كذلك هو أمر ثابت في نفسه معلوم بالحس والوجدان ، وهما أقوى أركان البرهان ، ولا يقال إذا كان قد سبق في علمه تعالى ان فلان سيفعل كذا فلا بد أن يفعل فيكون مجبوراً على فعله لأن متعلق العلم الإلهي لا بد ان يكون والا لزم الجهل فانا نقول انما يصح هذا اذا كان قد سبق في علم الله انه يفعل مجبوراً ولكن إذا سبق في العلم الأزلي انه يفعل مختاراً فلماذا لا نقول انه يجب ان يكون مختاراً في فعله لاذكرتم من الدليل ؟ ويرد مثل هذا في أفعاله تعالى قائلاً تقع ونحدث بحسب العلم الأزلي ولا يقال انه تعالى مجبور عليها . كيف وان معنى الاختيار للفعل هو ان يكون تابعا لعلم الفاعل الذي يرجحه به على غيره سواء كان العلم بذلك ضرورياً أم كسبياً بديهياً أم نظرياً . هذا هو المعنى الذي نسميه اختياراً فان ساء غيرنا اضطراراً أو اسماً آخر فأنما يكون الخلاف بيننا في التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح . وهذه المسألة التي تعد من مشكلات عقيدة

القدر ان صح استلزامها الجبر ليست في الحقيقة من عقيدة القدر في شيء، ولكنها مما يرد في مباحث العلم والارادة . وقد حللناها كيفما كانت

(١٠ - حكمة الجزاء على الأعمال) يبقى من المشكلات في هذا الباب مسألة أخرى عدوها من لوازم عقيدة القدر وهي كيف يجازي الله الناس على أعمال لا مندوحة لهم عنها لأنهم غير مختارين فيها ؟ ونجيب عنها جوابا غير إثبات الاختيار ومنع الجبر فنقول ان الجزاء على الأعمال هو أثر طبيعي لها في الدنيا والآخرة وذلك انه ما فرضت علينا طاعة إلا وهي نافعة لنا في تهذيب نفوسنا وسلامة أبداننا وحفظ حقوقنا وغير ذلك وما حرم علينا شيء إلا لأنه ضار بنا في أشخاصنا أو في نظامنا الاجتماعي ولذلك قالوا ان التكليف يقوم بحفظ الكليات الخمس : الدين والعقل والعرض والشخص والمال . ثم ان كل عمل عمله الانسان يكون له أثر في نفسه إما في تزكيتها فتفصح وتسمو وإما في تدسيستها وإفسادها فتخب وتثقى (٩١ : ٩٠) قد أفلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) ويظهر أثر ذلك تاما كاملا في الآخرة ولذلك قال (٣ : ١٨٥) وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) (تقدم تفسيرها في هذا الجزء) وقد بينا كون الجزاء أثرا لازما للعمل بحسب سنة الله تعالى في مواضع كثيرة من التفسير وغير التفسير فلا تطيل فيه هنا فالبحث فيه ينبغي أن يكون من البحث في نظام العالم وسنن الكون والاجتماع (١١ - الخلاصة) خلاصة ما تقدم وهو القول الفصل ان الاسلام أمر الناس بالعلم والعمل لا يحدون في انفسهم من القدرة والاختيار وعلمهم ان الله خلق كل شيء بقدر ونظام وانه لا يعجزه شيء فاذا قضى امرا واراده يقع بلا تخاف ولا بطء، وان له سنا ونواميس ينبغي لهم ان يعرفوها وان لأعمالهم جزاء هو أثر طبيعي لها يكون بعضها في الدنيا وتامه في الآخرة . وقد انتقم المسلمون بهذا ما فتهوه ولم تضرهم الا فلسفتهم المخالفة له هذا ما وسعه المقام لبيان الحق في هذه العقيدة وما يتعلق بها ويضاف اليها وقد سلطنا سبيل الايجاز في كل مسألة من المسائل العشر لما سبق لنا من البحث فيها من قبل ولان باب الفتاوى لا يسع أكثر من ذلك فان اشبه السائل أو غيره في شيء منها فليسال عنه وليختصر في السؤال بقدر الإمكان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافعي ﴾

٢

(الوجه الخامس) ان تقول ان عدم معرفة حكمة النسخ لا تضر من جهلها بعد
أن يعرف صحة رسالة الرسول (ص) وعدم علمنا بالشيء لا ينفى ذلك امر ضروري
لكل أحد - ولكنك في الجواب الاجمالي عن شبه غير المسلمين بما ذكرناه
خوف الاطالة الذي لا يحمله المجلات في نشراتها والا فال مقام بما له وعليه يجعل فيه
الاسباب والتقيب عن النكات والاسباب على ان ما ذكرناه هو الباب وبه فصل
الخطاب لمن يريد الصواب

اما اذا كان المعارضون من غير المسلمين متعصبون لا يريدون الحق ولا
يقصدونه فسواء عليك أنذرهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون - ومثل هؤلاء اناس كثيرون
في هذا الزمان فرحوا وبطروا بما عندهم من العلوم المادية والسياسية والاجتماعية
وهؤلاء هم الذين كفروا بالنعم وقابلوا الاحسان بالاساءة اذ لم يدركوا ما ادركوه الا
من الانبياء عليهم السلام فوافقوا فيه ما جاء به الانبياء عليهم السلام براه العقلاء صحيحا
وما خالفوا فيه الانبياء فهو النقص والخطأ حتى انهم انفسهم صاروا يعرفون ما في هذا
الاخير من الولايات والبلديات شيئا فشيئا. هؤلاء المفرورون تارات يستعجلون في تبهم
قاصرو الهمم وضعفاء العقول او اسراء الشهوات فيظنون ان اوضاعهم تقى عن الشرائع
الالهية مع استبعادهم لصحة النبوة والرسالة فهم لا يفرقون بين الانسان والحيوان
الا بالصورة الذي هي في زعمهم انتخاب الطبيعة في ترقيا غير المقصود بعلم عليم
وقدرة قادر واردة مريد ويقولون ما في الانسان وغيره من الاسرار الغرائب
والغايات والمعجائب انما وجدت قرتب عليها بعد وجودها ما يليق بها بالاستعداد

الطبيعي وبالقصد الثاني من المنفعل بداعي الضرورة ودام ذلك باموس الارث الى غير ذلك من خرافاتهم الذي نخجل ناقلها وحا كيا فضلا عن ان يعتقد صحتها من يوسم بعقل وهم لم يحملهم على ذلك الا زهوهم ببعض العلوم التي ذكرناها مم جهلهم بمقتضى تلك المعلومات كما اعترف بذلك كبارهم حيث قالوا انما عرفنا بعض آثار المادة وبعضها لم يزل محجوبا مستورا عنا وعليه فهم لا يمتازون عن العلوم الا بمزيد معرفة في الآثار فقط اما الكنه والحقيقة فلم يدركوها البتة

نحن لا ننكر النشوء الطبيعي مطلقا وانما ننكر نشوءا مخصوصا وننكر استقلال الطبيعة والمادة بهذا النشوء الذي ليس هو ذاته لها وقد قد الشيء لا يعطيه على ان هذا النشوء الداروني يقابله الانحطاط وبمجاراتهم على مذهبهم ليس اعتناء الطبيعة باحدهما باولى من الآخر الا بمرجح وابطل كل باطل وافسد كل فاسد انكار ان يكون ما في الموجودات كالانسان وغيره من الاسرار والغايات غير مقصودة بالقصد الاول لغاياتها لان قولهم ناطقة بأن القابل الطبيعي لا يجوز ان يتخلف عن وجود ما هو قابل له لان القابل لا يكون قابلا طبعا الا اذا اندفعت الطبيعة في مجراها التكويني اليه تؤدي وظيفتها الطبيعية التي لا يمكن طبعا الا منه وبه كالبارود المسدود عليه مثلا في صخرة ونحوها اذا دمر بالنار مثلا يفجر الصخرة بشق او خرق . ذلك الخرق والشق هو مجرى البارود المتفرقع ونتيجة تفرقه الطبيعي ولا يجوز عقلا ان يتقدم او يتأخر ذلك الخرق أو الشق عن سببه الطبيعي

فهل آلة الذكورة والأنوثة ونحوها مما اودع في الانسان كانت نتيجة مجرى طبيعي حين تكون في الرحم وهل كان هذا الجري مقارنا للتكون غير متقدم ولا متأخر عنه بان تكون الطبيعة قد أخذت اعمالا طبيعية من تلك الاعضاء في الرحم على نحو ما تنادي بها الاعمال بعد وجود الانسان ان كان عندهم شأ بهذا فليخرجوه لنا والا فقولهم بين المطالان بنفسه على ما تقتضيه قواعدهم المقررة عندهم — فلا يبقى الا ان يقولوا مثلنا ان هذه الاعضاء تكررت قدرة عالم الغايات مقصودة بالقصد الاول حين التكون وحينئذ لا يلزم محذور . على ان ما يستدلون به على المذهب الداروني انما هي احتمالات ملفقة وخرص بعيد لا يعمين بها دلالة على خصرص

ما ذهبوا اليه كما أقر بذلك كبيرهم وهي مع ذلك لو أخذت بالمأخذ الصحيح لا تنافي
م جاء به المراسلون عليهم السلام في بيان بدء الخلق بل تكون مويده له

وليس هذا محل الرد عليهم وإنما المقصود تعريف الناظرين والقراء ان مثل
هؤلاء قد يوردون الشبهات على الأديان ولا يريدون الرجوع عنها إذا وقفوا على
الجواب الصواب وإنما قصدتم التشكيك بما يناسب طريق أهل الأديان فان لم
يفلحوا في هذا الأقراء زوروا غيره لما عرفت انه ليس في معتقداتهم إلا استحالة
الرسالة والنبوات (١) ونحن نحيب ان شاء الله عن كل ما يذكرون لتلا يظنوا
بأحد من المسلمين قروج عليه شبهاتهم فيخسر الدنيا والآخرة

ولنعد إلى المقصود فتقول ما قدمناه هو الجواب الأجمالي مع غاية الاختصار
وهو كاف واف في رد هذه الشبهات إذ لم ترد على محل معين في واقعة معينة وما
كان منها كذلك فأليك جوابه والله المستعان وعليه التكلان

أما قولهم ان محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء الى آخره . فجوابهم الذي نقوله
ان هذا اختلاق بحت وحبينا رسول الله (ص) سيرته مزبورة وهوته وأخلاقه
وشماله معروفة مشهورة فهل رأى الرايون أو سمع السامعون ان أحدا ممن عرفه
حتى ولو كان من أعدائه قد رسمه بهذه السمة أو وصفه بمدلول هذه الكلمة ؟
لا وإنما المعروف عن أعدائه قبحهم الله وخذلهم اطلاقهم عليه ضد ذلك فقالوا انه أذن —
ومتهم من قل مجنون ومنهم من قال شاعر وإذا رأوا آية من آيات صدقه وهي المعجزة
قالوا ساحر تربص به ريب المنون — وهكذا الأعداء اذا عجزوا عن المعارضة
وأرادوا الأصرار والتعصب لذهابهم بعد قيام الحجة عليهم . والمؤمنون الذين
صاحبوه وعاشروه وعرفوهم قد عرفوا صدقه وكاله وانه رحمة للعالمين وعلى خلق
عظيم قد بلغ الرسالة حين كان وحيدا عن الأنصار والأعوان ولم تأخذه في الله لومة

(١) ان القائلين برأي دارون لا يقولون باستحالة الرسالة كما قال ولا كلام
يدعي أن النبي (ص) محال ، بل يقول المحققون العارفون بسيرته منهم انه كان
صادقا متقدا لما يقول وليس هذا المقال بالذي يتسع لبيان آرائهم في ذلك

لأنهم واو خالف ما جاء به الثقلان فتقول هؤلاء الذين هم من الناس كسقط المتاع انه اذا اتاهم بحكم واتضح له بعد التجربة انه لم يرض الناس عدل عنه والتجأ الى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الاحكام الى آخره - تقول في جوابه سبحانه
هذا بهتان عظيم والواقع يكذبهم فانه (ص) لم يراع ولم يمالىء فيما أمره الله بقيلغه
أحدا من الناس كائنا من كان ولم يمال بمن لم يرض بذلك وقد آذوه في ذلك أشد
الإيذا فهل اختال في التخلص من إيذائهم له بحيلة ولو مرة واحدة ؟ لا والذي أرسله
بالحق بل كان يفعل كلما أمره الله به ولا يمالىء بمنع فلما نزلت عليه (فاصدع بما تؤمر)
جاهرهم بالمداوة حتى حقر آلتهم في المجمع والمحافل علانية وكان أبى هو وامى
اذ ذاك وحيدا عن الاعوان فصبر على مقاساة المصائب ورموه بالحجارة حتى خضبت
بالدماء نعلاه (ص) فهل يصح ان يقال انه كان يعدل عن احكام دينه اذا رأى
ان ذلك لا يرضي الناس وهو بالحالة التي عرفت وهو هو (ص) كما انه
لا يمالىء الكفار ولا يسانهم في دين الله كذلك هو في ذلك مع أصحابه لا يمالىءهم
ولا يسانهم في دين الله وقد دل على ذلك وقائع كثيرة صحيحة فمنها صلح
الحديبية فانه امضاه بعزم لا يمتريه تردد وقد استاء لذلك أصحابه وكرهوا ذلك
غاية الكراهة ولم ينقل انهم استأوا بشيء كاستيائهم بذلك حتى ان بعضهم رضى
قال له « أأنت رسول الله ألسنا على الحق » فلم يمال باستيائهم في مخالفة ما أمره
الله به - هذا ونحوه أعظم برهان وأكبر دافع ومكذب لمثل هذه الشبهة التي
هي مخالفة لما هو الواقع في نفس الأمر - فليمر الحق ان اراد مثل هذه الشبهات
لأدل دليل على تعصب هؤلاء المعترضين وانهم لم يعدلوا الى اراد مثل هذه
الشبهات الواهية الضعيفة الا حيث لم يجدوا غيرها والمسلمون لا يقبلونها الادليل
على سخف عقول قائلها وانهم معاندون للحق والحقيقة وبدلا عن تكون مثل هذه
الابرادات شبهات اما تكون بمنزلة الحجج الدالة على صحة رسالة سيدنا ونبينا محمد
(ص) فانه ليس بعد ظهور ضلال الخصم الا ثبوت الحق لدينا

وتقول هؤلاء انكم لا تستطيعون ان تدبوا على حكم واحد جاء به الاسلام
لا منفعة فيه أو انه مضرة لا منوخا ولا محكما - بالله العجب أصبح ان يقال ذلك

في دين لم يعرف الحق من عرفه الا من تعليماته ، ولم تبرز أنوار المعارف الا من مشكاته ، ولم تتم ميازين العدل الا بتلاوة آياته ، فدين الاسلام لم يفسخ منه شيء لاجل مضرة أو علم مصلحة وإنما يكون ذلك فيه لاجل زيادة في الخير تارة وتسهيل على الأمة أخرى ويكون تارة تنشيطا لها وتارة لتوحيد جماعة لها وتارة لتقويتها في اظهار الحق على الباطل ودمغه ودمغ انصاره مع مراعاة ما يليق ويناسب الجمهور الا كبر كلما كثر عدد الافراد ومع ملاحظة احوال الزمان وقوة الأعداء وكثرتهم وما يلزم ان يكونوا عليه بإزاء ذلك معه وبعده فاعدت القليل الخائفون من المسلمين قد تناسب حالهم احكامهم هي أعظم كل خير بالنسبة اليهم أو لا يمكنهم الا الإتيان بها فقط فالعدل ان تكون التكاليف والتعاليم كذلك بالنسبة اليهم والى ما احتف بهم من الاحوال

ان التشريع والحالة هذه يكون بالسنة كما يكون بالقرآن لا ينكر ذلك الامكار وان ذلك كان النسخ فيها مسيئين فاذا كثر المسلمون وكانت قوة الايمان والتصديق فيهم متاسبة متقاربة وضمف بعض ما يحذرون فلا يشك عاقل في حسن ان يشرع لهم احكام تناسب ذلك مع مراعاة المصلحة الراجحة وسواء في ذلك القرآن والسنة — فاذا صلحوا لمقاومة المهاجم أيا ما كان وهم بتلك الصفات التي تكاد ان تكون متساوية فلا يبعد ان يكلفوا ما يروونه سهلا في اعتقادهم والواقع ومثال الاول كون الصلاة أول ما فرضت ركعتين بالفداء وركعتين بالعشي فانه يمكن اخلاؤها إذ ذلك مع ضعفهم وقوة العدو - والمثال الثاني إيجاب الحس حين وقع بعض الاختلاف بين الكفار حيث وجد فيهم من يؤمن المسلمين وكتب بعضهم عن إيذاء المسلمين ومن بقي من الكفار حريصا على الأيقاع بهم فاما كان يكون منه السب والضرب بالكف والعصي ونحو ذلك والمسلمون قد زادت عددهم بعض الزيادة فكانوا قادرين على المناقعة في بعض الأحيان ولم يؤمروا بالهجرة ولا القتال فلا أمروا بالهجرة إلى عبيدة (المدينة المنورة) حين اشتد عليهم شدة الكفار مرة أخرى وظهر لهم المأزق وصرعهم الأكفاء وكان المسلمون تشابه صفاتهم في صلاحة الدين والخوة والقوة البدنية والدينية — فلا غرو ان يوجب الله عليهم قتال المسلمين

الظالمين وهذا القتال هو الذي سماه الاسلام والمسلمون بالجهاد وهو قتل أهل الإصلاح
لأهل الفساد الذي لا ينكره عقل عاقل لأن غايته ان تكون كلمة الله هي العليا
والنصارى أنكروا على المسلمين هذا القتال - وليتهم عملوا بما لو اخطى لا يكونوا
من الذين يقولون مالا يفعلون

فرض الجهاد على المسلمين وكان الواجب عليهم اذ ذاك وهم كما عرفت
ان لا يفروا من عشرة اصنافهم من المبطلين لأن الاستشهاد ونحوه لا تخور به
عزائمهم وهم بالحالة التي عرفت ففي هذه الصورة وهي المثال الثالث لا ضرر ولا
نقص في هذا الحكم بل لو بقي ابد الآبدين فليس فيه نقص ولا حيف بالنسبة
الى كثير من المسلمين - وانما اذا تبدلت الحالة وصار أنصار الحق كثيرين أو
كان فيهم من يضيف اعتقاده أو يحرص على حياته أو نحو ذلك فلا تشك ان زيادة
الخبر تكون في رفع صفة الحكم كالوجوب والازوم ويغرض عنه حكم يناسب صاحب
الحق ويميزه عن صاحب الضلال وهو ازوم ان لا يهرب المستعد لنصرة الحق عن الاثنين
من انصار الباطل لانه ان ضعف مؤيد الحق المستعد عن ذلك تلزم مساواة أثر الحق
لأثر الباطل وهذا لا يصح ولا يحسن فالحكم المنسوخ في هذا المثال انما هو الوجوب
اللازم لا الإباحة أو التذب لمن يطبق ذلك

فهذه الأمثلة يظهر للمتصف بحسن النسخ سواء كن في القرآن أم في السنة
لأن القرآن من حين البعثة لم ينزل ينزل بالأحكام ولم يكن زمن مخصوص بالتشريع
بالسنة وزمن مخصوص بالتشريع بالقرآن بل القرآن لم ينزل ينزل على سيدنا محمد رسول
الله (ص) إنما يناسب حال المهيذين من معتقيه ولم يزالوا يزيدون والأحكام كذلك
ما بين أحكام متساة عند وجود عللها وأسبابها ونسخة من خير إلى ما هو أكثر خيرا
منه كان ذلك يكون الى ان مكن الله لدينه ودخل الناس فيه أقواجا وصارت الأمة
بمحيط يصح ان تكون مثلا لكافة الناس فلما آن أن انقطاع الوحي بتحويل رسوله
(ص) الى ائدار الباقية اكمل الله شرعه بما يصح ان يكون ديننا لأهل الأرض
اجمعين الى يوم الدين

فمثل هذه الحكم كان النسخ - والمسلمون يعرفونها فكيف يقال انهم لم يستطيعوا

ان يملوا ذلك بطل مقبولة... بهم أيضا يعلمون ان كل ذلك كان يكون للاعتراض
معترض ولا لانتقاد متقد. علموا ذلك بالعلم الضروري من سيرة الشارع (ص) ومن
نشر الاسلام ومن زعم غير ذلك فليعين من هو المعترض والمتقد وعلى أي محل
اعترض وانتقد وما هو الاعتراض وأين السند المقبول والا فالمسلمون لا ينظرون الى
هذه الايرادات والشبهات الا بعين الاستحقاق وبالله العجب هل وجد في كفار العرب
من قريش أو غيرهم من عارض شيئا من القرآن معارضة صحيحة؟ وهل ظفروا بشيء
مما قال هو لاء ان في انشائه شيئا لم يرق له بعد اذاعته؟ ولم يعارضوا ما هذا حاله؟ اليس
لو وقع شيء من ذلك لتوفرت دواعي الكفار والمسلمين الى نقله اما المسلمون فلا بد
ان يوجد عندهم ولو لرده وتوهينه كما نقلوا عن مسيلة الكذاب وغيره وأما الكفار
فهو غاية بهيتهم ومدار حجتهم فلو وجد فلا يعقل أن يملوه فعدم النقل لما هذا حاله
أدل دليل على العدم

فلا يبقى للخصوم الا ان يقولوا ان هذه الشبهات احتمالات مفروضة وقد قدمنا
ان فرض ما يخالف الواقع في مثل هذه الاشياء لا يصح عند من له مسكة من عقل
وايضا تجوز مثل هذا الاحتمال الظاهر البطلان يلزمه عدم جواز النسخ الذي
عرفت حسنه عقلا وفطرة فلو جاز اتهام من ثبت نبوته ورسائله بالمعجزات والحجج
البيئات بهذه التهمة لوجب ان لا يكون للبشر الا شريعة اول نبي ارسله الله فقط ولما
جاز ان يرسل الله رسولا بعد رسول بشريعة تنسخ بالا يناسب احوال الامم المتأخرة
وقد عرفت ان هذا يوئل الى انظلم الحال على الله وما استازم الحال فهو مثله محال
فيتمتع ان اتهام نبينا (ص) بعد ثبوت نبوته بتهمة انه ما اجاز النسخ في دينه الا
حيلة يتوصل بها الى اصلاح النقص والعيب الذي يمكن أن يرى في دينه هو تهمة
كاذبة كما قدمنا ذلك وان فرضها محال

فوجب ان يكون نسخ الانظ وإنساؤه في القرآن كنسخ الحكم لمصالح وحكم
ونحن وان قصرنا عن ادراكها كلها لاسباب كثيرة لكن نعلم أن الكتب الالهية
وبالخصوص القرآن هي لنا اصل تعاليم الدين والنظام الاجتماعي واسم مداد الناس
متفاوت في التعليم والتعلم ومن لازم ذلك ان تكون مواد التعليم أي كتبه الدراسية

كذلك فلهذه الحكمة وحكم أخرى كثيرة كان القرآن الكريم سوراً طويلاً وقصاراً ومتوسطة وقد اشرنا الى ذلك في رسالتنا السابقة فالنسخ والإنشاء اللفظي هو العمل بحكم وغايات هي من جنس ما يعمل به تعدد السور ومن جنس ما يعمل به البقاء ما اختصروه من الكتب البليغة لطوله وقد تكون هناك علل واسباب أخرى وقد صح ان بعض آيات القرآن تتفاوت في الفضل وثواب التلاوة ولا بدع في ذلك فان فضيلة الكلام تابعة لفضل معناه وكثرة فوائد مرماه — فاذا انزل الله آية هي نص في واقعة مخصوصة وهي انسب بافهام المخاطبين المعينين لأي سبب ثم بعد رسوخهم في الفهم وقبولهم لزيادة التثني ونحوه بحيث يكونوا قد ترحلوا من طور الى طور لا يفتيح بل يحسن ان يأتي الله بآية بدلا عنها جامعة لما دلت عليه الاولى وزيادة عليه — اذ لو بقيت الاولى الدالة على المعنى المخصوص فقط لجاز ان تكون آيات القرآن إنما تدل على معاني جزئية ومن لازم ذلك الطول المفرط الذي يمكن ان يقال انه لا يلائم التعاليم ولازم ايضا جواز تهريه القرآن من جوامع الكلم حين استعداد الناس للفهم والقبول

وبما ذكرناه يظهر جليا انه لا فرق يعتد به بين النسخ في الأحكام والنسخ والإنشاء في الألفاظ لأن ناموس الترقى جار في الأمرين بلا عيب ولا نقص ولكل حال ما يناسبه من الأفعال والأقوال *

فيا حضرة اخونا الدكتور لايمولك ما بهذي به المبتلون المتعصبون فانهم على المنار تعجل فتقول ان صديقنا الاستاذ الميامي لم يأت بحكمة ظاهرة لنسخ وإنشاء عبادة القرآن ولفظه تنطبق على ما نقل من ذلك لاسيما ما كن معناه محكما ولا يظهر معنى الترقى والاختصار في كلام الخالق الذي هو متعالي الكمال ولو اختصر منه شيء لحذف قصة موسى من بعض السور . وما يأتي قريبا في بيان حكمة نسخ ما روي من آية الرجم غير ظاهر لاسيما مع بقاء آية الجلد على إطلاقها . وأذكره بذلك من الآن لعله يقدح زناد فكره ويراجع ذكركه فيما قرأه لعله يجد لذلك حكمة ظاهرة فان معظم الاشكال عند الدكتور ومثله كثير من المسلمين وغيرهم محصور في هذا وهو يقول بأصل النسخ وحكمته بل كتب في ذلك أيضا

غير محجة وليس بأيديهم حجة — ونحن قد اضربنا عن كثير من الحجج والمسوغات هنا واكتفينا بما كتبناه خوف الإطالة ولكن فتحنا الباب لذوي الالباب وفيه الكفاية

وفصل الخطاب لمن يريد الصواب

أما قول المشككين ان في القرآن من المسائل الخاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة فيها لأحد سواه (وقد كذبوا بل فيها من الفوائد ما لا يقدر قدرها إلا من عرفها وقد علم ذلك العالمون من المسلمين واستفادوا منها وما علينا إذا لم تفهم البقر *) — ما هو أولى بالنسخ قالوا كآيات الكثيرة من سورة الأحزاب والتحرير وبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صح عن المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضى زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضى زمنها — والجواب ان قول ان هذه الآيات هي محكمة وفيها فوائد تتعلق بالأمة أيضا ونحن لم نقل ولا قال أحد غيرنا ان النسخ مخصوص بالخصوص سبب للنسخ بل الأمر عكس ذلك وتقيضه والمسائل والآيات الخاصة بمحمد (ص) وأهل بيته هي أجدر بان لا يكون ولا يقع فيها النسخ لأن اتحاد من تتعلق به الأحكام وكذلك تميز أهل البيت الواحد لذلك بعيد عن وقوع التفاوت واختلاف الحالات الذي هي المسوغ الأعظم للنسخ وهذا بخلاف ما يتعلق بالأمة الكثيرة الافراد المختلفة الطبائع باختلاف الزمان والبلاد — فظهر ان النسخ فيما ذكرنا انه أولى به باطل وان القياس الصحيح لا يجوز النسخ في ذلك وكذلك وقع

أما قولهم انها قد أدت وظيفتها وانقضى زمنها فجوابه انها حين إمكان النسخ والتبديل لم تروى وظيفتها ولم ينقض زمنها وأما بعد وفاة النبي (ص) فقد فات وقت النسخ والمسلمون لا يجوزون الزيادة ولا التقيص ولا يحرفون ولا يبدلون في كتب الله وشرعه بعد ثبوتها سياناً يفعل ذلك من أبعد الله وغضب عليه ولعنه على السنة أبياته وهذا الاعتراض والإيراد دليل على ان هؤلاء يقولون ما لا يفهمون

تبعاً لما أجابوا الفاضل بمن ينضم الهوى ليصد عن الحق

أما قولهم وما الحكمة في نسخ ألفاظ آية الرجم مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين
فجوابه ان نقول ان مسألة الرجم للزاني المحصن قد أنزلها الله في كتابه القرآن
وهي ثابتة في توراة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فكانت نزولها
لحكمة توافق الكتابين ويعرف المسلمون هذا الحكم العظيم ويشتبكوا في تلقيه
كغيره من القرآن وفرق بين تلقيهم السنة والحديث وتلقيهم للقرآن فان القرآن ينزل
تعبدا في الصلاة وغيرها اجتماعا وافرادا والله جل شأنه شرع هذا الحكم بالعدل
وفق الحكمة فان هذه الفاحشة مفسدة للأنام وأقوى ذائع الخصام مهلكة للأموال
والبلدان، ومنهكة للأبدان ومييدة لنسل الانسان في أكثر الاحيان، وإذا كان حدها
الاعدام، وأقصى الاحكام، ولما كانت المنفعة بما ذكر قد تفاوتت رفع لفظ آيتها حين
لا يخف خفاء الحكم إذا دعت الحاجة والضرورة اليه — وما رفعه إلا تسهيل ويسر
ورحمة وستر — ولئلا يظن المسلمون ان الثواب في التنقيب والتطلع على الناس
فيتسابقوا الى الشهادة بهذه الجريمة قياسا على فضل تلاوة آيتها ورفع الله لفظ هذه
الآية لهذه الحكمة وانما خصها دون ما سواها من آيات الحدود لانها أشد الحدود
وأغلظها ولان قباحة الزنا من المحصن فوق كل قباحة ففي رفع هذه الآية إشارة
للمسلمين على ترك التجسس للشهادة كما قال تعالى « ولا تجسسوا » وإشارة إلى
ترك الاقرار بذلك والعدول إلى التوبة — ولذلك اشترط في الشهادة بالزنا ما لم
يشترط في غيره حتى عاقب الشاهد الواحد والاثنين والثلاثة بمقوبة حدد القذف
واشترط في ذلك المعايينة التي لا شبهة فيها والله يحب الستر على عباده — فقال
« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا
والآخرة » وقال (ص) « تعافوا الحدود بينكم فما باقني من حد فقد وجب »
فإذا لم ترد شهود في الحدود فلا يبقى الا اقرار فاعلمها بها ورضاه باقامة الحد على
نفسه بان لم يتب و يرجع عن طلب اقامة الحد على نفسه فلو أقر بذلك وطلب
اقامته ثم رجع وتاب جاز للعالمين اعنائه من اقامة الحد أو اتمامه بعد الشروع فيه
وهذا هو ما اختاره شيخنا ابن تيمية رحمه الله وهو الحق عندنا الذي دلت عليه السنة
الصحيحة عن رسول الله (ص) وذلك فيما روى بريدة (رض) قال جاء ماعز

بن مالك إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله طهرني فقال « ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه » قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي (ص) مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله (ص) « فيم أطهرك » قال من الزنا فقال رسول الله أبلغ جنون؟ فأخبر أنه ليس به جنون فقال « أشرب خمرًا » فقام رجل فاستنكه فلم يجد منه ريح خمر فقال (ص) أزيلت قال نعم . الحديث وفيه جاءت امرأة من غامد من الأزد فقالت طهرني فقال « ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه » الحديث رواه مسلم وفيه أنها ابت إلا إقامة الحد على نفسها وكانت حبلى فأنجى (ص) أن يقيم عليها الحد حتى تضع مافي بطنها وتكمل رضاعته وبعد ذلك جاءت وأقام عليها حد الرجم وعن أبي هريرة عند الترمذي وابن ماجه أن ماعزاً (وض) فرحين وجد من الحجارة ومن الموت فقال رسول الله (ص) هلاً تركتموه؟ » الحديث وفي رواية « هلاً تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه » وهذا نص في أن المقر بالزنا إذا استغفى عن الحد جاز للامام أن يسقطه وإذا وذاك ولأن الحدود تدرأ بالشبهات ولا تقام في أرض العدو رفع لفظ آية الرجم وهي حكمة بالغة وقد دل عليها الكتاب والسنة وبقيت آية الرجم ثابتة الحكم بما ذكرناه وبالسنة الصريحة مقيدة بقيوده كما عرفت وهي مع ذلك كله موجودة في القرآن ظاهرة لعلها خفية عن العوام قال ابن عباس (رض) الرجم في الكتاب لا يفوص عليه إلا غواص وهو قوله تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » الآية وقيل أنها موجودة في غير ذلك أيضاً فظهر بذلك الحكمة في رفع آية الرجم مع أن بدلها في القرآن موجود وما ذكرنا من التعليل لا ينافي ما علل به بعضهم قلت وقد رأيت السيوطي (رح) قد أشار بالاختصار إلى ما ذكرته - وصرح بأن القرآن الموجود بين أيدينا الآن في المصحف فيه البديل عن كل ما رفع من هذا النوع وغيره قلت والأمر كذلك

وفوق ذلك كله يقول هؤلاء المتراضين زعمهم ان نبينا (ص) الصادق الامين لم ينم له ما تم الا بعد اصلاح العيب والنقص الذي براه او يتوقعه في شرعه وكتابه الذي انزله الله عليه وقد كذبتم وكذبكم الواقع المعروف من سيرته كما قدمنا

ذلك وحالة التشريع وكيفية نزول الوحي عليه (ص) يعلم بها فساد قولكم — أليس انه (ص) كان ينزل الله عليه ما شاء ان ينزل من الاحكام والقرآن حين وقوع الحاجة الى نزوله وبمحض من اصحابه غالبا وقد تنزل عليه (ص) عدة آيات دفعة واحدة والقصة الواحدة كذلك والسورة الكاملة ايضا في بعض الاحيان وبعض ذلك يكون حين وقوع السورال ووجود السبب الموجب ارتجالا — ومع ذلك كله لم يكن (ص) يعرف الكتابة بل كان يحفظ ذلك ويحفظه اصحابه (ص) ويتلوه عليهم ثم يأمر أحد الكتاب أن يكتب ذلك في سورة من غير أن يراجع المکتوب الأول منها ويتأمل المناسبة والمناسقة وكان يشهر بين الناس آيات كتاب الله ويعطيه الخاص والعام والعدو والصديق فهلا أمكن اعداءه ان يأخذوا عليه شيئا مما ضعف انشاؤه في كتابه وردوه واتوا بمثله ولو بعد حين ؟

ان من يراجع مکتوباته ويتأمل في تأسيس احكامه ليصلح ما فيها من العيب والنقص لا بد وان يكون كاتباً وقارئاً مطلعاً على كتب غيره ليراجع ما فيها من الآراء فيرجح ويضعف حينئذ او يترقى بفكره الى احسن مما فيها لكن لا يمكنه ذلك الترقى الطبيعي في الأفكار الا بعد اطلاعه على آراء من تقدمه والا لبطلت سلسلة الترقى الذي يسلمها أكثر الناس واذا كان لا يمكن الرد والقدح والاصلاح والتكامل والتنقيح الا بهذه الاسباب ونحوها غالبا فان حصول علوم جميع اهل الارض لاسيما علوم الأمم المضمحلة والبائدة والمتباعدة ولاسيما الخفية منها والمهجورة وبالخصوص في ذلك الزمن الذي بحث فيه نبينا محمد (ص) — ان حصول ذلك كله لرجل واحد لا سيما اذا كان من العرب الذين قد عرفوا باعتزالهم علوم سائر الأمم لمن الحال الذي لا تسلم به عقول العقلاء فما بالك بالقيم الأثمي (ص) الذي قد عرف منشأه ولم ينزل اعداؤه يترصدون به الدائر حتى وضعوا عليه العيون والرقباء هل يمكن من هذا حاله المراجعة والاصلاح لما هو بمثابة تهذيب علوم أهل الارض وتكامل أخلاقهم اجمعين ؟ فيا لعقول المتعصبين أين ينهب بها الهوى

قلنا ذلك لأننا رأينا ما لم تكن نحسب عاقلا يقوله : رأينا من على شاكلة هؤلاء المقترضين حين يطمعون في الاسلام يجمعون ما قدروا عليه من اقوال ومذاهب الأمم

القاهرة ثم يقابلون بينها وبين شرائع الاسلام وما فيه من القصص وغيرها ثم يقولون ان هذا اخذه محمد (ص) عن اولئك ثم يقولون قد ردينا الفرع على أصله وما لم يقدروا أن يجدوا له نظيرا يقولون سيكشف المستقبل حاله ويقولون ان محمدا (ص) قد اطلع على ذلك وحفظه وهذه وأصلح فيه حتى ساقه في قوالب كلامه الفصيح البالغ الذي اعجز العرب!! قلت أي واعجزهم ايضا ان يعرفوا جميع مصادره وما آخذه هو لاء يريدون أن يطلعوا في صحة الاسلام وما درى المسكين ان ذلك ينقلب عليهم ويصير من اعظم الحجج المؤيدات لصحة دين الاسلام — لانه اذا بطل قولهم وصح ان محمدا (ص) لم يكن قبل نزول الوحي يعرف شيئا مما ذكره او ان ذلك لا يمكن حصوله لبشر بدون وسائله وان تلك الوسائل لا يمكن تبسرها في ذلك الزمان والمكان لا سيما لمن كان مثل محمد (ص) — ثبت باليقين كذبهم وصحة دين الاسلام وانه وحي الله وامره والله اعلم

انه مامن علم يوجد عند البشر سابقين ومتأخرين الا وقد نبه على بعض مسائله في معرض الاعتبار والاعتماظ ونحوه او الاستدال وما شابهه يسوق ذلك سوفا يعرف من تأمله وحقيقه انه كلام مختبر عالم بدقايقه وغوامضه ولذلك تراه يختار من كل شيء صحيحه وتقيه لا يلتفت الى سواء وان اجتمع أهل ذلك العصر على سواء ولم يكتف بذلك حتى اخبرنا بكثير من اخبار الايام الآتية التي قد وقع ووجد مصداق كثير منها عيانا وقد ذكر من ذلك كثيرا مما لأتمه به تعلق وهو يذكر ذلك في معرض التنبيه كما انه يذكر من اخبار الايام الماضية ما يذكر كذلك فياهو لاء هل يمكن المحصل بدون الوحي ان يطلع على ذلك كله مع اشتغاله بتلك المشاغل وقيامه بتلك الوظائف لا سيما اذا كان يتجأ اميا في بلاد قاصية عن الامم المتدنة وبين امه امية؟ فان جوزتم ذلك فهل يمكنكم ان تأتوا بنظيره في كل ما حكياه عنه (ص) والحالة ما ذكرنا لان ما يجري على النوايس الطبيعية لا بد وان يتكرر بل لا بد وان يترق كما هي قاعدة النشوء الطبيعي واذا لم تفعلوا فانتم مقفرون مكابرون وسيعلم الذين ظاهروا أي منقلب ينقلبون

قلت وبما ذكرناه يبطل قولهم ولو وقع وصحة ما دلت عليه الاحاديث تبطل

دعوى أخينا الفاضل الدكتور أن أحاديث الآحاد كذا لا تزيد غير الظن مطلقاً

ولنعد إلى إبطال الشبهات المذكورة على النسخ زيادة على ما ذكرناه سابقاً
فقول أن كان اعتراضكم هذا صحيحاً وأنه لم يتم له (ص) ما تم إلا بما ذكرتم فلم لم
يقم في وجهه أعداؤه إلى يومنا هذا فيصالحوا أو يكملوا أو ينقضوا ويبرموا ويتعاضدوا
ويتعاونوا فصحاءهم وخطبائهم وشعراؤهم ليأتوا بمثل قرآنهم بزعمهم أو يأتوا بسورة من
مثله؟ لم لم يفعلوا وهو يناديهم هل من مبارز هل من معارض؟ ويتلو عليهم في كتابه «قل لن
اجتمع الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً» ويتلو فيه «فأتوا بسورة من مثله» — أو — قل فأتوا بعشر سور مثله لو كان
الأتين بالقرآن أو بمثله مما يمكن البشر الواحد ولو بالأصلاح والتمهل كما نقولون فهذا
قدر واستطاع أن يجيء بمثل سورة قصيرة منه جميع العرب العرباء والمستعربين
والمعربين جمعاً وانفراداً ولو بعد الأصلاح والتكميل المزعوم؟ وحيث استحال ذلك
بمضي تلك المدة الطويلة وعجز فطاحل العرب وفصحاؤهم وفاتوا ولم يخلفهم مثلهم
لكن من خلفهم هو أعجز منهم علم فساد قولكم وكذب وسقوطه

أن نفس التحدي بسورة من القرآن معجزة لأنه لا يمكن أحداً من البشر العقلاء
أن يدعيها لنفسه من قبل نفسه، ولا يأتي به من عند نفسه ومن يأمن أن يأتي الزمان بمثله
أو بأحسن منه وإذا لم يكن عنده يقين بذلك فكيف يشترط صحة دعواه عليه ويعلقها
بهذا التحدي فما بالك بمن قد صرح بصحة جسده وكمال عقله وتدبره العدو الخالف
والصديق الموافق. أما لو كان هذا التحدي بغير أمر الله لسكان من أبعد كل بعيد
وأحل كل محال صدوره من سيدنا محمد (ص)

هذا بعض ما نقوله في الجواب عن هذه الشبهات الواهية اضربنا فيه عن الإطالة
وما تركناه أكثر وما عند المكاملين أكثر وأعظم وما عند الله خير وأبقى «أن في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»

فقول الدكتور الفاضل ومنه ترى أن اعتمادهم فيها (أي في إيراد الشبهات) إنما هو على
روايات الآحاد التي يتمسك بها المسلمون إلى أن قال ما محصله — فهل اردتوا هذه

بدلاً عن ان يقوموا في وجهنا ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طمس في أصول الدين وبمثابة تسليم سكا كين للخصم ليقطع بها منهم الوتين انتهى
وأقول قد عرفت جوابنا عن هذه الشبهات وانت اذا تأملت عرفت ان فسادها بديهي فلا سكا كين وانما هي شك مخضود وبذاء من القول مردود فلا وخز مخافة ولا قطع ونحن لم نرد عليه مكفرين له مع تأويله ولكننا بينا فساد بعض أقواله وضممتناه وقلنا انه لا حاجة تلجئنا اليه وهو حفظه الله انما خاف من غير مخوف وظن السراب ماء وليس ما نبحت فيه مع الفاضل الممدوح مما يليق بالعلاء ان يقولوا فيه تعصبا وتحيزا ولا فخرا ومماراة بل هو الدين وارادة الحق وطلبه للفوز برضاء الرب ولذلك قلنا في رسالتنا السابقة ان طالب الحق لا يليق به ان يستدل بأقوال الناس وانما يستأنس بها بعد البحث والتفحيط وامامنا نقض منها حكم الله في كتابه أو في سنة رسوله (ص) فاننا نضجر منه ونأله ونرفضه لانه من الغلطات التي غايتها ان يقتصر قائلها اذا لم يقصر ومن تبع الشواذ وقع في الغلطات وانه لولا التأويل بحسن قصد لزم كل غلط لوازم فظيمة مكفرات ولو التزم كل غلط لوازم قوله لفحش الخلاف وبعد الاتفاق ولحكم بكفرا كثير الغالطين ولذلك كان القول الحق ان لازم المذهب ليس بمذهب اما ما ذكره الفاضل في كلمته الثانية من التفصيل فهو وان كنا نقصد الحق زيادة عليه الا انه قول قد قاله كثير من الأئمة ومع ذلك فله حظ من النظر الا قوله في آخرها د اما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن ، الى آخره فاننا لا نسله له لا سيما وقد عرفت مما قدمناه عدم مخالفة نسخ وإنشاء لفظ القرآن للحكمة والعقل فاذا صحت الرواية عن الثقات الضابطين بالحفظ والمراجعة أو بالكتابة المصونة بأن آية كذا كانت قرآنا وأنها نسخت أو أنسيت أو رفعت أو نحو ذلك قبلنا ذلك وحيث كان لم يقصد من هذه الروايات اثبات زيادة على القرآن الموجود فهي غير معارضة ولا مناقضة لما ثبت من القرآن بالتواتر حتى على قول من يشترط التواتر في اثبات قرآنية القرآن — وترجيح التواتر على الآحاد انما هو اذا اتحدت الدلالة من جميع الوجوه حذو النعل بالنعل مع عدم معرفة التأخر اما اذا لم تتحد كالأمام والخاص والمطلق مع المقيد او ما تأخر تاريخه فلا معارضة ولا مناقضة لا شرعاً ولا

عقلا ولأن الآخذ بالدليلين هو المتعين والا للزم اهل احدهما — واصل منشأ
اشتراط التواتر انما هو في الوصف بالقرآنية الذي من احكامها المفرقة عليها التلاوة
في الصلاة ونحوها واثباتها في المصحف الى غير ذلك على خلاف مشهور في ذلك
لاهل العلم والنظر ولذلك نرى الحق عدم جواز نسخ السنة للفظ القرآن المثبت في
المصحف واما حكمه مع بقاء اللفظ فهو محل الخلاف والحق عندنا جواز نسخ الحكم
بالسنة الصحيحة لأن ثبوت الاحكام لا يشترط فيه التواتر كما سيأتي ولأن
اقتضاء الحكم للتكرار امر زائد على مفهوم مجرد الامر وكذلك الاستمرار كلاهما
شئني وخبر الآحاد اقل حالاته اذا كن صحيحا ان يكون ارجح لكن هل ذلك
واقع فعلا ام لا ؟ ولا شك ان من بعد غوزه في فقه الدين يعرف ان ذلك لم يقع
وان السنة مينة ومفسرة لما دل القرآن عليه ولو بدلالات خفية او تأتي باحكام يكون
القرآن ساكتا عنها او زيادة على ما فيه وهذا اجمال يدرك المنصف ما وراءه من
الفوائد اكتفينا به عن التفصيل والاطالة

تكلم حضرة الدكتور الفاضل في الكلمة الثالثة من رسالته على قوله تعالى « ما
نسخ من آية أو نسفانأت بخبر منها او مثلها » الآية — وحاول ان يثبت ان يكون
المراد بالآية المعجزة وقال انها على حد قوله تعالى « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلناهم ازواجا وذرية وما كن لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ، لكل اجل
كتاب » يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب »

اقول واعلم انه لم يقل أحد ممن يفسر القرآن بالاثورات مدلول الآية هي
المعجزة في الموضعين معا او ان معناها واحد كذلك والمعروف عنهم ان
هذه الآية في المعجزة وتلك في آيات الاحكام وسيأتي ان بعضهم حمل الالحاء
على نسخ آيات الاحكام أيضا عكس ما يقوله الدكتور الفاضل وقوله تعالى ما ننسخ
من آية أو نسفها قد عرفناك تفسير السلف لها في رسالتنا السابقة واما قوله تعالى « وما
كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله » فلا شك ان المراد بالآية فيها المعجزة خارقة
العادة فليس الى أي رسول الإتيان بها بل ذلك إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء
وبحكم ما يريد — فقوله « لكل أجل كتاب » أي لكل مدة مضروبة كتاب

أي مكتوب « وكل شيء عنده بمقدار » ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض أن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير » فالمراد بالكتاب ما يعلم معلومات الله الكونية والشرعية الدينية بأن جعل لكل مدة مضرورة عنه كتابا — وبعض السلف قدرها بالسنة وقد اختلفوا في المحر والإثبات هل يكون في كل شيء أم في شيء دون شيء فقال بعضهم يحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت وقيل غير ذلك أيضا والذي دللت عليه الأحاديث الصحاح أن ذلك كائن في كل شيء . . واختلفوا هل هناك كتب وكتاب غير هذا أم لا وليس الاطالة في ذلك من غرضنا هنا فإن شئت ذلك فارجع اليه في مكانه — فهذان قولان في الكتاب ومدته والقول الثالث أن المراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله من السماء على رسوله وهو قول الضحاك بن مزاحم وكان يقول في قوله « لكل أجل كتاب » أي لكل كتاب أجل « يحو الله ما يشاء » منها « ويثبت » يعني حتى نسخت كل بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صاوات الله وسلامه عليه . فقول الدكتور الفاضل يحو الله ما يشاء من الآيات السابقة فلا يعيدها مرة أخرى للام اللاحقة إلى آخره قول مبتكر لم يدل عليه أثر ولا قاله أحد من السلف ولا ندري كيف أجاز لنفسه القول في كتاب الله برأيه

ونقول معجزات الانبياء التي قد أظهرها الله لا يقال إنه مخاها أو نسخها بل يقال كتبها وقدرها وفي الواقع أظهرها وأمضاها وقد فرغ عنها — والمحر إنما يكون لما كتبه وقدره قبل وقوعه إذا لم يوقعه وما وقع فأنما يقال كتبه وأوقعه طبق ما كتب فالدكتور غلط هنا في مواضع — وحاصله أن الكتاب في هذه الآية أن كان كتاب المقادير والمعلومات فالأحياء فيه لا يكون في المعجزات التي قد أظهرها الله لتأييد انبيائه وإن كان المراد به كتبه التي أنزلها على انبيائه لكل أجل ما يناسبه من من كتب الأحكام وآياتها فالآية نص في رد ما زعمه حضرته

أما قوله : وأعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها يعني قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك

٢١٨ التفسير بالرأي وتفسير السلف . الأستاذ الامام (المخرج ٣ م ١٢)

ختمت بقوله تعالى «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» إلى آخر ما قاله في هذا المعنى وأقول نحن قد ذكرنا تفسير السلف لهذه الآية في رسالتنا السابقة وهم الذين تلقوا عن رسول الله (ص) بيان القرآن وهم الذين شاهدوا الأسباب والوقائع وهم الذين نزل القرآن بلسانهم فتفسيرهم للقرآن لا يجوز لنا الخروج عنه بالكلية وما ذكره الدكتور الفاضل واختاره هو لم يختره من أقوال السلف ولم يقل به أحد منهم وهم قد صرحوا بأن هذه الآية إنما نزلت في آيات الأحكام فحمل ذلك على المعجزات إنما هو من باب الخرص والقول بالرأي في كتاب الله وهو لا يجوز (فتفسير الآية في هذا المقام بالمعجزة فقط متعذر من حيث النقل وسياقها لا يقتضي ذلك وكذلك معناها ومدلولها لا يصح أن يكون هو المعجزة عقلا

وما ذكر عن الأستاذ الامام شيخ الاسلام الملقب الشيخ محمد بن عبد الله رحمه الله فإن صح عنه ذلك فلهذا قاله من باب الاستنباط والإشارة والإيماء — زيادة على ما يدل عليه الظاهر — ذلك هو الواجب على الصادق في موالاته . الأستاذ الامام وما أدراك ما مرتبته وفضله ومقداره محبة أهل الحديث له في جميع الأرض كيف لا وهو امامهم وحامل لواسم النبي هزم الله به المبتدعين وكسر به صورة" نقادين الجاهدين . نصر الله به السنة واتباعها وحفظها به عن ضياعها سمعت بعض الناس يقول ان الأستاذ الامام لا يقبل أحاديث الآحاد الصحيح — فقلت له كيف علمت ذلك ؟ قال لأنه قال في بعض كلامه أنا لا قبل الحديث إلا إذا تحققنا وجود مكة والمدينة . فقلت له ويحك ما ذا تقول ان الأستاذ الامام رحمه الله يصح أن يتحقق الأحاديث الصحيحة ويحورها كذلك وإذا اتسع علم الإنسان ظهرك ما خفي على غيره وكل أئمة الحديث كذلك رحمه الله (لغاية)

(المبارك : تفسير القرآن بالرأي عبارة عن تفسير المرء له لأجل تأييد رأي يتخلله أو مذهب يتقلده فهو يعني تفسيره بالهوى . وليس معناه تفسيره بما يخالف للأثر عن الأولين ولا يمكن أن يكون هذا هو المراد بحديث انكار التفسير بالرأي على أن الحديث لا يصح والسلف قد فسروا القرآن بفهمهم وخالف فيه بعضهم بعضاً وأكثروا ماورد عنهم من ذلك لا يصح له سند وكلمة الامام احمد فيه مشهورة

الدولة العثمانية بعد الدستور

﴿جمعية الاتحاد والترقي﴾

تصريحات كامل باشا في سبب سقوط وزارته

نشر كامل باشا مقالا طويلا في سبب اسقاط الجمعية اياه من الصدارة بعد إخراجها هو ناظر الحرية واستعفاء ناظر البحرية من الوزارة وهما من أعضائها . واتنا فنشر ترجمته برمته للبيان في الحال والتاريخ في الاستقبال ، قال كان يوم السبت الموافق ٣١ كانون ثاني « يناير » في مجلس المبعوثان يوما عبوسا قطريا هبوب اعصار الافكار حتى ان بعض الاعضاء وبلغ عددهم زهاء السبعين تركوا المجلس وانصرفوا حذرا من نتائج هذه الزوبعة التي كانت منحصرة بين جدران دائرة المجلس المذكور وبينما كان الذين يباينهم خبرها في الخارج لا يصدقون بصحة وقوعها كان الذين داخل المجلس في غاية القلق والتأثر من السطوة التي يرونها من بعض الناس كانوا يتخللون صفوفهم ومما كان يلقي على مسامعهم من ان تسكين هذا الهياج الذي دام نحو ساعتين لا يتأتى الا باسقاط الوزارة التي كانت قد ضعفت باستعفاء ثلاثة من أعضائها وهذا لا يكون إلا باقرار المجلس على عدم الثقة بها . فلما رأى الأعضاء الحاضرون ذلك بادروا لحسم الازمة على الوجه الذي أريد منهم وأقروا على عدم الثقة بالوزارة ظنا منهم انهم خدموا بذلك سلامة الوطن والمملكة ولم يكن مبعث هذا الهياج الا المساعي المظيمة التي بذلت في سبيل احداثه إذ بعثت البعثات الخصوصية قبل ذلك الى أدرنه وسلاطيك فاذاعوا هناك ان الحكومة تقصد إعادة الحكم الاستبدادي وبذلك حركوا بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث وأهاجوا سخطهم

ثم أرسلوا باسم هؤلاء الضباط وسائل برقية إلى بعض أمحاء السلطنة تشير بانهم (أي الضباط) مستعدون للوقوف امام كل حركة تبدر من الحكومة بعبء

بها ارجاع الحكم الاستبدادي كما انهم أوعزوا إلى بعض ضباط الاسطول بإرسال رسالة برقية إلى مجلس المبعوثان يطلبون فيها عزل ناظر البحرية الذي تعين بالوكالة ويلتفون المجلس انهم لا يعرفون رئيسا لهم سوى مجلس الامة العثماني وقد تلي هذا التلغراف في المجلس وتم لهم بذلك ما يقصدونه وهو اظهار المملكة في حالة فوضى امام الناس لذلك كنت أردت وقتئذ ان أبين ما بالمملكة من الاضرار من جراء هذه الازمة الفتنة والمقصودة قصدا وان أذيع المسائل المهمة والاسرار السياسية التي لا ضرر من افشائها وانما رأيت ان أوجل إيضاح ذلك الى وقت آخر أكثر مناسبة منتظرا زوال هياج الافكار المار ذكره وها قد أتيت الآن بالإيضاح الموعود مقرونا بالأدلة الواضحة بقدر ما تسمح لي به الظروف في الحال وما يفرضه علي حسب تجنب المحاذير السياسية :

لا يخفى أنني كنت قد ذهبت بالذات إلى المجلس النيابي في أوائل انعقاده وأوضحت امام الاعضاء برنامج الوزارة السياسي الذي حاز وقتئذ قبول الهيئة المحترمة ورضاه ووعدت الوزارة بأنها تسير على مبدأ هذا البرنامج مع ان القانون الاساسي لم يصرح بشيء عن دعوة الصدر الاعظم وشيخ الاسلام للاستيضاح منها عن بعض الامور وانما فعلت ذلك بقصد خالص من كل الشوائب تطبيقا لمصالح البلاد على الحكم الشوروي الحقيقي ومراعاة للإدارة الدستورية ولوضع مثال للمستقبل ولا يؤخذ من ذلك انه يتحتم على الصدر الاعظم ان يحضر الى المجلس في الساعة واليوم اللذين يطلب فيها كما انه لا يفهم من طلب تأخير الصدميعاد الايضاح بضمة أيام انه يريد بذلك الغاء هذا الاختصاص الذي أعطاه القانون الاساسي للنظار بناء على حكمة كبيرة والوارد في جميع قوانين الدول الدستورية الاساسية . ان الاصرار في هذا الباب يعد خرقا صريحا لاحكام القانون الاساسي . وقد كنت عزمت عند ما وصلتني رسالة الدعوة من رئاسة مجلس المبعوثان في مساء يوم الخميس الموافق ٢٩ كانون الثاني (يناير) ان أذهب في اليوم المطلوب الى المجلس للاجابة على الاستيضاح حذرا من اخلال الاحوال الموضوعية ولكنه جاء في اليوم التالي (الجمعة) رسول من قبل سفير روسيا يخبرني بأن السفير سيحضر يوم السبت الى

الباب العالي لمقابلي وللمذاكرة معي في المسألة البغارية حسب تاخراف ورد عليه من بطرسبرج وفي الحقيقة حضر السفير المشار اليه في اليوم المذكور . فلاجل ذلك ولاشتغالي ببعض مسائل سياسية مهمة كتبت إلى رئيس المجلس بإرجاء موعد الايضاح إلى يوم الثلاثاء المقبل

وبعد عصر يوم السبت المذكور وردت علي رسالة من رئيس مجلس المبعوثان يقول فيها انه بناء على بعض إشاعات وصلت إلى مسامع المجلس هاجت أفكار الاعضاء وهو يرى من الضروري ذهابي في الحال إلى البرلمان لاعطاء الايضاح اللازم فكتبت الى الرئيس جوابا قلت فيه ان الاشاعات التي بلغت المجلس عارية عن الاهمية وان لأصل بالمرّة لما قيل من حدوث هياج في المدينة واني سأحضر الى المجلس يوم الاربعاء وكان قصدي من هذا الإرجاء (أولا) ان نتوصل بما عندنا من الزمن الى ربط المسائل السياسية المهمة الماسة بمرافق الدولة الحيوية بالاصول التي كنا تصورناها الى هذا اليوم (ثانيا) ان أتمكن من إستخراج الوثائق الرسمية من محافظها (دوسياتها) استعدادا للايضاح أمام المجلس ولتقديمها لهيأة المبعوثان بصورة غير علنية حتى يقتنع الاعضاء بصفة قطعية بما سأقوله :

ورد بعد قليل رسالة ثانية من رئاسة المجلس فأعدت جوابي الاول بايضاح أكثر فلم يأت بفائدة ، بل أرسل أحمد رضا بك بضرورة حضوري الى المجلس لبيان الايضاح المطلوب نظرا لهياج الامة والمجلس الناشيء من تبديل بعض النظار وما عقبه من اشاعة الخلع الكاذبة (أي خلع السلطان) واستعفاء بعض النظار مما جعل سياسة الدولة في الخارج والداخل في حالة غموض وإبهام

فلما رأيت هياج الافكار الذي كان منحصرا فقط في اعضاء المجلس دون الاهالي أي لا أثر له في الخارج باشرت التحقيق في الحال لأقف على الطرق والمساحي التي بذلت في سبيل احداث هذا الشغب وعلمت أنه ازداد عدد الحزب المعارض لي في المجلس وما تقرر لديهم من أمر مما لماتي في حالة ذهابي مما يسبب حدوث أمور غير مرضية تخط بقدر مجلس المبعوثان . فتجنبنا لذلك كله كتبت الى الرئيس أعلمه بأني مستعد لتقديم الاستقالة من منصبي الى الحضرة السلطانية اذا لم يراجع

٢٢٢ تصريح كامل باشا بسبب سقوط وزارته (النارج ٣ م ١٢)

نص المادة ٣٨ من القانون الاساسي ملقيا تبعه ما ينشأ من الاضطراب داخلا وخارجا على عاتق الذين كانوا السبب في حدوثها . فليأت الجواب وحصل ما حصل في المجلس من الامور الغريبة . وقد جذبت الاحوال المذكورة انظار الاجانب الذين كانوا موجودين وقتئذ في دائرة المجلس واستوقفت ابصارهم الطرق والوسائل غير القانونية التي اتخذت للوصول الى اجبار الاعضاء على التصويت ضدي واعطاء قرار بعدم الثقة بي كما ان شيوع هذه الامور التي هي بمكان من الغرابة قد شغل افكار الجمهور

وزد على هذه الحالة المحلة بالقانون بصفة خصوصية ذهاب رئيس مجلس المبعوثان مساء اليوم المذكور وبرقته بعض اعضاء المجلس الى القصر السلطاني وطلبه من الحضرة السلطانية فصلي من مناصبي قبل ان استقبل منه وتعيين خلفي الذي رشحته الجمعية (جمعية الاتحاد والترقي) من قبل ومن الامور التي تستدعي دقة النظر المنشور السلطاني الذي استصدره بتوجيه منصب الصدارة العظمى على حسين حلمي باشا والذي تلي في الباب العالي اذ ورد فيه هذه الجملة بحروفها :

« بناء على انفصال كامل باشا حسب الايجاب من منصب الصدارة » وهو مثل ما كان يحصل في الزمن الاستبدادي عند فصل الصدور من مناصبهم بناء على دسائس اصحاب الاغراض مع انه كان يجب ان ينظر انفصالي على استعفائي وسبب هذا الهياج الذي لم يكن ليوجد لو لم يحدته البعض عن قصد هو تعيين ضيا باشا في منصب نظارة المعارف التي كانت شاغرة من قبل وتعيين حسن باشا من امراء الجند البحري في منصب نظارة البحرية بالوكالة بدلا عن عارف باشا الذي استقال وترك الخدمة بصفة رسمية وتعيين علي رضا باشا ناظر الحربية مندوبا ساميا للدولة في القطر المصري نظرا لبعض الاجابات السياسية الواردة فيما بعد وتعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني في منصب نظارة الحربية بدلا عنه

ولما كان تأليف الوزارة من حقوق اصدر الاعظم الذي يرفع الى الحضرة السلطانية اسما من يعتقد قدرتهم وكفاءتهم لتولي مناصب النظار كنت ارى وجبا

للاعتراض على التبدل الذي حصل في الوزارة وقتئذ كما وقع قبله تبدل نظار الداخلية والمعارف والاقاف والعدلية ورئيس شوري الدولة حسبما ظهر انه المصلحة ولم ينس احد بينت شفة اعتراضا على ذلك

وقد ظهر فيما بعد ان سهم الاعتراض في التبدلات الوزارية الاخيرة كان مصوبا بوجه خاص الى تعيين ناظم باشا في منصب نظارة الحرية حتى انه في مساء اليوم الذي كان تعيين فيه المشار اليه ناظرا لوزارة الحرب حضر الي رجل يدعى ناظم بك من جمعية الاتحاد والترقي وكانت امارات القلق واضطراب البال بادية على وجهه وقال ان الجمعية تستغرب تبدل بعض الوكلاء (النظار) وتستوضح منكم جليلة هذا الامر الذي حدث من غير ان يكون عندها علم به فاجبه بأن ليس في الامر ما يوجب كل هذا الاستغراب . وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوكلاء واشتغلنا برؤية الامور حسب العادة وزدنا عليها المذاكرة في الاحوال المهمة السياسية واقترح أعضاء الوزارة في الساعة ٢ ونصف (بالحساب العربي) وكانهم على اتفاق تام ولم ينتصف الليل الا ووردت استقالة حسين حلمي باشا من نظارة الداخلية وفي اليوم التالي استقال رفيق بك ناظر العدلية وعقبه ورود استقالة حسين فهمي باشا ويظهر ان استعفاء هؤلاء الوزراء من مناصبهم لم يكن نتيجة اتفاق بينهم اذ لا يعقل ان يكونوا اجتمعوا في تلك الليلة ليتفقوا على الاستقالة بعد الشقة بين مساكنهم التي يحول بينها البحر ولكن كان حسب مشورة ونفوذ رجال الغيب (أي جمعية الاتحاد والترقي) ولقد بذلت المساعي في حمل توفيق باشا ناظر الخارجية على الاستقالة اسوة بزملائه المستقيمين ولكن الرجل رفض الاستقالة غير متأثر بنفوذ اصحاب هذه المساعي . ويروي ان سبب استعفاء الوزراء المشار اليهم هو تبدل وزير الحرب والبحر على ان وزير البحرية استقال من تلقاء نفسه وكتاب الاستعفاء الذي رفعه الى الصدارة محفوظ في قلم الاوراق والذي سمي بدلا عنه لم يمين الا بالوكالة فقط . اذن لا وجه البتة للقول والقال في هذه المسئلة . وأما مسألة تعيين علي رضا باشا مندوبا في القطر المصري واقامة ناظم باشا ناظرا للحرية بدلا عنه فساوضحها فيما بعد مقرونة بالاسباب التي اوجبت هذا التبدل

وفي الحقيقة انه لم يكن هناك موجب لاستعفاء النظار الثلاثة كل على حدته وهم

خارج المجلس بل لو كان زملائي النظاراتأوا أثناء المذ كرات وهم في المجلس ان تبديل
ناظر الحرية مخالف لقواعد الشورى والدستور ومضر بمراقب الدولة لكنت اقدم
استقالي في الحال هربا من الوقوع تحت تبعه التهلكة والخطر الذين كنت أراها
يتخللان تيارات الاحوال الحاضرة . ولكن الحقيقة لم تكن كذلك بل كان القصد من
إجبار هؤلاء النظار على الاستقالة (من قبل رجال الغيب) انما هو اظهار الحالة الحاضرة
بمظهر الاضطراب وان يعدوا بذلك وسيلة لاحداث الهياج المطلوب في مجلس المبعوثان
ولا يضاح الامور التي أوجبت تبديل ناظر الحرية . يجب قبل كل شيء ان
اذكر الحقيقة الآتية :

كان بعض القتيان أو ذوي الافكار الفنية من المستخدمين الملكيين أو الضباط
العسكريين وأصحاب الكلمة النافذة من الذين اتسبوا بعد اعلان القانون الاساسي
الى جمعية الاتحاد التي لها الخدمات المشكورة في إعادة الحكم الدستوري جعلوا
دينتهم وضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة الى أن تأيد الحكومة الدستورية
وذلك خوفا من عودة الاستبداد على زعمهم . على ان جميع العناصر العثمانية قبلت
أصول الشورى بكمال الحمد والشكران والسرور واثبتوا انه لم يكن ليوجد بينهم من
يريد الرجوع الى الحكم الاستبدادي كما ان الجنود العثمانية كلها أقسمت وتعاهدت
على الذود عن أحكام القانون الاساسي فلا موجب والحالة هذه لوضع ادارة
الحكومة تحت السيطرة والمراقبة المار ذكرها . ومع هذه البداهة كانت المداخلات
باسم الجمعية في شؤون الحكومة تتوالى وهو الامر الذي أحل بانتظام ادارة الحكومة
وعرقل مساعيها جدا ووضع الدفاتر في سبيل معاملاتهم وأوجب طرء الضعف على القوة
الاجرائية من مداخلات الجمعية التي تألفت في الولايات العثمانية واحتل من جراء
ذلك امر الضبط والربط والنظام كما ان اتقسام الضباط الذين هم القوة المحركة في
القيدين الثاني والثالث الى قسمين ووقوع الخلاف بين الذين ينتسبون الى الجمعية
والذين لا ينتسبون اليها أدى الى الإخلال بالنظام العسكري

ولا يخفى انه بمقدار ما تراعي فياقلنا النظام العسكري ويكون جنودها يدا واحدة
في اتحادهم بما يشبه الجسيم الواحد بمقدار ذلك يكون التأثير في الأعداء وتنكير

شرتهم و بعكس ذلك يتجراً العدو على تجاوز حده و يتمرد و يعطى ومن جهة ثانية لا يهود في قدرة الجيش قمع الفتن الداخلية فلذلك كله كان الواجب على الضباط ان يتجنبوا الاشتغال بالسياسة وان يعتمدوا عنها وان يراعوا سلسلة المراتب حسب ما نص عليه القانون ولكن بدلاً عن ذلك صار الضباط يلهون الخطب السياسية في الملاهي « قونسر » والاجتماعات والمظاهرات وانشأوا يقيمون المناورات الحربية والاستعراضات العسكرية في المراسح فكنت ترى فرق الجند العثماني تمر بأسلحتها وضباطها من امام المتفرجين في مراسح التشخيص وهو مما يحط بالشرف العسكري وكل ذلك كان منشؤه ضعف ارادة علي رضا باشا ناظر الحربية المطلوب منه حسب وظيفته منع كل هاته الامور الخلة بنظام الجيش والذي لم يكن ليقدر على تنفيذ أوامره وتنبهاته بإزاء نفوذ كلمة الضباط المنتسبين للجمعية . على اني اشهد أن علي رضا باشا رجل على غاية من الاستقامة والحلم ولكنه غير قادر على الوقوف امام حركة الضباط التي اخلت بنظام الجيش كما مر ذكره آنفاً فحفظاً لشرف الجيش واعادة النظام والانتظام الى صفوفه تقرر تعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني الذي اثبت اقتداره باصلاح الفيلق المذكور واعادة النظام اليه في مدة لا تزيد عن الشهرين ناظراً للحرية و يودر في الحال لانفاذ هذا القرار وهو الوسيلة الوحيدة لسلامة الامة والوطن ولكن جمعية الاتحاد والترقي التي لا تريد الا استبقاء نفوذها اجبرت زملائي الوكلاء «التنظار» على الاستعفاء واخذت مجلس المبعوثان تحت امرها وبذلك اعدت الوسائل اللازمة لإسقاط وزارتي . وهنا يجب ان اسرد بعض امور حدثت قبل سقوط علي وكانت مقدمة لإثارة الافكار ضدي فكانت السبب في انفعال الجمعية مني واليك الاسباب

كنت من زمن حدوث الانقلاب اروج بقدر الامكان والزمان اقتراحات من كان يرجمني بصفته عضواً في الجمعية واستمر الحال كذلك الى ان حضر ليلة الى منزلي « ذلك قبل افتتاح مجلس المبعوثان بأسبوعين » البكاشي اسمعيل حقي يات معه رجلي بك الذي يدعي انه قائم مقام الوكيل السيامي عن الجمعية وقال ان

الجمعية لا تدخر وسعا في اكرام اعضاء اللجنة البلقانية الانكليزية المؤسسة في
لندره الذين حضروا اخيرا الى الاستانة وانه صار دعوتهم لوليمة عشاء يحضرونها
نهار غد في منزلي !! فقلت لهم اني اجهل وصول هؤلاء الاعضاء الى الاستانة ولا اعلم
مركزهم ومنزلهم في بلادهم لعدم ورود شيء يعرفني عن ذلك لامن سفير الدولة
في لندره ولا من سفير انكلترا هنا فاستغرب دعوتكم لاشخاص لا معرفة لي بهم ،
ولم يسبق المقابلة معهم ، الى تناول العشاء في منزلي من غير ان يكون عندي علم
بذلك كأنكم تدعونهم الى فندق وهو أمر لا استصوبه لعدم موافقته للاصول بل
يجب ان اتعرف بهم قبل كل شيء واقابلهم وبعد ذلك أعد لهم الوليمة في يوم معين
احتد اسماعيل حقي بك ورفيقاه من كلامي هذا وخرجا من المنزل وذهبا في
الساعة الرابعة من الليلة المذكورة نفسها الى القصر السلطاني وقابلا احد قرناء الحضرة
السلطانية وقالاه : « اعرض الآن لحضرة السلطان ان يسترجع الختم السلطاني من
الصدر الاعظم » أي ان يعزله « والا نذهب غدا بالقوة العسكرية الى الباب العالي
ونخرجه منها قسرا على أنه قد تقرر ان يعزل في أول اجتماع من مجلس المبعوثان »
فقال هذا الكلام القرين فأجابهم قائلا : « وما السبب في ذلك ؟ اني
لا استطيع عرض هذه المسألة على جلالتهم في مثل هذا الوقت فلاحسن أن تحضروا
غدا لنفهم ما في الامر ونعرضه على الحضرة السلطانية . »
وعلى ذلك ذهبا وعادا في اليوم التالي وبرفتها ضابط آخر واجتمعت بهم بدعوة
خصوصية حسب الارادة السنية الصادرة لي وكانت معنا أحد القراء فسألهم
من قبل من أرسلوا ؟ فقالوا انهم حضروا من قبل الجمعية فقلت لهم هل الجمعية راضية
عن مراجعتكم للحضرة السلطانية في مثل هذا الطلب ؟ اجابوا نعم ان الجمعية توافق
على كل ما نعمله . عند ذلك اعدت ما قلته لهم في الليل من عدم موافقة اقتراحهم في
مسألة الدعوة وزدت عليه ان عزل الصدر الاعظم بلا سبب ودون ان يستقيل هو
مخل بما نصه القانون الاساسي وان خدمتي الآن في هذا الزمن المحفوف بالمخاطر ليس
الاتقادياني في حب الوطن وليس لأجل التفاخر ولا لجر منفعة . قلت هذا الكلام
بشدّة واشمئزاز فقاموا وانصرفوا من غير ان يفوهوا ولا بكلمة

و بعد ذلك صدرت ادارة سنية تبلغها بالواسطة بوجوب دعوة اعضاء اللجنة البلقانية المذكورة الى الشاي بعد حصول التعارف بهم وصادف أن حضر الاعضاء الموما اليهم الى الباب العالي حيث زاروني وكان عددهم اثني عشر بين ذكور واثلاث قد دعوتهم لتناول العشاء في اليوم التالي عندي حيث حضروا هذه المأدبة كما حضرها ايضا بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي فكان عدد الجميع ۲۴ مدعوا ما عدا رجمي بك الذي لم يشأ أن يحضرها

واللجنة البلقانية هذه كانت تألفت من بعض وجوه ومعتبري الانكليز بقصد انساني ألا وهو تذكير الحكومة الانكليزية بحماية السكان البلغاريين من أهالي مقدونية من مظالم العثمانيين وقد طاف بعض اعضائها القطر المقدوني بعد الانقلاب ليتحققوا بأنفسهم عما اذا كان البلغاريون لا يزالون في حاجة الى الحماية الأجنبية ثم حضروا الى الاستانة وقد قصدت جمعيتنا يا كرام هؤلاء الاعضاء أن تقيم المحجة لهم على الأخوة التي حصلت بين المسلمين والبلغار وان تكسب بذلك رضا اللجنة المذكورة وتحوز بواسطتها انعطاف الأمة الانكليزية على ان الأمة العثمانية كانت قد اكتسبت حسن نظر وانعطاف الشعب الانكليزي العظيم بما أظهرته عقب انقلابنا السعيد من الاستعداد لادارة دستورية سالمة

وهنا يجب عليّ أن اترك الحكم الى أرباب الفكر والأذعان في مسئلة الذهاب الى القصر السلطاني وطلب اسقاط الوزارة من أجل اني رفضت طلب دعوة أشخاص الى منزل صدر اعظم بدون اذنه ولم يسبق التعارف بهم مما هو مخالف لاصول وآداب المعاشرة ولائي قابلت هذا الطلب الغريب بصورة معقولة وهذا أمر جدير بتوجيه الانظار اليه

لذلك صرفت الجمعية كثيرا من المساعي لاسقاط الوزارة عقب انعقاد مجلس المبعوثان ولكنها اخفقت امام ميل الرأي العام الطيبي ولما رأت الجمعية ذلك وعلمت أن لا قبل لها بالوقوف امام الرأي العام أوفدت من قبلها طلعت بك بك وانور بك فحضرا اليّ ليلة وأبلغاني بأنه تقرر أن يكون السير حسب رأي فشكرتهم

على قرارهم هذا وقلت لهم اننا كلنا جسم واحد فيجب أن نسمى معا في سبيل خدمة
الامة والدولة .

مضي ١٥ يوما على ذلك فصادف ان احتفلت فرقة الاحرار في عيد مضي ٦١٠
سنوات على استقلال الدولة العثمانية فدعيت الوزارة أيضا الى المأدبة التي اقيمت
لأول مرة في (برا بالاس) فرأيت ان أحضر هذا الاحتفال احتراما لذلك اليوم
المقدس فلم يرق ذلك في نظر الجمعية فأوقدت إلي احمد رضا بك في اليوم التالي
فاشار في كلامه معي الى عدم استحسان ذهابي الى الحفلة المذكورة فقلت له اني
بصفتي رئيس الوكلاء (النظار) يجب علي أن احضر الاحتفالات التي تقام من قبل
أي حزب كانت تذكارا لمثل هذه الاعياد الوطنية المقدسة ، وان
هذا أمرا طبعيا . فزاد كلامي هذا في مودة الجمعية علي وجدد حزازاتها وصارت
تنتظر الفرصة لاسقاطي حتي تقرر تعيين رجل نشيط نادر المثال مثل ناظم باشا في
منصب نظارة الحرية وعلمت الجمعية ان النظام العسكري سيعود قريبا الى ربوع
الجيش بواسطة الناظر الجديد فلم يرق في نظرها ذلك فأحدثت الهياج المار ذكره .

على ان التخلص من هذه الازمات الخطرة والرجوع الى الحالة الطبيعية مع
توقي الضرر والمهلكة هو من وظائف الحكومة المسؤولة امام العموم والحيولة بين
الحكومة وبين اداء هذه الوظيفة هو بمعنى الرضا بالمهلكة وقبولها . واذا كانت
الحكومة العثمانية لا تستند الى مجلس نيابي يحوز اعضاؤه على حرية الفكر فانه
لا يمكن الوقوف امام المخاطر والمهلك الآتية . واذا أصرت الجمعية على التمسك
بنيار نفوذها هذا واستمرت في السير معه فالنتيجة تكون مجهولة بسبب مضادة الرأي
العام للسير على المنوال المذكور وذهاب الضباط وامراء الجند مذاهب شتى

على ان الحكومة العثمانية تهترب شيئا فشيئا من مستثنين سياسيين مهمتين إذا لم تنحسما
بالطرق الحكيمة الضرورية في زمن غير بعيد يخشى من أن تجد الدولة نفسها أمام
غائلة كبيرة . الاولى مشكلة كريد وقد كانت الحكومة وقتئذ اتخذت الوسائل اللازمة
التي توصل الى حلها حلا يوافق مصالح الدولة العثمانية واهالي الجزيرة وهو جدير بموافقة

الدول الاربع الحامية لكريد . ولا أدري بالنظر الى الحالة الحاضرة في أي طور
ستدخل هذه المسئلة المهمة الآن

واما الثانية وهي المسئلة البلقانية فهي أهم من مسئلة كريد وقد زاد مركزنا اشكالا
فيها تضارب المصالح السياسية بين الروسية والنمسا في هذه الآونة فاذا لم يحكم مركزنا
هذا في الوقت اللازم باستعمال الوسائل الرشيدة كانت العاقبة وخيمة جدا علينا
ولا ينبغي أن اتقوأساس كل شيء فاذا كان ناظر خارجية إحدى الدول لم
يشأ قبول اقتراح سفير دولة أخرى كان من الواجب أن يظهر لمان ٣٠٠ الف
حربة وراء ذلك الناظر مستعدة لنصرته كما قاله البرنس ميتريخ « ناظر خارجية النمسا
السابق » لرفضت باشا مندوب الدولة العثمانية السامي . ولو كان عندنا في شهر اغسطس
الماضي قوة مهيأة مجهزة للدفاع عن مراققنا في الروم ايلي لما كانت بلغاريا تجرأت على
اعلان استقلالها ولما اقدمت النمسا على ضم البوسنة والهرسك لبلادها وهذا الحال
يمكن تطبيقه في المستقبل فاذا اهلكت قوانا الحربية كما كانت اهلكت من قبل لا تتمكن
الدولة من الوقوف في وجه الأعداء وتخرج بلاد الدولة العثمانية قطرا بعد قطرها من
يدها وهذا ثابت بدليل حدوث أمثاله مرارا لذا رأيت تعيين ناظم باشا المشهور بقدرته
على اصلاح جيشنا في بضعة شهور ناظرا للحربية امر ضروريا ليتمكن الاصلاح في
مدة قليلة قبل فوات الوقت . أفلا بعد الوقوف في سبيل الحكومة لمنها من اصلاح
كذا ضارا ومروجا لمقاصد الذين يرجعون اغراضهم الشخصية على مصالح الدولة
إن اعلان الدستور الذي كان نتيجة مساع عظيمة صرفت في هذه السبيل
اكسب الدولة انعطافا وروبا عليها واطمئنانا اليها والثقة بها فاخذ أصحاب رؤوس
الاموال يوفدون وكلاءهم الى الأستانة والبعض منهم حضر بنفسه للقيام بالمشروعات
المفيدة الاقتصادية النافعة للبلاد مثل انشاء الخطوط الحديدية وارواء الاراضي من
الأنهار واستثمار المناجم والمعادن وتجهيف المستنقعات والبرك مما يستلزم بذل الملايين
في البلاد العثمانية وبذلك يجد المهوزون والفقراء من سكان البلاد الذين كثيرا ما
يلجأون بسبب ضيق ذات اليد الى ارتكاب المحرمات شغلا بأجر وقيروفر لهم أسباب
المعيشة ويكفي الحكومة مؤنة الاهتمام بهم وبجرائهم المضررة بالسكان والبلاد

الناشئة عن الفقر والاحتياج . ولكن اختلال النظام في المملكة المتأني من تغير شكل الحكومة ودخول ادارة السلطنة تحت نفوذ جمعية غير مسئولة مما لم يحصل مثله في الممالك المتمدنة استوجب بكل اسف انسلاب ثقة اوروبا وعدول ارباب رموس الاموال من الغربيين عن ارسال ملاينهم الى البلاد العثمانية انتظارا لرجوع المياه الى مجاريها الطبيعية واستتباب الامن في البلاد تحت إدارة حكومة شرعية يرتاح اليها ارباب الاموال وقد كنا آملين ان تساعد زيادة الإيرادات المنتظر حصولها من المشروعات الاقتصادية المار ذكرها ومن احتكار بعض البضائع التجارية الواردة في البر وتوكل العثماني النمساوي وتزيد رسم الجمارك على سد المعجز الذي في الميزانية العمومية

وأما الآن فان المرء يتساءل كيف يمكن للدولة ان تقوم بادارة حركتها مع نقص الملايين في ميزانيتها ومع عدم وجود الامل في زيادة الإيرادات بالنظر لامتناع ارباب الاموال عن انفاذ المشروعات الاقتصادية في المملكة واخلال ان الدول لا ترضى بسبب حالتنا هذه بزيادة رسم الجمارك ونروج اقراح الدولة في مسألة الاحتكار خصوصا وان الحكومة مضطرة لإعاشة أكثر من ٢٥٠ الف جندي في هذا الزمن السلمي ولا نستطيع تخفيض هذا العدد بسبب القلاقل الضاربة أطنابها في المملكة وفقدان الامن في انحاءها وعدم مساعدة احوال الدولة المالية لانفاق كل هذه المبالغ بصورة دائمة وليس في الامكان مع الحال الحاضرة ايجاد منابع ايراد لها كل هذا يجعل المرء في حيرة من حالة الدولة وكيفية ادارتها مع ما هي عليه من التضعضع المالي . ولو زال هذا الارتباك وحل محله النظام وعادت المياه الى مجاريها الطبيعية لاستتب الامن والراحة في المملكة . ويمكن حينئذ صرف عدد كبير من الجند وادارة ما بقي منه ضمن دائرة الميزانية كما ان الجنود التي لا لزوم لها تنصرف الى الاشتغال بالزراعة والفلاحة في بلادها فيزيد بذلك المحصول في المملكة ولكن هذه الملاحظات بعيدة جدا على ما أرى عن النظر والامعان كان قد ذكر على الألسن في الايام التي دعيت فيها الى الذهاب لمجلس المبعوثان اشاعة الخلع (أي خلع السلطان) فقد اتصل بنا خبر من هذا القبيل عند ما كان

ناظر الداخلية ملازما لقراشه من مرض أصابه وقد صار حينئذ اتخاذ كل الطرق اللازمة لمعرفة ما اذا كانت هذه الاشاعة حقيقة أم هي فرية من المقربين التي نشرت في الجرائد الاوربية وفي ذلك الوقت نفسه أشيعت أوجوفة أخرى بأنني أنا وناظم باشا نريد إعادة الحكم الاستبدادي وأرسل بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث رسائل برقية إلى بعض البلاد في المعنى المذكور واستدلوا على ذلك بطلب إعادة توابع الصيادة إلى الفيلق الثالث على أن لا أصل البتة لكل ما قيل من هذا القبيل والحقيقة هي أن السكان المسلمين الذين هالهم خبر تسليح الحكومة اليونانية للأروام القاطنين قرب الحدود في ولاية يانيا قد طلبوا من الحكومة إرسال أربعة توابع في أسرع ما يمكن كما أنه قد وردت برقيات من أهالي تلك الجهات إلى نوابهم في مجلس المبعوثان في هذا المعنى نفسه وزادوا على ذلك أن أهالي (قالتاندن) تسلحوا واجتمعوا وانهم مستعدون للقيام بما يجب عمله إذا لم تحضر الجنود في الحال فبناء عليه صدر الأمر إلى نظارة الحربية بوجوب إرسال أربعة توابع من الفيلق الثالث إلى يانيا وأنه إذا لوحظ أن أخذ أربعة توابع من الفيلق المذكور يؤدي إلى إضعاف قواه العمومية — خصوصا وإن كثيرا من جنده كان قد أرسل طاشليجه لتقوية الحدود المصرية — تلقاء هياج المصريين وقتئذ — فلا بأس من إعادة التوابع التابعة للفيلق الثالث والمرابطين الآن في الاستانة. هذا هو الأمر الصادر إلى نظارة الحربية وقد أجاب ناظم باشا عليه قائلا أن الفيلق الثالث أجاب بأنه لا يمكن أخذ جند فوق ما أخذ قبلا من قوى فوق الفيلق وإن المسألة انحسرت بتدابير أخرى بلا حاجة إلى إرسال الجند إلى يانيا

بقي عليّ أن أشرح بعض نقط في مسألة رغبتنا في إعادة الحكم الاستبدادي فأقول: إنني عند ما كنت صدرا أعظم للمرة الثانية قبل ١٤ سنة وجدت تغيرا عظيما في أصول الإدارة ورأيت أن نتيجة شكل الإدارة على هذا النمط سيكون وبالا على الدولة. فرفعت في الحال تقريرا مفصلا إلى الحضرة السلطانية وطلبت من جلالها أن تسلم الإدارة لهيئة عمومية تكون مسئولة أمام العموم وأن تستريح من عناء الأعمال فقبلت الحضرة السلطانية كل ما عرضته وصدرت الإرادة السنية بتأليف الوزارة

حسبما ورد في التقرير الآنف الذكر . ولكن لم يمض يومان الا وصار فصلي بصورة غريبة من الصدارة بناء على افساد بعض المقر بين الذين يرجحون منافعهم الشخصية على صواح الوطن والامة وعينت واليا على حلب بقرار من مجلس الوكلاء (النظار) ثم نفيت الى ازمير فبقيت هناك ١٢ سنة وأنا اذوق الامر بين من الفسدة الذين ساطوا علي عن قصد . وفي النهاية صدر الامر بنفي الى رودس حسب تسويات اصحاب المآرب

كل هذا يعرفه الجمهور كما يعرف كيفية خلاصي من النفي المؤبد الاخير الى رودس وحضوري الى الاستانة . ولو فدى اخلافي قليلا من مصالحهم في سبيل صالح الوطن وساروا على الطريق الوطني الذي سرت عليه أنا لما دامت الادارة السابقة ودام معها تخريب البلاد

وأما اتهم ناظم باشا مني بانه يريد اعادة الحكم الاستبدادي فيكفي لدحض ما قيل فيه أن أقول إن الرجل نفي الى ارزنجان بسبب طفيف بعد أن جرد من رتبة وألقاه وألقي في غيابة السجن وقضي على هذا الحال سبع سنوات هناك وهو لا يملك بارة واحدة وعائلته واولاده يتنون تحت أثقال الجوع والفقر ولم يعد الى الاستانة الا بعد اعلان الدستور مما ثبت أن ما أشيع في حقنا نحن الاثنين كذب واقتراء شنيع

اني لم أقبل منصب الصدارة الذي اسندته الحضرة السلطانية إلي وأنا في هذا السن عقب اعلان الدستور وفي زمن سخط الرأي العام على الادارة السابقة وتهيجه الا تهدئة الافكار التي بلغت متهى التهييج والقيام بما يجب علي حسب الحجة الوطنية من المساعدة على تأسيس الحكم الدستوري مستعينا على ذلك بتوفيقات الله الصمدانية ولم يكن لي ارب في حيازة المناصب قط . واني أتمنى لأخلافي أن يؤدوا الخدمات النافعة للوطن المقدس والامة والدولة وهم بهيدون عن كل تأثير ونفوذ واختم كلامي بتحويل قرار عدم الثقة بي الصادر من مجلس المبعوثان وتقديره على الرأي العام العادل

الصدر الأعظم السابق

كامل

الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

﴿ وسائر الجمعيات ﴾

أعلن الدستور العثماني منذ بضعة أشهر ففتحنا له مع القاتنين ، ورحبنا به مع
المرحبين ، وهما به سرورا وشغفا ، وملانا ديار مصر وسورية مقالات فيه وخطبا ،
ولكن سرورنا به لم يكن سالما من كل شائبة ، ورجاءنا فيه لم يكن خلوا من كل
مخافة ، فقد أودعنا المقالة الأولى التي أنشأناها في الأسبوع الأول من اعلان الدستور
ترجيا به هذه الجمل (راجع ص ۱۲ م ۱۱)

۱ - « فالواجب على هذه الجمعيات المدبرة ، والقوى المنفذة ، ان تكفل
الدستور الذي ناله الامة حتى تأمن عليه من دسائس اعوان الاستبداد ، الذين
قاموا بتنظيم حكومة الجواسيس أعظم قيام ، وأول عمل يجب عليها هو السعي لإبعاد
اعوان الاستبداد عن دار السلطنة - لا عن دار السلطان فقط - ومحكمة من
يمكن ان يسترد منهم العدل ، ما وهبهم الجور والظلم ، وتشكيل وزارة حرة تقوم
بأعباء السلطنة ، وتنقي الولاة والمتصرفين والقضاة ورؤساء العدلية من اخيار
الأحرار ، الذين يرجى ان تصلح بهم الادارة ويستقيم القضاء ، ويحفظ الامن ،
ويستقر العدل ، لتندفع الامة الى الاعمال النافعة في ظل الدستور الطليل ، ثم العناية
بأمر انتخاب النواب الخ ... »

۲ - « إذا نحن كفينا شر المستبدين الأولين ، ونننا وزارة من الاحرار
المستقلين ، فالواجب علينا ان نقف عند هذا الحد من المطالب في العاصمة وأن نعود
السيوف إلى أعناده ، وتنصرف الضباط الى سابق شأنها ، مع احكام الروابط
الخفية ، بينها وبين الجمعيات السياسية ، ويتوجه الاحرار الى إصلاح حال المملكة ،
بجميع الوسائل الممكنة ، والحذر والحذر ، من عواقب نشوة الظفر ، الحذر والحذر

من إهانة شخص السلطان ، والتسلى إلى عرشه بالبغي والعدوان ، فما دام السلطان مستويا على عرشه فهو رئيس الامة ومرجع سلطتها ، ومنفذ قوانينها وشريعتها ، والوزارة هي الواسطة بينها وبينه ، فاعتداء المرسوم على الرئيس بإدلال القوة ، دون القانون والشرعية ، مجلبة للفوضى ومدعاة للخلل ، ويخشى في مثل الحال التي نحن فيها ان يفضي إلى الخطر ، الخ

٣ - « ان افصل ما تفاخر به الآن هو اننا نلنا الدستور من غير اراقة للدماء ولا إيقاع للبلاد في فوضى الثورة ، ولا غير ذلك مما يذم ويكره ، فيجب أن نحافظ على هذه الفضيلة ، وان لا نرتكب في طلب الفرع ، ما عصنا الله في طلب الاصل ، عسى ان يكون تاريخنا في هذا الطور انظف من تاريخ جيراننا فيه »

٤ - « ان امامنا عقبات كثيرة منها ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمنون بها شغفاء ومنها ما هو اقرب الى الوقوع كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ، ومنها مسألة تكون الجنسية العثمانية ، وما يقع في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، »

٥ - « الحق أقول : إنه لا يخشى علينا من سلب الحرية ، وإنما يخشى علينا من سوء استعمال الحرية ، ومن الجهل بطرق المحافظة على الحرية ، : يخشى أن تدفع الحرية بعض الاحرار الظافرين ، الى مثل عمل المستبدين ، وان تهبط العبودية الموروثة بكثير من الجاهلين ، الى ان يكونوا عوناً على انفسهم للحكام الظالمين . » هذا بعض ما كتبناه في حال السرور باعلان الدستور في الاسبوع الاول من اعلانه وقد وقع جميع ما توقعناه وخفناه

اخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها كفالة الدستور وحفظه فألفت لها لجانا واحداثت لها شعبا في جميع بلاد السلطنة ، وأبعدت أعوان السلطان عنه وسعت في محاكمة بعض المبروفين بالظلم منهم ، وتدخلت في انتقاء الحكام والعمال وانتخاب المبعوثين اتدبت للقيام بكل ما قلنا انه لازم واجب - لا لأننا قلنا بل لأنها تعلم ما علمنا - ولكنها لم تحسن العمل في كل ما تشبثت قيم سرورنا بهما

سافرنا الى الديار السورية ووزرنا اهم مدن الولاياتين ورأينا تصرف جمعية الاتحاد والترقي فيها وما كان من عمل «اللجنة» المرخصة التي أرسلتها من سلاطيك . فرأينا خلاا وخطلا وسوء تصرف كنا نعتذر عنه للناقمين عليها ، حتى انه لم يوجد لها من دافع عنها كما دافعا ، وليس تفصيل تصرفها في سورية من موضوع هذا المقال الذي وضع لبيان الحال العامة .

ثم عدنا الى هذه البلاد التي يعرف من فيها ما لا يتيسر عرفانه لمن في سورية فسمعنا ممن كانوا في الأستانة من العثمانيين الأحرار ومن غيرهم أمورا متقدمة فوق ما كنا نعلم بل رأينا أكثر العثمانيين لاسيا الترك متغيرين عليها . وانا نذكر مجموع ما ينتقده عليها الناس في مصر وسورية في موضوع مطالبنا التي اشرنا اليها آنفا وهو (١) ان سلوك الجمعية مع أعوان الاستبداد لم يكن سلوك من يريد القضاء على الاستبداد بازالة نفوذ أهله وإخضاعهم للدستور بل سلوك من اغتم الفرصة للاستفادة منهم فقد كانت تأخذ المبالغ الكبيرة منهم وتدعهم وشأنهم او تضعهم اليها وقد حدثني الثقات من أهل الشام ان اللجنة المرخصة التي ذهبت لاجل التحقيق في الحادثة التي جرت لي في آخر شهر رمضان قد أخذت مبلغا عظيما من النقود باسم الاعانة للجمعية من رؤساء الفتنة وزعماء الاستبداد الذين بلغ من جنونهم في محاربة الدستور أنهم تحدثوا بنصب خليفة في الشام يبايعونه ويقاومون به الحكومة الدستورية (٢) انها لم تحسن في انتقاء العمال والحكام فقد ساعدت كثيرين من أعوان الاستبداد حتى على الترقى في الوظائف وأهملت شأن كثير من الأحرار والمجريين . وقد كان أكبر رجاء لي في حكومتنا الجديدة الانصاف في اختيار الموظفين من الأكفاء لاسيا المجريين في مثل مصر . ويتهمون الجمعية بأنها كانت تبيع الوظائف العالية بالمال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٣) انها جعلت هم لجانها في جميع البلاد النفوذ في الحكومة لا مجرد المراقبة عليها لئلا تخرج عن القوازين ولا مساعدتها على حفظ الأمن الذي اختل بعد إعلان الدستور في جميع الولايات كل ولاية بحسب درجتها في الاخلاق وحال الاجتماع (٤) - انها لم تحسن الانتقاء والاختيار في تأليف شعبها ولجانها فأدخلت فيها كثيرا

من المتقهرين أو الرجعيين وعادت آخرين . وظهر في بعض لجنتها التعصب للجنس التركي حتى كان يكون الأعضاء من الترك هم أصحاب الشأن ومن معهم من غيرهم كالألات . وقد سمعت كثيرا من الشكوى في ذلك فكنت أدافع بالتي هي أحسن (٥) حمل الضباط في جميع البلاد على الاشتغال بالسياسة وجعل نفوذهم هو الأعلى في لجان الجمعية وهذا خطر على الدولة كان يجب التشديد في منعه ، وإلا كفء بأن يكون بين الجمعية وبين الضباط صلة خفية كما قلنا وانصراف كل إلى عمله : الضباط إلى العمل العسكري المحض الذي لا شائبة فيه للسياسة والجمعية لمراقبة سير الدستور من غير مشاركة الضباط في ذلك . فان ظهرت قوة تسعى لإلغاء الدستور وإبطال مجلس الأمة أو الاستبداد والظلم جاز حينئذ استنجاد الجمعية بالضباط لمقاومة ذلك . وانه لا يختلف عاقلان من علماء الاجتماع في وجوب منع الضباط من الاشتغال بالسياسة والادارة حتى اذا أبوا أخرجوا من الجيش وفي كون الجند الذي يدخل في الثورة يكون خطرا على الأمة فاذا لم يتيسر استصلاحه حالا وجب إخراجه من الجندية أو قتله (٦) نصر فها مع السلطان . انتقد عليها شيء ، منه لا نحب الخوض فيه ولكننا نقول إن الذين يرون أن السلطان هو روح الحركة التي وجهت في هذه الأيام إلى إسقاط الجمعية يقولون لولا أنها أخرجته لما كان شيء من ذلك

(٧) سبقتها في حمل الناس على انتخاب المبعوثين : رأيت يعني بعض ذلك في طرابلس الشام وقد كنت أدافع عن الجمعية بقدر الامكان لئلا تشتد الفتنة ويستشري الفساد .

(٨) طريقة تأييد نفوذ الجمعية في « مجلس المبعوثان » بما كاد يكون مهددا لسائر الأعضاء سائبا لاستقلالهم

(٩) اتهمت الجمعية أيضا بالتعصب للجنسية التركية ويقولون عنها أمورا كثيرة في ذلك وهو أخوف ما نخافه على مستقبل الدولة وربما شرحنا ذلك في مقال خاص (١٠) البحث باستقلال الوزارة بحيث كانت الجمعية مانعة من وجود وزارة

مستقلة مسئولة أمام مجلس الأمة وحده عن عملها

(١١) الجهل بمبادئ الشورى الدينية في الأمة قد أظهر بعض أعضائها

المشهورين أمورا منكورة في نظر الدين جعلت لأعدائها مجالا واسعا للتفكير منها . وقد اعترفت هي اليوم بهذا التقصير

(١٢) ظهورها بمظهر السلطة المستبدة غير المسؤولة حتى صرت تسمع من العثماني الحر والمتقهر ومن الأجنبي المتطرف والمقتدل هذه الكلمة التي اذاعتها الجرائد : ان جمعية الاتحاد والترقي قد أزالستبداد المايين وأدالت منه استبدادها هي . وتفرع عن هذه الكلمة كلام كثير منه قول الكثيرين ان استبداد السلطان ابن السلطان ابن السلطان أهون علينا من استبداد أوشاب من الناس لا يعرفون فان السلطان أشرف منهم والذل له أقل عارا من الذل لهم وإرضاءه أسهل من إرضائهم لانه شخص واحد يمكن ان يعرف ما يرضيه ولا يعرف ما يرضي هؤلاء الكثيرين

هذا مجمل ما خطر في بالنا الآن من أقوال الناس في جمعية الاتحاد والترقي بعد ذلك الاجماع على الثناء عليها في أول العهد باعلان الدستور فهل يعقل ان يكون كله كذبا واختراعا من الجماهير المتفرقين في ولايات وممالك كثيرة ؟ وإلا فما سبب شيوعه والهج به في البلاد والممالك ؟

لم يحصل بعد الدستور شيء من السلطة بمحمد الأهدوء الاستانة وحسن السير في حل مشكلتي البوسنة والبلغار . كان الفضل الأكبر في ذلك لكامل باشا ولكن الجمعية لم تلبث ان اسقطت كاملا من كرمي المصادرة وغيرت وزارته لانه كان معارضا لنفوذها الفعلي في الحكومة فانتقدت سياسة أوربا هذا العمل وعدوه استبداد ادمان الجمعية في الحكومة وقال بمثل قولهم كثير ون في الدولة لانهم لا يصدقوا انه كان مضادا للدستور كما ادعت ثم قتل حسن بك فهمي رئيس تحرير جريدة سررستي غيلة ففهم السواد الأعظم في الاستانة وغيرها ان الجمعية هي التي اغتالته لأنه كان ينتقد أعمالها فانتقد السخط عليها وانفجر بركانها وكان بعض أعضاء الجمعية اقترح في مجلس الأمة تقييد حرية الطبوعات ونشر في أثناء ذلك مقال كامل باشا الذي بن فيه سبب إسقاط الجمعية لوزارته وما كان من شأنه وشأنها قبل ذلك ولم تحسن الجمعية التصرف في شأن مادة قتل حسن فهمي الذي عُد قتيلا للحرية الشخصية واستقلال الفكر ففكرت الاستانة على الجمعية وكان إجراء الثورة يوم دفن حسن فهمي فسقطت وزارة حسن فهمي التي كانت على

وزارة الجمعية بعد ان أهين لمروره بمركبته من حيث تشيع الجنازة وعدم حضورها تبعاً لرغاء الجمعية الذين لم يحضروها . وفر أعضاء الجمعية هارين من الاستانة وقتل كثيرون من البراء وجرح آخرون ودمرت اندية الجمعية وإدارات بعض جرائدها واستحوذ الرعب على أهل العاصمة وخافوا من سوء العاقبة

سواء صح ما قيل في الجمعية كله أم صح بعضه فإن حسنتها التي لا ينزعها فيها أحد هي انها هي التي أخذت الدستور باليمين فلا تنهيه بالشمال فهي أحرم على حفظه وبقائه من جميع العثمانيين . وهو الآن كالطفل يحتاج إلى تربية وكفالة، وله أعداء فيحتاج إلى دفاع وحماية ، فإذا قيل إن الحكومة المسؤولة ومجلس الأمة يقومان بتربيته ، فهل يستطيع أحد ان ينكر اختصاص الجمعية بالقدرة على كفالاته ، وهل جانتها هذه القدرة إلا من الجيش ؟

إذا لا بد من بقاء الجمعية ولا بد من بقاء صلتها بالجيش ولكن لا يجوز بحال أن تتداخل في أعمال الحكومة ولا ان تعيث بخرية المجلس ولا ان تدع ضباط الجيش يشتغلون بالسياسة ولا ان تقاوم من يخالفها في الرأي بالقوة ولا حاجة بها الى ذلك في حماية الدستور ولكن قد يشبهه رجال من الجمعية لأنه من تمتع القادر المنصور لا يوجد في البلاد قوة يمكن ان تقف في طريق الجمعية إلا قوة السلطان في العاصمة وقوة عصابات الاشقياء في بعض الولايات فاما العصابات فيمكن تذليلها بالقوة ولو بعد حين وأما السلطان فانه بنفوذ المعنوي المصبوغ بالدين وبأمراته الكثيرين وبماله الكثير وبدهائه العظيم يمكنه في كل وقت ان يعمل عملاً كبيراً فهو أخوف ما يخاف على الدستور اذا لم يخلص له وللناس فيه وأيان أحدنا ان يرآه من امام الدستور ضرورية فان خطره دائم بدوامه . وثانيها انه يمكن أن يوسع خطره بأمر ترضيه كلها ترجع الى ان يرى ما صار اليه خيراً مما كان فيه من ان يمسك بها بتأمينه على نفسه ومنصبه ونحامي جرح وجدانه ولو مع إبعاد رجائه المدينين من حضرته عنه ولكن الجمعية جرحته جروحاً فائقة وأخرجت من قصره الحرم الذي يركن اليه ويظن ان حياته متوقفة عليه فهل تطيب لها بعد ذلك نفسه ؟ هل يمكن ان يتركها أم لا بد له من الكيد لها ، والسعي للانتقام منها ؟

الجمعية المحمدية

واقفنا انباء الاستانة وأنا في سورية بأنه قد ظهر فيها جمعية جديدة سميت بالجمعية المحمدية غرضها المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيق القوانين عليها فما وجدتني مرتاحا لهذا النبا على اني قد وقفت نفسي على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والتوفيق بين أحكامه ومصالح البشر في كل طور من أطوارهم مهما ارتقت وما ذاك الا لأنني خفت أن يكون الغرض الباطن منها محاربة الدستور باسم الدين، كما ان نفسي لم تكن مرتاحة لجمعية الاخاء العربي - وأنا من صميم العرب - لأنني خشيت ان تكون مفرقة بين العرب والترك ومحركة للعصية الجنسية التي أخاف على الدولة شرها وكنيت أصرح برأيي بذلك في كل محفل ومقام

سألني الأمير شبيب أرسلان عن رأيي في الجمعية المحمدية ونحن في ملاً بنادي الاتحاد العثماني بيروت فقلت إن خوفي منها غالب على رجائي فيها فان كانت تطالب مجلس الأمة بأن يأخذوا قوانين الدولة كلها من كتب الحنفية بالشروط المعتمدة عندهم في الفتوى فهذا حرج عظيم وما أفطن ان مؤسسيها في درجة من الارتقاء يطلبون فيها المحافظة على أصول الاسلام الثابتة من الكتاب والسنة والاكتفاء بهدم الخروج بالقوانين عنها بل لا أرى انهم يرضون بذلك وانني أقول انه ليس في ديننا شيء ينافي المدنية الحاضرة المتفق على نفعها عند الامم المترقية الا بعض مسائل الربا وانني مستعد للتوفيق بين الاسلام الحقيقي وكل ما يحتاج اليه العثمانيون لترقية دولتهم مما جربه الافرنج قبلهم وغير ذلك ولكن بشرط ان لا ألزم مذهبا من المذاهب بل القرآن والسنة الصحيحة. وأرجو أن يكون ذلك مقبولا عند جميع العناصر العثمانية الا المقلدين المتعصبين لمذاهبهم من المسلمين. فأورد علي بعض الحاضرين مسألة الشهادة فأجبت بما أقنعه واقنع غيره من الحاضرين

وقع ما كنا نخاف وأكثروا ظهور ان هذه الجمعية هي التي قامت بالفتنة الحاضرة في الاستانة حتى انها استمالت اليها العسكر الذي جاءت به جمعية الاتحاد والترقي من سلاطيك لتعاضد به على الدستور، وعسكر الاسطول أيضا، ولا غرو فباسم الدين تهدران تسبيل جميع عسكر الدولة ان هي أدلت بخرابطيها اليه. وتفيد أخبار الاستانة أن

قائدها في هذه الفتنة هو مراد بك الداغستاني الشهير الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي من بضع عشرة سنة فخانها مع الخائنين وسلم أوراقها للسلطان ورضي بأن يتقاضى منه مالا على ذلك بعد ان كان من أشد المبالغين في الطعن فيه والتحريض عليه . وبعد الانقلاب طلب ان يدخل في الجمعية لما رأى من نفوذها (وهو كالديناميت القائم) فأبت عليه فحاول الانتقام منها وإحباط عملها فكذا يكون الرجال المصلحون !!

جمعية الاحرار

كان جميع طلاب الاصلاح من العثمانيين يلقبون بالاحرار ثم تألف حزب في الاستانة سمي بحزب الاحرار وصار له جمعية خاصة به والمشهور ان هذا الحزب على رأي صباح الدين افندي سبط آل عثمان الشهير فيما يعبر عنه بعدم المركزية كما نوهنا بذلك من قبل فهو حزب سياسي لا خطر منه ان كان ظاهره وباطنه سواء وان كانت ولايات الدولة غير مستعدة الآن لأن تكون على رأيه برمته وكم في أوروبا من حزب يدعو الى رأيه سنين طويلة ولا يضر الامة بخالفته لرأي السواد الاعظم ولسائر الاحزاب فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي تشتد في مقاومة هذا الحزب حتى إنها اتهمت بقتل محرر جريدة سربستي كما علمت وذلك غلو كان من أسباب الفتنة الحاضرة . وهوقداتهم أيضا بالسعي في إسقاطها ومن الناس من يتهم بعض رجاله بمقاومة الدستور ومالنا ولتهم قعداتهم احمد رضا بك بمشايعة الساطان على هدم الدستور أيضا

الثورة العسكرية والفتن الداخلية

بعد كتابة ما تقدم علمنا ان شيطان الاستبداد تمكن من احداث ثورة عسكرية في الاستانة غرضها الظاهر إبادة جمعية الاتحاد والترقي وبخشي ان يكون الباطن محو الدستور وإعادة الاستبداد الماضي على ان اسقاطها يعيده بالطبع . وقد فر رجال الجمعية من الاستانة ولجأوا الى مركز قوتهم في سلانيك ثم زحفوا بجيشهم على الاستانة ليحكموا السيف والمدفع في الأمر ، فنسأل الله لهم التوفيق والنصر ، وان يحفظ الدولة من الخطر وقد ولدت الثورة بالعاصمة فتنة في ولاية اطنه فهب الترك لذب الأرمين وهو عمل يتبرأ الاسلام منه ومن فاعليه ، ولكنه لا يسلم معه من طعن الامم فيه ، فبهيجة هؤلاء الاقوام صار المسلمون حجة على الاسلام

فيهم هادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا وما ينفحصون إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ - ١٩ مايو (أيار) سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمسدة ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمما قد منما تخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لنقل هذا . ولمن يهوى على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكرك به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا ففاله

﴿ أسئلة من جاوه ﴾

(س ١٣ - ١٦) من صاحب الامضاء في مالاغ (جاوه)

نؤمن من فضلكم متع الله الوجود بوجودكم وأفاض من بحر علومكم وجودكم أن تشيدونا عن حكم الله ورسوله في نكاح الرجل المسلم المرأة غير المسلمة هل يجوز أم لا اذا وعدته باسلامها بعد عقد النكاح كما هو جار عندنا لاسيما من الصينيات فهل يجوز له الهجوم على نكاحها وهي على دين قومها أم لا في إسلامها بعد وهل تستثنى من غير المسلمات الكتانيات ومن هن الكتانيات فهل الافرج اليوم على اختلاف مذاهبهم في النصرانية وعقائدهم وتبديلهم يمدون كتابين تفضلوا يا سيدي افيدونا بحكم الله تعالى في هذه المسألة فهي وان كانت واضحة لديكم فهي لدينا من المضلات فلا تهمالوها واخوتها لوضوحها لديكم ولعله قد سبق كلام فيها فالأمرول الإعادة لتعم الاستفادة فنحن في قلق حتى يهد إلينا جوابكم الشريف لأن السؤال من الوقائع الحالية عندنا اه ونسألکم أيضا أطال الله بها كم عن اجماع علماء الهيئة في هذا العصر على كوروية الأرض ودورانها حول نفسها وغيرها إنني يا سيدي لم أكأفهم التوفيق بين هذا الإجماع

وبين قول الله سبحانه في قصة ذي القرنين «حتى إذا بلغ مغرب الشمس» حتى إذا بلغ مطلع الشمس» وأين يكون المطلع والمغرب إذا كان هناك للأرض كروية ودروان؟ وإذا قلنا ان المطلع والمغرب هنا بحسب رأى العين لنا فما يثلج الصدر بهذا لأن المطلع إذا كان بنسبة رأى العين لنا فهو بالنسبة لقوم آخرين هناك يسمى مغرباً وكذلك المغرب كيف هذا والأخبار للعموم من غير نسبة لقوم دون آخرين وكروية الأرض أظنها تمنع ان يكون للشمس مطلع أو مغرب في محل مخصوص تفضلوا ينوؤا بأنكم الخروج من هذا الاشكال لأنني ياسيدي لسوء فهمي وسقم قريحتي حاولت التوفيق بينهما بنفسي ولم أظفر به وكثيراً ما حصل الخوض بين جماعة عندنا في هذه المسئلة وما استطاعوا الخروج من رقة الاشكال وكلهم أشاروا على الحقير برفع هذا السؤال لحضرتكم والمأمول ان تجبروا خاطرنا بالافادة متع الله بكم آمين اهـ

ونسألکم لازلتم سراجاً للمبتدئين عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة للتفرج عليها هل هناك في الشرع الشريف ما يحظر علينا ذلك تفضلوا ينوؤا لنا حكم الله سبحانه فان عثرتم على ما يهذرنا بين يدي الباري جل وعز في حضورها ينوه لنا وما الاصل فيها التحريم أم الحل ينوؤا الجميع لنا على صفحات مناركم اهـ

ونسألکم لا برحمة ملجأ لحل المضلات في الخبر المبالغ بواسطة البرق هل يعتبر به عندنا في الشرع كالصلاة على الغائب المبلغ خبره بواسطة البرق وما يترتب على ذلك في الأمور الشرعية كالهلال في الصوم أو الافطار هل يجوز الأخذ بذلك تفضلوا وضعوا لنا الجميع ولكم من الله جزيل الاجر وددتم محمد بن هاشم بن طاهر

﴿ أجوبة المنار ﴾

زواج المسلم بغير المسلمة وهل الاوريون نصارى

ذهب بعض السلف الى انه لا يجوز المسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقاً ولكن الجمهور من السلف والخلف على حل الزواج بالكتابية وحرمة الزواج بالمشرقة ويريدون من الكتائية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم المجوسية أيضاً والمشرقة

الوثنية مطلقاً بل عدوا جميع الناس وثنيين ماعدا اليهود والنصارى ومن الناس من قال أنهم من المشركين ولكن التحقيق أنهم لا يطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عندما يذكر أهل الأديان بعد المشركين أو الذين أشركوا صنفاً وأهل الكتاب صنفاً آخر يعطف أحدهما على الآخر والمطف يقتضي المغايرة كما هو مقرر وكذا المجوس في قول وسيأتي بيان ذلك

والذي كان يتبادر إلى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركوا العرب إذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن إحداهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢: ٢٢١) وَلَا تَتَكْبَرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَبْرُؤَ مِنْهُنَّ (الآية الثانية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥: ٥) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) وقد زعم من حرم الزواج بالكتابيات أن هذه الآية منسوخة بذلك وردوه بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فإن فرضنا أن أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب أن تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها والا فهي نص مستقل في جواز الزواج بنسائهم وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم الزواج بغير المشركات والكتابيات من أهل المال الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالمجوس والصابئين ومثلهم البوذيون والبراهمة واتباع كونفو شيوس في الصين وقد علمت أن علماءنا الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين وإن ورد في الكتاب والسنة ما هو صريح في التفرقة والمغايرة - فكما غير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨: ١) لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) وقوله (١٨٦: ٣) وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً) وذكر أهل الكتاب بقسميهم في معرض المغايرة في قوله (٨٢: ٥) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية كذلك ذكر الصابئين
والمجوس وعدمهم صنفين غير أهل الكتاب والمشركون والمسلمين فقال في سورة
الحج (٢٢ : ١٧) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا
المطاف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس
طائفتين مستقتبين ليسوا من الصنف الذي يبر عنه الكتاب بالمشركون وبالذين
أشركوا . وذلك ان كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون انها إلهية
ولكن بعد العبد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لا ولا يبعد أن يكون من جاؤا بها من
المسلمين لأن الله تعالى يقول (٣٥ : ٢٤) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن
من أمة الا خلا فيها نذير) وقال (١٣ : ٧) إنا انت منذر ولكل قوم هاد)
وإنا قويت فيهم الوثنية بعد الهدى بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى
(٥٧ : ١٧) ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا
يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الا مدققست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ودخول نزغات
الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدمهم صنفا
آخر كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية
في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنين
وإن كانوا هم الذين يعنيهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه »
ويطبق العلماء عليهم حديث الصحيحين « لتبمن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع » قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قل « فن » وبهذا يرد قول من حاولوا
ادخال أهل الكتاب في المشركين وتحريم الزواج بنسائهم مستدلين بقوله تعالى
بعد ذكر اتخاذهم احبارهم ووجهائهم أو بابا من دون الله (٩ : ٣١) سبحانه وتعالى عما
يشركون) فان إطلاق اللقب على صنف من أصناف الناس لا يقتضي مشاركة
صنف آخر له فيه إن أسند اليه مثل فعله كما بيناه في تفسير آية (٢ : ٢٢١) ولا
تنكحوا المشركات) لا سيما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس

هو اخص صفاته وليس عاما شاملا لأفراده كاتخاذ أهل الكتاب احبارهم ورهبانهم
أربابا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم قالت وصفهم الاخص اتباع الكتاب
وان كثيرين منهم يخالفون رؤسائهم في التحليل والتحريم ومنهم الموحدون
كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون
بنبوة المسيح بسبب الحرية في أوربا وأمريكا وكانوا قلوا باضطهاد الكنيسة لهم
والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر
البراهمة والبوذيين وأتباع كنفو شيوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند
العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لمجاورتهم لهم في العراق والبحرين ولم يكونوا
يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين والمقصود من الآية حاصل
بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلاحاجة إلى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون
في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ولا يخفى على المخاطبين بعد ذلك ان
الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها
تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لا يقبلونها من مشركي العرب
وقبلوها من المجوس في البحرين وهجر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرها
من كتب الحديث . وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد البخاري
وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف انه شهد لهم
بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال : أشهد لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي مسنده
اقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يعدون أهل كتاب وليس
بقوي فان إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقق أصل
كتبها وزيادة خصائصها لا تقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم
بأن الله بعث في كل أمة رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقيسط كما ان إطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها مزايا
مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وسأبه عن غيرهم

وقد ورد في روايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار
عند قول صاحب المتقى: واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب.
مانصه: لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي « كان
المجوس أهل كتاب يدرسونه ويعلّمونونه فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته فلما
أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال ان آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل
من خلفه فأصري على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء » وروى
عبد بن حميد في تفسير سورة البروج بإسناد صحيح عن ابن أبي رزي. لاهزم المسلمون
أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصحابة اجتمعوا للمشاورة كما هي السنة المتبعة
والفريضة اللازمة) فقال ان المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة
الأوثان فنجري عليهم أحكامهم. فقال علي بل هم أهل كتاب « فقد ذكر نحوه لكن
قال فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الأخذود لن خلفه. فهذه حجة من قال كان
لهم كتاب. وأما قول ابن بطال لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استنتى حل
ذبايحهم ونكاح نسائهم فالجواب ان الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد لأن في ذلك
شبهة تقتضي حقن الدم بخلاف النكاح فانه يحتاج له. وقال ابن المنذر ليس بمحرّم
نكاحهم وذبايحهم متفقا عليه ولكن الاكثر من أهل العلم عليه اهـ

اذا علمت هذا تبين لك ان العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا
يتناول جميع الذين كفروا بنبينا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عدا اليهود والنصارى
منهم فهذا نقل صحيح في المجوس ومنه تعلم ان للاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركات
والمشركين والقرآن خاصا بوثني العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا
شبهة كتاب يقر بهم من الاسلام كما ان أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى
ويقاس عليهم من عندهم كتب لا يعرف أصلها ولكنها تقر بهم من الاسلام بما فيها
من الآداب والشرائع كالمجوس وغيرهم ممن على شاكلتهم وقد صرح قتادة من
مفسري السلف بأن المراد بالمشركين والمشركات في الآية العرب كما سيأتي
وعلى هذا لا يكون قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » نصا قاطعا

في تحريم نكاح الصينيات الذي أكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقتداء بهم فيه الى جاوره او كاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين. ولا أدري مبلغ أثره في ذلك عندكم وبني كونه نصا قاطعا في ذلك لا يكون استحلاله كفرا وخروجا من الاسلام والالساغ لنا ان نحكم بكفر من لا يحصى من مسلمي الصين. هذا وان المشهور عند العلماء ان الأصل في النكاح الحرمة وان كان الأصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لا بد من النص في الحل ويمكن ان يقال اذا لم قل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة بأن الأصل الاباحة في كل شيء حتى يرد النص بحظره فاننا نرد الأمر الى الكتاب العزيز فتسمعه يقول بهذا النهي عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣) حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم أو أخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف، ان الله كان عفورا رحيمًا (٢٤) والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين (الآية)

فقول على أصولهم ان قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » لا يخلو ان يكون قد نزل به ما جاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور من تحريم نكاح المشركة والزانية أو قبله، فان كان نزل بعده صح أن يكون ناسخا له وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ما وراء ذلكم » بطريق التخصيص سواء سمي ناسخا ام لا كما يستثنى منه ما ورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين أو إلحاقا به وبجمل ما يحرم من الرضاخ كالذي يحرم من النسب على القول المشهور في الأصول بجواز تخصيص القرآن بالسنة على ان الجمهور وأحلوا التزوج بالزانية. وعلى كل حال يكون نكاح الكتابيات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال

(المناهج ٤ م ١٢) حل التزويج بالمجوسية ولاشبهة في مثل البوذية ٢٦٧

بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر (داخلا في عموم نص « وأحل لكم ما وراء ذلكم »
وأكد حل نكاح الكتابيات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله
وخلاصة ما تقدم ان نكاح الكتابيات جائز لا وجه لمنعه ونكاح المشركات
محرم وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات او خاصة بمشركات العرب
محل اجتهد وخلاف بين علماء السلف . قال ابن جرير في تفسير (ولا تنكحوا
المشركات) : « وقال آخرون بل انزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب
لم ينسخ منها شيء » وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد ابن جبير
ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عدّه قائلا
بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قل بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه
الاقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أنه تعالى ذكره عن بقوله « ولا تنكحوا
المشركات حتي يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وان الآية
عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات
فيها » الخ ما اطال به في بيان حل نكاح الكتابيات

هذا ما يظهر بالبحث في الدليل ولستنا لم نطالع على قول صريح لأحد من العلماء
في حل التزويج بما عدا الكتابيات والمجوسيات من غير المسلمين قد صرح بحل
المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الإمام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا
وصرحوا بأن تفرد لا يعد وجها في مذهب الشافعي . قال شافعية لا يبيحون نكاح
المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض أهل الاصول ان الذهي لا يقتضي البطالان
في العقود والمعاملات وهو مذهب الخفية فانهم استثنوا منه النكاح وعملوا ذلك بأنه
عقد موضوع للحل فلا انفصال عنه ما وضع له بالذهي المتقضي للحرمة كان اطلاقا بخلاف
البيع لأن وضعه للمالك لا للحل بدليل مشروعته في موضع الحرمة كالأمة المجوسية
فلذلك كان الذهي عن حق . ثم ظهر مقتضى ابطال العقد . فلا يقال عندهم ان
نكاح الصينية يقع صحيحا ما كان محرما

وأما الحرمة في النكاح فموجبة بحكمة الله تعالى في ذلك في آية الذهي

٢٦٨ الفرق بين مشركي العرب وغيرهم في نظر الاسلام (المخرج ٤ م ١٢)

عن التناسخ بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضعنا ذلك في تفسير الآية وبيننا الفرق بين المشرك والكتاية فيه فراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لأنهم يماشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترقى البشر وإزالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء . . . واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط . ولذلك دخل أهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقة ولو قبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من أهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة ولما قامت لهذا الدين قائمة . . . ومن الفرق بينهما في القرب من الاسلام أو الدعوة الى النار ان أهل الكتاب لم يكونوا يهذبون من يقدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب وبلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي وقلبه الذي تدفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف وموئله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص ٩٧) من هذا المجلد وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يأرئ في المستقبل الى الحجاز كما تأرئ الحية الى جحرها . وهذا يؤيد تفسير قتادة المشركين والمشركات في الآية واذا كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالصينيات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تعطيل الآية للحرمة صادقا عليهن وكيف يعطى الضد حكم الضد

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكتاية اذ خشي أن يجذب المرأة الرجل الى دينها لملاها وجهها وضعف أخلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في

في تزوج بعض ضعفاء المسلمين ببعض الأوريات او غيرهن من الكتابيات
فيفتنون بهن وسد الذريعة واجب في الاسلام

كروية الارض ومطلع الشمس

مطلع الشمس المكان الذي تطلع منه ومغربها المكان الذي تغرب فيه وهو
يختلف باختلاف المواقع لكروية الارض اذ لو كانت سطحاً هندسياً لما حصل هذا
الاختلاف في المطالع والمغرب . ويعبر كل قوم عن مشرقهم ومغربهم بحسب ما
يرون وان خالفوا فيه غيرهم فيقول بعضهم ان الشمس تطلع من جبل كذا
وتغرب في البحر وبعضهم غير ذلك . واذا رحل أحدهم الى أقصى ذلك
المكان من جهة المشرق يقول قد وصلت الى مطلع الشمس . وقد تعارف
امم كثيرة تختلف مواقع بلادهم ومشارقتها ومغربها على تسمية قطعة من الأرض
بالمشرق وقطعة بالمغرب مع ان ما يسمونه مشرقاً يكون مغرباً لقوم آخرين
وما يسمونه مغرباً يكون مشرقاً لقوم آخرين كما سميت بلاد مرا كش
بالمغرب الأقصى حتى ان أهل امريكا يعبرون عنهم بذلك وان كانت في جهة
المشرق منهم . ومثل ذلك التعبير عن بلاد الدولة العلية مثلاً بالشرق
الأدنى وعن بلاد الصين بالشرق الأقصى . ويطلق الافرنج لفظ الشرق على قارتي
آسية وافريقية مع ان بعض بلاد افريقية هي في جهة المغرب من بعض بلادهم
فاذا أريد بمطلع الشمس ومغربها في قصة ذي القرنين ما كان يسمى في بلاده
مطلعاً ومغرباً صح ذلك واذا فرضنا انه كان لهم عرف في المطالع والمغرب كبعض
العرف المشهور الآن صح ذلك . والا فظهر ان المراد بالمطلع والمغرب في قصته
أقصى المشرق وأقصى المغرب الذي ييسر الوصول اليه بأسباب السياحة والسفر
التي كانت في عصره وبالنسبة إلى بلاده فكان في سياحته كالذين يحاولون الآن
اكتشاف القطبين الشمالي والجنوبي

هذا وان الاشكال الذي هو محل الوقفة عندكم يرد على استعمال لفظ مطلع
او مشرق ومغرب مطلقاً كما أشرتكم الى ذلك فاذا كنتم لا تجيزون استعمال هذه

٢٧٠ الصور المتحركة . التلفراف . أسئلة من الجبل الاسود (المنارج ٤ م ١٢)

الألفاظ الا في حقيقة لا تختلف باختلاف البلاد فقد خطأ جميع البشر في عرفهم واصطلاحهم والخطب سهل والمراد ظاهر ولا مشاحة في الاصطلاح

الصور المتحركة

لا ترى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور أو حرمتها فلا يصل الحل . إننا نسمع ان أحدا من علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم ولا وجه لجعل الحركة سببا للحرمة . ويظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لا بإباحة رؤية هذه الصور ولكن عندكم أناسا متطعين يحبون التحكم والاشراف على المسلمين بالأمر والنهي من سماء الدين فيحلون ويحرمون بغير علم وما جراً أمثال هؤلاء في المسلمين على تحكمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة الا التقليد الأعمى ويزعم هؤلاء المصممون المقادون ان الاجتهاد هو الذي يضيع على العامة دينهم ويكثر الذين يتحكمون في شرعهم والأمر بالعكس فان الذي لا يقبل منه أقول الا بالدليل لا يستطيع أن يتحكم ولا أن يثبت كالذي يقبل قوله بلا دليل بدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد الممنوع

الاخبار البرقية

هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربائية التي يعبر عنها بما ذكر و بالتلغرافات هي قطعية الاداء فكل من تثق بخبره اذا كلمك بلسانه تثق بخبره الذي يبلغه بالبرق لا يتردد في هذا أحد في العالم المستعمل فيه التلفراف ومتى صدق الناس الخبر تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية لاسيما اذا كان من جهة رسمية يعطد صدق برقياتها وكيف تطيب نفس المسلم ان يفطر في نهار باغه في ليلة خبر برقي بروية هلال رمضان فصدقه تصديقاتا لا شبهة فيه ولا احتمال (وراجع المبحث في ص ٦٩٧ م ٧)

﴿ أسئلة من الجبل الاسود ﴾

(س من ١٧ - ٢٠) من ح . ح . في نقشيك

ما قولكم دام فضلكم ونفع المسامين بهلومكم

فيه من يخطب بالعربية في أرض الترك ثم يترجم بعض ألفاظ الخطبة باللسان

التركي ليفهمها الحاضرون لانهم لا يفهمون إلا باللسان التركي ولا سيما بعض الاحكام اللازمة كصدقة الفطر مثلاً فهل يمنع من هذه الترجمة المذكورة وادخال الالفاظ التركية خلال الخطبة .

وفيمن بقي الناس بجواز الجهر بالتكبير في الاسواق عند تشييع الحجاج في سفرهم الى الحج من بلادهم مع ما يترتب على الجهر المذكور من المفساد التي منها امتنان الاسم الشريف في محل القاذورات وذلك مناف للتعظيم ومنها انه يكون سبباً لاجتماع النساء والرجال ومنها ضحك الكفار واستهزاؤهم بذلك الذكر الشريف فيكون سبباً لهذا الاستهزاء وربما وقعت الفتنة بين القبايل بسبب ذلك وهل الهامة المسنونة يلزم فيها تغطية جميع الرأس حتى لا يبقى من القلنسوة شيء أم السنة هو الوجه المعتاد عند أهل الحرمين وغيرهم من استداوتها على الرأس وترك أعلا القلنسوة من غير تغطية

وهل الاعلان بموت الميت على المابر بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله جائز أم مكروه؟ افتونا مأجورين

❖ أجوبة المنار ❖

ترجمة الخطبة بالانجليزية

لا يمنع الخطيب في مثل الحالة المسؤول عنها من ترجمة أحكام الخطبة لأن الضرورة تلجئ الى ذلك مادام المسلمون مقصرون في تعلم لغة دينهم والا كانت الخطبة عند أولئك الترك وامثالهم من الاعاجم رسماً صورياً لا يحصل به الفائدة المقصودة من الخطبة وبعض الاعاجم يحتاط فيترجم الخطبة ويشرحها بعد صلاة الجمعة وبلقي انهم يفعلون ذلك في الصين

التكبير عند تشييع الحجاج

التكبير عند تشييع الحجاج ليس مطلوباً شرعاً ولا يمنع اذا لم يتخذ شعاراً دينياً ولم يترتب عليه مفسدة فان اتخذ قوم شعاراً دينياً يرون انه لا بد منه شرعاً وترقبت عليه مفسدة منع منه ولو كان مطلوباً شرعاً كما يطلب في الايام المعلومات لما صح ان

يكون من موافقه اجتماع النساء والرجال ولا ضحك الكفار (٨٦: ٢٩) ان الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون^{٣٠} وإذا مروا بهم يتغامزون (والأمة ان لا يتحقق الا في نحو الخانات أو الكنف وما بعد في العرف العام إهانة

وأما الفتنة وبغني بها السائل فيما يظهر الخصام الذي ربما يؤدي الى الضرب أو القتل فهي محل النظر لا في موضوع السؤال بل في شعائر الدين الثابتة كالإذان والصلاة والتكبير في العيد فإذا كان الكفار يؤذون المسلمين لقيامهم بشعائر الإسلام وفروضه وجب على المسلمين مقاومتهم ولو بالقتال إن قدروا فإن لم يقدروا لقاتلهم وضعفهم وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر والتعصب الى حيث يكونون في أمان وحرية في دينهم . وقد زدنا هذه الفائدة في الفتوى عملاً بالنسبة من جواب السائل بأكثر مما سأل عنه عند الحاجة الى ذلك

العمامة المسنونة

العمامة (بكسر الهمزة) هي كما قال بعضهم كل ما يقصد على الرأس سواء كان تحت المنقر أو فوقه أو لا يشد على القلنسوة أو غيرها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس العمامة فوق القلنسوة تارة ويلبسها بغير قلنسوة تارة أخرى كما لبس القلنسوة بغير عمامة وفي حديث عمرو بن حريث في صحيح مسلم قال « رأيت رسول الله (ص) على المنبر وعليه عمامة سوداء قد اخرجى طرفيها بين كتفيه » وفي حديث جابر عند مسلم أيضاً انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، ولم يذكر انه كانت لها ذؤابة بين كتفيه قال ابن القيم فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخيها دائماً . وكان يلتحي بالعمامة تحت الخنك أحياناً ومن فوائده انه يمنع السقوط . وبمحصل الغرض من لبسها بأية كيفية كانت وورد في العمامة عدة روايات ضعيفة وأهمية . وهي من العادات لا من أمور الدين ولكنها زي المسلمين الاولين ومفيدة في حفظ الرأس من الحر

إعلان الموت على النارة

هذا العمل بدعة لم يأذن بها الله تعالى ولا مضت بها سنة رسول الله عليه وآله وسلم . وأنا أقول انه بدعة اذا أتى به على انه مطلوب ديناً بهذه الصفة أي جملة

في مكان اداء شميرة الاذان وقرنه بأذكار مخصوصة . أما الاعلام بالموت لأجل ان يسمى من يعلمون به الى تجهيز الميت وتشيعه ودفنه والصلاة عليه فذلك مشروع وان ورد في بعض الأحاديث النهي عن النعي وهو في اللغة الاعلام بالموت وإذاعته فالمراد به نعي الجاهلية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري إنما نهي عما كان أهل الجاهلية يصنعونه وكانوا يرسلون من يمان بخبر موت الميت على الدور والأسواق . ومن ذلك انهم كانوا يرسلون راجبا فيقول « نساء فلان » ويطلق النعي على اخذ الثأر فقد كانوا اذا نهبوا القتل يحرضون على الثأر له . وقال ابن الأثير ان النعي الاعلام بالموت والندب . وقال ابو بكر العربي يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات (الاولى) اعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح فهذا سنة (الثانية) الدعوة للمفاخرة بالكثرة فهذا مكروه (الثالثة) الاعلام بنوع آخر كالنباحة ونحو ذلك فهذا يحرم اه تقل ذلك عنه الشوكاني وقال بعده وبعد نقول أخرى فالحاصل ان الاعلام للفصل والتكفين والصلاة والحمل والدفن مخصوص من عموم النهي لأن اعلام من لا تتم هذه الأمور إلا به مما وقع الاجماع على فعله في زمن النبوة وما بعده وما جاوز هذا المقدار فهو داخل تحت عموم النهي اه فعلى هذا يكون الاعلام المسؤول عنه منها عنه فأقل حالاته ان يكون مكروها . وعندى انه يباح للناس ان يطمعوا من لا يقولون ما ذكر من الأعمال ولوللتباهي بكثرة المشيعين والمعزين بشرط ان لا يجعلوا ذلك من الدين

في الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر ﴿

ارسل الينا السؤال الآتي من بعض البلاد العربية لعرضه على علماء الأزهر فأقضى فيه من اطلع عليه بما ترى في الجواب وهذا نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما قول العلماء الاعلام السادة الكرام في قوم عوام يجتمعون وينشدون الاشعار بالالخان المحدثه والتغنيات المعربة ويصفقون بالسبح ويتمايلون بتكر وثثن هل

(المار ج ٤) (٣٥) (المجلد الثاني عشر)

فعلهم جائز أيضا وإذا قلنا بكراهة ذلك في أحد المذاهب الأربعة هل يجوز للإنسان التقليد ليرقص مثلهم . وما الحكم في مذهب الإمام مالك بالرقص إذا كان يتكسر وتثن كرقص الخنثين هل هو حرام أو مكروه فقط أفيدونا بالجواب الشافي لا خلت منكم الديار في جميع الاقطار

الجواب

الحمد لله أما بعد فقد مثل الطرسومي رحمه الله في مثل ذلك فقال مذهب الصوفية ان هذا بطالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ان الرقص والتواجد أحدثها أصحاب السامري لما اتخذهم عجلا جسدا له خوار فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، والرقص دين الكفار وعباد العجل ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على طلبهم . وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم . قال العلامة ابن حجر الشافعي هذا هو الحق وغيره هو الباطل وان الرقص بتكسر أو تثن حرام على الرجال والنساء وقال العز بن عبد السلام اما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها الا أرعن أو متصنم جاهل ان الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء . وإنما يفعل الجولاء السفلاء . الذين التبت عليهم الحقائق بالاهواء . وأما نشيد الأشعار بتلك الالحان الحديثة والتغنيات المطربة فهو حرام لا يفعله إلا أهل الفسق والضلال . ان هذا من الفناء المنهي عنه . قال القرطبي في نحوه ائني الامام مالك بالحرمة وهو مذهب أهل المدينة والنخعي والشمي وسفيان الثوري وأبي حنيفة وأهل الكوفة . ولكل من الشافعي وأحمد قول به بل ذلك ونص على الحرمة الامام الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة . وقال الامام الاذري اني أرجح تحريم التغنيات الملعنة وسماعها . قال عليه الصلاة والسلام ان افناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال أبو العباس القرطبي الفناء لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا فعل بحضرته ولا اعتني بمن يفعله

فليس ذلك من سيرته ولا سيرة خلفائه من بعده ولا من سيرة أصحابه ولا عترته ولا هو من شريعته . بل هو من المحدثات التي هي بدعة وضلالة وقد يتعاضد عن ذلك من غلب عليه الهوى . قال عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ — وإن رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ثم توعدته أن عاد إليه بالضرب الوجيع وحلق رأسه تمثيلا به تعزيرا وبالنفى عن أهله وبإحلال سلبه لفتيان المدينة . ثم قال عنه وعن أمثاله هو «لأ العصاة» . ثم توعدهم بأن من مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان في الدنيا مخشا عريانا كلما قام صرع . ومن أدلة التحريم قوله تعالى «واستغفر من استطعت منهم بصوتك» . فسرره مجاهد بالغناء والمزامير . ومنها قوله تعالى «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تكونون وأتم سامدون» أي مضمون على لغة حمير كما قال عكرمة وابن عباس . وقال مجاهد هو الغناء بلفظة أهل اليمن . من هذا كله تعلم أن المذاهب كلها على تحريم ما يصنع أمثال هؤلاء وإن قطعهم هذا عمقت عند الله وعند العلماء والعقلاء . وإن مجلسهم مجلس الشيطان لا مجلس الرحمن . ولا يجوز افشاء السلام عليهم لأن بينهم وبين الشريعة حربا عوانا والمحارب لا سلام ولا أمان له . فترك السلام خوف أن يشنوا أنهم محقون مكرمون مرضي عنهم . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقلدهم في هذه الأباطيل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر كاتبه

عبد القني محمود المالكي بالأزهر حسين والي الشافعي المدرس بالأزهر

العمل المذكور بالسؤال غير مشروع عند الحنفية

كاتبه

عبد الباقي المغربي الحنفي المدرس بالأزهر

(المآرج) هذا التشديد في الغناء خاص بمن يفعله على أنه عبادة ودين كمن مض المتصوفة وكذا شدد فيه بعضهم مطلقا وقد فصلنا القول فيه تنصيلا في الجزئين الأولين من المجلد التاسع . وخبر الذي استأذن الرسول بالغناء لا يصح وإنما ذكره تقوية للتفسير

أحدى الكبر* وكبرى العبر

خلق عبد الحميد خان • نقيه من دار
السعادة • وضع تحت المراقبة العسكرية • ضبط
أمواله وذخائره وعقاره • أباحت يده للامته توليته
مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ،
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ •

(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قدرة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلمت كلمته ، جعل الأيام
دولا ، وجعل للدول نواويس وسننا ، فلا مبدل لسنة ، ولا محوّل لنواويس خلقه ،
فلا يفرّك إملأؤه للظالمين ، واستدراجة المفسدين ، « ١٤ : ٤٢ » إنما يؤخّرونهم ليوم
تشخص فيه الأبصار ٤٣ مهطمين مقني رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفعدتهم
هواءً ، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب

لا ينفع من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سنته سلطان البشر ، فلا يهولئك
ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يؤنسك ما تشاهد من غلبة الاستبداد ، ولا
يفزعك ما ترى من الحصون والأجناد ، فقد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز
حدّه ، جاور ضده ، وإن شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وإن الأعمال بالظواهر ،

١٢٨:٧ والفاقية للمقين ، ، ١٣ : ٢٥ والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ألا وإن مشيئة الله في إتياء الملك ونزعها ، ونخض الملك ورقعه ، واعتزاز السلطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مفيرة لسنة الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسنن ، فما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بحقوقها ، واعتقاد وجوب التقديس لأمرائها وملوكها ، وكثر فيها المنافقون ، وقل فيها الصادقون ، إلا وابتليت بالمستبددين ، ومنيت بالظالمين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فيأكلون الأموال ، ويستذلون الرجال ، ويجعلون الحرار إماء ، ليمتعوا بالملكات من النساء ، ويعبثون بالشرعية والقانون ، ويجنون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أمتهم ، ويصفون دولتهم ، فإذا استيقظت الأمة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغبرت ما بأنفسها من تقديس السلاطين ، وأرادت أن تجعل الحكم فيها للشرعية والقوانين ، فإن الله يغير ما بها من الذل والعبودية ، فتستبدل بها العز والحرية ، من حيث ينزل ظالمها ، ويهلك مذلها ، ١٣ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعدده ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحميد خان وأعوانه ، وقرناؤه وخصميانه ، وجواريه وغلانيه ، قد بغوا في الأرض ، وتركوا السنة والفرض ، وعطلوا الشرعية والقوانين ، واستبدوا بجميع الممانيين ، وجمعوا القناطير المقنطرة من الأموال ، وحشدوا لحمايتهم الألوف المولفة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، ليمنعوا أنفسهم أن يصل عليها المظلومون ، ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم ما نصحتهم حصونهم من الله فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار

نعم ان في ذلك لكبرى العبر ، ان يعقل ويتدبر ، ٧٤ : ٣٢ كلا والقمر ٣٣ والليل إذا أدبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنما لإحدى الكبرى ٣٦ تذكيراً للبشر ٣٧ ان شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد ،

وأُسفر صبح الدستور فيز بين الإصلاح والإفساد ، وذهب الفتي وجاء «الرشاد» ، وكانت هذه الحركة العثمانية إحدى الكبر ، نذيراً للمستبدين من البشر ، تعلمهم انه لا ينفع حذر من قدر ، كما تعلم من شاء أن يتقدم أو يتأخر من الأمم ، كيف يكون السير في الطريق الأمم ، وإنما مدار التقدم والتأخر على العدل والاستبداد ، ورسوخ جذور إحدى الكلمتين في البلاد ، د : ١٤ : ٢٤ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ٢٦ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ، لقد ذهبت هذه العبرة بأعداء اليائسين من رَوْح الله ، وتعلات القانطين من رحمة الله ، الذين يتركون العمل ، ويفترون ظلال الكسل ، إذا غلقت في وجوههم الأبواب ، ونقطعت بهم الأسباب ، جهلا ببنية الله بالإنسان ، وسننه في نظام الأكوان ، فها نحن أولاء قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي يتصور التوصل منها إلى خاتمه ، وقطع جميع الأسباب التي يتخيل أنها تقضي إلى أخذه ، حتى أنه منع الاجتماع والجمعيات ، وحجر حتى على كثير من الألفاظ والاصطلاحات ، فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحجر والجنون ، وإن يحكم بالحجر على مجنون ، ومنع لفظ المخالعة وانخام (١) منها وما يطبع من كتب الشرع ، لأنه يذكر بلفظ انخام (بالفتح) كما أبطل من جميع المطبوعات ، أمثال هذه الكلمات ، عبد الحميد . سلطان (الأند ذكره) مراد رشاد . ثورة حرية . جمعية ، مبعوثان الخ الخ وكان لمرآقي الجرائد في ذلك من الأمر والنهي ، والاثبات والنحو ، ما يضحك الشكلى ، ويبيكي اليائس الذي جاءته البشرية ، وأمر بحذف دعاء القنوت من كتب التعليم ، وكلمة خلع النملين مما يطبع من

(١) انخام بالضم الطلاق بعوض . وقد رفع إلى محكمة التمييز إعلام بحكم شرعي في مخالعة فردته إلى المحكمة الابتدائية لأجل تصحيحه بحذف كلمة خلع منه . وقد نهت على ذلك بالأرقام كقولها (مثلا) يحجب تغيير الكلمة الرابعة من السطر الثاني والعاشر من السطر الثالث وهلم جرا

كتب الفقه والحديث ، لئلا يخطر خلمه في البال ، عند ذكر خلع النعال ، أو يسبق الى فهم المتعلمين أو المصلين ، ان كلمة « ونخلع من يفجر ك » في القنوت توجب خلع الفجار من السلاطين ، هكذا رأياه قد اتقى كل شي ، الا الله ، « ٨١: ٢٨ » فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ؟ ٣ : ٢٧٠ و ١٩٢: ٣ وما للظالمين من أنصار . عز عليه ان يسلب بالدستور والحرية ، ما كان يتحلله من صفات الربوبية ، ككونه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، لارادة لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا حدود لأمره ونهيه ، يحمد على السراء والضراء ، « ٢٣: ٢١ » لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون ، يعطي ويعنم ، ويضر وينفع ، ويصل ويقطع ، ويفرق ويجمع ، ويخفض ويرفع ، يسلب من يشاء ما شاء ، ويقتل من أراد متى أراد ، ويعد من يكره ، ويقرب من يحب ، فإى بعد الدستور أن أمر الشريعة والدستور فوق أمره ، وان نفوذ جمعية الاتحاد والترقي فوق نفوذه ، وان الألسنة والاقلام التي كانت مكرهة على ترتيب آيات إطرئه ترتيباً ، والتسبيح بحمده بكرة وأصيلاً ، صارت تسمي أعماله ووقائع عصره باسمائها ، بعد ان كانت تطلق عليها أسماء اضدادها ، اذ كانت تسمي الظلم عدلاً ، والنقص فضلاً ، والجهل علماً ، والسفاهة حلاً ، والباطل حقاً ، والكذب صدقاً ، والإفساد إصلاحاً ، والخسر فلاحاً ، والتخريب عمراناً ، والاساءة إحساناً ، الى غير ذلك . راعه ان يكون بشراً يوصف بصفات البشر ، وان تكون رعيته من جنسه لا من القيم والبقر ، فضايق بهذا الدستور صدره ، وعجز عن مبارزته جهراً ، فلجأ الى الكيد والاختيال ، وفتح ما ادخره لمثل هذا اليوم من كنوز الاموال ، فآلف بها الجمعية المحمدية ، وبث دعائها في العاصمة وجميع الولايات العثمانية ، فطفاؤا يوسوسون لعامة المسلمين ، ان الدستور مناف للدين ، وان جمعية الاتحاد تريد بث التعطيل والإسجاد ، وتحويل الحكومة الاسلامية الى حكومة أوربية ، بل بشوا فتنتهم في الجيش فشقه نصفين ، ودبروا مكيدة لإيقاع المذابح بين المنصرين ، (المسلمين والنصارى) « ١٤: ٦ » وقد مكر واماكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال . أما لو وقعت الواقعة ، وقرعت الدولة هذه القارعة ، لرجأت الأرض رجاً ،

وبسئت البلاد بسا (١) فكانت هباء منبثا (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة ،
وأراد انقاذ هذه الدولة ، فانتهك السر ، وانكشف السر ، وظهرت بوادر الثورة
على الدستور في القسطنطينية ، قبل أن تصل دعايتها الى جميع الولايات العثمانية ، فقتل
الثائرون بعض أعضاء مجلس النواب ، ودمروا على نادي جمعية الاتحاد ، فثبروا ما علوا
تثيرا ، وكادوا يدمرون المعاهد تدميرا ، فأرز (٣) أهل التدير الى سلايك وهي
مصدر الدستور ، ومطلع هذا النور ، واستصرخوا ذلك الجيش المنصور ، فلباهم سليل
الفاروق ، مبادرا الى فتح فروق ، والقضاء الاخير على الاستبداد ، واصطلام آخر
جبروتة في البلاد ، والتكيل بما له من الاحزاب والأضمار ، (١٣: ١٠) سواء منكم
من أمر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (٤)
عبا (محمود) الأمة ، و (شوكة) الملة ، تلك الكتابب الشواء ، وهي
كالقضاء المنزل من السماء ، فكان هومنها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش
عبد الحميد تبعا لمده

يقود صرأباها ويحمي لواءها	سديد المرائي في الحروب محرب
يجي بها حيناً ويرجع مرة	كما تدفع اللج البحار وتجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب	فكل خميس لجة تضرب
وينفذها من كل شمس فتلقى	كما يتلاقى العارض المشعب
ويجعل ميناها لها تنبري له	كما دار يلقي عقرب السير عقرب
فظلت عيون الحرب حيرى لما ترى	نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وتزهو بما رمى	وتعجب بالقواد والجند أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء متفتة ، اوسيق أهلها كما تساق الفم (٢) الهباء
الغبار والنبت المنذر المتفرق (٣) أي اجتمعوا وانضم بعضهم الى بعض كذا
فسر الاصمعي الكلمة في الحديث . وفي اللسان أرز (كجلس) هبض وتجمع وثبت
ويقال أرز الى المكان اذا كان مأمنه ومنعته (٤) اي ويقال لهم سواء منكم أيها
انطرحون على الدستور من أمر القول للجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهر
به الخ ، والسارب الظاهر البارز كالولئك الجنود العصاة

أو كما قل اليوم بخاطب هذا الجيش مقتخراً بمصله في أخذ عبد الحميد وخلقه

يا أيها الجيش الذي لا بالدعي ولا الفخور

ينحني فان ريم الحمى نفت البرية بالظهور

كأليث يسرف في الفعا ل وليس يسرف في الزئير

الخاطب العاليء بال أرواح غالية المهور

عند انهين ماجرى في الحق من دمك الطهور

تلو الزمان صحيفة غراء مذهبة السطور

في مدح « أنورك » الجري « وفي » نيازك » الجسور

« يا شوكت » الاسلام بل يافتح البلد الصير

وابن الأكارم من بني « عمر » الكريم على « البشير »

القابضين على الصل ل كجدهم وعلى الصرير

هل كانت جدك في ردا نك يوم زحفك والكروو

قنصت صياد الاسو د وصدت قناص القسور

وأخذت « يلدرز » عنوة وملكت عقاء الشغور

نعم كز الفاروق بجيشه وغيون الأثم الأجنبية شاخته اليه « وقلوب الشعوب

العثمانية محومة عليه ، وزحف على الآستانة « مصوبا مدفعه مثقفا حسامه ، فلقبه

جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كالسيل يذف جهردا بجلود « فطل الأخ دم

أخيه ، ونغرق القريب صدر قريه « فكانت جنودنا كما قل البحري

إذا اشتجرت يوما ففاضت دماؤها تذ كرت اقربى ففاضت دموعها

ولكن شتان ما بين الباعثين « وما أبعد ما بين الداعيتين « ففريق ينصر الملة

بنصر الثورى والدستور « ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين « وفريق ينصر الأستبداد

بنصر ذلك الشبح البال « والمسرف المال « والخلون القال « (٣ : ١٣) والله يورثه

بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار «

أيد الله الحق على الباطل « ويمكن جند الدستور من تلك الحصون والمعاقل «

(المناهج : ٤) (٣٦) (النجلد الثاني عشر)

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كتب الله له النصر والظفر ، فكان هو
الفارق الفاصل ، بين المدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في
أوروبا بسرعة حركته ، وحسن تربيته ، كما أعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ،
وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى
على حكم الأفراد ، د ٤٠ : ٥١ : إنا لتصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الأشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين من ذنوبهم ولمم اللعة ولمم سوء الدار »

سقطت « يلدز » ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد أن حاصرها
جيش الدستور ، وقطع عنها الزاد والماء والنور ، وفيها أربعة آلاف من النساء
والعنان ، والخصيان والأعوان ، والحرس الداخلي والخباب ، والخدم والكتاب ،
والسواس والحدوية ، والأرئيسين والبستاني ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشبه
الأنف من اصناف الألوان ، ويتمتعون بما احبوا من نبات الحان ومعتقدات الدنان ،
وقد استمد عبد الحميد فيها لكل شيء ، الا الحصار فانه لم يكن في الحسبان ، وسبحان
من لا يشغله شأن عن شأن ، أراد ان يحطها كجنة الخلد ، فاذا هي في يوم الحصار
دون جنة آدم في الأرض ، فقد قال الله لا آدم (١١٨ : ٢٠) ان لك ان لا تجوع فيها
ولا تمرى ١١٩ وانك لا تنظما فيها ولا تضحي (وقد جاع وظمئ في جنة عبد الحميد
حتى القادات ، وصار من فيها كالسواثم يقتاتون بوبرق النبات ، نعم ذاقوا يلدز طعم
الجوع ، بعد ان كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجموع ، وتجميع الألوف
من الجنود وغير الجنود ، وذاقوا لباس الخوف والرعب ، بعد ان كانت تخيف
جميع الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين . ومثلا للآخرين ١٦٥ : ١١٢ ضرب
الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنهم الله
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والمويل ، ممن قال فيهن شاعر النيل

أبن الأوانس في ذراها من ملائكة وحرور

المرعات من النعم الراويات من السرور

العائرات من الدلال الناهضات من الفرور

الآمرات على الولاة الزاهيات على « الصدور »
 الناعمات الطيات العرف أمثال الزهور
 الذاهلات عن الزمان بنشوة العيش النصير
 المشرقات وما انتقلن على الممالك والبحور
 من كل « بلقيس » على كرمي عزتها الوثير
 أمضى نفوذاً من « زبيدة » في الامارة والامير
 بين الرفارف والمشا وف والزخارف والحرير
 في مسكن فوق السماء وفوق غارات المغير
 بين الماقل واقنا والخييل والجم الغفير
 سموه « يلدز » والافو ل نهاية « النجم » المنير
 دارت عليهن الدوائر في الخادع والحدور
 أمسين في رق القبيل وبن في أسر العشير
 ما يتبين من الصلا ة ضراعة ومن النذور
 يطلبن نعمة ربهن ورهبن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبد الحميد بلا نصير ، ولا ولي ولا ظهير ، الجواب من سورة
 الشورى التي كان يقرأها (٤٢ : ٨) والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) ومنها
 (٣٥) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣١) وما أنتم
 بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدز الحصار ، خيرها بين التسليم وبين
 السيف والنار ، فعلم ذلك الماهل ، انه جاء الحق وزهق الباطل ، فأمر بالتسليم مدعياً إثارة
 السلام ، على الحرب والصدام ، وأن العسكر المهاجم كالحرس من أولاده ، لا فرق
 بين الداعم والهادم لاستبداده ، فسلم من كان فيها من الجيش سلاحه وذخائره مأسوراً ،
 ثم خرج منها مذموماً مدحوراً ، وخرج وراءه رؤساء الموظفين والكتاب والأقرباء ،
 فالخصيان والخدم والنساء ، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء
 منهم فرداً فرداً ، ويخصيهم بالمقايلة على الجداول التي يده عدا ، ثم يرسلهم محفوظين

إلى المواضع التي أعدها لهم ، إلى أن يصدر الحكم المصري الفاروقي فيهم ، بل ذلك حكم الله وسنته في نظام الاجتماع ، « ٤٠ : ١٨ ما للظالمين من حميم ولا شفيع بطاع » ، وصدق عليهم بعد اباحة يلدز للأمة ، ما نزل في فرعون وقومه « ٤٤ : ٢٥ كم تركوا من جنات وعيون ٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٨ فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروقي فروق تحت الأحكام العرفية ، وشكل فيها المحاكم العسكرية ، لحاكمة منفذي الفتنة الحديدية ، لإبطال حكومة الشورى الشرعية ، وإعادة الأحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لا بد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة إلا به ، والقتل بهذه الأحكام العسكرية ، هو من قبيل ما يطلق عليه الفقهاء اسم الأحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل الثالث لإصلاح الثنتين ، فإن قيل إنها أحكام ربما تصيب بعض البراءة ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، « ٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب »

وقد كان من أمر الولايات العثمانية ، عند ما علت بكيد عبد الحميد خان للحكومة الدستورية ، أن كتبت إلى مجلس الأمة بوجوب خطه ، ونقض اليد من يمينه ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لمحاربه ، والأهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والأعيان ، واستفتوا شيخ الاسلام ، في خلع عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه ترجمة الاستفتاء والثوري بالعربية : « إذا حذف زيد أمير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع ومزق وأحرق الكتب المذكورة ، وبذر وامر في بيت المال بدون مسوغ شرعي ، وقتل وسجن ونفى رعاياه بدون سبب شرعي ، وتعمد ارتكاب غير ذلك من المظالم الأخرى ، ثم بعد أن أقسم بأن يرجع إلى الإصلاح حيث يمينه وأصر على إحداث فتن عظيمة تخل تمام الإخلاق بانتظام أمور المسلمين واحوالهم ، وحرص على المذابح ، وإذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الإسلامية طالبة خلعهم بخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقائه ضرر محقق ، وفي نزوله صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجعه أرباب الحل والعقد وأولو

الأمر من إلزامه التنازل عن السلطنة والخلافة أو خطمه ؟

(الجواب) نعم . كسبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عني عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الاسلام التي هي أصبح قد صدرت في هذه الأزمان ، لرد الشأن فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختاروا وأمر من الميوسين والاعيان ، ان يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والمخازي ، وأن يبايعوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجلس بالعربية

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (مالية) تقرر في جلسة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلسي الأعيان والميوسين خلق السلطان عبد الحميد الثاني وإسناد السلطنة والخلافة إلى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحلان المينان في الفتوى المنذلة بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي المتلوة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، لتبليغ قراره لسلطانين ، ليعلما ان الأمر لأولي الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الأمر ، لأن الله تعالى اسند في كتابه إلى الجمع ، ولم يسند قط إلى الفرد ، وليكون الأول عبرة للمستبدين الظالمين ، والآخرون سلفاً ومثلاً للمستورين الآخرين ، فبلغ الوفدان القرارين ولسان الحال ، يرقل قبل الملك المتعال ، « قل اللهم مالك الملك توحي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقود المستقم القهار ، وهو في مأمنه الذي ملأه بالمسدسات ، وجعل فيه الملاجي والمفازات والمدخلات ، وفي كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الأحوال ، فمنها النائم على السرور المرفوعة ، ومنها المتكى على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكتب على كتابته ، ومنها الممثل لقراءته ، بخطا بذلك خيانة الجنود والأحراس ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دمر عليه محتال ، يحاول

افتك والاعتقال ، واتفق ان اهتدى الى بعض حجراته ، التي يارز اليها في خلواته ،
 يفره التمثال فيهمج عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحميدية من بين كتفيه ، وان
 عبد الحميد لا يخطئ الرمي ، فقد تمرن على الرمي حتى صار كمني ثعل أو أرمي ، -
 دخلوا عليه فإوارته مخبأته ، ولا حته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ، ولا أغت
 عنه أمواله ، بل غلب على هذا الخلو الجين الخالع ، فإذا هو خاضع خانع ، قد
 خر من لسان مقالته ، وقرأ لسان حاله ، « ٢٧ : ٢٩ » ياليتها كانت القاضية ، ٢٨ ما أغنى
 غني ماليه ٢٩ هلك غني سلطانيه ، يمني لو كانت مكيدته قضت على الدستور ،
 وجعلت زعماءه وأنصاره من سكان القبور ، ثم طلب أن يبقوا عليه كما أبقى على أخيه
 مراد ، ويحسبوا إليه لأنه بريء مما وقع من الفساد ، وطفق يلوك باطيل الأعداء ،
 ولو كان صادقاً لما انتهى إلى هذا « القرار » ، « ٢٨ : ٣٨ » ام نجمل الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجمل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع وذل عبد الحميد ، وهو الجبار العتيد ، لذلك الوفد ، الذي لم يكن
 معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتواضعا كتواضع الخلفاء ، ام هي شنشة الجبناء ، ان
 قدروا بنوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعنوا ؟ أذا هو السلطان المستبد ، القاصي
 المتكبر ، الحريص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة ومالها على شخصه ، هو بيه
 عبد الحميد ، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غير مراضة ولا تفتيش ، فوقف أمامهم
 خاضعا ضارعا ، متوسلا خاشعا ، يسألهم الإبقاء عليه . وترك روحه العزيزة بين جنبيه ؟
 سبحانه الله ما أجل حكمتك ، وما أعدل سنتك ، بما أصدق وعذك ووعدك ، فقد
 بينت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقالت « ٤٠ : ٣٠ » أولم
 يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة
 وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »

أين تلك القوة القاهرة ، أين تلك الإرادة النافذة ، أين تلك المظنة والكبرياء ،
 أين ذلك الشعم والإباء ، أين ذلك المسرف المال ، أين ذلك المعجب المختل ،
 أين السلطان عبد الحميد ، الذي ظن أنه يبقى فعلا لما يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد
 في المملكة من يقول هذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهذا حرام ، أين السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان غلامه ، والناس عبيده أو عبادته ، وان له الحق ان يحرف كتب دينهم ، وان يفسر أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظلمه بالرضا والحمد ، أين السلطان عبد الحميد الذي كانت لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبنان المرصوص ، فيحرم الصلاة على الألوف من المسلمين لأجل حالته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيتزلف اليه فيها بآيات معينة من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسامحة آية من آيات التي تنذر الظالمين الهلاك والدمار ، وتوذنتهم بالزوال والبرار ، لأخذ منه باليمين ، وقطع منه الوتين ، أو زجه في ظلمات السجن ، أو نقاه من الأرض ، أين عبد الحميد الذي كانت يزور الخرقه النبوية الشريفة ، تذكراً للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرس له الجنود طريقه إليها طربل السنة ، فإذا قرب الموعد أخليت من جانبيها الفنادق والدكاكين والأمكنة ، وثقلت الأبواب والنوافذ والكوى ، وحشرت الجنود تماثلاً ما بين الرجا إلى الرجا ، لئلا يطعم أحد بالدنوايه ، أو يكون في مكان أعلى منه ، ؟؟ ۱۱۵ : ۲ ما أغنى عنه ما هو ما كسب ، ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا نفقه رأي تقائه ، ولا سلاح حماته ، بل سلعت فتنه الباغية المفروقة ، لفنة الدستور المنصورة ، وذم هو عمل منفذي فتنه وتبراً منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، ۸ : ۸۸ ، واذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب .

بعد اسبوعين من خلع عبد الحميد ، أنفذ الفاروقي حكم أولي الأمر بنفيه إلى سلاطيك ، وأخرج معه من دار السعادة اثنان من صفار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه ، وحجى به إلى محطة سكة الحديد تخفى مركبته مركبات الجنود . وأرسل كذلك مخنوراً في قطار مخصوص ، ولما وصل إلى محطة سلاطيك اختار ركوب إحدى مركبات الاجرة ، إلى ان وصل إلى الدار التي أعدت له ، وهي دار

الآتيني باشا قائد الشرطة ، وقد احضر له ولمن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب تبصفا فاشترت له أيضا من السوق ، وكان في عامة أوقاته كاسف البال ، كثير المواجهس والأفكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فبدأ القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان ديدا الحيد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا أقول له بل ما فعلت الزباه ، على ان البعخ والانتحار اذا كان محرما في الاسلام ، فشدة الحرص على الحياة ليست من شأن أهل الإيمان ، فقد قال تعالى في في الذين لا يؤمنون (٢: ٩٦) ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذي اشركوا يود احدهم لو يؤفكهم ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يمر والله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويغ في ذلك اليوم بنظارة الحربية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة العثمانية ، فان كان قد قل في حفلة المبايعة اني اول ملك في عهد الدستور والحرية ، فاننا نقول ان مبايعة اول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الإرث ، وهو قد ناله هو باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويغ بالمصافحة كما بويغ الخلفاء الراشدون ، لا بلثم الراحة وتقبيل الاذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايحه الشريف حيدر بك من أعضاء مجلس الاعيان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم تقيب الاشراف فرئيسا لمحلي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالأمراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعة ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحربية ، بمين التزام الشريعة والدستور والمحافظة على حقوق جميع الأمة العثمانية ، ثم حلف أيضا في مجلس نواب الأمة ، كما استحلهم على الاخلاص لها وله ، فأقسموا طائمين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم تقول آمين ، والماقبة للفقين ، د ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »

ونسأله تعالى ان يجعل لسال حال سلطاننا الأواب ، هذه الآية الكريمة من

الكتاب د ٤٠ : ٣٨ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد »

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافعي ﴾

٤٣

تمة بحث النسخ

ولنعد الى ما كنا بصدده فقول قد بينا في رسالتنا السابقة بعض حجج ما ذهبنا اليه وسنزيد ذلك ايضاحا فقول - ان الكلام اذا سبق فاتما يساق بمناسبة المتأخر لما تقدمه وابتنى عليه ودونك ما قبل هذه الآية لتعرف دلالة السياق وان الكلام مسوق في أي شيء أهو في ذكر المعجزات كما قال الدكتور الفاضل ام في ذكر الدين وشرائعه واحكامه ومن هنا تعرف ان ما ذكرناه عن السلف في تفسير هذه الآية هو المناسب لسياقها قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم - ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من وبيكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ففي اول هذه الآية حذر المؤمنين من موافقة الكافرين في إطلاق الالفاظ الموهمة كقولهم راعنا ثم اخبرهم في آخرها بشدة عداوة الكفار لهم وانهم يكرهون نزول الخير اليهم وذلك الخير الذي تفضل الله به على عباده المؤمنين هو الشرع التام الكامل (٥) الذي شرعه لبيده محمد (ص) واختصه وامته به والله

(٥) النار: الكلام صريح في بيان سبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل الكتاب يحسدون العرب فلا يودون ان ينزل الوحي على رجل منهم فهم لذلك ينكرون نبوة محمد (ص) والمشركون ينكرون النبوة من حيث هي فالكلام في النبوة لا في الأحكام الجزئية التي في الوحي وهي أقل ما فيه . والشرع المحمدي عقائد ومعارف إلهية وآداب وعبر وأخلاق كريمة واحكام عملية والمقائد هي الاساس والكلام في ركن النبوة منها لأن غيره يبنى عليه فالمناسب ان تكون الآية ما يؤيده

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم — وعلى مناسبة ذلك قال « ما ننسخ » من هذا الخير وهو الشرع الحمدي « من آية أو نساها » فليس من باب تفويت أو احرامكم بعض هذا الخير الذي تفضلنا به عليكم بل نفعل ذلك لأننا نخير منه اذا نسخناه أو بطله اذا قصرتم في حفظه ونسيتوه — أما قوله « ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخره فانما ذكره في عقب هذه الآية كالدليل بالشيء على نظيره وذلك مثل استدلاله جل شأنه على البعث وامكانه بالخلق الاول وبإحيائه الارض بعد موتها وقد ذكرنا في رسالتنا السابقة مناسبات أخرى فارجع اليها وليتأمل الفاضل في هذا المقام وليعطه حقه من النظر

ونقول ايضا نحن قد قدمنا وقلنا غير مرة انه قد علم من ديننا بالضرورة ان القول بالرأي في الدين وبالأخص تفسير القرآن لا يجوز مطلقا فاما بالك برأي مخالف لما قاله السلف ولما قلوه (١)

ثم قول حضرة الدكتور الفاضل هب ان السلف لم يتكلموا ولم ينقل عنهم في تفسير هذه الآية شيء أفليس الواجب ان نرد كل لفظ الى أصله ونحمله على معناه الحقيقي ولا نقدم على القول بالمجاز ولا نعدل اليه الا اذا تبين بقرينة فاذا عرفت ذلك نقول قال في القاموس نسخة كنهه ازاله وغيره وابطله وأقام شيئا مقامه والشيء مسخه والكتاب كتبه عن معارضة كاتسخه واستنسخه المنقول منه نسخة بالضم وما في الخلية حوله الى غيرها انتهى والمصيان الاخباران لا يصح حمل الآية المتنازع في تفسيرها عليهما اتفاقا فلا يبقى الا الازالة والتفسير والابطال — فاذا كان المراد بالآية في قوله تعالى ما ننسخ من آية المعجزة كما يقول حضرة الفاضل فامعني ازالها أو ازالة مثلها فانه لا يزال ولا ينقل الا ما كان ثابتا في الخارج واما ما بعدم ويفوت بفوات وانقضاء زمنه فلا يقال ازاله ولا يزيله نعم يقال في مجاز اللغة ازلت حجته بمعنى كذبها وعدم صحتها فاذا اريد بالآية المعجزة فلا يجوز حملها على

(١) ان من يفسر آية بغير المروي عن واحد او ٢ و٣ من السلف لا يسمى مخالفا للسلف لاسيما اذا اختلفوا والا لكان جميع العلماء مخالفين للسلف حتي الأئمة المشهورين وإنما مخالفة السلف المذمومة هي مخالفة سنتهم التي جروا عليها في امر الدين والا ابتداع فيه

معنى الازالة لا حقيقة ولا مجاز ابقي التغيير والابطال والقول فيهما كاقول في الازالة وهل يصح ان يقال ان الله غير وابطال معجزات الانبياء السابقين فاذا فسد التفسير يحمل الآية على المعجزة تبين حملها على آيات الاحكام ونحوها من آيات القرآن لصحة قولنا ازلت حكم كذا واقت مقامه حكما آخر او ازلت الكلمة واقت مقامها كلمة أخرى فما ذكرناه في تفسير الآية هو الحقيقة التي لا يصلح ارادة غيرها وبذلك قال السلف كما عرفت ذلك عنهم فيما سلف - ولو جوزنا المدول عن الحقيقة الى المجاز بلا قرينة ولا مرجح للمدول وسلمنا ما قل بان النسخ قد يكون بمعنى الترك - فكذلك لا يصح ارادة ما قاله الفاضل ولا يجوز أيضا - لأن ترك الشيء لا يكون الا إذا أمكن فعل ذلك الشيء نفسه والمعجزة الفعلية الذي وقعت واتقضى زمنها كاتقلاب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية مثلا لا يمكن ان تعاد نفسها لاسيما مع عدم وجود العصفان قيل المراد مثلاً قلنا وهذا مجاز بتوسط تأويل - ولو سلمناه أيضا فانه لا يصح حمل الآية عليه لانه لا يصح الا بعد ان يثبت ان الله قد ركب في الكتاب الذي كتبه لكل مدة مضروبة بأن سيو يد محمدا (ص) بمثل تلك المعجزات الماضية مماثلة من كل الوجوه فاذا قدر انه عدل عن ذلك الى ما يماثلها من بعض الوجوه جاز ان يقال ترك هذا المثل لهذا المثل ولا يخفى ان المهجوم على ذلك بلا توقيف جراءة واستبداد على الله

فان قيل لا نقول إنه ترك ما كتب وقدر انه يؤيده محمدا (ص) كما ذكرتم قلنا ان تنظير الدكتور للنسخ في هذه الآية بقوله (يححو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) صريح فيما ذكرنا فساد. ونقول أيضا ان ما هو نحو المعجزات من الافعال التي مضت واتقضت هي الآن معدومة فان قيل المراد مثلاً الموجود في بعض الازهان فيجوز تركه قلنا ذلك ممنوع لأن الموجود في الازهان المذكورة انما هو التصديق بتلك المعجزات ونسخه انما يكون بنقضه وتكذيبه وهو محال وايضا ما في اذهانهم لو أوجده الله في الخارج فهو لا يكون الا نفس المعجزات الماضية التي قد عدت والافعال التي قد وقعت لا يمكن ان تعاد نفسها وما كان كذلك فلا يقال انه تركه وعليه فالتسخ بمعنى الترك لا يمكن ان يفرض الا فيما يماثل من بعض الوجوه

ما حفظه بعض الناس من معجزات الانبياء وحينئذ لا يكون المنسوخ في الآية ما قد وجد ولا مثاله الموجود في اذهانهم بل هو ما يماثل مثاله من بعض الوجوه وهذا إنما هو معدوم لانه غير موجود في الاعيان ولا في الازهان ومعلوم ان الله لم يرد انه نسخ أو ترك المعدوم المطلق أو انه أيدي نبينا (ص) بخبر منه أو مثله لان الخبرية والمثلية لا يوصف بها المعدوم فظهر بذلك ان المعنى الذي حمل الآية عليه حضرة الفاضل لا يصح الا فرضه في المعدوم المطلق وسياق الكلام ومعناه يأتي ذلك والا للزم وصح ان يقال ان كل ما أوجده الله فهو بدل ومثل ومسبب عن ترك معدوم مطلق لم يقدر في كتاب وهذا لم يقله أحد

هذا بعض ما نقوله في المنسوخ الذي ذكره الله في قوله مانتسخ من آية أو نسها وقد عرفت انه لا يصح ان يفرض شيئا مما قدمنا بيانه أمام معجزات نبينا (ص) فلا شك انها قدوت وقامت بتأييد رساله (ص) كما قدوت معجزات الانبياء السابقين بتأييد رسالاتهم وزيادة لكن اطلاق ان هذا نسخ لهذا لا يصح في تفسير قوله تعالى (مانسخ من آية أو نسها) وقوله فكل آية من آيات الانبياء السابقين الى قوله قد أتى الله بمثلها في الاقتاع والهداية أو بخير منها قالت نعم والامر كذلك الا انا قد قدمنا فساد فرض المنسوخ بمعنى المعجزة وعليه فما أتى الله ومن به على نبينا من المعجزات فليس بدلا عن معجزات الانبياء السابقين على معنى ان تكون نسخة تلك ولو كان كل معجزة لني متأخر نسخة لمعجزات من تقدمه لكانت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم نسخة لمعجزات عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزات عيسى عليه السلام نسخة لمعجزات من تقدمه وهم جبرأ وعليه فما أتى به محمد من المعجزات لا تكون بدلا لكل معجزات الانبياء السابقين والا للزم نسخ المنسوخ حين هو منسوخ (١)

(١) النار: كل هذه اللوازم التي اوردتها ممنوعة ويمكن ايراد معنى المائلة من كل الوجوه او بعضها على التفسير المشهور للآية وان من يفسر الآية هنا بما يؤيد الله به الانبياء كأبي مسلم لا يقول اذا زال الله ما يؤيد به بعض رساله من آية في زمن رسول آخر وايداه بغيرها فانه يكون ناسخا للسابقة باللاحقة بل يقولون ان المعنى إذا لم يؤيد الرسول

وتقول ايضا يلزم الفاضل المذكور في الادلة المتعددة المختلفة الحقائق على صحة المدلولات المتماثلات والمدلول الواحد نصحيح اطلاق الب كل واحد منها ناسخ للآخر فليتأمل الناظر وليحكم بما شاء بشرط الانصاف

اما قول الفاضل الممدوح واذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل اتى تعالى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثيرا من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ واقول قد عرفت انه لا يمكن حل ذلك على غير آيات الاحكام وتقول نعم انه قد عوضنا بدل كل آية نسخها ورفعها بما هو مثليا وافضل منها وذلك موجود في هذا القرآن الذي بين ايدينا — أما قوله فكيف نسخ كثير من القرآن بالسنة على قول بعضهم فجوابه انه لم يفضل احد احكام القرآن على احكام السنة لان الكل من الله والحكم الناسخ سواء كان في القرآن او في السنة هو اكثر خيرا من المنسوخ ولا تفاوت في نفس الحكم الا أن هذا يكون اصح من هذا كما سيأتي بيانه . نعم ألفاظ القرآن هي افضل من ألفاظ الأحاديث ولم يقل أحد أن لفظ الحديث ناسخ لفظ القرآن فما اراد ايراده غير وارد فتأمل

ونحن قدمنا الكلام في اختلاف العلماء في النسخ فارجع اليه فمن يجوز نسخ القرآن بالسنة بعضهم يقول ان ذلك جائز لكنه لم يقع واما من يقول منهم بوقوعه فليهم أن يفرقوا بين نسخ الآية ونسخ حكمها بأن يقولوا إنه من المعلوم بالضرورة ان الدين كله سواء كان قرآنا او وحيا غير قرآن — وهو السنة — انما عرفناه بتوسط محمد (ص) الذي عرفنا صدقه وصحة نبوته ورسالاته فلا يجوز لنا ان نقبل بعض ما

— المتأخر بآية المتقدم بأن ازال تلك الآية وما أراد إعادتها فإنه يؤيده بمثلا او بخبر منها في اثبات الرسالة . ويمكن ان يفسر لفظ النسخ على هذا الرأي بما ورد في المأثور من انه بمعنى الاثبات في الكتاب ويكون معنى الآية عليه ما ثبتت من آية في الكتاب الذي هو القرآن خطأ ومعنى فيصرفها الناس او نفسها الناس بترك الاعلام بها فانا نأتي بخبر منها أو مثلا في تأييد رسالتنا وبذلك يبطل قول بعض الكافرين (٢١: ٥) فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (وما في معناه مما حكاه الله تعالى عن المماندين

جاء به وشارك البعض الآخر اذ لو فعلنا ذلك لكننا مكذبين له (ص) في ذلك البعض وذلك كفر في دين الله وبه كما قال تعالى «أفقرئنون بعض الكتاب وتكفرون ببعض» — بناء عليه يجوز ان يكون بعض احكام السنة خيراً من الحكم المنسوخ الذي كان في القرآن — واذا كان المراد بالخيرية ان يأتي بخير منها أي يدل ذي مصالحة واجبة فلا قباحة في أن يقوم الحديث النبوي بدلا عن لفظ آية وحكمها معا أما الوصية للوالدين والأقربين فالجمهور يقولون ان النسخ لها إنما هي آية المواثيق والسنة مينة وشارحة لذلك النسخ. هذا بعض أجوبتهم وهو مانع ودافع لكل إيراد، قلت الأيراد الصحيح في هذه الآية إنما يتوجه على مذهب حضرة الدكتور الفاضل لأنه إذا منع النسخ في القرآن مطلقا به أو بالسنة لزمه ان الواجب للوالدين الوصية والنصيب الذي فرضه الله لكل واحد منهما في آية المواثيق — وحينئذ يعترض عليه ويقال إنه إما أن يكون ما فرضه لها وافيا بحققها أو ليس بواف بحققها وعلى كل تقدير إما ان يلزم النقص أو الظلم (*) لا يقال ان الوصية إنما ندب اليها ولم يوجبها لأننا نقول ان الاعتراض وارد على الاستحباب أيضا على ان في قوله تعالى «كتب عليكم» في أول الآية وقوله «حقا على المتقين» في آخرها دلالة ظاهرة لا يترتب بها شك ونص في الوجوب فلا اعتراضات الواوذة الصحيحة إنما ترد على مذهب الفاضل الدكتور

قال الفاضل وأين البديل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله عشر رضعات معلومات يحرم من — الذي نسخ على زعمهم بقوله — خمس رضعات معلومات ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ؟ قلت والجواب من وجوه وهو يختلف باختلاف مشارب الناس في هذا الموضع

(الأول) من لم يشترط التواتر في نقل القرآن وهؤلاء يقولون ان آية (١) الخمس

(*) ورد عن علي وابن عباس وهما أعلم السلف بالتفسير ان الآية خاصة بمن لم يرث ويمكن للدكتور ان يقول به وهو ليس بمن ينكر التخصيص وان سمي نسفاً على انه يمكن منع استلزام الظلم والنقص بجعل الوصية خاصة من وجه آخر كأن يكون بعض الورثة فقيراً عاجزاً عن الكسب وبعضهم غنياً فيوصي للعاجز الفقير

الرضعات المعلومات هي آية (١) من القرآن الكريم وهي محفوظة بهذه الرواية ونحوها ولما عندهم حكم القرآن المتأول ومن يقول بذلك فلا يرد عليه اعتراض حضرة الدكتور الفاضل هنا من أصله فإن كان يرد عليهم اعتراضات أخرى فليتهم قد أجابوا عنها -
(الثاني) قول من يقول ان القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وناسخه لا يكون إلا قرآنا أو سنة كذلك

(الثالث) انا نختار ان نقول لا شك ان العشر الرضعات قد ثبتت انهن كن فيما نزل من القرآن وثبتت انهن نسخن ونقل النسخ لا يشترط فيه التواتر لان اشراط التواتر في القرآن انما التزمه من التزمه لأن من خالف الاجماع يكون شاذا مخالفا لما نقله جميع الصحابة من حصرهم القرآن المحكم في هذا المصحف الموجود بين أيدينا واذا صرح وقيد الناقل ان ذلك قد نسخ لفظه أو وحكه فلا شك ان ذلك يخرج عن الشذوذ فلا يكون مخالفا المتفق عليه من القرآن لجواز ان يكون الصحابة (رض) تركوا نقله لكونه منسوخا لفظا

بقي البحث في النسخ وهو الخمس المعلومات ثم هذه الخمس المعلومات هل من قرآن محكم باق لفظه وحكه أم ليس هن قرآن وقد قدما قول من لم يشترط التواتر وبعض من يشترط التواتر يقبل الحكم ولا يقبل القرآنية فمن يقول ان القرآنية المقولة بنقل الواحد ونحوه إذا خالفت المصحف كانت شاذة فمخالفة الجمهور اسقطت القرآنية لاحتمال ان يكون الراوي الواحد ونحوه نقل ما كان منسوخا لفظه ولم يعلم بنسخ لفظه أو انه ظن ان ذلك قرآن اما الحكم المتضمنة له تلك الرواية فهو غير معارض بنقل الجمهور للقرآن وباب الحكم غير باب اللفظ والقرآنية فمن هنا قالوا بقبول الحكم ورد القرآنية ففكر

وآية عدد الرضعات المرفوعة المنسوخة هي ليست في الحقيقة مما يصح ان يورد عليها ما أورده الفاضل يعرف ذلك بجميع اطراف الرواية ودونك ذلك - روي عن عائشة (رض) انها قالت كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرم من» ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن رواه مسلم وأبو داود والنسائي - وفي لفظ قالت وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة نزل

في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات رواه مسلم وفي لفظ قالت نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك رواه الترمذي - وفي لفظ كان فيما أنزل الله عز وجل من القرآن ثم سقط لا يحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات رواه ابن ماجه - والناظر يرى ان الصديقه (رض) لم تذكر الا النسخ ولا المنسوخ بلفظه ولا سياقه ولم تبين محله نعم روايتها ظاهرة في ان عدد الرضعات كان قرآنا في الجملة وبعضها ظاهرة في ان العشر نسخن بالخمس ورواية الترمذي هي صحيحة ولا تبين دلالتها على ان الخمس التي هي بدل عن العشر انها كانت قرآنا ولا تدل على ان النسخ وقع بالخمس أيضا وبناء على ما تقدم فقولها (رض) فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن أي ان بعض من لم يلفه النسخ كان يقرأ ذلك وهو مع شذوذه عما نقل الجمهور لم يثبت قراءته في المصحف ولعله رجع عن ذلك ثم يحتمل كلامها ان من بقي يقرأ كان يقرأ العشر والخمس معا أو انه كان يقرأ الخمس فقط طائفا ان ذلك لم ينسخ وهذا الاحتمال الاخير بعيد - فهذه احتمالات - وأما حديث ابن ماجه عنها فظاهر ان العشر أو الخمس انما هو آية واحدة ودلت هذه الرواية على ان الكل رفع - وبناء على ذلك ان من لازم نسخ العشر ان تنسخ الخمس معها وترفع برفعها لكونها جزءا من آية ولأن الخمس انما هي معطوفات على العامل في العشر فهي منسوخة بالتبع لعدم جواز بقاء لفظها بعد نسخ اول الآية والابقيت غير معاومة المعنى ومثل ذلك لا يجوز بقاؤه او وجوده في القرآن فاندفع ما اورده الدكتور الفاضل - فقوله في حديث مسلم رح ثم نسخن بخمس معلومات أي بقاء حكم جزء الآية المرفوع لفظه بالتبع وهي الخمس المعلومات ناسخ للعشر المقصود رفعها ونسخ حكمها بالاصالة والذات - وبقي بعض من لم يلفه رفعها ونسخها يقرأها هكذا : لا يحرم الا عشر رضعات او خمس معلومات

قلت وقوله تعالى (وامها تنكم اللاتي ارضعنكم) يصح ان تقول انه بدل عن هذا المرفوع ورواية ام المؤمنين (رض) قد اثبتت ان حكم المدد محكم فتحريم الامهات المرضعات في هذه الآية وارد في رضاعة معلومة وهي الخمس الرضعات وعائشة (رض)

يعين ان تكون سمعت من رسول الله (ص) ان حكم الخنس باق وقد روت في ذلك
أيضا أمره (ص) سبلة امرأة أبي حذيفة ان ترضع سالما خمس رضعات ومن يشترط
الخنس الرضعات فهو يقول ان هذا كله منسوخ حكمه ولفظه وناسخ ذلك الاطلاق
في قوله تعالى «وامهاتكم اللاتي ارضعنكم» فارصل الجوف هو الرضاع المحرم ومنهم من
قال ان الله اطلق تحريم المرضعة والمرجع في ذلك الى السنة وقد ورد ان المصة والمصتين
والرضعة والرضعتين والإملاجة والإملاجتين لا تحرم وحديث عائشة (رض) فيه إناطة
التحريم بخمس معلومات فرجب المرجع اليه فيما نتقد وقدما توجيهاً، بذلك اندفع
اعتراض الدكتور الفاضل ايضاً وثبت ان الناسخ لذلك هو القرآن مفسراً المراد
منه بالسنة أو بما له حكم السنة وفهر بما قدمناه ايضاً النكته في نسخ لفظ الخنس والله اعلم
وأما آية الرجم فقد قدمنا الجواب عن رفع لفظها وحكمته فلا نعيده واذا قد فرغنا
من جواب كل ارادات الفاضل في مسألة النسخ فلنشرع في الجواب عما اوردته
من الشبهات على وجوب العمل باحاديث الآحاد الصحيح فنقول (طابقية)

الانقلاب العثماني الميمون

بخلق عبد الحميد

(رأي جرائد مسلمي الهند فيه)

أرسل الينا صديقنا مواوي محمد إني شاء الله صاحب جريدة «وطن» الغراء التي تصدر
باللغة الاوردية في «لاهور» مقاتلين في الانقلاب احدهما من تلمه نشرها في قاعة
أول عدد صدر من جريدته بعد العلم بالانقلاب الأخير وخام عبد الحميد ثم ترجمها
بالعربية والثانية نشرت في جريدة «البرزور» باللغة الانكليزية وسألتنا رأينا فيها
فنحن نشرها ثم نبدي رأينا فيها وهذه هي الاولى نشرها مع إصلاح قليل لبعض
الألفاظ يحدد المعنى ولا يضيع من شينا (وعنوانها الانقلاب المشؤم في الدولة العلية)
لقد طير البرق اليها اليوم انبا المشؤم الذي قنت الا كباد، وألبس القلوب ثوب
(المارج ٤) (٣٨) (المجلد الثاني عشر)

الحداد ، وقد ساد الأسف بمجرد سماعه على العالم الاسلامي في الهند وسائر اقطار المعمور ، ومن التألم الناشي منه تنشئت الصدور ، وذلك النبا العظيم الذي آلم العالم الاسلامي بأسره هو نيا عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الامة اجاعا على عزله ولا ادري هل انزل جلالة من عند نفسه او اعتزله جمعية الاتحاد والترقي التي كانت عند اول ظهوره في بدء احياء الدستور العثماني اخيراً مظهرة عزها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون اعضائها من الناقمين من جلالة او الخائفين من ذاته على الدستور . ولكن علنا بعد صدور الارادة الشاهانية باعلان الدستور واقلاب الوزارة وتقويض مسند الصدارة الى سياحتو (؟) كامل باشا الصدر الاسبق ان المعتدلين والمعتلا من حزب تركيا الفتاة لا يرون لزوم عزل جلالة عبد الحميد بعد ان صار محباً للدستور وحلف على حفظه وصرح بعزمه على تهرية الحزب المذكور لا سيما الجمعية الاتحاد والترقي التي لعبت دوراً مهماً في ملء احياء الدستور وترقية البلاد حتى صار جلالة لا يبرم امراً ولا يصدر ارادة من غير استشارة الجمعية ويطيع لها في كل الامور وقبل صدارة شرف الجمعية وفاء بها علناً . وقد مال بكليته الى الجمعية حتى عاداه حزب الاحرار من تركيا الفتاة وغيره بالتخلف عن فرائض الملك الدستوري بوضعه نفسه تحت يد جماعة غير مسئولة عن صلاح البلاد والعباد وبعد ما ترك استبداده بالحكومة قد وقع نفسه تحت نير الاستبداد الاثم والاشمر من الاستبداد الاول ولكن كل هذه الملاينة والافتقار لم يجد لجلالته نفعا وصارت الجمعية تلهو وتلعب به كما تلعب الهرة بالقارة التي تريد اقتراسها — وقد أخذت الجمعية تهد السبيل لعزله فأبعدت عما كر الاستانة وارسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية المساك الموالية للدستور التي جاءت بها من سلايك وغيرها ، وطلبت من جلالة السلطان عبد الحميد ان يرضى بوضع فيلق الحرس الهايوني ايضا تحت أسرة نظارة الخريفة وقد رد جلالة هذا الطلب غير مرة ولكن لما رأى الجمعية مصرة على ذلك اجاب طلبها (وان كانت الاجابة خطأ — كما ظهر الآن) لان جلالة اراد ان يبرهن للعالم (أصالة) وللجمعية تبعاً حسن نيته وميله الى جهة الدستور

ان جمعية الاتحاد والترقي كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد العسكريين الموالية للدستور الى الولايات وان كانت نار الثمن الداخلية متأجدة في جميع الجهات والضرورة داعية لارسال العسكريين الى الخارج كي يمكن اخادها واعادة النظام الى البلاد - ولما اراد الصدر الاسبق والرجل المحنك كامل باشا استعادة النظام العسكري والطاعة في الجيش امتنعت الجمعية عن ذلك واخذت تهزل مساعي الصدر المدحوح وحكومته في اصلاح المملكة الداخلي فلما منها ان خروج الجيش من يد الجمعية يضعف قوتها ويخرج مركزها ويكون خطراً على الدستور - لا قدر الله - وصارت الجمعية تأخذ على مجاري أمور الحكومة بالقوة القاهرة كأنها حكومة في حكومة بل وفوقها مستمدة على الجيش وقد شوهت الدستور بسيطرتها على الحكومة ومجلس الأمة حتى انقسم حزب تركيا الفتاة الى حزبين حزب الجمعية وحزب الاحرار وبأغلب حزب الجمعية بفضل الجيش وكثرة اعضائها في مجلس الأمة وانهمز حزب الاحرار شراً هزيمة في عدة مواضع اندفع في انتقاد اعمال الجمعية بصدق الالفة وكشف النطاء عن نيتها المشوهة للدستور وانتشر بغض الجمعية بين الانام بعد ان كانوا محبين لها لمحبين بشكرها في اعادة الدستور وهاج اهالي الاستانة وعساكر دار الخلافة مشهرين سيف عدائهم في وجه الجمعية وقلبوا لها ظهر الحن - وفر جميع انصار الجمعية من اعضاء مجلس الأمة تاركين مواكبتهم في الاستانة الى متر مركز الجمعية في سلاطنتها واخذت الجمعية تجند الجنود لكبح جماح الخارجين عليها والباغين بدعوى المحافظة على الدستور واخيراً قد فازت الجمعية على مخالفيها وأجرت الاحكام العسكرية في دار الخلافة واخذت تبحث عن الذين سموا في نحو الدستور واعادة الحكم المطلق (بزعمها) وكلما ننظر في خلال هذه الحادثة المؤلمة من أولها إلى آخرها نجد جلالة السلطان عبد الحميد محافظاً على الدستور وموالياً للأمة - والوطن - لم يتعرض لمجلس الأمة قط بل صرح في مثل هذه الحالة الطريفة أيضاً عند تعيينه لملي كمال بك (كذا) صدراً لمجلس الأمة ان مستقبل البلاد لا يقوم الا بالمحافظة على الدستور وهذا دليل بين وبرهان عظيم على كون جلالة محمداً الدستور - ومحافظاً عليه باراً

بيمينه محتباً إراقة دماء الأبرياء ونرى المبعوثين أو حزب تركيا الفتاة تآهين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة بأسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور وخاصة عاقبة مثل ذلك الفعل القبيح — لأنهم لو تأملوا بمحوادث انقلاب السلطنة الأخيرة لوجدوا أنه لم يكن لجلالة عبد الحميد يد فيها لأنه كان قادراً على أن لا يسمح بإبعاد حرسه الخاص قبل أسبوعين من تلك الكارثة أو جمع عدد عظيم من المصاكر لحفظ مركزه — وعلى الأقل — حصن المصاكر الموجودة في الأستانة الذين بنوا وطنوا على الجمعية (واغرائهم) بالثبات والاستقلال في الحرب وجنود قصره على عدم قبول طاعة المهاجرين من غير مدافعة — بل وإسلامهم للاعداء — كما صرح ضباطهم عند التسليم «انا نسلم أسلحتنا بأمر من جلالة السلطان لأنه أبي إراقة الدماء وقال لنا ان المهاجرين أيضاً من أولاده وهو لا يرضى ان يصيبهم مكروه» وغير هذا كان من الممكن لجلالته ان يأخذ لنفسه حماية أقوى دولة من الدول الأجنبية — ولكنه لم يفعل كل ذلك بل سلم نفسه للملة وأثبت للملأ أنه يحب مخلص للأمة والوطن ولا يريد محو الدستور أبداً وإراقة قطرة من دم في سبيل حفظ مركزه على طريق الواجب أيضاً فكان من واجبات الجمعية وحزب تركيا الفتاة ان يحترم عواطف ذلك السلطان الشقيق والسياسي المحنك الذي عند قبضه على صولجان الملك كانت السلطنة في أسوأ الحال من الافلاس — وعدم قوة الحرية — وخلل نظام الداخلي — وهجمات الأعداء الخارجي — وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم الحديثة منقسمة على نفسها أي انقسام أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها — فشر على ساق الجند وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أوربا موازياً لاعتبار أقوى الدول في العالم — ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات — حتى صار الجيش نفسه اليوم عليه بعد ان كان له ، وكل فضل الجيش في التربية والعدة والعدد من بركات عبد الحميد لا غيرة فنظر يا أيها القاري كيف انقلاب الحال ! ! سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد وأقلع صدأ الجهل عن

مرآة قلوب العباد ، الى ان صاروا يفهمون معنى الوطنية والاتفاق والاتحاد ،
فالذين علمهم الوطنية والاتحاد صاروا اليوم يرمونه بعدم محبة الوطن ومخالفة الدستور
ان هذا شيء يراد

قضى ثلاثا وثلاثين سنة مجداً ومجتهداً سعادة الأمة والملة وعمل اعمالاً أثمرت رفاه
البلاد والسلطنة : عمر الطرق وبنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات واخصب
المفاوز والقفار ، وأوصل الاقطار بالاقطار ، وحفظ السلطنة من الضياع امام اعداء اشداء
حتى أقر العدو والصديق انه من أمهر السياسين في السياسة وداهية المعصر في الدهاء
وفاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة الشفاء غير مضيع نفسه ومضعف مركزه
وكان في كل زمان عاملاً نشيطاً وسلطاناً حازماً لا يعرف الملل ولا يتريه الكسل -
كان من عادته ان يعمل ثمان عشرة ساعة في كل يوم ويشغل في مهام السلطنة كأدنى
خادم للملك والملة ، لم يكن له شغف بالراحة ولا كان يعرف الاستراحة فبعد ما عانى
من المشاق ، اعانى من عمل لصالح البلاد ما عمل لما رأى ان غواسه أينمت وأثمرت ،
والملة لحكم الدستوري اشتاقت ، اعطاها هذه النعمة مراتح البال وصار يفديهم بلبان
الافضال يقوم باقامتهم ويقعد باقصادهم كأنه ترك حمل القوم على غاربهم ليظهروا
استعدادهم ومعارفهم عادت الأمة عليه ورمته بالسعي في إعادة الحكم المطلق من غير
ينة ولا برهان حتى اذا لم يجد مسوغاً لتجريحه استعانت بهتوى الشرع من شيخ
الاسلام وصوبت اليه سهام الملام ، وأنزلته من عرش آباءه الكرام ، وهو في هذا الحال
أيضاً راض من الأمة غير منكسر البال بما فعلت به لانه يعرف ان القوم مخطئون
وهم لا محالة يوماً على صنعهم سيندمون .

فأرحم الله بلطفك هذه الأمة الخاطئة التي كفرت بنعمتك الجزيلة ولم تعرف
قدر ذلك السلطان الجليل الذي كان خير سلطان لها في مثل هذه الحالة الحرجة والموقع
الصعب وأهداها الله بجاه نبيك ان تكافي سيئتها بحسنة إعادة السلطان عبد الحميد
على سرير الملك وان لم تفعل ذاك فتحفظ حياته وتحترمه احتراماً يليق به وتتفهم من
آرائه ونجار به وحسنكته من حيث هو مشير مخلص خير في نظم المملكة وترقية السلطنة
ان لم تتفهم به من حيث سلطان قابض على زمام الملك وأن يا مولانا له

وخلفه وأمه خير نصير انك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير

حضرة الرصيف الفاضل :

بعد السلام والاحترام ترسل اليكم اليوم مقالتي الافتتاحية التي سطرناها في جريدتنا في أمر عزل السلطان عبد الحميد، ومعهما مقالة أخرى المنشورة في جريدة أو برزور - وغرضنا ان نشر وهما في جريدتكم الفراء لتعلم الأمة العثمانية بأفكار المسلمين الهنديين في ذلك الباب وان كان ما كتبنا عن عدم العلم بالاحوال الموجودة أو خلافا للوقائع فليكن ان تصدروا أقوالنا لتكون على بصيرة في المستقبل فيما نكتب بأمور الدولة العلية ولكم الفضل هذا واقبلوا فائق احتراماتي اقدم - ودنتم

كاتبه المخلص محمد إنشاء الله

٦ مايو سنة ١٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »

(لاهور - بنجاب) الهند

(المار) وهذه ترجمة جريدة برزور وهي مفتحة بيتين لشكير شاعر الانكيز

في مصرع يوليوس قيصر الروماني . قال

خلع السلطان عبد الحميد

لقد خلع السلطان الخازي عبد الحميد خان الثاني سلطان تركيا وخليفة الاسلام وأمير المؤمنين ونودي بمن يخلفه . ان هذا الحادث المحفوف بأعظم الاخطار الممكنة سيؤثر تأثيرا مزعجا في المواطنين الاسلامية في العالم بأسره ومن شأنه ان يوردي الى قلق عظيم في جميع الممالك الاسلامية من النيجر في أقصى الغرب الى الصين في أقصى الشرق

ان الزمن القصير الذي مضى على هذا الحادث لا يبيع لنا السلام بمقدار تأثير خلع عبد الحميد في السياسة العثمانية ومستقبل الاسلام فقد يكون فيه خيرا لتركيا وقد يكون بداية القضاء عليها ولستنا نعلم علم اليقين ان خلع قد ذهب من مسرح العالم السياسي بشخص مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربي مدة ثلاثين

سنة وقبض في راحته على مفاتيح الاسرار الدولية في الغرب وكان احسانه قل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسدهم وبأسهم. وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على اتخاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة. اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية (١) وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطيرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمته فانه لم يسبق لذلك آخر سواه من المتقدمين أو المتأخرين ان لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتن المرتبة والبلاغات الأخيرة الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه غبار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمته وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف محزنة مفاجئة بعد أن قضى حياته في التعب والعناء تارة في صفاء وطورا في شقاء وهو في الحالتين قد امتاز بحسن تديره للواجب الشريف والدأب على العمل لسعادة مملكته

ان التاريخ لم يرو لنا أنكى من هذه الحادثة وأكثر مفاجأة من هذه المفاجئة التي رأينا فيها سلطان الامة الجليل والخليفة الشيخ الذي طالما تولى الأمور بيد قادرة وكانت ارادته نافذة في أمته وكان عاملا نشيطا لوقي وتقدم شعب متأخر - تلك الحالة التي رأينا فيها يهبط من علياء مجده ومكانته على أثر ثورة قام بها « أبناءه » وهو يتوسل اليهم أن يبقوا على حياته وحياة أولاده ويندر أن يأتينا التاريخ برجل حامت حوله الآراء المختلفة كما حامت حول سلطان تركيا المخلوع فقد نادوا به متقذا لبلاده كما قالوا انه أفسد قومه . وأطروه فقالوا انه موجد الدستور العثماني ومانحه وأهانوه فقالوا انه أشد خصوم الدستور . وفرحوا به فقالوا انه الذي رفع الامة المتأخرة وأحياها من المدم ثم أماوا اليه فقالوا انه منبع الانحطاط ومصدر نكاسة الامة العثمانية . جعلوه عنوان المفاخرة برجل تمكن بدهائه وحكمته من رد مساعي أعداء وطنه . وزعموا أنه ظالم مستبد

ضعيف العقل لا هم له إلا ترويج مصلحته الخاصة . على أن خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وفوزه في افساد مساعي الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وجه الذي لا ينكر للاسلام وجميع ماله علاقة به وإنما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصيته وأعماله يثني عليه أو يقضي بهد على الدين دسوا الدسائس لخلعه

على ان الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فإنه من سفك الدماء ووعد ان لا يهجر بلد يزور في بانخلع المقدر له من أمته ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له ان يقضي بقیة حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على انهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجننا في بلاده محروما من جميع مظاهر الابهة مرضا لمعاملة مكذبة لرجل حساس نظيره وهو مع كل ذلك قد تصرف بأنفسه المعهودة وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به الهيكل العثماني والملك الكبير والرجل الذي صح اسلامه

أقد قال بورك « يا لها من ثورة » ونحن نقول أي قلب لا يتأراذيتأمل في ارتفاع عبد الحميد الى مستوى تزيع فيه الأبصار ثم سقوطه الفجائي . من كان يظن وهو ذاهب يوم الجمعة الفائت الى حفلة السلامك محاطا بالهتاف والدعاء ان مثل هذه النكبة تحل به بعد يومين من أمه حوت كثيرا من الشجعان والاشراف والابطال لقد كنا نظن ان عشرة آلاف حسام بل عشرة ملايين حسام تجرد من اغمارها لتنتقم له من نظرة احتقار أو أقل اهانة

ولكن قضت الأقدار غير ذلك ونقل عبد الحميد ليقضي بقیة أيام حياته في قصر الاتيني الذي كان مسكنا لاحد قواده اه

﴿جواب المنار﴾

كنا نعلم ان الجرائد الهندية تطري السلطان عبد الحميد وتنوء به ولكن لم يكن يخطر لنا بال انها تجهل احوال الدولة العثمانية في عهده جهلا مطلقا بحيث لا تدري حقيقة شيء منها البتة كما ظهر لنا من هاتين المقالتين

كنا نظن ان اصحاب هذه الجرائد يعلمون بعض الحقائق عن الدولة وسلطانها من الجرائد الاوربية التي لم يتمكن عبد الحميد من استئجارها المدحه، وأنهم يكتمون هذه السيئات ويذيعون بعض امدح الجرائد العثمانية التي كانت مكرهه على المدح بالباطل وبعض الجرائد الاوربية والمصرية المستأجرة أو المخططة في اجتهادها أو المتزلفه الطامعة بنوال ذلك السلطان الذي يعطي المطاء الجم لمن يواتيه ويسمى الى هلاك من يناوئه وكنا نلتبس العذر لمن نحسن الظن فيهم ونعتقد حسن نيتهم كصديقنا صاحب جريدة «وطن» بأنهم لا يحبون ان يبينوا الحقيقة كما هي لئلا يصفى تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية التي يودون كأهلها وجميع المسلمين الذين سلط عليهم الا جانب لو تكون أقوى الدول وأعزها وان تبقى صلتهم بها قوية شديدة كما هي سياسة جرائد مسلمي مصر سواء منهم من كان يستفيد من عبد الحميد ويطمع في المزيد ومن ليس كذلك كنا نعتقد مع التماس هذا العذر ان مدح الجرائد الاسلامية في مصر والهند لعبد الحميد والدفاع عنه ضار بالدولة سواء منه ما كان بحسن نية وما كان عن طمع في ماله أو رتبته وأوسمته لأن ذلك يجعل قلوب الملايين من المسلمين متعلقة بشخصه وهذا شيء يضر (لو كان سلطانا مصلحا فما بالك وهو سلطان مفسد مخرب) لأنه يجب أن يكون التعلق بالدولة لا بالشخص ولأن في كل قوة لعبد الحميد إضمارا للأمة العثمانية والدولة العلية اذ اتخذ الأمة عدوة له وجعل الدولة صورا متحركة في يده اذا حاول أحد الوزراء او المشيرين أو الولاة أو القضاة فمن دونهم ان يعمل عملا ما مستقلا فيها بحسب الشرع والقانون يتوه من جسم الحكومة بنرا، وكان عاقبة أمره خسرا، فأني سلب للاستقلال واضعاف للحكومة يكون شرا من هذا ومن الشواهد على ذلك ما حدثني به احمد مختار باشا الفازي غير مرة من أنه حاول جهده ان يقنع عبد الحميد بجعل القضاء مستقلا دون السياسة والإدارة ليأمن الناس على حقوقهم وانفسهم واستعان على ذلك ببعض كبار الدولة فكان السلطان يغضب لهذا الاقتراح ويرفضه أشد الرفض، وهل تقوم للدول قائمة أو ترقى الامم بغير قضاء مستقل ؟

وكنا نستندان ذلك المدح الذي غر المسلمين بالسultan ضار بأولئك المسلمين أنفسهم أيضا لا نصرافهم به عن استبدادهم واتكالمهم على من لا يفهمهم وقد كتبت في مقالة نشرت في جزء المنار الذي صدر في ١٧ المحرم سنة ١٣١٧ ما نصه :

« ان أمام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعاً من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقى فاذا استطاعوا ان يظهروه او يتقبوه - ولا أقول ان يدكوه - يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهاج الواضح ، والمهيج الواسع ، وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست أغلالاً في اعناقهم وسلاسل في أيديهم وقيوداً في أرجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقراً في أسماعهم وريثاً على قلوبهم ، وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء فأنما نزل من مياه عظمتهم واستبدادهم ، وان تعجب فعجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا سلطان (١) » ان حياتنا بين يدي المايين وان السعادة ستهبط علينا من أفق الباب العالي ، وهم يعلمون ان البلاد الي تحت جناح المايين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويتمزق أهلها كل ممزق ولا ينال تلك البلاد وأهلها من المايين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

« ماذا جني ويحني أهل جاوه والهند ومصر من الظهور القوي في حب الدولة العثمانية ؟ لعمر ك انهم لا يحنون الا الحنظل والزقوم فان هولاندا وانكلترا كلما آتسأ منهم اليها ميلاً ، أو سمعتا منهم فيها قولاً ، يزيدان عليهم الضغط والاضطهاد ، والقهر والاستبداد ، أولا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ،

« ولا أقول هؤلاء المسلمين أبغضوا الدولة ولكني أقول اذا احببتموها فاكتموا حبها ولا ترجوا منها ما لا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكدكم وعلمكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة عملية فانهضوا معها ان كنتم صادقين ، كل عاشق يحذر العذال والرقباء فكيف لا تحذرون ، ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لفظكم بذكرها إلا مثلاً ينالكم من الضغط الأوربي والاضطهاد

(١) كلمة قالتها في تلك الأيام جريدة يومية من جرائد المسلمين بمصر

« نعم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ولعجكم بتداحه ولكن تشترون فرح شخص وسروره بمصالحكم ومصالح الدولة ؟ » أقول هذا وأنا أعتقد انه لباب النصيح الذي يوجه علينا ديننا وإخلاصنا لأمتنا ودولتنا ومن بين لنا بالبرهان اننا مخطئون فانا نرجع الى رأيه ، وإذا كان القول صواباً فلي إخواننا المسلمين أن يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صداه ، والمتظفر من الجرائد الهندية التي تفضل دائماً بترجمة مقالات المنار أن تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماء اه ما كتبناه منذ عشرين سنين ولم تكن سيئات عبد الحميد قد ظهرت لنا جلية بل كنا نحسن الظن فيه وندافم عنه ظهري هذه الأيام من صدق رأينا أن التفني بدح عبد الحميد كان مضراً بالدولة فانا نرى أصحاب بعض جرائد المسلمين ومن تلقح برأيها منهم يسيئون الظن اليوم بالأمة العثمانية وبمحومة الدولة كلها ويرحمون ان العثمانيين أحرارهم وجاهلهم وعسكرهم ونوابهم كلهم مخطئون كافرون للنعمة جانون على الدولة وان عبد الحميد وحده هو المصيب وان استواءه على عرش السلطنة هو الذي يحفظ الدولة والاسلام وان سقوطه عنه خطر على الدولة والاسلام !! فيالله وللعقول كيف كان هذا السلطان مصلحاً مرقياً للأمة والدولة وهي بعد ثلث قرن من إصلاحه لا تصلح ان تسوس البلاد وتحفظ كيان الدولة ولا تعرف قيمة من يقدر على ذلك ؟ وكيف تبقى دولة يتوقف بقاؤها على وجود شيخ هرم بلغ من الكبر عتياً ، لم يزد فيه الاً كبراً وعتواً

كان من سوء تأثير إطرء الجرائد المصرية لعبد الحميد قريب مما كان في الهند ولما أعلن الدستور اجتمع جمهور عظيم من المصريين للاحتفال بهذا الطور الجديد للدولة العلية ومما كان في الاحتفال من العجائب أنه كان يصيح جمهور عظيم ليحي السلطان عبد الحميد ولتسقط تركيا الفتاة !! وما تركيا الفتاة إلا الأمة العثمانية الناهضة بالإصلاح والقائمة بأمر حكم الشورى الذي يهبر عنه بحكم الامة نفسها بنفسها . ما أضعف البشر الذين يوجد فيهم من يتخيل عبد الحميد في هذا العصر كما كان يتخيل قداماء المصريين فرعون الذين قال لهم « انا و بكم الاعلى » ثم قال لهم « ما علمت لكم من إله غيري » فأطاعوه وعبدوه كما عبد كثيرون غيره من الملوك بعد هذا التمهيد العام أيسر للرصيفين القاضين غلطهما فيما كتبنا بالتفصيل الا

ما كان من المدائح الثموية لعبد الحميد وادعاء ان العالم الاسلامي بأسره يبكيه ويحزن لخلافه وحسبنا ان عالمنا الاسلامي العثماني بذلك سرورا لم يسر بمثله في حياته . وأبدأ بدعائى صديقي صاحب جريدة وطن ثم اذكر ما افرد به الآخر فأقول
يقول صديقنا القيود ان عبد الحميد أثبت للعالم حبه للدستور واخلاصه له واستدل على ذلك بأمر (١) إعلانه الدستور عند طلبه من غير سفك دم (٢) تصريحه بذلك عدة مرات (٣) عدم تعرضه لمجلس الأمة بسوء (٤) وضع حرسه تحت أمر نظارة الخريفة واخراج حرسه وعساكر الاستانة منها ووضعها تحت حماية عسكر الدستور الذي جميء به من سلايك وغيرها (٥) أمره أخيرا لحرسه بالتسليم لعسكر الدستور الذي دخل الاستانة عند ما أراد الاستيلاء على « يلدر » قال وكان قادرا على ان لا يسمح بأبعاد حرسه وعلى جمع جيش عظيم لحفظ مركزه وعلى حض العسكر الذي طفى وبقي على الجمية على الحرب (٦) تركه طلب حماية أقوى دول أوربا وإنما ترك ذلك حبا في الدستور واخلاصها للمملكة والوطن !!

وقول انه لا يصح من هذه الأدلة شيء (١) فاعلانه الدستور لم يكن عن رضى واختيار بل فاجأه هذا الطلب المقرون بإذاره الزحف على الاستانة بالجيش والكتائب اذا لم يجب اليه فجمع مستشاريه وأعوانه الذين أقهر الدولة لا غنائهم وأذلها لا عزازهم ومن يرجع اليه عند المشكلات من غيرهم وهو سعيد باشا وطفقوا بأنهم في الليل بطوله فاجعوا أمرهم في الصباح على ان المقاومة بالقوة غير مستطاعة فان عساكر حصون الاستانة متفقة مع عسكر سلايك فهي تساعد ولا تقاوم بل قبل له ان دسائسهم متصلة بحرسه فصديق ذلك وناهيك باحتياطه وحذره وجنبه واستفى شيخ الاسلام في عصيان عسكر سلايك ليحاربهم باسم الدين ويوقع النشل فيهم فقال له شيخ الاسلام لا يمكن الاقناء بعصيانهم وخروجهم على الخليفة لأنهم يطلبون منه أمرا مشروعا وهو جعل الحكم بالشورى كما أمر الله عز وجل . فلا لم يجد في قوس المقاومة منزعا أمر بالإجابة على كره وعزم على استعمال سلاح المكر والحيلة والكيد الذي فتك به الدستور ورجالها أول مرة كما ظهر في الفتنة الأخيرة واضحا جليا كالشمس ليس دونها سحاب ولعل هذا قد علم الآن عند اخواننا الرصفاء في الهند قاتلهم قد كتبوا ما كتبوا عند ما علموا بناب الاقلاب وقبل العلم بالاسباب

(المار ج ٤ م ١٢) ود شبهات جريدة وطن على حب عبد الحميد للدستور ١٣٠٩

٢ — وأما أقواله وتصريحاته بحب الدستور فهي دعوى لا دليل عليها .
ومثله إظهاره الرضا عن جمعية الاتحاد والترقي وكونه منها ورئيسها وقد كان يستعمل
هذه المصانعة والمراوغة والدهان في أيام جبروته وعنفوان استبداده واتناصف عنه
من ذلك مالا نود ذكره الآن

٣ — وأما عدم تعرضه لمجلس الأمة فلم نفهم ماذا يعني به الكاتب . أيعني أنه لم
يرسل حرسه لقتل نواب الأمة أم ماذا يعني ؟ هل كان يمكن التعرض لهؤلاء النواب
مباشرة وأقوى جند الدولة بحرسهم والأسطول معه فظهر ؟ كلا إن هذا لم يكن ليأتيه من له
مسكة من عقل أو إدراك لأنه على فحش قبحه في أعين الأمم والدول غير معيد
للاستبداد مالم تسقط القوة الذي أوجده . فذلك وجه عبد الحميد كيد وفكره لا يسقط
جمعية الاتحاد والترقي بتغيير الأمة منها باسم الدين وإلى التفريق والشقاق بين
الجيش ليضرب بما يستميله إليه منه ما يبقى في جانبها وجانب الدستور وإن هلك
بهذه المكيدة الأمة وسقطت الدولة

٤ — وأما مسألة تغيير حرسه واستبدال بعض عسكر الدستور بعسكر الاستانة فقد
واوغ فيه مرارا ثم انقذ بالقوة ولم يكن من سبيل إلى المقاومة فيه بعد أن شرعت الحرية
في اعدام الذين يخالفون الأوامر العسكرية بحسب القانون مع علم الحرس وعبد الحميد
أن الأسطول تابع للحكومة ولعسكر الدستور لا للمارين وأنه يمكنه أن يدمر بلدز عليه
وعلى حرسه تدميرا

٥ — وأما أمره لحرس بلدز بالتسليم عند ما وصل اليهم جيش الدستور بعد
استيلائه على حصون الاستانة ومواقمها العسكرية بالقوة القاهرة فسببه يقينه بأن المقاومة
في هذا الوقت تفضي إلى تدمير بلدز والمدافع بعدما كان من حصرها وقطع الماء والزاد
والنور عنها ، وفي ذلك ذهاب حياته العزيزة الذي جعل الدولة والأمة حفاظا لها مدة ثلث قرن
٦ — وأما دعواه أنه كان يمكن أن ينال عبد الحميد حماية أقوى الدول
الأجنبية ولكنه لم يفعل خوفا في الدستور فنقول فيها أن هذا لم يكن في استطاعته لاسباب
بعد أن ينس من الفوز والظفر بمكيدته الأخيرة

و ياليت شعري كيف يتصور دحفاؤنا في الهند أن يحارب الألوف من عسكر الاستانة

إخوانهم الذين جاؤا من سلايك لتأييد الدستور اذا لم يكن السلطان هو المحرك لهم ؟
 خرجوا عن طاعة قائدهم وصاحروا في مواقع كثيرة : ليستقط الدستور وليعش السلطان
 وساولوا قتل جميع اعضاء لجنة الاتحاد والترقي ، فعلى اي دعامة كانوا يستندون ؟ وأية
 قوة كانوا يعززون ؟ أما أنه لو لم تظهر الدلائل الحسية القاطعة بهذا ذلك على أن عبد الحميد
 كان هو المدير لهذه الفتنة والمنفق عليها لكان العقل وحده حاكما بذلك

وإذا كانت عبد الحميد قدر على إفساد الجيش الذي جاءت به الجمعية عليها
 ودفعه للتفكيك بها وبالدستور فكيف كان يكون اندفاعه في مكيدته لو كان الحرس
 الذي رباه في حجر الرفاهة والدلال بقي عنده ؟ أفلا يدل هذا على أن الصواب
 هو ما فعلته الجمعية من إخراج ذلك الحرس الفاسد (الذي لم يطعم نظارة الحرية إلا
 بالقهوة) من قصر هذا السلطان الذي مرد على الاستبداد حتى امتزج بلحمه ودمه
 وعصبه ؟ أليس هذا الدليل أصح من دليل صديقنا على كون الرضا بإخراج
 ذلك الحرس كان خطأ

هذا هو القسم الأول من الكلام وهو ما يتعلق بالدفاع عن سيرة عبد الحميد
 في عصر الدستور وأما القسم الآخر منه وهو في سيرته قبل الدستور فيشتمل على
 عدة دعاوي لم يقترن شيء منها بدليل

١ - قال « انه أصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق
 أور باموازي لا اعتبار أقوى الدول في العالم » ونقول ان هذه الدعوى أغرب ما كتبه
 الرصيف الصديق وانني لا أذكر ان أحد من الذين كانوا يطرون عبد الحميد
 بالإكرام أو بالأجرة قال ذلك أو ما يقرب منه بل كانوا يطرونه بأمور أخرى
 لا تظهر مخالفتها للحس كذه فقد أفسد عبد الحميد مالية الدولة حتى لم يعد لأحد من أوربا
 ولا من غيرها ذرة من الثقة بها ولم يعد أحد يقرض الدولة قرضاً ما الا بضمان يستولي
 به على مورد من مواردها بالفعل حتى صارت موارد الدولة الأساسية في يد إدارة
 الديون العمومية وغيرها وبهذا صار لبعض الأمور المالية شيء من النظام وحسبك انه لم
 يكن للدولة في هذه السنين ميزانية تجري عليها الحكومة بل كان عبد الحميد يفتال
 الملايين من الدخل ويسلط عمال الحكومة على الاستعاضة عن مرتباتهم التي لا يصل

اليهم منها إلا القليل بسلب الأمة ونهبها بشرط أن يجعل له كبارهم كالولاء
والتصرفين نصيباً مما ينهبون . وحسبك أن الحكومة قد عجزت إلى الآن عن
تقديم الميزانية إلى مجلس الأمة وغر موسيو لوران المالي العظيم الذي جاءت به
الحكومة من فرنسا لينظم ماليها متعجباً من الخلل الذي وجدته معترفاً بأن إصلاحه
من أشق الأمور حتى أنه يكاد يكون متعذراً . نعم أنه عمر بخراب مالية الدولة
ماليته الشخصية فكنز الملايين في صناديق يلسدز وفي مصارف أوروبا وأمريكا
وانفق الملايين على الشهوات والجوايس وهو يعلم أن عسكر الدولة كان يموت
جوعاً وعرياً حتى أنهم كانوا يقتاتون في نجد ببذر الخنظل فقطع أمعاءهم والياذ بالله
٢ - قال أنه درّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة . وتقول أن الدولة
العثمانية هي دولة حربية بالطبع وكان السلطان محمود رحمه الله تعالى هو الذي بدأ بجعل
نظام عسكريتها على الطراز الأوربي وقد سارت الجندية فيها على ناموس الارتقاء
ولكن اعتراضها من سوء سياسة عبد الحميد ما جعل سيرها بطيئاً وعرضة لضروب
من الخلل والفساد منه ما حل بدور الصناعة البحرية والعسكرية (الترسانة ، والطربخانه
والبارودخانه) حتى رجعت القهقري ولوسارت على سنة الترفي لا متفتيناً بها عن شراء السلاح
من أوروبا بأثمان غالية كانت من وسائل طلب الملايين للأموال المخصصة للعسكرية
وكم ظهر في ذلك من الخيانات وهذا الضرب من الفساد يجعلنا عالة على أوروبا في
قوتنا الحربية (ومنها) مقاومته للتعليم العسكري في الأستانة حتى أنه حاول غير مرة
إبطال المدرسة الحربية التي زعجها بالجوايس (ومنها) ترقية الضباط بالارادة
السنية من غير استحقاق (ومنها) نفيه وإذلاله للضباط المتعلمين البارعين الخ مالا
محل لتفصيله هنا . ولو كان المقربون منه جاروه على كل وسأوسه في العسكرية لجعلها
أثراً بعد عين ولكن نحمد الله تعالى أن مكنها من القضاء عليه قبل أن يقضي هو عليها
٣ - قال أنه سعى في انتشار التعليم وبث العلوم الحديثة وتقول أيضاً أن التعليم
من ضروريات كل دولة وكل أمة في هذا العصر وكان من مقتضى سنة الارتقاء أن
نكون فيه مثل اليابان ، إن لم تكن مثل الفرنسيين أو الألمان ، ولكن عبد الحميد حارب العلم
في أمته ودولته أشد الحاربة حتى جعل أكثر مدارسها ملاعب أطفال (راجع ص ١١٠)

و ١١ من مار هذه السنة) وأبطل امتحان طلاب العلوم الدينية فتركوا الطلب والاشتغال واعترفوا في جميع البلاد بعد إعلان الدستور وصدور الأمر بامتحانهم انهم عاجزون عن الامتحان فاعفاهم مجلس الأمة منه في هذا العام ليستعدوا له . وقد علم العامة كاختصاصه في جميع بلاد الدولة أن العلم الديني والديني هو أكبر الجرائم في نظر السلطان عبد الحميد فصاروا يتعامونه وحدثت في السنين الأخيرة من حكمه المشؤم بدعة تفتيش الحكومة لبيوت الناس وأخذ الكتب منها ومعاقبة اصحابها فصار الناس يحرقون كتبهم بأيديهم ومنهم من دفنها في الأرض حتى أحرق في سورية عشرات الألوف من الاسفار القديمة والحديثة في سنة واحدة . فانظر ما أشد حرص عبد الحميد على العلم وعنايته بنشره وما كثر المجتهدين والمخترعين المكتشفين في أيامه !! وقد أقيمت خطبة في رحبة القشلة العسكرية ببيروت في أواخر رمضان الماضي بينت فيها كيف كان ظلام الجهل ممدودا على البلاد العثمانية وكيف كان الهدم واقعاً في ذلك الظلام ببناء الدولة : معارفها وقضاؤها وإدارتها ومالياتها وعسكرياتها ، وبناء الأمة : ثروتها وآدابها وأخلاقها . ولعلنا نراجع الذاك مرة فنكتب ما تمليه علينا منه

٤ - قال انه « قضى ثلاثاً وثلاثين سنة يجرد ويجهد وراء سعادة المملكة والملة » والصواب انه اشقى المملكة شقاء لا نظير له واخواننا مسلمو الهند الذين يقولون هذا القول لم يروا ولم يختبروا ونحن نسمع باذاننا ونرى بأعيننا بل الشقاء وقع على رؤوسنا واحاط بنا من كل جانب بسوء سياسته

٥ - قال انه عمر الطرق وبني السكك الحديدية وحفر الترع والمجداول والصواب انه لم يفعل من ذلك شيئاً للأمة الاسككة حديد الحجاز التي حملت على الرضاء بها وسواسه الذي يخيفه من اقامة خلافة عربية بالحجاز . وما سمح به من امتيازات السكك الحديدية للاجانب فسيبه انه كان من موارد ثروته لأنه كان لا يسمح بامتياز الا اذا اخذ نفسه ما عظميا من المال وكثيراً من سهام الشركة فقد كان يبيع مصالح المملكة بذلك فيما ولد ذلك كان يعطي هذه الشركات من الضمانة الكيلومترية ما لا يعهد له نظير في مملكة أخرى . ونسأل صديقنا الكاتب ان يدلنا على مكان الترع والمجداول التي احياها الزراعة ابن هي وما هي الثروة التي تجددت للفلاحين منها ؟

٦. قال انه حفظ المملكة من الضياع . ونقول إنه اضاع بسوء سياسته ثنها ولو بقي على عرش استبداده سنة أخرى لأضاع الولايات المكشونة اثلاثة فان جمعية الأتحاد والترقي ما عجلت بهذا الانقلاب قبل ان تبم عذته الا لعلها علم البقين أن الدولة اتفقت على ذلك وانه لا عاصم منه الا الدستور . وكان كثير من السياسيين يقدرون ان الدولة لا تكاد تعيش مع ذلك الحكم اكثر من خمس سنين وأن سبب تأخر سقوطها هو تنازع الدول فيما بينهم . وقد سمعت كلمة من احمد مختار باشا الفارسي اكبر مشيري الدولة وقواد جندها واعلمهم بحالها سمعتها منه مرات كثيرة في السنين الاخيرة من حكم عبد الحميد وهي اكبر شهادة نطق بها لسان وأيدتها وقائع الأحوال وقد صار تقاها عنه الان جائزاً فلم يل اخواننا مسلمي الهند يعتبرون بها قال د لو اجتمعت أوربا واتفقت على أن تضر بالدولة والاسلام كما أضرت بهما عبد الحميد لهجزت هذا ما نرين به خطأ الجريدين بالإيجاز ونزيد كلمة في الرد على ما انفرد به صاحب جريدة الأبررور اذ قال إن الدولة فقدت البافار والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية . ونقول ان هذا غلط عظيم فان هذه الولايات قد ضاعت منا بمر بنا الاخيرة اروسية وإنما كانت تلك الحرب برأي عبد الحميد ودسائسه ليشتغل الأمة عن الدستور ويتمكن من إبطاله وقد بذل مدحت باشا (رحمه الله تعالى) جهده في سبيل تلافيا ففجز ولا يقال انها كانت برأي مجلس الأمة الأول لما هو معلوم وقال إن أعداءه شهدوا له بالدهاء والسياسة وتقول انا لا نتكر أن له دهاء ومراوغة في السياسة الخارجية كان يستعين عليها برشوة نساء السفراء أو اهدائهن الجواهر الثمينة ولكن نطلب من الكاتب أن يأتينا بشهادة لها قيمة من الأعداء او غير الأعداء بأن عبد الحميد رقى ثروة أمته وبمالية دولته أو اجري فيها العدل أو نشر العلم أو جرى على طريقة مبكدة واليابان وقال لا ينكر حبه للاسلام وتقول اما دين الاسلام نفسه فلم ير من ملوكه من عيث مثله بكتب الحديث والمقائد والفقه من منع بعضها وتحريف البعض الآخر ولو كان في غير عصر المطبوعات وكان جميع المسلمين تحت سلطته لما يمد عليه ان بطع في تحريف القرآن وتغيير آيات الشورى ونحوها فيه . واما أهله فقد كان الاضطهاد

عليهم في دينهم شديداً من حيث لا يحسبونه غيرهم كما كان الظلم أشد وطأة عليهم من غيرهم. نعم انه كان ولو عا بإحياء لقب الخلافة والحرص على تنظيم المسلمين الذين تحت سلطة الأجانب له لأجل ان نحترمه دولهم فلا تنقص عليه التمتع باستبداده وأما ما ذكرنا من كثرة عمله فهو على المبالغة فيه عمل ضار في الغالب لأنه نظر في رسائل الجواسيس الذين يشنون ويهجنون رجال الأمة وقد قيل ان هذه الرسائل مبنوغة كلها في «يلدر» وربما عجز واحد عن قرائتها في مثل المرة التي جلس بها عبد الحميد على كرسي السلطنة. وأما زعمهم انه كان لا يحفل بالذات فهو باطل فإنه كان يشرب أجود الخمر وجمع مئات من الفواني الحسان للتمتع والفناء والعزف والرقص والتمثيل وغير ذلك. وليلم اخواننا مسلمو الهند اننا لم نقل ما قلنا إلا عن علم وخبرة وتأيد للمصلحة العامة بالحق والصدق اذ لنا من الذين يتوسلون بالشر الى الخير وبالباطل الى الحق واننا لنا من المثيبين لجمعية الاتحاد والترقي التي كان لها الأثر العظيم في هذا الانقلاب الميمون فقد رأوا اننا جمعنا في الجزء الماضي من انقاد المتقدمين عليها ما لم يجمعه كاتب ونختم الرد بكلمة في الخطر على الدولة فان الكاتيب يخافون ان ينزل بالدولة الهلاك بعد عبد الحميد. ونحن نقول لا شك ان عبد الحميد كان يسير بالدولة الى الدمار والهلاك كما مرت الاشارة الى ذلك فان سقطت (لا قدر الله لها الا الملاء والارتقاء) فانما يكون هو الذي أسقطها وان نجت فانما تنجو بالدستور الذي هو آخر سهم في الكفانة

﴿ استغاثة أهل البيت الحرام • جميع بلاد الاسلام ﴾

جاءتنا الرسالة الآتية من صديقنا الغيور الأستاذ السيد عبدالله بن صالح الزواوي رئيس اللجنة العليا بمكة لجمع الاعانات لتعير عين زبيده ونشر المعارف في الحرمين الحمد لله وحده

جناب ذي القدر العلي والمفخر السني كرم الشيم علي الهم حفرة الأستاذ الفاضل السيد محمدرشيد رضا المحترم محرر المنار الأغر زاده الله مجداً وعلاوا وقر بامن ملك الملوك ودنوا بهد ابلاغ جزيل السلام وأداء مراسم التعظيم والاحترام نعرض انه لا يخفى على انظاركم السليمة ما هو معلوم لدى جميع أهل هذا الدين القويم أعني ما لهذه البلدة السميدة من خطورة

اقدر وسمو المرتبة بكونها موضع بيت الله الملك الرحيم ومقطر رأس النبي عليه أفضل
 الصلاة والتسليم منها ظهر الدين ونا حتى برز المدن منه بأدع الاشكال وانتشرت
 اتعالم وكثر العلماء حتى علوا الى أعلى ذروة الفضل والكمال كيف لا وهي تحت
 ملك الملوك ومقر بيته السعيد الذي يخضع لجماعه الملك والصعاوك وقد اغتصبت في
 الأزمان الغابرة حقوقها ولم ياتفت أحد من القائمين بإدارة مصالحها من المتولين
 عليها الى ملاحظة دوام علوها ورقبها بنشر العلم والتعلم ومساعدة المهتمين والمتعلمين
 فذلك قل فيها العلم وأهله وقلت الصنائع وعارفوها والآ ن بحمد الله تعالى تفسر
 الحال وأملنا ان تعود الى أحسن مآل حيث ان القائمين بإدارة مصالحها الآن أهل
 همة عالية ونجدة وأريحية عرفوا الحق لأهله فقاموا باسترداد ذلك الجسد وحرضوا
 العلماء ووعدهم بالمساعدة وأذنوا لهم بالكتابة الى إخوانهم المسلمين في استكمال
 كل وسيلة لترقية العلم والصنائع بإنشاء المدارس والدمى في طلب المساعدة من أولى
 الغيرة والحمية في جميع أنحاء العالم ممن انصف بصفة الاسلام لان هذه البائدة واجب
 لها الحق على جميع المسلمين انخاص منهم والعالم وهذه العلوم والمعارف هي غذاء
 الأرواح والسبب في جاب الطاعة والخيرات والالتقاء والفوز بجميع المكافآت
 والارباح كما ان الماء للسكان والحجاج وكل ذي روح هو قوام الاشباح وقد
 قل وجوده في هذه السنين بسبب الخراب الواقع في العين المنسوبة إلى السيدة
 زبيدة حتى صار الناس لا يشكون سوى قلته وضاعت مصالح أكثر الفقراء بسببه
 بحيث لا يحملون الأهم ونسيت بقية اتمام الميثة في جنب هذا الثعب العظيم
 خصوصا والخراب في قنوات العين جسيم والحاصل ان جلب الماء وتصلح قنواته
 وارجاع مجد هذه البلدة وترقية سكانها بالعلوم ومعرفة الصنائع والمعارف كل ذلك
 يحتاج الى المال الخطير وأيدي أهل هذه البلاد خالية من القليل منه والكثير
 وليكنه بحمد الله تعالى بيد أهل الخير من المسلمين في بقية الأقطار كثير وقطعا
 لا يخافن بشيء منه على هذه البلاد واصلاحها بتكثير المياه فيها وبناء مدارس
 تعلم العلوم والحرف والصنائع لساكنيها حتى يحوزوا نعيم الاجر حيث ان ذلك من
 أهم المعامل وأعظم القربات وزيادة الخير والبركات وفضل ذلك عظيم وأجره

جسيم والدرهم الواحد الذي يصرف في هذه البلدة يقوم بمئة ألف درهم في غيرها
وأفضل من نجب اعانتهم جيران بيت الله العظيم القاطنون بواد غير ذي زرع عند
بيت الله الكريم وحجاج بيته القادمون اليه من كل فج عميق لأداء الفرض العظيم
فساعدوا ساعدوا على اجراء الخيرات وتقرّبوا الى الله زلفى بفعل المبرات لمثل
هذا فليعمل العالمون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تشكل مجلس مخصوص
لهذا المهم الجليل من أهل العلم والأمانة والديانة والخبرة والحكمة أهالي ومجاورين في
رقعة بطي هذا الكتاب مع تعليمات مجلسهم ليعلم منه تيقن حصول الأمن التام ان شاء
الله تعالى في صرف ما يتحصل لم في موضعه لا تتطرق اليه يد غاصبة أصلاً فسأل الله
سبعانه لنا ولكم حسن التوفيق الى احراز الفضيلة والمنزلة عنده من أقرب طريق انه
على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانام وبدر النام وبدمتم
(المنارج) هذا هو المنشور الذي طبع وأرسل الى اصحاب الجرائد في الاقطار
الاسلامية وقد زاد صديقنا رئيس اللجنة في النسخة التي أرسلها اليها بنسخته
الذي نرفقه ما يأتي :

ثم المرجو من عالي همتكم وعنايتكم بالأمر العامة القيام ببذل الجهد لدى المأموم
بالتشويقات في هذا العمل الخيري وجمع الاعانة وارسالها اليها الى يد وكيل هذا المجلس
في أقرب محل لكم حيث ان المجلس وكلاء في عدة من البلدان منها جده الوكيل بها
حضرة الحاج زينل عبد الله علي رضا وعبد الوكيل بها محمد افندي بن حسن علي وسنيين
اصباء الوكلاء أيضا ونشرها في الجرائد حتى مصر والشام وقد كتبنا الى مصر عدة كتب
ولخصوص الخديوي المعظم وصار إرسال كتاب الخديوي من طرف الولاية الجليلة ونصدق
عليه من مقامها وكذلك كتبنا عدة كتب الى الجهات خصوصاً الهند وجاوا وبخاري وقازان
وبلدان العرب وأرسلت المقالة الطويلة المغنونة بعنوان (أهل الحجاز يستصرون)
وساعدنا في التماهير جملة من المرين وغيرهم المقيمين هنا وحيث ان مجلسكم القراء
لها الشيوع في جهات كثيرة فمسي أن تفضوا دوما بتعريض المسلمين على المساعدة في
هذه الاعمال وتذكروا أمر الحجاز واحتياجه للماء والتمائم وتحسنوا لمن فيه الهممة والقدرة
على المساعدة ماديا ومعنويا بذل تلك وتقدرونا بالارشاد الى ما ينفع فانا مقرون بالمعجز

وعندنا القابلية لتعلم وبذلك تنالون عظيم الاجر والثواب ودمتم
١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧
رئيس القومسيون

(الختم)

(المار) قد شاع وذاع على الالسنه وفي الجرائد ان الماء قد قل في حرم الله عز وجل حتى بلغ من القرية الصغيرة من الماء عدة قروش وكاد الفقراء يموتون عطشا ومن المسائل المعروفة في الشريعة انه يجب عند الضرورة بذل الماء وكذا الطعام لكل إنسان محترم ولكل حيوان محترم (غير مهذور الدم) وجو باشر عيا سواء كان الانسان مؤمنا او كافرا وسواء كان الحيوان طائرا أم نجسا . فاذا تقول في جيران بيت الله وعمار حرمه وحجابه المقيمين لشماره وحقوقهم أكد وبرهم أفضل ومساعدتهم اكبر أجرا وإعانتهم احسن ذخرا

ان المار يذكّر اللجنة ودولة الشريف أمير مكة بالمال الكثير المتجمع من أوقاف الحرمين بمصر ولا أدري هل كتب الى الخديو بطلب المساعدة أم يطلب هذا المال . ثم ندعو كل من علم بما ذكر لبذل ما تجود به نفسه مما انعم الله عليه لإغاثة حرم الله ومن يعمره ويحججه وان ادارة المار تقبل ما يرسل اليها من المساعدات وتعطي به وصلا مطبوعا وتنفذ اسم المرسل الا ان ينهاها عن التصريح به فتكفي عنه وتكفل ارسال ذلك الى اللجنة في مكة المكرمة زادها الله تكريما ورخاء . وهي لجنة موثقة من خيار وعلماء مسلمي الاقطار المجاورين لبيت الله فهي موثوق بها وبهذا نكتفي عن ذكر امماهم . وقد علمتم أيها المسلمون ان سلفكم قد وقفوا على الحرمين عقارا كثيرا فلا تكونوا أقل منهم غيرة وعملا للخير (٦٤ : ١٦) فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيرا لا تنفكم من يوق شح نفسه فأولئك المفلحون ١٦ إن هرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم

الاخبار والآراء

(خلع السلطان عبد الحميد وتولية مولانا السلطان محمد الخامس)

قد انتهج جميع الصانين بخلع عبد الحميد وتولية هذا السلطان المستوري

المذهب الاخواني ما عدا اعوان الأول على نهج البلاد . ولما بشرنا البرق بذلك
اجتمع جمهور من العثمانيين في بعض السمار ودعوا صاحب هذه النحلة للخطابة فخطاب
فيهم مصدرا خطبه بقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » الآية . وبين ان مشيئة
الله في نزع الملك وإيتائه بمنزلة لسنه الاجتماعية في ذلك ومنها ان إرادة الأمة إذا
اجتمعت لا يارضوا شيئا لأن يد الله على الجماعة كما ورد في الحديث . وبين ان
جمهور الأمة كان يظن أو يعتقد ان عبد الحميد أعطى الدستور مختاراً وأنه كان يدعي
مخلص له محافظ عليه فلما ظهرت الفتنة الأخيرة وعلم انه المدير لما لا يطاق الدستور
اجتمع رأي السواد الأعظم من الأمة على خلعهم ولا راد لرأي السواد الأعظم إذا اجتمع
ثم احتفل العثمانيون في حديقة الأزبكية بذلك فخطبنا أيضاً في الموضوع فذكرنا
الحاضرين بخطبتنا ذلك يوم أعلن الدستور وكيف كان جمهور من المصريين يصيحون
في وجعنا بالدماء لعبد الحميد الخ (راجع ٦٦ م ١١) وكيف حصص الحق وظهور
صدق قوتنا . واطننا في بيان سلطة الأمة وسيئات الحكم الحميدي وانطباق الدستور
على الشرع . فرأينا من استحسن الناس لهذا الخطاب واطرائنا به ما لم نراه نظيراً
هذا وإن كل ما بلغنا من أقوال مولانا محمد الخامس وتصرفه وتواضعه واقتضاده
يبشرنا بأنه سيكون خير سلطان ، جلس على سرير آل عثمان ، حقق الله ذلك

﴿ الدولة العلية الدستورية والدين . ورأي خير العثمانيين من المسلمين ﴾

بري أقاري في باب المناظرة من هذا الجزء رأي جو يدتين من جرائد مسلمي
الهند في الحكومة الدستورية وحكم تبدل الحميد الاستبدادي مع الرد عليهما . وقد
اجتمعنا في هذا الشهر بالأمر الإلغائي (نواب بهادر صاحب خان عبد القويم)
من كبار رجال الحكومة الخارجية في (بنساور) على حدود الهند من جهة الأفغان وقد
سألنا عن حال الدولة الحاضرة فيينا له الحقائق فاجبرنا ان أهل الهند والأفغان
يجعلونها وإن الشائع في تلك البلاد بين المسلمين أن حزب تركيا الفتاة يريد ابطال
الحكومة الإسلامية من الدولة وإن يجعلها حكومة أمريكية ليس له صبغة دينية وانهم
يحسنون النظر لعبد الحميد ويسبقونه في جمعية الأحرار واسرفي وقال بعد ان بينا له

المتائق انه يحسن او يجب ان يذهب وقد من الاستانة الى الهند يطوف فيها و يظهر الحقيقة لأهلها وقد سافر هو الى الاستانة ليختبر الحال بنفسه . فتمتبر الجمية وتنفكر كثيراً ولا شك ان جمل جرائد مسلمي الهند للحقائق وتشيع اصحابها عبد الحميد هو الذي احدث هذا الضرر الفادح اوقواه اذا صح ما يرتأيه بعضهم من كون الانكليز هم الذين يشعرون هذه الإشاعات ليوهموا المسلمين انه لم يبق في الارض حكومة إسلامية . إن اصحاب الجرائد المصرية الذين يشتمون على الحكومة الدستورية الجديدة يهدون المسلمين في هذا النفي ويخدمون الاجانب الحاكمين على الملايين من المسلمين خدمة عظيمة وهكذا يجد الاجانب من المسلمين الجاهلين أو المتأجرين من يخدم سياستهم ويخدل المسلمين

﴿ الاحكام العرفية في الاستانة ﴾

اعلن القائد محمود شوكت باشا الأحكام العرفية في الاستانة لتطيرها من أعوان عبد الحميد على إعادة الاستبداد فأوجس الناس خيفة من ذلك . وعندي ان فائدة هذه الاحكام لا تقل عن فائدة خلع عبد الحميد وأمره ونفيه فان الطغور من أسفل درك الاستبداد الى أية درجة من درجات الدستور من المحالات الاجتماعية وان كان من الممكنات النظرية والقولية ولذلك عجزت الحكومة في العاصمة وفي الولايات عن ان تخطو خطوة واحدة في طريق الحكم الدستوري حتى صار الناس يلهبون في كل مكان بقولهم ان سير الحكومة لم يتغير وانا لم نستفد من الدستور شيئاً . وان لكتاب هذه السطور في ذلك كلمات صارت تؤثر منه في الديار السورية منها « ان الحكومة الاستبدادية سقطت والحكومة الدستورية ما تكونت » ومنها « انا أحوج الآن الى حكومة عرفية منا الى حكومة دستورية » وقد قلت لناظم باشا إذ قبلته في بيروت أول مقدمي إليها في آخر شعبان من السنة الماضية : ان الحكومة والأمة في حاجة شديدة إلى رؤساء محنكين قادرين ينفذون فيها الدستور بشي من الاستبداد الباطن ، المطبق على القاتون في الظاهر ، يكونون كن يربي الطفل لكن على الاستقلال ، لا على التقليد والانعكاس ، (قلت) وأرجو ان تكون انت منهم لما لك من التجربة والاختبار

كان من سبب عجز الحكومة عن تنفيذ الدستور الخوف من سخط الأهالي عليها إذا علمتهم بما لم يعودوه وكان خوفها من الموظفين أشد فقد كان من سياسة عبد الحيد أن يحشر في كل دائرة من دوائر الحكومة أضاف من يحتاج اليهم العمل فيها ورأت الحكومة الدستورية أنها مستغنية عن كثير من هؤلاء ولكنها لم تتجراً على إخراجهم لئلا يكثروا سواد الناقين منها والساخطين عليها حتى قيل ان موسيو لوران الفرنسي الذي جئ به لإصلاح خلل نقابة المانية قل ان أهم مبادي الاصلاح إخراج الجمل الفقير من هؤلاء الموظفين الذي لا عمل لهم . فلم يجبه كامل باشا إلى ذلك ، وفي هذه الفرصة فرصة الاحكام العرفية يمكن تنفيذ ذلك وغيره وتكوين حكومة دستورية محترمة فتكون حلقة لاتصال بين الماضي والحاضر

هو الشريف امير مكة المكرمة والاصلاح

جاءنا من أنباء الحجاز ان أميره الشريف يبذل قصارى جهده في الاصلاح وعمران الولاية وحنظ الأمن العام فيها وقد وفق الى تأمين البلاد بدرجة لم يهد لها نظير في السنين المظلمة الماضية وقد وجه همه الى نشر العلم وتأليف أعراب البادية وتأمين سكة الحديد الحجازية . وآخر ما جاءنا من أخباره في ذلك انه اخذ العهد والميثاق على مشايخ حرب ان يتوموا بحراسة الخط الحديدي بدلا من تخريبه وهو قد كفل لهم ان ترض الدولة عليهم ما فاتهم من الانتفاع بنقل الحجاج وتوفيرهم أجورهم وكتب الى الاستانة بذلك فمضى أن تمضي الاستانة له عهد فان هذه الطريقة التي سلكها هي الطريقة المثلى لحفظ الخط وامتداد قذل الأمن وأما توهم مقاومة الأعراب بالقوة واستقلال الجبل بحفظ الخط فهو من وسوسة الغرور ونزغات الشياطين التي تجعل حرم الله تعالى في خوف دائم وخلل ملازم ، فنسأل الله ان يوفق هذا الأمير الدستوري الى سائر ما تحتاج اليه البلاد المقدسة من الاصلاح ويوفق الدولة الى تأييده في ذلك

(الامير محمد أرسلان نجل الأمير مصطفى الشهيد)

فتت الفتة الباغية على الدستور هذا الأمير وكان مبعوث اللانغية فاهتت لونه سورية ولبنان ، وورثاه فيهما كل ذي قلم ولسان ، ونحن نشاركهم في ذلك ونعزي الوطن بتعزية والده عنه

بمصر جادى الدين يستمر القول فيجوز حسنة
وليك الذين هذا هم اية واولئك هم اولادنا

المسحوق

١٣١٥

بمصر جادى الدين يستمر القول فيجوز حسنة
وليك الذين هذا هم اية واولئك هم اولادنا

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر - الجمعة ٣٠ جادى الاولى ١٣٢٧ - ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

فتاوى المفتين

قد هنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يسم الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وجملة (وطيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمعا قد منا متاخرا لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه ورمعا أجنبيا غير مشترك لثقل هذا . ولما مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لافتقاره

﴿ استعمال الورق النشاف في الاستنجاء ، والمتوى في الخلاء ﴾

(س ٢١ و ٢٢) من ص ٠ م ٠ في كرموس (السودان)

سيدي الفاضل

ترددت كثيرا في كتابه هذا لحضرتكم ولكنني اقدمت لعلني انكم تسرون لنشر التعاليم الدينية لهداية المسلمين ووقوفهم على خلاصة الدين الحنيف
جمعتني مجلس مع لفيف من اخواني الضباط وقد لاحظ احدهم اني اضع في خدائي فرشة من الورق المقوى لان به اتساعا فانتقد علي بقوله ان استعمال الورق مثل هذا الاستعمال مخالف للدين الذي تدبر به . وقد تناول كل منا البحث في هذا الموضوع حتى استدرجنا البحث والكلام في (١) هل الورق المخصوص الذي يوضع في البواخر مطهر و (٢) هل يجوز للمسلم استعماله - و (٣) ان كانت جاز للضرورة هل تعاد الصلوات التي يكون صلاها المسلم المسافر في مثل هذه البواخر لانه يمنع من حمل الماء للمحلات الخلاء و (٤) هل الورق (الذي يسمى ورق النشاف) مطهر لانه يلتقط ويمتص السوائل

وروقف بنا البحث لهذا الحد ولم نجد جوابا شافيا وانتقلنا لمواضيع أخرى كما هي عادتنا عند وجود عقبات لا نتجهد في ازالتها

افض المجلس وانا مشغول في ايجاد نص صريح يحمل لي هذه الألفاظ ولما لم

(المنار ج ٥) (٤٣) (المجلد الثاني عشر)

اجد أمامي غير من أوقف نفسه هداية العالم الإسلامي طرقت بابكم بمد التردد الكثير
— عشي ان استفيد من حضرتكم لا فيد اخواني ولكم الفضل علينا ومن الله الاجر
(ج) استعمال الورق الذي يوضع في مراحيض البواخر والورق النشاف في
الاستنجاء جائز ولو مع وجود الماء وإمكان استعماله فلا يتوقف جوازه على الضرورة
ولا تجب إعادة صلاة من استنجى به لأنه احسن تنقية من الحجارة التي ورد النص
بالاستنجاء بها ومن كل ما في مضاهها مما ذكر في كتب الفقه وليس هذا محل خلاف
بذ كر فلا يكن في صدر أحد منكم حرج منه . ثم ان ما قاله لكم صاحبكم في تحريم
وضع القوي في الخذاء خطأ وفيه جرأة على الدين بتحريم ما لم يحرمه الله والاصل
في الاشياء الاباحة فلا تقولوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق

لعب الشطرنج

(س ٢٣) من كورني (السودان) لصاحب الامضاء بنص

سيدي الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية المسلم لأخيه ، وبعد فراجيك التكرم
بالرد على السؤال الآتي على صفحات جريدتكم اقراء :
هل لعبة الشطرنج المعروفة محرمة أو مكروهة في عموم المذاهب الأربعة أو
بعضها يقول بالحرمه أو بالكراهة أو الاباحة مع العلم بأن الشيخ الدرديري ذكر في
في الشرح الصغير على أقرب المسالك في باب جمل في الجزء الثاني قال في المتن
(والله حرام) وذلك كالمب بالرد المسمى في مصر بالطولة فيحرم كأنه بموض
أو بدونه لأنه يوقع العداوة ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكالشطرنج والشعبة
والعالب والمنقلة واستظهر بعض كراهة المنقلة والطاب ومحل بدون عوض وأشغال
على محرم والا فيحرم اتفاقاً اه

ثم قال الشيخ العدوي في حاشيته على الرسالة عند قول المتن في باب جمل
طبق على الافعال المحرمة (ومنه القمار) قوله ومنه القمار الخ قال في المصباح قماره

فأما منه باب قاتل وقرته قرأ من باب قتل انتهى أي إذ في لب الشطرنج ونحوه مغالبة
قوله ونحوه كالترد والطالب ونحو ذلك فكل ذلك حرام والا بدونه شيء انتهى
فيؤخذ منه ذلك كله أنه هذه اللمبة محرمة في مذهب الإمام مالك فإذا قلتم
بالحرمة أو بالكراهة فما هو السبب في ذلك وإذا كان السبب كونها تورث العداوة
كما ذكر أعلاه فالمسابقة بالخليل تورث العداوة أيضا مع أنها جائزه في مذهب الإمام
مالك أفيدونا على ذلك مأجورين ولكم الشكر

وفي الختام تفضل بقبول تحياتي واحتراماتي
يوز باشي مأمور كورني
عثمان عارف الرفاعي

(ج) صرح الإمام مالك في بعض أجوبته بكراهة الشطرنج وأطلق فحمل
أكثر أصحابه ذلك على كراهة التحريم، وقال الإمام الشافعي فيه: أنه لم يشبه
الباطل أكرهه ولا يدين لي تحريمه. فحمل أصحابه ذلك على كراهة التخيير،
واشتهر بين الناس أن الشافعي أباح الشطرنج والصواب ما قلنا، ولا نعرف نصاعن
الشارع في تحريم الشطرنج ولا غيره مما ذكر من اللعب إلا الترد (الطاولة) ولنا في ذلك
فتوى مفصلة في المجلد السادس (راجع ص ٣٧٣ - ٣٧٨ منه)

﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾

(س ٢٤) من سئافوره

سأل سائل من سئافوره عن معاوية هل ثبت موته على الإيمان وهل يجوز
لعنه. وقال ابن بعض السادة الحضارمة ألف كتابا يثبت فيه جواز لعنه وكيت
وكيت الخ فطمع الناس فيه. وتقول قد سألنا بعض هؤلاء الحضارمة عن مسألة اللعن
من قبل فأجبتنا بما نراه. وأما مسألة موته فهي مما يفوض الى الله تعالى من جهة الباطن
ومعنا لنا الظاهر وهو أنه مات مسلما ودفن بين المسلمين. وقد علمنا أن القوم
مختلفون ومتعادون في ذلك فنوصيهم بترك الكلام فيه لأنه يخشى شره ولا ترجى
منه فائدة بخلاف تحقيق بفيه على علي كرم الله وجهه فذلك من أهم مسائل تاريخنا

الانقلاب الميمون

﴿ وأثر السلطان عبد الحميد في الدولة ومقاومته للدستور ﴾

(استدرارك على المنار)

صديقي الأستاذ الحكيم

نشرت في العدد الماضي رسالة الفاضل مولوي إنشاء الله ورسالة جريدة ابزورد الهندية في الانقلاب العثماني وفيها ما يدل على ان نبأ خلع السلطان عبد الحميد أثر تأثيرا سيئا في الاقطار النائية الاسلامية وانهم يرون انه قد اقيمت عليه بالخلع لما له من المآثر الكثيرة في الدولة وقد عدد الكاتب تلك المآثر الموهومة وعقبتم عليها برأيكم في الخلع وتفنيدكم لأقوال الكاتب وبسطكم الكلام بسطا وافيا إلا انه يمكن ان يستدرك عليكم في الأدلة على بيان خطأ الكاتب في الدعاوي التي استخلصتموها من مقاله ورددتكم عليها فرأيت ان أكون متما لمقالكم مع زيادة في الايضاح اقتاعا لإخواننا مسلمي الهند ومن هذا حذوهم في الاعتقاد الحسن بالسلطان عبد الحميد فأقول ان النقط الست الأولى التي تتعلق بسيرة عبد الحميد بعد الدستور لا أريد أن أكتب على كل نقطة منها بمفردها زيادة عما كتبه المنار الأغرب بل أقول فيها كلها كلمة إجمالية وأكتب على النقط الأخرى التي تتماق بحياته بعد الدستور كل نقطة بمفردها أما كلمتي الإجمالية فهي ان السلطان عبد الحميد لم يكن يوما قط مخلصا للدستور والدليل على ذلك انه أعطاه مكرها كما ذكر ذلك المنار الأغرب ومن طالع كتاب خواطر نيازي يتضح له ذلك وانه لم يأل وحواشيه جهدا في غضون الحركة الأولى في استنباط الوسائل التي تفت في عضد الأحرار في سلايك لما طالبوه بإعادة القانون الأساسي وهددوه بسوق الجيش الى الاستانة فأصر على رفض طلبهم ومقاتلتهم بقوة جنود الاناضول وفعلوا استدعى عدة توابع من رديف أزمير وأمر بسفرهم إلى سلايك وقبل ان تتحرك هذه الجنود من إزمير اطلعت على كتاب ورد لبعضهم من صديق له ثمة يقول له فيه : إني أسافر متطوعا مع جنود إزمير إلى

سلانيك لا لقتال الجيش المطالب بالحرية بل للانضمام اليه مع جنود أزمير والتوجه إلى الأستانة لإكرام ذلك الجبار على رد حرية الأمة التي سلبها إياها والضيابط هنا في متهى التحمس للوصول إلى هذه الغاية فليطمئن بالاحرار في مصر فاستودعكم الله ولا أدري هل أراكم بعد اليوم أم لا :

ولما وطئت أقدام الجنود أرض سلانيك أعلن الضباط في الحال انضمامهم بجنودهم إلى جيش الحرية وانعكس هذا الخبر بالسلك البرقي إلى الأستانة فسقط في يد السلطان واعوانه وكانوا طلبوا جنودا أخرى من جهات الأناضول فأوقف سفرها ناظر الحرية واقنع السلطان بلزوم المدول عن هذا الرأي لما فيه من الخطر فلم يسعه بعد ذلك إلا التسليم بمطالب جيش الحرية لينسج له الوقت في التفكير والتدبير خصوصا في تفريق وحدة الجيش المتواطئ على نصرة الدستور

أخذ بعد ذلك في تدبير المكاييد فبث جواسيسه واتباعه بين الجنود العسكرية في الأستانة يفرونهم بالمال وألف بواسطة درويش وحدتي جمعية الاتحاد الحمدي وأعطاها هو واعوانه هذا الاسم الشريف ليكون آية للتصويه على البسطاء والتفريز بهم باسم الدين إذ ليس في الأمة فرد واحد ينتقا على الحكومة الدستورية مادامت قائمه باسم العدالة والمساواة فلا يستطيع السلاطنت واعوانه تحريض الجنود على الاحرار الدستوريين لمطلق انهم اعوان الدستور لذلك جاؤهم من جهة الوتر الحساس فيهم ففسده باسم الدين وحريضهم على المطالبة بأحكام الشرع والشرع في عرف العامة هو السلطان والسلطان هو الشرع لأنه الأمر المطلق المطاع فالنتيجة بالضرورة هي محو الدستور ومحو كل من يقول به في تركيا وإعادة السلطة الاستبدادية إلى السلطان ثبت ذلك بالبيانات القاطعة والأدلة المحسوسة وهي النقود الكثيرة التي وجدت مع الجنود الثائرة ثم التقارير السرية التي وجدت في يلدز من جواسيس السلاطنت واعوانه وفيها بيان عن نجاح الخطة الموضوعة لاثارة خواطر الجنود كتقارير علي كمال بك ويلياد بك وغيرها التي نشرتها جرائد الأستانة بالحرف ونشرت مجلة (ثروت فتون) بعضها مصورة بالفوتوغراف اثباتا للحقيقة وقطعا للشبه ثم ثبت ذلك بأقرار كثير من اعوان السلطان وحواشيه المقبوض عليهم كجوهراغا وحقي بك ويوسف

سكه زان باشا الذي قبض عليه وهو يحمل قودا تبلغ الاربعين الف جنيه فأقرانه
كان يريد ان يغري بها جنود القلي الثالث وغير هؤلاء كثيرون ممن اقروا بتدبير
هذه المكيدة او ثبت عليهم الاشتراك فيها بالاوراق التي وجدت معهم واهم من ذلك
اقرار درويش وحندي صاحب جريدة (وولقان) ومؤسس جمعية الاتحاد المحمدي
فانه اقر تخبر جريدة (اعتدال) الازميرية لما قبض عليه هناك من عهد قريب اذ
قال له ان السلطان هو الذي دبر هذه المكيدة وان لديه اسراوا كثيرة سيذكروها
في المجلس العسكري

وزد على هذا ما ظهر من اتساع نطاق هذه المؤامرة بواسطة اشياخ السلطان
واتباع صاحب جريدة (وولقان) بحيث كان المراد بها تحريض المسلمين في كل
الولايات على قتلت بعضهم بعضا ليستوجب ذلك تدخل اوربا واقتناعا بعدم اعتماد
الامة العثمانية للحكم الدستوري . بدأت هذه الحركة المشؤمة في ولاية ادنه واطراف
ولاية حلب ثم ظهرت في ارضروم بين الجنود وظهرت في ديار بكر فأطلقت في الحال
ولم يقف دون شوب هذه النار في كل الولايات العثمانية الا سرعة حركة جيش
الحرية ودخوله الاسكندرية ثم مبادرته الى خلع السلطان عبد الحميد . ولو نجحت هذه
المؤامرة الخبيثة لما بقي في تركيا حجر قائم على حجر ولدمرها السلطان كما دمرت مدينة
ادنه التي اصبحت اطلالا بالية ولو اردنا ان نأتي على تفصيل هذه الحوادث لاحتجنا
الى مجلد من المنار فهل يقال بعد هذا ان السلطان عبد الحميد كان مخلصا للدستور
وانه اعطاه برضاه؟ وهل وجد في تاريخ العالم ملك تنزع من صدره الرحمة وينزل بالنفس
الامارة بالسوء الى هذا الحد من حب الانتقام لنفسه ولو بتخريب المملكة التي
تأسست على دماء مئات الألوف من المسلمين ثم ياصق مثل هذه الجناية بالاسلام
وشرائعه الطاهرة اذ يثير مثل هذه الفتنة باسم الدين الاسلامي ونحت ستار الشريعة؟
انا نعتقد ان اخواننا المسلمين في الهند وغيرها ارفع عقولا وابعاد عن التصديق
بكل ما كان يقال في جرائم المنافقين عن مزاي هذا السلطان التي تكاد تماثل مزاي
آلهة اليونان الواردة في اساطير القوم وانه كان من انصار الدستور مع انه هو الذي
قتل واضعي الدستور مدحت باشا واخوانه وعطل ايمان الاسامي مدة ثلاث وثلاثين

سنة قتل في غضونهما ألوفاً من شبان الأمة المالين إلى الحرية منهم من ماتوا في السجون ومنهم من ماتوا في المنفى لكثرة ما عانوه من شطف المش ومنهم من ماتوا إغراقاً في البحار وآخر من كادوا يموتون تعذيباً في السجن من أولئك الأحرار صديقنا الحر القيور حسين بك طوسون وطائفة من أهل أرضروم وفيهم عفتيها الذي مات في السجن شهيد الحرية والانسانية. وجرمهم ان حسين بك طوسون الذي قضى اكثر ايام حياته بعيداً عن وطنه مجاهداً في سبيل الحرية ذهب بصفة خفية الى أرضروم وبث في طائفة من افاضل أهلها فكرة المطالبة بالقانون الاساسي والتخلص من الاستبداد فاجابوا نداء الضمير والحقيقة وقاموا بالحركة الدستورية التي كانت في أرضروم منذ ستين تقضي عليهم جميعاً وجرى بهم الى الاستانة فزج بهم في سجونها ولولا قيام جيش الحرية في سلاطيك وعلان الدستور لماتوا في التعذيب عن آخرهم كما مات من قبلهم

وكذلك كان مع الشاب المذهب المرحوم محمود فائز افندي (١) الذي كان محمود في جريدتنا (الشورى العثمانية) وسافر الى ازمير قبل اعلان الدستور بستة شهور مضاعفاً حياته في سبيل الحرية فقبض عليه وعلى عدد غير قليل من افاضل أهل ازمير وزج بهم في السجون ولاقوا من أنواع العذاب ما لا يوصف وبعدهم هولاء الخمسة والعشرون الضباط الذين جرى بهم من سلاطيك وسجنوا في الاستانة قبل اعلان القانون الاساسي بيضعة عشر يوماً

كل هؤلاء كانوا عرضة للموت في السجون كما مات من قبلهم لولا ان تداركهم الله بقيام الجمعية في سلاطيك وقيام قوتها المتحدة بقوة الجيش وارغامها السلطان عبد الحميد على اعلان القانون الاساسي وخروج هؤلاء المظلومين من غيابة السجن وامر التعذيب

(١) توفي هذا الشاب شهيد الواجب في الفتنة التي اثارها أهوان السلطان عبد الحميد منذ شهر في اذنه حيث كان يقيم موقفاً فأراد ان يصلح بين المتقاتلين من الأرمن والمسلمين وينصح لهم بترك القتال فأطلق عليه أحدهم رصاصة ألقته صريعاً يتخبط بدمائه رحمه الله

هذا ما أردت اضافته على ما كتبه المنار الأغر رد أعلى القسم الأول من كلام الكاتبين (١) وأما القسم الثاني والدعوى الست التي لخصها المنار الأغر ورد عليها فالأولى منها المالية ويكفي ان تضرب له مثلا أو مثلين على مبلغ خلاها وضعفها في عهد السلطان الماضي اذ وجوه الضعف والخلل مما لا يمكن إحصاؤه في هذه المجالة فالمثل الأول ان الحكومة الدستورية وجدت فيما وجدت من الخلل في المالية عدة ملايين من الجنيهات دينا على الدولة لجأت متعددة لم يجدوا لها قيودا رسمية فسموها الديون السائرة واضطروا ان يطنوا في الجرائد عنها وكلفوا كل من في يده مستند من اصحابها ان يراجع الحكومة في غضون مدة محدودة وعلى هذا فقس كل أحوال المالية. وما سبب هذا الخلل فيها الا استئثار السلطان بواردات الدولة مما لا تستطيع حصره نظارة المالية لتناوله لتلك الواردات مباشرة بغير واسطتها ولأجل هذه الغاية كان ألف منذ بضع سنين لجنة في بلد من حواشيه سماها اللجنة المالية لمراقبة مالية الدولة في الظاهر وسلبها في الباطن فكان أول قاعدة وضعها تلك اللجنة ان لا ينفق قرش واحد من خزائن الولايات الا بعد استئذانها حتى مرتبات المأمورين ونفقات الجنود التي هي طبيعية في كل ولاية داخلية في ميزانيتها الخصوصية وكان من ذلك ان صارت هذه اللجنة كلما اجتمع مبلغ من المال في ولاية تطالب ارساله اليها في الحال وهذه تضعه تحت أمر السلطان ينفق ما شاء منه على جواسيسه ومقربيه ومصالح الدولة ويستأثر لنفسه بما شاء حتى تعطلت أمور الولايات الادارية وفشت الرشوة في المأمورين لكي يمتاشوا بما يحصل لهم منها من القود وحتى صارت الفيلق العسكرية الى حالة من الفقر والضعف وقد الحاجيات العسكرية لا يمكن ان يصورها كاتب بقلم ولا يصدقها الا من شاهدها بعينه من العثمانيين واليك مثالا منها

لما حدثت مسألة العقبة وتصدى الانكليز في مصر الى التداخل فيها ورأت الحكومة العثمانية وجوب ارسال الجنود الى العقبة واوعزت الى الفيلق الخامس الذي مركزه دمشق بارسال تابورين من المشاة وبطارية مدافع الى العقبة لم يوجد في الفيلق كله عشرون حصانا لاجل المدافع لان خيل السوارى والطوبجية الخاصة بالفيلق الخامس اقترضت عن آخرها ولم يشتر غيرها فاحتجج الاقيان بها من الاستانة وترتب

على ذلك تأخير الحملة العسكرية وعزل والي سورية ناظم باشا يومئذ لأن قائد الفيلق
التي عليه تبعة الأبطال لعدم تعجيله بدفع نفود تكفي لتجهيز خيول هذه الحملة ولوازها
الأخرى مع أن خزانة الولاية كانت خالية من النقود

هذا مثال من الأمثلة المحسومة التي يحتاج استقصاؤها إلى كتاب ضخم يبين
ماذا أصاب الدولة من الضئيل المالي والاضطراب الإداري في عصر السلطان المأمي
مع تنوع الضرائب والجبايات وتوالي طلب الإعانات المستحقة ومنها إعانة التجهيزات
العسكرية التي استمرت تسجي من الأربعة عشر سنين أو يزيد وتبشر نفودها إلى المائين
ولما أعلن الدستور لم يجدوا لها حساباً مضبوطاً ولم يعرفوا وجوه الاتفاق التي ذهبت
فيها تلك الملائين من النقود التي جمعت باسم الجندي والجندي كانت في أحط دركات
العوز والقص في الممدات الحربية كما أثبت ذلك البيان الذي ليس بعده بيان
(٢) كونه درب الجندي على قواعد الحرب الحديثة . فانا أضيف على ما كتبه

الناورداً على هذا الزعم أن كل ما صرفه السلطان عبد الحميد من العناية بأمر الجندي
كان طلاء ظاهره حسن وباطنه قبيح فقد كان يرسل إلى ألمانيا بعض الضباط لأجل
إتمام تعلم الفنون العسكرية وقلماً ضم إلى الأليات ضابطاً من هؤلاء عند عودته يستفيد
الجنود من معارفه الجديدة بل أكثرهم كان يضم إلى المائين والدوائر العسكرية الأخرى
ليكونوا مغاولي الأيدي عن العمل . وكذلك أتى بضباط المائين كروبه باشا وغولس
باشا وغيرهما لأجل تنظيم الجيش وتدريبه ولكنه غل أيديهم كما غل أيدي الضباط
العثمانيين المتعلمين في ألمانيا فمنهم من كل عمل يرتب عليه حياة الجيش ونظامه
الحربي كما منع عنهم كل مادة من مواد الترفي ومن ذلك أنه حظر على الجيش إجراء
المناورات الحربية منذ عشرين سنة والمناورات الحربية أس النظام العملي في
جيوش الأمم بل زاد في النكابة فمنع حتى ما يسمونه (الأي تعليمي) حتى لا يجتمع
أربعة تراير في مكان واحد تحت السلاح ولو كانوا في أقصى المملكة وحتى أصبح
التعليم العملي مفقوداً ألبته في الفيلق وكما منع الجيش من التمرن على الفنون العملية
منع عنه كل المستحدثات الحربية الحديثة كالتلفون والأتمبيل الحربي والبالون

كل هذا توهمنا ان جيشه عدو له حتى كان الجيش اشبه بآلة مصطلة (*) وحتى انسل منه الضباط الالمانيون واجمعين الى بلادهم لما يروا ما يمكنهم من ترقية هذا الجيش المحروم من كل وسائل الترقى الادبية والمادية

وأكبر دليل على ذلك ما بلغه رجال الدولة من الخوف والاضطراب عقب إعلان الدستور وقيام النمسا والبلغار على الدولة: الأولى لأجل البوسنة والهرسك والثانية لأجل الاستقلال ، حتى اضطرهم ذلك الى التعميل بحل هاتين المشكلتين تفاديا من الوقوع في الحرب التي كانت خطرا مؤكدا على الدولة لضعف الجيش حتى قدسأيت كتابا من أحد المشيرين الكبار بحث به لصديق له في مصر لأول عهد الدستور يقول له فيه : نسأل الله ان يمنع عنا غائلة الحرب مع البلغاريين في هذين الشهرين ريثما نلم شعثنا والا فتحن في خطر كبير اذا وقعت الحرب الآن

وأخبرني ضابط كبير برتبة لواء وكان في الفليق الثاني (فليق ادرنه) مع ناظم باشا لما تمين قائدا للفليق المذكور عقب إعلان الدستور وفي أثناء المفاوضات مع البلغار فقال : ان القائد الموما اليه مع ما بذل من الجهد في تنظيم الجيش وتدريبه ولم شعثه وتجهيزه بالمعدات اللازمة كان يقول بعد مرور شهر عليه في قيادة هذا الفليق : الآن يمكننا ان نقف اسبوعا واحدا في وجه البلغاريين و بعد شهر آخر يمكننا ان نقف شهرا واحدا و بعد أربعة شهور يمكننا ان نزحف على عاصمة البلغار

فانظر الى ما كان عليه الجيش من الضعف يومئذ وكيف كان أكبر مشيري الدولة وقوادها يتشاءمون من وقوع الحرب مع البلغار حتي بات كل قواد الجيش وضباطه في هم ناصب ودأب على العمل ليل نهار في الستة الشهور الأولى لأجل استرداد ما سلبه السلطان عبد الحميد من قوة الجيش المصنوية والمادية في العشرين السنة الأخيرة لحكمه المشؤوم

(٣) اما التعليم فيكفي ان تقول فيه ان المتعلمين في تركيا أقل نسبة من

(٥) المزار : كان يعتقد ان الجيش اذا اجتمع مسلحا طلب الدستور ولذلك منع

المناورات والاجتماع حتى اجتهد في منع حرب اليونان فلم يجد الى ذلك سبيلا

المسلمين في بلغاريا (٥) التي انفصلت عن الدولة في عهد السلطان عبد الحميد فسبقتها اشواطاً كبيرة في ضمير المعارف والعلوم ولو اطلق السلطان عبد الحميد حرية التعليم في الثلاث والثلاثين سنة التي حكمها لما وجد الى اليوم أمي في تركيا مع ان الأميين فيها الآن ربما زاد عددهم عن خمسة وعشرين في المئة والمدارس الموجودة في تركيا قد صارت الى حالة من الخلل خصوصاً في الخمسة عشرة سنة الأخيرة من ملك عبد الحميد لا يستطيع وصفها قلم وحسبك ان دار الفنون في الاستانة لما أريد تنظيمها بعد الدستور لم يجدوا في فروع الطبعات منها ولا آلة واحدة من آلات العلوم الطبيعية التي يطبق فيها العلم على العمل كما انه لا يوجد كتاب رسمي يدرس في مدارس الاستانة في أي فن من الفنون بل ان المعلمين يملون دروسهم أملاء وناهيك بعمل يدرس وهو يحاسب نفسه على الكلمات ويخشي من هفوات اللسان بالفاظ علمية حرمتها نظارة المعارف بأمر السلطان

اما مصادرة العلم وتثبيت الفضلاء وقتل النابذين أو ابعادهم وإحراق كتب العلم فهذا مما لا يحتاج الى دليل وقد عثروا على تقارير رسمية من دائرة التفتيش في نظارة المعارف مرسلة الى المايين في كيفية إحراق الكتب المصادرة ينبيء بأن ألوفاً من الكتب أحرقت مرة واحدة في موقد حمام شنبلي طاش على ايام متوالية تقاديا من إحراقها في نفس النظارة بعد أن ظن الناس ان حريقاً وقع فيها لأول يوم بدئ فيه بإحراق الكتب فيها وقد نشرت جرائد الاستانة في الاسبوع الماضي هذه التقارير لتبرهن على ما قال العلم وأهله في عصر السلطان عبد الحميد

وهذا قليل من كثير مما اصاب العلم وأهله من المصادرة والاضطهاد في عصره وفيه كفاية للمقتنعين

(٤) اما انه اسعد المملكة بكده مدة حكمه فهذا امر تقنيه يطول خصوصاً لمن ليس هو من هذه المملكة وبعيد عنها ويكفي ان يقال انه ليس في تركيا شركة وطنية من الشركات العامة الصناعية أو التجارية لان السلطان كان يمنع تأليف هذه الشركات الا اذا كانت اجنبية واعطيت اسم العثمانية . وكانت الرشوة متفشية في

(٥) ان ٥٠ في المئة أو نصف الاهالي في البلغار متعلمون

دوائر الحكومة الى حد سلبت معه الامنية على الاموال والارواح واصبحت السيطرة لاهل البغي والفساد وارباب النفوذ. وكان المأمورون مضطرين لماشاة هؤلاء ومحاباتهم لقلة رواتبهم وعدم اخذهم لها واحتياجهم الى المال من غير طرقه المشروعة فليس ثمة عدالة ولا قانون الا هوى الانفس واردة الحكام فكيف تكون حالة مملكة هذا شأنها واية سعادة ترجى لامة تلك حكومتها؟ نترك الجواب على هذا للكاتبين الفاضلين فانهما علي ما نعتقد من المنصفين

(٥) اما كونه عمر الطرق وأنشأ السكك الحديدية والترع فهذا لا شيء منه في تركيا فان فيها ضريبة تسمى ضريبة العملة المكلفة وهي تلزم كل مقتدر على العمل ان يعمل في اصلاح الطرق بنفسه أو يدفع أجرة عامل للحكومة وهي ريال فأكثر في السنة . وقد قال لي مرة بعض الناقدين ان هذه الضريبة لو أنفقت في سبيلها منذ وضعها الى اليوم لا مكن للدولة ان تمد بها خطوطا بدل الخطوط الحديدية من الفضة على انه لم يعمل بها طريق مرصوص بالحجر صالح لمرور الجنود والمركبات الى اليوم أما السكك الحديدية فالحقيقة انها كثرت في زمانه الا انها كلها كما قال المنار الاغر في يد شركات اجنبية وفي مصلحتها دون مصلحة الرعية والدولة ولا يوجد في العالم شركة سكة حديد تتمتع بامتيازات تضر بالرعية والدولة كما يوجد في بلادنا ولنضرب لهم مثلا سكة حديد بغداد التي اخذتها شركة ألمانية فقد اعطيت هذه الشركة الحق بالبحث عن المعادن وتملكها على مسافة عشرين كيلو مترا من جانبي الخط أي من ساحل البحر الابيض في الاستانة الى مصب دجلة والفرات من البحر المحيط الهندي وفوق هذا قد تحملت الدولة الضمانة الكيلو مترية لهذه الشركة ثلاثة عشر الف فرنك عن كل كيلو متر وذلك في نظير مبالغ زهيدة أعطيت للمقربين ورجال الدور الماضي وبعض اسهم استأثر بها السلطان ونفر من اعوانه . فهل توجد أمة في العالم تباع مراقبها وتوهب اراضيها على هذه الصورة ويكون اشد العالمين على جر هذه المضار عليها سلطانها وحكومتها؟

أن الامثلة على مثل هذا كثيرة وان صفحات المنار لتضيق عن جزء منها فانا أكتفي من البيان بما تقدم كما أكتفي بما قاله المنار عن النقطة السادسة لأن النفس

ضاعت من الاسترسال في هذا الموضوع والفؤاد اضطرب من ايمان الفكر في تلك
الظلمة التي كشفتها الله عنا بفضل منه فلم يبق في استطاعة القلم تجاوز هذا الحد من
البيان لما ساورني من الآلام النفسية التي كانت ملازمة لي ولكل احرار الثمانيين
مدة ذلك الدور المشؤم وقد خففها الله عنا باقضاء ذلك الدور الماضي وظهور شمة
من نور الرجاء في المستقبل كنا نأمل ان تنسينا ما فات لو لم يستنا تلقي اخواننا المسلمين
لهذا الانقلاب الحميد بغير ما تلقاه به الثمانيون نبلوا أذهانهم عن امثال ما ذكرناه
من سيرة عبد الحميد فيدعوننا ذلك الى الرجوع لتلك الذكرى المنقصة بما اردنا به
رد الشبهة وجلاء الحقيقة لاخواننا المسلمين في البلاد النائية. على اننا لا ننسى لم هذا
التأثر بأحوال المملكة العثمانية واخبار دولة الخلافة وان كان تأثرا بضد الواقع فانه
محتمل منهم على حسن النية وعدم الوقوف على دخائل الأمور في الدولة الهائلة ولا ريب
عندنا في ان اهتمامهم بهذا الانقلاب وخلع السلطان عبد الحميد يدل على اهتمامهم
بشؤون اخوانهم المسلمين العثمانيين ورغبتهم الخاصة في سعادة الدولة العلية ومجدها
وقوتها وانا لندرجون ان تتحقق هذه الرغبة لهم ولنا في دور مولانا السلطان محمد الخامس
بعد ان ثبت عدم تحققها في عصر السلطان الخلع اذ كل ما روئي من خليفتنا الجديد
الى اليوم يدل على محبة خالصة للامة وميل عظيم للاصلاح وتمسك بمبادئ الشورى
والعدل جعله الله مبدأ حياة جديدة للدولة وعزم مؤكدا للمسلمين

وحسب اخواننا في الاقطار النائية دليلا موجبا لسرورهم مؤكدا لا مالم في
مستقبل دولة الخلافة هذا الانقلاب العظيم الذي قام به اخوانهم المسلمون في البلاد
العثمانية ودعمه الجيش بقرته العظيمة. وأي دليل على ان هناك حياة عالية ونهضة تزعج
الى الرقي ستنهض بالدولة الى منزلة تسر لها ان شاء الله قلوب الأمة الاسلامية
اعظم من هذا الدليل لا سيما وان الثمانيين بهذا الانقلاب انما جددوا حكمه الشورى
الاسلامية التي طوى صاحبها الامراء الجبارون منذ آخر عهد الخلفاء الراشدين
ولم تستطع امة من المسلمين استرداد هذا الحق المسلوب منها الى اليوم فاستطاع
ذلك العثمانيون والله مع المصلحين
رفيق العظم

﴿ الذكر ورابطة التقشيدية ﴾

لما اطلع السيد محمود شكري اخندي الالوسي عالم المراق المصلح الشهير على ما كتبناه في
رابطة التقشيدية استعصم وفضله على جميع ما كتبه العلماء في ذلك وارسل اليها القصيدة الآتية
وقال إنها للشيخ مهنا بن سند النجدي تزيل البصرة رحمه الله وكان من رجال اواسط القرن
الثالث عشر في ابطال الرابطة التي يقول بها المتصوفة

أخل القواد اذا ما كنت ذاكره
الشيخ يدعو لإخلاء القواد من الـ
فكيف يدعو الى تصوير صورة
فماقل قوادك بالذكر اللذيذ وكن
لم يحل قط شهود الله في خلد
وان يكن من أناس من بشاهدم
إذ صورة المصطفى صحت بها كتب
لو كانت من ديننا تصوير مشيخة
فحبنا باتباع المصطفى شرفاً
فيا مريد الهدى استمسك بعروته
دع التوجه إلا للذي فطرا
فسالك لسبيل المصطفى ثبت
ان الطريقة ان عرقها عمل
وبعد تحلية فاعمل بتحلية
من سار لله تقى السر من كدر
واخرج عن النفس والاغيار تحفظ به
ولا تظن اشتغالا بالعلوم شقى
فالمسلم بحمله من كل ما خاف
ينفون تحريف ذي الابطال عنه فكم
لا تحقر سالكا علما فسالكة
وارج الحوائج من مولاك لا بشر

تكن قى بسلاف الذكر قد سكرنا
أغيار طاراً لبصفو الذكر للقرا
في خاطر فيه نور الله قد سقرا
ممن عن الغير في اذكاره قفرا
إلا إذا لم يكن فيه سواه يرى
مولاه يذكر ما أنوارهم نظرا
وما بتصويرها أصحابه أمرا
لكان أجدر لك قمتي الأثرا
ان مال نحو اتباع غيرنا وجري
وقل إذا السالك استهداك معتبرا
واسلك على الشرع واترك ما سواه ورا
اقدامه ومريد غيره عثرا
بالشرع فاعمل به وانظر لما نظرا
وإن تحلية أخذ بما أمرا
لا ينظر الله سراً أشرب الكدوا
لم يحظ بالله مملوء الحشا غيرا
ان الشقاء لمن غير العلوم يرى
عدوه فهم من غيرهم أمرا
مدقق فهم دين الهدى نصرا
سام وقاركا بالجهل قد حقرا
وان سما من مقام الصالحين ذرى

لو كان مستلباً منه الذباب ولم
 فافزع الى الخالق المعبود متصمماً
 واعبد كأنك مولى العالمين ترى
 واحذر دسائس نفس ربما قلت
 والذكر ركن عظيم من طريقتهم
 نجد في السير للرحمن مقتباً
 وكل مؤمنة أو مؤمن فله
 واخش احتقارك للعاصي لمصيبة
 فكر ربك لا تأمن وكن رجلاً
 لا ناظراً عملاً لكن لرحمة من
 مطلقاً منك آمالاً بذيل ندى
 فاذكره في خلوة أو جلوة ترى
 وبالنواجذ فاعضض شرع مرسله
 ما خالف الشرع مردود وقائله
 والدين اكله المولى فليس به
 انت الاطبا أساة الدين هم علما
 حامون حوزتها عن كل مؤمنك
 لا توقن نظرة يوماً على عمل
 اخلاصهم عرف الرفاق زاد على
 لا مثل من حقروا اعمال غيرهم

يقدّر الله اقتبازاً لما قدرا
 في كل ما حدث ان جل اوصفوا
 فان تكن لا ترى مولاك فهو يرى
 ففي الدسائس منها دقق النظرا
 وخيره ما عن المختار قد ارا
 آثار من فات كل الخلق حين سرى
 حق عليك فأحبب منها الأثر
 قرب عاص تعدى ذنبه عفوا
 متمسكاً أبداً من شرعه بئرى
 كل الأنام اليه دائماً فقرا
 من فضله الجم ذرات الودى غمرا
 مما له عند أملاك سموا ذكرا
 ودع أقاويل اقوام جرت هذا
 بذارونا عن الهادي لنا خيرا
 قص فيكلمه من قصه ظهرا
 قد دققوا في معاني السنة النظرا
 مزين في طريق الله كل فرا
 ان رمت اخلاص اقوام بدوا غمرا
 ان لا يكون لا اخلاص له نظرا
 واستعظمو كل فصل منهم صدرا

﴿ النساء والحجاب والتعليم ﴾

وردت الينا هذه التصديقة من بغداد في مسابقة الشيخ محمد بن الشيخ طاهر الحلي
 تصديقة الشيخ معروف الرصافي التي نشرناها في الجزء الثاني
 لهم مؤدب الخفريات يت يقين به الى يوم المات

يقرن به كواكب في بروج
فما لك يا غيور نظمت شعرا
تعرض في نساء القوم قدما
فقد قال الإله وقرن أمرا
فإن قههم سوى المعنى فين
نشدتك هل قصدت بذاياها
أو استنبطت ذامن فعل خيرالة
فإن تلك أمانا في العلم بهرا
فقد كان المعلم خير زوج
وقد كان الأولى سألو علوما
فمن تفدو على القسيس كما
وتأيتها الرجال تال منها
كن أخذت عن المختار علما
قياس لا ينسم في هواه
فهل هذا لعمر أليك إلا
وما ذكر كأنني نص فيها الكت
وتقصان النساء حبنى ودينا
أم المؤمنين إليك نشكو
يريد الله أن يفضن طرفا
ولا يدين زينتهن إلا
وبأن المتاع ورا حجاب
فكيف يليق أن تلقي حجابا
وترضى أن تلوح بكشف وجه
فذلك مصيبة يأم منها

ولا يمدونه متبرجات
نرت به عقود البنات
وتعرض عن أوامر صادعات
يوثب فيه خير الأمهات
وإن تزعم له نسما فها
على حسن اقتدار والنفات
سأه العالقات العالقات
تحل لئاليها المشكلات
بحجرة يته لا المدرسات
بنها لا البعد من العادات
تلم ضرب عود أو كرات
فتوتني في منازلها وتأتي
وعلت البنين أو البنات
ولا يفساغ في ماء فرات
كتسوية الذين مع اللواتي
اب تقول احدي العالقات
صحيح في مسانيد الروات
مصيبتنا بهتك المؤمنات
ويدين الجلاب سارات
لطفل ليس بيلم بالهنات
ويلقين الرجال محجبات
وتبرز الميون الشخصات
ولو ين الاعفاء الآبات
فكاد نقص بالماء الفرات

خطبة خطيبة مصرية على النساء

نشرت الجريدة سلسلة مقالات مفيدة في شؤون النساء والبيوت لكاتبة مصرية مسلمة لقيت لها بهذا القرب (باحة بالبادية) ثم انها دعت لسان الجريدة النساء الى سماع خطبة لها في شؤونهن مع الرجال فأجاب دعوتها مئات منهن فاجتمعن يوم جمعة في نادي حزب الامة وسمعن منها هذه الخطبة

أيها السيدات :

أحيكن تحية أخت شاعرة بما تشرف ، يوئىها ما يوئى مجموعكن ، وتجذل بما تجذلن به ، وأحيى فيكن كرم النفس لتفضلكن بتلبية الدعوة لسماع خطبتي . إن أطلب بها الا الاصلاح ما استطعت فان أصبت كان ما أرجو وان أخطأت فما أنا إلا واحدة منكن والانسان يخطئ ويصيب فمن رأت في خطبتي رأياً مخالفاً لما تعتقد أو أجت المناقشة في نقطة ما فلتفضل بإبداء ما يمن لها بعد انتهاء كلامي

أيها السيدات : ليس اجتماعنا اليوم لمجرد التعارف أو لمرض مختلف الأزياء ومستحسن الزينات وانما هو اجتماع جدي أقصد به تقرير رأيي لثبته ولا بحث فيه عن عيوبنا فنصلحها . فقد عمت الشكوى منا وكثرت كذلك شكوانا من الرجال . فأني الفريقين محق في دعواه ؟ وهل نكتفي من الاصلاح بمجرد التذمر والشكوى ؟ لا أظن مريضاً طاع أنينه فشفاه ، يقول المثل العربي « لا دخان بلا نار » ويقول الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر « ان الآراء التي تظهر لنا خطأ لا يمكن أن تكون خطأ محضاً بل لا بد ان يكون فيها نصيب من الصحة والصواب » اذن فنحن والرجال متساوون في صحة الدعاوي وبطلانها ، كلنا متظلمون وكلنا على حق مما نقول ، بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا وبينهم . فهم يعززون هذه الحالة لنقص في تربيتنا وعوج في طريقة تعليمنا ونحن نعزوها لغطرستهم وكبرياتهم ، وهذا الاختلاف في إلقاء المسؤولية زادنا اختلافاً في العيش وأوسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء في مصر وهو أمر لا ننظر اليه بعين

الارتياح وانما نأسف له وتوجس منه ، لم يخلق الله الرجل والمرأة ليتباغضا ويتنافرا
وانما خلقهما الله ليسكن أحدهما الى الآخر فيصير الكون إذ في اختلافهما بقاؤه ،
واو اقرد الرجال في بقعة من الأرض ، انزلت النساء الى أخرى لا تعرض الحزبان
وحقت عليهما كلمة الفناء

تدركن معنى قولي هذا من صعوبة الرد على هذا السؤال : أي الجنسين أصلح
للبقاء في الدنيا النساء أم الرجال ؟ فإذا أجابت احدا كن : الرجال لانهم يقومون
بشاق الاعمال من بناء واختراع وزرع وغيره . لعارضتها بقولي : ولأجل من تتجشم
تلك الصواب ولا نساء يتسلسل منهن النسل لعمار هذا الكون ؟ واذا قلنا النساء لانهن
مدبرات البيوت وأمهات النشء ؟ قلنت ومن أين يأتي النشء ، ولا أب له ؟ هذا قياس
على نظام الطبيعة الحالي ولا تتوسع بالافتراضات والمتوهمات فقد كان الله قادرا
على خلق نظام آخر للتوالد وهو قادر على خلق مثله ولكننا الآن لم نسمع إلا بمثال
واحد لهذا الشذوذ هو مثال سيدنا عيسى عليه السلام فالمرأة والرجل للكون كالخبز
والماء للجسم أو الشمس والماء للزرع ولو استعاضت احدانا باللبن عن الماء فان اللبن
بالتحليل يحتوي الماء فالكتب السبوية كلها مجمعة على ان أصل البشر من آدم
وحواء والقائلون برأي دارون لم ينكروا ضرورة لزوم الذكر والأنثى للتوالد من
الحيوانات الأولى التي زعموا انها اوتيت بالتدريج إلى مصاف الانسان ، كذلك
الحال في كل جسم حي فام فان النباتات كلها فيها الذكورة والأنوثة والزهرة على
لطاقها وصغر حجمها تحتوي شكلين مختلفين من العروق أحدهما لقاح للآخر ،
كذلك جعلها الله لينتج منها الحب الذي فيه بقاء النوع وسلط عليه الريح تسفيه
إلى الأرض فاذا ما جاده الفيث أولقي ريات وتما وصار شجراً عما وقع منه ،
فنظام التوالد هذا مطرد في كل الأجسام الحية من حيوانات ونبات لا شك فيه
البتة واذا راجعنا احصائيات العالم كله وجدنا ان عدد الذكور والأنثى فيه يكاد
يكون واحدا أو بفرق قليل جدا وهذا دليل على ان الله خلق رجلا لكل
امرأة ، هذا بقطع النظر عن الحروب وغيرها مما قد يخل بهذا التوازن الطبيعي
الدقيق ، إذن فمحاولة الاعتزال بين الرجال والنساء مستحيلة وعليه فلا فائدة من

هذه الفارات القلية الشعراء بيتا ويتهم والا وفق ان نسعى للوفاق جهدا ونزيل
سوء التفاهم والتعرب لنحل بدلها الثقة والانصاف ولنبحث أولا في قسط الخلاف
يقولون اننا بطلنا نراهم في أشغالهم وترك أعمالنا التي خلقنا الله لها . قلت
شعري ألم يكونوا هم البادئين بمزاحمتنا ، كانت المرأة في العهد السابق تفزل الخيط
وتنسج ثيابا لها ولأولادها فاخترعوا آلة الغزل والنسج فأبطلوا عملها من هذا
القبيل ، كانت المرأة المتقدمة تغزل القمح ونهرسه وتطحنه على الرحي يديها ثم
تنخله وتمججه فتبي منه خبزا فاستنبطوا ما يسمونه (الطابونة) واستخدموا فيها
الرجال فأراحونا من ذلك العمل الكثير ولكنهم عطلوا لنا عملا ثانيا ، كانت كل
امرأة من السالقات تخط لنفسها ولأفراد بيتها فتقتوا لنا آلة للخياطة يشتغل في
استخراج حديدتها وصانعها الرجال ثم جعلوا منهم خياطين يخطون لرجالنا ولأولادنا
فأدوا لنا بذلك عملا ثالثا ، كنا نكنس حجرا أو تكنسها الخادمت بمكانس من
القش فاستنبطوا آلة الكنس التي يكفي ان يلاحظها خادم صغير فتتلف الرياش
والأثاث ، كانت الفقيرات والخادمت يجلبن الماء ليوتهن أو لبيوت سادتهن فاخترع
الرجال القصب (المواسير) والحنفيات تجلب الماء بلا تعب ، فهل ترى عاقلة الماء
يجري عند جاريتها في أعلى طبقات منزلها وأسفله وتذهب لثلا من النهر وقد يكون
بعيدا ؟ أو هل يعقل ان مدينة ترى خبز (الطابونة) نظيفا طريا لا تتكلف له سوى
ثمنه وتركه لغربل وتمجن وقد تكون ضيقة البنية لا تحمل تعب تجهيز القمح
وعجنه أو فقيرة لا تستطيع تأجير خدم له أو وحيدة لا مساعدة لها عليه ، أعلن الرجال
لو كانوا محظنا لما فعلوا سوى ما فعلناه وما من امرأة تقوم بهذه الاعمال كلها الا
القرويات اللاتي لم يدخل قراهن التمدن ، بلى انهن يستعصن عن الرحي بوابور
الطوبى وبعضهن عن الماء من البحر (بطلمبات) يضمنها داخل دورهن
ولست أريد من قولي هذا أن أذم الاختراعات المفيدة التي اخترعها الرجال
لقد كثيرا من أعمالنا أو لأقول إنها زائدة عن حاجتنا وانما كانت هذا الشرح
ضروريا لبيان ان الرجال هم البادئون بالمزاحمة فاذا ما راحناهم اليوم في بعض
أشغالهم فان الجزء الحق من جنس العمل

على ان مسألة المزاوجة هذه ترجع للحرية الشخصية فزيد راق له ان يكون
طيبا وعمرو ارتأى ان يكون تاجرا فهل يصح ان نذهب للطبيب ونقول له لا تحترف
هذه الصناعة بل كن تاجرا وهل يمكننا ان نجبر التاجر على ان يصير طيبا ؟ كلا .
فكل له حرية يفعل ما يشاء ولا ضرر ولا ضرار ؛ أو هل يجوز ان يمنع مهندس
قديم من يحترف هذه المهنة من غيره لأنه كان يكتسب ربحا بذا كله فجاء له
هوؤلاء المهندسون الجدد يقتسمون ارباحه ؟ ولو جاز ذلك قوة لما صح ان يجوز
شرعا وحرية ولما قامت من أجله الشخاء بين الرئيس روزقات وشركات الاختكار ،
فاذا كان الخنوعون والصناع أبطالوا جزءا كبيرا من أعمالنا فهل تقتل الوقت بالكل
أو نبعث عن عمل يشغلنا ؟ لا غرو اننا نفعل الثاني ؛ ولما كانت أشغال منزلنا قليلة
لا تشغل أكثر من نصف النهار فقد نتحتم ان نشغل النصف الآخر بما تميل اليه
نفوسنا من طالب العلم وهو ما يريد ان يمنحنا عنه الرجال بحجة اننا نشاركهم في أعمالهم
لا أريد بقولي هذا ان أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وتربية
الأولاد إلى الانصراف لتعلم الحمامة والقضاء وإدارة القاطرات ، كلا ولكن اذا
وجد منا من تريد الاشتغال بأحدى هذه المهن فان الحرية الشخصية تقضي بان
لا يعارضها المعارضون ، يقولون إن الحمل والولادة مما يجبرنا على ترك الشغل ويتذرعون
بذلك الى جعلها حجة علينا ولكن من النساء من لم تنزوج قط ومنهن العقيمات
اللاتي لا ينتابهن حمل ولا ولادة ومنهن من ماتت زوجها أو طلقها ولم تجد عائلا يقوم
أودها ومنهن من يحتاج زوجها لموتها ، وقد لا يليق بهؤلاء ان يحترفن الحرف
الدنيئة بل ربما يلين الى ان يكن مملات أو طبيبات حائزات لما يحوزه الرجال من
الشهادات ، فهل من العدل ان يمنع مثل هؤلاء عن القيام بما يرينه صالحا لأنفسهن
قائما بمعاشهن ؟ على ان الحمل والولادة إذا كانا مملتين لنا عن العمل الخارجي فهما
معتلان لنا عن الأعمال البيتية أيضا ، وأي رجل قوي لم يمرض ولم ينقطع
عن عمله أحيانا ؟

يقول لنا الرجال ويهزمون انكن خلقتن لبيت ونحن خلقنا لطلب المعاش .
فلبت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ؟ من أين لهم معرفة ذلك والجزم

به ولم يصدر به كتاب ؟ نعم ان الاقتصاد السياسي ليأمر بتوزيع الاعمال ولكن اشتغال
أفراد قلائل منا بالعلوم لا يخل ذلك التوزيع وما أعلن أصل تقسيم العمل بين الرجال
والنساء الاختياريا بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والفسل وحواء السعي وراء القوت
لكان ذلك نظاما متبعاً الآن ولما أمكن ان يحتاج الرجال بأننا خلقنا الاعمال البيت فقط وهما نحن
أولاء لانزال نرى بعض الاقوام كالبرابرة مثلاً يخط رجالهم الثياب لانفسهم ولا افراد
يبنهم ويتجشم نساؤهم مشقة الزرع والقلع حتى انهن ليتسلقن النخل لجنى ثمارها .
وهما من نساء الفلاحين والصعايدة يساعدن رجالهن في حرث الارض وزرعها وبعضهم
يقمن بأكثر اشغال الفلاحين كالسبيد والدراس وحمل المحصولات ودق السابيل
والبراعم (الكيزان) وسوق المواشي ورفع المياه بما يسمونه بالقطوة وغير ذلك من
الاعمال التي ربما شاهدها منكن من ذهبت الى الضياع (العزب) ورأت انهن
يقدرن عليه تمام القدرة كأشد الرجال ونرى مع ذلك أولادهن أشداء وأصحاء .
فمسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لا اجبار فيها . وماضعتنا
الآن عن مزاولة الاعمال الشاقة الا نتيجة قلة الممارسة لتلك الاعمال والا فان المرأة
الاولى كانت تضارع الرجل شدة وبأساً . أليست المرأة القروية كاختها المدنية ؟ فلماذا
تفوق الاولى الثانية في الصحة والقوة ؟ هل ترتبن في ان امرأة من المتوفية تصرع
أعظم رجل من رجال الغورية لو صارعته ؟ فاذا قال لنا الرجال اننا خلقنا ضعفات
قلنا لا وانما أنتم أضعفتمونا بالمنهج الذي اخترتم ان تسير فيه . حدثتني سيدة عالمة انها
في سياحتها بأمر كما رأت بعينها هنودها الجمر تتحرك آذانهم من تلقاء نفسها اتجاه
الصوت الذي يترقبونه كاذان الخيل والحير . ذلك نتيجة استعمالهم لها وقد توارثوه
أيضاً وهم في حاجة اليه لتستمع زئير السباع وعواء الوحوش التي ربما تهاجمهم في قلاوتهم
كذلك نجد حواس الوحشين أقوى من حواسنا بكثير فهم يشمون رائحة الوحوش
من بعيد أما نحن فلا ولم يكذب من قال ان الوظيفة تكوّن العضو . هؤلاء العميان
يعتمدون كثيراً على حاسة السمع بعد فقد حاسة البصر فتقوى فيهم بالتدريج تلك
الحاسة الى ان تبلغ غاية قد تعد من الخوارق عندنا فهل بعد ان استبعدنا
الرجال قرونا ملوا الا حتى نخيم على عقولنا الصداً وعلى أجسامنا الضعف يصح

ان يهتمونا بأننا نحننا اضعف منهم اجساما وعقولا ؟ انهم لو انصفوا ولم يتحزبوا لما عبرونا بأننا قليلات التبوغ وانه لم يسمع باحدانا غيرت قاعدة في الحساب والهندسة مثلا . ولتفضل أحدهم باختبارنا عما استنبطه من تلك القواعد ؟ اوليست قواعد الحساب هي بعينها من زمن اليونان الاول الى الآن ونظريات الهندسة لم نزل تلك التي كان يعرفها قدماء المصريين والرومان . نحن نصرف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم اعمالهم ولكني لو كنت ركبت المركب مع خريستوف كولومب لما تعذر عليّ انا ايضا ان اكتشف اميركا . وحقيقة ان النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة ولكن كان منهن النابات في العلوم والسياسة والفنون الجميلة اي فيما سمح لهن بممارسته وبعضهن فحن الرجال في الفروسية والشجاعة كخولة بنت الازور الكندي فقد عجب منها عمر بن الخطاب واعجب باستقلالها في قروح الشام حينما ارادت تخليص اخيها من اسر الروم ، وجان دارك التي قادت جيش الفرنسيين بعد انكساره امام الانكليز فشجعهم على استمرار القتال واصلت محاربي وطنها حرباً عواناً . ولن أضرب مثلاً بالنساء اللاتي تولين الملك فأحسن سياسته ككاترينا ملكة روسيا وايزابلا ملكة اسبانيا واليزابت ملكة انكلترا وكيلوباتره وشجرة الدر امرأة الملك الصالح وأم طوران شاه التي حكمت مصر فقد يقول معارضونا انه دبره لهن الوزراء وهم رجال على انه لو صح هذا القول في عهد الدستوريين كالمملكة فيكتوريا مثلا أو وللمينا ملكة هولانده الحالية فلا يصح تطبيقه على أيام الحكم المطلق .

اننا الآن في ابتداء القيام بتعليم البنات فقول بعضهم بالاعتصار على هذا وذاك مشط للهمة ورجوع الى الوراء في حين انه لا خوف من مزاحمتنا لهم الآن لاننا لا نزال في الدور الاول من التعليم ولا تزال عاداتنا الشرقية تثبنا عن الاستمرار على الدرس الكثير فليهنوا بوظائفهم وما داموا يرون مقاعد مدرسة الحقوق والهندسة خاوية والطب والجامعة خالية منا فليقروا عيوننا ولينعصوا بالا فان ما يتخوفون منه بعيد . واذا فرض واشتأقت احدانا لتكملة معلوماتها في احدي تلك المدارس فانا واثقة انها لن تقلد وظيفة أو تشتغل خارجاً وانما تفعله لاطفاء شوق النفس للعلم أو الشهرة ولما تفعله . فاذا كنا لم نشغل بالحمامة ولا بتقلد الوظائف الحكومية أفلا تشغلنا عن تربية النشء

الا قراءة كتاب أو خط جواب ؟ أظن ذلك مستحيلا . على أن الأم مها تعلمت
وبأي حرفة اشتغلت فلن ينسبها ذلك أطفالها أو يقدحها عاطفة الشفقة والألمومة بل
بالعكس انها كلما تنورت أدركت مسؤوليتها . ألم ترين الفلاحات والجاهلات يظل
بيكي طفل الواحدة منهن ساعات وهي تسمعه ولا تتحرك اليه . فهل ياترى كان شغل
هو لا . أيضا تحضير القضايا أو الاشتغال بالتحضير والقراءة

ولا يفيظني أكثر من أن يزعم الرجال أنهم يشقون علينا . اننا لسنا محلا لإشفاقهم
وانما نحن اهل لاحترامهم فليستبدلوا هذا بذاك والاشفاق لا يتأتى الا من سليم
لعليل أو من جليل لحقير قاي الصنفين يعتبرونا ؟ تالله اننا لنأقف ان نكون احد هذين
قال قائلهم لا تعلموا البنات من الحساب الا القواعد الاربع لانهن لن يحتجن
لا أكثر منها . فنأين له اننا لن نودع قهودنا في مصرف أو نبيع وثيقة (كميالة) أو
يغالطنا وكيل في قياس قطعة أرض ؟ انه اذا ادعى بذلك تفضيل الرجال على النساء
في علم التكن والرجم بالغيب أيضا قلنا لم تصح هذه الفراسة فقد أظهر الواقع غير
ذلك . أما ما يذهب اليه من تفضيل لغة عن لغة في العلم فذلك مالا أفهمه لاني اعتبر
اللغات كلها نافعة ولو وجدت من يلمني البربرية أو الصينية لتعلمها . اذا كان لا داب
اللغة فان الفارسية والالمانية والانكليزية وغيرها ملائى بذلك . أما تعليم تدير المنزل
وتربية الاطفال فيجب ان نشكر لك كتور نظمي اهتمامه بهما وحبه عليهما

أيها السيدات : العلم منير للعقل على أي حال سواء عمل به أو لم يعمل فماذا
يضرنا اننا لا نشغل بمسح الكرة الأرضية ولا بالسياحة ولكن نعلم مواقع البلاد وأبعادها .
ان الطبيب يتعلم الجبر في تلمذته ولكنه لا يشتغل به في صناعته . كلنا نسمع بأخبار
السياسة والرجال يشتغلون بها ولكنهم لا يتحدثون أنفسهم بأن يولوا مكان ذلك الملك
المقتول أو السلطان المعزول فهل نقول لهم اذا كنتم لن تملكوا في تلك الامم فلا يجوز
لكم ان تعرفوا سياستها وأخبارها . نسمع في هذه الايام ان جيش الدستور في تركيا
زحف من سلاطيك الى الاستانة وان حصن اسكودار تأخر في التسليم ، ألا يحسن بنا
ان نعرف من (الجغرافيا) ما يهيئنا لفهم تلك الاخبار بعد مالا كتبها أفواه الكبار
والصغار ؟ . لو لم يكن للعلم لغة في ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واثقون انهم لن

يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا سائقي قاطرات . وهل تفضل السيدة التي تعرف ان تطبخ البطاطس وتنسق الازهار فقط أم التي تعرفها ايضاً ولكنها تعلم متى يؤكل البطاطس وهل يوافق زوجها المرءى بالسكر او جسمها السمين الذي تريد تضييره وهل وجود اصص (قصارى) الزرع في حبرتها ليلا صالح لرتبتها الضعيفتين ام مضربهما؟ فهذه تعرف تدير المنزل وتلك تعلمه ولكن زيادة واحدة بلم النبات تحفظ لها صحتها وصحة عيالها من التلف فصلا عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم نحن نعلم ان قصص تربيتنا الاولى وتربية اخواننا الشبان لاشك نتيجة جهل امهاتنا فهل نعرف الداء ولا ندأوبه وقد قال الحديث الشريف « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ان المدارس مما اجتهدت في تثقيف عقول النش وتهذيبها فان المنزل له تأثير خاص على الاطفال واذا شعر تلميذ أن امه عالة اولها نصيب من علم فانه يسعى جهده ليربها انه امل لحبها وتقديرها اياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون الصلة شديدة بينه وبينها . فتملنا الحالي ناقص يجب ان يزداد عليه لا ان ينقص منه

أما ما اشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعليم وحقهم ان ينسبوه للتربية . يرى كثيرون أن العلم يهذب ولكني لأعتقد ذلك بل اصرح ان العلم والتربية منفصلان تمام الانفصال الا في علوم الدين فقط . ودائلي على ذلك ان كثيرين من المبرزين والمبرزات في العلوم لا خلاق لهم . وان الكتاب الواحد قد يدرسه مملان مختلفان في فرقين كل على حدة فتعلم الفرقان الكتاب ولكن نجد اثر الهمة وعلو النفس في واحدة ولا نراه في الثانية فهذا ناشئ من تأثير روح العلم في تلاميذه لا من العلم والا فلو كان من العلم لتساوت الفرقان لان الكتاب واحد والعلم لا يختلف .

يظن بعض الناس ان احسن التربية تقيل ايدي الزائرات وتكتيف اليدين خضوعاً ولكن ما ابعد هذا عن الحقيقة . التربية الحسنة هي التي تؤهل الشخص لان يدرك نفسه من سواء وما احزم من قال « ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه » . التربية الحسنة هي التي تعود الانسان من مغرر احترام الغير اذا استحق الاحترام حتى ولو كان عدواً . فالتعلم يفسد اخلاق الفتيات وانما هي التربية الناقصة . تلك التربية

في الحقيقة يجب ان تكون من اعمال البيت لا المدرسة ولا كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التي توصلنا لاحسان تربية الاطفال فقد وجب علينا ان نضاعف مجهوداتنا لاصلاح شأن انفسنا أولاً ثم اصلاح النشء ، ولا يتم ذلك في لحظة كما قد يتوهم ، ومن الظلم ان نلقي مسئولية الفساد كلها على المدارس فان المدرس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها كل الذنب ، بل العيب في الأمر

من عيوبنا نحن النساء اننا لا نكثر كثيراً بالنصح فاذا قامت سيدة تريد تقرير مبدأ أو إظهار حقيقة قال أكثرنا ما لها ولهذا أو ان كانت تغار فتعمل مثلنا وغير ذلك من الألفاظ

ومن عيوبنا السخرية والهكم فكثير ما تنقد من تصادف وتصيب عليه لالعيب حقيقي يستدعي الانتقاد ولكن لولع بالانتقاد في ذاته فرجما انتقدت في ساعة واحدة اثنين على خصيتين متضادتين ولا يمكن ان يكون الشيء وتقبضه متقدماً فاذا رأت امرأة سمينة قالت انها (كالبرميل) وكيف تستطيع الحركة ، وان بصرت بأخرى رفيعة قالت انها كهود الحديد تكسريدها على ساقيها ، واذا وجدت سيدة قليلة الكلام قالت انها متكبرة وان سمعت أخرى تكلم كثيراً عابت عليها وقالت انها تصنع الخلفة

ومن عيوبنا الصلف والاعتذار ، كنت وأنا طفلة أحفظ قصيدة سمعتها ولكنني كنت أخطئ فيها وألحن كثيراً غير عالة بالطبع ما كنت واقفة فيه من الخطأ وكنت زميلاتي الصغيرات لا يعرفن القصائد ولم يسمعن بها فكنت إذا قلها أمامهن عددنني غريبة عليهن ووسمتني بالذكاء فما لبثت ان اغتررت بقصيدتي وصرت أفتخر بها حتى إذا ألقيتها ذات يوم أمام والدي أو أبي خطي وبين لي انها كانت مجموعة تنف من هنا ومن هناك لا ارتباط لأجزائها ولا قافية لها وأعطاني كتاباً فيه شعر فأدهشني أكثر لأنني كنت أحسب أن لا شعر في الدنيا إلا تلك التي كنت استظفرتها فاذا كان تركني ولم يبين لي خطأي فرجما كنت استرسلت في الغرور ، والانسان مما بلغ من العلم فانه لا يزال يقبل الزيادة فيه ومما كبر فيما يعرف فانه

(المآرج ٥) (٤٦) (المجلد الثاني عشر)

لا يزال طفلا ازاء ما يجهل كالبعر تستعظم منه ما وأيت وما لم تره أعظم ، وكيف أصلح خطي إذا كنت لا أشعر به ولا أقبل نصيحة من يراه

يشكو الرجال من تخرجنا في الطرقات وحق لم لاننا خرجنا فيه عن المألوف والجائز ، نحن نزعم اننا نحتجب ولكننا ما بلغنا حجابا ولا بلغنا سفورا ، لا أريد ان نرجع لحجاب جداتنا ذلك الذي يصح أن يسمى وأدا لا حجابا فقد كانت السيدة تقضي عمرها بين حوائط منزلها لا تسير في الطريق إلا وهي محمولة على الاغناق ولا أريد سفور الأوريات واختلاطين بالرجال فانه مضر بنا ، ان نصف ازارنا السفلي اليوم مرط (جونيته) لا يتفق مع كلمة حجاب ولا مع معناها ولا مع الحكمة منه إما نصفه العلوي فهو كالعمر كلما تقدم قصر ، كان الحجاب الأول قطعة واحدة تلف بها المرأة فلا يظهر من هيئتها شيء ثم طرأ عليه تكش بسيط ولكنه كان واسعا يكفي لستر الجسم ثم تقننا فيه فصرنا نضيّق وسطه وتقصر رأسه وأخيرا فصل له كان وصار يلتصق بالظهور ولا يلبس إلا مع المشد ويربط من أطرافه الى الوداء حتى تظهر منه الأذان ونصف الرأس أو أكثره فتبين الودود والرياحين والاشربة المزين بها الرأس ، أما البرقع فأشف من قلب الطفل ، ما الغرض من الإزار؟ الغرض منه ستر الجسم والملابس والزينة اجتناب الزينة التي نهى الله عنها فهل يتفق هذا مع المنزلة الحالي وقد أصبح (فستانا) يظهر التهدين والخصر والاعجاز فضلا عن ان بعض السيدات ابتدأن يلبسنه أروق وبنيا وأحر ، الأولى أن لانسميه منزرا بل (فستانا بطرطور) فانه في الحقيقة كذلك ، وعندني أن الخروج بدونه أحشم لانه على الأقل لا يسترعي النظر ، هل ان مسألة الحجاب قد اختلف فيها الأئمة فإذا كان ثقتن بعضنا هذا يراد به التحيل على الخروج بلا ازار فليس عليهن فيه من حرج اذا كشفن وجوههن بشرط ستر الشعر والجسم وأرى ان أوفق لباس للخارج هو تغطية الرأس بنحو وسدل رداء أشبه (بالباطو) المسمى (Cache pousive) عند الفرنجة على الجسم الى الكعب ويكون طويل الكمين الى المصمدين وهذا اللباس مستعمل في الأستانة كما روت لي إحدى السيدات للخروج الى المحلات القريبة ، ولكن من يضمن لنا اننا لا نقصره ونضيقه حتى نمسكه (فستانا)

آخر؟ وحينئذ تضيق بنا جبل الإصلاح ، لو اتنا مميزات من صغرنا على السفور ولو ان رجائنا مستمدون له لا قررت بالسفور ان تهواه ولكن مجموع الأمة غير مستعد له لان وان كان بعض نساء المائلات لا يخشى من اختلاطهن بالرجال الا اتنا يجب ان نتحفظ على غير المائلات أيضا لاتنا سرعان ما تقاد وقل ان نبحث عن حقيقتنا فيه ، ألا ترين ان تيجان الماس أصلها الملكات والأميرات ، فأصبحت الآن يلبسها المقيبات والراقصات ، ولعل الشعراء يمدلون عن كتابتهم الملكات ياربة التاج فقد أصبحت تلك الكناية شاملة لسواهن ،

على ان تفتنا هذا في المزر الخالي هو في ذاته تقليد لأوروبيات ولكننا فقناهن في التبرج فان المرأة منهن تلبس أبسط ما عندها عند ما تكون في الطريق وتلبس ما شئت في البيت أو في السهرات ولكننا بخلاف ذلك نظل امام أزواجنا بجلباب بسيط جدا ثم اذا خرجت احدانا عمدت لأحسن ثيابها فقيمت وأثقلت نفسها بالمصوغات وأفرغت عليها زجاجات العطر الطيب ، وباليها تقتصر على ذلك بل تجعل من وجهها حائطا تنقشه بالدهان ، وتصبغه بمختلف الألوان ، وتكسر في مشيتها كأنها الخيزران ، فتفتن المارة أو على الأقل يتظاهرون لها بانها فتنة ، اني واثقة ان أغلب هؤلاء المتبرجات يظن ما يفعلن وهن خاليات الذهن من سوء القصد ولكن من أين لرائي ان يبين حسن يقتهن ويظهرهن لا يدل عليه ؟

حجابنا يجب أن لا يحرمانا من استنشاق الهواء النقي ولا من شراء ما يلزمنا إذا لم يقدر آخر على شرائه لنا ويجب أن لا يمنعنا عن تلقي العلم ولا ان يكون مساعدا على فساد صحتنا أو سببا في تلفها ، فإذا لم أجد في بيتي حديقة واسعة أو روضة طاعة الهواء وكنت فرغت من العمل وأحسست من نفسي بآل أو كسل فلم لا آخذ نصيبي من هواء الضواحي النعش الذي خلقه الله لكل ولم يحبسني في صندوق مكتوب عليها « خصوصي للرجال » ، وانما يجب ان نختار الاعتدال ، وان لا نخرج للنزهة وحدنا اجتنابا للقبل والقال ، وان لا نغشي الهويتنا وان لا نلتفت يمنة ويسرة ، واذا لم يكن أبي أو زوجي يحسن اختيار ما أشتهي من الملابس غير الموجود لها عينة يمكن جلبها للمنزل فلم لا بأخذني معه لاختيار ما يلزمي أو يدعني أشتري ما أريد ؟

وإذا لم أجد من يحسن قلبي إلا رجلاً فهل أختار الجهل أم السفور أمام ذلك الرجل مع اخواني من المتعلمات ، على أنه ليس هناك ما يجبرني على السفور بل أنه يمكنني التمتع والاستفادة منه وهل نحن في اسلامنا أعرق أصلاً من السيدة قيسية والسيدة سكينة رضي الله عنهما وقد كانتا يجتمعان بالعلماء والشعراء ؟ وإذا اضطررتي المرض لاستشارة طبيب لا يمكن إحدى النساء القيام بصله فهل أنرك نفسي والمرض وقد يكون خفيفاً فيفضل بالإهمال أم أستشفيه فيشفييني ؟

إن حبس المصرية السائفة تقريط ، وحرية الغربيين الآن أفراط ، ولا أجد أصلح لأن تقبس منه إلا حالة المرأة التركية الحاضرة فاتها وسط بين الطرفين ولم تخرج عما يجيزه الإسلام وهي مع ذلك مثل الجد والاحتشام ،

بقيت أن بعض كبرائنا (أريد كبار الوظائف) يعلمون بناتهم الرقص الأفرنججي والتمثيل وهما أمران أحلاهما مر وأعدهما طرقاتاً ممقوتاً وأسماة في تقليد الغربيين ، لأن العادة يجب أن لا تفسر إلا إذا كانت مفسرة والاماط الغربية لا يقبلها قوم بينهم إلا إذا رأوا ضرورتها وصلاحتها فأبى صلاح لنا من مخاصرة الرجال والنساء ورقصهم مما ؟ أو ظهور بناتنا أمام الراثين (المتفرجين) بصدور عارية يمثان أدوار الحب والخلاعة على (المسرح) ؟ إن ذلك مناف للدين الإسلامي هادم للنفسية مدخل لفساد العادات يتنافسنا أن نحارب ما استطعنا ونظهر احتقارنا لمن تقلده من المسلمات القليلات اللاتي إذا شجعناهن بسكوتنا فانهن لا يلبثن أن يعدين التغيير منه ، وعلى ذكر الحجاب والعادات أذكر كن بمسألة نحن منها السعادة وتكاد تندثر في بيوتنا تلك هي مسألة الخطبة والزواج . يرى أكثر عقلاء الأمة أن لا بد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج وهو رأي شديد لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه يفتاؤون غيره وهو متبع عند جميع الأمم بأسرها والأمة المصرية أيضاً إلا في طبقة واحدة هي طبقة أهل المدن إذا اختلف العروسان عندنا فهو من محاسن الاتفاق (الصدف) . وكيف يمكن الجمع بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم يختبره على أن يقضيا العمر معاً ؟ إن احداثا إذا اتفق ورأت عرضاً في إحدى زياراتها سيدة استقبلت زوجها فاتها لا تصبر على مجالستها فضلاً عن النظر إليها وتسرع

بالتخلص منها فكيف تصبر على مضض الحياة اذا استقلت ايضا بطيها وهي لم يمكنها
التصبر على قتل الغريبة لحظة واحدة في غير بيتها ؟ يشير قوم باتباع خطة الغربيين
من وجوب معايشة الخطيئين زمانا لئلا يمكن كلاهما من استطلاع طبع صاحبه ولكنني اصرح
باستهجان هذه العادة واعتقد انها مبنية على وهم لا على أساس متين . اذ من نتائج معايشة
المتشابهين الالفة ومن الالفة الحب . واذا أحب الانسان شخصا لم ير عيوبه ولم
يمكنه فحص أخلاقه فيتزوج العروسان حينذاك على حب باطل وعلى غير هدى فلا
يلبان ان يتنازعا وتفسلا ويحكما . انما الطريقة التي أود عرضها على سامعكم هي ان
يتراعى العروسان ويتكلما بعد خطبة النساء المتبعة وقبل المقد ويجب ان تظهر
العروس الا مع أحد محارمها وتكون في أبسط لباسها . قد يعترض على هذا الاقتراح
بأن اجتماعا واحدا أو اثنين أو أكثر قليلا لا تكفي بأن يقف الواحد على أخلاق
الآخر ولكنها على أي حال كافية لأن يشر الواحد باجتناب دم الآخر له أولا
على ان من صدقت فراسته يمكنه تبيين الاخلاق من المبين ومن الحركات والسكنات
فيبين ان كان صاحبه متصفا أو طائشا أو سكيئا وغير ذلك . أمام معرفة ماضي العروسين
وبقية أحوالهما فيجب ان يسأل عنها من المطرف والجيران والخدم وغيرهم . وخوفاً
من ان يتخذ الشبان قاسمو الاخلاق تلك الطريقة ذريعة لرؤية بنات الناس من
غير قصد الزواج يجب على الولي ان يتحرى سلوك الخطاب ويدين الجدم من كلامه
قبل السماح له بروؤية ابنته أو موكلته . وربما تستصعبين قول هذه الفكرة والعمل بها
ولكن كل شيء يخال لنا صعباً عند الابتداء فيه واذا مارسناه سهل وذل على اننا اذا
كنا ننتقد بفساد طريقتنا القديمة وتآلم منها ونحجم عن الاقدام على ما نراه مفيداً لنا
مقللاً لحوادث الشقاء في زواجنا فما أشبه يومنا بالأمس وما أشد انما وما ابعدنا
عن قول الشاعر

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد حياة لنفسي مثل ان أقدم

وما الفائدة من تطلنا اذا كنا لا نستطيع تغيير عادة مفسدة لاهي من الدين ولا
من الحكمة وقد رأينا رأى العين سمادتنا المائلة مزعجة تكاد تقتلها منصر تلك
العادة الطائفة ؟ وما مثلنا في ذلك إلا كمثل رجل غرق واشرف على التلف فلما بهر

بقطعة خشب يمكنه انتجاة التماق بها أبى لتلا يكون بها مسمار فيجرح أصبعه فابتلته
اللبة وقد كان يمكنه النجاة لو لم يقدر الخوف من المسمار وما أدراه ان ظنه وتخوفه في
هلهما ولماذا تأتي ان يرانا خاطب بحجة اننا ربما لا نسيجة أو ليست مضرة رغبتنا
فيه أو رغبتنا عنا أخف بكثير من تعاقبنا على الزواج قبل الروثة والانسان لا يفعله
في شراء دابة فكيف يفعله في اختيار قرين .

ان امتناعنا عن ان يرانا الخاطبون صرف كثيراً منهم الى الاوريات فيتحصل
احدهم ان يتزوج من خادمة أو عاملة يعتقد انه سيها معها على ان يقترب بنت الباشا
أو البك الحجابة في (حلبة البخت) وليعذرني صديقاتي الغريات على هذا القول فاني
لا أريد به اهانة لمن واقعهن يعرفن قلنا ان امرأة ذات حسب مرغوبة في شبان
قومها لا تتركهم الى قبي من غير دينها وجنسها فضلاً عن ان كل بلاد لها مدنيها
انظمة بها وقرير أحوال مدنيها لا يقتضي اننا نسيب مدينة الآخرين . قسمنا بالله
لو جاء البارون روتشيلد أو المستر كارينجي الى ابنة كاتب عندنا مرتبة أربعة جنينيات
شهرية (بخطبها) لما رد بغير الخيبة فاذا لم نصل على تدارك هذا الخلل في مجتمعتنا لم نلبت ان
يختلنا نساء القرب ايضاً فنقع في اختلائين اختلال الرجال واختلال النساء وثانيهما
شر من أولها لان الاول اذا كان حصل على غير رضا فإنت الثاني جلبناه بأيدينا
والنساء شديدات التعلق بالاقارب فلا يجد ان تلم كل زوجة منهن اخاها واباها
وابن خالتها وصاحبها حولها فيسدون ما بقي لرجالنا من موارد الرزق فنخرج واياهم
من بلدنا بخفي حنين وان يشأ يذهبكم ويأت بخلق كثير) *

بعض رجالنا يفضلون عنا الاوريات لتديرهن حقيقة ان الفقيرة منهن ترتدي
لباس نظيف مرتب وترين يتقيا على قلة اثاثه نظيفاً مرتباً ، وطعامها لذياً متنوعاً ،
وأولادها مؤدين اصحاء ومع ذلك فقائما قليلة . نرى كل يوم نساء مضابط الانكبايز
ماشيات في الطرق بلباسهن التيل الايض البسيط وأولادهن لا بسين القبعات الجميلة
والاحذية البيضاء ومنظرهم يأخذ بالالب لا يقاربهم في شكلهم عندنا الا أولاد
(الذوات) الذين يتخذهم المريات (والدادات) أما سائر أطفالنا فهم في حالة يرى

(*) لعلها أرادت ان تمثل بالآية « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

لها من الاهمال . ولكن هل من تزوج منهن مصرية تدبر له كما كانت تفعل لو كان زوجها أوريا ؟ كلا . والحس يؤيد ما أقول . فان اغلب رجالا الذين تزوجوا منهن يثنون ويصرخون من تبذيرهن واتباعهن أهواءهن . فالمرأة الغربية تعتقد انها من جنس أرقى من المصري فاذا تزوجته ظلت رئيسة له يعمل بإشارتها وحسبت انه ملزم بالمصرف على ما تشتهي وجلبه لها حتى ولو كان في الصين فهي مدبرة مع الغربي مسرفة مع المصري واذن ضاعت افضليتها من هذا القبيل . و بعضهم يدعي انه يفضلها لانه يمكنها الخروج معه في نزهة وروحائه وغدواته ولا أخن الرجل يحب أن يراقبه زوجته وتلزمه لزوم الظل فإنه داعية للمال على أنه لو كان هذا الرأي صحيحا لما تأخرا كثيرا عن تنفيذه وأنا أول من تقطعه . ولا اجد للمرأة الغربية التي تقبل الزواج من مصري ما يفوقها علينا الا أمراً واحداً لا أراها تحسنه لانا لم نمارسه ولا أريد ان نمارسه ذلك انها ماهرة في اجتذاب القلوب وفي نصب الشباك للرجال فاذا صادت بمركاتهما وغنة صوتهما مصرية فليعلم انها دربت على ذلك في عشرين غريباً قبله . فهل يقبل وفيه غيرة الشرقيين وانقشهم أن تطمسه طيخا حقيقة لذيدا ولكنها انضجت على نار غيره وكرع فيه قبله خلق كثير ؟

و بفرض ان الزوجة الشرقية الراقية قصت قليلا عن أختها الغربية فلماذا لا يرشدها بطيها الى مواضع خطئها بالرفق ويريهما ما يحب وما لا يحب وان أحب شي عند الزوجين المتحددين أن يبذل أحدهما وسعه ليرضي الآخر . فانصراف شباننا للتلقي العلوم الحديثة بأوروبا يجب أن يكون لخبر البلاد لا لشرفها فكما يتعلمون لنفع انفسهم يجب ان يقرنوا ذلك النفع بنفع مواطنهم أيضاً والا فلو اتبع كل واحد يرى عيبا في صاحبه طريقة هؤلاء الشبان لما كان لاحد خل « ومن ذا الذي ترضي معجابه كلها » فواجبهم الوطني يقضي عليهم بأن يدخلوا كل ما يرونه صالحا في بلادهم مع الاستغناء عن الأجنبي على قدر الامكان فصانع الحرير الوطني اذا رأى معاهل أوروبا وسرعتها وجب أن يشتري الآلات اللازمة لسرعة انجاز العمل لا أن يدخل تلك الصناعة بعينها ويقضي على صناعته الجيلة فيكون قد اقتبس شكلا وأبطل آخر فمن اذا اتبعنا كل شيء غربي قضينا على مدينتنا والامة التي لا مدينة لها ضمنية هالكة لا محالة . فشباننا يدعون انهم

يأتون بنساء أوربا لأنهم رأوهن أرقى من نساء مصر اذن يجب ان يحضروا لنا تلاميذ أوربا لأنهم أرقى من تلاميذ مصر وعمال أوربا لأنهم أرقى من عمال مصر لانت النظرية واحدة فإذا تكون الحال لو تم ذلك ؟ وهل اذا سافرت زوجة مصرية لأوربا ورأت الاطفال هناك أجمل بشرة واحلى منظرا من مثلم في مصر أصبح ان تترك اولادها وتأتي بغيرهم من الغربيين أم تجتهد لتجميلهم وتقريبهم من الشكل الذي أصعبت به ؟ واذا كانت أخط فتاة غربية تتزوج مصرية يتبرأ منها أهلها أقدرضي نحن عنها وقد شغلت محل فتاة منازصار زوجها مثالا لغيره من الشبان ؟ أنا أول من يعجب بنشاط المرأة الغربية وإقدامها وأول من يحترم من تستحق الاحترام منهم ولكن يجب أن لا ينسينا احترام الغير منعمة الوطن والمصلحة العامة فوق الاعجاب . وانا في كثير من أمورنا نسير وفق ما يراه الرجال فليرونا ما يحبون وكلنا مستمدات لاسير بمتضاه بشرط أن لا يكون ظلما لنا ولا اجحافا بحقوقنا .

يوئني ان درجة احترام الرجال لنا ليست بالدرجة التي نحب واذا بحثنا وجدنا اننا نحن اللاتي وضعنا أنفسنا في هذا الموضع غير الحسن لان الانسان ينزله الناس في المنزلة التي يختارها هو لنفسه ويسير عليها كما قال زهير «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» لا يكرم المرء نفسه بأن يقول معاذني وخسرني أو البك والباشا على نفسه ببعض الجملاء الذين تصلهم رتب جديدة وانما لا يستبين بذاته فيبينها ويشعر عن نفسه بالضممة فيبينه الغير أيضا فهل نحن نضع أنفسنا في الموضع اللائق بها ؟ كلا . يحكي ان أحد الخلفاء بينما كان يروض نفسه في الطريق اذ سمع صوتا في خربة فأنجبه نحوه فوجد فيها زبالا يقول

وأكرم نفسي اتي ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد يدي
فقال له وأي اكرام لنفسك وأنت تحمل التراب والاقذار؟ قال نعم افضل ذلك لا كفي نفسي مهانة السوءال من مثلك . ان معتقداتنا وأفئالتنا كانت سببا عظيما في قلة احترام الرجل ايانا . أيعتبر رجل عاقل امرأة تعتقد في السحر والشعوذة وكرامة الاموات وتعمل من الدلالات والبلانات بل ومن الشياطين عليها سلطانا ؟ أيجترم المرأة ولا حديث لها الا (فساتين) جارتها ومصوغات صاحبها وجهاز فلانة وأخبار

علامة ؟ هذا فضلا عما انطبع في ذهنه من أن المرأة أضعف منه وأقل ذكاء . ان
 "هاوتنا في هذه النقطة اعتراف بأن حالتنا مرضية فهل هي كذلك ؟ واذا لم تكن فإذا
 يرقينا في أعين الرجال ؟ يرقينا حسن التربية والتعلم الصحيح . فإذا حسنت تربيتنا
 وتعلمنا علما حقا لاقتشور بعض اللغات الأجنبية و (دوري ص قاسول) والعلم يشمل
 أيضا تدبير المنزل والصحة وتربية الأطفال . وإذا تركنا الخلاعة في الطريق جانباً وإذا برهنا
 لأزواجنا بحسن سلوكنا وقيامنا بواجباتنا حق القيام اننا آدميون نشعر وان لنا نفوسا
 لا تقل عن نفوسهم فلا نسمح لهم بحال من الأحوال بإيلاام شعورنا أو بالاستهانة بنا .
 اذا فلما كل ذلك فمن أين يجد الرجل العادل طريقا لاحتقارنا ؟ أما غير العادل فكان
 حريا بنا ان لا قبل الزواج منه .

يرقينا أن نطرح الكسل أرضاً فإن عملنا كثيرا في المنزل هو القعود على (الشيء)
 كل النهار أو الخروج للزيارات كأن رد فعل القعود أدار لو لب أرجلنا ونفتح في شراع
 حبرنا فلم تقو على ضبط جماحنا . والتي تعرف اقراءة متافهم تقضي أوقات فراغها ؟
 في قراءة الروايات فقط فهلا قرأت قانون الصحة أو بعض الكتب المفيدة فتنتفع وتنتفع ؟
 ان انغماسنا في الكسل أو الترف أدى الى ضعف اجسامنا وشحوبنا فيجب ان نبعد
 لنا عن عمل نزاوله في منازلنا . والمثامل يرى لأول نظرة ان الطبقات العاملة هي الاقوى
 صحة والاكثر نشاطا والأنجب نسلا . ألا تربن الى اولاد الطبقة الوسطى والسفلى
 فانهم كلهم تقريبا أصحاب الجسم أقوى البنية أما اولاد (الدوات) فأكثرهم مرضى
 أو متهنئين لا يثرون لأقل العوارض مع ما يندل له آباؤهم من الاعتناء بهم بعكس اولاد
 الطبقة الدنيا مثلا فانهم في اهمال شديد من والدهم . العمل يخرج الفضلات الزائدة
 في الدم ويقوى الفضل ويثبت على النشاط والطبقة أو الامة العاملة يزداد نشاطها فتمتد
 بأبنائها وأن الامة الالمانية لشاعد حسي على ما أقول فان التعداد يظهر ان التسل هناك
 يزداد بسرعة هائلة حتى ضاق ركب ألمانيا بأهلها فأخذوا يبحثون عن أراض يستعمرونها
 ليصرفوا فيها الزائد من السكان والذين زاروا أوروبا أخبروا ان أهل تلك البلد يجدون
 نشطون رجالا ونساء بعكس المرأة الفرنسية فان ترفها الزائد كان سببا في قلة نسائها فضلا عن

انصرف كثير من تلك الامة عن الزواج وقد نجح صوت الاقتصاديين والاجتماعيين في النداء على مواطنيهم بالاعتدال واتباع الطريق القويم

لاحظت وأنا في البادية ان بين نساء البدو ورجالهم كثيرا من الصبائر ممن بلغوا الثمانين والمائة وقد رأى معظمهم أربعة أعقاب من ذريته مع اني لم أرى في القاهرة ولا في المدن الأخرى ما يشبه ذلك ولا شك ان هذا نتيجة عيشتهم الطبيعية واعتدالهم فانهم كلهم مبكرون في كل شيء : في الاستيقاظ وفي النوم وفي تناول الاغذية وكلهم عاملون ولم أر بينهم امرأة واحدة حتى من نساء أغنيائهم تقضي النهار بالكسل كما قضيه نحن فاذا كان الفلاسفة والاطباء يبحثون عن اكبر الحياة فانا قد اكتشفته : هو العمل والاعتدال في المعيشة والعيش الطبيعي . ولعل في هذا القدر عن المرأة كفاية اليوم بقي علينا ان نبين الطريق العملي الذي يجب ان نسير عليه ولو كان لي حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية :

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة
(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولى اجباريا في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علما وعملا وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكلهوفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد
(المادة السادسة) تمويده البنات من صفرهن الصدق والجد في العمل والصبر

وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة المحافظة على مصلحة الوطن والاستثناء عن الغريب من الأشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا
(المنار) نرجي رأينا في هذه الخطبة الى الجزء السادس ولكن لا نرجي الثناء على الخطبة التي كانت في هذا العصر أول مذكرة لنا بخطبات سلفنا من الصعاليات فمن دونهم

باب المناظرة والمهراملة

رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافعي

٤

بحث احاديث الآحاد وهل هي من اصول الدين

قال الفاضل حفظه الله : الكلمة الرابعة يان أسباب ان أحاديث الآحاد لا تقيد اليقين . ونحن نقول هذه دعوى قد سبقه بها كثير ممن لم يمد غوره في طاب هذه المسئلة وكان الأجدد بهؤلاء الباحثين ان يبحثوا عن جرى الانسان النظري الطبيعي اهو مفطور على الصدق والتصديق ام على الكذب والتكذيب ؟

ان من اهن النظر وحققه وجرب الواقع ومحضه يرى ان الانسان مجبول على قول الصدق ومفطور على تصديق كل ماسمع . هذه هي حاله الطبيعية لما نرى ان الصغار الذين هم في حالة السذاجة وعلى الجري الفطري الطبيعي الذين لم تلمهم الحوادث والطوارئ والاحوال المكتسبة لا يكادون يكذبون خبرا ولا يكذبون في خبر . نعم قد نرى من بعضهم في بعض الاحيان ما يشوش هذا انطلق الطاهر كالذهول والقسيان ، لكننا إذا اعتينا هذه النكته السوداء المكدره لصفاء هذا الجبراء الطاهر المستقيم نرى ان ذلك مرض من الأمراض العارضة المختلفة باختلاف أسبابها وباختلاف المتأثر والقابل ، فالنسيان بأقسامه قد يظن بعض الناس انه

لازم طبيعى للبشر وليس الأمر كذلك — وإنما هو مرض أو شبيه بالمرض —
ويصح أن يقال أن كل ما انتقش في الحافظة لا يزول ويمحى بالكلية وإنما
إذا صرفت همه الإنسان وقصده الشواغل فهو يذهل عن بعض ما انتقش في
حفظه فإذا استعجل وترك التفتيش عما في هذه الخزانة المحكمة المصونة ولم يميز
ما يأخذ منها فربما ركب له هذه الحركة الفكرية الخفيفة الغير المنتظمة صورة
بدل صورة أو صورة مركبة مما في هذه الخزانة لما قدما — أولاً أنه ضعف أخذه لها
حين حفظها لضعف قصده ونحوه وحينئذ إذا أراد أن يخبر عن ذلك وقع في
خبره الخلل . ودواء ذلك صدق القصد ابتداء واستمراراً وانتهاءً أي وحينما
يريد أن يحدث بذلك . وذلك يكون بالمراجعة والمذاكرة مع من يشاركه في ذلك
وعلى الأقل بالرجوع إلى نحو كتاب دفعا للطواريء التي تتناوبه وتشوش استمرار
شعوره بالحفظ . يوضح ذلك أن الإنسان كثيراً ما يذكر ما نسيه والوجدان
شاهد ذلك . وكما أن الذهول يكون فيما حفظه الإنسان كذلك يكون فيما يتقاه
ويشاهده في الخارج والواقع . وانتقش الأشياء في الحفظ بمختلف قوة وضعف باختلاف
الاستعداد والنوجه وقوة الاكتساب حين الأخذ . فظهر بذلك أن النسيان ليس
بوصف ذاتي لكل إنسان لا ينفك عنه إذ أو كان كذلك لم نحفظ شيئاً لامتناع
قيام الشيء الذاتي وتقبضه بمحل واحد فلقوة التي نحفظ بها ليست هي قوة النسيان
ولأسببه وإنما النسيان ذهولنا عن تمييز ما حفظناه لسبب ما — مما قدماه — وإذا
كان الصدق والتصديق هو أهل الفطرة فما يمارسه من نسيان وكذب قائما يكون
لأسباب طواريء وعوارض لمن انحرف ومال عن مقتضى الفطرة الطبيعية وقد عرفت
دواء النسيان ودواء الكذب الذي لا يضاهيه دواء هو استشعار خوف الله المطلع
على كل خفية . وعليه فلا يبعد أن تقول يمكن أن يكون مضى على البشر زمان
لا يعرفون فيه غير الصدق والتصديق لعدم أسبابه أو ضعفها . وعليه فما نراه من
تصديق بعضهم بعضاً في جميع شؤونهم هو أثر بقاء ولذا نراهم يستهجنون الكذب
والكذابين حتى رسخت قباخته وصارت من الضروريات واستحسنوا الصدق
حتى صار من المستحسنات وبما قرناه ثبت أن الأصل في أخبار الآحاد هو

إفادة العلم واليقين . ألا ان فساد الأخلاق قد غير من ذلك كثيراً ممن خرج عن
الفطرة وعن الدين . لكن لا يجب ان لا يبقى من ذلك شيء يفيد الصديق اذا كان
الخبر والخبر ممن تهذبت فطرتهم وقوي تمسكهم بالدين مع استعالمهم لجميع الأدوية
المائة لطرو مرض التبيان فليتأمل الناظر

قول الفاضل : ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين » ان أراد ان بعضها لا تفيد
ذلك لضعف حامله اما لانه عرف بالخطا والخطا في أخباره أو لانه كان مظنة
لذلك فهو صحيح في بعض الحالات لا في بعضها الآخر حيث يعلم انه يشارك
الخبر في مضرة الكذب وانه لا غرض له فيه أو انه يخاف عقاب الخبر ان كذب
عليه ففي هذه الصورة قد يفيد خبر الواحد الفاسق الظن الراجح أو العلم لبعض
الناس ولذلك لم يأمر الله برد خبره ولا قوله إلا بعد التبين - وان أراد حضرة
ان كل فرد فرد من أخبار الآحاد وأحاديثهم لا تفيد كل فرد فرد من الخبرين
(فتح الباء) العلم فالواقع والمقل يكذب هذه الدعوى . ولا عبرة بقول من تقدمه
بهذا الاطلاق كثراً من كانت . تقول ذلك اثاراً للحق والحقيقة غير طاعين
في ذواتهم وفضلهم

انه مما قال من خالف ما ذهبنا اليه ومما جود في التشكيك والتشويش مما
يظن انه تحقيق وتديق فانه لا يستطيع ان يخبر الفطرة التي لا يكاد ان يخرج
عنها فرد من البشر مختاراً أو ملجأ وان من خالفنا فانه لا وجود لخلافه لا في الواقع
ونفس الأمر ولا في الاعتقاد وخلافه لا يتحقق بأكثر من الوجود في القول والعبارة .
لأن الانسان ملجأ بالضرورة في أكثر شئونه ان لم يقل في كلها الى من يعتمد
عليه في التعاون ولا واسطة لذلك تقوم مقام الإقناع والتفاهم في الأمر والأخبار
ولا كان الإنسان مدنيا بالطبع كان التصديق في الأفهام والتفاهم طبيعياً له .
ولما كان الارتفاق والاجتماع البشري يشتمل على كثير من العلوم أكثرها ضروري
له فمن اشترط لهذه العلوم غير طرقها كان محصل قوله ونتيجته انكار هذه العلوم
وأهمها الذي من لازمه تفكيك هذا الاجتماع البشري وهو علوم هذا الارتفاق
وهو غلط . ومنشأ هذا الغلط أخذ المتأخر قول من تقدمه أصلاً ثابتاً بدون تقديم

وتثبت فيه كما يقال ان العلم واحد لا يكون بمضه أقوى من بعض أو أنه لا يقبل الزيادة والنقصان أو أنه لا يتفاوت في جزئياته أي لا يتفاوت في من قام به من الأشخاص أو ان الطرق المؤدية اليه شرائطها واحدة وان مقدماتها لا قبل احتمال التغير حتى يفرض المانع الذي لم يتحقق وجوده ونحن لا قبل هذه الأقوال ونحوها على إطلاقها لكن بعد التفصيل والتقييد . فمن اشترط في علم المعلوم تحقق علته وسببه في نفس الأمر وصفاته ولو ازمه كذلك وعدم الموانع كذلك فقد كلف نفسه مالا تطبيقه وطمع فيما يكاد ان لا يكون للبشر فيه مطمع — والمبرة عندنا في ذلك اطمئنان النفس فان كان ذلك كسبياً فلا بد من بذل الجهد في الدليل بحسب الاستطاعة . والحاصل ان المعلوم كثرة والطرق المؤدية اليها كذلك وهي مختلفة وطرقها كذلك ولكل شرائط لا يمكن التزامها في الأخرى فعلوم الاجتماع والارتفاق كالفنات ومتعلقاتها وعلوم الشرائع والأديان وملحقاتها وكذلك علوم الآثار والتاريخ والطب ونحو ذلك لا يمكن كل أحد ان يكتسبها بالعقل أو بالحواس مباشرة ودائماً فلا بد من الوساطة فتشترط فيها ان تكون بما تطمئن النفس اليها لا مطلقاً بل بعد بذل الجهد المستطاع — وبناء على ذلك فمن بلغه حديث ولم يقصر عادة ثم اطمأنت اليه نفسه فقد حصل له العلم واليقين ولا عبرة باحتمالات لم تشوش جزمه واطمئنان نفسه . المسلمون تطمئن أنفسهم إلى هذه الأحاديث المكتوبة عن انبثاق الضابطين والأئمة العارفين فهي تهيد أكثرهم العلم

وتقول لحضرة الفاضل ومن قال بقوله ما د ليكنم على ان احاديث الآحاد لا تهيد اليقين ؟ فإذا قل ان كل فرد من البشر يجوز منه وعليه الكذب والذهول والنسيان ، وكل من جاز عليه ذلك جاز ان ينسى انذبه ويكذب فيه ، واستتج ان كل فرد فرد من البشر يجوز ان ينسى خبره او يكذب فيه . فإذا ترتب على ذلك كبرى وهي وكل من كان كذلك فخير محتمل ان يكون منسياً او محفوظاً وكذباً او صدقاً فالنتيجة ان كل فرد فرد من البشر محتمل ان يكون خبره منسياً او محفوظاً وكذباً او صدقاً . هذا غاية ما يمكن ان يقولوه في الاستدلال وهو كما تراه يهيد ان خبر كل فرد فرد محتمل الصدق والكذب . ونحن لا نسلم صحة الكبرى التي

اسس عليها واهل المنطق لم يقولوا بذلك بل قالوا القضيه قول يصح ان يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب . ولم يتعرضوا لنسبة ذلك الى الخبر فتفكر
وما ذكره القاضل حفظه الله فاما ان يكون مرادها انها لا تفيد اليقين في حد ذاتها
أهم من الواقع والذهن وإما ان يريد انها لا تفيد ذلك في أحدهما . وعلى كل تقدير
فهو ترجيح لأحد الاحتمالين بلا مرجح . لأن لادليله يفيد ولا ينتج الا انه يمكن ان
تفيد اليقين : يمكن ان لا تفيده كما ان صريحه أنه يحتمل ان تكون الاخبار صادقة
ويحتمل ان تكون كاذبة — فالاعتصار على احد الاحتمالين مخالفة وهذا ان سلم
فاما يكون قبل الاختبار والفحص في المعينات الخارجية — أما اذا نظر في ذلك
وفرضناها في الخارج فهي لا تكون الا صادقة او كاذبة . فان قال مرادنا ان ما كان
محملا للصدق والكذب لا يفيدنا احدهما اليقين بذاته فصح قولنا خير الآحاد لا
يفيدنا اتقين كما انه لا يفيدنا قضيته . قلنا هذا لا يصح الا بعد ثبوت وتسليم اشياء
كثيرة فمنها ثبوت ان كل فرد فرد من المخبرين (بفتح الباء) يجب ان يستشر احتمال النسيان
والذهول والكذب وجوازه في كل اخبار المخبرين (بكر الباء) . ودلت القول
بوجوب ذلك ووجوده في الواقع كذلك خرط القناد — لجواز ان يكون فيهم من
لا يستشر ذلك اصلا او يستشرها لكنها تكون عنده ضعيفة بحيث لا تمنعه عن
التصديق بخبر الآحاد لأن الواقع والمشهد ان أكثر الناس يجزم بخبر الآحاد
ويصدقون بها . وما ذلك الا لما ذكرناه وانه دليل على صحة ما قدمناه من ان من
فطرة الانسان وطبيعته الصدق والتصديق وان ما يمر من ذلك من احتمال النسيان
والكذب طواري عارضة نادرة والتأخر قل ان يلتفت اليه في أكثر أمور العامة
وأكثر الناس عامة .

وأیضا هذه الطواري العارضة قد عرف الناس انها لا تكون الا لأسباب إما
اعراض للكذب او تقصير في الضبط والحفظ وما لم يقر احتمال وجودها لا تقوى
ان تكون مانعة للجزم والتصديق بالخبر الى غير ذلك . فان أبي ال مناقشة وقال
لا عبرة بالعوام اذا كان التحقيق عند المحققين ان هذه الاحتمالات عارضة ومانعة
من التصديق باخبار الآحاد . قلنا يلزمك أولا ان كل ما يجزم به العوام من كل ما

ادركوه كذلك ان لا يكون علمي حتم ، وثانيا انا لانسلم اتفاق المحققين على ما ذكرت بل اكثرهم يعطون كل خبر مما يوجد في الخارج ما يستحقه وهم يعلمون ان بعض الخبرين صادقون وبعضهم كاذبون وكذلك اخبارهم . فان سلمنا ان بعضهم يقول ان خبر الآحاد يفيد الظن الراجح او انه لا يفيد العلم فانما يقول ان ذلك شأنه في حد ذاته لا بالنظر الى حال الخبرين والواقع في نفس الأمر . وان اراد بعضهم غير ذلك فقوله عندنا ركيك ولا بد ان يكون فعله وعمله يكذب قوله ولا خير في قول يكذبه فعل قائله

وقول ايضا انا لانسلم الصغرى التي است عليها دليلك لا كلية ولا دائمة . يانه ان الكاذب لا يجب ان يكذب دائما ونحن يمكن ان نميز كذبه في بعض الأحيان واذا كان يجوز ان نعرف ما يحتمل ان يكون كذبا وما لا يحتمل لم نسمح ان تصدق الصغرى كلية دائمة واذا كان يوجد كثير من الناس اهل كمال وفضائل لا يكذبون ونحن نعرفهم بسيماهم وبالتجربة الصحيحة بطل صدق الكذب في أخبار الآحاد كلية فالأخبار التي لا تؤخذ الا من مثل هؤلاء لا يصح ان يفرض فيها احتمال كذب الراوي فهي صادقة وسالمة عن ان يشوشها احتمال الكذب

أما احتمال الذهول والنسيان فقد قررنا انه إما ان يكون سببه مرض طاريء وحادث ومن كان مصابا بمرض في حافظته لا بد وأن يكثر ذهوله ونسيانه ومن كان كذلك حاله فهو يعرف لكل من عاشره وخالطه ، وإما ان يكون سببه قصير في الحفظ والاضط وهذا يعرفه من قارنه وصاحبه في الطلب والتلقي حين المذاكرة والمراجعة . وكل من عرف بما ذكرناه فحديثه مردود عند أهل الحديث الا ان الثاني قد يتقوى بالشواهد والقرائن في بعض الحالات فظهر انه مع قدور طرو هذه العوارض يمكن ان يميز من تكون هذه الاحتمالات في أخباره ومن لا

وتقول اذا صح ان يوجد في البشر من يجب ان يكون صادقا لثقاه وورعه وعدالته ولا نظن ان حضرة الدكتور ينكر وجود هؤلاء بالكلية فاذا سلم قلنا له انه يمكن الاحتراز عن الذهول والنسيان بأشياء وطرق كثيرة - كالمراجعة والمذاكرة والكتابة والدرس والتدريس وكثرة الحاجة الى العمل . وهذه موانع للنسيان ومهمة

على الحفظ مع سلامة المحل وصدق القصد وهذه من الجبريات الذي اتفق على تجريبها كل الناس وشهدوا بصحتها فمن نازعنا في ذلك أنزناه ان يطمئن في جميع الجبريات بل في المحسوسات بلازمات لا محيص له عنها ان شاء الله . فظهر ظهورا لأخبار عليه ان قول المعارض الفاضل حفظه الله ان كل فرد فرد من البشر الآحاد يجوز عليه الذهول والسيان في خبره لا يصح لادائما ولا كلية لافي الخبرين (بالكسر) ولا في الخبرين (بالفتح) ولا في الخبر كذلك كما تقدم واذا بطل دليلهم ثبت ان بعض أخبار الآحاد تنفي بعض الناس العلم وهو المراد

وقول ان من ذهب الى ان أخبار الآحاد لا تنفي اليقين أي العلم فقد خالف البرهان وخالف ما اتفق عليه الناس في جميع شؤونهم . ألا ترى اعتماد كل فرد منهم واطمئنانه الى خبر أبيه وأمه وزوجه وأخوانه وخلاته ، وأقرباه وأقرانه ، وأصدقائه وجيرانه ، وغيرهم . وزاهم برسلون أموالهم مع هؤلاء ومع الخدم والأعوان والأولاد الصغار المميزين اعتمادا ووثوقا بأخبارهم لا فرق بين المرسل والمرسل اليه يكون ذلك مع الاطمئنان الكامل والعلمانية لا توجد مع احتمال النقيض . ان التاجر ونحوه والمرابي البخيل المقتر يعتمد على مثل ذلك في معاملاته ومراسلاته وفي مصدره ومورده من أمواله وثروته التي هي عند بعضهم أعز عليه من نفسه فلولا حصول العلم الذي تعلمت اليه نفسه لم يقدم على فعل مافعل وترك مترك اعتمادا على أخبار لا يثق بها بل هي تحتل الصدق والكذب ، ومثل من ذكرناهم جميع البشر في جميع شؤونهم فإذا رأينا من يشكك بالقول دون الفعل يدي احتمالات قد تصدق على بعض الأخبار بعد تعيينها فهل يصح ان نقول يجب ان تكون جميع الأخبار كذلك في الواقع تحتل ذلك أو ان نقول انه لا يوجد من يصدق بأخبار الآحاد وتفيده اليقين وهل يجوز لنا اعتماد قول هذا القائل لاسيما اذا كان قوله يخالفه فعله؟ وهل يوجد فرد من البشر سليم العقل لا يحصل له العلم ولا يعتمد على خبر الآحاد في جميع حالاته

نحن لا ننكر انه يكون في بعض أخبار الآحاد ما يفيد الظن بل بعضها لا تنفي أكثر من الشك وبعضها تقطع بكذبه الا اننا لانكابر الواقع ونقول ان كل فرد

فرد دائما لا يفيد العلم واليقين مطلقا لما عرفت انا ان قلنا بهذا القول فقد أسأنا الظن بأفراد الانسان كلهم حتي الأمراء والعلماء وأثن جزمنا بذلك فمع مخالفتنا للعقل قلنا لا يمكننا ان نعيش بينهم ببشرة طيبة .

ومن الأدلة على ما ذكرناه فوق ما تقدم ان الله أرسل أكثر رساله فردا فردا ولم يرسلهم دفعة الى الناس كجمع التواتر الذي يزعمه التواترية وما ذلك الا لأن خبر الآحاد الذي ذكرناه قد يفيد العلم

فان قيل ان الرسول مؤيد بالمعجزة قلنا ان التأيد بالمعجزة انما يكون في بعض الاحيان . وأيضا ليست هي شرطا في الارسال لانها انما تكون اذا وجد الجاحد المكذب أو من حصل له الشك أو نحوه . أما على قول التواترية فذلك لا يصح ومن لازمه ان لا يحكموا بايمان من آمن برسول من رسل الله عليهم السلام الا بعد ان يرى المعجزة أو غيره بها عدد التواتر ويتحقق انها معجزة لأن ماسوى ذلك لا يفيد العلم واليقين . ولكنه خلاف المعلوم بالضرورة من سيد الانبياء عليهم السلام وخلاف ما علمناه بالضرورة من تلقي البشر عنهم وتصديقهم والايمان بهم وبشرائعهم .

أفليس من المعلوم ان الرجل الواحد من البدو والاعراب وغيرهم كان يأتي الى رسول الله (ص) فيؤمن به ورسول الله (ص) يحكم بايمانه واكثر أولئك وغالبهم لم يروا معجزة ولم يسألوا عنها غاية ان بعضهم له فراسة تدله على ان هذا الرجل (ص) صادق لأنه يدعو الى البر والعدل فبذلك حصل لاكثرهم الايمان . وبعضهم حلف النبي (ص) واكتفى بذلك حيث اطمانت اليه نفسه وأولئك أعلى المؤمنين بعد الانبياء ايمانا حتي انهم بذلوا أنفسهم يتفقون فضلا من الله ورضوانا وتكون كلمة الله هي العليا

ان من يشترط التواتر في افادة الاخبار العلم واليقين يلزمه ان يقول ان مثل هؤلاء السادات لا يصح ايمانهم وانهم لم يحصل لهم ايمان . ونحن لا نقول ان حضرة الدكتور يقول ذلك ويلزمه لا هو ولا من واقفه من العلماء الذين يقولون ان اخبار الاحاد تفيد الظن ولكننا نقول ان اختياره ذلك تبعاً لم هفوة من لازمها ما ذكرناه وما استلزم الباطل فهو مثله ويجب الرجوع عنه

وقول أيضاً لو صح ما قلتم لم يصح ان يوصف احد من افراد البشر غير
المصومين بأنه صادق لان التكلم بغير الواقع في الاخبار لا يكون صادقاً واقول
بذلك يناقض ما دل عليه القرآن الكريم مثل قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين)
واخبر بأنه ينجي الصادقين بصدقهم فوصفهم بالصدق وأنه ينجيهم بصدقهم الموجود
ومدح الذي جاء بالصدق والذي صدق به وان الصدق ينفع يوم القيامة ومدح
الصادقين والصادقات و ذم وتوعد الذي يكذب بالصدق اذا جاء والذي يعرض عن
الصدق . وبعض هذه الآيات هي وان كان سبب نزولها خاصا لكن في المدول
الى الألفاظ العامة ما يؤيد ما تقرر عند أهل الأصول — ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب : فظهر بذلك ان الصادق والصدق الذي هو العلم موجود وأنا
مأمورون بقبول ذلك واتباعه وما ذكره الله مما قدمناه انما هو الصادق والصدق من
الآحاد ولو كان العلم واليقين والصدق لا يحصل الا من اخبار الجموع المتواترة لم
يصح ان يوصف الواحد والاثنين بل ولا المدد الممين بصفة الصدق وهذا بين البطلان
عرفاً وعادة وقلاً وعقلاً

لا نفري ما المنذر المقبول لمن سمع قوله تعالى « كونوا مع الصادقين » اذا رد
خبر الصادق الذي قد عرف صدقه وأنه من الصادقين المدول ؟ فان قبل كيف
نعرف انه صادق — وصدق الشخص في بعض الامور مما يصح ان يحتج علينا ؟
قلت قدما الكلام في انه هل يمكن ان نعرف الكذب والكاذب ام لا وسيأتي
مزيد كلام عليه اما كون الشخص ممن عرف بالصدق فذلك بين وهو لا يسمى
صادقاً الا بعد ان يعرف بالتجربة ويتصف بالتقوى — لان التصديق والايان
قد اعتبر معرفتها بالدلائل الظاهرة وذلك من باب الاستدلال بالآثر على المؤثر
وبلازم الشيء على الشيء — كما قال تعالى « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن
الى الكفار » الآية ونحن لا نعلم ما في القلوب لكن لما كان الايمان بالانبياء وشرائعهم
من لوازمه اشياء ظاهرة يتعين ان لا يوجد بعضها الا بسبب الايمان ماغ ان يستدل
بها على وجود الايمان فكان العلم بها علماً بالايمان

وقول أيضاً ان الله جلّ وعلا كما أمرنا بأن نصدق الصادقين لم يأمرنا بغير

الفاسق بمجرد سماعه بل أمرنا بالتين كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية وفي ذلك من الحقائق الدقيقة والجليلة ما لا يقدر قدره الا من رزقه الله الفهم في كتابه كما قال بعضهم كأنه تعالى يعلمنا ويرشدنا الى قواعد هي من أصول العدل وانفع خلال الاجتماع والارتفاق وأعظم أسباب الفطر والسلامة فهو تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) هو أمر بالتين والتبصر في خبر الفاسق صراحة والى ما شاركه ومآله من بعض الوجوه اشارة وما ذلك الا لان الفاسق قد يصدق فلا يليق ان يهمل خبره بالكلية بل لابد من التنبه والحزامة والاستعداد فلا تبقى في غفلة وسبات وما اضرت بنا ولا نصده فيما يضر بمن أخبر عنهم لئلا نتدم على ما فرط منا ولا ننحصر مودة اعدوان وانصار ونحوم والتين والتأني في نحو ما ذكرناه هو كالاقتصاد في الاخذ والعطاء ونحوه من أمور الثروة والاقتصاد

قلت ولما كان الخبر لا يخلو اما ان يكون معتبرا في الرواية وهو الثقة الضابط أولا يكون كذلك وهو الفاسق في الاخبار والرواية وإما ان يكون بين بين وهو غير المعروف حاله فالتأني صرح بحكمه في هذه الآية ولما كان مفهوم حكم الفاسق يتناول الشينين الذين ذكرناهما لم يوجب التين والتأني بل ترك ذلك الى عرفنا وما تطمئن اليه أنفسنا وهذه حكمة بالغة في تأسيس القواعد فهم من حكم واقعة شخصية معينة في القرآن . ومن جهة أخرى نحن اذا عرفنا حكم الفاسق فكأنه نبه به على حكم مقابله وهو الضابط الثقة العدل لانه قد انقصر في الفطر والعقول ان الشيء يعطي قبض حكم مقابله وذلك مقتضى التقابل . ومفهوم الأمر بالتين اما النهي عنه كما عرفت وهو حكم التقابل وإما التنبه الى عدمه وإما الأباحة وإما الارشاد الى ان حكم ذلك راجع الى العرف وما تطمئن اليه النفس كما قدمنا ذلك وعلى كل تقدير فمفهوم هذه الآية مخالف لما ذهب اليه حضرة الفاضل من أن أخبار الآحاد لا تقيد اليقين أو انها قيد الظن المذموم وذلك ظاهر لا تطيل بتفصيل وجوهه نحن اشرنا الى الاحتجاج بعمل رسول الله (ص) وسائر الانبياء عليهم السلام في إرسال الآحاد لتبليغ عنهم وتلك حجة لا مناص لمن يشترط التواتر في ذلك عنها وحضرة الدكتور الفاضل لم يجب عن ذلك ولا عن غيره بجواب شاف قاصدا

قولك ان أولئك كانوا نوابا وولاية امور ولأمر الرسول (ص) فليس الأمر كذلك بل فيهم من ليس كذلك . ولو سلم فليس طاعة ولاية الامور في الدينيات بآكد من طاعة العلماء . بل المعروف من دين الاسلام ان من لم يعلم شيئا فالواجب عليه ان يسأل أهل العلم لا فرق في ذلك بين امير ومأمور على انه قد دل القرآن الكريم على وجوب الدعوة الى دين الله وقد تواتر عن النبي (ص) الأمر بذلك وقد اجاز وامر بالتبليغ عنه اجازة عامة لكل أحد بشرط ان لا يكذب عليه وكل عالم هو في الحقيقة نائب في التبليغ عن النبي (ص) وطاعته فيما يبلغ عن الله وسوله (ص) واجبة أما قول الفاضل فوجوب طاعتهم انما هي لأنهم ولاية امور . فجوابه اننا لم يكن بحثنا في وجوب الطاعة وانما البحث في التصديق بالخبر في امر ديني محض ومن المعروف شرعاً انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق على انه قد اختلف المفسرون في المراد من أولي الأمر في قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فمنهم من قال هم الامراء ومنهم من قال هم العلماء

أما قوله ان الرسول يمكن أن يعلمه الله بالوحي فيتدارك الخلل في أقرب وقت الى آخره فنقول هذا لا يمنع استدلالنا على وجوب العمل باخبار الآحاد ، لأنه اذا وجب التصديق على المرسل اليهم او من بلغهم الحكم فاستدراك ذلك بالكذب والمنزل ونحوه لا يضرنا في الاستدلال لأنه على كل تقدير قد وقع للمخبرين (بالفتح) العلم بخبر هؤلاء وعلى الأقل وجب عليهم العمل بذلك وهو المطلوب . وقول ايضا انه لو لم يبين بالوحي كذب هؤلاء كن مات النبي (ص) وهو على ولايته ايتري ماذا يفعل الناس ؟ اليس من لازم ذلك انك ألصقت بالدين مهمة شنيعة وهي وجوب طاعة الامراء في كل شيء حتى الدينيات المحضة وهذا مما لم يوجهه لانفسهم الامراء المستبدون وانما يتدخلون في هذه الأمور بتوسط فتاوى العلماء فياخذون الاحرار وبالبشرى المستبدين من رواج هذا المذهب ولنكتف بالتنبية على مثل ذلك لظهور فسادهم فان دعت حاجة عدنا بالتفصيل التام لهذا المقام ان شاء الله

وقول ايضا انه قد تواتر النقل الذي لم يشذ عنه فرد من الأمة الاسلامية ان الاصحاب الكرام (رض) قد احتجوا على من بعدهم وبعضهم على بعض بما رووه

عن النبي (ص) قال كان العمل لا يجب بخبر الآحاد ولا يلزم التصديق به لم يسغ لأحد منهم الاستدلال والآنكار واللوم إلا إذا كان معه عدد كثير يويدون خبره بأن يكونوا مثله قد سمعوا ذلك عن رسول الله (ص) وحيث لم يكن ذلك لا من الخبر ولا الخبر (بالفتح) علم أن من اشترط التواتر في وجوب العمل بالأخبار قد خالف طريقهم التي درجوا ومضوا عليها وأمرهم الله ورسوله (ص) بسلوكها في التبليغ ولو كان ما زعمه حضرة الدكتور الفاضل صحيحاً لا نسد باب التبليغ عن الرسول (ص) قال حضرة الفاضل في الكلمة الرابعة أولاً قد يكون الراوي كذوباً لكنه منافق ومتظاهر بالصالح إلى آخره . وأقول إن أراد أن ذلك يكون بكثرة أو أن الرواة المشهورين يمكن أن يكونوا كذلك فقوله غير صحيح ولا يلتفت إليه من أخذ من فن الرواة والحديث نصيباً . وإن أراد أن ذلك قد يكون شاذاً ونادراً وإن أهل الحديث يعرفون ذلك فذلك مسلم وقد وجد من هذا حاله ليشكك المسلمين في الرواية وغيرها وقد أخبر بذلك النبي (ص) لكن أهل الحديث قد عرفوا هؤلاء وكشفوا عن حالهم ومن كان بهذه الصفة هو مما بالغ في التستر فلا يمكنه أن يروج حديثه عليهم لأنه لم يعرف بعد الفحص إن أحداً من أئمة الحديث اعتمد ووثق من بأن حاله كذلك فمثل من هذا حاله إنما يمد إلى العوام حيث يكون بعيداً عن العارفين من أهل الحديث فحديثه لو وجد فأنما يوجد فيما يتبعونه من الشواذ المناكير ونحوها التي إذا كتبوها يرددون لها كتباً مخصوصة لئلا يضر بها أحد من العامة في العمل بها أما في الرواية المعتبرة عندهم فمثل ذلك معروف تركه ومن عرف طريقة المحدثين في الأخذ والتحصيل والاداء وشرائطهم في الرواية والرواة الذين يطلقون على ما رويوه الصحة والتحسين يعرف أنه لا يمكن الدخيل أن يدس فيه كذباً أو يروج فيه زوراً ومن ذا الذي يمكنه أن يمضي كل عمره في التستر وكتمان جميع أسرارته حتى من أصدقائه وخلائه الذين يمكن أن تفلت على أحدهم ساقطة من أمره . أنه لا يمكنه إرضاء الناس كلهم ليستروا عليه لاسيما أهل الورع . على أنه إن كان لأحد الناس القدرة على ذلك فإن لأهل الحديث طرقاً يعرف بها حال أمثال هؤلاء . لأن من شرط الراوي الثقة أن يكون معروف الاسم والنسب والذي لا يعرف كذلك هو مجهول عندهم . وأما ما يرى من

ان بعض الرواة غير منسوب في بعض كتب المحدثين فذلك نادروهم لا يكتفون بذلك الا فيمن عرف عندهم حاله ومن تبع ذلك عرفه

ولهم طريق أخرى في معرفة المتستر المشار اليه وذلك بمعرفة بلده ومنشئه — وأخرى ان يكون ممن عرف بالطلب والأخذ عن أهل هذا الفن المشهورين قال بعضهم ادركت بالمدينة مائة كليم مأمون لا يؤخذ عنهم الحديث يقال انهم ليس من أهله — وأخرى وهي ان لا يكون ما يرويه مخالفا لما رواه المعروفون عن ذلك الشيخ — وأخرى وهي انه لا بد ان يكون الراوي ممن عرف بانهم والمعرفة وكثرة السماع والمذاكرة — وأخرى وهي ما اذا كان لذلك الشيخ رواية فشرط ان لا يتفرد برواية شيء دونهم — وأخرى ان لا تكون في مروياته نكارة . أقول والمناقض الذي يريد ان يشكك المسلمين ويشوش عليهم دينهم لا يسلم من وجود النكارة في حديثه لان ذلك غرضه الذي تظاهر بالصالح والتقوى لأجله وان لم يفعل ذلك فقتله لم يعد عليه بفائدة فظاهر ان ما يسمه أهل الحديث بالصحة وما يعتمدون عليه في الاحتجاج لا يصح ان يوجد فيه ما يروى عن المناهقين ولا ما هو مكذوب لا أصل له — وفوق كل ذلك لطف الله وعفوه عن الخطأ والنسيان « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا » وقد صح ان الله قال قد قبلت

اما تجوز كون بعض الرواة قد يخطئ المراد اذا حدث بالمعنى فجوابه انهم ورحمهم الله لم يهملوا ذلك بل اشترطوا لتحديث بالمعنى شروطا لا يمكن لأحد منهم ان يروي الحديث بالمعنى بدونها — فمنها ان يكون ممن عرف بمعرفة معاني الحديث ذا اقتدار على اختيار الألفاظ العربية الصالحة لذلك فان قيل كيف عرف انه فعل الواجب المشروط . قلت لأنه ثقة ضابط من أهل الصدق والایمان فهو يتحرى الصواب تدينا وخوفا من الله تعالى فلا بد والحالة هذه ان يروي ما هذا حاله اما بالشك — أو انه اذا أوجس من نفسه قصورا في التعبير يصرح بان هذا قل بالمعنى كأن يقول أظن معناه كذا وحينئذ ينظر حال الراوي المذكور فان كان ممن عرف بالمعرفة مستكلا لشروط قبل حديثه والارد . وفوق كل ذلك نعرف خطأه ان اخطأ في التعبير بالمعنى بان تنظر في الأحاديث التي رواها عن شيخه غير هذا

الراوي فان وافق معناها معناه والا عد حديثه من الشواذ أو المناكير فلهذه طريقة
فوق ما تقدم تشرط عندهم في من يحدث بالمعنى وبها يعرف خطأه اذا ضفت
معرفة المشروطة بعض الضعف وبذلك يكون مطمونا فان كثر ذلك منه تركا .
فلا خوف على الحديث من الكذب ونحوه وقد تاه الأئمة الكبار والحفاظ الأبرار
وكثروه بعد التحري وكال الفحص مطابقا لشرائطهم ول بعضهم شرائط أكثر من
غيره وما ذكرناه هو المجمع عليه عندهم وهذه الكتب الذي كتبوها قد قلنا عنهم
الأئمة قلا عاما وأجمع أهل العلم بمد الفحص على أكثر الصحيح ووسموا كل
حديث بسنة وبنوا حانه وقرروا البعيد لمن يريد به غاية السهولة وبما ذكرناه يندفع
كل طعن يمكن ان يقال

قال وقد ينسى شيئا مما سمع ويقع في الغفلة بسبب ذلك بدون ان يشعر به . وقد
قدمنا الكلام على مسألة النسيان . وقول اولاً ان الأئمة الحفاظ الثقات والعدل
الاثبات لا يكاد مسلم يسي الغفل بحيث ينهمم باهمال ما سمعوه من حديث رسول
الله (ص) بان يرضوه للذهول والنسيان لانا نعلم ان من اعتنى وتعهد ما سمعه
بالذاكرة والمراجعة ونحوها كالكتابة فاذا حدث مع كمال الاحتياط والأناة والثاني
والثين لا يقبل العقل عدم شعوره بالنسيان البعيد التوقع ان وقع — علما ذلك
بالتجربة الصحيحة المطردة التي اجمع عليها البشر كلهم كما قدمنا الكلام على ذلك
ان من يقع له السهو في أمر ما فانا جازمون بانه لم يقع له ذلك الا بتقصير وقع منه
قلبتهم نفسه . ولذا قلنا غير مرة ان الراوي الثقة ان وقع له سهو نادر فهو يذكروا المروي
بالشك ما لم يتبين

ان من لم يكن بالحالة التي عرفت ليس هو عند أهل الحديث من الاثبات
فهم لا يأخذون بحديثه ولا يصححونه ولا يقبلون مروياته — فما فرضه القاضل انما
يكون في غير رواية الحديث الصحيح المحتج به فالإيراد ليس في محله . وليس رجال
الحديث الصحيح الا مثل من قد جربته من خلانات الذين طالت صحبتك معهم
حتى عرفتهم وعرفت صدقهم ونصحهم . فاذا ارسلت أحدهم لاء برسالة تلقاها منك
حتى حفظها ثم لم يزل يرددناها على لسانه وقلبه فان كان له شريك فهو يتذاكر في ذلك

معه او تصفحها في مكتوب عنده اقلا يكون مطمئنا بخبره عنك من عرف حاله مثل
مرفقك ؟ فاذا كان خبر مثل هذا مما تطمئن النفس اليه ، ولا تقبل التشكيك فيه ،
فما بالك برجال قات ضباط علماء اقباه حفظوا حديث رسول الله (ص) وجعلوه
شغلهم لا يرحلون ولا يقيمون الا في خدمته وحفظه وتلقيه مما يشوبه قد انقطعوا
لذلك ووقفوا انفسهم عليه بالكتابة والمراجعة والمذاكرة والدرس والتدريس والدعوة
اليه والاضل به يأمرون بامره ، ويتنهون وينهون لنبيه ، صدقوا بخبره ، ووعظوا
واتقوا بعبده ، امتلأت قلوبهم رهبة وخوفا من مخالفته ، والكذب عليه (ص)
معتقدين انه هو الدين ، الذي هو حق اليقين .

فان قيل هذا معروف ولكن الكتابة كانت تادوة في زمن الصحابة . قلت ان
كثيرا من الصحابة كان يكتب او يستكتب والبعض الآخر مع كمالهم في الحفظ
والاحتياط زيادة عن غيرهم قالذي يروى عنهم قليل بالنسبة الى الكثيرين الذين
يكتبون منهم والذين تبعمهم باحسان (رض) فذلك اقليل لا يمكن ان يحدثوا به
مع الذهول بدون ان يشعروا بما فيه من الخلل والفساد وليس ما تراه من الاحاديث
هو مرويا عن واحد منهم وانما هو مروى عن مجموعهم . اما ما قلناه الفاضل حفظه عن
عمران بن حصين (رض) فهو لا يدل على مدعى الفاضل وغايته ان صح ان يكون
جرحا في من عناه على انه يحتمل التأويل لانه لم يبين الجرح ولا وجه جرح معين
وعمران المذكور (رض) قد حدث عن رسول الله (ص) باحاديث كثيرة

قال ان حفظ الاحاديث اذا كانت طويلة - الى قوله - عسير جدا وخصوصا اذا اُلقيت
مرة واحدة . وأقول لم يوجد حديث واحد من الاحاديث الصحاح طويل جدا مفرد
حتى انه يندر ان يوجد فيها ما يقارب المنهل من سور القرآن في الطول والنبى (ص) لم
يلاق عليهم هذه الاحاديث دفعة واحدة ولا الرواة يأخذونها عن المشايخ كذلك بل
كان النبي (ص) يتخولم الموعظة وتارة قد يعيد لهم معنى ما حدثهم به في الايام الماضية
فمن سمع ما كان قد سمعه تذكره وأثنته ومن سمع جديدا حفظه هو أو غيره وكان
(ص) يكرر الكلمة حتى يقولوا ليه سكت وعادته المطردة انه كان يكرر الكلمة

ثلاثاً لحفظ عنه وهم رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون ويتذاكرون ما تعلموه منه (ص) وكانوا يجلسون لذلك في المسجد حلقاً وكان يتناوبون الحضور لاختلافهم عنه (ص) وإذا غزا كان يأخذ من كل فرقة منهم طائفة ليخبروا اخوانهم اذا رجعوا اليهم . مع ذلك كله هم أذكى العرب وأصلحهم اذهاًنا وغير خاف ما امتاز به العرب من قوة الحفظ وصفاء الالذهان والذكاء المفرط حتى انهم كانوا يحفظون القصائد الطوال التي تنشر في المواسم مرة واحدة لأول وهلة فهل يستبعد احد أن يحفظ الواحد من الصحابة (رض) الجملة القليلة من الاحاديث التي كان يلقونها عليهم الرسول (ص) متفرقة في أيام وسنين وأعوام كثيرة وهم بالصفة التي عرفت وهم مع ذلك لا يزالون يذكرونها تارة من نفس قائلاً (ص) وتارة من اقرانهم واخوانهم وأصحابهم للعمل والارشاد وغير ذلك كما تقدم . والاحاديث انما رويت عن مجموعهم (رض) على أن المكثرين منهم قد صح انهم كانوا يكتبوا واستكتبوا ما سمعوه وحفظوه عن رسول الله (ص) وبعضهم عن بعض وكتابهم لم تكن ككتاب يصنف في هذا الزمان وإنما كانوا يكتبون ذلك وقعات كلما سمعوا شيئاً كبيره وبعضها أشبه بدفاتر التجار اليوم — فاعتراضات حضرة الفاضل الثاني والخامس والسادس هي في الحقيقة ليست بواردة على ما عندنا من احاديث النبي (ص) وإنما هي واردة على احاديث فرضية قدرها الفاضل في ذهنه وليس الحقيقة والواقع في الرواية عندنا إلا ما عرفناك فائقه ولا تغفل هذه الاعتراضات هي أشبه شيء بما اذا رأى بعض الناس بناء عظيماً كمنارة وقال كيف نصبت هذه ومن الذي حملها فنصبها دفعة واحدة، فإذا أخذ هذا العجب قائماً ذلك لعدم علمه ولو درى انها انما بنيت بالتدريج لم يكن كذلك كما يقال إذا عرف السبب زال العجب هذا وإنه ليسوئنا من حضرة الفاضل حفظه الله ايراد مثل هذه المغالطات مع علمه بما ذكرناه ونحن لم نكن نظن انه بهذه المثابة وكذلك عجلته على ما ذكر من انه يريد ان يطبع رسالة فيما نحن بصدده تبلى ان تتم المناظرة ويقين له الصواب من الخطأ فارجو من حضرته ان لا يطبع ذلك إلا بعد انتهاء المناظرة وبعد ان يتكلم مع شيخ الاسلام السيد محمد رشيد رضا لا جل ان يصلح ما شاء ان يصلحه — على ان الدين الحق لا يقدم انصاراً والله المستعان (لها بقية)

أثر منار النبوة

التقرير والانتقاد

﴿ كتاب دلائل التوحيد ﴾

لقد من الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين القاسمي ليكون فيها واسطة من وسائط الاتصال، وحلقة من حلقات الاتصال، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون، وبين المستقبل الذي يفتده المتبصرون، ويسمى إليه المصلحون، فهو بصير في العلوم الإسلامية المتداولة في العصر، متطلع إلى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل عصر، مجيد في الانتقاء من رديتها والانتقاء من جيدها، حريص على الاستفادة منها والإفادة بها، وهو يدرس ويطلع، وينسخ ويصحح، ويصنف وينشر وآخر ما وصل إلينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام ألفه في سنة ١٣٧٥ وطلب في سنة ١٣٧٦ وهو في أسلوبه ومباحثه، صدق لما قلناه آنفاً في وصف مؤلفه، لم يقذف فيه المتكلمين كالسنوسي وواضي الشروح والحواشي لمقائده ومن حاكمهم من المتأخرين الذين صارت كتبهم كالشعب بتلاوتها، على علاتها وعدم كفايتها، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه، ويجعله خلوا من كلام غيره، بل أورد فيه زبدة مما طالع في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والنصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والغزالي والعز بن عبد السلام وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والماوردي وجمال الدين الخوارزمي والمرتضى البجلي صاحب إشار الحق، والمتأخرين كالاستاذ الامام ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا القالب الذي اشتهر به وإنما يشير إليه بكلمة «حكيم»، أو حكيم من المتأخرين. وقد قل أيضاً عن المنار ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه بل يشير إليه ببعض الألقاب

كما فعل في الهامش بعد سوق الدليل العشرين . وما ذلك إلا لأب اسم الشيخ محمد عبده أو محمد رشيد رضا أو المنار كانت في زمن السلطان عبد الحميد تخريب الديار ، وتسوق إلى البوار ، أما مقاصد الكتاب بالأجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته « الخطبة في فصل إقامة البراهين لتأييد أصول الدين ثم تهديدات في سر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الإيمان من الايقان وفي تمثيل انمحاء الباطل لظهور آية الحق ، وفي أن النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك » ثم مطالب الكتاب وهي أربعة : المطلب الأول في الأدلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلاً وفي طلبها فوائد جمة ، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي كاستعالة اكتناء ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والاتحاد وغيرها ، المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالها جميعاً بالحجج القاطنة وفي مقالات من الطبيعيين تقرب من الثلاثين ، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كآيات النبوة واثبات الخوارق علماً وبيان المنه على العالمين بيعة خاتم النبيين وكون القرآن أعظم الخوارق وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشماله المؤيدة لقبوته والمبرهنة على عموم رسالته ثم الخاتمة في قائمتين « اهـ »

وصفحات الكتاب مئتان بل تزيد ، ولم يتيسر لنا إلا مطالعة القليل منه ، فمسي إن يكون منزلاً لتقليد المقلدين ، ومراقبة لاستقلال المستعدين ، وعن النسخة منه ثمانية قروش

❦ العقائد الدينية . للناشئة الإسلامية ❧

كسب وجيز للشيخ محمد عبد اللطيف خضير من علماء دمياط طبعه في هذا العام وأهدانا نسخة منه ورغب إلينا بأن رأينا فيه عند ما تسمح لنا الفرصة بمطالعة شيء منه فنقول إننا رأينا فيه شيئاً من المعنى الذي أشرنا إليه في تقرير الكتاب الذي قبله من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة كسرد الصفات العشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج عنه بالرة . ولعل السهولة فيما استقل فيه فائدة دوقارب وجاء ببعض مسائل ودلائل

نظرية تناول على افهام الناشئين الذين وضعه لهم ولولا رجوعه في ذلك الى بعض الكتب المتداولة. لكان يسهل عليه ان يأتي بما هو اصيل منها واقع أوليت اقتباسه من كتب المتقدمين كان كله كاتبا من رسالة التوحيد . وجملة القول انه من احسن ما كتب لتعليم المبتدئين وثمن النسخة منه قرش واحد وهو يطلب من المكتبة الصومية بدمياط فسي ان ينال ما يستحقه من الرواج والانتشار

تحفة الانام . في مختصر تاريخ الاسلام

ألف هذا التاريخ في أواخر حياته الشيخ عبد الباسط الفانودي مقي يروت رحمه الله تعالى وهو يشتمل على مقدمة وجيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين وفي الامويين والعباسيين والصفويين . وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة ابراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكبيرة ومسألة الوهاية كما يذكر في أخبار سلطنة عبد المجيد حرب القرم وحادثة جده وحادثة لبنان . وهو مختصر ليس في الايدي مثله ولا ما يعني عنه فسي ان يتم نشره . ويباع في مصر بمكتبة المارچ مجلداً تجليداً يرونيًا بمائة قروش مصرية . ومن أراد عدداً كثيراً منه فليطلبه من المكتبة الاهلية بيروت واتنا نقل هنا كلامه في الوهاية قال رحمه الله تعالى ما نصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهاية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب (؟) وهو رجل ولد في الدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز طلب اولا العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ من علمائها حتى اتسمت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (۱۱۷۰) ثم ادته المصيبة الى الاجتهاد فانشأ مذهباً مستقلاً وقرره للامدته وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و«بني عتبة» من ارض «البحرين» ولم يزل أمرهم شائعا ومذهبهم متزايدا

وجاعثهم تكثرت الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطمأ سراجهم وبدد شملهم واخفى ذكركم وقد توفي زعيمهم سمود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بصدان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم واعتقادهم :

اعلموا وحكم الله أن الخليفة ملة ابراهيم أن تعبد الله مخلصا له الدين وبذلك امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة كما قال تعالى : (ما كانت لهم شركين أن يصروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضرر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى : (ومن اضل ممن يدعو من دون من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير) ان تدعوه لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فاخبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعما أنه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الى أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله . أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو ايضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أي التشيع عليهم بمعرفة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(أولها) ان يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدير لجميع الأمور والدليل على ذلك قوله تعالى : قل من يرزقكم من

(المآرج ٥ م ١٢) قول متي يروت من قبل في دعوة الرواية ٣٩١

السما والارض أمن ملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فيقولون الله قل أفلا تتقون * وقوله تعالى * قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * يقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * يقولون الله أفلا تتقون * قل من يملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * يقولون الله قل فأنى تسعرون * إذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الأمر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم ترجعوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

(القاعدة الثانية) انهم يقولون ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله تريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم . وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الثالثة) وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقتلهم حتى يكون الدين كله لله . وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الرابعة) وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله ، فإذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي أخف شركاً من هؤلاء مشركي

زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهو لا يدعون مشايخهم في الشدائد
والرخاء والله أعلم بالصواب ، اهـ

وهذه الرسالة والقواعد التي أنسبها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هذا هو
الدين الذي جاء به النبي والآباء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ،
لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة ، وأتبعه قومه من بعده فأفرطوا
وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تنقيص وتحقير ما عظمه الله
وأمرنا بتعظيمه ومحبيه وتوقيره وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين حتى
قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم كما وإن أكثر الموام من
جهة المسلمين قد نالوا وأفرطوا وابتعدوا بدعاً تخالف المشروع في الدين القويم
فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموات معتقدين أن لهم التصرف
بأديبهم النعم والفقر ويحاطبونهم بخطاب الربوية وهذا غلو في الدين القويم وخروج
عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين المقالي والمقصر)
وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو أن الحب لله وفي الله والحب مع الله
ينهما فرق من أهم الفروق وعنه تعلم جمل وخطأ الرواية وشيخهم فإن الحب لله وفي
الله هو من كمال الإيمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقتلهم عليه
النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والفرق بينهما أن الحب في الله والله تابع لما يحبه الله
كحب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس لأن الله
يحبهم ويحب من يحبهم ويعظمهم ، والحب مع الله على نوعين نوع يقدح في
أصل التوحيد وهو شرك عبادة الأوثان والأصنام والانداد من المشركين لأنهم
عظموا وأحبوا مع الله ما يفيضه الله ، والنوع الثاني يقدح في كمال الاخلاص
والتوحيد ومحبة الله ولا يخرج عن الاسلام كحبة ما زينه الله للنفوس في النساء
والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرف فان محبتها طبيعة ومحبة
شهوة كحبة الجائع للطعام والغالان للماء فان أحبها لله ليوصل بها اليه واستعانت على مرضاته
وطاعته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث : حب الى من دنياكم الفناء
والطيب ، وإن أحبها لمراقبة طبيعته وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن يقصر من

(المناج ٥ م ١٢) رسالة المحبوب في الوفاية . الامام علي الناز ٢٩٩٣

كأن محبة لله والمحبة فيه وإن كان حبها مراده ومقصوده وقصدتها على ما يحبه الله
ورضاه منه كان ظالما لنفسه متبعاً لهواه فالأول محبة الساجدين والثانية محبة المتصدين
والثالثة محبة الظالمين فتأمل ذلك وما فيه . فانه معترك النفس الامارة والمحسنة والله
تعالى يوفقنا وإياك والسلام . اهـ ولم يذكر مثلاً للحب مع الله وكأنها كتبتى بعامزاه منته إلى
أكثر عوام المسلمين من الغلو في الصالحين وحبهم لهم كحب الله وهو عين ما ينكره
الروحية وما الظن انهم كانوا يهتمون بذلك جميع أفراد المسلمين ، والا كانوا يجاهدين

رسالة المحبوب . من باب الانتباه على القارئ

أرسل إلينا بعض علماء تونس رسالة كان كتبها رجل اسمه السيد عمر المحجوب التونسي
في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في زمنه وطلب منا ان ندين رأينا
فيها ، فتصفحناها هي وما ألقى بها في نحو من نصف ساعة فلم نجد فيها شيئاً يزيد
على ما تلوكه العامة في هذه المسائل وعلمنا من الذيل الذي ألقى بها انها طبعت معه
بعد الحادثة التي وقعت معنا بدمشق في آخر رمضان من السنة الماضية لتكون رداً
علينا فيما شاع من أن سبب تلك الفتنة تأييدنا لمذهب الوهابية . فإرحمنا طوله
الجهلاء المساكين الضعفاء الذين تهيجمهم الأكاذيب إلى إظهار جهلهم وطاعة انقيالهم
العدائية لمن هو لهم صديق غير عدو وان كانوا لا يميزون

قد علم الخواص والعام ان حادثة الشام لم تكن مقاومة لمذهب الوهابية ولا انتصارا للسنة
السنية وانما كانت انتصارا للاستبداد على الدستور، وايقاراً للظلمات على النور، وان خطيبي
فتتها الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي قد حاولا مع رؤسائهما من مدبري
تلك الفتنة إثارة فتنة اعظم منها باسم الاسلام اذ نشروا تلك الجمعية القسادية التي اطلق عليها
(تمويها وخذاعا) اسم الجمعية المحمدية، لذلك اختفيا عن الانظار، ووليا الأعداء، لما نصر الله
الدستور، وخذل القروء، وأنشأت الدولة العلية تحاكم زعماء الفتنة، الذين كانوا يجرضون على
الثورة، ثم ظهر الخطيب فاستنطق ورفع أمره الى الاستانة. ومعلوم ان صالحا التونسي
من دعاة أبي الهدى دجال عبد الحميد الذين كفى الله المسلمين شرهما (والعاقبة للمتقين)
واننا ندعو صاحب الذيل الطويل لتلك الرسالة هو وجميع من على رأيه من

(الجلد الثانی)

(2)

(۱۰۰)

علماء تونس الى المناظرة جبراً فيما يزعمون ان النار أخطأ فيه بأن يذكروا المسألة التي يزعمون انها خطأ والدليل من الكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس على ذلك مع التصريح بأسمائهم ونحن نجيب عن اقوالهم ونجعل اهل العلم والفهم في المشرق والمغرب حكماً يتناوب بينهم . وانما نشترط ان يصرحوا بأسمائهم لتعلم قيمة الحق منهم والمبطل في الحال ، ويحفظ التاريخ ذلك لاعتابهم في المستقبل ،

على ان صاحب الذيل المشار اليه لم يذكر مسألة الاجتهاد من خطأ النار الا مسألة تطهارة العطر الا فرنجي والكحول وكذا ما سماه تحليل مقولة الفسق والمضروبة على الرأس ولبس القبة الا فرنجية - المسائل الثلاث التي كانت موضوع فتوى الاستاذ الامام مهندس بن قان فرضنا ان ما كتبه النار فيها كان خطأ فليدلونا على كتاب من كتب الفقه او الحديث أو التفسير ليس فيه مسائل كثيرة متقدمة لخالفها للكتاب أو السنة أو لما رجحه العلماء الآخرون المخالفون لأولئك المؤثرين لها في اجتهادهم او فهمهم

اذا كان صالح الترنسي وعبد القادر الخطيب الدمشقي قد تصديا للفتنة بدمشق يباعث السياسة وهما يطمحان انهما باغيان غمطان فيحتمل ان يكون احد جمال الدين صاحب ذيل هذه الرسالة حسن النية له شيء من العذر بمجهله . وهل يرجي من مثله ان يفهم دقائق مباحث النار الاجتهادية وهو الى اليوم لم يفهم معنى العبادة بل اتبع فيها الشيخ المحجوب الذي لم يعرف كيف كان اساس دعوة الاسلام النهي عن عبادة غير الله تعالى الى عبادته وحده كما نيته قريباً ؟ فكيف يتكلم في مثل شيخ الاسلام ابن تيمية الذي لم يسمح الزمان له بنظائر اما رسالة الشيخ المحجوب فليس فيها شيء الا وقد سبق لنا تحريرها في النار ولا يفهم العامة وروؤساؤهم من اصحاب المآثم من اعادة القول في يات مواضع الخطأ فيها الا ان النار يتصر للرواية ، على ذلك الشيخ الذي ينسب الى ما لا يفهمه من السنة السنة ، وما كان النار ليتصر لمذهب من المذاهب او يتعصب لفتنة الفتات . إنما يؤيد الكتاب والسنة ويحكمها في اقوال المتقدمين والمتأخرين . وأما أمثال هذا الممرض المسكين فان قصارى علمه ان يحفظ كلمات من بعض شيوخه المعاصرين او المؤثرين المتأخرين الذين ليس لا كثرهم من العلم الا نسخ كتب القدماء ، مع زيادات يستميلون ببعضها العامة ويمضوا الآخر الملوك والامراء ،

يظهر ان الشيخ المحبوب كان ممن يبرعونهم بالأدباء ، ولم يكن من العلماء ،
 فقد ظهر في رسالته تشييره في الهجاء والشتم ، وقصوده في مسائل الدين والعلم ، وهو
 لم يذكر في رسالته كلام خصمه ، فيوازن بينه وبين رده ، فنكتفي إذا بالإشارة إلى
 بعض خطاه وضعفه ، ليعلم انه لا يوثق بعلومه ، مع عدم تعرض خطاه لخصمه وصوابه ،
 قال في (ص ٤) في رد انكار خصمه ما نقله العامة عند قبور الأولياء والصالحين
 من الاستغاثة والتوسل والتعظيم « ماذا الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد » أو أن يأتي
 إليها مطلقاً لما تعظيم العابد ، أو أن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام ، وإن يبدعها
 بركوع أو سجود أو صيام . ، وتقول ان هذا القول يدل على ان المحبوب لم
 يكن يعرف الواقع الذي عليه الجم الغفير من العامة أو انه يعرفه ويقول غير ما يعلم ،
 وانه لا يفهم معنى العبادة بل يتوهم انها عبارة عن الصلاة والصيام وسائر التكاليف
 الشرعية فقط كما قال مقلده صاحب الذيل في (ص ١٩) في قوية رده: « وما دري (أي
 ابن عبد الوهاب) ان العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة
 سواء كانت مقولة المعنى أو تعبدية » وقد جهل صاحب الذيل كصاحب الاصل
 ان أول شيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ان يعبد الله وحده وان
 لا يعبد سواه . دعا إلى ذلك قبل ان تشرع التكاليف العملية من الصلاة والزكاة
 والصيام فهل يصح ان يقال ان المراد بالشيء عن عبادة غير الله تعالى هو ان تكون
 التكاليف التي منشرع بالتدريج خاصة بالله تعالى ؟ هل يصح ان يكون معنى العبادة شيئاً
 لم يكن مروقاً ولا مشروعاً ؟ يا حشرة على المسلمين ، الذين ابتلوا بأمثال هؤلاء المؤلفين
 على ان أمثال هؤلاء الضملاء يذرون إذا جهلوا معنى العبادة لأن من كانوا
 يستطيعون تحديد الحقائق من العلماء عدوا معنى العبادة من البيهات فليتهموا بيانها
 ولذلك لم يشهر عنهم قول في تحديده . وأما الأقوال المشهورة فيه عن الثوريين وغيرهم
 فليست حدوداً بل لا يبلغ بعضها ان تكون رسوماً تامة أو ناقصة وقدينا ذلك مرات
 كثيرة ومنه ان أعظم مظاهر العبادة الدعاء وفي حديث البراء عند أحمد وابن أبي
 شيبة وأصحاب السنن « الدعاء هو العبادة » وفي رواية ضعيفة للترمذي من حديث
 أنس « الدعاء : مع العبادة » وهل يكابر أحد في دعاء الألف والملايين من عامتنا الموتى من

الصالحين إلا إذا كان لا ينجل من إنكار المحسوسات؛ ألا تنهم لا ينكرونه ولكنهم يؤثرونه لهم بانهم لا يقصدون به العبادة وإنما يقصدون التوسل !! الفاظ بلوكونها ولا يفهمونها ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «الدعاء هو العبادة» أي هو اقرب الأعم من أفرادها ، والركن الأول من أركانها ، كقوله «الحج عرفة» فتجوز دعاء غير الله كتجوز الصلاة لغير الله بدعوى عدم قصد العبادة وتسميتها توسلا أو ما يشاء أهل التأويل من الأسماء قال المحجوب (ص ٤) «وأما ما جنحت إليه» وعولت في التفكير عليه ، من التوجه إلى الموتى ، وسؤالهم النصر على العدو ، وقضاء الحاجات ، وتفرج الكربات ، التي لا يقدر عليها الرب الأرحم والرحيم والسعوات ، إلى آخر ما ذكرته موقدا به نيران الفرق والشتات ، قد أخطأت فيه خطأ مينا ، وابتغيت فيه غير الإسلام ديناً ، فإن التوسل بالخلق مشروع ، ووارد في السنة القوية ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفعمة ، وأدله كثيرة محكمة ، تضيق المباحق عن استقصائها ويكل البراع إذا كلف باحصائها ، ثم ذكر أثر استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وحديث طلب عمر الدعاء من أويس القرني ، ومسألة الشفاعة ، والرواية لا ينكرون أثر الاستسقاء ولا الدعاء ولا الشفاعة ، وتب ابن نعمة التي هي عمدتهم في هذا الباب مثبتة لهذه المسائل مينة لها أتم بيان وهم يحتجون بها على الذين يدعون أصحاب القبور فيقولون أن عمر والصحاب لم يدعوا العباس أن يسقهم الفيت كما يدعوا جمهور عامة الأموات أن يقضوا لهم حاجاتهم . وإنما كان توسلهم بالعباس هو جعله اماماً لهم في الاستسقاء فصلى بهم ودعاهم آمنوا على دعائه ويقولون انه ورد فيه ان عمر رضي الله عنه قال « اللهم انا كنا نتوسل اليك بيننا وانا نتوسل اليك بهم نينا فاسقنا » وهذا دليل على ان الميت لا يتوسل به وان كان حياً عند الله تعالى . وأقول ان المسألة ليست من باب ما يسمونه اليوم بالتوسل وهو ان يدعى غير الله تعالى ويطلب منه شيء ما وإنما هو استسقاء كما تقدم . ويحتجون به من وجه آخر وهو دعاء العباس الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وهو اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة » وهو نص في ان كشف الضر لا يكون بسبب الأشخاص وإنما يكون بالتوبة الى الله والرجوع اليه وحده . وفي الحديث روايات لا تصح (لها بقية)

باب الاخبار والآراء

(جمعية الاتحاد والترقي)

استحسن القلاء في سورية ما كتبناه في الجزء الثالث من مجل ما يتقدم الناس على هذه الجمعية وكتب اليها غير واحد يقول ان المتدينين من أعضاء الجمعية أنفسهم استحسنوه وعدوه من النصح الخالص . وقد استنكره آخرون مع ما عهدوا من تأييدنا للجمعية في المناظرات والخطب زيادة عما يكتب في المنار . وقد يندر المستنكر لذلك اذ لم يكذب يصل ذلك الجزء الى سورية الا وقد ظهرت خفايا ثورة الاساتذة وعلم الناس انها دبرت في « يلدر » لمحو آية الدستور وإعادة استبداد عبد الحميد الى شرما كان عليه ، وفر أعضاء الجمعية الى سلايك مستنصرين مستنصرين يفضون غيرة الموت قتلا وغيلة عن رؤوسهم

نعم اننا كتبنا ما كتبنا قبل ظهور تلك المكيدة ولما قبل طبع الكراسة الاخيرة من ذلك الجزء علمنا بيمض بواد الفتنة فاشرنا اليها به هو صريح في الميل الى الجمعية والدعاء لها بالانتماء . ومع هذا كله نرى ان التعريف بما ينكر الناس عليها وما يقولون فيها ضروري لاسيما ممن يحمده سميها ولا ينكر فضلها

اتنا لخصنا الكليات التي يرجع اليها انتقاد المتقدين من غير موافقة لم على كل ما يتقدونه وسكتنا عن بعض الجزئيات التنظيمية التي هي من قبيل تعيين بعض الاشخاص والأعمال المنكرة . وهل تؤمن عاقبة اشخاص يعملون بقوة في مملكة واقعة في اشد الحرج وهم لا يستلون ولا يتقدون ؟ وقد كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض رأيه في السياسة والحرب حتى يرجع عنه ، فهل كانت الجمعية اجدر بالتقديس منه ؟

اتنا قد صرحنا هناك بفضل الجمعية علينا في الانقلاب وإنما ذلك الفضل لأفراد ربما كان العمل الآن في أيدي غيرهم ممن لم يكن لهم عمل قط في الانقلاب وقد دخل في الجمعية خلق كثير منهم من لا اخلاق لهم ولكنهم أصحاب دهاء أو حظ — على ما يقال — وقد ينتخب بعضهم للجنة العليا العاملة . كما ان اللجان المركزية في

بعض البلاد فيها من يعرف ومن لا يعرف ممن لا خلاق لهم ولا عرفان ولا إخلاص
فهل يقول عاقل ان مصلحة الأمة أو مصلحة الجمعية أن تعد الجمعية مقدسة في جميع أعمالها؟
وقد أيدناها أيضاً في ذلك المقال من حيث الحاجة الى بقائها وتأييد الجيش
لها إذا حدث ما يخشى منه على الدستور مع اعتزاله للسياسة في عامة أحواله فهل
فوق هذا التأييد من تأييد؟ على انه تبين ان الجيش حام للدستور على كل حال
انه وأيم الحق قد راعنا عندما عدنا من سوريّة الى مصر ما سمعناه من
أحرار الترك وسائر الصّليانيين من الانكار على الجمعية في تصرفها وعلنا ان الانكار
والاستياء في الاستانة أشد فحشاً ان ينتج ذلك مما لا تحمد عاقبته إذا لم تداركه
الجمعية ، فكان ذلك هو الباعث لنا على كتابة ما كتبنا وما كنا إلا ناصحين

(طنين المؤيد في الدولة العلية الدستورية)

ظهر المؤيد بمظهر الساخط المذقت للحكومة الدستورية في الدولة العلية وقد كادت
تقضي السنة الأولى لما وهو يكتب عنها بقله وأقلام بعض محرريه ومكاتبيه مشرء باسم
وما يقرأ ، ومشرء ما يتخيل ويتصور ، وقد أرضى بذلك بعض الأغوار من المصريين
التخدوعين بما كانوا يقرءون في الجرائد من إطراء عبد الحميد ، ولكنه أسخط العقلاء
وخواسب الأمة المصرية حتى اتنا سمعنا بعض الكبراء الذين يعرف صاحب المؤيد
صدقهم واستقلالهم يقول انني لم أر أحدا من الخواسب يهذر المؤيد على خطئه هذه
وقد اختلف رأي أهل التعليل في سبب اختيار صاحب المؤيد لهذه الخطة
فقال بعضهم إنه قد أسخط في سببه الأخيرة جمهور أهل بلاده من جميع
الطبقات حتى الأزهريين وهو يعلم ان حسن الظن بعبد الحميد خان غائب فيهم
فأنشأ يدافع عنه ويعلن في الحكومة الجديدة ليستميل بذلك الجمهور الساخط ومن
هو لا من يقول ان الجمهور أسخط على المؤيد لتذبذبه واتباعه لمراد دون مصلحة الأمة
ومنهم من يقول بل لا اعتداله في الكلام عن الحكومة والمحتابين وهذا هو الأقل
ويقول آخرون ان سبب اختيار المؤيد لهذه الخطة هو اتفاقه مع عزت باشا
العبد وغيره من اعوان عبد الحميد على اسقاط الحكومة الدستورية واعادة الحكم

الحيدى السابق ولما خلع عبد الحيد وأخرج من عاصمة السلطنة كان الاصرار على الانتصار له من دعوى الثبات على الرأي

ومن الناس من يقول ان المواطنة بين عزت العابد وحزبه انما هي على تأسيس دولة عربية وخلافة جديدة . وقد تنصل الموثيد من هذا ولعن من يسمي اليه

ومنهم من يظن أن صاحب الموثيد يخدم بذلك انكذرا التي تحب ان تمحو نفوذ الدولة الديني من مصر والهند وان جامعتها في أوروبا وان لهايدا في فخر يكسب خط مسلمي الهند على الحكومة العثمانية الجديدة ، وهذا إغراق في سوء الظن

ومنهم من يرى ان صاحب الموثيد لما كان يعلم ان جمعية الاتحاد والترقي تعتقد انه من جواسيس الحكومة الحيدية وشيعة عزت العابد لاسيا بعد ان أظهر ضلعه في أول العهد بالانقلاب وميله الى الماضي وانها لا بد ان تتخذ خصما وعدوا - هاجها هي وحكومتها بقوة لها لتخافه فتسعى الى استماته فلا يجرم من الكرامة في الاستانة وسورية في كل مصيف

ومنهم من يرى انه لعله بما كان من فلك عبد الحيد خان بالدولة والامة اعتقد منذ حدث الانقلاب أن الدولة لم يبق فيها رفق فتنهض بحكومة دستورية فإما ان يعود عبد الحيد الى استبداده وإما ان يسقط الدولة بتدمير الماضي وكيد الحاضر فصار يكتب ما يكتب وهو يظن ان الايام ستصدق به مثل الدولة وسقوط الدستور أو ما هو أعظم من ذلك فيظهر بمظاهر السيامي الخبير والمحج القير . ويظن أنه لا يبعد ان يكون سمع من كبار الاجانب أو عنهم بنفسه أو بواسطة عزت العابد شيئا من هذا المعنى لان الاجانب شعروا بالدهائس التي كان يدبرها عبد الحيد واعوانه واعتقد الكثيرون منهم ان قوة الدولة ستكون قسرين يتصادمان فيتساقطان وقد أعدوا لذلك عدته . ونحمد الله ان كذب هذا التشاؤم

لماذا تضاربت الظنون واختلفت الآراء في إنهاء الموثيد على الحكومة الدستورية في الدولة العلية ؟ أليس لأنه كان في زمن عبد الحيد يدافع عنها بالحق وبالباطل فيخفي عيوبها ويجعل سيئاتها حسنات ؟ نعم ومن العجب ان يعكس الأمر الآن فينجي عليها بالحق وبالباطل ويجعل حسناتها سيئات

يقول انه يعتقد بحقيقة ما يكتب . و تقول لماذا لم يختر من الحق الا ما يسوء
 ويضر نشره ، ومتى كان السامي سوفيا صترها يقرر العقائد كما هي مهارتب عليها ، أليس
 عند هؤلاء الصديقين من الاسرار الباطنة ما لا يجوزون نشره ، لانهم يخشون ضرره ؟
 يقول انه يعتقد بهذه الشدة التفع بإرجاع جمعية الاتحاد والترقي عن غرووها الذي
 براه ضارا . تقول ولماذا يخفى عليه غرووه في هذه الدعوى فيتوهم ان هذه الجمعية
 تنتظر جريده العريية لترجها وتعمل بزعمائها وهي لم تخل بما قام في وجهها من
 الاحزاب والكتاب الذين هم أبلغ منه قلوبا وأعلم عكازا لاتقاده ، ولماذا خفي عنه الآن
 عما كنت أعده كفيري عذرا له في دفاعه عن الحكومة الحيدية وهو ان اظهار سينات الدولة
 وعيوبها بسقط منزلها من نفوس المصريين وغيرهم من قراء المؤيد فيكون ذلك
 ضيفا لها على ضعف ؟ أليس إسقاط نفوذ الدولة الآن أشد ضررا من إسقاطه في
 العصر الماضي عصر الظلم والتخريب والتدمير ؟ بلى ان خطة المؤيد الجديدة بخشي
 ضررها ولولا ان الجرائد التي تناقضا في القطر المصري نقسه أوسع منها انتشارا
 لاضلت وأضرت الجمهور وما يرجوه صاحب المؤيد من التأثير في نفوس لجنة جمعية
 الاتحاد والترقي لا يوازي هذا الضرر لو حصل على انه بطن الدولة لالجمعية وحدها
 ان خطته هذه قد سلته أنفس حلية كانت له في أنفس المسلمين لاسيما مسلمي الدولة العلية
 الذين يهتم لهم سائر مسلمي الأرض وهي انه صاحب الجريدة الإسلامية العربية الكبرى
 التي تدافع عن الخلافة والسلطنة وتؤيد نفوذها والآن نرى الجرائد الثمانية في عاصمة
 الدولة وولا ياتها تنطق بلسان واحد شائعة ان المؤيد عدو الدولة والخلافة عدو الدين
 والملة وقد احرقه جماهير الناس في بلاد كثيرة حتى بلاد الحرمين ونادوا بإسقاطه
 وما كان أغناه عن التصدي لهذه العاقبة التي لم تكن في حسبان

نعم ان صاحب المؤيد صار من عدة سنين على غير ما كنا نعهد منه : صار لا يبالى برأي
 احد ولا بنصحه ولا يحسب للعواقب حسابا ويرى ان الدنيا كلها اذا قامت عليه اليوم
 فانه يسهل عليه ان يستميلها اليه غدا ، ولكننا رأينا هذه الشاكلة قد أضرت ولم تنفعه .
 هذا هو رأينا ان كان يقبله وهو يعلم اننا لا نقول الا ما نعتقد ونتمنى لو يقدر بالفعل على استيالة
 الدولة العلية والامة الثمانية بما يكتبه بعد فيرجع عن اجتهاده ذلك الى ضده والله الموفق

فَقُبِّرَ جَمَادَى الَّذِي يُسَمُّونَ أَتَقُولُ فَيُبْنَوْنَ أَحْسَنَ
أَوَّلَكَ الَّذِي عَدَاهُمْ إِنَّهُ وَأَوَّلَكَ هُمْ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

الملك

١٣١٥

بِوَقْتِ الْمَكِينَةِ مِنْ بَيْتِهَا وَمِنْ بَيْتِهَا الْمَكِينَةُ قَدْ وَتِي
بِهِمَا كَيْفَا وَمَا يَسْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

حَقَّقَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ مَعْرَى وَ مَنَارًا م كُنَّاو الطَّرِيقِ

(مصر - السبت - سلخ جمادى الآخرة ١٣٢٧ - ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

فَتَاوَا الْمُبْتَائِنِ

فمننا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمزاً من امتنا خيراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا فناءه

(الهجرة وحكم مسلمي البوسنه فيها)

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنه ()

بعد السلام عليكم يا فضيلة الأستاذ الأكرم ، والعلامة الفهامة الهام الأوحده حجة الاسلام ، وامام أهل الحق وفخر الأنام ، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق ، والبحر التحرير الفيلسوف الحكيم المدقق ، الاديب اللبيب ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياء بأحسن الحياة ، أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وقررة أعيننا ورسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المهتدين بهداه والذين اتبعوهم باحسان الى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحين بان واحداً من علماء الأستانة قد اتفق ان أتى وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فمن جملة ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة النكاح ونحوه بعد ما ألحقت النمسا وضمت (ولاية البوسنه وهرسك)

(ان السائل من المخالين في حب النار وصاحبه فهو بطرنا بالألقاب والنسب التي نفضل من ذكرها وإنما نشرها عملاً بما جرينا عليه اخيراً من نشر الاسئلة بخصوصها كما جرى عليه علاناً من قبل الا من اذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللفظية

إلى أملاكها وملكها . وشدد أيضاً فقال بدم صفة أركان الاسلام تحت حكومتها
مطلق الصلوة فالجمعة داخلة في ذلك ونحو الصيام والحج والزكاة ، فاضطرب منه
أكثر من سمع ما قال اضطراباً شديداً ، فلما منهم بان حقيقة الامر كما قال :

فيا سيدي ومولاي وقرّة عيني ويا ناصر الحق والسنة ، ويا قاصم البدع الدينية
الذليلة الشنيعة ، ويا كاشف الغمة عن هذه الامة المرحومة ، ويا مقتدى الامة ، وقُدوة
الائمة ، ويا رحمة الله لهذه الامة الخفيفة ، أرجو من حضرتكم ، ان تفضلوا بالجواب
الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتمت بالكتاب والسنة السنية ،
مع البراهين والأدلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار
المنيرة ، أدام الله ضياءه الى يوم الحشر والقرار ، وبك في عمر سعادة صاحبه وعاهله نحو
ما عامل المقرين من عباده المتقين ، وجزاه نحو المجزي المحسنين من عباده الخالصين ،
انه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، الداعي والمستدعي

قارئ المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار

المنير وصاحبه ومحبيه وعدوه وعدوهم وبغضهم العبد الضعيف النعيف

المقبر الفقير الى رحمة ربه العلي القدير تراب اقدام انصار الحق محمد

ز . ه . د . تارا بار من طلبة المدرسة القيسية بمدينة تراونيك (بوسنة)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لا يجب

الهجرة وجوباً عينياً على من كان متمكناً من إقامة دينه آمناً من الفتنة فيه وهي الإكراه

على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قاله عائشة فهي البخاري

انها سئلت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر دينه الى الله ورسوله

مخافة ان يمتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يعبد ربه حيث شاء » والأصل

في المسألة آية « ٤ : ٧ » ان الذين توفاهم الملائكة « وستأتي » وفيها أحاديث وآراء للعلماء

نذكر اهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب

السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح

ولكن جهاد ونية واذا استنفرتهم فانفروا » وروى مثله عن عائشة في الصحيحين

وروى احمد والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبدالله بن السمدي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « لا تقطع الهجرة ما قوتل العدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب الفرار على من استفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لأجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عبد الله عند أبي داود والترمذي « أنا بري من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليقه ذلك بقوله « لا تراءى ناراهما » فقد صحح البخاري وأبو حاتم ومخرجاه وغيرهم إرساله إلى قيس ابن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل الخلاف المعروف في الأصول ورواه الطبراني موصولا . وهو لا ينطبق على أهل بوسنة لأنهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للإسلام سياسة خاصة في مشركي العرب . وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشترتا إليه في الجزء الماضي وهو أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تقطع الهجرة ينقطع التوبة ولا تقطع التوبة تنقطع الشمس من مغربها » وهذا الحديث قال الخطابي « اسنده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في أحكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المستفي في الجمع بينها قال : وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم لهالة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى من يؤذيه من الكفار فأنهم كانوا يهذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت « أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلاد به دار إسلام فالأقامة فيها أنضل من الرحلة عنها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام . ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة اقتضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال (٨ : ٧٣) والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في شرح السنة بمحتمل الجمع بطريق أخرى قوله « لا هجرة بعد الفتح » أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تنقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كانت بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا بإذن ، فقوله « لا تنقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الأسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يقتل على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لاقطاع موجبها . وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الحافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكى في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حمل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الامام بقوة سلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادية الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام وإلحاق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المأصبي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولا لعلم الدراية وللقضاء في تفاصيل الدور والأعداء المسرعة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اهـ

ما أورده الشوكاني وهو زبدة ما قيل في شرح الأحاديث من علمائه
أقول انك تجدهم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما
عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في
قتل أو ترك أو بالجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن
أهله على دينهم وحقيقتهم ففي هاتين الحالتين تجب الهجرة بلا خلاف . أي على من
عجز عن إقامة دينه سواء كان واحداً أو جماعاً وعلى من احتجج إلى جهاده وكان قومه مما يبرز
المسلمين ويفيدهم في الدفاع المطلوب شرعاً . فأما هذا الوجه فمن اليبس الظاهر انه لا يتحقق
في أهل بوسنة الآن فاقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضاً وهم اعلم بأنفسهم
ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة إلى طالب العلم الواجب عند الحاجة إلى
ذلك فان لم يهاجر من يتعلم ويعود ليعلم ثم جميع المسلمين الذين قدوا هذا العلم في
وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي فشا فيه الفسق والمجاهرة بالمنكرات
وصارت التربية على التقوى والصالح متعذرة فيه . وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال :
تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جواراً ولا يستقر فيها . واحتج بصنيع أبي الدرداء
في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من
وثنائها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق
كان الفساد في الأرض . وقال لا تبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير الحق . اهـ
أقول وإنما يكون هذا من الأفراد الذين يتعذر عليهم إزالة المنكر فان وجد جم
يقدروا على إزالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة

ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا لك ان تعدد
وجهاً آخر وهو ظاهر . ولا حاجة إلى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة
من حيث يفسد الفسق ويتعذر الصلاح أو يتعسر إلى حيث الصلاح والخير

وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان عجز عن
ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها إلى حيث يقدر عليه والا كان ظالماً لنفسه وقيل
له يوم الحساب اذا اعتذر باستضعاف الكفار أو الفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم
تكن أرض الله واسعة قتهاجر فيها ؟

أما ما زعمه ذلك الواعظ التركي من عدم صحة النكاح وأركان الإسلام في بوسنه بعد إلحاقها بالنمسا فهو باطل ، لا يصدر مثله إلا من جاهل ، ولولا إباحة ما حرم الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل تشكيك أولئك المسلمين الذين سمعوا وعظوه في عبادتهم وعقود زوجاتهم اذ الوعظ ببيان كتاب الله وسنة رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل . فنتي تستنير بصائر جماهير المسلمين وينصمون بحبل الله حتى اذا حاول ان يبعث بدينهم عابث طالبيه بما عنده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديهما قبلوه ، والاردوا ما جاء به ورفضوه ؟ ؟ ؟

لا فرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دار الكفر والمسلم في دار الاسلام وإنما هنالك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحرية وأدخل بعضهم في السياسة صلاة الجمعة ، ومن البديهي ان الهجرة لم تكن حتمًا لازما في زمن كرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنصرته والأخذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في ايداء المسلمين قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم هذا الواعظ الجاهل فقد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فإتين ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا قلموا ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والنفي شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين » فان هم أبوا فسلمهم الجزية فانهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » الخ . وأما ما قالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء .

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٢٦) من م ١٠ هـ من في سنتافوره

سنتافورا في ٧ جماد الاول ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار النيرة بمصر قد أتى على المسلمين بهذه الأصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في مساجدهم غير خطب ابن نباتة أو نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور وبيان قرب الساعة والحث على ترك الدنيا إلى غير ذلك ولما كان الزمان في قلب دائم حصلت الفرصة في الجمعة الماضية للفيروز الأديب الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ خطبة تناسب الأحوال الحاضرة بهذه الجهات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير المسعى (مسجد سلطان) فخطب خطبة توثر في نفوس الفيورين وإن خطيب المسجد لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من العذر ثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة يشيعون أن الخطبة لا تليق أن تكون خطبة للجمعة لأن فيها تكفير المسلمين وذمهم ومدح الكفار مع أن خطبة الجمعة دينية محضة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وتبصيح أحوال المسلمين ورفع شأن الكافرين محل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء أنهم لا يريدون أن يصلوا الجمعة في هذا الجامع إذا أعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس في سب ذلك الخطيب وسمعت ذلك أنا والشيخ عبد القادر وغيره فعلمنا أن كره المنفيين هذه الخطبة قد بلغ الغاية وأنا قد اطلعنا على الخطبة عند بعض معارفنا فقلت منها عدة نسخ نسخت منها لتقديمها إلى مجلتكم النيرة وهذه هي الخطبة :

الحمد لله الذي جعل الجمعة من أسباب الاجتماع . تقرأ فيه المواعظ التي تزيق غشاء الأسباع . فتأثر منها القلوب والطباع . وتفتح بذلك أبواب الخير والانتفاع . أحمد سبحانه وتعالى على جزييل الفضل والاحسان . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالبيان . اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان . أما بعد فيأعبد الله : أن

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الاعمال وخسران . من سوء تربية في
الصغر تولد منه في الكبر فساد وطفیان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالمعصيان وموت
شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والاهام . ادخلها الجاهلون
وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للإيمان . والمصيبة في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم
كل ذلك علم اليقين . وأهملنا شعار الدين . فوقعنا في شذائد متراكمة . ونظرت الينا
الاجانب نظر تحقير وملامه . وان التباعد عن الاهتداء بهدي الشرع الكريم . وعدم
التمسك بعروة الدين القويم . قد أدى بنا ذلك الى الاهمال . والاضططاط وشر المآل
وديننا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا
ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجدل والمزاح . ولا تقدر على القيام بمهام الاعمال
ولا على مثابة الاشغال . فألت امورنا الى امور الخال . وخابت الآمال . واننا لو
أتحدثت كلماتنا . وصبرنا حزبا متعاوننا . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا .
لكان اكبر الاعمال هينا . ونجح نجاحا مينا ، واذا نظرنا الى حال الامة الغريبة ،
ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على اصول الاسلام ، وبذلت الجهد
في التعاون والاتحاد والائتام ، كان اكبر المشروعات عندها من اسهل الممكنات ،
وان كان عندنا يعد الناس نجاحه من المستحيلات ، وهم يقنون الشركات ،
وينشئون الجمعيات ، ليعود ذلك على ابناء ملتهم بالنفع والفضائل ، ونحن نشي
الجمعيات للتلاوث بادران الخمول والذائل ، ويعود ذلك علينا بضعف الديانة ، وتضييع
الصيانة ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قد صارت سلما الى تأخرنا
الشنيع ، فياذوي الابصار ، اين التبصر والاعتبار ، وما هذه الغفلة والافتقار ، فليت شعري
ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي
واختبار ، يعقبها بدار جزاء وقرار ، وجعل لنا العقول لتمييز بها بين النفع والاضرار ، وامرنا
بعل الخيرات ونهاينا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار ،
وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعتذار ، عباد الله تعاونوا واتقوا ، واعتصموا بحبل

الله جميعا ولا تفرقوا ، (الحديث) قال (ص) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا
واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، الى آخر الخطبة ،

وما دعاني الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك
(المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هناك الظاهر انها هذه بعينها وهذا نصه

سناغورا ١٣ جماد الاول (٩) سنة ١٣٢٧

(ص ٢٧) من ص : ح ص

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا يخفى ان من طبيعة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول
اليه بأي وجه كان ولا يحول بخاطره انه امام الملا من الاكابر كالذباة لولا ذلك
لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة فقلب الخطبة على غير وجهها
التي شرعت لاجلها فخطب على منبر أكبر الجوامع هنا خطبة تقشع من سماعها الابدان
يكفر فيها المسلمين ويقبح اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد
والعلماء ظنا منه ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالمعكس وقد اقي العلماء
بمنع ان تخطب خطبة الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئكم بهذه الرقعة سائلا عن
رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين ليعجبون من استنكار بعض مسلمي سناغوره لهذه الخطبة
التي يسمعون كل جمعة في مساجدهم ما هو أشد منها انكارا لحال المسلمين وتركهم لهداية
دينهم وإضاعتهم لمصالح دنياهم وتقدم سائر الامم عليهم ، ومن ذلك عبارة يكررها في
الخطبة الثانية الشيخ خالد النقشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصلاح
وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد تقدم الأجانب وتأخرنا ، اتقوا الله فقد نشطوا
وكسلنا » الخ وهو محوماقاله خطيب سناغوره فلماذا استنكر هناك ولم يستنكر هنا ؟ لا سبب
لذلك الا أن العلماء والجوامع هنا اعلم ممن هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه
وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب المصرية ويرجون فائدتها ونفعها

وينتقدون الخطب القديمة التي معظمها مدح للشهور والمواسم بالباطل وذم للدنيا وتزهيد فيها على أن تلك الخطب القديمة المشهورة في جميع البلاد الإسلامية لا تخلو من وصف المسلمين بترك الاسلام وإضاعة الكتاب والسنة والفساد بالمعاصي والمنكرات ونهايك تلك العبارة المشهورة التي حفظناها من الخطباء لأول عهدنا بالصلاة في صغرنا وهي « لم يبق من الاسلام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه » ومهما أكثر المكثرون من الإنكار على المسلمين ووصفهم بإضاعة الدين فهم لا يأتون بأبلغ من هذه العبارة ولا يكونون الا شارحين لها

إذا ينتظر السائلون عن هذه الخطبة من المنار وهو الذي به منذ سنته الأولى الى وجوب إصلاح الخطابة في المساجد الجامعة وترك تلك الخطب المحشوة بالباطل المبيتة لهم، وقد كتبت قبل إنشاء المنار فصلا طويلا في الخطابة أودعته كتابي « الحكمة الشرعية » فهل يتفكرون مني أن أجيز تلك الخطب السخيفة المألوفة وما فيها من الأحاديث الموضوعة وأنكر ما يجبي به أذكاء الخطباء من المنبهات التي تزلزل ذلك الجمود القديم؟ يظهر أن أنكر ما استنكروه من هذه الخطبة هو اقتباس الخطيب قوله تعالى « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » يريد أن الذين تلبسوا بتلك المنكرات التي نهى عنها هم يوم إذا دخلت عليهم الخرافات والأوهام وتلبسوا بها أقرب الى الكفر منهم الى الإيمان . وليس هذا تكفيرا صريحا ولا هو في قوم ممينين بذواتهم وإنما هو في قوم يأتون ما نهى عنه الاسلام ويتركون ما أمر به فماذا يريدون أن يقول الواعظ فيهم اخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي داود وابن أبي حاتم عن مقاتل أن الصحابة أخذوا في شيء من المزاح فأنزل الله تعالى فيهم (١٦: ٥٧) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن المعروف عند أهل القرآن أن الفسق والظلم والكفر كثيرا ما ترد فيه على مورد واحد كما بيناه في تفسير « ٢: ٢٥٤ » والكافرون هم الظالمون « وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال : ما كان بين اسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية « ألم يأن » إلخ الا اربع سنين . وعنه قال لما نزلت هذه الآية أقبل بعضنا

على بعض : أي شيء أحدثنا أي شيء أضعنا ؟ فإذا كان رب العزة يعظ أفضل المؤمنين من السابقين الأولين بمثل هذه الآية فهل يستنكر في مسلمي زماننا مثل تلك الخطبة ؟ ما هذا الغرور الذي أصابنا ؟ نسي ونطلب الشكر على إساءتنا ! وليراجع السائلون تفسير (٢ : ٢١٤) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢ - ٣١١) ولينظروا ما هي النسبة بين أولئك المخاطبين بالآية عند نزولها وبين أهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا . ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونبحث مسلمي زماننا على وزن أنفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أصحابه عليهم الرضوان . ولو شئنا أن نعرز ذلك بالأحاديث والآثار لقطنا ولكن المنصف يكتفي بما ذكرناه ، والمغرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء بخالف هواه ، أما إذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطبة غير التي أرسلها السائل الأول منهما وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة . أما الأعمال التي ليست من كفرهم فمنها الحسن والقيح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦) منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

﴿ أم كلثوم بنت النبي (ص) ﴾

(ص ٢٨) من خليل رشدي أفندي ملحق التلميذ بمكتب نابلس الإعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف العظيم والأستاذ الحكيم الامام العلامة بحر فهامه شبيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا منشي مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام مجده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنابكم بأن تتكرموا على هذا العاجز بنشر سؤالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد جوابه بما يترأى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

لا يخفى على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة المباحة مع بعضهم البعض ،
فيوم من الايام اجتمعت أنا وبعض رفقائي للمباحة وصرنا نتباحث الى ان وصل بحثنا
عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقب به (أم كلثوم)

(٢) لأي سبب لقبت به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدل في هذا الموضوع واتقسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث
انه لم نوفق لمعرفة السؤالين المرقومين أعلاه قررنا بالقرار بالتفسير من فضيلتكم
واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا العاجز بالسؤال من جنابكم
ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا إرشادنا في هذا البحث والله
الملم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين
الحق ودمتم

(ج) لا أدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع للخلاف واتقسام الأفكار في هذه
المسألة وهي لا تحتمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أيمن وأم أيمن وسلمة وأم سلمة
والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت أم كلثوم ابتداء ولم يكن كنية
كنيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحايات كثيرات سمين بهذا الاسم
وكلثوم من الكلثمة وهي استدارة الوجه

هو عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصاري

(س ٢٩) من احد العلماء في حمص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث
عشر من هذه السنة صورة عهد للنبي صلى الله عليه وسلم تزعم أنه أملاه على سيدنا
معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ
ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي نقله هذه المجلة ونقلته عنها جريدة
لسان الحال فأرجوكم ايها الفاضل ان تفيدني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

وعمن أخرجه منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المنقول كله مروي محفوظ عن أئمة هذا الشأن الموثوق بهم الذين يعول على نقلهم فيكون حجة في العمل لقد رأيت في هذا العهد طولا كبيرا وألفاظا لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهوده ورأيت بعض الصحابة المدرجة أسماؤهم بصفة شهود كان قدماء قبل هذا التاريخ وبعضهم لم يكن أسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الإنسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل وليكن الجواب على صفحات مجلتكم ليطلع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعنا في مجلة روضة المعارف على هذا العهد الملقق الموضوع فساءنا اندفاع قومنا في تيار المجاملة الى هذا الحد الذي يتهم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعة على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكذوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له أدنى شمة من علوم الدين الى اطلاع واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في أغلاطها واسلوبه في ركاكته ومافيه من الاصطلاحات الطائفة ومن المبالغة والتكراو ومن مسائله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والخضوع والنذل لهم وإعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جراحا من النصاري جريرة اوجني جناية فعلى المسلمين نصره ومنعه (أي حمايته) والذب عنه والغرم عن جريرته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من النصاري ويحموهم ويدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ١: ٢٢ » الذين ان مكثهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يبيحها الاسلام لأحد بل يعد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتأريخ فربما
يعذر ناشره بجهلهم له ولكنهم لا يعذرون بجهل المسائل المعروفة من الدين بالضرورة
ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جهلها ناشر وهذا العهد
وهي مسألة التأريخ بالهجرة ففيه « كتب معاوية بن أبي سفيان بإملاء رسول الله يوم
الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن
هذا التأريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاورة الصحابة (رض) ولم يفتله
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر مختلق العهد هذا التأريخ
الا ليطر كذبه علم التأريخ فالمروي في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح
أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة ثم ان ختام
الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جمادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة .
وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التأريخ
بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين
كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود ليظهر كذبه أيضا وهاك البيان بالابحار
في ذكر هؤلاء الشهود أربعة أنواع الخطأ احدها واهونها الاسماء المحرفة والمصحفة
كالفضل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وأبو درداء صوابه
الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه يزيد . والثاني من لم يكن اسلم كماوية . والثالث من
كان قد مات او استشهد كحمزة . والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن
جبير والعامي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب . ولو استقصينا كل
ما في هذا العهد المكذوب من الخطأ لأقضي بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى
عنه بهذا القول الوجيز

• • •

﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قرآن (روسيا) في ٦ جمادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الامام الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله ومتعاون سائر المسلمين بعلومه الشريفة

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسألة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قرآن ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بأمر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القرآنية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف فتشككت بقرآن لجنة من العلماء والقراء لتفتيش رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة ، على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزنجشيري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على المرسوم الاول خشية الالتباس ولئلا يقع في تغير من الجمال » ويجب الفريق الاول عن هذا بان المواضع التي يتوهم فيها الالتباس يمكن التخلص منها بالنقط والاشكال . ثم فتشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الأستانة ومصر وهند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فما ندرى ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أهملوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لا يقولون بلزوم الاتباع . واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الأئمة فما ينبغي ان نصنع لقرأ برواية حفص المروقة في بلادنا في مثل كلمة « آتان » في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بغير ياء بعد النون والحال ان حفصا يقرأه آتاني ياء مفتوحة بعد النون فكيف يكون زيادة ياء بعد النون في مثل هذه المواضع تخلصا من الالتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضرورة وما نصنع في الكلمات التي حذفت فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « الا علم والاحلم والاقلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام تقول « انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الالتباس ولهذا كانوا

يحذفون الالفات فيما ظهر المراد (منه) مثل الكلمات المذكورة، فحذف الالفات فيهن .
ورسم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات
مكتوبة بالالفات بعد اللام وفي بعضها يحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ
في بلدة بترسبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية و يظن كونه واحدا من
مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع .
والعلامة شهاب الدين المرجاني القزاني الذي افنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا
مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة
قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات ولزيادة الاطمئنان ولكون
المسألة عامة مهمة ومتعلقة بمصوم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى (؟) جنابكم المحترم
بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تفضوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات
الناج . والسلام والا كرام

رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قزان
ملا صادق الايماقولى القزاني

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين
تلقوا القرآن عن جاء به من عند الله (ص) حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالف من
المؤمنين وتسلسل ذلك جيلا بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم
في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم
وان كان أرقى مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة ترقي بارتقاء المدنية
إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجعل أصلها .
فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيدة واطمئنان في حفظه كما هو وبما الشبهات ان
تحوّل حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الأمة وسلف الأمة كما هو
نعم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب
خاصة بمن يتلقاه عن القراء ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل وهي زيادة لا تمنع
معرفة الأصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تعليم الصغار عمرا

ولذلك اتى الامام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المتأد كما نقل :
قال علم الدين السخاوي في شرحه لعقيلة الشاطبي قال أشهب رحمه الله مثل
مالك رضي الله عنه أرأيت من استكتبته مصحفا أترى أن يكتب على ما أحدث
الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكنية الأولى . قال
مالك ولا يزال الانسان يسألني عن نقط القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف
فلا أرى أن ينقط ولا يزداد في المصاحف ما لم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي
يتعلم فيها الصبيان والواحد فلا أرى بذلك بأسا . ثم قال « أشهب » والذي ذهب
اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحال الأولى الى أن يملأها الآخر وفي خلاف ذلك
تجهيل للناس بأولينهم . وقال أبو عمر الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب
قول مالك هذا ولا يخالف لمالك في ذلك من علماء الامة اهـ

فانني أراه هو الصواب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم
المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي
هو أصل ديننا كما هو لکن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان مثل الامة الانكليزية هذا
الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصرو ولا أسطول الا لما ان الجديد الذي هو شغلها
الشغل اليوم : واما الألواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لأجل تعليم الصغار بها
في الكتابيب فلتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلات للتعليم ومتى كبر الصغير
وكان متعلما للقرآن بالرسم المشهور لا ينقط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة
مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في أثناء كتب التفسير وغيرها
بالرسم الاصطلاحي ليقراه كل أحد على وجه الصواب . وبهذا نجمع بين حفظ أهم شيء
في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين

اما ما احتج به العزيز بن عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم
يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال وبين ما قبله وما
بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم وإذا كان
واجبا في الاصل وهو لا ينكره فترك الناس له لا يجعله حراما أو غير جائز لما ذكره
من الاتباس بل يزال هذا الاتباس على انه لا يسلم له

وأما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الأستانة وقزاق ومصر وغيرها من البلاد غير متبعين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسيبهاون والجمل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطباعة فرسم فيها بالرسم المتأد الكلمات التي يظن أنه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبه بالألف . ولم أر مصحفا كتب أو طبع كله بالرسم المتأد ونحمد الله تعالى أن وفق بعض الناس إلى طبع ألف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطا ومواءمة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد الخلالني أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج إليه في ذلك . فالذي أراه أنه ينبغي للجنة القزانية أن تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقد المشكلات كلها إن شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلمته «اتاني» التي رسمت في المصحف الإمام «اتن» فيرون أن هذا المصحف وضع فوق التون ياء صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي فيه هكذا «اتن ي» . وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي أن يتبع ولا يبدل عنه هو أن تطبع الأجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ما جرت عليه الجمعية الخيرية الإسلامية هنا بأذن الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى فهي تطبع أجزاء القرآن كل جزء على حدة بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مدارسها . وأما سائر المصاحف فيتبع في طبعها رسم المصحف الإمام كالمصحف الذي ذكرناه آنفا . وإذا جرى المسلمون على هذا في الأستانة ومصر وقزاق وأقريم وسائر البلاد الإسلامية فلا يمضي جيل أو جيلان الا وتقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي وبعضها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن إذ هي مضبوطة بالشكل كغيرها فلا اشتباه والخطأ مأثوران في جميع المصاحف والله الحمد

بحث

﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نبين رأينا فيها في هذا الجزء، وكنا نريد أن نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فسامتنا الاختصار فكان مالا بد منه أن الخطبة تساهم بعبارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكنني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصبح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تكن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إلقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عندها

أودع في الخطبة من الحكم، ما هو جدير بأن يحفظ ويضرب به المثل، ولا تخلو من الملح والافاقية التي تستلح في الخطب، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل، ولم أرفها على طولها شيئاً تميت لولم يكتب — وان نطق به — إلا كلمة واحدة في نساء الأفرنج. ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف، أكثر من مسائلها المستمدة من الكتب، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فأنها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

ينتقد بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكور والأنثى خلقاً للمودة لا للباغضة وكون العالم لا يمر بلسونهما، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كمسألة تعليم أحد المصنفين كل ما يتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات، ومسألة خلق النساء لبيوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المتقدمون أن القسم الأول من الخطبة لو كان كالثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيراً وأتم

ونقول ان ما ذكرته الخطيبة من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطأ في نظرنا وبعضه بما وافهم كثيرات من حاضرات الخطبة، وانما نطمح أنه يحرك اذهانهم وينبه أفكارهم فتخرج به عقول بعضهن من مضيق ليس فيه الاصور الزينة والاثاث والرياش الى فضاء واسم فيه كل شيء، وفي فكرت الواحدة منهن في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطيبة وقد يوافقها وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

نعم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن الماديات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالعناية وقد أجادت الخطيبة وأفادت بما ألفت على المستمعات لما من النصائح والمباحث وذكرتهن بما يفغل عنه أكثرهن من أمر الصلة بينهما وبين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه قلما يفيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء أكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن . وعسى أن تكثر الفوائد لكل منهما فيما تجود به الخطيبة من الخطب والمقالات من بعد ، فإن أول الفيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطيبة مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة العربية . وما قاله أشبه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط أرادت أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتنفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطايات في هذا المقام بما يناسبه ونرجو ان تعيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث المؤرخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئاً ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشدن الى ما يرقق حجاب جهلن ، فيجعله كبراقع وجوههن ، فيصرن ما بين الرجال وبينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم وبينهن ،

إذا كانت المشاكلة في الاخلاق والعادات ، والمساهمة في الأهواء والرغبات ،
 مياراً للمساواة بين النساء والرجال ، فلا مندوحة لنا عن القول معها بأن السواد الأعظم من
 أهل هذه البلاد لا يزال ذكراً منهم وأنهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جماهير
 الرجال بما يقتصره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتهتك ، فقد مسن الرجال وفنكت
 النساء ، فصار جمهور الفريقين في المجانة سواء ، ولذلك نرى الزواج لا يزال كثيراً
 وإذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى أن الرجال مهما فسدت أخلاقهم أرقى من
 النساء عقولاً وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبيين منهم أكثر وأنه يوجد عدد كبير ينمو عاماً بعد
 عام قد تغير رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لا تحصل بمجرد
 دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الفاية الطبيعية الشرعية له وإنما هي عبارة عن
 حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس
 وشعور الود والرحمة والاخلاص ما لم يكن يدرك حقيقة قبل الزواج وإنما يشعر كل واحد
 باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بأنه لا يزول الا بالسكون الذي يكون بالزواج
 بعد إحكام عقد الزوجية (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن)
 ولكن المرتقنين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته ما لا يعرفه من دونهم
 يعلم هؤلاء المرتقنون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تتلصقها فطرتهم
 لا تقال الا اذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة
 الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نساءنا ؟

ان الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخلاق ،
 ذكية الفؤاد ، وان لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ، بل منهم من يشترط
 عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطلبه ، على ان المعرضات (أي للخطبة والزواج)
 كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب
 فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصد هم عن قبول خطبته عادة من اسخف
 العادات وإن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهراً مثله ، ومنهم من يرد
 خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زي ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الا شقيا. أعرف شابا من هؤلاء، رغب عن الزواج زمنا طويلا عرض له فيه بعض رؤسائه الأغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسمى في الخروج من دائرة رياستهم، لتجلبه من العمل فيها مع رد رغبتهم ثم تعاونت عليه الفطرة والحق، فلم ير بدا من طاعتهما في طلب الزوجة، فكان من رأيه أن يقترب بفتاة متعلمة تكون دونه جمالا، ومثله أو دونه مالا، حتى لا يمجيبها إلا لدلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته، والقبلة بالأقربان به، وماذا كان، بعد النظر بهذا القران

كان ان تلك الدمية عاملته بالصف والزهو، وحاولت استعباده لهواها، وألحت في ذلك الحاحا، ولجت في عتو وفور، حتى عيل صبره، ولم ينجع فيها وعظه ولا هجره، ولم يلق من أهلها الا ناصرا لها عليه، ومفريا لها بسوء معاملته، والتهم بصلاته وديانته، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وانا اقول له (٣٣: ٢٧) اتق الله وامسك عليك زوجك. ١٩: ٤ فان كرهتموهن فمسي ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئا لفعل فانها رضيت بأن تبرئه من حقها ولكنها أعطى الحق وزيادة لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فاني كنت واقفا على جميع وقائم القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فأمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع اثبات على مطالبه الشرعية كسر الرأس والصدر والساعدين والمضدين في حضرة غير المحارم من الأقارب الذين اعتادوا زيارتهم امثالا للشرع لا اتباعا للظنة. ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يجهل قدر أمثال هؤلاء الرجال مع حرص زوجاتهم على تحييب أنفسهن اليهم والاستعانة على ذلك بالعزائم والطلبات، والبخور والتاجيس والتولات، وهم يقولون لمن، غير هذا أولى لكن، وأدنى الى حظوتكن، تبذلن بعض عنايتكن، في تدبير أمر ميوتكن، لتكون العيشة فيها راضية، والحياة ممكنة هنيئة، واعلمن ان الخرافات التي يعبر عنها بالروحانيات، لاسلطان لها على نفوس العقلاء، فاستمالتنا بها كاستمالتنا بالأسراف في الزينة مما تجمعه أذواقنا، ونشتمثر منه نفوسنا. وأنني لمن بفهم هذا الكلام وتصديقه، انهم لا يفهمون منه الا انه احتقار لمن، وميل عنهم الى غيرهن.

ليس الغرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلانا ان منهم

من لا يرى بها الا مجهولا في السحر من حانات الأربكية ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لا يحيى ولا يتحرك ، الا ان يقول هجرا أو يأتي نكرا ، وانما الغرض منه بيان ان المهذبن لا يكادون يجدون مهابات يعرفن قيمتهم وان خيرا النساء عفة وأدبا ليفضلن في الغالب المجان الفاسقين من الرجال لتصييرهم إياهن بالنظر والتطرس والتورن (١) على ان حفظن منهم بعد الزواج يكون في الاكثر دون حظ فواجر الاجنيات والوطنيات لانهم في الغالب من الدواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهن في العلوم ولا في مسألة مزاحمتهم لهم في الاعمال فاذكرته الخطيبة في ذلك جاء قبل أوانه وانما اكبر الخلاف في كون جمهور عظيم من المتعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلا يجدونها لذلك قل الزوج في هذا الصنف وأكثر المتزوجون من أفراد الأغنياء من استخدام الأوريات ولذلك يتزوج بعض المتفرجين بهن حتى صار في مصر احتلالا لاجنبيان - كما قالت الخطيبة - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأهما في البيوت قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان ينيطوه بالتربية وقالت انه لأصله بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين . قد أحسنت في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعلم ولكنها افتأت علينا بما نسبته اليها فاننا نشكو من فساد التربية أكثر مما نشكو من فساد التعلم وقلته . وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمد التربية الصالحة ويغذيها وهي الأصل في الصلاح فيمكن ان يكون الأمي صالحا بحسن التربية ولكنه لا يبلغ مرتبة من ربي وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يؤخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجراً على العمل بها

إذا لابد من تربية البنات وتعليمهن ليحسن إدارة بيوتهن ويكن قرة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

(١) تطرز الرجل وتطرس تنوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا

تطرس في الطعام اذا تنوق فيه . وتورن أكثر من التدهن والتشم

الجزية وتجنيد أهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جعل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتهم والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيراً وبياناً لمراد الكتاب العزيز منها . وكان العثمانيون سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم وهنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور مخالف لما فيها إحداهما أنه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها ما دام للمسلمين ولاية عليها . والثانية أن الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الأولى فيصح أن يقال فيها أنا لا نسلم أنه لا يجوز تجنيد أهل الذمة إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فان المصلحة العامة هي الأصل والاساس للحكومة لا تترك لغيرها وإنما يترك غيرها لما وقد سبق لنا تقرير هذا الأصل وإثباته غير مرة . على أننا إذا سلمنا جدلاً أنه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلادنا وبلادهم قلنا ان قول ان أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقرروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالإكراه وإن كره بعض رؤساء الدين المتعصبين منهم فان هؤلاء الرؤساء ليسوا نواباً عن أهل دينهم في وضع القوانين

وأما المسألة الثانية فيدلك على الحق فيها هذه النصوص التي نقلها عن رسالة
للشيخ شبلي النعماني العالم الشير نشرت في أواخر السنة الأولى من المأرج حق فيها
ما ذكرناه من كون الجزية جزاء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه
النصوص المروية فقال :

ولعلك تعاليني بإثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية
ما كانت تؤخذ من الذميين إلا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وإن الذميين لو أدخلوا
في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لعفوا عن الجزية فإن صدق ظني قاصغ إلى الروايات
التي تطيك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فتنها) ما كتب خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها
وهذا نصه : « هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على
الجزية والمنعة ذلك الذمة والمنعة وما منعناكم (أي حينما كنتم) فلنا الجزية والاقلا . كتب سنة ثنتي
عشرة في صفر » (ومنها) ما كتب نواب العراق لأهل الذمة وهالك نصه « براءة لمن كان
من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح
خالد ما أقروتم بالجزية وكنتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء » .
(ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لأمرأ المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي
عاهدنا عليها خالد على أن بمنعونا وأميرهم البقي من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المقالة
التي كانت بين المسلمين وبين يزيد جرد ملك فارس حينما وفدوا على يزيد جرد وعرضوا
عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من
جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اقيمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم والا
قاتلناكم » . (ومنها) المقالة التي كانت بين حذيفة بن محصن وبين رستم قائد الفرس
وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص واقدا على رستم في سنة أربع عشرة
في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم إلى
ذلك » فانظر إلى هذا الروايات الموثوق بها كيف قارنوا بها بين الجزية والمنعة وكيف
صرح خالد في كتابه بأننا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعناكم وودعنا عنكم وإن عجزنا
عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجل الصحابة فكان سبيلها سبيل
المسائل المجمع عليها . قال الامام الشامي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد
المراق » غنوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة
فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا نظن أن شرط المنعة في الجزية انما كان يقصد به مجرد تطيب نفوس
أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمر النظر في سير الصحابة
واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا
الا وقد عضوا عليها بالتواجذ وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية
التي بدور رحي الكلام عليها - فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج
عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا
أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة
وسلمهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة
الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن
خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتناوبت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد
ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي
صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكسب اليهم أن
يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع وانكم قد
اشتدتم علينا ان تمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن
لكم على الشرط وما كان يتناوينكم ان نصرنا الله عليهم فلما قالوا ذلك لهم وردوا
عليهم الاموال التي جبروها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم
يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقي حتى لا يدعوا شيئا »

وقال الملامه البلاذري في كتابه فتوح البلدان حديثي أبو جعفر البغدادي
قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ
المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

الخراج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود وقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظاهروا الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والأنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

وقال الصلابة الأزدي في كتابه فتوح الشام يذكر أقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة بن حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصالح ولا نرجع عنه إلا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأننا كرهننا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون « ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكونا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا إلينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدرنا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبى منهم الذين كانوا آمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أمانا »

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة أو شاركوا في الذب عن حريم الملك لأبطالون بالجزية أصلا فمدتنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عملهم فانهم أولى الناس بالنسبة لفرض الشارع وأحقهم بأدراك سر الشريعة « والروايات في ذلك وان كانت جمة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يقني عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر بن الخطاب لوزبان وأهل دهستان وهالك نصه بعينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لوزبان حول ابن رزبان وأهل

دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونه عوضا عن جزائه ولم الا مان على أنفسهم وأموالهم ولهم وشرائعهم ولا يغير شي من ذلك شهد سواد بن قطيبه وعند بن عمر وسماك بن محمرة وعتيبة بن النحاس وكتب في سنة ١٥٨ هـ « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه : « هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل ملها كلام الامان على أنفسهم وأموالهم ولهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه (طبري صحيفة ٢٢٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقه عامل عمر بن الخطاب وبين شهربراز كتب به سراقه الى عمر فأجازه وحسنه وهاك نصه : « هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأمن من الا مان أعطاهم أمانا لا أنفسهم وأموالهم ولهم ان لا يضادوا ولا ينقضوا وعلى أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء (١) ومن حولهم قد دخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر قاب أولم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عن أجاب الى ذلك ومن استثنى عنه منهم وقد فعله مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم » شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسليمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مرقن وشهد اه (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و ٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجمة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل لكاهم عند معدن الزاج فيما بين يامس وبوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يطرون جمع طارئ والتناء المقيمون

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وقصها لزموا مدينتهم وهما بالحق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يقبته المسلمون لهم ولم ينهبوا عليهم ثم ان أهل انطاكية قرضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلم القهري فغزا الجرجومة فلم يقاتل أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعبونا ومسالخ في جبل الكمام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجرجومة مع انهم لم يوفوا وقضوا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى انت بعض العمال في عهد الواثق بالله الباسي ألزمهم جزية وموسم فرفضوا ذلك إلى الواثق فأمر باستقاطها منهم اه

(المئارج) فقط المنع في هذه الكتب والعهود معناه الحماية كما اشرنا الى ذلك في

رواية منها

التعصب الديني في أوربا

تهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالفان في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء الخائف في الدين او المذهب وغمط حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من المئارج مقالات يتنا فيها ان هذا التعصب هو أوربا وان الشرق عامة والمسلمين خاصة لا يباغون من أوربا ولا صاعها ولا يردوا ولا مئارجها في التعصب . وحسبك انها اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين ثم من المسلمين على النصرانية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الأديان في الشرق لا سيما الممالك الإسلامية منه . ثم إنها سفكت من الدماء الفزيرة لاجل الخلاف في المذاهب النصرانية نفسها ما لم يعرف له نظير في الشرق . وقد انقلب فيها طبيعة الاجتماع بالعلوم والأعمال الدينية وكثر الملاحدون واعطت أكثر الحكومات الأوروبية الحرية حقها في كل شيء ولم يقر ذلك كله على محو التعصب الديني لامن مثل روسيا التي لا تزال حكومتها نفسها متمسكة بنقط بل من مثل انكلترا العريقة في

الحرية . وقد قل لنا البرق والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتقاليدهم الدينية في عيد الفصح . وجاء البرق في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في لفر بول قد تشاجروا فيها تشاجرا ادى الى إقتال الحكومة خمسين مدرسة منها وان مهاتهم شاركهم في هذا الجهاد الديني . وقد نشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكة هذا نصها :

﴿ التعصب الديني الانكليزي ﴾

« هل الصغار غير الكبار »

جاء في نبأ برقي من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في لفر بول لوقوع مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أمهاتهم فيها فإذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم متساهلون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة — على أقل تقدير — ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوساكسونية . أما أسلحتهم فأولها « البوكس » الانكليزي وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الوردواز والبراجل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لا يخفى منها جبة تلميذ ولا بد ان حضرات الأمهات المتدينات المنجذبات المتقيات من طائفة البروتستانت حملن معهن الى هذه المعركة ما وجدنه امامهن من أحذية قديمة وأرجل كراسي بمقشآت وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكات الايقونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان النبأ البرقي لم يأتنا بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصبائية الملبة التعصبية فإنه لا شبهة في انها نشأت إما عن نفار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدري به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التداخل في كل أمر غير الفرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتبن لمساعدة أولادهن واتقاهن من خطر الملائكة ثم رأين الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

ولو لم يكن الخطب جالا لما أقنعت ٥٥ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى الخاصة فالمقاتلة . وربما كانت العودة داعية الى اشتغال نيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فالجامعة الذي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالبا لان الكل منقسمون الى بروتستانت وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الصغار يؤثر فيهم . وبذلك يعيد الانكليز أيام الجروب الدينية ويبرهنون لنا على ان ذاك الرقي المدني الهائل وحفظ أثمارنا كسير وامتلاك المستعمرات التي لا تقبض عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة بهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فصل أبناء ليفربول الذين تجمعهم الجامعة الوطنية وتضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر لينتقى دروس التعصب من المسلمين والاقباط

واذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة اخلاقهم فلا مراء في ان هؤلاء الانكليز يحملون بعضهم من الاحقاد الدينية اقالا مثلة . لان تربيتهم اليقية والحرسية متشابهة وما تعلمونه مع شاي لبتون ووسكي بوكاتان هنا وهناك مساو تماما لما يتقنه صغار ليفربول الذين لم يكادوا يشبون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثير وفريق للتديس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المذهبات اللائي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي نظنها ارقى منا طبائع وأفضل اخلاقا بل يشترك فيها الفرنسي والاطالي والالمانى والرومي -- بنوع اخص -- فاذا درست اخلاق أحدهم تجدته يقطر تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية والبيئية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقو المسلم ولا التربية على استئصال شأقتها من النفوس . وربما متاومات أبنائنا واحفادنا قبل ان نصل إلى درجة نفسي فيها التعصب (أحد المتعصبين)

باب المناظرة والمراسلة

هو رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴿

هـ

بقية بحث احاديث الآحاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكأنهم يثبتون صحة الروايات،
بمدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات مما لا يخفى على احد فساد ذلك - الى
قوله - وربما ادّانا ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مغالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك الا ان كان
المعدل والجرح لغيره هو المعدل نفسه امّا اذا كان المعدل والجرح قد عرفت
عداته بالاجماع وقل هذا الاجماع بالاجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو قلت عداته
بما نريد آخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكره الفاضل

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضية الى آخره . فجوابه انهم (رح) يروون ما
ظنوه على نحو ما يسمعون فما كان له سبب ذكره وهو كثير انما قد يترك بعضهم
ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة . ولذلك تراه في موضع آخر يذكر
السبب والمناسبة وقل ان يهملوا ذلك . واما ما كان يلقيه عليهم (ص) بما يشبه
التعليم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب واكثر الاحاديث وآيات الاحكام
كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغريقول
فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة
المحققين رفيق بك المظلم حفظهما الله . فنحن قد رأينا ذلك ولم نر فيه تأييدا للحضرة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجوع ان ما كتبه المجيئون لم يدفع الشبهة تمام على ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك العظيم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب وبين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها والخطيب لا تحتل الاستقصاء في الاستدلال او ان يخاص فيها وراء عو بصات المسائل .

وقول أيضا قد عرفت مما كتبناه سابقا وما قدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه (ص) وعرفت انه كيف كان يبين لم وعرفت ان حفظهم لما روينا عنهم ليس بالمستبعد وأن الكثيرين منهم وغير الكثيرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن عن البعض الآخر . والفاضل الدكتور هو ان قدر ان ثبت كراهية بعضهم فهو لا يستطيع بين علة منصوصة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك فانما كره ان يكتب رايه اما احاديث النبي (ص) فقد كتبها كثير منهم برأي ومسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولا هم انكروا ذلك . ولم يلف بعضهم ما عند البعض الآخر بالاحراق وغايته ان بعضهم ا تلف مكتوبات نفسه ورأيه وهذا بخلاف فعلهم بالقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما اجمعوا عليه . وبذلك يظهر ظهورا لا غبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في معتقدهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك - فقد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يعدلون به سواء بل يحكمون بمقتضاه ويحفظونه ويكتبونه في رسائلهم الى عالم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من عملهم وما اجمعوا عليه فعلا وتقديرا وغاية ما ثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواء ويكون مربيا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن فيه - على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك فانما كرهه رجوعا بعد الموافقة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرها ويتركها لأجل ان الحديث شريعة موقفة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقفة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة - وهم قد صرحوا بانهم لم يتركوا كتابة الحديث بالصفة

المذكورة الا خوف الالتباس بالمصحف وبعضهم لم يقل الاجردوا القرآن
فالاصل الذي بني عليه الفاضل الدكتور مذهبه انما هو احتمال من عنده
وظن تورمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعملهم وأمرهم
يناقضه مناقضة التقيض لتقيضه وما هذا حاله لا يصح فرضه - على انه لو لم يوجد
عنده ما يناقضه فلا يصح ان يجعل مثل ما هذا حاله أصلاً لمخالفته نصوص القرآن -
بل لو لم يوجد في القرآن ما يناقضه فلا يصح كذلك لمخالفته ما يوجه العقل للرب
صاوات الله وسلامه عليهم - ولو تفاضنا عن ذلك كله فغايته ان يكون احتمالاً من
جلة احتمالات قاله غير مصوم خالف اجماع المسلمين والله جل شأنه قد ذم من
يتبع غير سبيلهم وتهدده - فما رأيك باحتمال هذا حاله كيف يقول عليه أم كيف
يسوغ للمصنفين الاعتماد عليه والمفاضة دونه وهو على كل تقدير ومهما فرض فاسد
مدفوع . فهذا بعض ما نقله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا
بعض أدلته في رسالتنا السابقة والمقام جدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن
يريد الله له الهداية

اما من بعد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رووا عن
الصحابة (رض) وروى عنهم من بعدهم من الأئمة كذلك فهم الذين كتبوا
الأحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (رح)
يكتبون كل مروياتهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون
ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بغاية الاحتياط مع كمال
الفحص والتدقيق عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم تكن جميع الاحاديث بنقل الجوع والتواتر
قلنا ان الاحاديث الصحاح هي هكذا في نفس الامر ودليله تلقيهم ذلك
بالتقبل - وسبب كونها آحاداً انما هو لان أهل الكتب المعتبرة لا يثبتون الا ما يرويه
الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه لئلا يفتر به من لم يعرف حاله تقليداً
لمن روى عنه - ولانهم يختارون الاختصار فانما ذلك كانوا يختارون في مصنفاتهم
الأمثل من الأسانيد ويتركون ما سواه - ونحن قد قلنا انهم لو اختاروا طريقة

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الأحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليأمل الناظر . وان أراد مصداق ما ذكرنا فليفرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليتبع طرقة في كسبهم فلا نشك انه حينئذ يوافقنا على ما قلناه - على انه ان وجد في أثناء سنده فرد واو فذلك الراوي لا بد وان يكون ممن أجمع على حفظه واعتباره وكأله وضبطه بالكتابة ورب رجل يعمل رجلا ففكر

قال حضرة الفاضل في الكلمة الخامسة ما مؤداه ان المسلمين خالفوا القرآن بإيجابهم العمل بالأحاديث الى آخره - واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبت عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك تقول قد قدمنا في هذه المجلة المختصرة الأدلة القطعية على ان أخبار الآحاد ليست مما يقيد الظن فقط بل هي قيد اليقين أيضا - فلا بد للفاضل ان ينقض ذلك أولا بأدلة أصح مما سقناها - ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطين الذين تنطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا يقيد العمل ولو لبعض الناس - ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى انه الظن الراجح - وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالأحاديث - نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالأحاديث ومن أراد ذلك منها فقد حملها مالا يحمله - لان من فكر في هذه الآيات وامعن النظر فيها اشتملت عليه مما سماه الله ظنا فيها يراه لا محالة انما هو مما يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن انما يذم ما يكون بمرتبة الشك بل بمرتبة الوهم والحرص فقوله تعالى « يقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءونا ولا حرمانا من دونه من شيء » هو استدلال منهم بالمشية والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيبه رسوله (ص) فكانهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الفصص والسرقة وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم فهل يصح هذا الاستدلال ؟ وهل هو ظن راجح ؟ وما المرجح ؟ وهل أخبار

(المناهج ٦ م ١٢) الظن المذموم في القرآن هو الشك والحزر ٤٤٥

اتهام الضابطين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تتحدد
الملة ويعلم انتفاء المانع لا يصح القياس
والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد وضم العمل
بالأحاديث الصالحة في زعمه . وقد سبقه الى الاستدلال بها على ذلك الخوارج .
واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والأولوي وبعضهم على رد وجوب
الآخذ بالعمومات القرآنية مطلقاً أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد
الآخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بترجيح أحد الاحتمالين الراجع . واستدلوا
على ذلك اظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بسدده فليس بما هو أولى من
استدلاله . فان سلم لزمه القول بأن ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين
مطلقاً ولا يجوز العمل به . وعليه فلا ندري ماذا يقول في الوقائع التي لم ينص عليها
القرآن . انه مما يريد ان يقول فيها فالحديث أولى من قوله ورأيه . واقرب الى العلم
واليقين منه . والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع
وقول ان ما استدلل به هؤلاء المشركون قد ساء الله ظنا وذمهم عليه . وإذا
كان الظن يطابق على الراجع من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو
الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والحزر والخرص ونحوه فهو مشترك لفظي
انما يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجع ولما كانت هذه المعاني متغايرة
ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذاك الا اذا استكملت شروط القياس
كاتحاد الملة وان لا يكون في المقيس او المقيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم
غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك . ومن صحيح النظر فيما
ذمه هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الأحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه
مطلقاً وكذلك العمومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على
ذمه . وهذه لا تعارض بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا
الثاني مقدم على المذموم مطلقاً وقيل على المذموم الذي قد تطرق الاحتمال وليس
شيء من هذه الاشياء من الظن المذموم حتى عند من يجعل كل ذلك من الظن
لان كل ما ذمه الله تعالى من الظن في غير هذه الآية من كتابه فانما هو شقيق ما

٤٤٦ : الظن المذموم في القرآن هو الشك والحزر (المجلد ٦ م ١٢)

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالتقاس وما ذكرناه بعده ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضمه المقول الذين ليس لديهم علم وبصيرة وانما هم يخوضون بالحزر والوهم الكاذب ومفهوم الآية ان البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وحينئذ نقول إما ان يجعل الظن مراتب لا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلنا سابقا أو يجعل كالتواطيء في افراده وهذا مع ضمه فالظن الراجح مستثنى كما عرفت ايضا ، وإما ان يجعل كل ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدركه أقوى مما ذكره الله عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور بهذه الآية ونحوها على ذم الصل بالأحاديث الصحاح فاسد فاذمه الله عن المشركين في واد والأحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تتحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد اقر الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي بان الظن انما يثم اذا عارضنا به الامر القطعي . ثم رد علي بأنني ومن علي مذهبي كثيرا ما اعارض نصوص القرآن الشريف الصريحة واخالفها لاجل الأحاديث الآحاد . الى قوله واليك بعض الامثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين الوارثين . وهنا نقول للاخ المكرم حفظه الله ان تجوز معارضة نص القرآن بالحديث الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والحقير لا يقول به ايضا هذا فصل (الثاني) ان من جوز نسخ القرآن بالسنة متواترة كانت او مشهورة او آحادية لا يلزمه ان يقول بوقوع ذلك فعلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح هو لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن نزول آية ولم يمكن التوفيق بينهما فالمعارضة انما هي بين الحديث واستمرار الحكم أي بقائه او عمومته واطلاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (روح) وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك اما الثاني والثالث فقد قال بجوازه ووقوعه الجمهور لكن قال شيخنا

(المتارج ٦ م ١٢) الجواب عن دعوى مخالفة بعض الحديث للقرآن ٤٤٧

ابن القيم رحمه الله مع تجوز نه النسخ بجميع اقسامه ما مضاف ان كل ما يظنه الناس معارضة بين السنة والقرآن فليس الامر كما يظنون بل لا بد ان تكون السنة مينة لآية من القرآن هي في الحقيقة ناسخة او مخصصة لما يظن منه ان السنة خصته او قبلته وعلى كل تقدير فهل العلم كلهم متفقون هو لا وهو لا على انه لا يجوز اجمال وإلغاء شيء مما صح عن النبي (ص) بيان من جوز وقوع المعارضة ومن التمس لها موافقة من آيات الكتاب العزيز لان المرمى والمخط واحد

قال الاخ الفاضل حرموا اكل الحمر الاهلية للحديث مع ان الله يقول « قل لا اجد فيها اوجي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية » ويقول « وانما حرم عليكم الميتة والدم » الآية الخ واقول ان الحصر في هاتين الآيتين قد عارضته آيات أخرى في القرآن نفسه (« واذا اخذوا الطعام المحرم اعم من لحم الحيوان فالمعارض اكثر ») وحينئذ إما ان يقال الحصر منسوخ او مخصوص بوقت نزولها وكلا التقديرين يخالف لمذهب الفاضل لعدم تجوز نه النسخ أي وقوعه ، ولقوله ان الخصوص بوقت دون وقت لا يكون في القرآن وانما يكون في الحديث لانه أي الحديث شريعة موقفة بزعمه وهو هنا لا يحصى له من التزام أحد الاحتمالين رضي ام ابي

ثم قول اذا كان الحصر منسوخا أو مقيدا بيمين النزول فلا يكون الحديث المذكور معارضا لنص القرآن المحكم بلا خلاف وانما هو من باب الزيادة على ما في القرآن او ما سكت عنه ومن لا يجوز ذلك قتوله غير مؤيد بحجة ولا شبه حجة على أنا نقول ان الله حرم الخبائث والنجس في القرآن كما حرم الاتفاق منه فلم لا يجوز ان يكون لحم الحمر الاهلية من ذلك والحديث مينة لما اجملت تلك الآيات وبذلك يندفع الاعتراض من اصله

قال الفاضل قالوا بحرمة الذهب والفضة والحرير للاحاديث التي رووها والقرآن يقول « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والصلوات من الرزق » الآية قلت وليس الامر كما اطلق وأهل الحق (رح) لم يحرموا الا الاكل والشرب في آية الذهب والفضة وعلى الرجال ليس الذهب في غير السلاح والحرير انما هو لغیر الضرورة

(المتارج ٦ م ١٢) : ليه بين المعارضة بالشواهد كما تعودنا من إسهابه

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرماً المشترك وهي ستر العورة فكانوا لا يجيزون بل يحرمون سترها عند الطواف وكانوا يحرمون بعض الرزق الطيب فأمر الله عباده المؤمنين أن يأخذوا زيتهم عند كل مسجد وأن يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الإسراف في الأمور أي اللباس والأكل والشرب ورد على المشركين بأن قال لبيد (ص) قل لهم أي أسلمهم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يعارضها الحديث لما عرفت أن ما أحل لنا من ذلك هو مقيد بعدم الإسراف وأيضا قوله « من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى المخاطبين (رض) لم تكن هي ذهبا وفضة ولا حريرا ، على أن ماسوى الأكل والشرب في آية التقدين من كل استعمال لما ذكره جاز للفساء وهن ممن يدخل في الخطاب وأيضا كل ما يطلق عليه لفظ الزينة لا يمكن الدكتور أن يجوزه لكل أحد بلا تقييد ولا نظنه يجوز للرجال لبس النساء ولا المكس مطلقا وإذا كان الأمر كذلك فكان الأولى به أن لا يعترض علينا بهذه الآية في الأحاديث لاسيما وقد عرفت أن آخر الآية إنما هو مبني على ما ذكره في أولها

أن من يعارض الأحاديث ويحل كل ما يطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقول من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ما على الأرض وكل ما يخرج منها بقوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » الآية فكما أن هذا لا يصح فتحليل استعمال كل زينة بكل صفة لا يجوز مثله والآية لا تدل عليه قال حرموا أن تنكح المرأة على عمها وخالتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما رواء ذلك » إلى قوله بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من ينهين المرأة على عمها أو خالتها . وأقول هذه الآية قد دندن حولها الخوارج وأطالوا بما لا طائل منجته وقد خالفوا إجماع من تقدم عليهم علما وفضلا وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والنبي (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال أنهم يمرقون من الدين استدلووا بموم قوله تعالى « وأحل لكم ما رواء ذلك » وهو غير مراد على إطلاقه لوجود نصوص

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانية والملاعة والمطلقة ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره - والمقد بالريبة قبل ان يطلق أبا ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء كما اختلفوا في المشار إليه في قوله « ما وراء ذلك » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الرد عليهم . ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لهم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منها بها على ما لم يذكره عما أتحدثت فيه علة التحريم - وليس المراد الحصر بالعدّة ، ولا اقامته مقام الرسم والحد ، وبناء على ذلك نقول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاعة ولا سائر من يحرم من من الرضاعة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله « وأحلّ لكم ما وراء ذلكم » فكذلك تحريم ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها من كل امرأة او فرضت ذكراً حرمت على الأخرى - لا يحل ان تنكح عليها - فقوله « وان تجمعوا بين الأختين » لا يأتي دخول الجمع بين أحدهما وبنت أختها وأختها في المنع وانتهي بل دخولها ظاهر لأهل العلم بالقرآن لاسيما وقد دل الحديث الصحيح أو التواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية . وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأيدته وهو ظني كما تقدم والحديث أقل حالاته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم إهمال أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز . هذا على قول من يقول ان الأحاديث الصحاح انما تنفذ الظن اما على ما اعتدناه من انها قد تنفذنا العلم قلاماً واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقاً على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين » فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقاً ليس بصحيح على إطلاقه - بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادة ومهادنة وبأمانة بشروط ألجئ إليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تسهيل في

بعض الاوقات والاحوال - انما يستفاد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن فكر فيما اشتغل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلنكتف بالاشارة اليه
أما ما ذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس فيها تجويز الكفر لهم ولا حكم الاكراه لهم منابل هو مسكوت عنه كله انما هو في الكافر الاصلي فالأيراد ليس في محله .

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول باقامة الحدود والتعزيرات على فعل بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما يدل على ان المسلم يجبر على الدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو قلنا به فقد واقفنا وتقض اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقفا في أقبح مما ظن وزعم ان غيره واقع فيه (لها بقية)

الانقلاب العشائري الميمون

✽ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبد الحميد خان ✽

أرسل الينا صديقنا الفيور مواوي محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية ما يأتي فنشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونجيبه عنه وهو
حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم المخصوصي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد وصلي في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلافا للمهود وقد نشره هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردت عليه في العدد الآخر حسب ما رأت فاشكره على لطفه ايضا

وجنابكم تعلمون اني اظن حضرتكم محبا مخلصا للاسلام والمسلمين فلذلك اكلفكم في بعض الاحيان تكليفا ما - واحاطع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمزيد العناية والتجليل بل واسعى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليعتد العالم الاسلامي الهندي من آرائكم الحكيمة - وكذلك لا اشك في كون حضرة علي فمي كامل بك ايضا محبا غيورا للامة والوطن - ولكن اعذروني ياسيدي باني لا اري بدا من ان اقول لكم كلمة صادقة - وهي اني كنت دائما لا اري رأيكم صحيحا في امر السلطان الخاوع وان ما كتبتم في العدد الاخير من مجلة النار قد قرأته بكال الاسف والحيرة - وليكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكا معضوفا - بل اري فيه من حيث انسان من التقصيرات ومواقف الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها - ولا ينفي عليكم وعلى الذين طالعوا كتابنا تاريخ مشروع السكة الحجازية باتي اول من كتب بالصرحة التامة في ذم عمال عبد الحميد وعدم كفايتهم حين لم تكن في استطاعة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة - لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ واظنكم غير تامين ما جريات مشروع السكة الحجازية فانه لما شاع اقتراح هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتبت جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضررا للدولة العلية ولكن يفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانها بعد ان تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايذا المشروع حق تأييده وكانت نتيجة ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرر جريدة اللواء تقولان ان مخلصكم هذا (محرر جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يعلمون من الحالات الاصلية للدولة شيئا - فاقول بكل الادب ان قياسكما هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لا حقة للجيش العثماني المربط في الولايات البعيدة - والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والباد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير اننا كنا خيرين بذلك والعثمانيون هم واقعون تحت نير هذا الاستبداد عملا يذوق بعضهم من طعمها المرويتاؤه من شدائد هذا المظالم

والآلام — وتعلمون حضرتكم حق العلم ان مسلمي الهند لم يكونوا بوجه ما صنما عليهم من السلطان المخلوع ولا مرهونين بهمة من الامة التركية . ان الاتراك او الخليفة لم تقط ولا دوما واحدا في اعانة مسلمي الهند حين ما ابتلوا بلاء او اتابهم فائبة مع ان مسلمي الهند لم يقصروا قط في مد يد الاعانة للعثمانيين — حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من اموال الاعانة زهاء مليون قرش وارسلها الى اللجنة العليا في الاستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الاسلامي ان ترسل مثل هذا المال لاعانة ذلك المشروع العظيم من الاكتاب العام وكذلك ارسلت في اعانة منكوبي جزيرة اقرطش آلافا من الرويات — احتسابا وخالصا لوجه الله — ما اردت أن أمن بها على احد ولما تشفع لي دولته ذهني باشا في حضرة السلطان بمطاء امتياز (؟) من مستين وصدرت الارادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت الى حضرة الباشا المشار اليه انني لم ار من المناسب أن اود عطاءكم مع انني لا احسبه شيئا بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لان تلك الصلة الدنيوية لا يمكن أن تفيدني فائدة ما . ولا يفوتكم ان هذا الامتياز لم يكن ليمتد به لان الذين زاروا الأستانة المليمة من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا تحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم اكن اخدم هذا المشروع رغبة في صله

يظنون بان السلطان عبد الحميد هو الباني والمحرك لفكرة اتحاد الاسلام ولكني أعلم حق العلم انه لم يسمع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلمي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لا بد ان اكون اول من يعلم به وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلمي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة العلية في ثربجي عالما باسماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا — واني اعلم واكثر مسلمي الهند مثلي في العلم بان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الى حد يجب ان نفتخر به حتى قلت بنفسي في تأليني كتاب « تاريخ خاندان عثمانية » الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفهومة ه لعل اوري بحسب الجامع الحميدي وحميدية خسته خانه وامثال ذلك من المشروعات

ترعة او سكة حديدية ايضا يفتخر بها العصر الحميدي الى الابد، ولعلكم تهيجون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كانت ممنوعة الدخول في الاستانة وبعض الممالك المحروسة كجريدة « وطن » المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأيد الخلافة العثمانية شيئا — بل هي مخصوصة لذلك الامر ولكن مع ذلك كله اعتقد اننا وجميع مسلمي الهند يوثق تام ان تركيا الفتاة او الامة العثمانية قد ارتكبت خطأ جسيما في عزل عبد الحميد بل كفرت نعمة الله تعالى وقد علمت من صاحبزاده عبد القيوم عظيم الافغان ان الصدمة التي احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد علي من الكتب من اقطار الهند مالا يستطيع نشره في الجريدة وفيها ما فيها من اظهار التآلم والتأثر في النفس — وأخاف لو نشرت افكار المنار واللواء في جريدتي أن تأني غالبا بما هو عكس المقصود — واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ما كتبتم حضرتكم تعليقا على مقالتي أو في مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك ترموني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية — ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد — كلكم من المناظرين او فريق من المتخاصمين لا يستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن معاشر المسلمين في الهند ففي وسعنا ان نقيم الرأي الصحيح لاننا لسنا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتعاق الاديبي الذي هو روح الاسلام — وانكم مثل الجندي الذي يكافح ويناطح الاعداء في ميدان القتال لا يرى غير ما يكون حواله ولا يكون همه الا قتل مبارزيه ونحن كالمفرجين من بعيد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين — وانكم من الذين آداهم العصر الحميدي حتى اضطر والترك الاهل والوطن فلا بد انكم تسرون بزوال السبب الذي جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والقريب غيره والا فلم يكن يليق بحضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت مرحة أعدائه الذين لا تشفى غناهم الا بشرب دمه

ان ما فعلوا به عبد الحميد هو ليس غير عزله من صير الساطنة ولكن ترون مئات من ملوك والخلفاء والقواد العظام الذين دالت دولهم قد صار مصيرهم اسوء من عبد الحميد : ايش معنى على ناوليون ؟ وما جرى على مدحت باشا ؟ قد قتل السلطان عبد العزيز وعزل السلطان مراد - بل الفاروق (رض) وذو النورين (رض) والامام علي (رض) كلهم فازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دست الخلافة وأراد القاتل اغتيال معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفقاته رضوان الله عليهم في اشد المصيبة وقد نجد التاريخ مملوءاً من أمثال هذه الحوادث الجسام فمالنا ان نخص مفهوم الآيات القرآنية بعبد الحميد وحده بل يجب علينا ان نحترز من مثل ذلك الخطاء

واعلموا ان ظنكم وظن جريدة اللواء بان الانكليز في الهند يسمعون في إلقاء بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والهنائيين للقضاء على الاتحاد الاسلامي والخلافة فأقول لكم بكل الاحترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أنتم حيث ظنتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرة عادة عاقلة لا تتدخل أبداً في مثل تلك الأمور . ان مسلمي الهند كانوا يحلون عبد الحميد لكونه سلطان المملكة العثمانية وأحبوه لأنه في رأيهم كان حافظ هذه الساطنة من المخاطر الجسيمة لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلة التي خدم بها الساطنة والخلافة الاسلامية - وان كان عطل الحكومة الدستورية السابقة فلا أنه يحسبها مضرة أشد الضرر في حق الدولة والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غير فان و باقيا غير الله الواحد القهار : ان الحمزة علي بسمارك ما صار سبباً لخراب ألمانيا وعزل عمر بن الخطاب خالدا (رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين انلا يحسبه المسلمون سبباً لفتوحات ويتركوا الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام بطاعون عمواس وفازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تقطع سلسلة الفتح الاسلامي كذاك عبد الحميد أيضاً لم يكن ليصير الى الأبد ان كان يموت فكان لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هذه المسلمات لم تصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزاه طاعة كبرى للدولة ؛ لأن في

آرائنا أن الدولة الطليقة فقدت بهذا الأمر إحدى يديها وعينها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد أن كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول أن عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة في قبضة يده قد أحسن نظرا إلى الحالة الطارئة على البلاد في تلك الأيام لأنه لو كان القوم كلهم أو جزء قوي من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من المحال سقوط ذلك الرجل المصلح . ولا يذهب من خاطركم ما فعله القواد العثمانيون المظالم في حرب الروسية الأخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال العمال في ذلك العهد فكان كل تبعة الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الأعظم الحالي لما كان واليا في اليمن أي شيء فعل في تلك البلاد العسة ؟ لذلك رأى السلطان عبد الحميد أن العافية في أن يأخذ كل أمور المملكة في يده ويقبض عليها بيد من حديد ومن الظاهر أن ترقية القوم الذين قد خيم الأدبار بجرانهم لا يكون ممكنا إلا بالحكم المطلق

كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذلك

لا ننكر أن اجتماع الاختيارات في يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار في آخر الأمر موجبا للخراب أيضا لأن الرجل الواحد لا يستطيع أبدا أن يحكم على بلاد واسعة الأرجاء مترامية الأطراف وقد اندكت قواه بكثرة الأشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيخوخة حتى صارت أكثر الأمور في يد رجال المايين وهم يرمون كما يشاؤون ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذلك لما رأى أن جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري أعاده عليه وأعطاه حقه والظاهر أن هيئة الإدارة التي تشكلت في سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا يسمعكم إنكار أن المتعلمين المتورين الآن في بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الأعظم من تركية آسيا مملوءة من المسلمين الذين يميلون إلى بقاء القديم على قدمه أكثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد ومخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبر القديم هم يقدرون اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يفنون أن يكون السلطان مسلوب الاختيار

فان بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يبعثان الطمأنينة في نفوس الفريقين وهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدرج والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهلية والفتن الداخلية ومن الجانب الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة العلية ظخوفهم من سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعوم ولكن الانقلاب الأخير (المشرؤوم) قد فتح الدور الجديد قبل أوانه وزالت أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يعدم كل جهال الاستانة وصوفائها ولكنه لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق وكرديستان وجزيرة العرب والاضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة والحكم المطلق لا شك في أنهم سأكثون وصامتون الآن وسيستكون الى بقاء الإدارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو قليلا فلا بد من انفجار المادة المشتعلة الكامنة الآن تحت هذا الضغط الشديد (لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجود وجالس على عرش السلطنة ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كالة صماء في يد فريق ليس له وجهة خصوصية وقوة ذاتية . وتقول بعبارة أخرى ان يدا وعينا واحدة من يدي وعيني الدولة تعملان الآن واليد والعين الاخرين ممطلتان بل تريد اليد العاملة والعين المستعملة في ذلك الوقت قطع اليد الأخرى وقلم العين الثانية من جسم الدولة وصالح الدولة منوط باتحادها في العمل اعني كان من الواجب ان يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة وصالح المملكة مثل اليمين واليمين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيصملا حسب إشارته وينجحان في أعمالهما

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتيان من الأتراك (تركيا الفتاة) يتبعون

أثر اقدام فرنسا التي اسقطت الملك أولا والعلماء الروحانيين ثانيا وقطعت علاقة عبد الله تعالى أخيرا فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تطالم الاسلام لتجدون في انكثرا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تقلد الخلفاء الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكثرا . لا ريب انه قبل قرون من هذا العهد قد فعل كرامول في انكثرا كما فعل شوكت الآن في الاستانة ولكن ايش صارت نتيجة ذلك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواما متوالية وأخيرا قد حلت الملكية محلها وثبت ان محوها محال

تقولون ان عبد الحميد كان منبع جميع الشرور والمفالم ولكن ما تقولون في أمر تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا فأنهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي الزاهر هل تسبونهم على تهمة مثل تلك النابتة النابتة ؟

تقلم أقوالا للغازي مختار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علم بان عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامباله العدائية نحوه ولكن لم يتعرض قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسعى في جلب الفتيان الثائرين عليه من أوروبا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني اليس هذا سباحا وكرمانه لا يوجد له نظير الآن ان جمعية الاتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأسر عبد الحميد ورجال الدور السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذل المختار في زمان اقتداره ؟ ولكن التاريخ يشهد له بأجلى بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل كان يشدد ويلقى القبض على الذين بعدهم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من رفقائه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من أشد أعداء عبد الحميد فمما عنهم وطلبهم الى الاستانة وأنعم عليهم - وعلى كل حال إن المسلمين الهنديين متألون ومتأسفون جدا من جراء هذا الانقلاب لأنهم انه يضر بالدولة والملة العثمانية ضرراً بليغا ولكنهم اذا وجدوه مفيدا بحققها وثبت لهم ذلك من كوالياي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وتقر به أعينهم ويقولون « الخير فيما وقع » وإلا فقد اقي العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

انكم تنسبون تألم المسلمين الهنديين الى دسائس الاجانب . وأكثرت العقلاء يرون ان تركيا الفتاة مفروقة من جهة الأغيار في ارتكاب ذلك الخطأ الجسيم ان عبد الحميد لم يكن قط بانياً لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه بالحركة في عصره بين المسلمين بناموس الارتقاء البشري وأيقنت أوربا مثل يقينه بعدم تنامي كنوز يلدزوان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد وكان ذلك اليقين كظن ثروة عبد الحميدية الغير متناهية (بزعمها) مباركاً في حق الدولة والاسف كل الاسف على ضياع هذه الاعتقاد بهزل عبد الحميد وتحريات ثروته !!! ان اتهام عبد الحميد بالجبن كالصق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه لقد قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استافانوس ان يهرب الى بروصه لكنه لم يتزعزع من مكانه ولم يرض بترك دار الخلافة ولما طلب الروس الاسطول قال عبد الحميد اني أركب في السفائن وأدمرهم بيدي وأغرق بها ولكن لا أقبل ان أسلمها للهوى أبدأ اهل بمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذكر ثبات عبد الحميد وقوة جاشه عند وقوع الزلزلة في القصر وفرقة الديناميت على بضعة أقدام من مركبه حيث لم يكثر ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأكبر من ذلك ان يتهمه فاضل مثلكم بمقر الخور (استغفر الله) لأن وجود الخور في قصره من لوازم ضيافات الاورباويين الذين كثيراً ما كانوا يدعون كل يوم على مائدة ولاجل ذلك لم يكن يشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم ويقول جريدة اللواء «ان انصار العهد القديم والرجمين يمدون الجرائد الخارجية بالمال ويأخذونها وسيلة لنشر افكارهم» - يمكن ان يكون في مصر جريدة مثل مقالته - ولكن لا يوجد في الهند عثمانى واحد يحمض جرائدها ببذل المال على تنقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية - ومع ذلك فرصيفتنا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القياسي كالأقعة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل بيقية يافاتها بأنها قياسات لأصل لها -

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية قد تجاوزت حد الآداب في ذم عبد الحميد ولم تكن تفعل واحدة منهم هكذا في عصره - ومن العجب ان أكثر جرائد العرب والشام وغيرها يقلون مقالات المقطم في أنهر صحفهم - وهن يملن

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر .
وفرحها وسرورها بهزل عبد الحميد يكشف الغطاء عن نيتها ويظهر لنا جلياً انها ترى
هذا الهزل حسب مرادها .

ان كان عبد الحميد ليس له عون ولا نصير فلم يعدمون الآلات المؤلفة من
النفوس في الاستانة وسائر الجهات ؟ لا شك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان
يكون مثل شاه الصجم . انه كان محباً للملة وخادماً مخلصاً للوطن لا طالب الجاه . وكان
يجب الحياة لكن لا التتم والالتذاذ بنعمات الدنيا القانية بل لخدمة الوطن والملة وظنه
ن حياته رحمة الهية لصالح العباد والبلاد .

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء « ان عزل عبد الحميد
عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياءه لانه خلص من متاعب الحكومة » ولكن أقول
ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الاموتاً ونكالاً . لا يوجد
رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك
أوى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتستشير في الامور المتعلقة بالسياسة
الخارجية ويكون العمل منوطاً بالاكثرية لا على اشارته

ولقد طال المقال رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديم فائق الاحترام
لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كما ترون مناسباً والرد عليها سالكين مسلك الانصاف
والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولاً من ذلك الى بعض جرائد أخرى أيضاً عسى ان يتكرموا بنشره
كاتبه المخلص محمد انشاء الله
في ١٢ يونيو سنة ٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »
لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمات ومسائل حول المقصد

(١) كان لنا ان لا ننشر رسالة صديقنا هذه لانه لم ينشر مقالاتنا في الرد على رسالته

الأولى لأن الفائدة في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع ما يجب بيانه لقراءتها في المسائل المتناظر فيها لا جل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائه على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن يأتي بضد ما يراد منه كما قال فكان قراء جريدته لا يرضون منها الا ان تكتب لهم ما يوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من النقد ما لا محل لشرحه هنا . أما نحن فانا ننشر ما هو مخالف لرأينا ولمشرب جمهور قراء المنار لأنه ان كان حقا قبلناه ، وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمغ الباطل فاذا هو زاهق

(٢) لانسلم لرصيفنا وصديقنا المناظر لنا ما يدعيه من أن رأيه في عبد الحميد والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فإنه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين وهو لا يعرف أكثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى ما يمكن ان يظن هو أن جمهور قراء جريدته موافقون له في رأيه وميله وما هم الا عدد قليل في أولئك الملايين . وقد اعتاد مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا نتكرها عليها . وانا نرى بعض جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ما ينشر صاحب « وطن » بل ترد عليه فيما يكتبه كجريدة « وکیل » التي تصدر في (أم رتسر) وبلغنا عن مسلمي عليكده انهم مسرورون واضون عن هذا الانقلاب العثماني وناهيك عن هناك ، انهم أنور مسلمي الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل العاقل المنصف لم يفارقنا الا وهو مقتنع بأن تشاؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد تركي محبوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحقيقة . وقد كان هذا من المقبول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » علي ما كان عليه غريبا عندنا بحسب تأويله

(٤) قرأنا رسالته هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فعجبوا واستغربوا وقالوا ما نذكره مع إنكاره على إطلاقه وإجلال صديقنا وتبرئته من سوء النية : انه لا يمكن ان تكون هذه كتابة عارف مخلص... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المتصرين لها بل هم ممن يعرفون لها وينكرون عليها .

حقائقه يصب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان انسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة ما فعله عبد الحميد من الافاعيل الضارة بها وبالامة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه ويكون مخلصا محبا المصلحة العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمفاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسالته هذه ويدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سيئات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وتقبلوا فيها . ويبنى دفاعه عن عبد الحميد ومدحه له على ادعاء حسنات له لا دليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعاوي والمدائح الشعبية كما ينما ذلك في ردنا الاول عليه وزاده بيانا صديقنا رفيق بك العظم في مقالته التي نشرناها في الجزء الماضي وزيدته نحن بيانا في هذا الجزء (٥) ان كتابة صديقنا لهذه الرسالة بعد اطلاعه على ما اطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع ما نظن من اخلاصه الا ان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين المعجزة لا يقبل بحثا ولا استدلالا يخالفه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأيي هذا فاننا لم نر وجهها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخرها

(٦) إننا لا نعتقد صدق ما يظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طورها الدستوري وان كنا نعتقد انهم يحبون ان تنتشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يبطل ثقة المسلمين بالدولة العلية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكافوه ذلك ويغروه به

(٧) اننا لا نعتقد أيضا ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الدينية في مسلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والاتحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأصغر من ذلك فثله لا يسعى في عمل كبير كهذا . وانني موافق لصديقي المناظر في كون هذه الفكرة المنبثقة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المعنوية ليست الا أثرا من آثار سنة الترقى في البشر . وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه القفزة الاسلامية العامة . وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأيا قبل ذلك ان انكلترا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاسنانة وغيرها يحمل بذلك

(٨) انني لا أتعجب من منع جريدة « وطن » الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخشى ان ينتشر بدخولها من الافكار مالا يحبه لجهل العثمانيين بلغتها ، ولا منع جريدة « وطن » المصرية - ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قبطية لا يطعم صاحبها بنشرها في غير مصر - لان العاقل انما يعجب مما جاء على خلاف المهود ومثل هذا المنع هو المهود في أيام عبد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكتب خاصة هي سياسة جنون وهل يتعجب العاقل من المجنون اذا آذى من يحسن اليه ؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة ورفق عسكريا ومطافها وعمرداخليتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسالته هذه كما سيأتي

(١٠) اننا ندينه خطأ فيما أطرى به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يعمل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئا مما أثبتناه وهو مع ذلك يصر على إطراره بعبارات شمرية ودعوى ظهر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لا اعتقاده ان الأمة لم تكن أهلا له ثم أهلا له ومنحها إياه

(١١) لا نسلم له انه أول من كتب بالصراحة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد فاضت بدم عماله وبذمه هو أيضا قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظلمه وجبروته أو المستأجرة بماله لدخه أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية أو التي لا يهمها شأنها كبعض جرائد أمريكا واسبانيا مثلاً (وعسى ان لا يعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولى التي يسخر العقلاء من اتعال بعض الجرائد المصرية مثلاً)

(١٢) ان ما ذكره عن جريدة معلومات، غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروع سكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر خفي أو ظاهر من السلطان عبد الحميد وإنما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه . وإنما ذكرنا هذا الأمر مع كونه ليس من موضوعنا الخاص لفرضين أحدهما كونه مثلاً لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن الهنود يقتضي عدم الثقة بكل ما يكتبه

(١٣) دعواه اننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لا نستطيع ان نحكم في قضية الانقلاب العثماني حكماً صحيحاً لاننا من قبيل الخصم يحكم كل لنفسه وأن مسلمي الهند هم الذين يستطيعون ذلك — هي دعوى غير مسددة لأن التشبيه في غير محله والاقولنا انه لا ثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم — ولان اخواننا مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الأحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(١٤) اننا نعتقد اخلاص مسلمي الهند في حبهم للدولة ونعد صديقنا ومناظرنا من أشدهم غيرة واخلاصاً بل نقول ان خطأه جاء من شدة غيرة

المتصد وفيه مسائل

(١) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الأصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد » الخ واعترف بأن أخذ أزمة المملكة بيده « صار في آخر الأمر موجبا للخراب » وهذا ما قضى لرسائله الاولى برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استعدادها للحكم الدستوري بدليل ما حصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد الممانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال المال في ذلك العهد وعجز حلمي باشا عن اصلاح اليمن . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق نجيبي عن دليله الأول من وجهين أحدهما انما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا ظلوما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضغاث مضاعفة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستورا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة وبذلك يقوى استعداد الأمة بسرعة . هذا ما نقوله مؤخرا في الدليل نفسه لأننا لا نكر كون الأمة الميثاقية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في المنار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فان عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد ما نقله من ولاية الى ولاية والأمة لم تفطن لكيد . وان حسين حلمي باشا عجز عن اصلاح اليمن لان كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخرقه كان محالا على ان حلمي باشا كان حسن الادارة في اليمن لا ينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيبي عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأهم الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقييد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في المنار غير مرة مؤيدا ببراہين الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الإسلامية في المجلد الرابع وغيرها من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه اني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام ورده ذلك بزعمه ان قتيان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فضاء الدين ثم بقطع العلاقة بين الناس وربهم واختيار مذهب الماديين الدهريين

وتقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الفطن المتعلق بمكنونات الصدور وخجآت الغيب للمستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الحاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ماخبيها في الغيب . بل كيف يمكنه أن يدعي الاستدلال بالناظر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم التائبون من العثمانيين العرب (كالفواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كأنور بك من الضباط وغيره) والالبان (كنبازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر وانتحال مذهب الماديين وكذلك التائبون من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما نقل عن رضا نور مبعوث أدرنه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضاون الحكومة الجمهورية على الملكية

نعم اني لا أنكر انه يوجد في متفرنجي الترك - وكذا غيرهم من العثمانيين - كثير من الملاحدة لفساد التربية في البلاد والتعليم في مدارس الحكومة ولا يبعدان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المنتظمين في الدين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المنتظمون . فالملاحدة العالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشرف كشيجة على كرم الله وجهه ؛ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ؛ ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

وقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتیان الترك أو العثمانيين ونابتهم المتعلمة صحيحا وكانوا هم المعدن لإدارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء إدارة عبد الحميد أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتاج علينا تارة بأن عبد الحميد وفي التربية والتعليم في الدولة حتى صارت اهلا للدستور فتكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرووا ، وتارة يحتاج علينا بأن هؤلاء المتعلمين ملاحظة لا ينتظر منهم الا الإلحاد والافساد ؛ وليت شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحميد في الملك مع التعليم والتربية التي تنتج مثل هذه النتيجة ؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يبقى لعبد الحميد استبداده الى ان يموت على فراشه ؟ أليس مظهر من عدل الله فيه مما يزيد الذين آمنوا إيماناً ؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحسان الاعتبار بحال الإنكليز والاقتياس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه ومحبه هذا وقد نهت الى هذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المنار ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسنعود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الفازي سيء النية وعدو للسلطان عبد الحميد أي فلا يحتاج بقوله فيه . ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامياله العدائية نحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحميد مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا وتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة ويدكر لي كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأيه في السلطان ورأي الساطان فيه . وثانيا — لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سيء النية لعبد الحميد وشديد العداء له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له ؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتقاد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

دعه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها ومخرّب لها وهو الذنب الذي لا يغفره عند هذا الرجل العظيم الإ نعام ولا الإ كرام الشخصي . وثاناً ليراجع صديقنا من ١٩٠٧ من منار هذه السنة يجد فيها أن السلطان عبد الحميد كان يتهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي المنار والقانون الاسامي لا نهما أنشئنا لمقاومته نفسه . ولو شئت لذكرت له كثيراً من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم أنني إذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها قائماً أقول عن علم واختبار لا يمكن مثله أن يصل إلى ذرة منهما لأن قصارى ما يصل إليه تنف متعارضة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد وبغية . فإذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متهما عند الصديق (ساحبه الله) لأن بقي عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وأموالنا وأهلينا فيما ذابتهم هو لاء ؟ على أنه لو فكر قليلاً لعد اضطهاد الحكومة الحميدية لمثلي من أسباب التعديل لأن أسباب الجرح ذلولا الصديق والاخلاص لسهل علي أن أكون مطوقاً بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل أن يكون بين أمثالنا وبينه عداوات شخصية

(هـ) نرى آخر ما استقر عليه رأي صديقنا أنه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعانهم بتجاوبه على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إثارة للانتقام منه

وهول أن أكثر العقلاء من الأجانب والعثمانيين العارفين بالتاريخ يرون أنه كان يجب قتله عند الاقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وإن جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدير القوة غلبت العفو والسماح والرحمة على الشدة والانتقام وظننت أنها تستطيع أن تفسخ سنة من سنن الاجتماع البشري فتحدث انقلاباً في الحكم ، غير ما طخ بالدم ، وقد كنت أنا ممن حذر من التعدي على شخص السلطان ودعا إلى الاستفادة من تجاربه في الأمور الخارجية في أول مقالة كتبها بعد إعلان الدستور ولكن أبي الله ذلك فأبي عبد الحميد أن يعيش مع حكومة الشورى والدستور يرضى

القتيل وليس يرضى القاتل ، فأخذ يكيد لها كما كاد لسابقتها ، فوقع في البئر التي حفرها ، أما آن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرقها الأرض والسماء ولم يبق منفذ للشك فيها

(٦) يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكرستان وجزيرة العرب والناطول سيبهون الى مقاومة الدستور بعد انقضاء مدة الاحكام العرفية . يعني ان من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضادة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين وستكون سببا للثورات والفتن الداخلية

وقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جديدة بدم فهم منافع الدستور لعموم الجمل فيها كما بينا ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي أيضا لا تشق الحكم المطلق تفضيلا له على المقيد بحجة دينية أو عقلية وإنما يخشى من الفتن فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والأعراض والأموال شعروا بأن ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا أحبوا ويحبون مقاومة الحكومة الدستورية كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشتمهم الحكومة العرفية كل يوم

وقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم المملكة لتعمير بيوتهم وإذلال أهلها لأجل تنفجهم وتعاظمهم لا يعقل ان يكونوا غير محبين له ولتتمتع بنعم ساطته فهم كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨) اني لا أقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الادعوتة الى التوبة والاستغفار من هذه المعصية فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب يعلم فيه أن محمدا الخامس في بني عثمان كهمر بن عبد العزيز في بني أمية ، كما ان عبد الحميد ، شر من يزيد ، فسلطاننا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور ليس آلة في يده يستعملها بهواه كذلك المسلط بالبغي الذي أدال الله لنا منه .

ومن اتناقض ان يطلب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا
ان يعد هذا من الاسلام

(٩) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ
ونقول ان المقطم كان دائما يطمئن في عهد الحميد وحكمه ولكن يتحامي الطعن
الشخصي الصريح الذي يخشى أن يعاقب عليه القانون المصري الذي يعد السلطان سلطانا
له و بعد سقوطه زال هذا المانع . أما كونه كان « مخالفا للحقوق التركية والمصرية »
وسمي النية فنطلب من صديقنا المناظر الجمع بينه وبين ممدوح هوبه الانكليز من
العدل وحسن النية و ارادة الخير فانه لا يختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال
مويدا لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كذهب صاحبنا . وأما
كون جرائد سورية لم تكن تدم عبد الحميد في عهده فهذا من البهيميات التي لا حاجة
الى الكلام فيها . على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور
(١٠) قال انني اتهمت عبد الحميد بشرب الخمر واستغفره الله من هذه التهمة بالنياة عني
وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيرا ما
كانوا يدعون كل يوم على المائدة » يريد ان يرى كل من كان في القصر من الشرب
واقول لصديقي ومناظري الفاضل انني اعجب لقلبه الشريف الذي يملأه الحب
حتى لا يدع فيه مجالا لشيء يزاحمه وأتمنى لو افوز بدوام حبه وصداقته . ثم أؤكد له القول
بانني لم استدلل على شرب عبد الحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمر في
يلدز كما فعل اللواء فاني أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان أكثر من في يلدز كان
يشربها بلا تكبر وانها هناك من المؤونة الضرورية . أعرف هذا من الثقات الذين
أكلوا فيها وخالطوا أهلها . وكثيرا ما كان يذكر في البرقيات العمومية والجرائد شرب
عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد
بالانقلاب كان يتغذى بالروم المعتق . . .

(١١) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك

لا يثاره الحلم والعفو

وأقول انه لم يكن قادرا على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصديقنا

لا يعرف من معاملته له شيئاً قط ولا حاجة الى إعلامه به . وأما انتقامه من الاحرار فلم يذخر فيه وسماً فقد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن ونفى خلقاً كثيراً . وعوالم المدنية كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح و بالسلطان الاحمر . ولا أحب أن أناقشه فيما ذكره من مدح أخلاقه فانها شعريات لا يؤثبه لها وما أحبت له ذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لأن ادبه في نفسي اعلى من ذلك . والذي عليه المحققون ان جمود عبد الحميد في موضعه يوم الزلزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب . وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به . وليكن عبد الحميد شجاعاً فماذا جئنا من شجاعته التي لم نر احداً قال بها الا صاحب الوطن اوجبه الذي يضرب به المثل غير الحنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الانقلاب الاخير اظهار كنوز «يلدز» ومخباتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الأوربيون وكان توهمهم ان فيها ما لا يحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخيفهم من الاقدام على مناوئتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

وقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الخلابة والمخادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم اليين الواضح هو ما تخيله صاحب المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من القنذالذهبي لا يعرف مكانه الأوربيون الذين يدبرون ثروة العالم . ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العثماني فيها لاحظ ان عدداً يوثبه له من قراطينه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في «يلدز» وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة مالياتها (ومنها) انهم كانوا يعلمون ان عبد الحميد يودع في كل سنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لها في بيوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا ينجح اليه عاقل ، لأنه عرض زائل ، فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيدنا بعد موته (ومنها) اننا ما رأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث ،

ونزول الكوارث ، وإنما كانوا يطلبون منه الأمر الثاني المنزل له ولدوته فاذا راوغ وهددوه أجاب صاغرا ، وخنع متضائلا ، ولم ينس أحد تهديد فرنسا له في مسألة الأرضة وانكثرا في مسألة العقبة وإيطاليا في مسألة البريد ، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم . ثم إنهم اثزعوا في أيامه معظم الولايات الأوربية من الدولة حتى أنه لو بقي سلطانا سنة أخرى لذهبت الولايات المكدونية التي هي سياج العاصمة بلا نكير . فأتقوا الله أيها المتصورون لذلك المدمر المحرّب فقد وضع الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما انتقده الصديق عليّ من إيراد آيات الإنداز من القرآن في المقالة التي كتبها للعبرة بالانقلاب الأخير قال أنه لم يكن يليق بي أن أصوّب سهام آيات الإنداز من القرآن الكريم إلى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الخول والعلول وإن ما جرى له ليس أمرا كبيرا بالنسبة إلى ما جرى لغيره من الخلفاء والملوك والكبراء وذ كر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين وأقول ان الصديق نفعا الله بمودته قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكير لقراء المنار بعواقب الظلم والإفساد والبغي والفرور بالقوة والغنى والملك والسلطان ، ومحاولة الفرد إذلال الأمة وقهرها لينالها التمتع بلذة السيادة ولوازمها فيها : ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبارة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فعد سقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا . وما ابعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبارة فيها . لو صح ما رمي إليه لما كان لنا فائدة فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من اللغو الذي يثنيه كلام الله عنه

قتل عمر لم يكن الا كموته فما خاب به سعيه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل
بعده . وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ما ليس في قتل عمر لان لينة لبني أمية الطامعين أو وجد
في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جرائم الفساد ، فانتج ذلك من الشر ما
أنتج . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يعد للظالمين العدة الكافية
بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم .
واما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الارض مغرئ بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه
يعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والخلاصة اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشبهة بقتل
الأفراد أو عزلهم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبد الحميد
ثألا ملا جوائحه لحسن اعتقاده بسياسته وهو مخطئ معذور في ذلك فعسى ان يكون
قد استبان له الخلق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

٢

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعله
العوام كثيرة مشاوعها ، مفهومة تضيق المهارق عن استقصائها ، ولم يأت منها بشيء قط
فان أثر الاستسقاء ليس حديثا مرفوعا ومطلب الدعاء من أويس ليس محلا للنزاع
فان الدعاء يطلب من الاعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل
ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوهابية يعترفون به كله ويفرقون بينه
وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه
المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب : واما ما جنحت اليه من هدم ما بيني على مشاهد الأولياء من
القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهيا ، والبلى العظيم ،

من الظلم ، الذي أضلك الله فيه على علم ، ثم انه بعد سرد جمل واسجاع من هذا السباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر » ومطلع ذلك الفجر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عائلهم لا على الصيغين ، لما فيه من الحرج على بقية المستحقين ، ونش عظام السابقين ، ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متقفا عليه . . .

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هذا التحريف للنصوص ممن يلبسون على الجهل لباس العلماء فتنبهم العامة على تحريفهم فتضل عن دينها وتضل هذه الغاية الرديئة منعوا العلم بالكتاب والسنة زاعمين بمجهلهم انه لا يفهما أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعربية وان كان عاميا أن يضرب بتأويل المحجوب وتحريفه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فمنها حديث أنس في الصحيحين وغيرهما وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لمن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يحذر ما صنعوا » أي يحذر النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انما كم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتفصيلها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتهم الجاهل منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فعضلوا أصحاب القبور تسليما وصل الى حد العبادة إذ صاروا ينحشرون ويضرعون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ، اما ان العلماء لو كانوا يعطون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

القباب والمساجد وتعرضت لعنة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المظلمين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤثرون للعوام والخواص ما يعملون حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه مع وجود الأحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبرة ٩٣١-٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي « اتخذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أو ثابا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها » ثم قال

« عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح لأنه لمن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك قبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فليصنعوا كما فعلوا . واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور الستة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية « إذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا يحرم الصلاة إلى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشترطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث المذكورة لما علمت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور أننا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحصل قول أصحابنا بكرهه ذلك على ماذا لم يقصد به تعظيما أو تبركا بذى القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والقنديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الأولياء

(قال) واما اتخاذها اوثانا فجاء النهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد بعدي » أي لا تعظموه وتعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه (١) فان اراد ذلك الامام بقوله « واتخاذها اوثانا » هذا المعنى انجبه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد . نعم قال بعض الخنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركاً بها عين المحادة لله ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعاً فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن ظان بالعلماء تجوز فصل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضرم من مسجد الضرار لأنها استست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى »

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر نقلاً وتفقها لا لأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبؤ عنه النصوص النبوية الشريفة وبخلافه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ما ضل في هذه المسألة — كما زعم — على علم ولكن هو ضل على تحريف وجهل . وهكذا كل كلامه منبئ بجهله أو نعمده التحريف . ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لا أشاروا عليه بعدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فجاء فيها بما هو مشهور على السنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الفزالي من مسألة

(١) أي كالدعاء عنده والطواف به وتقبيله والتمسح به . وهو ما يفعل بقبور الصالحين

الاستعداد لا يقوم حجة عليه لأنه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على أن الغزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا أن نقيد الآيات والأحاديث بما لا تدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعمدة البراهين على زيارة قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث أنه ضعيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكأن المحجوب قد حجب والعياذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) بفناء سليمان لقبر الخليل عليها السلام وبعض روايات حديث المراج أن جبريل أمر النبي (ص) أن ينزل عند قبر جده إبراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صحيحه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الإسلام في تفسير سورة الأخرس أنه موضوع ولم يكن لإبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الإسلام ولا في العصر الأول له . على أنه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لأنه لا يعارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليها إذ لا يدل على أن القبر كان عليه مسجد ولا على أنه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة « عتده » بالصلاة في مكان هناك وإن بعد عن القبر . فان فرضنا أنه هذا الحديث يعارضها والجمع بينه وبينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المراج كانت في أول الإسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنه كان يقولها قبل الموت بخمس ليال ويقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟

وحرف أيضا النهي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) « بحمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائرين (قال) وأما إذا كان القصد به انتفاع اللاتدين والمقيمين فهو جائز بلامين » وهذا من التحكم في حديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم بالهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . و بناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية وحرف أيضا وأول الندور والذباح لأصحاب القبور وزعم ان تلك الندور لا تفعل على انها من باب الديانات . وبطلان هذا بديهي لكل مختبر الا انه يجوز ان يكون لم يطلع على ما اطلع عليه غيره من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكلمون جزافا

وحرف أيضا الأحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعما ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسنتهم بل زعم ان المسلمين انما يحفرون القبور تحت البناء وهذا لا دليل على منعه والجاهلية ينون على القبور (انظر ص ١٥) وهذه سخافة لا يكاد يرضاها لنفسه عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يعقل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟ على ان المسلمين يفعلون الامرين معا كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب واكثف حجبا فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يخاطب من يرئى شيخ الاسلام ابن تيمية بالانحراف عن السنة وتحقير السلف وهو الذي امتاز على جميع علماء الاسلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف واظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصوفية والفقهاء بالحجج والبيانات النقية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي وان له رحمه الله كتابا في المسألة التي يعبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطلع به ينشر قري ما يقول عباد القبور فيه

أرسل الينا هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيداً وطنياً للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسمياً . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الأول مولانا محمد الخامس بذلك ، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة أن الاحتفال الأول فيها سيكون ذابحة وفخامة لم يعهد لها نظير ، يشترك فيه الأهالي مع الحكومة بمحض أريختهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى أنه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز إلى دور الكبراء لعله أنه لا يكاد يوجد فيهم من تراتح نفسه إلى إنفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وإن كان مما نهى بهجاه عبد الحميد من مال الأمة أو مما باعه للأجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المار في مقالة عنوانها (الشعوب والوجدان ، وشعائر الأمم والأديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هناك أن الأعياد من الشعائر التي تحيي شعور الأمم بالمعنى الذي وضع الميد لاجله سواء كان دينياً أو اجتماعياً ومما قناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا ملوكهم أعياداً لإحياء الشعوب الوطني الذي يمثلته رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم أعياد باسم الحكومة التي يعترف بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك أن هذه الأعياد شعائر تبعث الشعوب بحب السلطان أو الأمير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والأمة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويفتر به المفترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقد مررنا في هذا بين ما هو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والأمراء الفا وما كان ينبغي أن يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بهدوم الأمير من أوروبا فيينا أن الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وإنما يحتفلون بالملوك والأمراء لذواتهم لا لغنى وطني عام . قلنا « والصواب أن الشرقيين اشد الناس تعظيماً للملوك منذ القدم وحسبك أنهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر ما لهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور قديماً ببعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة إلى أن هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله وجهه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الظلم في إسناده إلى الأمة مع أن القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لدى كرمي جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بعظمته في نفوس من لم يذوقوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلمون أنه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعوراً بمقتته وبفضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من أموال المرائين في الغالب أن تقوية الشعور بعظمة الأمراء والسلاطين في نفوس الأمة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة وأهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الأمة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . وإذا كان سلطانها راضياً لها بذلك مشتركاً معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس أيده الله تعالى — كان ذلك مما يحبه إليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بمزتها وعظمته بعظمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حينما كانوا ، وإنما حلوا ، وستكون عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بفائدته

ألفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، وإقامة بما يحسن من الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، وإذا قبل انخلص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخالص ، وسيكون احتفالنا في حقيقة الأريكية ، بكيفية لم يعمد لها نظير في الأعياد القومية ولا الرسمية ، تتجلى فيها الحقيقة متألثة بالانوار الكهر بائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانية ، وتألف فيها اصوات اشهر المطربين ، بنفحات احسن آلات الموبسقيين ، وتعرض فيها الصور المتحركة البديعة ، لا سيما صور حوادث الأستانة الأخيرة ، وغير ذلك من أسباب الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك زينات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتتجلى بهذه الاحتفالات عثمانية المصريين وانخلاصهم للدولة العلية كما تتجلى فيها جبههم للدستور ومعرفتهم لقيمتهم يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسية محظورة في الاسلام لأنه لم يأت الا بهيدين فقط هما عيد الفطر وعيد النحر قال زيادة عليها بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقانا له ان البدعة الدينية إنما هي فيما يهدل على انه من الدين فقولك هذا إنما يصدق على الموالد التي صفت بصفة الدين دون هذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لا صفة للدين فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لمقصد ضار كعظيم الملوكة الظالمين وتقوية سلطتهم دول ما وضع لمقصد نافع كتعزيز الأمة ورفع شأنها

جميع المشتركين الماطلون

بعض الماطلين في القطر المصري معذور بما أصابه من العسرة المالية وبعضهم يمتدح بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروسيا الذين كنا نعددهم أحسن المسلمين وقاء كادوا يكونون كأهل تونس مطالاً وهضماً

هو في المحاكم من يشاء من يؤمن بالحكمة فله أن ي
يخبركم بما يشاء من يؤمن بالحكمة فله أن ي

المحكمة
١٣١٥

فيهم جادى الذين يستعملون القول فيهم جادى
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و منادى كناد الطريق

مصر - الاثنين ٣٠ رجب ١٣٢٧ - ١٦ اغسطس (آب) سنة ١٢٨٥ ١٩٠٩ م

التعصب الديني عند الأفرنج

كتبنا في الجزء الماضي نبذة في التعصب الديني عند الأفرنج فيما ان مهد الفلوفيه أوربا وآسيا وقيل ان ينشر الجزء ظهر في الجرائد الأفرنجية المصرية ما يؤيد رأينا ويثبت أشادت هذه الجرائد انه وقع خلاف في لجنة الاحتفال بعيد الدستور العثماني سببه الاختلاف في الدين وان صاحب المناو قل في اللجنة انه لا يقبل ان يكون رئيسها نصرانيا . وطفق محررو تلك الصحف يشتمون على هذا التعصب الاسلامي الشرقي الذي تخيلوه فخالوه فشتوا عليه كدأ بهم وعادتهم وقياسهم على انفسهم ويقال ان بعض محرري تلك الصحف من السوريين وكانهم لما تلقوا لغات الأفرنج وآدابهم تفرنجوا فأخذوا منهم محضاء التعصب يحررون به ناره كلما منحت السوانح أو عنت البوارح ، وهالك ما قاله في ذلك جريدة (النوفل) قولا عن عن ترجمة الاخبار لها « قلنا في عدد مائة ان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المناو ارأى انه يجب ان لا يرأس نصراني جمعية الاحتفال بالدستور العثماني . والشيخ رشيد هذا كان الى اليوم يهد حرا مريدا للدستور عدوا لحكم السلطان عبد الحميد وقد حارب الخليفة السابق بصفته مسلما باذلا جهده في سبيل تقويض حكمه المبني على الظلم والاعتداء والنهب والسلب والفتك بعباد الله وقد كان شديد التهمة في كتاباته الى حد انه ألزم ان يفر من تركيا ويلجأ الى القطار المصري

«والآن قد تغيرت الاحوال واعتقل عبد الحميد في سجنه الحالي في سالونيك محجورا بنظره عن الاشراف على ما يجري في البلاد وأصبح تحول بينه وبين الحياة و بين الطبيعة سيوف الحراس . فقد هذا الظالم الذي طرده العالم من بينهم قوته ولكن أولا هل سقط مع عبد الحميد كل ما كان قائما في أيامه ؟ اذا نشك في ذلك لانه اذا كان مثل الشيخ رشيد رضا يجعل بين المسلم والنصراني فارقا فماذا يفضل غيره ؟ أفلا يجوز ان نعتقد ان أحرار الأتراك ما كادوا يستولون على كرسي السلطة حتى تناسوا مطالبهم القديمة بإقامة العدل وتاليه الحرية

ان الشيخ وشيدا سيندم على ما جاهر به غير ان ندمه لا ينفي انه قال ما قال
ولقد أصبح الآن يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص اخوانهم المسلمين اه
(المنار) لما اطلع اعضاء لجنة الاحتفال بعيد الدستور على هذه الكتابة كتبت
اللجنة الى هذه الجريدة وسائر الجرائد التي ذكرت الخبر المختلق تكذيبا له . ونحن
نريد على هذا التكذيب كلمة نقولها لكاتب تلك النبذة في جريدة النوفل وهي
قلم إنه يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص المسلمين لهم بعد
ان تقات لهم صحفكم تلك الكلمة عن صاحب المنار دون صحفهم العربية وكان من
مقتضى التساهل الذي تدعونه ان لا يصدقوها عنه لما يعلمون بالاخبار الطويل من تساهله
وكتابته في الدعوة الى الوفاق اثنتي عشرة سنة حتى باسم الاسلام ومعيه مع بعض
اصدقائه المسلمين في تأليف جمعية سياسية مصرية مؤلفة من جميع العناصر العثمانية لأجل
جمع كلمتهم وتوحيد مصالحهم — او كان ينبغي لهم مع تصديقها ان يحملوها على غرض
صحيح غير التمسب كأن يكون مراده — لو صح الخبر — ان جعل الرئيس من
كبراء المسلمين كامراء البيت الخديوي مثلا يجعل للجنة من النفوذ والاحترام وقبول
الدعوة الى الاكتاب ما لا يرجي مثله لو كان الرئيس نصرانيا لانه ليس في نصارى
العثمانيين من له مثل هذا النفوذ . هكذا شأن التساهل يتروى ويتثبت في الخبر الذي
يثير الخلاف وينافي الائتلاف فان ايقن بصدقه التمس له مخرجا صحيحا

فاذا كان النصارى يهذرون على رأيكم بعدم الثقة باخلاص أحد من المسلمين لخبر يحتمل
الصدق والكذب والقرائن تدل على كذبه ويحتمل على تقدير صدقه ان يكون قيل
لفرض صحيح لا للتمسب أفلا يهذر المسلمون بالا ولى اذا كانوا يرون الرجل من علماء
دينهم وسلالة نبينهم والدعاة الى الاصلاح الديني فيهم يقضي السنين الطوال وهو يدعوهم
الى التسامح والائتلاف مع النصارى وغيرهم بالقول ويجعل نفسه قدوة في ذلك بالعمل
ثم يرميه النصارى بالتمسب ويجعلونه حجة على عدم ثقتهم بأحد من المسلمين ؟ ؟
بلى ولكن بحمد الله تعالى أن كان أهل الشرق من المسلمين والنصارى لم يصلوا الى هذا
الحد من التمسب الذي ينقته فيهم كتاب الأفرنج والمتفرنجين منهم ولذلك رأينا الفريرتين
قد هزوا بما كتب في تلك الجرائد الافرنجية عن صاحب المنار حتى قبل تكذيب اللجنة له

الجنسيات العثمانية

﴿ واللغات العربية والتركية ﴾

ان من شؤون مدينة هذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية فترى الغربيين أئمة هذه المدينة اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أو الجوية أو المائية أخذ في النقص حتى خيف من اقتراضه حرموا صيده ان كان مما يؤكل وقتله ان كان مملا يؤكل وان كان ضارا كما يحفظون على العادات والآثار القديمة جميعها ، ونراهم أيضا يرغبون في بقاء نموذج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحيا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويتنافسون في معرفتها

ما كان لهذه المدينة أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح باقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقومات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتبر ذلك بالأجناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) تلمه واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية يقرض باقراض أفرادهم أو جملهم بالموت أو بالأمومة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والذل الذي يقل النسل ويؤيد رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم حالة ممزقة في الأرض لا تسمى شعبا ولا تمه قبيلة ،

وهناك ضرب من ضروب اقراض الجنس يتحقق بانحلال رابطة الجنسية

(١) نستعمل لفظ الجنس والأجناس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمى جنس الترك أو الروم مثلا صنفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان الاجناس مراتب عند المنطقة منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

وزوالها لا باقراض الاشخاص واقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لفته فيمتزج به ويلابسه في تقاليد وعاداته حتى يذوب فيه وبصير من عناصره المكوّنة لذاته كما امتزجت الاجناس السوديّة في الجنس العربي باللغة في جميع الافراد وبالدين في أكثرهم ونسبت جنسيتهم القسبية وزالت جنسيتهم اللغوية وصاروا كلهم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقى والكمال في الانسانية لا من النقص أو المرض الذي يمرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكلما اتسع نطاق الاجتماع وقل الفرق والاقسام فيه زادت الانسانية كمالاً ولهذا يرى حكماء الاجتماع ان متهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلهم أمّة واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا وطن ولا دين ، ويستحيل ان يتحولوا الى هذا دفعة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض بالتدرج البطيء . وان الامم الكبرى التي تجتهد بنشر لغاتها وآدابها في ارجاء العالم تطمع كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلهم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة وبقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من سبق الى الاستفادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم أطمع الامم في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوهم في أثرهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاته وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث لنسعى لتفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيداً وقدمة لا مقصداً . وعندى ان الاسلام يربى الى هذه الجامعة العامة (١) ومن فروع هذا المبحث انى لا مندوحة عن ذكرها في باب التمهيد ان هذا النوع الكمالى من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شعب من الشعوب بأن يكون هو المدغم في غيره لاجل تحقيقه فضلاً عن ان يرضى بذلك اثاراً لمقومات جنس آخر على مقومات جنسيته ، وسبب ذلك ما ذكرنا آنفاً من حرص الانسان على خصائصه ومميزاته وان كانت ضارة كمعض التقاليد والعادات وانما له طريقان

أحدهما القلب والقهر وطبيعة المدنية الحاضرة تأبأهلا ذكرناه في فاتحة الكلام ، وثانيهما التحالف والاتحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثلا ما عنده بمقتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان تغلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطعم فيه بعض الفريسيين في مستعمراتهم كفرنسا في الجزائر ، والشعوب العثمانية اخرج اليه ولن يكونوا امة واحدة بدونه ينتج ما تقدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لا تستطيع في هذا العصر ان تحمل رابطة جنس من الاجناس التي تكون منها أمتها بالقهر والإكراه ، ولا بالخلابة والاقناع ، بل سبيلها اللامح أن تؤلف بينها في المنافع والمرافق ، والمصالح والوظائف ، وتوحيدها بجنسية الشريعة والقانون ، دون جنسية اللغة والدين ، حتي يتمازج منها ما هو مستعد للزج ، وينبذ مزاج وحدتها الجديدة من لا يقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المعتدل ما عساه يدخل فيه من الاجسام الفرية

أعني بهذا النيب والليب فهم ما تقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس . ذلك ان الجنس الذي لا تقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) لجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه ينسل أكثر أفرادها في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي تربطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات اللغوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى تغلب الامثل فيكون على أشده بين العربية والتركية لانها اللغتان الحيتان للشعوب الكيرين في الأمة والاولى منهم اللغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطنة الرسمية وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا ان الاو من شعب صغير وعنده قريب بتدوين لغته وجعلها لغة علمية ولا يطعم أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاجها فيهم أنفسهم فهي املك لأستهم من لغتهم

وأما الألبان والأكراد فهم حتى اليوم لم يدونوا لغتهم ويجعلوها لغة علم ولا يطعمون في نشرها وتحويل أحد من الشعوب الأخرى إليها والتركية مزاجية لها في الشعبين وكذا العربية لاسيما في بعض بلاد الأكراد كالألبانية وغيرها . ثم إن الدين يجذبهم إلى هذه الإدارة تجذبهم إلى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشعبين بلغته ومحاولة إحياءها تقليدا لما ذكرناه من طبيعة المدنية الغربية لهذا العهد لا يفيد إلا أثقالا تهوكة عن تحصيل العلوم ومجاراته غيره بالترقي فيها لأنه إن ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وإن ترك التركية قصر في عثمانيته وما يترتب عليها من الفوائد فلم يبق إلا أنه يضع بعض زمن التحصيل في دراسته لغته القومية ولا أرى العقلاء منهم يطعمون في تأسيس دولة لأنهم يعلمون أنه لا فرق في ذلك بين شعبيها وبين الشعب الأرمني من حيث أنه طمع في غير مطمع يضر الطامع ويضر الدولة فيقوى عليها الطامعون فيهما ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على أن محاولة تمزيق السلطة محرم في الإسلام قال الشعب الإسلامي الذي يفارق الجماعة يعني على دينه وعلى دنياه - فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك القالين في عصبية الجنس أنه ينبغي للدولة أن تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى التقاضي والمرافعة في المحاكم إلى أن تحول العرب فمن دونهم من العثمانيين إلى الجنسية التركية . ويظنون أن هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور ، وما ظنهم هذا إلا أثم وغرور

ويرى بعض العرب ينزعة دينية وبعضهم بنزعة جنسية أنه ينبغي للدولة أن تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لأنها لغة الشعب الأكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، ويقتلون عما ينافيها في القسم التمهيدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسيما في شعب يرى لنفسه حق السيادة فإن تنازل

عنها بالدستور فانه يصعب عليه أن يترك من مميزاته ما حفظ لنفسه الحق في استبقائه
بنص القانون الاساسي وهي جعل لغته هي اللغة الرسمية للدولة

ان غوائل اختلاف اللغة في الدولة لا تنكر وان فوائد توحيدها ووحدة الامة
بها لا تجهل ، وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة هو اوضح وأظهر ، فانها هي
التي تتوفر الدواعي على تعميمها لان الناطقين بها أكثر من الناطقين بغيرها ، وإرجاع
القليل الى الكثير أهمل من عكسه - ولأن للترك والكرد والالبان باعثا نفسيا بينهم على تعلمها
وهو الحاجة الى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم)
وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب أئمتهم في التفسير والحديث والفقه
وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجهل ان
يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لما سبقتهم في فرصة أخرى - ولأن جعلها اللغة
الرسمية هو الذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركون فيها
غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم
في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمهم لها في مدارسهم خاصة تأثير في اضعاف الوحدة
- ولانها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون - ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين
ولانه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها
المسلمون (كالصين وجاوه والهند) من غير نفقة توازي عشر معشار ما تنفقه الامم الغربية
لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجاريتها في الشرق - ولأن الدولة تأمن بذلك من
قيام دولة عربية تدعي الخلافة وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض
دول أوربا - ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام العالية وهو محو العصبية
الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المرجحات لا تهرب عن علم اذ كياء المفكرين من الترك ولو كان أمر
الأقوام والشعوب مما يتبع فيه البرهان اذا ظهر لكان حل هذه المسألة من أهون
الأمر ولكن الأقوام والجماعات تتبع الشهور والوجدان دون العقل والبرهان بل
يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطبق سماع الدليل فلا

مطمع إذا في رضا الشعب التركي بجعل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كلها
كان في ذلك من الفوائد وأمن الفوائد لا سيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه
المصائب الجنسية في أوروبا من عهد نابليون إلى اليوم وصرت عدواها إلى البلاد
المجاورة لها

إذا كنا لا نجد سبيلا إلى توحيد اللغة لاجتماع فوائده فكيف السبيل إلى اتقاء
غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين وما يتبعه من تحريك عصبية الجنسيين ، الذي
هو أشد الأخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تعزيزها وإعلاء
شأنها والتأليف بين أجناسها وعناصرها جهد المستطاع ؟

يقول أكثر الباحثين المستقلين من الأجانب والعثمانيين أن حل هذا المشكل
طريقا معبدا ومثالا متبعا لا يحتاج معه إلى النظر والاستدلال وهو ما عليه سلطنة
التمساقينبي أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعبين النمسا والمجر وان يكون
مآثر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية

أراني بهذا قد وصلت إلى بحث لم أكن أرمي إليه ، وطرقت بابا لا غرض لي
الآن بالدخول فيه ، باب البحث في المسألة التي يعبرون عنها بالمركية واللامركية
التي هي موضوع الخلاف بين الحزبين السياسيين الطبيعيين فينا وهما حزب الاتحاديين
وحزب الأحرار قلندع تنازعا للزمان يرم فيه حكمه ولنعد إلى موضوع اللغتين فنختم
الكلام فيه برأيتين أحدهما ما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب
والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولا تدري ايرضيهم أم لا

﴿ الرأي الأول ﴾ هو ان يكون تعليم كل من الشعبين في المدارس الابتدائية الرسمية
بلغته وان يكون تعلم اللغتين إلزاميا في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وان يكون تعليم
العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وان تكون جميع معاملات الحكومة
كل ولاية من ولاياتها بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لاجل مخاطبة العاصمة
وتلقي الخطابات منها بالتركية - وأما سائر الأجناس فيعلمون العلوم بالتركية لان أكثرهم
يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فانه يكون تابعا لاهل ولايته فان لم يتيسر
تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول لمجلس الأمة فالرجاء فيما بعده قوي اذا

كان الترك كما نظر يحبون الوفاق . وقد ينامن قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١ م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لميد الله افندي مبعوث أزمير أودعه في مقالات له في التعليم نشرها في جريدة « تصوير افكار » وترجمته بعض صحف بيروت ومصر وهذه خلاصته نقلها عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية قال :

أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لساناً علمياً لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القري ودار السلام تسعى في انتهاز علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضمحل منذ اقضت السلطنة العربية

وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الاعى التي لا يزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة لتقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم باعباء واجباتها . ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثير سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية ولتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارمن والارمن والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو أربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرتني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس ماأراه من لزوم تنبيه الأذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ التدابير التي سردها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه تقطع ألسنة الذين أصبح دينهم في هذه الايام الضرب على نفقات الخلافة

وان منع دخول المؤيد وغيره من الأوراق المضرة الى الولايات العربية لافائدة له بل ربما زاد اقتناء الناس الى مطالعته

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية فقط يمكن اشاعة العلم وتوان من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضا من أهلها . وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يعد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم العليها - من أقرب طريق لا يكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاءها من العرب وموظفون بصورة رسمية

ومنى تم ذلك نبع تلك الاقطار في القريب العاجل فحول العلم وادهاط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان . فلا يعني الزمن اليسير حتى تنتقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تقدم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والقائدة لهذه الحركة

وفضلا عن ذلك فان دولة كالخلافة الاسلامية وسلطنة كالسلطنة العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لا تزال نستنير بأنوار علمهم وفضلهم لا يمكنها الا كنفها بالقسطنطينية وحدها مركزا علميا لهذا الملك الطويل العريض ، فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين وبغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلامية ودمشق عاصمة الخلافة الاموية وأكبر مدن السوريين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعات وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمة في هذه السلطنة وعندئذ يخلف الأئمة البصريين والكوفيين القدماء بوضع سنين أئمة واساتذة عراقيون وسوريون وحجازيون يحملون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا ما امتد لسان الى الخلافة يسلقها العلم اه بعبارة الاتحاد

(المئارج) كنا ننتنى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عامة . وانا مقتبس بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

﴿ العربية والتركية ﴾

أصيبت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهويل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية فحمت نبت لو اشيا

الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تكن بها ولا بغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، وبعد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من الممالك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وأنشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشاري الفرنسيين النبهاء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوربية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وبتأوارها يستضيئون وذلك لأنها العظم وتاريخها المجيد القديم ، بقي الامل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ومجند وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في قفور ، وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمحض على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسي ، والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح العلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضمف لفتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد إعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريد ان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليحيى منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم تشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعلم العلوم بالتركية للذكور والآنث وللصغار والكبار والعرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤود حتى ان المبادئ البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أترك بالغة التركية ، فذكر بعض الباحثين في

أحوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعالم خصوصا بعد ان رأينا أصغر الشعوب الأوربية تحافظ على لغتها الأصلية محافظتها على اعراضها وأموالها وأرواحها ،

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم نراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء المأقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمره جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيبات ان يأتي منه عضو يفيد أمته وبلاده ، واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدا الدستوري أظلم منها في عهدا الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرفق بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به بعد كيرا ،

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط للغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحصارة فهي لم تضع العقاب في سبيلها مباشرة ولكن الفلطة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يغفرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الأقصى والأدنى ودولة الجراكسة في مصر والشام ودولة آل ساجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراد والأتراك يتخلون عن لغاتهم فختاروا ولا يستعملون في الرسميات غير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فخرجوا على غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واكتفوا بلغة ملققة بدوية ما برحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها وهيئات ن تكون كما يحبون ،

يلما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة بحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب أن يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته
وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة بالدول الإسلامية البائدة فقام عليه بعض
ضمايف القول من أهل دولته وأرادوه على المدول عن رأيه مخافة أن تندثر لغتهم
بل تخلصا من أن يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت
دون آكل عثمان وبسط أيديهم على الممالك الإسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم
رابطة بين المسلمين ،

ولقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية
وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين وبدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأتى
تركي أن يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس
في أوربا لا تزال إلى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لأنها أصل لغات أوربا وإن كانتا
بادت أو كادت ، ولكن مدارس أوربا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم تعهد من
مدارس الحكومة العثمانية كتابا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين
ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الأرض
بأعجاد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب أنه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي
من أصل تركي على حين نبغ وينبغ من الفرس والاكراذ وغيرهم أناس يوثقون
بالعربية فتحسبهم عربا خلاصا ، وانك لتقرأ المعجمة في كلام ابن كمال باشا وكاتب
جلبي وطاشكوبريلي وغيرهم من الأتراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين
، الا تقرأه في كلام الراغب الأصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي
بل أن هؤلاء على منشاأهم الفارسي كانوا أئمة الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناءنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون أن يجيئوا أتراكا ويتقنون
التركية كأرقى أبنائها وبذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم
الذين تعلموا من أبناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية
العامة فضلا عن أن يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون
المصطلحات التركية وبعض الألفاظ التركية بينهم يكلمونك بالعربية فكان
شأنهم في هذا شأن أكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

عربية تكاد تكون أقرب الى الأفرنجية لما خالطها من الألفاظ الأفرنجية والاسبانية واليطانية »

وقد رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبه على أجيال الدولة المختلفة هو أن يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وأن يجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وذلك لايقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولأنهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العالمية »

(١)

تقرير

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضر تلي

قبل كل شيء أقدم الى سعادتكم أكل الشكر والامتنان على ان جعلتموني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دقت البحث واختبرت كل شيء في الامتحان بنفسى واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعليم وحاله

في مدرسة من أرق المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تعليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشيرازي في المحكمة الشرعية العليا في مسألة (ج) فمسي ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما نحب له ونرضى

لانه قد راحه قبله امتحان الشهادة الثانوية وشاركه في زمنه امتحان مدرسة الحقوق الخديوية ونشأ عن ذلك تعطيل في العمل لأن من انتقمهم النظارة للامتحان فيها كان أكثرهم مشغلا بامتحان الشهادة وتلاوة أوراقه واضطرونا لتأجيل الامتحان في الترية العملية عن وقته المعين في الجدول وهو أول مايو سنة ١٩٠٩ إلى ما بعد ١٦ منه واجهد المتحنون أنفسهم في أول النهار وبعد الظهر حتى أتموا عملهم بمشقة عظيمة في أوقات هذا الحر الشديد

فلهذا ولقلة المال الذين يوثق بعملهم أرى ان يجعل موعد امتحان هذه المدرسة في الاعوام المقبلة من أول مايو كما وقع ذلك في بعض السنين

(ب) لاحظت ان كون الامتحان بنمر سرية قد أوجب زيادة العمل على العمال واستدعى إيجاد عمال في حين الاحتياج الى عملهم في موضع آخر لتزاحم الامتحانات في وقت واحد ولو كانت الفائدة من جعله سرىا توازي هذه الاتعاب وتلك المضايقة في إيجاد العمال لكان الخطب ولكني وزنت النفع والضرر في ذلك فوجدت الثاني أكثر بكثير وغاية ما يقال في النفع ان كون الامتحان بالنمر السرية يجعل النظارة في اطمئنان من عدم وجود الغرض فيه إذ يقرأ المتحن ورقة لا يعرف كاتبها فيقدر لها درجتها بالضبط وهذا النفع وان كان يكون حقيقيا في بعض الأوقات ليس بمطرد لانه ليس كل متحن يعمل فيه الغرض وفضلا عن ذلك فقد يوجد شيء من التساهل مع الامتحان بالنمر السرية يقوم مقام الغرض أو يفوقه لأن المتحن كلما قرأ ورقة ووجدتها غير صالحة سأل عن النمرة التي يمكن ان يمر بها الطالب ولا يكون ساقطا فيعطىها للورقة وهو جازم بانه لا يستحقها لأجل ان ينجو الطالب من السقوط وذلك استعمالا للشقة واذا أسأنا الظن قلنا ان المتحن تحت نظره أشخاص يجب ان يمر وا فيخاف ان يكون صاحب الورقة الساقطة منهم فيحمر الكل حتى يمر صاحبه بسلام وهذا أكبر في الضرر من استعمال الغرض لشخص مخصوص بالرجاء المتبادر في هذه البلاد وبين أوراق الامتحان في كل علم أوراق منحلة جداً وضع لها المتحنون الدرجات التي تقتضي مرور كاتبها

فقط كنز (عشرين) فيما نمرته الحقيقة (٤٠) و (٢٥) فيما نمرته (٥٠) و (١٥) فيما نمرته (٣٠) وهكذا واسعادكم ان تأخذوا نموذجاً من تلك الأوراق المكتوب عليها مثل هذه النمر فتجدوها على ما وصفناه وأيضاً فإن الامتحان بالنمر السرية في هذه المدرسة وهي من المدارس المخصوصة العالية تفرقة بينها وبين أختها مدرسة الحقوق الخديوية ولا فرق بينهما في الواقع ونفس الأمر فلم يكون الامتحان في الحقوق جهرياً وفي المعلمين سريراً على اننا لم نسمع بأن طالباً في الحقوق مع الامتحان الجهرى نجح للفرض ولا بأن طالباً تأخر بقصد الإضرار به

ولهذا فاني أرى ان يكون الامتحان في هذه المدرسة أيضاً جهرياً فيقل التعب وتزول تلك الأضرار ويسهل وجود العمال ويعرفون انهم موضع الثقة فيعملون على ما يزيدونها وانهم ليسوا موضعاً للريبة فيعتادون النزاهة والتخلي عن الفرض وهذا من حسن التربية واعلاء النفوس بمكان عظيم

(ج) لاحظت اثناء تأدية الامتحانات الشفهي في علوم النحو والصرف والطبيعات وتقويم البلدان ما لا يكاد يصدق وذلك ان الشخص الواحد يكون شخصين متباينين الصفات والادراك في وقتين مختلفين امام ممتحنين في علمين وهذا وان كان وجد في قليل من الاشخاص ولكنه مما يستدعي النظر والانتقادات والبحث عن الاسباب رأيت بنفسى أحد الطلبة يؤدي الامتحان الشفهي امام الشيخ حمزة فتح الله فاذا سأله عن تطبيق قاعدة أو اعراب جملة أو تعيين محل اسم من الاعراب أو عن أصل الكلمة وما صارت اليه بعد القلب أو الأبدال بحث عن الجواب في جوانب السماوات وشاسع الآفاق، فاذا نه الى ان الجواب قريب منه اعتراه ذهول حتى صار لا يدرك البديهي من القول، ورأيت بهينه وهو امام علي بك بهجت يؤدي الامتحان في تقويم البلدان فوجدته رجلاً ثابت الجنان منطلق اللسان يعبر عما يريد بقوة ولا يعتره انزعاج رأيت هذا في أكثر من واحد ومن اثنين واني أحقق بعد ان أطلت الأخذ والرد والبحث ان هذا الداء كان متأسلاً في بعض أولئك الاشخاص من أصل التعليم لأن قاعدته في الأزهر كثرة الاحتمالات في العبارة الواحدة واستعمال المعلم للتشكيك والاكثر من الاعتراضات

اللفظية وقد تعودوا ان لا يرضوا فكرهم على أحد سواهم فإذا سئل هذا المتعلم على هذه الطريقة حار في أمره فلا يدري أي الاحتمالات يذكر وأنها يكون موافقا لذوق السائل فيرتبك كما قدمناه وأما العلوم الأخرى فاتها خلو من هذه العلة الثقيلة علة الاحتمالات والتشكيك فإذا سئل فيها قال ما يعلمه منها جازما بما يقول والجزم في العلم هو قاعدة كل خير وهو الأساس المتين في نجاح التعليم ولا يقال ان هذا الفرق بين هذا الطالب وهو امام الشيخ حمزة وبينه وهو امام بهجت بك جاء من عوارض أخرى مثل وجود من يباه به زائدا على من يمتحنه فإني كنت موجودا مع هذا الطالب امام الاثنين وإذا قيل ان الفرق جاء من كفاية توجيه الأسئلة فإني كنت أبسط السؤال له وهو عند الشيخ حمزة بطريقة هي غاية في السهولة والوضوح وقد لاحظ حضرة الشيخ حمزة فتح الله هذا المعنى من بعض الطلبة فأشار اليه في تقريره المقدم إليّ منه حيث قال « لذلك لا أجد بدا من سرد نموذج مما طغى به من كثير منهم بانه وبيانه وبراعه ولسانه مما لا تقبل نسبته لأمثالم الا لفرط ذهول استحكم قاما في الشفوي فكما سمعتم من البعض حتي عذرتهم بحصر الهية في مهترك الامتحان ولذا أقصر على ما خطه بنانهم في الأوراق التي صححناها » اهـ

ظهر مما تقدم ان السبب في هذا الموضوع انما هو في كفاية التعليم وفي بعض الكتب لا في شخص المتعلم . والنظارة مسؤولة عن اصلاح هذا السبب والطريقة التي اراها نافعة في هذا الباب هي انتقاء الطلاب حين الدخول انتقاء كاملا في نباهتهم ومعلوماتهم وسيرتهم وليس من الضروري ان تتوسع في العدد فبدلا عن ان نأخذ ستين منهم أو بعون ناقصون نأخذ عشرين كاملين اذا تخرجوا تخرجوا رجالا ذوي قدرة على العمل وقدوة للمتعلمين في كمال الاخلاق . أما اذا تخرج من الستين خمسون وكان منهم ثلاثون ناقصين فقد أدخلنا في عداد المعلمين اشخاصا غير صالحين وكانت النتيجة مساواة الصالح بالطالح والخلط بين الضار والنافع وعندي ان يقال إننا لا نخرج كل سنة الا عشرين كاملين خير من ان يقال اننا نخرج كل سنة طائفة كبيرة لا يمكنها في مجردها القيام بوظيفتها حق القيام على انه قد مضى وقت الاحتياج الى

الإكثار من المعلمين بقطع النظر عن الكامل والناقص وجاء الوقت الذي يجب فيه التقليل من المعلمين حتى تصادف الخبيرين منهم

ويمكن أن تجمع النظارة لجنة لتقرر مقدار الحاجة إلى المعلمين في كل سنة وتقرر بناء على ذلك انتقاء الطلبة وشروط الدخول وأرى أن يكون في أول ما تنظر إليه اللجنة أن الطالب لا يكون قد أمضى زمنا طويلا في الأزهر بين تلك الاحتمالات والشكوك (١) ولا بد حينئذ أي إذا تقرر هذه القاعدة أن تطيل النظارة زمن وجودهم في المدرسة حتى يتغير وضعهم بالمرّة ويسبكوا سبكاً جديداً فيكون المتخرج منهم مفكراً مستتجاً تربت فيه ملكة القيام بنفسه فيمكنه العمل بما تعلم وأن يفيد المتعلمين ويثبت فيهم روح العلم الحقيقي وروح التربية الحقة فإن الذي ينقص المعلمين اليوم هو التفكير والاستنتاج فإذا أخذنا الطلبة من الآن فصاعداً ممن لم يمضوا مدة طويلة في الأزهر وعرضنا عليهم تلك المدة في المدرسة وصلنا إلى نتيجة حسنة قطعاً ونخرج من هذه المدرسة العدد الجيد لعملة وأن كان قليلاً فهو خير من عدد كبير جله ممن لا يجيد العمل ولا يحسن التعليم

على ذكر هذا الذي تقدم أقول أنني امتحنت طلاب السنة الرابعة من مدرسة الحقوق كما امتحنت مدرسة المعلمين فإذا مدرسة الحقوق في موضوعها متقدمة وفي طلابها جرأة على القول أمام أي ممتحن وبالطبع لم تكن لهم هذه الجرأة إلا من أصل التعليم فلو أصلح التعليم في مدرسة المعلمين لوجد من متخرجيها من يفوق متخرجي الحقوق لأن في مدرسة المعلمين تتوفر العلوم العربية والمنطقية وكلها مما يوجب القوة في الحجة والطلاقة في اللسان والتوسع في البيان

(د) لاحظت أن بعض العلوم كأدب اللغة والتاريخ تتفق فيها كتابات الطلبة

(١) المنار : لما عرفت الشيخ عبد العزيز جاويز للاستاذ الامام سألني عن درجة تحصيله في أوربا ودار العلوم . قلت اني لم اقف على ذلك لقرب العهد بحضوره من أوربا ولم أعاشره قبلها كثيراً . فقال سلمه عن مدة إقامته في الأزهر فإن كان أقام زمنا طويلا فيه فما أرى أنه حصل شيئا ترحى فائدته لأن طول الإقامة في الأزهر تضمف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به . وإن كنت إقامته فيه قصيرة فهو عندي محل رجاء

عند الامتحان اتفاقا يكاد يكون تاما من كثير من الوجوه فملت من ذلك انهم لا يعتمدون على قوة الكتابة والانشاء ولو كانوا كذلك لاختلفت العبارات فان المنشئ يمكنه ان يعبر عما علم في موضوع واحد بعبارات مختلفة الأسلوب وان كانت متفقة الموضوع وهذا العيب يكاد يكون عاما في المدارس التي امتحنها وان اختلف التلامذة في ذلك بعض الاختلاف ولاحظت أيضا في أمر التطبيق ما يصح ان ألفت النظارة اليه ويقول حضرات المتحنيين كلهم في الاعتذار عن بعض النقص الذي يوجد فيه ان علته انما هي تضيق الزمن وهذه تقاريرهم مجمعة على كثرة العلوم وقلة الزمان و بعضها يشير الى قلة الزمن المحدد للعلم بالنظر لموضوعه وفائدته كعلوم العربية وعلوم الشريعة التي هي المقصود الاصيل من تأسيس هذه المدرسة . وكأنهم يرمون الى النظر في أمر البر وجرام ولزوم تصديقه على مقتضى وضع المدرسة وما يناسبها من العلوم

اني بما قدمته في فقرة (ج) من الكلام في أمر الالتقاء للدخول وشروطه والاخذ ممن قل زمنهم في الازهر ونحو بعضهم زمنا في المدرسة أستعني عن الذهاب مع حضرات الاساتذة المتحنيين الى النظر في أمر البر وجرام فانه بعد ان يتقرر الأمر على ما تقدم يستغنى موقفا عن التعديل فيه ومع ذلك فلورأت النظارة ان تنيط اللجنة التي بوائف للفرض المتقدم بالنظر أيضا في تحديد العلوم على الوجه المناسب لموضوع المدرسة ومدة الدراسة وعدد الدروس في كل علم وما يبقى من العلوم وما يحذف لكان ذلك خيرا ومفيدا للعلم والتعلم

يدخل في باب التطبيق وجودته صناعة الانشاء وحيث اني كنت ممتحنا فيه هذا العام أيضا فاني أقدم هذه الملاحظة بمثابة تقرير مني على انفراد في امتحان الانشاء رأيت السنة كلها وعدد طلابها (٥٦) نفسا لم يحز ولا واحد منهم الدرجة العليا ولم ينل القريب منها إلا عدد قليل اما الباقون فمنهم كثير أخذ نصف الدرجات المقررة وهذا فيه ما فيه على ما قلناه ومنهم من زاد عليه زيادات تتردد بين (٢٦) و (٣٩) وقد قل لي الشيخ أحمد السكندري مدرس هذا الفن (وهو الذي كان يقرألي ما كتبوه) ان هذه الفرقة كلها كانت عندي في طول السنة متوسطة لا عالية وقواه

هذا هو قول العارف الممارس ولا يؤخذ عليه انه هو المدرس لهذا الفن وربما قاله حتي لا يلحقه نقصهم لأن الرجل معروف بالعمل وبالصدق في الأقوال واني موافق على قوله هذا وأقرر ان هذه السنة في الانشاء أقل من سابقاتها ولا يمكنني ان انسب ضعفهم الى صموبة موضوع الانشاء فاني سألتهم سوًا الا يكون كل منهم معه حرا في اختيار الموضوع الذي يجيد الكتابة فيه وكان عندهم من الوقت ساعتان ومضمون السؤال ان كل طالب يختار فضيلة من الفضائل ويبحث على العمل بها قوما مخصوصين فكان مقتضى هذه الحرية ان تجيء كتابة كل منهم في غاية الاجادة ولا يكون هذا الا اذا كانوا يحسنون صناعة الانشاء

(هـ) يستخلص مما تقدم ان هذه المدرسة يجب ان يكون لها مقام مخصوص بين المدارس العالية لان الغرض منها كما هو ظاهر من نص المادة الأولى من قانونها هو تخرج معلمين مصريين للغة العربية وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية وهذا الغرض هو أعظم غرض تتوجه اليه فكرة من يريد اصلاح التعليم ولا فائدة أكبر من إيجاد هؤلاء المعلمين ايجادا حقيقيا وهو لا يكون الا باصلاح النظام الذي يتخرج به هؤلاء المعلمون فاننا في غاية الاحتياج الى كونهم من انواع لا ان يكونوا كثيرين فيجب انتقاء الطلاب وانتقاء الاساتذة لهم وإيجاد المناسبة بين علومها وزمانها وهذه المدرسة لا تقل في الاهمية عن أختها شقيقتها مدرسة القضاء الشرعي وزمان الدراسة في هذه الأخيرة هو تسع سنوات وليس من ضرر ان تجمل مدة الدراسة في مدرسة المعلمين ست سنوات وبهذا نصف إحدى الشقيقتين نوعا ان لم يتمكن من انصافها بالتام

(و) هذه الملاحظات لا تنافي انا نذكر لهذه المدرسة حسناتها السابقة من يوم نشأتها الى الآن وانها أفادت البلاد والتعليم واللغة العربية بما لا يحصى من الفوائد فاني شغوف بتقديم هذه المدرسة أكثر مما هي عليه وحصولها على درجة تجعلها في أعين القائمين بأمر التعليم في المقام الاول من الاعتبار ولا ننمنا هذه الملاحظات ايضا من ان نذكر المدرسة في هذه السنة بالنتيجة الحسنة التي حصلت عليها في هذا الامتحان الأخير وهي انه لم يسقط من السنة الرابعة سوى تسعة من (٥٦)

فيكون النجاح باعتبار (٨٤) في المائة تقريبا وان سبب سقوطهم كان علم الرياضة فقط في سبعة منهم وعلم الرياضة مع قص في بعض متوسطات المجموعات في الاثنين وان الساقطين في السنة الثالثة خمسة فقط والساقطين في الثانية ستة فقط ولم يسقط في السنة الأولى ولا واحد ولم يسقط في التحضيرية سوى واحد وقد ذكر حضرات المتسعين في تقاريرهم شهادات طيبة وذكروا معاذير فيما وجدوا من بعض التقصير ففسبوا ما يوجد منه لضيق الزمن في الغالب والامتحان في شيء قدر كونه زمانا طويلا وهذه ملخصات تقارير حضراتهم أذكرها بغاية الإيجاز مع إلفات النظر الى ما جاء في كل منها من التفصيل ولي أمل شديد في ان سعادة ناظر المعارف الذي عود المصلحة العمومية عنايته بها يعبر هذه الملاحظات جانبا من ثقافته فتتجه المدرسة الى الكمال الأكمل المطلوب لها مني ومن أمثالي وفقه الله خير البلاد والعباد وهذه هي نموذجات التقارير

(تقرير حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله ممتحن النحو والصرف في السنة الرابعة تحريريا وشفهيا وتحريريا في علم المعاني وفي جميع علوم البلاغة الثانية والعروض والقافية للسنتين الثالثة والأولى) قال - «انهم احسنوا فيما عدا النحو والصرف كل الاحسان ولا اقم منهم الا وضع الهمزات على ألفات الوصل - وقال - انهم اجادوا في استحضار القواعد وجمع شئبها والتصير عنها بعبارات سليمة والتمثيل بدون تهيد بما في الكتب واستحضار الشواهد ثم سرد نموذجها من هفواتهم في علم النحو والصرف ورسم الحروف واستنتج ان حالة الجميع حسنة وقال انه يعوزهم في علمي النحو والصرف زيادة العناية بالتمرين العملي واثني عليهم جميعا فيما يتعلق بعلوم البلاغة والعروض

(تقرير حضرة الشيخ النواميسي ممتحن السنة الرابعة في المنطق والسنة الثالثة في الفقه والاصول) قال : النتيجة في هذا العام حسنة وان كان يوجد تقصير من بعضهم في الاجابة خصوصا في علم الاصول فرما كان ذلك ناشئا من كثرة المواد التي تظهر انها عبء - الى آخر ما قاله ولغت النظر اليه (تقرير ذهني باشا ممتحن الرياضة والهيئة مع جناب المستر تويدي) قال : امتحنت

التلامذة في مسائل موافقة للبروجرام ، وبين الناجحين في كل واحد من الحساب والجبر والهندسة على حدته والناجحين في الكل على العموم ومدح الطلبة على سلوكهم في الامتحان والنتيجة هي ما قلنا سابقا من ان الساقطين في الرياضة تسعة

(تقرير حضرة الشيخ الطوخي في التوحيد والتفسير والحديث) قال : أتجاسر على الاستغاث الى كثرة المقررات في العلوم بمداول التدريس وصعوبة بعض الكتب المقررة لتدريس بعض علوم المجموعة الشرعية وعدم كفاية الزمن المحدود لتدريسها . ويظهر من بين السطور في تقريره ان الطلبة كانوا يهجزون عن النجاح لولا مجهوداتهم فأوجه نظر سعادتك الى ما يريد الشيخ الطوخي

(تقارير التربية العلمية والعملية) تشير الى ان الحال محتاج الى تحسين وطلب الشيخ شريف زيادة علم النفس في المدرسة حتى يكمل نظام التربية العملي واثالا واقفه عليه لاعتبارات كثيرة اهمها قلة عدد الراسخين في هذا العلم الذين ينتفع منهم فيه (تقرير علي بك بهجت في التاريخ والجغرافية) مدح التلامذة في انهم اقلعوا عن عادة الكتابة من المحفوظات ومدحهم على ما حصلوه ومدح اساتذتهم على ما علموه واثار الى ان زميله يريد إلفات نظر المدرس للجغرافية الى الغاية بالرسم (تقرير جعفر بك في الخط) قال ان الطلبة يقتصهم كثرة التمرين خارجا عن النماذج التي تمرنوا فيها

(تقرير ممتحن العلوم الطبيعية) قال ان اجابات الطلبة كانت جيدة في العلوم الطبيعية واحسن منها في الكيمياء فانهم لم يعرفوا ما هي الكهر بائية الديناميكية واقترح تنقيح البرنامج الحالي وجعله ارقى مما هو عليه الآن

(تقرير ممتحن فن الرسم) قال ان (١٢ ونصف) تحصلوا على (٧٠) في المائة من الدرجة النهائية وقال ان عدد الفرق كان كثيرا بالنسبة لموضوع الرسم على نخة التبشير وطلب تخصيص ساعتين في الاسبوع للرسم لان زمنه الحالي قليل

(تقرير معلم الجباز) قال ان النتيجة مرضيه واثني على نشاط الطلبة وعلمهم بما

بقي عليهم من التعاليم

باب المناظرة والمهراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴾

٦

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الأحاديث ما خلاصته: انه لا يبعد ان يكون بعضها موضوعا وان ما غلب على الظن ان يكون له أصل صحيح كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الاسلام - إلى قوله - وما جاء في القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم يأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ثم قال ونهى رسول الله (ص) المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كالحق الشريفي - إلى قوله - لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الأحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز وأقول ان ما كان موضوعا فقد بينه التقاد بدور العلم ونجوم الهدى (رح) ومن سلك الطرق المؤدية عرفه والصحيح قد بينوه على اختلاف مراتبه وهو كثير وشريعة الله ودينه هو ما في الكتاب والسنة النبوية - والسبب ان الدكتور الفاضل قد ذكر في رسالته هذه ان في الكتاب كثيرا من الاحكام الخاصة ثم هو ينكرها هاهنا ونحن نعلم ان فيه الخصوص والمقيد والمجمل والمبين . والأحاديث وان كان قد يوجد فيها بعض ذلك الا ان ما فيها من ذلك هو أقل مما في القرآن ونبيه (ص) عن تدوينها قد قدمنا الكلام عليه والمسلمون قد أحسنوا التوفيق بين الأحاديث وآيات الكتاب وما اعترض به حضرته قد عرفت الجواب عنه

أما قوله واني لأعجب من أهل الحديث وقوله فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما يسمع أقوالا منسوبة الى الرسول (ص) ان يفني حياته في معرفة أحوال رجالها (المنازع ٧) (٦٦) (المجلد الثاني عشر)

والوقوف على أمورهم إلى قوله فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد إلى آخره

وأقول الأمر أيسر وأسهل مما ظن الفاضل — فالتأهل للنظر قد سهل الله له الأمر بما قد صنفه العلماء من الأصول وما جمعه من المصاحح التي قد هذبت وقيمت وقربت واختصرت على أن الجهد والاجتهاد في تحصيلها هو من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت له نفائس الأوقات « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فسد الزمان وتركت الأديان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . أما المروء فلا حرج عليهم ولا تضيق — وقد قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » — أي اسألوهم عن دين الله لا عن آرائهم المخالفة له فمن أجاب بغير ما شرعه الله أو بما يخالف ما شرعه فليس هو من أهل الذكر الذين أحال الله عباده إلى سؤلهم بل هو من أهل الرأي المذموم ولا نسري ما مراد الفاضل بهذا والله المستعان

قال حضرة الفاضل حفظه الله في الكلمة السابعة من رسالته — السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة إلى أن قال وهناك فرق عظيم بين لفظ السنة ولفظ الأحاديث ويجب على كل باحث أن يدرس هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخطب — وقال أما تسمية الأحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين إلى أن قال — والسنة لا تكون إلا عملية — وأقول إن الله قد أمر باتباع رسوله (ص) ولا شك أن الاتباع يدل على امتثال أمره فيما قال (ص) ونحن لا ننكر أن الاتباع لمة يكون في الفعل أكثر منه في القول — أما كون ذلك هو العرف الشرعي فلا نسلمه وإذا كانت السنة هي الخطة والطريقة كما قال حضرته فلا شك أن الخطة يكون أصلها القول — والطريق والطريقة والسبيل معناها واحد — وقد قال تعالى « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » والدعاء قول وقد سماه سبيلا — والفاروق الخليفة الثاني (رض) قال أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفتت منهم أن يردوها فاستبقوا الرأي — وفي رواية واستمعوا حين يسألون أن يقولوا لا نسلم

فعارضوا برأيهم فأياكم وإياهم . وفي رواية أخرى إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعينهم الأحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا - قلت وهذه الآثار سواء كانت موقوفة حقيقة أو قد سمعها من رسول الله (ص) فانه رضي الله عنه قد سمى الأحاديث سننا وبذلك يظهر ان تسميه الأحاديث سننا ليس هو اصطلاح متأخر وقد روي وصح عن غيره نحو ذلك وهو كثير - على انا نقول أيضا ان الله كما أمر باتباعه في سننه (ص) كذلك قد أمر ورغب وأكد بطاعته - والطاعة انما تكون في أمره القولي حقيقة وقد ذكرنا ذلك وما يقاربه ويضارعه بما لا مزيد عليه في رسالتنا السابقة

قال ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره (ص) وجروا عليها في أعمالهم - وقال وهذا أدل دليل على انها لم تكن ديناعاما لجميع البشر الى آخره . وأقول لا يلزم ذلك لان جميعهم لم يعلموا القرآن أيضا ولم يجروا في فهمه على طريقة واحدة في كل مسألة مسألة وواقعة واقعة وهذا الخليفة عمر (رض) من كبارهم قد خفي عليه أمر الصداق وهو موجود في القرآن فلما قرأت عليه الا امرأة قوله تعالى «وَأَتَيْنَ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا» قال « رجل أخطأ وامرأة أصابت » . فاشتراط استوائهم في العلم والعمل واتفاقهم على جميع الاحكام شرط انمو لم يقل به أحد من المسلمين كلهم ولم يكن لحضرة الدكتور حفظه الله فيه سلف لافي العمل ولا العلم بالقرآن ولا في السنة - واذا كان الامر في القرآن كما عرفت وقد امتاز بانه كلام الرب بلغظه وهم مأمودون بتبليغ لفظه الاعجاز ومتعبدون بتلاوته في الصلاة ونحوها وانبي (ص) كان يقرأ عليهم في الصلوات الجهرية ونحوها وهم كذلك - كل ذلك وهم لم يتفقوا على جميع احكامه ولا على العمل بجميعها كما عرفت فكيف يصح ان يشترط ذلك في الحديث وهو انما هو في المرتبة الثانية ؟ أفليس من الجائز ان يقول (ص) قولا ويحدث بحديث أو يحكم بحكم فلا يسمعه ولا يحضره الا بعضهم فيخفى على الآخرين ؟ على ان بعض الأحاديث قد عمل بها واتفق عليها أهل الحل والعقد منهم (رض) وقد حدثت أمور ووقائع فرجعوا فيها الى العمل بالحديث واذا صح عندهم الحديث فلم يكونوا يتأخرون عن العمل به - وأيضاً أقول بلا مجازفة قل

ان يوجد حديث يصلح للاحتجاج به الا وقد عمل به منهم عدد - ومن لم يعمل به فنحن نعلم وتقطع بانه لم يبلغه أو لم يصح عنده وذلك بديهي مدة عملهم فلا يراد ولا شبهة فيتأمل فيما قدمناه من الحجج والله أعلم

فالا حاديث الصعبة قد جري عليها العمل بلا انقطاع الى يومنا هذا - اما الخلاف في الدلالات والترجيح وتقديم بعض الادلة على بعض في موارد الخلاف والتعارض فهو واقع في القرآن والحديث يعرف ذلك من اختبره وعليه فلا يصلح ذلك دليلاً على ان الشرع موقت بزمان دون زمان وحال دون حال

ونحن قد قلنا في رسالتنا السابقة ان جميع الاحاديث المتفق على صحتها او التي صححها او احتج بها اهل الكتب المشهورة قد تلقتها الامة بالقبول فلا نعيذ بالكلام خوف الاطالة

قال الفاضل حفظه الله في الكلمة الثامنة من رسالته

(١) قال الامام احمد بن حنبل (رح) ما معناه ان الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - واقول اولاً ان الدكتور الفاضل اذا أخذ هذه المقالة عن الامام احمد (رح) وضم اليها ان جميع السنن لا تقبل ولا يجب العمل بها فاذا بقي بين ايدي المسلمين من بيان الدين ومجملات القرآن . وعليه فلا يبقى الا العمل بالرأي وقد عرفت ما فيه - (أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) قلت والذين عرفوا الامام احمد واقواله انما حملوا قواه على انه لم يصح عنده في ذلك شيء مرفوع لأن عامة ما يروى انما هي المراسيل - وقد قال غيره من الأئمة ان حكم أكثر الموقوفات في ذلك الرفع وعدم علمه لا ينفي ان يكون هناك شيء كثير مرفوع لم يبلغه - على انه قد نقل عنه في الاتقان انه قال اي الامام احمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لورحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيراً

وما قاله الامام احمد (رح) لا يفيد الدكتور الفاضل شيئاً - وفرق بين ما ذهب اليه الدكتور الفاضل وما يدل عليه قول الامام احمد رحمه الله أمين ولو أردنا ان نورد عن الامام ما قال في وجوب اتباع الاحاديث لاستدعى ذلك مجلداً كبيراً وكذلك

الامام الشافعي (رح) كلاهما على تقيض مذهب الفاضل الدكتور - وقول الامام الشافعي (رح) في النسخ انما هو من نوع الكلام فيما اذا تعارضت الادلة
أما ما نقل عن أهل الظاهر فليس كما قال ولم نر من نقل عنهم عدم وجوب العمل بها كيف ومذهبهم انما اشتهر بالعمل بالقرآن والحديث فقط ولذا يقال لهم أهل الظاهر - انما ينقل عن بعضهم انه منع تخصيص الكتاب بالكتاب وهو مبني على اصطلاح متأخر اعتمدوه والحق خلافه - نعم نقل عن امامهم داود (رح) ان المتواتر من السنة يعارض الكتاب ولا يخص احداهما الآخر أي فهو يتوقف حتى يعلم التاريخ وحينئذ يكون ذلك عنده من مسائل النسخ لا التخصيص واما آحاد السنة الصحيح فلا نعرف لهم خلافاً متقولاً تقيلاً موثقاً انهم منعوا تخصيصها للقرآن . وبذلك تعرف ان قولهم انما هو مخالف ومناقض لمذهب الاخ الفاضل الدكتور حفظه الله

قال قال جمهور الأصوليين انها ظنية - واقول قد قدمنا الكلام على ذلك وان الحق غير ذلك على انهم مجمعون على وجوب اتباعها

قال وقال جمهور المسلمين انه لا يجوز الأخذ بها في العقائد . واقول كونهم الجمهور غير مسلم بل الجمهور من عهد رسول الله (ص) الى يومنا هذا على خلاف ذلك على انه لا يجب علينا ان نعتد وتدين باقوال الرجال الا اذا وافقت الصواب من السنة والكتاب . قال قال كثير من الائمة كالقاضي عياض انه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة - واقول قد سبقهم الى ذلك سيد المرسلين (ص) فيما صح عنه لكنه لا يدل على ما زعمه حضرة الفاضل ولا يؤيد مذهبه

قال وقال جميع المحدثين ان الموضوع منها كثير وتمييزه عسير جداً وفي بعض الاحوال مستحيل - قلت اما ان أحداً منهم قال ان تمييزه مستحيل فغير مسلم واما الكثرة فلا بأس وهم قد ميزوا ذلك وظهر امر الله

واما ما نقل عن الامام ابي حنيفة فان صح ذلك كان بحسب اطلاعه لا انه في نفس الامر كذلك وامام الاحناف رحمه الله قد استفاض عنه وجوب تقديم الحديث الضعيف على الرأي فهو واتباعه الصادقون على تقيض ما يذهب اليه الفاضل الدكتور

وما قل عن الامام مالك (رح) فليس مما نحن بصددده وانما هو من باب ترجيح احد الدليلين اذا تعارضا وهو لا يدل على ما ذهب الفاضل الدكتور حتى ولا من باب الاشارة ومذهب الامام مالك (رح) معروف في ايجاب العمل بالاحاديث الصحاح قال اجمع المسلمون على عدم تكفير من انكر أي حديث منها . قلت ان من أنكر ذلك لانه لم يصح لديه فالامر كذلك ونحن نقول بذلك وأما من رده ما عرف ان النبي (ص) قاله بلا مسوغ فهو كافر برسالة محمد (ص)

وقوله ان تناقضها كثير الى آخره جوابه ان ذلك انما هو في نظر بعض الناس ودعوى الكثرة والاستحالة في التوفيق غير مسلم . وقوله قام الدليل الحسي الى آخره جوابه اننا لانسلم ذلك . وقوله لم يجمعها الصحابة الخ قدمنا الكلام عليه قال لم يلفوها الى الائم بالتواتر . أقول ذلك غير لازم وهو لا يضرنا والشيء لا يكون متواترا الا اذا تواتر بل قصد وتواطى وانما يكون متواترا بالاتفاق (كذا) قال انهم نهوا عن كتابتها وأحرقوا ما كتبوه منها . وأقول قدمنا الكلام على الكتابة وأما الاحراق فهو لم يكن لاحاديث النبي (ص) . وعلى المدعي البيان بما يعين ويدل على مراده

قال قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه . أقول ان صح ذلك فانما هو عن بعضهم وسببه كما قال خوف الغلط على رسول الله (ص) فيقع المكثري الكذب على رسول الله (ص) على ان من يقال انه كره ذلك هو نفسه قد حدث عن رسول الله (ص) بأحاديث كثيرة واذا كان مراده أن الذي كره ذلك عمر (رض) فقد روى عنه الجمل الغفير أحاديث كثيرة وقد قدمنا بعض قوله في الاحاديث وان غيره فعله بيانه على ان كراهة الاكثار من التحديث او من اذهب اليه الدكتور الفاضل او من آخر فلا حجة له في ذلك فتأمل

قال كان افاضلهم أقل الناس حديثا الخ وأقول ذلك غير مسلم على ان التحديث القليل الذي يسلمه هو حجة عليه ينقض مذهبه ونحن نقول ان عدم الاكثار له أسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها .

قال من كان من الصحابة (رض) كثير الحديث ملوه وزجروه كما فعل عمر

(رض) بأبي هريرة (رض) وأقول أبو هريرة من الثقات ومن الصحابة الكرام - وكلام عمر له أسباب غير ما يريد الدكتور الفاضل وقد عرفت بعض كلام عمر «رض» وهو من أكثر الصحابة أمراً باتباع الحديث والسنة وقد حدث عن رسول الله «ص» بأحاديث كثيرة

قال ان أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها . قلت بل قل اتفقوا على كثير من ذلك وهذا ان صح ان يقال فانما كان قبل ان تدون أما بعد ان صنف ودونت فقد اتفق الحفاظ والأئمة المتأخرون على قبول صحيح ماوسم بالصحة في الكتب المشهورة وما بقي فيه بعض اختلاف فهو طفيف يمكن المنصف تمييزه

قال لم يمتن المسلمون بحفظها كما حفظوا القرآن أقول لا يلزم ذلك ولا يضرنا ونحن لم نقل انه يلزم لها في الحفظ اللفظي ما يلزم ويجب للقرآن على انه قد اعتنى بحفظها كثير من الأئمة والقادة وأهل القرائح والقادة الدائرون عن الدين كما أخبر بهم سيد المرسلين «ص» فجزاهم الله عن هذه الأمة خير الجزاء ورحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم آمين وصلى الله وسلم على رسوله الأمين الى يوم الدين



هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا ارجو حضرة شيخ الاسلام أن يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من قراء المنار ومن ينظره بين الاعتبار - وأتمس من حضرته ان يصلح ما فيه من الخطأ والزلل لأني كتبه بهجة بعد ان كنت أردت الاعراض عن الجواب ولكن ارضا الله ورسوله «ص» ثم للإخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك أرتجالاً وأتمس من حضرة شيخ الاسلام أن يذكر ملخص رأيه وكذلك أتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وايدبهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول ما يبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات فنسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله الى يوم الدين

قال ذلك بفمه وكتبه بقلمه

الحقير صالح بن علي بن ناصر الياضي

(المنار) انا نشكر لصديقنا الاستاذ الياضي غيرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا وإياه من الضرباء الذين يظهرون السنن كما ورد في بعض روايات الحديث . ثم نشكر له حسن ظنه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطأ وزلل وإطراؤه إيانا باللقاب والنعوت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه وبين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فلا نرى ان نبحث في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يملأ القراء وييسر على أكثرهم ضبطه وربطه بأصله ومن كان مستقل الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين والمتناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد أخطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقنا المتناظرين .

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث وإفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فستقول فيها قولا مختصرا مفيدا ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

﴿ ايضاح وانتقاد ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فنشرها ونجيب عنها وهي :

العلامة الفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاما) وبعد فيظهر ان المنار في جوابه على سؤالي الانتقادي

المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣ م ١٢) لم يتمكن في معرفة قصدي من الانتقاد أو السؤال

وأنا بغاية الإيجاز أعيد عليه تفصيل مقصدي وما اتقده عليه .

لا يخفى ان كل انسان يهمله مستقبله وان شئت قل تهمله الآخرة أكثر من

الدنيا ولا يمكننا ان ننجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤكم على آرائه يقولون ان الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين . فريق للجنة وفريق للسعير وإن شئت قل فريق للهباء وفريق للشقاء . . . أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التعميم فهي غير معلومة للمنازل أو لابن تيمية الذي يقول :

واصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الآله بجملة
ترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقنا
(وان كنا نعتقد بفساده) ونأمل لما ؟ « يبع ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل
الإنساني . . . هل الاسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه
النتائج ؟ أم النتائج الأخروية المقردة نفسها علة للاسباب الدنيوية ؟ . . . أقصد اذا
كان رجل كتبت له السعادة في الآخرة عند الخالق . . هل يوقه الله تعالى لاسباب
السعادة في هذه الحياة حتى يفيله في الآخرة ما قد تخصص اليه ؟ » من قبل ليكون كما
هو ؟ « سعيدا ؟ . . أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان
يتوفى ؟ « لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت
علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيمية

فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من أهل السعادة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة
ومختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته بأوامر
الله فيتبعها ليكون كما لا بد أن يكون . . والمكتوب من قبل للشقاء ؟ « لا تفيد المواعظ
ولا الأوامر ولا التواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا .
اذا علم المنازل كل ما تقدم ووافق عليه فانا من جهة أخرى اقول له لا يهمني الآن
فرقة القدرية ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالريشة في الهباء كما
اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ
وكل الكلام الخلو الجميل الذي ذكره المنازل في تفسير معنى القدر وما ذكره

في (٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) مسلم به بل القرآن ماهوا كثروا حكم وأمن
(٢ - العقيدة) العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة فتفتر ١٠٠ وإما ان تكون
صحيحة فتتفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب تحكيم العقل في
كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقد جازماً ان تقسيم
الخلاق على الشكل السالف من أول المقائيد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضاً . ولا
ينجفن المنار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عند السؤال بشرط ان لا اتهدى
القرآن والعقل . فلنترك ذلك ايضاً مؤقتاً

(٣ - اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتقد المسلم في دينه من حيث كونه مسلماً
آمن بالله وحده وباليوم الآخر ؟ . لا شك انه افضل الأديان . بل ايد القرآن ان
من لم يكن في بواطنه «؟» مخلصاً خارجاً عن مبادئ الاسلام كانت له النار حتماً كالأية
«ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» فضاف
اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للأسباب المتقدمة الى الاعتقاد
السالف بان الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلا علة نجد منها «؟»
ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل .
وان المسلم موفق من الله بأعماله الى السنن التي تؤول به الى الجنة وغيره الى السنن
التي تؤدي الى ضدها او الى الشقاء

(٤ - الكلام بحسب الواقع) ان بكلامي هذا للمناراتكلم بالأغلبية العظمى «؟؟»
الظاهرة عند المسلمين وما عليه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان المتنورين
النوادير الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر بيانهم وقوة عارضتهم لتحليل «؟» أي فرض
عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجد (؟) مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله)
وصاحب المنار مثل الغزالي وابن خلدون ممن ملؤا الدنيا بفصاحتهم وقوة بيانهم مالا
يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريباً . ولا قدم شيئاً للامة
محسوساً ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي ويطلب صاحب المنار .
ولم تزل ساقطة كما كانت تقريباً «؟» لو اردنا ان نعمل بينها وبين غيرها نسبة . وغرضي
ان توصلوا لتأصل «؟» هذا الداء الذي هو اصل البلا حتى يكون اصلاً لحكم المنشود

للأمة فطال مؤثر «٤» لا يزول . وليس كمن يكتب على الماء لماذا ؟ . لأنه إذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الإنسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تبدل . قالوا سمعة ان حسنت او ساءت لا تهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية الموصول عليها مقررّة ومعلومة .

(٥ - مثال عن حال تقسيم الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكمرا يا صاحب المنار مثلا : رجلا ن وقفا امام ادارة المنار احدهما يسمى مسلما والثاني غير مسلم والاول اعلن «٤» من ادارة المنار انها ستحمله الى حديقة الاز بكية ليمتع بها فيها من الجنات والمسرات . والثاني اعلته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء ولكن اخبرتهما معا في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة المنار والحديقة مملوء بأنواع المسرات وهو لهما معا فمن سار بقدميه وتأمل بعقله واسنن الكوز (؟) والنظامات الآلهية الى ما في الطريق (؟) تمتع . وتتم أي تتم ومن وقف منتظرا مركبة المنار فليس له شيء مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان ... غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المعين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بلا سبب وبلا جواب ان سأل

افتكر ان المنار عرف مقصدي من هذا المثل فدخل الحديقة التي عدت «٤» للمسلم هي الجنة وخارجها غير المسلم هي النار «٤» . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولهما معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم وبها مشترك الحياة بين الجميع (٦ - المسلمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتحصلوا على كل شيء في الطريق ونالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صدر الاسلام فتقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سميدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوم مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع الفاني فلتزهد وننقشف في الحياة ولا نبحت على أكثر من قوت يومنا فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف لسعادة الروح بحسن المآل (ولا شك ان العقل الذي يجعل اساس السعادة

بالعقيدة من السهل عليه تجويز هذا الوهم (ولقد تابع القاعد وعدم الاهتمام للحياة بين الأمم الإسلامية حتى لو سألت بعض المتقوين الذين تغلب أفكارهم بين أكثر الناس عن أفكار مثل صاحب المنار أتيرة عن سبب تقدم الأمم الغير إسلامية الحالي والماضي . اجابوك هؤلاء لم الدنيا ولطوها وزيتها والعبرة بالآخر والحياة الابدية وقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الأخذ بالاسباب والتأمل للتأنيج الطبيعية العالية والسنن الالهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على النقشف وترك الدنيا (؟) وان كان صاحب المنار له في ذلك تأويلا (؟) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أو ما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعل تأخر المسلمين الديوي وأنحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكنوا عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لها . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الديوية للعللة الاخروية) يحتم بوقوع «؟» تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب نتائجها ولزوم وقوعها أيضا . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الاسباب التي هي حجة للنتائج «؟» مقدرة حتمية فالنتائج (أي الديوية خلاف الاخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالزام «؟» . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس الا لتتيم رواية كلامية واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الإسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال ولا داعي لاستخراج «؟» نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقى والهروب من القديم . ولا عيب على حكومات الاستبداد ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تفسير المناهج لتتغير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتجويز القدر الإلهي (؟) التمايز على الاسباب (حسب وهمهم) يد من حديد » وهناك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيدة في التقسيم المذكور فاسدة ولا أصل لها ، ويكون الحكم العقلي على كل ما يحدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (؟)

(٧ - انتقاد المنار لكلامي) - لما أراد المنار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

في السؤال وجدت انه لم يصب الفرض الذي أرمي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكان عدم وقوع حادث وقع فعلا أم لا . . . اما أنا فقلت بالجواز وأقول به أيضا اما المنار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلا فقط ولم يزد . . . قترى في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة له من الأزل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جهتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق وبعبارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هذا ما قاله المنار والحقيقة اني لم أقصد المسئلة بذاتها من حيث كونها مطلقة ووقعت فعلا بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطبيعية في كل ما يحدث وذلك مثلاً يقال : فلان سرق قرطاً من الذهب وجارته الحكومة لجأته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل (؟) ان تقع منه السرقة فعلاً . . . أما جوابي وجواب العلم والقرآن ف نعم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعاً لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب المنار السالف في مسألة ولي العهد أشبهه (؟) بقوله . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء . . . وهذا لا يعد جواباً عن المقصود . . . مع ان ما جابوب به المنار لم تنكره بل أيدناه في نفس السؤال لانه مفهوم وديهي لا يحتاج لأن يقول عنه المنار . . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال المنار في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسألة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . وهي نفس الجملة التي قالها المنار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد المنار لغوا وكان جوابه فقط دالاً على لزوم التمسك بالعقيدة بالقسمة ؟ وتخلصاً مما عداها

(٨ - سبب التمهيد للاصلاح الاسلامي) - يا صاحب المنار ان كنت تريد اصلاحاً فلا يجب ان يكون تقليدياً فان تغلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية ونطبق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكن ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين مما رأوه ورأيتوه من تقدم الامم

الغرية التي اتبعت هذه السنن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالأجمال من حال المسلمين اليوم - وان الأخيرين «؟» من زمن بعيد آخذون في التدلي حتى صاروا الآن وراء جميع الأمم تقريباً - وان المجهودات الكبيرة التي يؤديها أمثالكم كالشمرة البيضاء في الجسم الأسود بالنسبة لتعداد الأمة الإسلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعياً لتثييط همتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك المجهودات تصير كالماء مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه يقيظ المسلمين الحالي راجع الى الضغط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسماً أو فعلاً لا الى الاصلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصلاً بل يساعد على انتشاره لغرض الخلاص من سوء الحال لوقوف العقيدة امام العقول بالمرصاد «؟؟»

(٩ - الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيراً في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين الآن في بحر عميق وان ذلك من توابع البحث في العلم والارادة وان الفرق بين المسيحيين والمسلمين مشتركين «؟؟» في هذا الاعتقاد . قلت لكم . ان الفرق بين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة عقيدتهم ونظامهم الفطري الطبيعي . فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السالفة التي يتبعها المسلمون بوجودها «؟» بالفرض بينهم فهي «؟» ليست أصلاً لا عملهم واجباتهم ولا هي مرجع «؟» لمرکز الاعتقاد في سعادتهم وشقايتهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخرتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلاً لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لا ينكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والتي لم يجعل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعاً ثانوياً «؟» ممن تركه كما حصل منهم من مثات من السنن الى الآن وهم معذورون بتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالنافخ «؟» في الرماد

ولكن الغربي بالمكس صار ينظر بالتجارب العلمية والمقالية ومقاومته «؟؟» أكثر المعتقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان علمه في هذه الحياة هو أصل سعادته وشقاؤه هنا وهناك وكل ما عدا ذلك من المباحث القديمة ثانوياً «؟؟» وصار يقدم نفسه وماله فداء

بإرتياح تقاومة كل ما يهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الموافقة للعقل والشعور الانساني وكان الأصل الاول الذي اتخذ لسعادته المحسوسة هو: « الحرية » (١٠ - الخوف من التقليد مع وجود الداء) ما ذكرناه الآن هو الداعي لأن نقول المنار في صحيفة (١٩٠ ج ٣ م ١٢) (اذا كان المنار وابن تيمية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فحة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم « الدنيوي » ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأمم الحية التي لا تعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة لهم والعقول « من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقايتهم لا من حيث جهلهم لها بالمرءة » فنزول منهم « أي همة المسلمين » اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرابية « مثل السيادة » الداعية لهذا التشبه لأن الدين « عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالتقسيم » راسخ في الأذهان « كما هو ظاهر » من مبدأ وقى أثره تقليدي . اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمبادئ الطبيعية « والسنن الالهية المعقولة » التي تسير مع تقدم الأمم الخ فذاك يكون الاصلاح من نفسه طبعيا لا تهده ولا تقاومه عقيدة

(١١ - الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم « ؟ » انكار هذا التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لأن العقل والعلم لا يقبله ثم ثبوت « ؟ » ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس « ؟ » وان نوم المسلمين مع اعتقادهم ما هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا « ؟ » لهم أصله باطل محض - مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا « ؟ » لما هو مكتوب عند الله عامة على « ؟ » جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصلا لما ينتابه من الحوادث المذكورة - لأن النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب « ؟ » - والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في العقل بشكل اجباري « ؟ » وان كانت البداهة تؤيد عدمه أو معها تنوع فهم الاجبار المذكور بشي من دلائل الاختيار وتعريف معناه وصفته « ؟ » كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ٣ م ١٢) فكما

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منهما يلاشي الآخر وان كان لكل منهما تأثيرا «؟» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «؟» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن المينة التي تلازمه وتتصق به إلصاقا وبذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الحق الطبيعي «؟» .

(١٢ - حل المسئلة) اذا كان المنار يفضل بحل المسئلة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أكبر دآءاتها (كذا) وما كان في نصائحه الفلسفية العمرانية التي يذكرها تباعا كن يشد الجبل من طرف فتشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من الجهودات . بل ربما تدلت الأمة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لا بد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرّة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة - واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الفراء فاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا حصل الحق طلبنا منه معاونتنا على تأييده والدود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا الاصلاح كالمنار ما استطعت وما توفيقى الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقاد على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣ م ١٢ اجلتها لوقت آخر حتى أرى ما سيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام

سوا كن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩ كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

سبق لنا تقرير كتاب المنتقد (أحمد أفندي بدوي) اثرنا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لم يتمكن من درس الدين والتوسع في اللغة العربية التي يتوقف فهمه على اتقانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على ما فهمه من قصيدة لابن تيمية وعلى حكمه بأننا موافقون لابن تيمية فيه او في كل شيء — وكأنه أخذ ذلك من ثنائنا عليه — ولكننا نشرناه عنابة به وحفزاً له منته الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعدادده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وتركنا الباقي على حاله الا أننا وضعنا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمضوية وقد تكون الصلابة لهذه اغلاط في الجملة كما لا يخفى على الطارفين

ان كان يريد الانتقاد على في شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول ان ما ذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون وخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل الفزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الى مفرقتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يجعل بهذا البيان حرصاً على هداية هذه الامة وكراهة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقاؤها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ أشهر شيوخ الاسلام فيها ان كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المقول وأما مسلكه فلم له نمقل وجهاً صحيحاً

قرأنا مقاله المعسل ففهمنا بعضه من العبارة وبعضه من القرائن ومنه جمل لم نفهمها بالمرّة لان تركيبها غير صحيح . وقد علمنا منه أنه لم يفهم ما كتبناه كله وانه يني الايرادات والاعتراضات على شيء في محله يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتي انه ينسب الى المنار ما يدعيه المنار الى ضده حتي في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في اللغة هما سببان فيما ذكره من عدم فهمنا لفرضه من اعتقاده الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه هولاء كلامنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويفكر فيه لما سذكروه في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل مطروحة بالأرقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث واتانين ما لا نرى بدا من بيانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالأرقام ثم قول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تطبق آراؤنا على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل إيجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يعتقد فساد هذا التقسيم أي بطلانه وعدم صحته ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمدعه من القرآن والعل الصحيح !! وقول ان القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى « ٤٢ : ٧ » وكذلك اوحينا اليك قرآنا حريصا لتتذرا من القرى ومن حولها وتذريوم الجمع لأريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » ولو شاء الله لطمهم أمة واحدة ولكن يدخل يشاء في رحمة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزلي فمعناه انه ثابت في علم الله الأزلي لا معني له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار للقرآن نفسه لا يصدر من مو من به وان كان ينكر أزلية علم الله تعالى به وبغيره فحكمه عند المسلمين معروف أيضا . وأما قوله ان صاحب النار وابن تيمية لا يفهمان علة هذا التقسيم فلا نجيبه عنه لأننا لأنجب أن نضيع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بما يشاء علم ذلك ام لم يعطه

« ٢ » ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد

عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين

« ٣ » اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة وبغيره النار الخ فيه

تفصيل بيانه في التفسير مرادا لجهل عامة المفوردين له وهو ان الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

(الناج ٧ م ١٢) علم المستقبل لله . والجنة بالعمل لا بجنسية الدين ٥٣٩

وان المسلم الموفق مختار في اتباعه لئيه والكافر المخذول مختار في عصيان نبيه
وان علم الله الأزلي لا ينافي هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه
مختار فيه كما بيناه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال
المتقدم (ص ١٩٩ ج ٣)

« ٤ » الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا يقول أحد من المسلمين
العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو لزيد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا
تبدل بل نقول ان الغاية مجهولة لنا وانها تكون على حسب أعمالنا الاختيارية « ان
خيرا فخير وإن شرا فشر » ولكنها معاومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما
لا تغير فيه ولا تبدل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي
لا تعلم ولا يعلم علاجها فملاج الجاهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه
وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا
فيه كالتنقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر انتقم به ألوف من الناس
وانبت في المدارس الدينية والجمعية وسيم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في
الأمر الاجتماعية »

« ٥ » ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لضعف عبارته وهو
غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ما عرفه
منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بانهم سيكونون في الجنة
وطائفة أخرى بانهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمور سمي مجموعها
الاسلام وناط دخول النار بأمور يبر عنها غالبا بالشرك والكفر وبالظلم والفسق
ولا تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (١٣٣ : ٤)
ليس بآمانكم ولا آمانى أهل الكتاب « من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) فناط أمر الغاية النهائية بالعمل
لا بالنسب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته
قال (١٢٥) ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

حنيفا) الآية ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين إبراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا أمركم فمن خير منكم نحن على دين إبراهيم واسماعيل وإسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى « ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب » الآيات

فألمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغير الاسلام فما بال المتقدم يتزعزع المشكلات من جهالات العامة ويحمل عليها بعض عبارات العلماء وغير العلماء من غير تمحيص ويوردها على الدين او على العلماء المخطئين او المصيبين ؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والتربية الصحيحة وهو الذي ندعوا اليه

« ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المطلقة » وما تفلسف فيه من الاسباب والتأج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفلسفية في هذه المسائل وقليل ما هم ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندي من اللغو

(٧) ما قاله في جواب المنار عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه وبعده وقوعه وحادثة مرض ولي عهد ألمانيا عبارته «مسلطة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها . وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان تهم بسرقة منه ان لا يسرق ام لا ؟ زعم ان مقتضى كلام المنار انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق » والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

نظرونا في ذلك باعتبار ان العمل وقع من الرجل علما ان وقوع السرقة منه حتم لم يكن منه بد لا باعتبار الامكان الخاص بطبيعته كما تقدم بل باعتبار الواقع ونس الامر . وكذلك باعتبار علم الله تعالى فانه متى وقع الشيء علما ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع وإلا كان جهلا وذلك محال . فاذا لم يفهم المتقدم انهمه ويفهمه جميع العقلاء من كون الواقع قد انتهى الحكم فيه وانه لا يقال فيه نفسه كان يمكن أن لا يقع لأن هذا تناقض وإنما يقال ذلك باعتبار طبيعية الامكان وصرف النظر عن كون الامر قد وقع بالفعل - اذا لم يفهم هذه الدقيقة في الفرق بين الاعتبارين تنازلنا له عنها فانها مسألة عقلية محضنة لا ترتب على الخلاف فيها أمر كبير .

« ٨ » لقد تبسنا عند قراءة قول المتقدم « يا صاحب المنارات كنت تريد إصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا » فيالله العجب من شأن الانسان أينما صاحب المنار عن التقليد بعد ان حارب به وحارب أهله اثني عشرة سنة !! ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المنار !! أما قوله ان الأخذ بالاسباب والعمل يقتضي السنن الطبيعية وانطباق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينشر عند بعض المسلمين الا بسبب ما رأوه من تقدم الأمم الغربية باتباع هذه السنن وسبب ضبط أوربا على الكثير منهم - فهو صحيح في الجملة ولا يضرننا ان تعدنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا اليه القرآن وأن نفهم منه ما لم نكن نفهمه نحن ولا آباؤنا الأولون فان كلام الله تعالى بمر لا تنفذ حكمه بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١ : ٥٢ سوريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) على اننا لا نسلم ان المتفهمين بذلك والمقتنعين به هم الواقفون على أحوال الغربيين دون غيرهم فالحق ان الامر ليس محصورا فيهم ، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة . وأما قوله ان « المجهودات » الكثيرة التي يؤديها أمثالنا هي كالشجرة البيضاء في الجسم الاسود فهو غير صحيح وليس مثله ان يحكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائل أخرى كافية لمعرفة سير الإصلاح فيهم فالحق ان الإصلاح أوسع

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فنموه في كل مكان يبشر بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدري » فزعمه ان تلك المساعي او الجهودات نصير كالمباء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته ،

« ٩ » ان ما ذكره من فك الفريين للقيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصرح به مرات كثيرة حتي بالتصير بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه عن المؤتمر الاسلامي (ص ٦٧٩ م ١٠) فلا حاجة بالاعادة قراءة المنار دروسه علينا، وما ذكره عودا على بدء من التحويل في مسألة ما ساء عقيدة التقسيم قد سبق آتفا انه مخطئ فيه لأنه في مخيلته أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فما هذا الإلحاح والتكرار اللهم صبرا ، نعيد له القول — في مقابلة إعاداته — ان ما نجعله هو الاصل في سعادة الفريين من جعل العمل في هذه الحياة هو الموصل الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كالقول يقتال المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بهما جميعا ولكن تسرب الى دماء المسلمين من نزغات الجبرية وكسالى المتصوفة ما كان مع الجهل بحقيقة دينهم سببا من أسباب كسهم الذي نشكو منه وشرحناه في المنار مرارا والتربية والتعليم الصحيحان يكفلان إزالة ذلك بالتدريج — ومنه النشر في الصحف الدورية — ولن يزول بغير ذلك

« ١٠ » ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرهه غير مرة من استحالة الجمع بين عقيدة التقسيم وبين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية ، وزعمه ان كل ما يصعله المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للفريين وانما يخرجون به من ربة التقليد اذا محيت عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحالة يكون أظهر لأنه محاكاة للمقلد من كل وجه ، ورأيه هذا يشعر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فهما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء ، التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك وتحاكيه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكيه فيه هو الصواب ، فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجربي

عند المسلمين اثنائين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة
انما ينالان بالعمل بمقتضى ما من الله تعالى في خلقه وشريعته وعملوا بذلك لا يكونون
مقلدين للاخر بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجريبية ان الاخرى يخرجونها بذلك
« ١١ » عبارة هذه المسألة أشد عساسة من سائر المسائل ليس فيما يفهم منها
شيء جديد الا تفلسف وتفصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خطأ ولو أنا حذفنا
أمثال هذا لظن القارئون انه فاتهم شيء كثير

« ١٢ » هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مراراً طالب
المنار بأحد أمرين إما ان يحل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح
بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هو لنا ان هذه العقيدة
بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرّة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة
وهو مستعد لبيان ذلك في المنار ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلاً في
القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ، ولست قادراً
على تصور فهم المسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقتل أدواء المسلمين
عنده فأصل له ما أحكم من المقد في خياله كما انني لست مكلفاً تفصيل قول ابن
تيمية فيها ولا سبق لي ان ذكرته وايدته وإنما ألصقه بي تمهيداً لما يريد التفرد به من
بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين ، ولا أنشره بعد الآن
في المنار شيئاً مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام مغلط مضطرب ربما يحدث
للضعفاء اضطراباً في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وإنما ننشر في المنار أحد شيئين :
إما بيان مسألة مما يحتاج اليه الناس ويستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة
فهمها ويفهمها مثلنا العارفون بلقنا العربية الفصيحة وأما انتقاد مسألة معينة أو ودناها
في المنار بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطأ فيها والدليل عليه بعبارة
فصيحة تفهم وما كتبه اخونا المنتقد أولاً وثانياً ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه
عناية به وتنشيطاً له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفة قيمة رأيه وبيان له
انه انتقد علينا أولاً في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

ماقرأه منه ، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له يغلب على ظني انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطلالا في هذه المسائل والثاني منهما كتاب كبير فيها اسم « شفاء الخليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطأ الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فهل يرضى احد من قراء المنار ان تنشر فيه مثل هذا الكلام

انني اكتب هذا وانا متالم لا اضطراري الى مفاجأة رجل يحب للعلم والفلسفة والاصلاح بيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة اللطيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الا إعجابه بما عنده فعسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فرما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من بيانه لها

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١١: ١٠٥) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٢: ٤٢) وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه كما قال في سورة الأعراف (٧: ٢٩) كما بدأ كم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المتقدم من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينفيه عقل ولا علم بعد اثبات حقيقة الآخرة بل هو معقول واسبابه مشاهدة في الدنيا بل تقول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فجعل بعضهم فقيرا وبعضهم غنيا وبعضهم رفيعا وبعضهم ضيعا كما قال (٤٣: ٢٢) أنهم قسمون رحمة ربك ونحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية ولكن قسمته تعالى لا تنافي ما وهبه للانسان من الاختيار والاستقلال فان هذا داخل فيها (٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

علم الله تعالى فهو قديم قدمه أزلي بأزليته فالقسمه فيه قديمة أزلية أيضا .
واما الفعل فلا تحقق قسمه الجنة والنار بحسبه الا في الآخرة فهناك تكون القسمه فعلية
ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تحقق لكل فرد في مدة وجوده في الدنيا لا في الأزل .
وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله
وصفاته وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالايجاز في جواب المتقدم (ص ١٩٩ ج ٣)
وقول الآن كلمة وجيزة ايضا وهي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في
أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكونه الحرية والمادة من الصفات
في نفسه وبذلك يكون مصدرا لسعادتها أو لشقاؤها بميله فكل فرد من افراده يعمل
بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يجعله في القسمه مع أحد الفريقين وليس علم
الله الأزلي بالقسمه ملزما له بالعمل لأن تعلق العلم بتعلق انكشاف لا تعلق فصل
والإزام على أنه يتعلق بالشئ وبطلته .

واما القسمه بالفعل وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع - فالضرورة لا تكون ملزمة
ولا بهيمة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا سالة لحرية واستقلاله فيه
لأنها أي القسمه بالفعل هي المطلوب للعلم التي تكلم عنها وهل يكون الشئ علة لنفسه ومعلولا
لها؟ هنا دور ظاهر - وقد بينا الدلائل العقلية والعقلية والوجودية على استقلال الانسان في
الفكر والإرادة - وهما مصدر اعماله التي يكون بها في القيامة من أحد الفريقين في عشرات
أومئات من المواضع وبينها الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص ١٢٥ من طبعة المار)
(٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمه وقد تمر
السنين ولا يخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطر ما في باله
فصر فيه من التسميم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويفلسف
بقدر استعدادهم . وما زعمه المتقدم كونها هي علة الملل لكسل المسلمين وتقصيرهم
في أعمال الدنيا عن غيرهم من الامم فقير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها
علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمه
الارزاق فمحوها على غير وجهها وقد بينا ما فيها من الفساد والخطا في التفسير والتأويل
(المار ج ٧) (٦٩) (المجلد الثاني عشر)

وغير ذلك من ابواب النار مرارا كثيرة منها بحث التوكل والاسباب في التفسير ص ٨٠٩ — ٨٠٨ م ١١ ، الذي بنا فيه خطأ النزالي في التزهد في الدنيا .

وبيان خطأ الخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لابد من بيان الحق الصريح في تلك الاشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وإنما هو بعضه او مقدمة له فانه بنشره المرة بعد المرة في صحف النار المنشرة يثبت في نفوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهو لا يدخلونه في تعاليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يهتمون على النار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكاتباتهم ولو مع عدم التنبه لمصدرها ومثل هذه الوسائل تم كما عمت تلك التعاليم الباطلة من قبل

« ٤ » ان مسألة تحليل افعال الله تعالى تفاهة الاشاعرة وقد أثبتنا ابن تيمية وابن القيم بالدلائل والبيانات العقلية والعقلية وأثبتنا ان القضاء والقدر لا ينافيان اختيار الانسان واستقلاله الممنوحين له من خالقه ولا وجوب العمل عليه لدنياء وآخرته فتعامل المتقدم على ابن تيمية وحده لا يات قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائب ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان العبد فاعل لفظه حقيقة وان له قدرة ومشية واختيارا وأن قدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا ، وأنكر على جمهور الاشعرية ما يقولونه في الكسب ونقل موافقة بعض أئمتهم على ما قال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرايني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المتقدم ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المتقدم ذكر الشبهة التي أوردتها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرر زعمه بأن كل سعي فيه يكون باطلا ما لم تثبت للمسلمين بطلان هذه العقيدة . ونحن نكروه الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لا ضرر في اعتقادها وإنما الضرر في فهمها على غير وجهها كفهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا انهم لو ازم باطلا وانا ما زلنا ندين حقيقة هذه المسائل وبطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها

خطبة في عيد الدستور

﴿ تلاها في الاحتفال العام بطرابلس الشام ﴾

« الشيخ اسماحيل افندي الحافظ الشهير »

لم يمر على الأمة العثمانية يوم هو أوفر جمالاً ، وأكبر إقبالا ، من مثل هذا اليوم
المجيد الذي أشرقت فيه كواكب سعدتها ، في أفق مجدها ، بأهرة الاضواء ،
ساطعة الألواء ،

في مثل هذا اليوم هبت نسمة قدسية ، من أفق العناية الالهية ، ترنحت لها أعطاف
ابطال الحرية ، من جمعية الاتحاد والترقي القادية المقدية ، فنهضوا لاسترداد المققود ،
واصلاح الموجود ، بقلوب تمثل أقصى مراتب الحمية الملية ، وعزائم تناهض الدهر حزما ،
وتغالب الايام ثباتا ، فأهدوا الأمة من برائن الظلم ، ووضعوا عنها أغلال الغلبة والظهر ،
وأطلقوا العقول من قيودها ، ونشروا الافكار من لحودها :

في مثل هذا اليوم شعر العثماني انه عضو عامل في أمة حية يسعد بسعادتها ويشقى
بشقائها ، فهب من سبات غفلته ، وشمر يداً في مصلحة أمتة ، فرأى ان لا سبيل الى
سعادته الا بالاتحاد ، وان لا تحقق للاتحاد الا بالإخاء والمساواة ، فتآخت ملل الأمة
وأديانها ، وتساوت شعوبها وعناصرها ، وتضامت أجزاؤها ، وتماسكت أعضاؤها ، وأقبل
المسلم يعانق المسيحي ، واليهودي يصافح الأرمني ، والتركي يهدي أخاه العربي بنفسه ،
والكردي يدافع عن الألباني بمهجته ، والكل موقن ان لا غنى له عن الآخر في حياته
الاجتماعية ، وسعادته القومية ، في شكل يسحر الالباب بهاؤه ، ويأخذ بالقلوب
بمهجة ورواؤه ،

في مثل هذا اليوم تفجرت ينابيع حياة الأمة فسرت في أجزائها المفرقة ، ودبت
في أعضائها الممزقة ، فاتحدت أفرادها ، وتوحدت أعدادها ، وصدرت عنها أعمالها
بأدائها الكلية ، وحركتها الاختيارية ، فتوجت منحدتها نحو سعادتها الحقيقية متملصة

من ظلام الباطل الى نور الحق ، ناهضة من حضيض التأخر الى يفاع الترقى ، معلنة بأطيب ألحان الحرية ، آيات العدل والانسانية ، تحت لواء الاخاء والمساواة :

في مثل هذا اليوم أعلن القانون الاساسي فقضى للأمة بنيل حريتها ووهبها نعمة الاستقلال وخول لافرادها ان يكون لهم رأي مقبول في ادارة شؤون مجموعها وهي نعمة تعد أساسا مكيئا لسعادة مستقبلها ، ورقي حقيقي تنهض اليه فتتال ما قدر لها من الكمال ، وما استعدت له بفطرتها من مظاهر الإقبال

نعمة دلنا الاستقراء وعلما التاريخ ان الام التي تكون محرومة منها لا يكون لها اجتماع حقيقي ولا سعادة صحيحة ، وان غفرت باليسير من ذلك فما هو الا صورة خيالية تظهر بمظاهر وهمية ، لأسباب توجد المصادقة والاتفاق ، ثم لا تلبث ان تذهب بذهاب أسبابها ، شأن الحوادث الناشئة عن أسباب موقته . نعمة قيضها الله لبعض الأمم فثالت بها من العز والمنعة والمجد والعظمة ما نشاهد آثاره ونسمع أخباره ، وحرمتها بمضاهيقت راسفة في قيود الجهل تأتبه في يداء العباوة لا يرعى لها جانب ولا يحفظ لها حق ، فلا غرو ان تحتفل جميع الامة العثمانية بيومها السعيد احتفالا يتجلى في أبهج مظاهر الزينة وأهنا عجالي الفرح ، ولا غرو أن نشرتب العقول لتعرف معنى هذه النعمة ونسبتها الى الهبة الاجتماعية :

اختلف فيها أنظار الباحثين ، وتنوعت منازع الناظرين ، فذهب بعضهم الى ان حرية الامة أو حكم نفسها بنفسها ليس هو حقا طبيعيا لها بل هو حالة اجتماعية يقتضيها طور من أطوار الامة وينبذها طور آخر وان الام لا تستحقها الا اذا بلغت مرتبة مخصوصة من مراتب الاجتماع وانها قبل ان تصل في اجتماعها الى هذه المرتبة فلا حق لها بنيل حريتها ولا بالمطالبة بها كما انه ليس لحكامها ان يفوضوا لها شيئا من شؤون نفسها خشية ان تتصرف تصرفا يفسد حالها ويوجب طرودا لخلل في ادارتها

وزعموا ان حالة الامة اذ ذاك كحالة الصبي قبل بلوغه فانه لا يجوز في نظر العقل السليم ان يطلق له التصرف في شؤون نفسه لئلا يفسد عليه أمره ويضطرب حاله ، وان ما هو للشيء بطبعه لا يتخلف عن ماهيته مع ان كثيرا من الجماعات البشرية عاشت أزمنة

متطاولة وهي مملوك عليها أمرها، مستبد عليها في شؤونها، فكيف يكون حكم الامة نفسها
بنفسها حقا من حقوقها الطبيعية ومميزا من مميزاتها الفطرية

وذهب أهل البصيرة منهم الى ان حكم الامة نفسها بنفسها حق طبيعي ثبت
لها يوم صبح ان يطلق عليها لفظ أمة فهو وصف لازم لذاتها غير منفك عن ماهيتها
وان من عمد الى سلبها هذا الحق فردا كان أو جملة فهو كمن عمد الى سلب انسان
حقه في استنشاق الهواء وتناول الغذاء، أو كمن قيد إنسانا عن حركته الطبيعية التي بهم
بها بإرادته ويأشرها بقدرته

واستدلوا على ذلك بان العقول السليمة متفقة على ان كل فرد من بني الانسان
هو بحسب فطرته حر مستقل في حركته وسكونه واقدامه وإحجامه وأخذه وتركه
وان الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قد حكمت بأن له حقا طبيعيا في ان
يتصرف بشؤون نفسه كيفما شئت إرادته ومال اليه اختياره وان الباحثين في
تعريف ماهيات الاشياء وتحديد طبائعها قد عرفوا الانسان بأن الحيوان الناطق
بطبعه المتحرك بإرادته

وان الأمة لما كانت عبارة عن جماعة أفراد مجتمعة بروابط من المصالح المشتركة
والصفات الشاملة فقد وجب ان يثبت لمجموعهم من الحق ما ثبت للفرد الواحد منهم
إذا كان العدوان على حرية شخص واحد يعد شذوذا عن قواعد العدل وفسوقا
عن أوامر الله وخروجاً عن حدود الانسانية وهو لم يعد ان اضر فردا بعينه لا تتوقف
عليه سعادة ولا يناف به شقاء فإل بال العدوان على حرية أمة كبيرة قد تكون مؤلفة
من ملايين من مثل ذلك الفرد لا يعد شذوذا عن منهج العدل ؟ بل كيف يعد
ذلك من نتائج الصواب ؟ وحكمة أولي الالباب ؟ لعري ليس هذا المذهب الا
من وساوس المستبدين الذين لا يروق لهم الا الاثرة بحقوق الضعفاء ، والتلاعب
بعقول الاغبياء، وان الحكم على أمة مجتمعة بأنها غير جديرة ان تحكم نفسها بنفسها
لا يعد من الصواب من الحكم على الرجل العاقل انه غير أهل للتصرف بشؤونه الخصوصية
هل يبلغ الجهل والقصور بمجموع مستقل أفراد بشؤون أنفسهم ان يعجزوا
جميعا عن تدبير شؤون مجتمعتهم ؟

ان حد التمييز والرشد في الأمة هو ان تكون بحيث يتبها لها الاجتماع بأبسط معانيه فانها متى بلغت هذه المرتبة حكم لها بأنها بالغة رشدها قادرة على اداة نفسها وكل جمعية بشرية فهي بالغة هذه المنزلة لا محالة ضرورة أن الانسان خلق على أن يعيش مجتمعا فهو لا ينفك عن الاجتماع والأمة المجتمعة لا تنفك ان تكون مستعدة للاستقلال بطبيعتها وانما تحول دون ذلك اطعام المستبدين احيانا فاذا اتفق لأمة أن صرفت همه المستبدين من رجالها عن البحث باستقلالها فقد قضى لها ان تباشر السير الى كمالها

لا يشترط في نيل الأمة حريتها واستحقاقها لذلك بطبيعتها ان تبلغ في اجتماعها مبلغ الامم الراقية كما لا يشترط في بلوغ الرجل رشده ان يكون كأصوب الرجال رأيا وأكلم رشداً لأن الرقي والرشد يقالان بالتشكيك فيكونان في بعض الاشخاص وفي بعض الأمم أدنى منها في غيرها ولا يوجب ذلك قصا بالمقصر عن درجة المتقدم يؤدي الى حرمانه من حقوقه الطبيعية

اذا نالت الأمة حقها في حكم نفسها افسح لأفرادها مسرح الفكر ، واتسع لهم مجال العمل ، ودبت فيهم حياة جديدة شعروا بها ان لأراداتهم وميولهم تأثيراً في رقي مجتمعتهم ، قترفت بذلك نفوسهم عن الدنيا ونهضت الى مطالبي الامور وانصرفت من هنا الى الشعور بأن الفوز بالمصلحة الخاصة متوقف على تأييد المصلحة العامة قاندفعوا بسائق محبة الذات الى التماس مصلحة افرادهم في ضمن مصلحة مجموعهم ومن ثم تخرج العقول من مضائق اختصاصها الى متسع الأمة وتنصرف الافكار عن البحث في الكليات فتسمرن على الاستنتاج الصحيح من المقدمات اليقينية فتستقيم الافكار وتصلح الاعمال عن الخلل

ويتبع ذلك صحة في العزائم ونهوض في الهمم ومسايرة الى الاعمال الشريفة وتنافس في إصابة المفيد منها الأمة . هكذا ينسئ للام ان ترتقي في مدارج اجتماعها مبتدئة بالفكر المصحيح ومتعلقة من ذلك الى الصالح لها الموافق لمصلحتها ثم تتدرج من هناك في مراتب الكمال مرتبة بعد مرتبة ! ومن أين للأمم التي ليس لها حظ من الحرية ان تنال هذه المزية ؟

اذا تقرر هذا علم ان نيل هبة اجتماعية لحريتها يعد مهياً لوقتها ومقدمة لتقدمها
او مرتبة اولى من مراتب كمالها فاذا توقف نيل حريتها على بلوغها مرتبة القدوة التامة
على ارادة شؤونها فقد كافأها ان تأتي النهاية في البداية ، وتصل في مبدأ سيرها الى
الغاية ، وهو باطل في نظر العقل ، ومحال بحكم الواقع
(يرد هنا نبوغ الأمة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين الى زمن المقتصر ووقتها
وفيهما من المستبدين مثل يزيد وعبد الملك والمنصور والرشيد ونبوغها ايضا في دولة
نبي عثمان من زمن مؤسسها الى زمن السلطان سليمان القانوني والجواب عن هذه
يستغرق بحثاً طويلاً لا يتسع الوقت له الآن فترجعه لفرصة أخرى)
ومهما يكن الامر فلامراء في أن حرية الأمة هي مبدأ حياتها الاجتماعية وان
الناهضين في كل أمة لا يصلحوا الى هذا الحق هم صفوة رجالها ، والنوادير من ابطالها
بل هم القبيل الذين رآهم الاقدمون فحسبوا انهم ممتارون عن البشر فاقاموا لهم
القنايل وشيدوا لهم الهياكل وافردوهم بالمعظمة والكرامة حتى وضعوهم بمصاف الالهة
فلا عجب ان تحتفل الامة العثمانية اليوم بنيل حريتها وتترنم بآيات الثناء لاولئك
الابطال العظام من جمعية الاتحاد والترقي فليحي الجمعية فليحي السلطان الدستوري
فليحي المنفذ الثاني للوطن محمود شوكت باشا فليحي الجيش المنظر

عيد الدستور بمصر

انشدنا محمد حافظ افندي ابراهيم لنفسه في ليلة الاحتفال بهذا الموسم في حديقة
الاز بكية بمصر هذه القصيدة

أجل هذه أعلامه ومواهبه	هنيئاً لم فليسحب الذيل صاحبه
هنيئاً لم فالكون في يوم عيدهم	مشارقه وضاءة ومغاريبه
رعى الله شعباً جمع العدل شمله	ومت على عهد الرشاد وغائبه
تخالف في ظل الهلال إمامه	وحانخامه بعد الخلاف وراجه
خذوا بيد الإصلاح والامر مقبل	فاني أرى الإصلاح قد طرّ شاربه

وردوا على الملك الشاب الذي ذوى
فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما
اذا شوكت الفاروق قام منادياً
ثلاثة آساد بجانبها الردى
يصارعها صرف النون فتلقى
روت قول بشار فثارت وأقسمت
« اذا الملك الجبار صغر خده
وسار على أعقابها كل ساج
يصيح به « لا رى » أو تبلغ المنى
هنالك قنهل واتخذ ثم مربطاً
رجال من الايمان ملائى نفوسهم
صوالجه سر القنا وكراته
اذا ثار دسكت اجبل وتخشمت
وثلت عروش واستقرت ممالك

قاني رأيت الملك ثابت ذوائبه
حتته يد الفاروقى قاله طالبه
الى الحق لباه نيازي وصاحبه
وان هي لاقاما الردى لأتجانبه
مخالبها فيه وتنبو مخالبه
وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
مشينا اليه بالسيف ناثبه «
على منته برج مشيد يداهبه
و« لا شبع » أو يرجع الحق غاصبه
يلدز واحد في الوشى من تصاحبه
وجيش من الأتراك ظمأى قواضيه
رئوس الاعادي والحصون ملاعبه
بحار وأمضى الله ما هو كتابه
ولو انت ذا القرنين فيها يناصبه

فمن لم يشاهد يلدزاً بعد ربها
واسلمه أحيابه لقضائه
وقلت الاقدار اظفار بطشه
فما شهد الدنيا تزول ولا رأى
ايح حماها وانطوى مجد ربها
ولم يفن عن عبد الحميد دهاؤه
ولم يحصه حصن ولم نرم دونه
ولم يخفنه عن اعين الحق مخدع
أقام عليه مهلكا عند مهلك
تحماته حتى الوهم خوف اغتياله

وقد زال عنه الملك وانذك جانبه
وفر ولم يخش المعرة كتابه
ودل على ما تجهل الجن حاجبه
بلاء قضاء الله في من يحاربه
وقامت على البيت الحميدي نواده
ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
دنائيره والامر بالامر حازبه
ولا تنق في الارض جم مساربه
بمر به روح الصبا فيوائه
قلو مسه طيف لدارت لوالبه

وأسرف في حب الحياة فحاملها
 فني شكل قتل للنية مكن
 وفي كل ركن صورة لو تكلمت
 تائب ايهام أنيت وأقصدت
 مثله في نومه وجلوسه
 أقام عليه ألف موت محجب
 ساره ألغيت عنه في يوم خلمه
 وقد نزل المقدار بالأمر صادعا
 وأخرجه من يلدز رب يلدز
 وأصبح في منقاه والجيش دونه
 يناديه صوت الحق ذق ما أذقهم
 هم منحوك اليوم ما أنت مشتري
 ودع عنك ما أملت ان كنت حازما
 معني عهد الاستبداد واندك سرجه
 لك الله يا غور إنك بلم
 فكم رعت جبارا وأرهقت ظالما
 فدينك من شهر آخر محجل
 تقابله الاعياد في الأرض كلما
 ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه
 وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله
 يطيفون بالعرش الكريم ورده
 تنهي أمير المؤمنين محمدا
 سلك أمواج البحار سفينه
 مملكة محروسة وثوره
 بسور من الالهال لم ينج راكمه
 وفي كل مفتاح قضاء يراقبه
 لا شك في عهد الجيد مخاطبه
 تراهي بها اعطافه ومناكه
 وتخدع فيه الموت حين يقاربه
 ليقلب موتا واحدا هز غاليه
 عجابه أو أحرزته غرابه
 وضاعت على شيخ الملوك مذاهبه
 وجوده من سيف هلمات واهبه
 يغالب ذكرى ملصكه وتغالبه
 فكل امرئ رهن بما هو كاسبه
 فرد لم ما أنت بالأمس سالبه
 فلم يبق للآمال فضل تجاذبه
 وولت أفاعيه وماتت عقارب
 لجرحي الأسي والدمر نعدو نوابه
 وانصفت مظلوما ثوالت مصائبه
 أوائله ميمونه وعواقبه
 تجلي هلال الشير أو لائح حاجبه
 قهر من وقع السرور جوانبه
 تدفق في دار السلاح مواكه
 تطيف بهم الآؤه ومناقبه
 خلافته فالعرش سمد كواكه
 كما ملكت شم الجبال ككتابه
 وكأني منصوره ومراكه

٥٥ قصيدة اسماعيل بك عاصم في عيد الدستور (الناشر ١٢٧٧ م)

وأرسل البنا اسماعيل بك عاصم المحامي المصري هذه القصيدة من الاستانة
 عيد عز الدستور بالامن أضفر نوره للأنام الله أكبر
 آل عثمان ها كم اليوم يوم هطل القلب فيه بشرا وكبر
 يوم عيد الحرية التي كم به ما زماناً بعدها تنحصر
 كل حرية بغير حماة لا يراعي زمانها من نجبر
 ولهذا جاء الرضا ليعيد ما فكانت لعصره خير مظهر
 يا أميرا المؤمنين وسلطانا ن جميع الشعوب لا فرق يذكر
 كل هذي الاقوام ترجوك في ته وبيض ماقلت أنت بالعدل أقدر
 انت أدري يا صاحب الملك بالما ضي قادرك بهزمك الملك تشكر

يا رجال الوزارة الصيد هذا اا وقت في هوله كيوم المحشر
 دققوا في الحساب بالقسط زما ح البرايا فظالما الظلم كدّر
 فالملك المحبوب رأس وأتم منه اعضاؤه به تنأثر
 والعكرام النواب أوردت الجسد م وما الحياة منها تنجر

آل عثمان انت سلطاننا أه ظم ملك بنوره تبصر
 هو حامي الدستور حامي الرعايا حافظ العهد للعدالة أظهر
 فتناونا في حبه فهو بالأخ لاص منا وبالجنة أجدر

أيها الثابون عن هذه الأمت ة أنتم لها العاد الأكبر
 أنتم عارفو البلاد وحاجا ت الأهالي وما به تنصر
 أعين الناس فحوكم ناظرات فاطمروا للودي بأشرف منظر
 لا تريد استرداد ما راح لكن حفظ ما عندنا فلا تنقهر
 ثلث قون مضى ونحن من الار هاق كانت أعصابنا تنخدّر
 ثلث قون ونحن في ظلمات بعضها فوق بعضها تنكرر

فجلا تلمكم الدياجي نور
أهذونا وكادت الروح تدنو
فسجدنا لرنا وشكرنا
يا ليث الوغى ويا خير من أحم
يا أسود الشرى ويا خير من قو
قد جلوسنا عروساً تجلت
وهي حورية أضأت ودستور
فعلبك السلام يا شوكت منّا تليه نعمة تططر
انت ادركت ذي الخيانة فأنقذ
وعلى الفرقدين اوكى سلام
لا تقولوا قد راح مدحت عنا
فأتركوا ماضى وجدوا لما يا
واستعينوا بالحق دوماً ومبهو
خير ما ينفع الشعوب ثبات
فهباً يا آل عثمان هذا
دام سلطاننا ونوابنا والجيش

من سنا قادة لجيش منظر
للتراقي وصالح الموت زبحر
هؤلاء الأبطال والحر يشكر
يا نفوساً كادت من الظلم تهر
م ملكاً قد كاد أن يتدمر
كتجلي بدر السماء وأزهر
و يحفظ الحقوق في الملك بشر
يت حتى ظفرت والملك عمر
بطلي تركيا نيازي وأنور
كلكم مدحت اذا ما تدبر
تي مجزم النهى وعزم النفسفر
ثانكم فالنجاح في ذاك اكتر
واتحاد بعزمه تتحرر
يوم عيد للناس عيد مكبر
والشعب في الهناء الأوفر

هذه عادة من النيل وافت
عادة زانها حلي الماني
أقبلت في بشار أرختها
سنة ١٣٢٧

بناها ودلها تبختر
ومن اللفظ عقد دّر وجوهر
عيد عز الدستور بالأمن أسفر
٨٤ ٧٧ ٧٠١ ١٢٤ ٣٤١

ضاق هذا الجزء عن باب الفتاوى وفيه بيان معنى كون الدستور موافقاً للشرع
وغير ذلك من المسائل فأرجأناه الى الجزء الآتي

بَابُ الْخَبَرِ وَالْأَمْرِ

الهرج والقتل في أطمه

أشرنا في آخر الجزء الثالث الى هذه الحوادث وكانت في بدايتها وقتلنا انه لا ثقة
بإخبار شركة روتران الترك هنالك تصدوا لدمج الأرمن عدوانا . ثم ان الجرائد في الاستانة
وسورية ومصر جاءت بتفصيل لتلك الحوادث جاء في بعضها ان الأرمن كانت هي
المضرة لآثار الفتنة وأن مبدأ ذلك تمثيل الأرمن لقصة سياسية في أدنه يصفون فيها
ظلم الترك لهم وقيام ملك منهم بتقديمهم من ظلمهم ويقدم لهم دولة جديدة . ثم إنهم لم
يكتفوا بهذا بل طفقوا يستحضرون السلاح الجديد فتكرهم المسلمون إلى ان انفجر
البركان ، وفاض الطوفان ، واقتتل الفريقان ، وروي ان أول واقعة من وقائع
الاعتداء كانت من الأرمن . ومن الناس من لا يصدق هذه الروايات بل يرجح
ان المسلمين هم المعتدون ، ومنهم من يقول ويكتب غير ما يعتقد ولاهوى سلطان
على القلب وعلى القلم واللسان . ومن رأينا ان يرجأ الحكم في الاسباب والمباني الى
ان يتم تحقيق الحكومة في ذلك وينشر رسما

مهما كانت الاسباب والمباني ، وإيما كان المعتدي والمباني ، فلا شك في
كون الفريقين قد عملا مالا يبيحه الدين الذي ينتسبان اليه ، ولا يتفق مع مصلحة
الوطن الذي يقيمان فيه ، فقد هدمت الدور ، وأحرقت الاسواق ، وقتل النساء
والاطفال ، وحملت الامة عبئا من العار ، ولحق الحكومة ما لحقها من الخسار ، وتألمت
الانسانية الفاضلة في جميع الاقطار

قد أكثر أهل الأهواء وافراط مقلدة التفرنج من القول بأن سبب ذلك هو
التعصب الديني ولو كان مازعموا لما كان الهرج بين الترك والأرمن دون سائر
المسلمين والنصارى فقد ثبت ان أبناء العرب هناك كانوا يحمون الأرمن ويواسونهم

وأن الأرمن لم يعتدوا على غير الترك والترك لم يعتدوا على غيرهم فالمسألة اذا أثر من آثار الأحقاد الجنسية ومن جعل سببها التعصب الديني فهو ان لم يكن جاهلاً متعصب او منافق يتزلف للمتفرجين، وان ادعى انه من الأحرار او المسلمين، دعا بعض فضلاء العثمانيين الناس الى الاجتماع في حديقة الأزبكية لسماع الخطب والقصاصات في شكوى الانسانية من ذبح أبنائها بعضهم لبعض والحث على مواساة المنكوبين وإعانة النامي والأرامل من الفريين — المسلمين والأرمن — قلى الدعوة جماهير أهل الخير من جميع الطوائف ماعدا الأرمن. وخطب صاحب هذه المجلة — على انه كان مريضاً والحز شديد — خطبة أرتجالية بناها على بيان التفاوت العظيم بين الانسانية الراقية والانسانية الساقطة التي يكون أصحابها شرا من الوحوش الضارية والحشرات السامة، وكون هذا الاجتماع احتجاجاً من أهل الأولى على أهل الثانية وإرشاداً وتعليماً. وينت فيها مشروعية البر والاحسان في الاسلام بجميع البشر مؤمنهم وكافرهم بل بجميع الأحياء « في كل كبد حري أجر » ورمى بعض الخطباء الى كون المسلمين هم المعتدين الباغين باسم الاسلام فرددت عليه بلطف وقلت ان المقام مقام استعطاف لا محاكمة ولا تاريج وان التحقيق الرسمي سيظهر الحقيقة ان المسألة جنسية لا دينية ذلك ما كتبناه للجزء الماضي من المنار فلم يتسع له ثم قرأت في جريدة لسان الحال البيرونية المؤرخة في ١٥ الشهر (رجب) ملخص تقرير المجلس العربي فنحن ننشره بنص هذه الجريدة وهو

﴿ تقرير المجلس العربي في أطنه ﴾

وضع المجلس العربي في أطنه تقريراً مفصلاً بحوادث أطنه ولكن جرائد دار السعادة العالية لم تنشر الا خلاصة منه وهو يذكر ان الحوادث التي جرت هناك انما يصعد تاريخها الى أيام بحري باشا الوالي الذي كان قبل جواد باشا فانه ظلم الناس ظلاماً قاحشاً وأوقع بهم خسفاً وجوراً وهم لا يبدون ولا يمدون بل كانوا كالملوث لا يتحركون ولا يشكون وكان رجال الوالي كثيرين وهم يتفنون من توسيع نطاق تلك الاختلالات ويتمنون الى الله ان تدوم لان أكثر تلك المظالم التي تميزت منها

النفوس الالية كانت واقعة على الارمن وكان هؤلاء بها راضين صابرين حتى بمن الله بالفرج ولما ثقلت الوطأة وشعروا بشدة الشكينة فضلوا الموت على الحياة ولكن الذين كانوا يطلون النفوس بأمل الانفصال في الاستقبال كانوا يسكنون روعهم ويحضونهم على الصبر وقد أتوا بكثيرين من هؤلاء المظلومين من أنحاء الولاية وأقاموهم في مركز الولاية وقالوا ان هذا المركز يعتبر نفرا يجرى أو قد استجلبوا له كثير من الأسلحة لأسباب بعد اعلان الدستور فانها كانت ترد اليهم من يروت كيات عظيمة بالسفن والبواخر وكانت توزع عليهم في أطنه وضواحيها حتى زادوا طمعا بالانفصال عن الحكومة وبعد اعلان الدستور كان المسلمون يتقربون من جميع أبناء الطوائف ويظهرون لهم المودة والمسالمة ولكنهم ما كانوا يخفون احتقارهم للجمميات الارمنية الموجودة في البلاد لا اعتقادهم بان اعضاءها يسمون في الانفصال والاستقلال وقد زادهم ثقة بذلك كونهم وأوهم يقيمون الشعب والفروع لجمياتهم في كل الجهات ولا تنكر ان الحكومة أظهرت ضعفا شديدا في كل الاحوال التي مرت بالبلاد فانها لم تسع في قمع الفتن ولا في اخفاء المشاغب حتى انه بلغ مسامحا ان الارمن يسمون سعي متواصلا في الوصول الى الاستقلال الاداري وان رفاقهم في أوربا يكتبونهم بذلك ولكن الحكومة لم تلتفت الى هذه المسألة واعتبرتها كأنها لم تكن

وقد اتصل بالحكومة ان الجميات الارمنية وزعت رسوما وجرائد وشارات مخصوصة على الارمن وجعلت لكل منهم علامة فارقة يعرف بها ومع ذلك فانها لم تنهم للامر ولا سمعت في ايقاف تياره حتى ان المطران موشاخ الذي هرب كانت له يد سوداء في كل هذه الاعمال المقابرة وما زال الامر يزداد استفحالا ونطاق الخلاف يزداد اتساعا بين المسلمين والارمن حتى صارت الحوادث تتوالى من مدة الى أخرى وكثيرا ما كانت تتفاقم وتتجسم حتى امتلأت القلوب بالضغائن ووقع ما وقع بين الفريقين من أسباب القتال الذي قضى بذهاب الانفس ووقائع الحرق والنهب وغيرها (١) وكانت الحكومة تنظر الى هذه الاحوال بعين لا يخامرها كل وفكر لا يعتبر به

(١) حذفنا من هذا الموضع كلاما في (احسان فكري) صاحب جريدة اعتدال وما كان من ارتكابه ومكايده لاوالي وما في ذلك من ضعف الحكومة الماضية

وجل ولا حساب لشئ، وكان الخطب يتفاقم ويتعاظم بين المسلمين والارمن وفي كل يوم يطلق الرصاص هنا وهناك من الفريقين والحكومة لا تكترث له حتي جنت بذلك جنابة لا تقفر ولما قبضت على بعض المشاغبين من الارمن توسط البعض في أمرهم فتركهم وشأنهم اما المسلمون فابقهم في الحبس فكثرت اذ ذلك الاشاعات وزا كمت المخاوف والثرهات فراج السلاح رواجاً عظيماً وكان تجاره وبعته يندرون الفريقين بقرب اشتباك القتال وان الواقعة ستكون عظيمة يتخللها مذابح هائلة حتي بلغ ما دخل اطنه من الاسلحة بطريق بيروت واسكندرونه وعرسبن اكثر من ١٣ الف بندقية عدا البنادق والمسدسات وغيرها مما لم يعلم به أحد. واتفق ان قتل رجل من الارمن مسلماً فتعقبته الحكومة ولكن الارمن خباؤه وانخفوه عنها ولما اقرؤا به قالوا انهم لا يسلّمونه ما لم تقص الحكومة من مسلم ادعوا عليه بكونه كان قتل ارمنيا وفي ١٣ نيسان اطلق رجل اسمه محمود طلقاً نارياً في محلة من البلدة فقبضت عليه الضابطة ولكن اجتمع اكثر من خمسمائة نفس من المسلمين واتخذوه منها بحجة انها لم تقبض على الارمن الذين اطلقوا النار وليس ذلك فقط بل انهم اجتمعوا ثاني يوم مع رفاقهم وحضروا الى السراي وبالاتفاق مع مدير البوليس اطلقوا سراح كل اخوانهم المحاييس ومنذ ذلك اليوم أخذ المسلمون يطوفون في المدينة شاكي السلاح ويبدون مظاهرات تدل على انهم لا يعاون بالحكومة ولا يأمرون بأمرها وفي اثناء ذلك قتل ارمني مسلماً فعارضه المسلمون فخرج الارمن عليهم متحسين شاكي السلاح حتي ملأوا الشوارع والطرقات فاستدعت الحكومة رجال الرديف فحضروا وطاقوا في الاسواق بملابسهم المدنية فكانوا كسائر الاهالي لا فرق بينهم في اللباس فقام عليهم الارمن ولكنهم اشاعوا فيما بينهم ان الحكومة هدرت لهم دماء الارمن وخصصت لهم بالفتك بهم وعند ذلك هجموا على المستودعات العسكرية واخذوا الاسلحة وما يلزمهم من الذخيرة وقملوا ما فعلوه مما اوجب على اعضاء ديوان الحرب ان ينكروه ويندرفوا من اجله الدموع ولما حى الوطيس أخذ رجال الحكومة يفوزون بانفسهم فهربوا وتواروا عن العيان ثم سجن عدد كبير من الارمن ولما عقد الديوان الحربي حكم على ١٥ نفسم من الارمن والمسلمين بالاعدام

فاعدموا ويوجد الآن من ٧٠٠ الى ٨٠٠ نفس كلهم مجرمون مذنبون كالذين شنعوا واذا أردنا محاكمة كل الذين دخلوا في هذه الحوادث كان هناك من ١٥ الى ١٥ ألف نفس واذا كان لا بد من عقاب كل الذين ارتكبوا المخالفات والجرائم كان لا بد من عقاب كل سكان الولاية

وقد طلب في ذلك التقرير العفو عن مرتكبي الجرائم والصفح عما مضى اه (المار) ذكر اللسان بعد هذا ان بطرك الارمن اعترض على هذا التقرير وزيف اكثر كلامه . وقد ذكر مثل هذا في بعض جرائد مصر . وانا نعلم اكثر من ذلك نعلم ان الارمن اجتمعوا في الكنيسة في الاستانة فحشم البطرك على الثبات على طلب الاستقلال وقرروا هناك وفي كل مكان عدم مشاركة العثمانيين بالاحتفال بعيد الدستور ولا تزال جمعية الاستقلال الارمني العليا في الروسية مجدة في عملها وساسة الروس يفرونها وسيكشف لهم الزمان ان اتحادهم بالعثمانيين خير لهم وابقى

﴿ فقيد العلم والصحافة الشيخ حسين الجسر ﴾

نمت الينا جرائد طرابلس الشام وبيروت عالم الديار السورية بل أحد أفراد علماء المسلمين في هذا العصر ، استاذنا الشيخ حسين افندي الجسر ، صاحب الرسالة الحميدية التي طار بها ذكره في الاقطار ، واشتهر اشتها الشمس في رابعة النهار ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت أرجأنا ترجمته الى الجزء الثامن سائلين الله عز وجل ان يحسن عزاء أنجاله وعزاء الوطن عنه ، وان يتفمه برحمته ووضوانه ، آمين

﴿ الدستور في فارس ﴾

ثبت الشعب الفارسي في محاربة الاستبداد كما ثبت الشاه الجاهل محمد علي على رفض الدستور حتى نصر الله الحق على الباطل فدخل المجاهدون طهران فاتحين وخلصوا الشاه وجعلوا ولده وولي عهده مكانه وهو ابن إحدى عشرة ولذا جعلوا له نائباً من كبار رجال الدولة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
خير خلقه محمد وآله وصحبه
وسلم

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
خير خلقه محمد وآله وصحبه
وسلم

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثار الطريق

(مصر - الثلاثاء سلخ شعبان ١٣٢٧ - ١٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

البلاغ المبين

« الذي بلغ من قبل المشيخة الاسلامية الى النواب والقضاة »
« والعلما الراغبين والمشايع العارفين »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه
أجمعين ، وبعد فلما قضت اعادة الله تعالى في الازل ان تصلح الارض للعمران
استخلف في مهابطها الانسان القادر على تدبير اموره الشخصية والاجتماعية بقوله الذي

(المنار : نشر هذا البلاغ بالتركية والعربية والفارسية كما بلشنا ونشرنا هنا نص
الترجمة العربية التي وردت من الاستانة وزدنا فيها عدد الآيات والسور فيما جاء
فيها من الآيات وخرجنا الاحاديث في الهامش

وهبه اياه كما دل عليه قوله تعالى (٣٥: ٣٩) هو الذي جعلكم خلائف في الارض) الآية وجعل ما تحتويه ارضه التي تله وسماؤه التي تظله خاضعا لمنافعه كما قال جل من قائل (٤٥: ١٣) وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) الآية وجعله مكلفا لانه ذو عقل و ارادة هما قوتان فعالتان يقدر بهما ان يستعمل القوى الطبيعية لقضاء حاجاته وتحسين اعماله في حياته الدنيا ولكن اعماله مرتبطة باعمال غيره لا يستطيع ان يأتي بنظمها ما لم يحدد الآمال وتبادل المنافع فقد علم الله تعالى ان الانسان العوبة لهوى نفسه الأمانة لا يتخلص من اشراكه التي نصبت له بالسهل وان العقل الابتدائي قاصر عن استنباط الشرائع الكافية لسعادة البشر فارسل بفضله انبياءه يوضحون له احكام المصالح العامة وقواعدها التي يعجز العقل الابتدائي وحده عن استنباطها ويعلمونه ان السعادة كل كل السعادة في الايمان واتباع طريق العقل وقد تمت حجة الله البالغة وظهرت حكمة التكليف فالخائفون بعد ذلك عن المنهاج المستقيم الذي اضاءه لهم الهادي الامين مطرودون من رحمة ومباعدون عن دائرة الهدى كما وصفهم تعالى بقوله (٧١: ٢) صم بكم عي فهم لا يعقلون) الآية نعم قد تمت حجة الله بخلق العقل فينا وارساله الانبياء الهادين اليانا فان ضلنا بعد ذلك كنا من الظالمين ومن هنا يعلم السر في اتفاق الائمة على ان اصلاح العالم ليس بواجب على الله (١) وتقريرهم ان نصب الامام واجب على الامة

ولما كانت المطالب الاجتماعية مما لا يكلفها الواحد المميز بل الجماعات كما دلت عليه صدور بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى (يا أيها الناس يا أيها الذين آمنوا) الآية فلا تصح الامامة التي هي من اهمها الا بالبيعة الشرعية العامة وبيعة الناس لرئيس حكومتهم بالطوع والرضا مشروط بصحتها يتمسك ذلك الرئيس بحبل الله المتين واتباع شرائعه وقوانين عبادته المرعية مما يدل على ان كل أحد من المسلمين مكلف

(١) المنار : هذا ما عليه اهل السنة خلافا للمعتزلة وعدم وجوب الصلاح عليه تعالى لا ينافي كون افعاله وشرعه صلاحا وخيرا وحكمة فالصلاح والاصلاح من لوازم افعاله واحكامه وهي واجبة له لا عليه اذ لا سلطان فوق سلطانه

مراقبة ما يأتيه ومستول عن حكومته يجب عليه أن يشرأب الى استطلاع اعمال رجالها ويراقبهم حتى اذا رأى معروفاً قد غفلوا عنه ذكرهم به أو منكراً كاستعمال نفوذهم خلاف الشرائع الربانية ومنافع العباد نهى عنه وفق وصفه تعالى في قوله (١١٠: ٣) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية وحديث نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » الحديث (١)

كان الخليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الصديق الأكبر باجماع الأمة وبعده باتفاقها على العمل بوصية الصديق هو الفاروق الأعظم وأحال الفاروق امر نصب الخليفة على الشورى فوق اختيار أهل الشورى على ذي النورين عثمان رضي الله عنهم وبعد شهادته اتفق جمهور الصحابة في المدينة على استخلاف علي كرم الله وجهه فبايعوه وقد امتدت الفتوح الاسلامية في زمن هؤلاء الاربعة الموسومين بطهارة سيرتهم بالخلفاء الراشدين الى مشارق الارض ومغاربها ولكن الاغراض المتصادمة واختلاط الاقوام العربية بالطوائف الأعجمية بعدهم بدل الطوع والرضا في أمر البيعة بالكراهة والجبر فلم تنتخب رؤساء الحكومة على النحو الذي أمرت به الشريعة المطهرة الا الشواذ منهم حتى ظهرت سلاطين آل عثمان

فلما ظهرت شجرة آل عثمان التي يصدق عليها قوله تعالى (١٤: ٢٤) أصلها ثابت وفرعها في السماء) وجعلت هذه تسمى في وارف ظلها عرش السلطنة والخلافة اقننى سلاطينها في حكومتهم خطوات الخلفاء الراشدين ومشوا على آثارهم بهدمون صروح الظلم ويحيمون ما انطمس من معالم الدين وكانوا والحق وضاح يستحبون الرضا فلم يكرهوا الناس على بيعتهم وقد أرسلوا الى البلاد قضاء من العلماء ففرقوا بين القضاء والتنفيذ ورعوا معاهد العلم حتى نبغ فيها عدد كبير من الاعلام وسعوا بإشاراتهم قضية الفتوى لفصل المصالح حسب ما تقتضيه الأحوال العصرية مطبقين بذلك قوى الحكومة الثلاثة على حكمي الشرع والعقل ليكون حملة القدرة التشرعية ناساً من أهل العلم والتقوى المالكين لمراقبة الحكومة

التي هي نتيجة هذا التألف المشروع الطبيعية وأحاطوا بالتنفيذ والاجراء على الوزراء والامراء وحل الخصومات وفصلها بالحكم والقضاء على القضاة والنواب الفضلاء والمراقبة والافتاء على المفتين من فطاحل العلماء المظهرين تقابله الاستقلال في شئب الاجتهاد فقريت حكومتهم واستحكمت عراها حتى اقتادت لها طوعا عناصر الأمة المنيانية المختلفة كافة هذا ما كانت عليه الحكومة المنيانية في عصورها الفائرة ولكن الدهر قلب فأن وضع دولتنا الجغرافي وسعة بلادها وظهور المفسدين من الطوائف الجلالية واطماع الدول المجاورة كلها أسباب ولدت في سني حكومتنا الأخيرة محاربات دامية واختلافات داخلية شاع من جرائمها الفقر وعم الوهن فوق ما أوردت الامراض الوبائية المتعاقبة من قنور العزم حتى انطشت مماهد العلم شيئا فشيئا وانطلقا سراجا الوهاج وشاع مكانه الجهل الاسود والضلال المين وكادت دولتنا تنقرض المرة بعد الاخرى لا سمح الله تبين مما قدمناه من وجوب نصب الامام شرعا على الأمة وكون الخطاب الرباني عاما لكل الناس وكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مكلفا بهما كل أحد من المسلمين ان الأمة هي الحاكمة (١) وان صنوفها الموثقة لها متضامنة بالتسلسل بحيث يجب على كل صنف منها ان يرقب غيره من الصنوف واذا تكاسل صنف عن اداء وظيفته الخاصة به قومت الصنوف الأخر المعوج لانها هي المكلفة بما هو نتيجة الارتباط بالتسلسل الشرعية ولذلك قال الشارع «لا طاعة للمخلوق عند معصية الخالق» (٢) وقال (انما الطاعة في المعروف) الحديث (٣) ونما يؤيد وجوب ذلك التضامن أمره تعالى العام في قوله (٢٥:٨) واتقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة (الآية وعليه فاذا أبدينا أقل غفلة عن الالتزام بأمره هذا اختل نظام الادارة وانحلت روابطها

(١) المنار قد بين الاستاذ الامام هو المعنى في تفسير قوله تعالى (٣: ١٠٤) ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأسرون بالمعروف وينهون عن المنكر) أجلي بيان فراجعه في المنار وسيأتي في هذا البلاغ التصريح به

(٢) رواه احمد والحاكم من حديث عمران بلفظ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق

(٣) رواه الشيخان وابو داود والنسائي بلفظ لا طاعة لأحد في معصية الله إنما

الطاعة في المعروف

ولا يستبطن أحد مما أوردناه ان لكل صنف من الناس أن يتدخل في مصالح الحكومة فذلك غير صحيح بل الواجب أن تكون الحكومة الدستورية التي تراقب أعمالها من قبل جماعة مصطفاه من عموم الأمة مصونة من كل يد تمتد للمداخلة فيها اذا أمرت الناس وجب عليهم أن يلبوا فيجيروها بقولهم صمنا وأطعنا

ولما كانت الدولة العثمانية التي بنت قوانينها على أساس الشرع الرصين وركبت قوى حكومتها من سياسة التوفيق بين الحكمة الشرعية والعقلية لا يتطرق الى أصلها الزلزال بسهولة حافظت حتى في أزمنة الجهل المطبق على شكلها بفضل رجال من أهل العلم والتقوى راقبوها ولم يهأطوا من خشية الله رؤسهم لسلطان الجبارة الظالمين فهي وان كانت في كل زمن ممرضة للاضمحلال الذي نبهنا الله تعالى لا جتاب أسبابه بقوله (١٣ : ١١) ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الآية ستبقى مدى الدهور مضمونة بالاستقامة التي هي جزء من الضمان الالهي حسب قوله تعالى (٧٢ : ١٦) وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً) (الآية)

كان لمر الحق عهد الاستبداد المنصمة أيامه السود قد شوه وجهي الدولة الأصلي والفرعي مدة ثلث قرن حتى افل من كل آفاقها العدل وانحل ما أبرمه الشرع واختل النظام وشاع الظلم والجور والفوضى وتفتت قلوب الرعايا من الحكومة ونجم الشقاق والنفاق بين العناصر المختلفة واستحالت الاوداء الاجانب أعداء يعملون للإيقاع بها ويضيقون عليها يريدون بذلك تمزيقها وكادت جامعتنا العثمانية تنهز بسرعة في حنرة اضمحلالها . هنالك هبت من مكان حفظ الرحمن فئة هم الفرقة الناجية حزب الله الغالبون استقلوا في سبيل الحرية وقوفاً في وجوه الجبارة المعاندين يكبرون ويجاهدون وفي أيديهم راية (٤٧ : ٧) ان تنصروا الله ينصركم (الآية) فاهذوا بما أتوه من السعي الحمود ذكره الملائكة من الخطر المحدق الذي كان يهددها والوطن من الخراب المم وفكوا اغلال الحيف من أيدي (١) الأمة وكسروا قيود الاستبداد وسلاسلها من أرجلها ومروا فؤادها ببشارة قوله تعالى (٤٨ : ١) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (الآية مثبتين بأعمالهم هذه التي سيحمدونها التاريخ وتفتي بنشائها

(١) النار : انما وضع الاغلال الاعناق ولعل التحريف من الترجمة أو سبق قلم

الاسفاد صدق حديث الخبر الصادق (لا تجتمع أمتي على الضلالة) (١) شكر الله
معيهم والحمد لله على دين الاسلام ولم يكن عفو الامة الغيانية المتبعة لحكم قوله تعالى
(٥:٥) عفا الله عما سلف) وقول نبيه الكريم «الفوز كوة الظفر» (٢) عن طواغي الاستبداد
أولي الصحف السود ليثبطهم في مواقفهم بل جرأهم على ابداء ما انطوا عليه من
الفطرة السيئة كلما وجدوا فرصة تساعد على تمكنوا بما يشوه من الدسائس وزينوه
من الخيل ان يورطوا المملكة في ورطة هي والعياذ بالله أعظم من كل الورطات
القاهرة فكانوا مصداقاً لقوله تعالى (١٣١:٣٣) ومن يضلل الله فإله من هاد) الآية ولكن
ابطال الحرية أولياء الله المقسمين بكتاب الله المبين على نصر شريعته وأحياء سنتي
سيد رسله والمحافظة على قوانين عباده ثأروا كالأسود من مراتبهم يستصحبون في
زحفهم الشرعي الفيلقين المنصورين الثاني والثالث مدججين بسلاح الجهاد ومقدمين
أمام صدقهم أمراء الحراسة يأمرون مقر الخلافة بسرعة بحيرة حتى قهروا بسيف
بساتيم جماعة الفئة الباغية مقاوميههم وردوا كبدهم في نفورهم وحفظوا بيضة الاسلام
من ان تعيث بها أيدي الآخمين فاستحقوا بذلك ان يسموا بمؤسسي الدولة ثانية
كما استحققت الفئة الباغية ان تلقى جزاءها حتى صحح فيهم قوله تعالى (٥:٣٣) إنما جزاء
الذين يحدون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو
تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) الآية وحينئذ اجتمعت
أساطين الامة الذين اصطفتهم عنها نوابا يترجمون عن آمالها وقوت آراؤهم الحرية
على ان يطلبوا الى المشيخة الاسلامية تذكيرهم بما ينطق به الشرع في مثل هذه
الاحوال لقمع الفساد الساري في جسم الدولة فجمع شيخ الاسلام السالف علماء
العاصمة الاعلام واصدر باتفاق أصواتهم فتوى شرعية خلع بها السلطان السابق

(١) المآزج : الحديث متداول بهذا اللفظ ولكن بتذكير لفظ ضلالة وقد رواه
أحمد والطبراني في الكبير بلفظ « سألت النبي ان لا تجتمع أمتي على ضلالة واعطانيها »
والحائكم بلفظ « لا تجتمع هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة »

(٢) لا أعرف هذا الحديث ولا أذكر اني رويته ولا رأيته في كتاب ومولانا
شيخ الاسلام أوسع اطلاعا وأجود حفظا

واستخلف مكانه بالبيعة الصحيحة العامة جلالة السلطان الحاضر محمد خان الخامس
أيده الله تعالى فكانت البيعة المقبولة الشرعية التي قضت الأزمان الفائرة ان تكون
نسبا منسيا قد أوجدت بذلك مكانها ،

(٧ : ٣٣ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) أما سيئات

العهد السابق التي يعجز القلم عن احصائها فهي معلومة لكل أحد نستقي عن
تفصيلها بحمد الله تعالى على زوالها واما عهد الدستور الجديد فهو عهد المحاسن
والارتقاء ذلك لانه احيا ركنا من أركان الشرع المبين كان الطاغون المنسطرون
قد هدموه وهذا حسن ابتداء لنا فيه خير فال

ولا يخفى ان حصول الراحة والسعادة في الملك لا يتيسران الا باتباع الرعايا
للقوانين المرعية هنالك تماما والقوانين المرعية إذا لم توزع الحقوق والوظائف بين
سكنة المملكة على التساوي المطلق لا تضمن الراحة والسعادة المطلوبتين ولكن
القوانين العادلة والادارية في دولتنا الصمانية مبنية والحمد لله على أساس الشرع
الرصين فالمساواة المطلوبة بين الرعية مكفولة اذا به لا يعدل عنها لاختلاف الدين
كيف والأخبار الماثورة تسطع كنوز الهدى مصرحة بذلك في كتبنا الدينية كقوله صلى
الله عليه وسلم (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) الحديث (١) وكل وظيفة في نظر الشرع مقابل

(١) النار : ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة فيمن دعوا الى الاسلام فأجابوا منها

حديث بريدة المشهور فيمن أسلموا وهاجروا ان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم
وحديث سلمان في قتال الفرس عند ابن ابي شيبه قال « فان أسلمتم فان لكم مثل
مالنا وعليكم مثل ما علينا » وفي كتاب الهداية وأصلها وشرحها من كتب الحنفية اجراء
ذلك على من قبل الجزية قال : « فان بذلوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » لقول
علي رضي الله عنه انما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا واموالهم كأموالنا اه قال
في فتح القدير بعد ذكر قول علي كرم الله وجهه والاحاديث في هذا كثيرة بل هو
من الضروريات . ومعنى حديث علي رواه الشافعي في مسنده . وذكر سنده الى
أبي الجنوب . قال قال علي من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا ودينه كديننا . قال
الكمال وضعف الداوقاني أبا الجنوب

حق فلا يجوز ان يحمل أحد وظيفة ويحرم من حقه لان ذلك ظلم محض يجب ان ينزه الله تعالى عنه وهل يتصور ان ينطق دين الله بحكم فيه أقل حيف؟ ألم تذكر كتب السير ان فخر الرسل صلوات الله عليه قد استشار كثيرا ممن لم يكونوا مسلمين حتى ولا داخلين في دمة المسلمين واستعان بهم في حروبه وغزواته (١)

وقد نص الله تعالى في كتابه المين بقوله (٣ : ١٠٤) ولتكن أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية على وجوب مراقبة الحكومة من قبل منتخبى الأمة كما قدمناه ولما كانت الطوائف غير المسلمة بعض عناصر الدولة كان اشتراكمهم في هذه المراقبة موافقا لمصالح المملكة وعليه فان مجلس المبعوثين اليوم أصبح مثال لتقضى الشرع والمشرعية وأوضح مثال (٢) للخلافة الكبرى الاسلامية لقد حرصنا لعمري الحق ووضع الصبح لذي عينين فما على الحكومة بعد اليوم الا أن توزع الحقوق بالمساواة بين الرعايا وتقلد الوظائف كل من رأت فيه أهلية منهم ولا على الرعايا الا أن يحسنوا معاشرته وطنيتهم من سائر الطوائف ويراعوا حقوقهم من كل وجه كما يأمرهم به الدين وقد نطق الكتاب بنجاة الصالحاء من النصارى وشهد بمودتهم للمسلمين وهو قوله تعالى (٥ : ٨٣) ولتجدن أقربهم مودة الآية (٣) وصرحت الكتب الفقهية بلزوم صيانة دينهم وأرواحهم

(١) المنار: قد سئنا عن هذا وأجبنا عنه في هذا الجزء فراجع باب الفتاوى (٢) يوشك ان يكون الاصل « وأوضح مثال » فحرف في الطبع (٣) في الكلام إجمال والمفسرين في الآية قولان أحدهما انها فيمن أسلم من نصارى الحبشة وهم ناجون حتما فان أراد الشيخ هذا القول كانت فائدته هنا ان حسن معاملة المسلمين لغيرهم من شأنها ان تنفي الى مثل هذه العاقبة المحمودة . والقول الثاني انها عامة في جميع النصارى وان كان سببها خاصا وقوله تعالى في الآية التي بعدها (٨٤) واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآية مستأنف وهو الخاص بنصارى الحبشة وعلى هذا يكون مراده بنجاتهم هو نجاتهم من السيف والاعتداء والظلم « ويوشك ان تكون عبارته التركية أظهر في مراده

وأموالهم من العرض أبعد هذا يضطهدهم المضطهدون؟ كلا فان في ذلك خزيا في الدنيا
ونكالا في الآخرة قال الله تعالى (٣٣: ٢١) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
الآية وقال سيد الرسل المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق « تخلقوا بأخلاق الله » (١)
الحديث ومن أخلاق الله تعالى العدل والإحسان الى خلقه كافة بدون استثناء فلا
يجوز بعد ذلك معاملة المسلمين لو طغيهم من الامم السائرة بالفظاظة والغلظة لان في
ذلك مخالفة صريحة لرضى الله وسنة رسوله الكريم والمخالفون داخلون في زمرة
الظالمين الذين قال الله تعالى في حقهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله)
الآية (٢) فنحن ننبه المسلمين على ان عقاب مثل أولئك المخالفين المعتدين مقرر عند
الحكومة ونوصي الناس بحسن المعاشرة فيما بينهم واجتناب ما ياتيه اليهم الاشرار
أولو النيات الفاسدة من دواهي التفرقة والخلاف شيخ الاسلام

كتبه الفقير صري زاده

محمد صاحب عفى عنها

(تنبيه) اثبت توقيع الشيخ في النسخ المطبوعة متقولا عن خطه بالزنگراف

- (١) المار : قد اشتهر على الالسنه ان هذا حديث ولم أره في شيء من كتب السنة
(٢) ظاهر هذه العبارة ان كل مسلم يعامل احدا من غير المسلمين بالغلظة
والفظاظة يكون ممن نزلت فيهم هذه الآية ولذلك انكر الناس هذه العبارة لان الآية
نزلت في البغاة الذين يزيلون الامن بالقتل والنهب وقطع الطريق . ولا شك ان
شيخ الاسلام ايد الله به الشرع المبين لا يريد بعبارة أن من يعامل الذمي او المسلم بالغلظة
والفظاظة يكون محاربا لله ورسوله ومفسدا في الارض ويعاقب بأحد العقوبات
المذكورة في الآية الحكيمة وانما يريد أولئك الذين يقدمون على القتل والنهب واحراق
الدور ومعاهد التجارة والعلم كما وقع في ادنه (أظنه) ولعل الخلل جاء من الترجمة
بالمرية والمراد ظاهر تويد الحكم الشرعي المراد منه القرائن الحالية ويشير اليه
ما ختم به الكلام من دسائس الاشرار أولي النيات الفاسدة

﴿ اعتبار المصلحين • بهذا البلاغ المبين ﴾

أن في هذا البلاغ من آيات العلم الصحيح ، وعداية الدين القيم ، والاعتصام بالكتاب والسنة دون التقليد الاعشى ما تشرح له صدور المؤمنين ، وتشد به عزائم المصلحين ، لصدوره من أرفع مقام في علماء الاسلام الرسميين
ما أضع الاسلام إلا ترك الكتاب العزيز والسنة السنية الى كتب جماعة من مقلدة المذاهب المختلفة قيد بها علماء الرسوم من القضاة والمفتين وغيرهم من اهوان الحكام الجاهلين الظالمين وقيدوا بها الأمة حتى حل بها ما نعلم وقد شرحناه مرارا وفصلنا القول فيه تفصيلا

لقد بعث الله في القرون الخالية علماء أصفاء يحددون لهذه الأمة أمر دينها فكانوا فيها كأنبياء بني اسرائيل منهم من اهتدى بدعوته النفر والرهط والجماعة ومنهم من حال الاضطهاد وضعف الاستعداد دون الاهتداء به ، وكانت العامة المسكينة تفر بمقاومة علماء الرسوم وساداتهم الحكام لأولئك المصلحين المجددين وتبهمهم في تضليلهم لأن الناس على دين ملوكهم ، حتى ان صوت شيخ الاسلام أحمد بن تيمية قد خفت في هذه الأمة المسكينة وهو أندى أصوات المصلحين ، وكتبه خفيت فيهم عدة قرون وهي أقوى وأظهر حجة من سائر كتب المسلمين ،

هذا ما كان من الجهاد بين الحق والقوة ، وهكذا كان يهادي الكتاب والسنة كل من له بالحكام علاقة رسمية ، فللعلماء الرسميين نفوذ عظيم إذا أيدوا به الاصلاح ينتشر بسرعة عظيمة ولكن الحكام المستبدون لا يمكنونهم من ذلك فالعالم الرسمي في الحكومة المستبدة لا يوثق بما يقول ولا بما يكتب إفتاء ولا تصديقا ، بل اذا اشتد الاستبداد في بلاد كان لها اقل ان لا يعتد بكلام أحد من علمائها وزعمائها في الامور العامة الا من كان مضطهدا من حكومتها . نقول هذا بصرف النظر عن تحكيم الدليل في الكلام لمن كان من أهله

طال الزمان على قوة الباطل وضعف الحق لأن أهل الحق منهم الاستبداد

من إظهار حقهم وإنما يغلب الحق الباطل إذا وجدا معا بلا معارض ، ولهذا غلب الجود ودخل جماهير المشتغلين بالعلوم الدينية جحر الضب وطالب لهم المقام فيه حتى صاروا ينفرون من قضاء الخيفية السحرة المضيفة بنور الكتاب والسنة ، فوصلوا الى ذلك الدرك الأسفل من الضلال الذي عبر عنه بعض شيوخ الأزهر في ملأ منهم فقال : من قال اني أعمل بالكتاب والسنة فهو زنديق

نحمد الله تعالى أنه لم يسلب جميع المشتغلين بعلم الاسلام نور كتابه وسنة رسوله بل صدق رسوله بأنه لا يزال طائفة منهم قائمين على الحق حتى تقوم الساعة (١) ولكن حرية الامم بفجر وجهها من رق الاستبداد هي التي تظهر علم هؤلاء وهدايتهم . فلما لاح شمع الحرية في مصر ظهر فيها المصلح العظيم الشيخ محمد عبده (رحمه الله تعالى) وكان صوته ضعيفا الى أن صار له صفة رسمية بتقلده افتاء الديار المصرية فحينئذ علا صوته حتى صار شرق البلاد الاسلامية وغربها يلهجان بقلبه الذي اشتهر به الاستاذ الامام وتعلقت به آمال طلاب الإصلاح الاسلامي في كل مكان

ثم أشرقت شمس الحرية في المملكة العثمانية فظهر من أعلى مقام علمي فيها — وهو مقام مشيخة الاسلام — كلمتان كبيرتان في الإصلاح (احداها) الفتوى بخلم السلطان عبد الحميد فانها فتوى بنيت على أساس من كتاب الله عز وجل ، لا على شفا جوف من آراء زيد أو عمرو ، فهي أقوى وأصح فتوى صدرت في هذا العصر ، كما ينأ ذلك من قبل ، وقد زادنا سرورا بها ما جاء في هذا البلاغ من جمع شيخ الاسلام الذي اصدرها العلماء الاعلام واستشارتهم في المسألة واصداره الفتوى باتفاقهم

(الكلمة الثانية) هذا البلاغ المبين ، المتألق نوره بالاقباس من القرآن الحكيم ، والاستنباط منه ومن الحديث الشريف ، فقد قرئت عيوننا بما رأينا فيه من الفهم الثاقب ، وتطبيق الآيات والاحاديث على الوقائع والحوادث ، ناهيك باستنباط وجوب سيطرة الامة على الحكومة من آية وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ايد به الحكومة الدستورية ، واستنباطه من آيات وأحاديث أخرى مشروعية الجمع بين

(١) اشارة الى حديث صحيح رواه الحاكم من حديث عمر وابن ماجه من

حديث أبي هريرة

الدين والعقل ، والانتفاع بما خلق الله في السموات والأرض ، ووجوب التضامن والتكافل العام في الأمة ، وبيان سنة الاجتماع في تغيير احوال الامم ، والتصريح بكون الحكم انما يجب طاعتهم في المعروف لا في المنكر والمحرم وغير ذلك من الاحكام والحكم ان شيخ الاسلام لم ينقل هذه المعاني من كتب التفسير نقلاً ، وانما فهمها من كتاب الله تعالى فيها ، وان فهمه (حفظه الله) للآيات من قبيل فهم الامتاز الامام (رحمه الله) لها ، فهذا الاجمال موافق لما سبق تفصيله في المنار في التفسير وغير التفسير مراراً ، وهو لم يكن قبل هذا العام ممن يرون المنار ، وانما هو الاستقلال وعدم التقليد يتفق اصحابه في كل ما تتوفر الدواعي على العلم به

فنهحمد الله أن وجد فينا مثل هذا الامام الجليل وأن كان شيخنا للاسلام في هذا العصر المنير ، ونسأل الله تعالى ان ينقنا وسائر المسلمين بعلمه وهديه ، ويوفق جميع العثمانيين بارشاده الى التعاون والاتفاق على ما به عمران البلاد وتعزيز الدولة آمين



(فصل — أو — وصل) اتنا نذكر في هذا المقام للشيخ سليم البشري شيخ الأزهر ورئيس لجنة الدعوة الى المؤتمر الاسلامي إجازته لقانون المؤتمر الذي فيه ان المباحث الدينية في المؤتمر تكون اجتهادية تبنى على الكتاب والسنة والاجماع والقياس لا على نصوص المذاهب . نذكر له هذا ونثني عليه عوداً على بدء . وننتصر بتقريره هذا وبالبلاغ الذي نشرناه في هذا الجزء — وهما من أكبر شيوخ الاسلام الرسميين في أكبر عواصم المسلمين — على الجامدين البلاء الذين كانوا ينكرون علينا من بضع سنين دعوتنا الى الاهتداء بالكتاب والسنة وجمع كلمة المسلمين عليها والله خير الناصرين

فَتَاوَى الْمَلِكِ الْمَلِكِ

نحن هنا لهذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بمسد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وبقا قد مناهنا سخر السبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبتنا غير مستغرق مثل هذا . ولان مضى على سؤاله شهر ان او ثلاثة اني يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا ففاله

﴿ الدستور والحرية والدين الاسلامي ﴾

(من ٢٩ و ٣٠) من صاحب الامضاء في سواكن (السودان)

حضرة الاستاذ المرشد السيد محمد رشيد رضا دام فضله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد أجباني فهمي القاصر وذهنني القاصر لرفع هذه الأسئلة لجنابكم ملتمسا حلها وشرحها شرحا وافيا يفهمه الخالص والعام لان ظروف الاحوال تقتضي ذلك بالنسبة لما هو حاصل الآن في دار الخلافة الاسلامية صانها رب البرية . وهي :
الأول — ما هو الدستور وما حقيقته وهل هو موافق للدين الاسلامي تمام الموافقة . وما الدليل عليه من الكتاب والسنة ؟

الثاني — ما هي الحرية — القولية والفعالية — وما حقيقتها وهل هي موافقة للشريعة الاسلامية وما الدليل عليها شرعا وعقلا ؟

وهل هي كما علق باذهان العامة بانها القوسوية التامة التي لا رادع لها كأن تذهب المرأة من بعلمها وتفعل ما تشاء وهو لا يقدر على منعها . ويذهب الولد خارجا من طاعة الوالد ولا يقدر على تأديبه ومنعه من ارتكاب المحظور أم هي بخلاف ذلك ؟

نرجو من حضرة الاستاذ إجابتنا على صفحات النار الأغر في أول عدد منه لا زال نخضم علمه زائرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه عبد القادر ملاقلندر البخاري

الدستور والدين الاسلامي

(ج) تقسم الحكومة في عرف أهل العصر إلى قسمين أصليين حكومة مطلقة وتسمى شخصية واستبدادية وحكومة مقيدة أو دستورية ويعبر عنها الترك والفرنس بالمشرطة أي المشروط فيها العمل بالدستور

فالحكومة الشخصية المطلقة هي التي يكون فيها حق التشريع والتنفيذ للحاكم العام والرئيس الأكبر الذي يلقب بالملك أو السلطان أو غير ذلك من الألقاب فهو الذي يضع لبلاده من القوانين ما يشاء متى شاء وينسخ منها ما شاء متى شاء غير مقيد برأي أحد ولا مكلفاً أن يستشير أحداً، وهو الذي ينفذ الأحكام التي يحكم بها في بلاده بإرادته أي تنفذ باسمه هل أن له أن يوقف تنفيذ ما يشاء منها ويقو عن إيشاء سواء كان الحكم من نوع القانوني الوضعي أو من نوع الديني الشرعي فهو فوق الشريعة والقانون لا تجوز محاكته إذا خالفها . ومثال هذه الحكومة ما كنا فيه قبل سنة وشهرين من حكم عبد الحميد فقد كان بما له من السلطة المطلقة يمنع من الأحكام الشرعية ما يشاء كمنعه شهادة التواتر والحكم بمقتضاها والحكم بالحجر على المجانين وتنفيذ أحكام الإعدام الشرعية وغير ذلك كما كان يمنع من كتب الدين والعلم ما شاء ويصادر منها ما شاء بمحض الهوى والوسواس

فهذا النوع من الحكم يجرمه الدين الاسلامي بل تحكم الشريعة الاسلامية بكفر مستحله لأن من استعمل الحرام المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كإبطال الأحكام الشرعية ومصادرة الناس في أموالهم ودمائهم كان مرتداً

وأما الحكومة الأخرى أي المقيدة أو المشروطة أو الدستورية فهي التي يكون فيها الحاكم العام ومن دونه من الحكام والعمال مقيدون كلهم بالدستور والدستور عبارة عن شريعة البلاد وقوانينها التي يضمنها أهل الرأي الذين تهديهم الأمة ذلك بالتشاور بينهم ليس للحاكم العام فيها أن يستبد بشيء بل عليه أن يتقيد بالشريعة والقانون الذي رضيته وقرره أهل الشورى . فهذه الحكومة موافقة للدين الاسلامي في أساسها وأصلها هذا لأن أحكام الاسلام قسان أحكام دينية جاء بها الوحي

وأحكام دينوية جاء بعضها الوحي ارشادا وتعلما ووكل سائرهما الى أهل الشورى من أولى المكافاة والرأي الذين عبر عنهم القرآن العزيز بأولي الأمر فهم الذين يضعون برأيهم واجتهادهم ما تحتاج اليه الأمة لاقامة المصالح ودرء المفسد التي تختلف باختلاف الزمان والمكان . ودليل ذلك قوله تعالى في المؤمنين (٤٢ : ٣٨) وأمرهم شورى بينهم) وقوله عز وجل (٤ : ٨٣) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقد يناسى هاتين الآيتين أكثر من مرة وليراجع السائل تفسير قوله تعالى (٣ : ١٦٠) وشاورهم في الأمر — (ص ٧٢٦ م ١١) وعلى هذا جرى النبي (ص) في أمور الدنيا والخلفاء الراشدون من بعده

هذا هو معنى موافقة الدستور للشرع الاسلامي في أصله وأساسه بالاجمال . واما التفصيل فهو موكل في دولتنا الآن الى أولى الأمر الذي انتخبهم الأمة لوضع القوانين التي يطلق على مجموعها لفظ (الدستور) فاذا كانت مسائل هذه القوانين مطابقة للنصوص الثابتة وللأصول والقواعد الشرعية المستنبطة منها كالمعدل ورفع المضار وجلب المنافع وغير ذلك من القواعد والأحكام كان الدستور موافقا للدين الاسلامي في جزئياته التفصيلية وان كان بعض تلك المسائل مخالفا لها يكون الدستور مخطئا فيما خالف فيه كما اخطأ كثير من الفقهاء في بعض الأحكام في كتبهم . ولأمة حينئذ ان تقيمه مجلس نوابها على ذلك ليتداركه اذا تبين له

ويردها هنا اعتراضان يتحدث بهما الناس أحدهما مستمد من التفسير وهو ان أولى الأمر الذين فرض كتاب الله تعالى اليهم استنباط الأحكام والقوانين يجب ان يكونوا من المسلمين ، ومجلس النواب العثماني الذي يضع القوانين الدستورية مؤلف من المسلمين وغيرهم . والجواب عن هذا ان استشارة المسلمين لغيرهم ومشاركتهم في الرأي غير ممنوعة وقد تكون مطلوبة اذا كان ذلك من مصلحة الأمة لأن المصلحة هي الأصل في جميع الأحكام الدينية حتى قال بعض علماؤها انها تقدم على النص اذا عارضته كما قلناه عن الطوخى في المجلد التاسع (ص ٧٤٥) على ان المسلمين هم

الأكثر في مجلس الأمة المكون من المبعوثين والاعيان وهم العارفون بمصالح
الأمة ومتفهمي فلا ينفذ الا ما قرروه

والاعتراض الثاني مستمد من أصول الفقه وهو ان الذين يستنبطون للمسالمين ما يحتاجون
اليه من الاحكام غير المنصوصة في الكتاب والسنة يجب ان يكونوا من أهل الاجتهاد الذين
استوفوا شروطه التي ذكرها الاصوليون وقد يجيب المشتغلون بالسياسة عن هذا بان
الاحكام الشرعية المحضة لا تعرض لها المجلس بل هي لا تزال تؤخذ من كتب الفقه بالتقليد
وانما يضع المجلس القوانين المتعلقة بأمور الدنيا كجباية الأموال وطرق إنفاقها ونظام
الحاكم وغيرها من مصالح الحكومة وهي لا تحتاج الى ما ذكره من الشروط للمجتهد .
ولكن هذا الجواب لا يقنع المتقنه فانهم يقولون ان جميع الأحكام المالية والسياسية
والحرية والإدارية يجب ان تكون مستمدة من الشرع وموافقة له

واتي أجيب بجواب آخر وهو ان ما ذكره الاصوليون من شروط المجتهدين ليست
نصوصا تعبدنا الله تعالى بها فيما أوحاه الى نبيه وإنما هي آراء لأصوليين .
وقد بينا الحق في ذلك وما يجب من الاصلاح من الأمور الدينية والدنيوية بالتفصيل
في مقالات محاورات المصلح والمقلد فليرجع اليها السائل ومن شاء في المجلد الثالث
والرابع من المآر (١)

وتقول هنا أيضا ان الله تعالى قد جعل لجماعة أولى الأمر من الأمة أن
يستنبطوا برأيهم واجتهادهم من الاحكام ما تمس حاجتها اليه وأطلق ذلك فان كان
هناك أدلة تدل على انه يشترط فيهم ما قاله علماء أصول الفقه في المجتهدين فلتكن تلك
الشروط كالشروط التي اشترطوها في الخليفة وفي القاضي من حيث انه يجب تحصيلها
ويقدم من توفرت فيه على غيره ولكن لا تعطل الاحكام بقدها . فكما أجازوا
خليفة الخليفة من غير استيفاء جميع شروطه للضرورة وأجازوا ان يكون القاضي غير
مجتهد للضرورة يجب ان يميزوا استنباط الاحكام المالية والسياسية والادارية

(١) جمعت تلك المقالات في كتاب مستقل ثمة خمسة قروش واجرة البريد

مضمونا قرش ونصف

والقضاة لمن لم تتوفر فيهم شروط المجتهد لأجل الضرورة إذ لا فرق بين هؤلاء
المستشارين والمستنبطين وبين الحاكمين والمنفذين

لا بد للأمة في كل وقت من الأحكام ولا بد أن يكون هؤلاء الأحكام مقيدين
بالشورى ولا بد أن يكون أهل الشورى من أولي الرأي والمكانة لثق بهم الأمة
فعلينا في كل زمن أن نختار أمثلا أهل للقيام بذلك الركن الشرعي فإن لم يوجد في
زمن ما من هم متصفون بصفات الكمال التي تدل عليها الدلائل الشرعية فعلى الأمة
مع اختيار الأمثل للضرورة أن تمد أناسا منها بالتربية والتعليم للكمال المطلوب

يقول حملة الفقه انا نستغني بما استنبطه المجتهدون السابقون عن استنباط أحكام
جديدة فيجب أن نعمل بما دوّن في كتب الحنفية أو غيرهم من فقهاء المذاهب
الأربعة ولا نزيد على ذلك شيئا ويجيبهم الأحكام وغيرهم من العارفين بحال
العصر (أولا) ان مادون ونقل عن الأئمة الأربعة لم يكف الأمة في زمن ما
ولذلك زاد عليه أتباعهم غير المجتهدين اضماف اضعافه حتى صار العمل بكتب
هؤلاء المقلدين، وقد أكثر كتب الأئمة المجتهدين، وما عساه يوجد منها لا يقرأ ولا
يقتى به ولا يرجع اليه . واتباع المقلد وتقليده باطل بحسب أصولكم، واعذاركم عن ذلك
غير مسموعة (ثانيا) ان الزمان قد تغير وتغير العرف الذي بني عليه كثير من الأحكام
وحدثت للدولة والأمة مصالح وحاجات كثيرة لم تكن في زمن الأئمة ولا زمن مدوني
الفقه المنسوب إلى أصولهم ومذاهبهم في الاستنباط وصارت عرضة لمضار ومفاسد لم
تكن في زمنهم فعرف من كتبهم طرق درمها فاضطرونا إلى أحكام تناسب حال
زمننا . وانا ما صرنا أضعف الأمم بعد ان كنا أقواها الا بعلم جرينا في دره المفاسد
وجلب المصالح في هذه الازمنة الأخيرة بحسبها

هذا وان أساس هذا الدستور هو ان تنتخب الأمة نوابا عنها يكونون هم أصحاب
الشأن في الأحكام التي تناس بها فعلينا ان نختار أمثلم وأعلمهم بالشرع أحكامه
ومقاصده، والرأي الراجح في مجلس الأمة المسلمين كما قلنا آنفا فاذا قرروا ما يخالف
الشرع القطعي ولم تستبدل الأمة بهم من يهودا له كان الإثم عليها وعليهم ولم يكن
الدستور مانعا لها ولم من إقامة شرعهم، واما في زمن الحكومة المطلقة فلم يكن لها

ان تقول ولا ان تعمل وان ضاع دينها كله وضاعت دنياها معه
وجملة القول ان الأمة يمكنها بهذا الدستور ان تحيي دينها ودنياها فان لم تفعل
كان الائم عليها . نعم انها لا تستطيع ذلك إلا بالتدريج كما نشأ الاسلام وترقى
بالتدريج فكان شأنه إلى عهد صلاح الحديبية سنة ست غير شأنه بعد فتح مكة سنة
ثمان فلا ينبغي ان ننسى هذا

الحرية والدين الاسلامي

الحرية تطلق على عدة معانٍ بحسب العرف والاصطلاح ولعل ما تسألون عنه هو
ما قرره القانون الاساسي الذي هو أصل الدستور وأساسه في المادتين ٩ و ١٠ والمراد
منهما انه ليس للحكومة — ولا لغيرها بالاولى — ان تعدي على أحد لقول يقوله
أو عمل يصعله أو تكلفه شيئاً من ذلك إلا ما يمينه القانون لحفظ الحقوق العامة والخاصة
فمن كان في بلد حكومته دستورية يكون حراً غير مستعبدا لحكومتها ولا لأصحاب
النفوذ والجاه فيها آمناً على نفسه من الاعتداء ما دام محافظاً على القانون الذي يحظر
عليه الاعتداء في حريته على حرية غيره وحقوقه . فحماية الناس من التعدي عليهم موافق
لأشريعة الاسلامية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص لما علم ان
ولده ضرب غلاماً قبطياً « منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » فإذا
ادخل معنى في الحرية ترك بعض الحدود أو التعزيرات المجمع عليها كانت الحرية
حينئذ غير شرعية بجميع جزئيات معانيها بل بعضها شرعي وبعضها غير شرعي وإن
كان سلباً وليس في القانون الاساسي تصريح بذلك ولكن قد يكون هذا القصد مما
يقصر فيه مجلس الأمة عند وضع قانون الجزاء والذنب عليه والأمة ان تطالب به
أما ما علق بالأذهان من كون الحرية القانونية تبيح نشوز النساء عن رجالهن
وعقوق الأولاد لو الدينهم فغير صحيح

(سؤال آخر) ورد علينا استفتاء آخر في المسألة من دمشق الشام يحيلنا فيه
السائل على مقالة نشرها المقتبس فيها لم نطالع عليها فإذا كان في جوابنا مقنع له فيها
والا فليهد السؤال ويرسل معه المقالة التي سأل عن موضوعها

﴿ استشارة غير المسلمين والاستعانة بهم في الحرب ﴾

« من ٣٩ » من صاحب الامضاء في بيروت

سيدي الأستاذ الشيخ محمد رشيد افندي رضا الحسيني منشي مجلة المنار المحترم

بعد التعمية اليكم انه قد اطلعت في عدد « ٢٦٣ » من جريدة الاتحاد العثماني الاغر فرأيت في طليعته منشوراً لشيخ الاسلام كان من ضمنه هذه الجملة « وقد استشار نينا في ظروف عديدة خطيرة اناسا لم يكونوا يدينون بالاسلام وطلب (ص) في الحروب معاوتهم ومساعدتهم » فارجو انت تبينوا لنا من هم المشاورون ؟ وما هي تلك الحوادث التي وقعت فيها الاستشارة كما ارجو بيان من هم الذين طلب النبي (ص) معاوتهم ومساعدتهم في الحروب ؟ أخذاً للحكمة وبياناً لمن اتحل نفسه التعصب الذميم فتطهر بذلك نفسه واتباعاً للحق مولاي .

راغب قباني

(ج) خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف في اول الاسلام وطلب من رؤساء أهلها حمايته من قريش ليلغ دعوة ربه فردوه . وكان يخرج في المواسم الى اسواق العرب يعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يبلغ دعوة ربه فكان بعضهم يرد ردا حسنا وبعضهم يرد ردا سيئا . ثم انه بعد ان قوي الاسلام استعان في الحديبية بسفيانة الخزاعي فاتخذة عينا على المشركين وكان يومئذ مشركا ومن المعروف ان قصة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكان مع النبي (ص) من المؤمنين الف وأربع مئة - أو خمس مئة - واستعان بصفوان بن امية يوم حنين . واخذ في خير برأي عزال اليهودي فقطع مشرب القوم ليخرجوا عن حصنهم لمناجرتة وفي مراسيل ابي داود عن الزهري أن النبي (ص) استعان بناس من اليهود في خير فأسهم لهم وهو ضعيف . وفي حديث ذي مخبر (رض) عند احمد وابي داود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستصالحون الروم صلحا وتفزون انتم وهم قوما من وراثكم » وكان النبي (ص) محالفا لخزاعة وكانت

قريش مخالفة لبكر فاعتدى بنو بكر على بني خزاعة وساعدتهم قريش بعد عهد الحديبية فانتقض عهدهم وحاربهم النبي (ص) باصحابه لأجل ذلك حتى فتح مكة عنوة ورجعت خزاعة معه على قريش

لكن ورد في حديث عائشة عند احمد ومسلم أن النبي (ص) خرج قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كانت تذكر منه جرأة ونجدة قال جئت لا تبكت فاصيب معك ، فقال رسول الله (ص) « توأمن بالله ورسوله؟ » قال لا ، قال « فارجع فلن استعين بمشرك » ثم ذكرت انه عاد مرتين بعد ذلك فقال له مثل ما قال في المرة الاولى . وفي حديث خبيب بن عبد الرحمن عن ابيه عن جده انه استأذن النبي هو ورجل آخر من قومه في الغزوة معه فقال « أسلمتا؟ » قالا لا فقال « إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين » رواه الشافعي واحمد والنسائي وغيرهم

ومن هنا جاء الخلاف بين العلماء في جواز الاستعانة وعدمه فنقل الجواز عن الحنفية وعن الشافعي منع الاستعانة بهم على المسلمين وجواز الاستعانة بهم على اعدائهم اما الجمع بين الروايات المختلفة فقد قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ان اقرب ما قيل فيه ان الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها قال وعليه نص الشافعي . وانت ترى ان جميع ما نقلناه من روايات الاستعانة كان بعد غزوة بدر التي قال فيها « لن استعين بمشرك » والهمدة في مثل هذه المسألة اتباع ما فيه المصلحة وهي تختلف باختلاف الأحوال واما استشارة النبي (ص) لغير المسلمين فلهل شيخ الاسلام نفعا الله بعلمه يريد بها ما كان في اول الاسلام من استشارته (ص) لعمه ابي طالب ومن استشارة المناقبين بعد الهجرة كاستشارة عبد الله ابن ابي في غزوة احد ومراجعته لحلفائه من اليهود في بعض المسائل المتعلقة بالمخافة ان صح ان يسمى هذا استشارة . اما كونه (ص) كان اذا عرض امر يستشير فيه المشركين أو اهل الكتاب يستعين بمشاورتهم الرأي فهو مالا اعرفه ولا اظن ان شيخ الاسلام يرضه . وقد علمت مما تقدم في الكلام على الدستور انه لا مانع من المشاورة وان مصلحة الامة هي المحكمة في مثل هذه المسألة . ولا شك ان مصلحة دولتنا في هذا العصر تقتضي ان نأخذ جميع شعوبنا في المشاورة ووضع جميع القوانين لا تقوم المصلحة بدون ذلك وهذا هو الجواز

﴿ انصار البدع والتقاليد وكتبهم ﴾

(س ٣٧) من صاحب الامضاء في بتاوى (جاوه)

مولاي الاستاذ المصلح فضيلو أقدم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت والمستول منكم ايفاء لما
الترتم به من النصيح لله وكتابه ورسوله والمؤمنين ان تفيدونا عن أسئلتنا هذه
قد عرفنا منكم الصدق وقوة الحججة وقطع السنة أئمة البدعة أدامكم الله وزادكم
توفيقا : انها قد نبغت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب والسنة ويؤثرون
ما كان عليه السلف الصالح على كثير من المقول عن المتأخرين وقد كثر أصحابهم
وعلت أصواتهم ورمى على أقوالهم جلالة الحق ومسحة الصدق ،

وقد غاظ أمرهم هذا أناسا عاشوا بترويج الرابطة والتوجه . وآخرين جمدوا
على ما قاله بعض مصنفى المتأخرين كابن حجر المكي فاتخذوهم أربابا من دون الله
يحلون ما أحلوا ويحرمون ما حرموا ويقدمون أقوالهم على قول الله تعالى وقول
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال كبار أصحابه ورجالات التابعين باحسان مع
صحة النقل وانتفاء المعارض ، وقد زعموا أن الواجب علينا هو الأخذ بما قاله أولئك
المصنفون وانه لا تجوز لنا مخالفتهم ولا نسبة السهو والغفلة اليهم فضلا عن الغلط وان
خلاف ما قالوه بدعة وضلالة وفسوق ، بها قويت صحته وكذا القائلون به من سلف
الامة وخلفها وان شيخ الاسلام ابن تيمية كبير الفسقة وان من يسميه شيخ الاسلام
فاسق أيضا بل حرموا الاستدلال من الكتاب والسنة مطلقا ، وقالوا لا يقرأها
أحد إلا بذية التبرك أو نحو الاستسقاء والافهو ضال محرم !!!

والى سيدي نبذة طبعها مصنفها حديثا . عكف عليها عباده وفيها همز ولمز
لا نسأل عنها ولكن نرجوكم عدم غش النظر عما فيها من التفرير والتضليل
واطلاق المقيد وتهميم الخاص وإيراد الأحاديث الموضوعة والتحكم في الدين والاقتراء

على الله بالقول هذا حلال وهذا حرام بدون حجة ليكون ما تكتبونه زاجراً له ولا مثاله من الجهال المتعصبين ومنفذاً لمن يقع في حبائهم من العوام والسذج من المؤمنين وتعلموا ان قصده من الكتابة الرد لما جاء في المنار من نحو الفتيا في القضاء ومن المدح لشيخ الاسلام ومن الانحاء على البدع والتقليد ثم لغيركم بعد من الرسالة فصولاً أخرى ولربما سكت عن الجواب لعذره ولا عذر لجنابكم ومع تلك الرسالة نموذج من فتاوي ذلك البعض في منع الترجمة للقرآن لم يأت على ما قاله فيها يبرهان فترجوكم بيان الحق في حكم الترجمة والتفصيل بين ما يترجم لبيان معناه للاستدلال به على من لا يفهم العربية وما يترجم ليقراً به العاجز عن القراءة بالعربية وما يترجم ليكون كالتفسير وما يشترط لذلك وان تشيروا بمن كتبت ترجمة بيان آي القرآن في كتبه بالفارسية وغيرها كالغزالي واليهودي واليهودي وغيرهم ، ولكم منا جزيل الشكر ومن الله وافر الاجر والسلام

(سائل خائف يحب إظهار الحق ويخشى السجن)

م . م

(المنار) قد أرسل إلينا صاحب هذا السؤال رسالتين مطبوعتين في جاوه مؤلفهما عثمان بن عبد الله بن عقيل المستشار الديني لحكومة هولندية في جاوه . احدهما في النهي عن ترجمة القرآن والثانية في مسائل المجتهدين والمقلدين والصوفية والاولياء والصحابه والنصيحة والحب والبغض في الله والورع وحفظ اللسان يكلفنا هذا السائل كما كلفنا غيره ان تقرأ هاتين الرسالتين وتبين ما فيها من الخطأ ومخالفة الشريعة كما كلفنا غيرهم من قبل مطالعة بعض كتب النبهاني والورد عليها . وان الكتب الحديثة وكذا القديمة المحشوة بالأباطيل والقول في دين الله بغير علم ككتب النبهاني وأمثاله أكثر من أن نحصى فهل يكلف مثلي ان يقرأها ويبين ما فيها من الخطأ والباطل .هما أكثر ذلك وتكرر ان هذا من تكليف ما لا يطاق فحسبنا ان نبين الحق في مسائل الدين ومنه يعلم ان كل ما خالفه باطل . وان أكثر المسائل التي نسئل عنها من هاتين الرسالتين وكتب النبهاني قد بينا الحق فيها بالدلائل الواضحة فهل نكلف ان نعيد كل ما كتبناه كلما تكرر السؤال عنه ؟

على ان الرد على هؤلاء المقلدين المنهويين مشكل لكثرة تناقضهم ولضعف البرهان عندهم كما قال الشاعر

أقلد وجدي فليبرهن مفندي فما أضيع البرهان عند المقلد

فتراهم يحرمون الاهتداء بالكتاب والسنة والاستدلال بهما على الطالب ويدعون أن الله تعالى ما كلفنا الا العمل بأقوال بعض الفقهاء المتأخرين كابن حجر الهيثمي والسبكي في دين عثمان بن عقييل مؤلف هاتين الرسالتين ثم انهم يستدلون بذلك بالكتاب والسنة ويخالفون امامهم ومقلد هم فيما اشترطه في نقل الاحاديث بله الاستدلال بها . فقد ذكر ابن حجر في (ص ٣٢) من فتواه الحديثية انه لا يجوز لغير المحدث رواية الاحاديث ونقلها بمجرد رؤيتها في الكتب بل لا بد من نقلها من كتب اهل الحديث الذين يميزون بين الصحيح وغيره وابن عقييل هذا ينقل في رسالته احاديث من غير الكتب المعتمدة ولا يعزوها الى احد من الحفاظ ولا الى كتبهم وفيها الموضوع والواهي الذي لا يحتاج به والمحرف وهو لا يعرف اصلها . ومن غرائب التفات انه عقد في رسالته فصلا للاحاديث الموضوعة وذكر انها أشد الاشياء خطراً هلى الدين

ومن يدهم عمدة وحجة في الدين الفزالي وقد شنع في الاحياء وما بعده من كنه على التقليد والفقهاء الذين أعلى من ابن حجر مرتبة فهل يأخذ برأيه في ذلك وهو يحمى اتباع السلف ويأمر بذلك بالبدع التي تخالف سنتهم ويعتمد على أقوال الخلف وأعمالهم التي لم تكن في زمنهم

كذلك تراه يعظم الصوفية ويأمر باتباعهم والصوفية كلهم يتبرءون من التقليد ويقولون انهم لا يأخذون دينهم الا من عين الشريعة وهو كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد نقل في رسالته شيئاً من أقوالهم في ذلك ، ولهم في ذلك ما هو أصرح مما نقله وأوضح . فبماذا نحتاج على مثل هذا المؤلف وهو ليس من أهل الحجة والدليل لأن هؤلاء هم الذين يسميهم هو وأمثاله المجتهدين ويقولون انهم قد انقضوا ولا يأتي الله بمثلم يقولون هذا افتيات على الله وعلى الوجود بما لا يعلمون؟؟ ومن غريب تناقضهم انهم على تبرؤهم من الاستدلال الذي هو الاجتهاد تراه

يحكمون في المسائل والوقائع حكم المجتهدين بمحض الجهل والهوى فيقولون هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إيمان ، وهذا العالم على هدى فيؤخذ بقوله وهذا على ضلال فيرد قوله ، فالأئمة المجتهدون لم يكونوا يجيزون لا أنفسهم ان يقولوا مثل هذا الا بدليل فكيف صار هؤلاء المتأخرون الجاهلون فوق الأئمة يقولون في دين الله تعالى بغير دليل حتى كأن الله تعالى أذن لهم ان يشرعوا للناس من الدين ما شاؤوا ان مناقشة هؤلاء معيبة والرد عليهم قليل الجدوى في الغالب ولا يمنع إضلالهم للعامة التي تشق بهم لموافقهم لأهوائها في البدع والعادات الخاكمة عليها وإنما السبيل الى ذلك ان يكثر العلماء الراسخون العارفون بدين الله تعالى ويقولون أمر التعليم والإرشاد فمن أراد ان يسمى في اتقاد المسلمين مما هم فيه من الجهل والبدع ويردهم الى أصل دينهم فليسع في هذا وهو ما يهتم به بعض أصحاب الفيرة المصلحين اليوم وسيظهر أثره ان شاء الله تعالى عن قريب

على ان المؤلفين الذين يفسدون بمصنفاتهم ولا يصلحون قسماً : قسم طبع الله على قلوبهم وجمدوا على ما اعتادوه وألفوه باسم الدين وصار لهم به حظ من المال والجاء حتى تودع منهم ووقع اليأس من رجوعهم الى الحق . وقسم آخر لا يزال على شيء من نور الفطرة وسلامة القلب فهو لاء وان سدوا على أنفسهم باب الاستدلال لا يزالون محل رجاء فهم يعودون الى الحق اذا ظهر لهم نوره . فلهؤلاء أقول :

اننا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى عليه وآله وسلم فان الله تعالى لم ينزل عليكم غير هذا القرآن ولم يرسل اليكم غير هذا الرسول (ص) وقد قال في كتابه انه أكل لكم دينكم فكل من زاد في الدين شيئاً فهو غير مدع لقوله تعالى (٦: ٣) اليوم أكملت لكم دينكم (ص) ولا قول نبيه (ص) في حديث ابي ثعلبة . الذي حسنه النووي في الأربعين وصححه ابن الصلاح « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » ندعوكم الى معرفة الكتاب والسنة والاهتداء بهما وان تستعينوا على فهمهما بما كتبه خدماهما من أئمة الفقه والحديث والتفسير واللغة لانتهاكم عن الاستهداء

والاستعانة بكلام هؤلاء الأئمة بل ندعوكم اليه ولكن لا تجملوا كلام هؤلاء العلماء شرعا مقصودا اذاته وتركوا الاصل الذي كتبوا ما كتبوا لاجل خدمته وبيانه حتى يصير نسيا منسيا فيصدق عليكم ما نراه القرآن على من قبلكم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم

أجمع سلف الأمة ومنهم الأئمة الاربعة على تحريم التقليد ونصوصهم في ذلك مشهورة ذكرنا كثيرا منها في (محاورات المصلح والمقلد) ثم جاء المصنفون المقلدون فقالوا بوجوب التقليد للعاجز عن الاجتهاد ولكنهم اجتمعوا على انه لا يجوز تقليد المقلد وإنما يجب تقليد الأئمة المجتهدين ثم جاء المتأخرون يقولون بوجوب اتباع مثل ابن حجر وغيره من المقلدين فاذا كان قول مثل ابن حجر بوجوب التقليد ليس حجة عند أحد فهل يكون كلام مقلديه مما يعتد به وهو كلام مقلد المقلد الذي لا يفهم الكتاب والسنة ولا يعرف كلام من يقول انهم هم الذين فهموها وينوهمها وهم الأئمة المجتهدون؟؟ يدعي الشيخ عثمان بن عقيل وأمثاله في جواره وحضر موت انهم متبعون للامام الشافعي رضي الله عنه ولكن الشافعي نص في كتبه على منع التقليد فكيف يكون المقلد متبعا له ؟

طبع في هذه الأيام كتاب الأم له مع رسالته في الاصول وطبع على هامشه مختصر صاحبه اسماعيل بن يحيى المزني فلينظروا كيف بدأ المزني مختصره بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معني قوله لأقر به على من أراد مع إعلامه نهي عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحفظ فيه لنفسه وبالله التوفيق »

فالأئمة رضي الله عنهم ما قصدوا لبيان الكتاب والسنة الا ليعينوا الناس على فهمها ولم يقصدوا أن يكون كلامهم شرعا يعمل به ويترك الكتاب والسنة استغناء به عنها فهم مصلحون للكتاب والسنة لا شارعون فينبغي أن نستعين بكلامهم على الفهم ونعمل بما فهمنا

ذكر الشيخ عثمان في الفصل الثالث أن الأئمة أهل الاجتهاد المطلق مبدئون للكتاب والسنة والعلماء أهل الاجتهاد في مذاهب الأئمة مبدئون لكلام الأئمة

كالغزالي وأهل الترجيح والفتوى كابن حجر مبنون لكلام أهل الاجتهاد في المذهب ، فهو يعترف بأن أصل الدين وأساسه كتاب الله وإن السنة مبنية لما أجمل فيه وإن الأئمة مبنون للسنة الخ ويرى هو وأمثاله أن الواجب على جميع المسلمين الآن اتباع أصحاب الطبقة الأخيرة من المبينين كابن حجر فلنا مع هؤلاء أسئلة :
(١) إن علماء الأصول قالوا إن الوجوب هو حكم الله المقتضي للفعل اقتضاء جازما فمن أين أخذتم هذا الحكم الإلهي باتباع طبقة ابن حجر وهذه الطبقة لم توجد إلا بعد اقتراض الأئمة الذين فهموا الكتاب والسنة والطبقة التي فهمت كلامهم ؟

(٢) إن بعض العلماء جعلوا الطبقات ستة والأخيرة التي يعتمد عليها هي طبقة الناقليين الذين لا يعتمد فهمهم ولا يبحسهم كما بينه ابن عابدين في رسم المقتي فإذا أراد بعض العقلاء المستقلين من الأفرنج أن يدخل في دينكم فكيف تقنعونه بوجوب اتباع الطبقة الثالثة أو السادسة مع اقراركم بأنها لا تفهم أصل الدين وإنما تفهم عبارات طبقة فوقها أو تقلها وتلك الطبقة لا تفهم أيضا بنفسها أصل الدين الخ ؟

(٣) إذا سلمنا لكم ما تقولون في هذه الدرجات من البيان وانكم أهل لأن توجبوا على الأمة حكما شرعيا لم يوجبه الله ولا رسوله ولا الصحابة والأئمة الذين فهموا كلامهما وهو إيجاب اتباع هذه الطبقة من مقلدي المقلدين فيما سمعوه بيانا لبيان بيان أصل الدين أفلا يجب أن يكون بين هذه الطبقات من البيان وبين الأصل المبين اتصال يعلم منه أنه بيان له ويزداد الأصل اتضاحا وجملاء ؟ أليس بهذا الاتصال يعقل أن يكون كلامهم بيانا ولا يمكن أن يعقل ذلك بدونهم ؟

(٤) هل يعقل أن يحتاج كلام الله الذي سماه بيانا وتبيانا مع زيادة بيان الرسول (ص) له بأفعاله وأقواله إلى كل هذه الطبقات من المبينين ؟ ألا ينافي هذا الاحتياج كونه بيانا وتبيانا وكون الدين قد كمل قبل وفاة رسول الله (ص) ؟

(٥) إذا رأينا في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة عندنا حكما فهمناه وعقلناه ورأينا في كلام مثل ابن حجر ما يخالفه فهل يفرض الله علينا أن نترك كلامه وسنة رسوله إلى كلام مثل ابن حجر لأنه مبين لكلام مثل السبكي المبين لكلام مثل الشافعي المبين للكتاب والسنة ؟ فترك الأصل الصريح الواضح إلى كلام يخالفه

بناء على انه مبين له في الدرجة الرابعة من البيان ؟ هل يقول عاقل أو مجنون ان بيان الشيء يكون بخلافه وقيضه . لو كان هذا السؤال مبنيا على شيء مفروض لصح أن يكون ناقضا لقاعدتهم فكيف وهو مبني على اساس ثابت وهو أن في كلام الفقهاء كثيرا من المسائل المخالفة لنصوص الدين لا سيما الأحاديث الصحيحة اخذوها من قواعدهم او من ترجيح حديث ضعيف على صحيح أو العمل به ابتداء فخطأوا وما كانوا معصومين . وقد اورد ابن القيم في (اعلام الموقعين) اكثر من سبعين شاهدا على ذلك قتراجع فيه او في المجلد السادس من المنار . ومن هذه المخالفات ما هو للشافعية — وهو أقلها — ومنها ما هو لغيرهم

وليس هذا بالامر بالغريب فان الأئمة انفسهم كانوا يقولون القول ثم يظهر لهم خطؤه فيرجعون عنه كما رجع الشافعي عن مذهبه القديم الى مذهبه الجديد وكما رجع علماء مذهبه إلى بعض المسائل من مذهبه القديم فأفتوا بها ترجيحاً لما على الجديد لظهور دلائل تؤيدها وكما رجحوا بعض مسائل مخالفة للمذهب مطلقا كقول النووي في شرح صحيح مسلم ان الراجح من حيث الدليل ان نجاسة الخنزير كغيرها من النجاسات في الفصل وكفتوى الفزالي بعدم تنجس الماء القليل الا بتغير احدا وصفاته من النجاسة وكما صرح الامام مالك عند موته بأنه كان يرى الرأي في المسألة ثم يظهر له خطؤه فيه فيرجع عنه وبكى لاجل ذلك حين بلغه أن الناس اخذوا بقوله وقلدوه فيه وكما رجع بعض الصحابة عن خطأهم وهم اعظم من هؤلاء الأئمة وأعلم كرجوع عمر (رض) في مسألة المهور الى قول المرأة التي ردت عليه وهو يخطب في المسجد . فكل أحد من العلماء عرضة للخطأ فيما يقوله لأنه غير معصوم فيه إما لفسان الدليل كما نسي عمر قوله تعالى (وآتيتهم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) فأراد أن يحدد المهر بمثل مهور بنات النبي (ص) وأما لعدم علمه به لأنه لم يكن كل صحابي حافظا لكل القرآن ، وإما لعدم فهمه له كما اخطأ بعض الصحابة في فهم المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود وفي فهم كيفية تيمم الجنب ، وغيرهم أولى بمثل هذا الخطأ في الفهم

فاذا كان كل أحد من علماء الامة عرضة للخطأ فيما يقوله لما ذكرنا وما لم نذكر من الأسباب والشواهد فلا جرم ان كل من يأخذ بقوله من غير ان يعرف اصله من

الكتاب والسنة هو عرضة لهذا الخطأ ولهذا قال أبو حنيفة وغيره لا يجوز لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلناه .

ونتيجة هذا كله أن كلام الأئمة يستعان به على فهم الكتاب والسنة ولا يترك الكتاب والسنة له بل يجعل فهمهما هو المقصود بالذات والمعدة في الاهتداء ولا تترك الأمة تعلمهما والفقهاء فيهما قط ولا تهمل كلام أئمة العلماء والانتفاع بما فتح الله عليهم من الفهم فيهما مع البصيرة التي هي شأن المؤمنين

فنطلب من هؤلاء المعارضين لنا في الدعوة إلى الاهتداء بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التي جرى عليها سلف الأمة أن يجيبونا عن هذه الأسئلة .

أما طعن السيد عثمان بن عقيل في شيخ الإسلام ابن تيمية لأنت مثل ابن حجر الهيتمي طعن فيه فنقول فيه كلمات تكفي لرجوعه عنه وتوبته إن كان قال ذلك عن سوء فهم لأعن سوء قصد كما نظن فيه ترجيحاً للخير على الشر وهي :

(١) إذا كنتم تهابون طعن العلماء بعضهم في بعض مطلقاً وتضلون كل من طعن فيه فإنه لا يسلم لكم أحد من أئمتكم لا في الفقه كالشافعي ولا في الحديث كالبخاري ولا في الكلام كالأشعري ولا في التصوف كالشاذلي وابن عربي ولا من المفتين كالغزالي كما هو مبين في كتب التاريخ والتراجم ونقله معتمدكم الشيرازي في أول كتاب اليواقيت والجواهر وغيره من كتبه وذكر التاج السبكي طائفة منه في طبقاته ومنها أنهم طعنوا في والدهم التقي السبكي الذي هو عمدتكم في تخطيط ابن تيمية (٢) إذا كنتم تسلمون معاً بأنه لا يجوز أن يضل كل من طعنوا فيه ولا أن يتبع كل طاعن في طعنه فيما أن تسكتوا عن الطعن في العلماء ولا تخوضوا فيه وهو الأسلم لأئمتكم وإما أن تبحثوا عن سبب الطعن وتحكموا فيه الدليل وأتم لا تدعون أهلية الحكم بين مثل ابن تيمية والتقي السبكي

(٣) إذا كنتم ترون أنفسكم أهلاً لهذه المحاكاة فلا يكون حكمكم عادلاً كما أمر الله من يحكم بين الناس أن يحكم بالعدل إلا إذا اطلعتم على ما كتبه ابن تيمية في

المسائل التي أنكرها عليه السبكي وغيره من المعاصرين له (دع مانسبه اليه من بعدهم زورا وبهتانا) ورأيت أدلته ثم اطلعت على كلام خصمه وأدلته . واما الحكم على شخص بمجرد سماع كلام خصمه فهو ظلم بين كما هو بديهي

(٤) ان ما عزا ابن حجر الهيثمي الى ابن تيمية من القول بان الرب تعالى محل للحوادث وان القرآن محدث وان العالم قديم بالنوع ومن القول بالجسمية والجهة وبان الرسول (ص) لا جاء له — كل ذلك مكنوب على ابن تيمية وكتبه الكثيرة مصرحة بخلاف ذلك ولم نر في كتب أحد من علماء الاسلام مثل ما رأينا في كتبه من الدلائل والبراهين على نقي هذه الاباطيل وتفنيدها . فاما ان يكون ابن حجر قد سمع تلك المطاعن من بعض الكاذبين فصدقها — وهو المرجح عندنا — وإما ان يكون هو الذي افتجر ذلك عليه وهو ما لا نظنه في مثله ، واما ان يكون ذلك مدسوسا على ابن حجر وقد دس المفسدون كثيرا في الكتب كما يبين ذلك معتمدكم الشعراني . ومهما كان سبب تلك المطاعن فهي لا قيمة لها مع استفاضة كتب الرجال بخلافها وقد طبع الكثير منها والله الحمد — ومنه رسالة التوسل والوسيلة التي نقلنا منها نبذة في تفسير الجزء الماضي فيها إثبات الجاه للنبي (ص) ونقل في هذا الجزء نموذجا آخر منها — فليكم ان تظلموا على هذه الكتب ان كنتم للحق تطلبون

(٥) ان كلام مثل ابن حجر في ابن تيمية معارض بكلام من هو أعلم منه بالرجال وبما قيل فيهم كسميته الحافظ ابن حجر الصقلاني وهو شيخ شيوخه وأعلمهم بالرجال فانظروا ما ذا قال في ابن تيمية في كتابه طبقات الحفاظ وغيره من كتبه . وبمثل قوله فيه وثناؤه عليه واعترافه له بمشيخة الاسلام قال واثني واعترف أكابر الحفاظ في عصره وبعد عصره وشهدوا له بالاجتهاد المطلق

(٦) ان كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وقصارى ابن حجر انه في رتبة المرجحين في فقه الشافعية

فاين الثريا وابن الثرى واين معاوية من علي

هذا مانسبه اليه السيد عثمان صاحب رسالة فصل الخطاب التي أرسلت الينا حديثا

وقول انا بحسن الظن فيه وان جاءنا فيه مطاعن كثيرة من علماء بلاده قالوا فيها انه عون الظالمين ونصير المستبدين واتنا بما يغلب علينا من حسن الظن فيه نرى اذا تدبر كلا منا هذا رضىه واذعن له ان رآه حقا كما نرى ونعتقد وان رأى فيه شيئا باطلا بينه لنا بالدليل عملا بوجوب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفرق بيننا وبين المنكرين علينا انا لا نقول شيئا بغير دليل واتنا نصرح على رؤوس الأشهاد بأننا نرجع الى الحق اذا ظهر لنا دليله . وانهم يقولون بغير دليل واذا قامت عليهم الحجة أعرضوا وادبروا ، وولوا واستكبروا ، الا من كان منهم مخلصا في إنكاره فانه يرجع الى الحق اذا ظهر وكان الله للأوابين عفورا

ثم نقول لصاحب السؤال ولأمثاله الذين يكلفونا المرة بعد المرة الرد على الطاعنين في شيخ الاسلام ابن تيمية بالتفصيل عليكم بالكتاب الجديد الذي استعفى ذلك وطبع في هذا العام المسمى (غاية الأمان في الرد على النبهاني) وهو مجلدان كبيران لأحد علماء العراق الأعلام

هذا - وأما ترجمة القرآن فلنا فيها فتوى طويلة نشرت في المجلد الحادي عشر فتراجع فيه (ص ٢٦٨) فانها نقى عن قراءتنا للرسالة التي كتبها الشيخ عثمان وبيان خطاياها من صوابها

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

ان من أسباب اغفال بعض الاسئلة أو تأخيرها زما طويلا لا يجاب عنها وضع السائل إياها في ضمن خطاب يتكلم فيه عن أمور أخرى كالاشتراك في المنار أو طاب بعض الكتب . فأمثال هذه الخطابات نحفظ في أوراق حسابات المنار أو حساب المكتبة ولا نجد في الغالب وقتا لنسخ السؤال منها . واما الاسئلة التي تكتب في ورقة مستقلة فانها نحفظ في ظرف وحدها ثم نعطى للمطبعة عند ارادة الجواب عنها فلا تكلفنا ان ننسخها . فلي المستفتين ان يكتبوا أسئلتهم في ورقة على حديثها إذا أحبوا ان لا تفعل ولا تؤخر كثيرا

نموذج

﴿ من كتاب التوسل والوسيلة ﴾

لشيخ الاسلام ابن تيمية الذي طبع في هذه الايام . قال بعد بحث وتحقيق مانصه :
 اذا عرف هذا فقد تبين ان لفظ الوسيلة والتوسل فيه اجمال واشتباه
 يجب ان تُعرف معانيه ويمطى كل ذي حق حقه فيعرف ماورد به الكتاب
 والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك
 ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فان كثيرا من اضطراب
 الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الاجمال والاشتراك في
 الالفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب،
 فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 الله وابتغوا اليه الوسيلة) وفي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
 فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أولئك الذين يدعون يبتغون
 الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
 ربك كان محذورا) فالوسيلة التي أمر الله ان تبتغى اليه واخبر عن ملائكته
 وانبيائه أنهم يبتغونها اليه هي ما يتقرب به اليه من الواجبات والمستحبات
 فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تناول كل واجب ومستحب
 وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرماً أو
 مكروهاً أو مباحاً فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به

أمر الجباب أو استجباب ، وأصل ذلك الايمان بما جاء به الرسول فجام
الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتنائها هو التوسل اليه باتباع ما جاء به
الرسول لا وسيلة لا حد الى الله الا ذلك

والثاني لفظ الوسيلة في الاحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم «سلوا
الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن
أكون انا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة»
وقوله «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعده انك لا تخلف
الميعاد حلت له الشفاعة» فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقد أمرنا
ان نسأل الله له هذه الوسيلة واخبرنا انها لا تكون الا لعبد من عباد الله
وهو يرجو أن يكون ذلك العبد وهذه الوسيلة أمرنا ان نسألها للرسول
واخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لان
الجزاء من جنس العمل فلما دعوا للنبي صلى الله عليه وسلم استمعوا أن
يدعوه هو لهم فان الشفاعة نوع من الدعاء كما قل انه من صلى عليه مرة
صلى الله عليه بها عشرة

واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة
فغير يدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من
الماخريين يراد به الاقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الانبياء
والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح

وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به مصيان صحيحان باتفاق المساميين ويراد به معنى

ثالث لم ترد به سنة فاما المعنيان الاولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما هو أصل الايمان والاحلام وهو التوسل بالايمان به وبطاعته والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم فهذا جائز ان يجمع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم انا كنا اذا أجدنا توسلنا اليك بنبينا فتنسينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا أي بدعائه وشفاعته وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أي القرية اليه بطاعته وطاعة رسوله طاعته قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فهذا التوسل الاول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين

واما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فانه توسل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به الى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس فلما عدلوا عن التوسل به الى التوسل بالعباس علم ان ما يفعل في حياته قد تمدر بموته بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائما

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان الا به والثاني التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيمة يتوسلون بشفاعته والثالث التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضئيلة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سذكر ذلك ان شاء الله تعالى وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ونهوا عنه حيث قالوا لا يسأل

بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال أبو الحسين القدوري
في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة . وقد
ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة * قال بشر بن الوليد :
حدثنا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به
وأكره أن يقول بمقادير من عرشك أو بحق خلقك . وهو قول أبي
يوسف قال أبو يوسف بمقادير من عرشه هو الله فلا أكره هذا
وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام
والمشعر الحرام . قال القدوري المسئلة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للخلق
على الخالق فلا تجوز وفاقا * وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من
أن الله لا يستل بمخلوق له مميان أحدهما هو . وافق لسائر الأئمة الذين
يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق فانه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق
فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى . وهذا بخلاف
أقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يفتى والنهار إذا تجلى والشمس وضحاها
والنازعات غرقا والصفات صفها فان أقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر
آياته الدالة على قدرته وحكمته ووجدانيته ما يحسن معه أقسامه بخلاف
المخلوق فان أقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقد صححه الترمذي
وغیره . وفي لفظ « فقد كفر » وقد صححه الحاكم وقد ثبت عنه في الصحيحين
انه قال « من كان حالفا فليحلف بالله » وقال « لا تحلفوا بآبائكم فان الله بهاكم
ان تحلفوا بآبائكم » وفي الصحيحين عنه انه قال « من حلف باللات والعزى
فليقل لا إله الا الله » وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات

المحترمة أو بما يتقدم هو حرمة كالمعرش والكروني والكعبة والمسجد الحرام
 والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين
 والملوك وسيوف المجاهدين وترب الانبياء والصالحين وإيمان السدي
 وسراويل الفتوة وغير ذلك لا ينفق بمينه ولا كفارة في الحلف بذلك
 والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة
 وأحمد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكي إجماع الصحابة
 على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه والأول أصح حتى
 قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن
 أحلف بالله كاذبا أحب إليّ أن أحلف بغير الله صادقا . وذلك لأن الحلف
 بغير الله شرك والشرك أعظم من الكذب . وإنما نعرف النزاع في
 الحلف بالانبياء فمن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان
 أحدهما لا ينفق اليمين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي
 والثانية ينفق اليمين به واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه .
 وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصراً كثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي
 صلى الله عليه وسلم خاصة وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الانبياء .
 وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيا قول ضئيف في الغاية
 مخالف للأصول والنصوص فالأقسام به على الله والسؤال به بمعنى الأقسام
 هو من هذا الجنس ،

(المنازع) ثم حقق المصنف مسألة سؤال الله بما ليس سببا للإجابة كسؤاله بخلقه
 وسؤاله بما هو سبب شرعي للإجابة كالإيمان والطاعة . وقد أودعنا بعض كلامه
 في تفسير الجزء الماضي (السابع) ثم قال من فتوى أفتاها بمصر مانعه :

فاما التوسل بذاته في حضوره أو مفقده أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان ومن بحضرتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لما اجدوا يستسقوا ويتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس وكثيره ابن الاسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البديل كالعباس وكثيره بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال: عمر اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بهم بنبينا فاسقنا. فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تذكر ان يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن ان يأتوا الى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاء ونحو ذلك من الالفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاء نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس

وروى بعض الجهال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: اذا سألت الله فاسأله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم، وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع ان جأه عند الله تعالى أعظم من جأه جميع الانبياء والمرسلين وقد أخبرنا سبحانه عن موسى وعيسى عليهما السلام انهما وجيهان عند الله فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

وقال تعالى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم صاحب المقام المحمود الذي يبعثه به الاولون والآخرون، وصاحب الكور والحوض المورود الذي آنته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من السيل ومن شرب منه شربة لم يظأ بمدها أبداً، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويتقدم هو إليها، وهو صاحب اللواء آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو امام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا ذو الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله

ولكن جاء المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاء المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده أحد الا بآذنه (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً) لقد احصاهم وعدم عدا) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى لهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيمذبهم عذاباً أليماً ولا يحمدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير آذنه فهو شريك له في حصول المطالب والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من

شرك وما له منهم من ظهور * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)
وقد استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى
عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك ونهى عن اتخاذ قبره عبدا
وذلك لأن أول ما حدث الشرك في بني آدم كان في قوم نوح قال ابن
عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نوحا أول رسول بعثه الله إلى
أهل الأرض وقد قال تعالى عن قومه أنهم قالوا (لا تدننا لموتكم ولا
تدبرن ودا ولا سوا ما * ولا يفوت وبعوث ونسرا وقد أضلوا كثيرا) قال
غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا
على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . وقد ذكر البخاري في صحيحه
هذا عن ابن عباس وذكر أن هذه الآلة صارت إلى العرب وسمى قبائل
العرب الذين كانت فيهم هذه الأصنام

فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم جسم مادة
الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وأن كان المصلي يصلي لله عز وجل كما
نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ثلاثا يشابه المصلين للشمس وأن كان المصلي
إنما يصلي لله تعالى وكان الذي يقصد الدعاء باليت أو عند قبره أقرب إلى
الشرك من الذي لا يقصد إلا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك
وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته
ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلماذا لم يكونوا يتوسلون
بفئاته مجردة عن هذا وهذا فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا

من ذلك ولا دعوا بمثل هذه الادعية وهم اعلم منا^(١) واعلم بما يحب الله
ورسوله واعلم بما امر الله به رسوله من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة
منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس بمثل النبي صلى الله عليه وسلم - دل
عدولهم^(٢) عن التوسل بالافضل الى التوسل بالافضل ان التوسل المشروع
بالافضل لم يكن ممكنا الخ

باب المناظرة والمهراملة

﴿ الدكتور شبلي افندي شميل ﴾

اطلعت في مجلة الهلال شهر حزيران سنة ١٩٠٩ على مقالة للدكتور المومنا اليه
بحث بها بحثا فلسفيا يخال المطالع من أول وهلة ان الدكتور قصد به محاربة الاديان
السموية على الاطلاق بما توخاه من نفي الخلق واثبات النشوء وقد عجبت بعد
اطالته لتأييد هذا المذهب الجديد من قوله : « لاهياء في الدين » وهذا عما يدل ان
للدكتور ديننا فما هو دينه يا ترى ؟

سعى اخوان الدكتور المومنا اليه لاختد توقيع بعض الناس لانتخابه عضوا في
مجلس الاعيان العثماني بصفة انه عالم مسيحي والعالمية والمسيحية صفتان مرتبطتان
بنواميس وقواعد توجب السلامة لكل بني البشر باعتبار ان للمسلم اصولا تقضي
باجتناب الحق كما ان الدين قانون لمكارم الاخلاق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
وكنت استغرب عدم تعيين المومنا اليه بهذا ذلك الانتخاب ولعل الذين رفضوا

(١) يحتمل ان يكون هنا شيء محذوف وهو ما يأتي نظيره في لاحق الكلام
ويحتمل ان يكون المراد انهم اوسع علما منا على الاطلاق ثم عذف العقيد على المصنف
(٢) هذا جواب قوله فلما علمت الصحابة الخ

قبول تعيينه عضوا في المجلس الآنف الذكر عرفوا ان الدكتور على مذهب دارون
وانه ليس بمذهب معقول ولا مشروع ولا له اتباع في البلاد العثمانية ليكون نائبا
عنهم لان أصحاب الاديان المعروفة هم المسلمون والنصارى واليهود .

كنت آقف مهوتا كلما نظرت إلى مصوّر الانسان «أطلس رسوم هياكله على
اختلاف أشكالها» وما احتوت عليه من تركيب الكلية والجزئية الظاهرة والخفية
التي لا تدون ولن تدون لا نظواء كل شيء في العالم الكبير العظيم ضمن هذا الجرم
الصغير وكنت أكرر تمجيد قدرة الخالق سبحانه كلما تأملت في الأوعية والأوردة
والأدوات والمصانع وأسبحه وأقدسّه لإعطائه كل شيء خلقه وهدايته إلى استعمال
وظيفته وإنشد قول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محي الدين بن العربي
رضي الله عنه في توجيه الخطاب إلى الانسان

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأقول في نفسي ان الأطباء يلزم ان يكونوا أكثر الناس اعتقادا بتوحيد
الخالق سبحانه لوقوفهم على حقائق ودقائق ولطائف في تركيب الانسان لا يعرفها
غيرهم كما انه لا زلنا نسمع عن أساطين الأطباء انهم كلما اكتشفوا شيئا جديدا يقولون
ان الطب لم يزل طفلا « وما أوتيت من العلم إلا قليلا »

وبالنظر الى الدقائق واللطائف والرقائق المنطوية في العالم الانساني قال بعض
علماء الصوفية « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

واذا قلنا - وهو الواقع - ان الأطباء أكثر الناس علما بنظام العالم الانساني فهل
يسلم العقل انهم ينسبون الى الطبيعة الجامدة غير المتصفة بالعلم والقدرة والارادة
انها أوجدت هذا الانسان العاقل بالشوء « سبحانه هذا بهتان عظيم »

الكون موجب للحيرة أو هو بمجائبه محل الحيرة ولذلك قال بعض شيوخ
علماء التصوف « المعجز عن درك الإدراك إدراك »

واذا كانت علوم مدنية أوربا لبواعث تقف تأدبا عن ارادها قد احتوت على
الاحاد فقد احتوت أيضا على علوم ذات فوائد عظيمة اجتماعية واخلاقية واقتصادية

ومياسية الى غير ذلك والشرق بحاجة اليها وخصوصا بدورنا الدستوري ذلك الدور السعيد الذي يقضي بتوحيد مشارب عناصر الوطن وتماسكهم لكي يسطروا بالوطن ويسعد بهم وذلك يستلزم ان ينقل الى الوطن من علوم مدينة اوربا ما يعود عليه وعلى ابناءه بالخير واسمى المطالب وخصوصا لجهة البحث عن احوال بلاد النمسا والمجر المشابهة من حيث تعدد العناصر البلاد العثمانية و بيان البواعث التي قضت بوحدة تلك العناصر واتفاقها وقيامها شعبا واحدا يؤيد مصلحة الوطن ويعزز قوته

ألم يكن البحث بمثل ذلك خيرا واعم نفعامن تأييد مذهب دارون ذلك المذهب الذي قضاه نخبيلات افراضية صورها الوهم وقربها الاعتقاد بها وهي لا يمكن ان تحل في محل دين من الاديان مطلقا . نعم ان من يميل اليها يكون حجر عثرة في سبيل العفاف والانسانية والعدالة تأخذ بيد من مال معها الى الاهواء وتجسره على فك ارتباطه من قيود الدين الادية فتسوء عاقبه ويتحمل صاحب هذه البدعة مثل وزير ذلك المسكين الذي مرق من الدين بالاغواء وزخرف القول المموه

ومن المؤكد ان الاعتقادات الفاسدة التي تناقض الدين فضلا عن انها تبعد الانسان عن خالقه فهي توجب شرورا تؤخر الوطن بأدياته ومادياته فترجو من أفاضل الشرقيين الذين وهبوا العلم أو تحصلوا عليه بمجدهم ان يتحفوا الشرق بفكر فوائده أوربا وحسناتها ويدعونا من إلحاد الملحدين لأن الحسن في نفسه حسن ويوجب حسن الاحدوثة والسي في نفسه سيء ويوجب سوء العاقبة اجارنا الله من ذلك وان يهنا الصدق في القول والاخلاص في العمل

بيروت عبد القادر قباني

(المنار) صاحب هذه الرسالة يعرفه كثير من قراء المنار ومنهم من لا يعرفه . هو شيخ رجال الصحافة وكبرهم عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون التي عاشت أكثر من ثلث قرن وأوقفت في العام الماضي وكانت مديراً للعارف ببيروت الى ذلك العام . وقد جرى في دفاعه عن الدين في رسالته هذه على ما تمود فجزاه الله عن نفسه ودينه خيرا .

ولكنه جاء بشيء من المبالغة في الكلام عن مذهب دارون ومخالفته للدين

وافضائه الى الشرور حتى جوز ان يكون هو الذي منع جعل الدكتور شمبل عضوا في مجلس الاعيان كما طلب الكثيرون من السوريين : . وعجيب من مثل القباني ان يحظر هذا في باله وهل يظن انه لا يوجد في رجال المجلس العمومي من المبهوثين والاعيان من يقول بسحة رأي دارون في تبين الأنواع ؟ وهل كان الكاتب نفسه يمنع كتب دارون وكتب من على رأيه من المدارس وغير المدارس لو بقي مديرا للمعارف بعد الدستور أو صار ناظرا للمعارف العمومية ؟

أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب دارون لا ينقض — ان صح وصار يقينا — قاعدة من قواعد الاسلام ، ولا يناقض آية من آيات القرآن ، وأعرف من الأطباء وغيرهم من يقولون بمثل قول دارون وهم مؤمنون بإيمان صحيحا ومسلمون إسلاما صادقا يحافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ويتركون الفواحش والاشم والبغى التي حرم الله تعالى عملا بدينهم . على ان هذا المذهب عظمي ليس من موضوع الدين في شيء .

ثم انني أعلم ان الدكتور شمبلا لم يكتب ما كتب ردا على صاحب مجلة الهلال الا إنكارا لبعض ما قاله في الاستدلال على صحة الدين من طريق العلم ولم يقصد بذلك التعرض لإبطال الدين نفسه ، أعني ان بحثه كان في الدليل لا في المدلول . وهو وان كان غير متدين لا يستجيز الكتابة في إبطال الدين والتنفير عنه بل انكر قولاً وكتابة على جماعة من ايطاليا انشأوا مدرسة في الاسكندرية ظهروا فيها بمقاومة الدين . ولو كانت كتابته للهلال في الاعتراض على الدين لكنا ممن عني بالرد عليه لا فرق بين الدكتور شمبل وبين الكثيرين من اهل بلادنا الذين يرون رأيه في الدين وأكثرهم من النصاري المتعلمين (أي من النصاري جنسية لا اعتقادا) الا أنه هو يصرح برأيه لأن ظاهره وباطنه سواء لا نفاق عنده ولا جبن ولا مصانعة . والذين يجلون علمه واختباره لم يسعوا الى جعله عضوا في مجلس الاعيان المدافعة عن مذهب دارون فانهم يعلمون ان مجلس الاعيان لا يعرض عليه هذا المذهب ليبدى رأيه فيه وانما أحبوا ان يكون في ذلك المجلس عضو عربي سوري هو من أوسع الصنانيين

٦٣٦ سبب الكفر في علماء الكون . الاسلام والعلم والمسلمون (المئارج ٨ م ١٢)

علماء واختباراً ، وأشدّهم حرية واستقلالاً ، وحرصاً على عمران البلاد ، وارتقاء أهلها في العلوم والآداب ،

أما قول الكاتب الفيور أن الأطباء يلزم أن يكونوا أكثر الناس اعتقاداً بتوحيد الخالق فهو صحيح وهو يعني أنهم يجربون بأن يكونوا أشدّ اعتقاداً وأقوى توحيداً وما أرى إلا أن المؤمنين منهم بالله تعالى موحدون لا شرك في إيمانهم ولا وثنية كما في إيمان أكثر الناس (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وليس للكاتب أن يعجب من حرمان بعضهم من الإيمان وهو قد صرح بأن الكون موجب للحيرة أو هو بمجانبه محل الحيرة . والكلمة التي عزاها في هذا المقام لبعض شيوخ الصوفية يهزونها إلى الصديق الأكبر وهل يظن أن أحداً من علماء الكون - الطب وغيره - الكافرين موقن في كفره ؟ كلا إن هم إلحاثون ولكن إلحاثين فريقان فريق نشأ على دين وتربى عليه فظل لا يسأله ، وفريق نشأ وتربى في مهد الحرية والاستقلال كالأفرنج ومن تلا تولهم فهم في حيرتهم هذه لا يلبسون لباس الدين

أما سبب فسو الكفر في هؤلاء الناس فهو أنهم يتعلمون العلوم الكونية بأحسن الأساليب وأقرب الطرق إلى الأذهان ولا يتعلمون معها ديناً يتفق معها ويرون فيها عليه أهل الأديان كلها أباطيل ينقضها العلم تقضاً ويهدمها هدماً . ولا يوجد الآن في الأرض دين يتفق مع العلم إلا دين الاسلام الذي هو دين القرآن لا دين جماهير المسلمين الذين يلبسون الخيرات والحسنات ، ويدفعون الشرور والسيئات ، بالاستغانة بالآلوف من الأموات ، والطواف بقبورهم والتمسح بما ينسب إليهم من قبر حجري أو خشبي ، وقصص من نحاس أو حديد ، وباب من الخشب ، وعمود من الرخام ، وشجرة من الأشجار ، وحجر من الأحجار ، ويتر من الآبار ، وجلد من النعال ، وخرقة من القماش ، - الذين يضيق دينهم عن قلنسوة أو كمة تلبس للوقاية من الشمس ، فما بالك بما لا يحصى من مكتشفات العلم وتأتج العقل !

فهل أيها الكاتب الفيور تتعاون على جهاد البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات ، التي الصقت بهذا الدين فجعلته كغيره أو أشوه من غيره في نظر العالمين ، وتجاهد أنصار هذه الضلالات من أرباب المهائم ، الذين هم أضرب على الدين من مذهب

دارون ، لعله يتيسر لنا اتخاذ الاسلام من هؤلاء الجاهلين واخراجهم من جحر الضب الذي وضعوه فيه ، ونبين لاهل العلوم والعرفان انه بريء من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، واتخذوه هزوا ولعبا ، وانه هو الخليفة السمحة وهم المائلون المضيقون ، وانه فطرة الله التي فطر الناس عليها هم عن الفطرة ناكبون ، وانه موافق لمصالح البشر في كل زمان ومكان وهم لا يوافقون ، فاذا نجحنا في هذا فانا الضامن لك على الاطباء والكياويين ، والطبيين والفلكيين ، والاجتماعيين والاشتراكيين ، والقانونيين والسياسيين ، ان يفضلوه على جميع الاديان ، ويرجعوا جملة دين المدنية في هذا الزمان رأيك هذا الدكتور شميل الذي ترد عليه ، انه يقول في كل نادوسامر ، وعلى مسهم من المؤمنين والكافر ، انه لا يوجد دين اجتماعي إلا دين القرآن ، فهو بهذا القول يدعو إلى نصف الاسلام وهو النصف الديني منه ولكن يوجد فينا كثير من أصحاب المآثم ينفر عنه بقسميه الديني والأخروي !!

واما ما أشار اليه الكاتب الفيور من حث امثال الدكتور شميل على وضع المؤلفات في الفنون والعلوم المصرية النافعة للأمة في هذا العصر فهو أفضل ما ينبغي الحفز عليه والترغيب فيه لتكون لغة البلاد غنية بعلومها ، وسيكون هذا على قدر عناية الأمة والحكومة بالعلم والله الموفق وبه المستعان

﴿ المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت ﴾

(مقدمة رسالة) قد كان من سيئات الحكومة الاستبدادية لاسيما الحميدية منها ان يذل المسلمون لكل خسف ينالهم حتى الميث بدنيهم لأن السلطان عبد الحميد كان قد منع المسلمين من جميع أنواع الاجتماع ومن الحديث والكتابة فيما يتعلق بالأمور العامة ومن تقديم الشكاوى للحكومة في المظالم العمومية دينية كانت أو دنيوية فلم يكن للأمة ان تقدم محضرا وانما كانت الشكاوى خاصة بالأفراد . ولما سقطت سلطته لاسيما الله عهدا - كان مما شكاه التلاميذ المسلمون في المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت وشابهم عليه الرأي العام إلزام المدرسة إليهم بتعلم الديانة النصرانية وحضور عبادتها في الكنيسة كما علم مما نشرناه في العام الماضي . وقد انتهى

الامر الآن بما يعلم ويعلم مقدار السخط منه من الكتاب الآتي :
 سيدي وجل الاسلام والمسلمين السيد رشيد افندي رضا حفظه الله
 عرقتم بالتفصيل ما صار اليه أمر الاعتصام الاسلامي في الكلية وكيف ان
 العمدة تلافت الخطر المحدق بها باعفاها التلامذة من حضور الكنيسة موقتا والآن
 وقد أوشكت السنة المدرسية ان تنتهي لم نشر إلا والرئيس يستقدم التلامذة من
 مسلمين ويهود لغرفته طالبا منهم التوقيع على صك تعهدا منهم بالقيام بالواجبات
 الدينية في السنة المقبلة من دخول كنيسة ودرس تورااة وأنجيل حسب الشروح
 والتعليق البروتستانتية التي يفر منها المسلم ويشك في صحتها كل من له مسكة
 من العقل واذا آنس من أحدهم رفضا أو ترددا ينبه بعدم قبوله في السنة الثانية
 حتى ولو لم يبق له إلا سنة أو سنتان لنيل الشهادة وقد وقع هذا فعلا مع أحد
 العثمانيين الاسرائيليين .

فباركن الاسلام المتين أطلب منك ان تحمل بقلمك وعملك وفتاويك الحملة
 الشعواء على خطة الكلية وتظهر للملأ سوء نيتها وتهدد لهم الاضرار الناجمة عن
 نساغل المسلمين في أمور دينهم حتى لا يبقى عذر للآباء ولا حجة للابناء ، وإن الكلية
 لفي خوف من المسلمين ولا سيما إذا وجد من يحركهم نحر يكا لا تعمله القوة الكهر بائية
 ليفسد ما بنوه من الاوهام منذ اثنتين وأربعين سنة

عرفتك فيما مضى تحض المسلمين على ايجاد مدرسة للاستعاضة عن الكلية قبل
 مناقشتها الحساب أو قبل الرغبة اليها بإصلاح نظاماتها ففهم الرأي وأهلك والنصيحة
 نصيحتك وقد عرف كل مسلم مالك من التقدم الراسخة وبعد النظر في الامور العقلية
 والعقلية ولكن باسيدي ما عسانا نفعل وقد دُفع المسلمون الى الاعتصام بتأثير من القوى
 الطبيعية وقوانينها التي سنها الله وأهم تلك القواعد هي أن كثرة الضغط تستوجب الانفجار
 فيامن اتخذك الكبير اخا والصغير اباً مد يد المساعدة الى مسلمي الكلية وحرض
 المصريين بجرائدهم اليومية ومجلاتهم للاعتراض على الكلية فلقد عرفنا أن
 ليس للمدرسة من حجة تستند عليها ولقد أقر كاتب العمدة اماني بان المدرسة عثمانية
 تتبع كل أمر مصدره الاستانة ، وذكروهم ان ما علينا إلا أن نصب الشكوى من جميع

الجهات واعلم أن كل ما فعله الكلية لتأييد مركزها هو من باب السياسة وليس له غل من الحقيقة واعلم أن ليس كل كلام يصدر عن كاتب له تأثير ككلامك فكأنني بالأسد الآن وقد ثار من مرفعه مدافعاً عن الأشبال خيفة أن يصيبهم اندي من الأغرار ليظهر أن للإسلام صوي «ومترا» يستضاء بنوره اذا اشتد حالك الظلام فلا زلت للإسلام عضداً والمسلمين مرشداً
مقر بفضلك

بيروت عبد القادر القندور

(المار) هذا الذي عملته المدرسة الآن هو الذي كنا نحسبه قان هؤلاء الأفرنج أشد خلق الله تعصبا للدين وهم الذين تقخواروح التعصب الذميمة في الشرق كما يننا ذلك مرارا ولكنهم هم ومن ربوه على تعصبهم يشيعون في بلادنا أن الشرق هو مهد التعصب «رمتي بدائها وانسلت» حتى راج تزييفهم هذا على الجمهور ومنا ولا يبعد ان يمدوا كراهتلا كراههم إيانا على دينهم تعصبا منا وتساهلا منهم !!!
إنهم علموا ان الحكومة العثمانية الآن تمنهم من ا كراه غير النصراني على التعلیم والأعمال النصرانية ولا يمكنهم أن يعشوا بها كما كانوا يعشون في زمن عبد الحميد فلدجأوا الى هذه الحيلة التي ليس أمامهم سواها ولا يرجعون عنها بحملة الجرائد عليهم لأن بث دينهم هو الغرض الأول لهم من مدارسهم لاسيما في الشرق فلا يثنيهم عنه شيء الا ان يكون قوة الحكومة والحكومة لا تمنع الا الا كراه

فالرأي إنا ترك التلاميذ المسلمين هذه المدرسة ان كانوا يستغنون عنها بغيرها، وإما البقاء فيها مع تلافي ضرر التعاليم المخالفة لدينهم وجعل ذلك ذريعة الى منافع أخرى دينية ودنيوية أما الاستغناء عن المدرسة بمثلها أو خير منها فلا سبيل اليه اذ لا يوجد في بلادنا مثلاً في تعليمها وتزيتها وأما الثاني فهو ميسور والذي تنبه اليه منه أمور (١) مطالعة الكتب الاسلامية التي تبين حقيقة الاسلام ككتب الاستاذ الامام وأقواله في التوحيد والتفسير والنسبة بين الاسلام والنصرانية وكتاب روح الاسلام للقاضي أمير علي (٢) مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم التعليمية الدينية ككتاب اضرار تعليم التوراة والانجيل لأحد علماء الانكليز وهو يوجد بالعربية والانكليزية وغيره من الكتب الانكليزية التي يمكن ان يرشدكم اليها سليم افندي التبر (٣) المواظبة على

الصلوات الخمس لا سيما مع الجماعة اذا امكن وغير ذلك من الاعمال الاسلامية كالصوم في هذه الايام (٤) ما أمر الله به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ومنه التواصي باعداد النفوس لمسابقة القوم الى مثل عملهم في الجمع بين العلم والدين وانشاء مثل هذه المدرسة في بيروت وغيرها من البلاد فان عملهم هذا مما يحمد

قد بينا فيما كتبناه عن مسألة هذه المدرسة في انعام الماضي ان المسلم لا يكون نصرانيا كما قال السيد جمال الدين وغيره من المارفين ، وقنا هناك أيضا ان هذا التعصب من هؤلاء الافرنج لا سيما القائلين بأمر هذه المدرسة هو الذي يحجب الشهور الديني في نفوس غير النصارى من التلاميذ في هذه المدرسة فعمل رجال المدرسة يأتي بقبض ما يريدون منه ويصدق فيه على المسلمين قوله تعالى (٢: ٢١٦) وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم

ان المسلم البصير بدينه لا يمنع من النظر في كتب أي دين من الاديان ولا من سماعها ولكن علماء الاسلام متفقون على انه لا يجوز للمسلم ان يتلبس بعبادة أهل دين آخر ويعدون تلبسه بها الذي يكون به كأهلها لا يميزه الرأي عنهم من الردة فاذا ثبت عند القاضي ذلك في دعوى ارث مثلا فانه يحكم بأن من هذا شأنه لا يرث من أيه المسلم . وما أظن ان تعصب عمدة المدرسة يصل الى هذا الحد فان هم وصلوا اليه ورفع الامر الى الحكومة فانها تمنعهم منه بلا شك سواء تهادتلميذ به أم لا ، نعم ما كل ما يحكم به في الظاهر يوافق الباطن ، وما كل ما يسميه النصارى صلاة دعاء ممنوع عندنا ولكن التشبه بهم فيما هو خاص بهم من أمور الدين ممنوع قطعا

هو غلط فاحش يجب اصلاحه بالقلم

في السطر ٢٣ من صفحة ٥٧٨ وفي السطرين ٣ و ٤ من صفحة ٥٧٩ من مجلد المار الحادي عشر : ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ أي فضل خاص لا يشاركهم فيه غيرهم وهو عناية بهم وتوفيقهم وصوابه هكذا : ﴿ ان الله غفور سليم ﴾ لا يجعل بتخيم المقاب ومن آياته مغفرته لهم وحلمه بهم وتوفيقهم

وفي السطر الاول من صفحة ٥٢٨ من الجزء الماضي : كلمة السابع ، وصوابها التاسع

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

قدس هادي الدين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

حجج قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

مصر - الخميس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠٩ م

ابو حامد الغزالي *

٦

« رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين »

« و في مذهب الباطنية أهل التظيم »

(وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

(تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين ديناً واحداً والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في الأصول والفروع ووقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق إلى شيع متعددة كل شعبة منها تقتل مذهباً ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضع كثيرة من المنار وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الأمة مذهب الباطنية الذين ذهبوا إلى ان للدين ظاهراً وباطناً وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الاصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وإنما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يمارض شيء من تعليجه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص !!!

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها ، والدرجة الأخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الغزالي الاسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير ، وآخر فرقهم المشهورة في زماننا هذا فرقة البائية أو البهائية من البائية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، ومضى الى أهلها ضرها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة تقولم بعصمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالصيديين بمصر والبائية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة تقول بكفرهم كثيرها كذلك يشبه مذهبهم بذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهراً وباطناً وان للدين أسراراً لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقاً عظيماً بين الصوفية والباطنية فالغزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفياً يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الأربعة في الفقه والمذهبيين الأشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الأولى فمضوا بها في الغالب فمضوا أممهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فبدأ التقليد عند أكثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماء اعلم بالكتاب والسنة فاقول ما يقولونه وهو الدين الواجب اتباعه على كل أحد ، والفرق بينهم وبين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يتبع في كل شيء من الأصول والفروع وهم يقولون بامامين في العقائدهما الاشعري والماتريدي وأربعة في فروع الاعمال كل من خالفهم يكون ضالاً خارجاً عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أو البدعة وإما إلى الفسق ، بل اوجبوا اتباع من لا يحصى عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلهم أئمة فهو لاء مقلدة متناقضة وجاوه بقدرسون أحمد بن حجر الهيتمي ويوجبون اتباعه ديناً في كل ما دونه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

إذا تمهد هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والنزعات التي سرت منه إلى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما وافقه منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقاً كما أبطله كتاب الله وسلف الامة حتى أئمة العقيدة الأربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثته إلى آخر الزمان

أحسن ما وصل إلينا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية ويسمى مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناظرة دارت بينه وبين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته بألراي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ، لما فيه من التعارض والالتباس ، أم يميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنهما بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تفضل الناس وهي طرق الوسوس والالهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له المقصد الذي أشرنا إليه فقال

« القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته عن امام معصوم آخر »
 « وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
 « وأوثق منه وهو طريق المعارف »

فقال (أي الباطني) : لقد أكلت الشفاء وكشفت الغطاء وأثبت باليد البيضاء لكن
 بنيت قصرًا وهدمت مصرًا فاني الى الآن كنت أتوقع ان أعلم منك الوزن بالميزان
 واستقني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في
 مداخل الغلط فقد أيسر من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت
 بالوزن وقد عرفت الآن لم يختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا
 لهذه الدقائق كما فعلت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان
 أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

فقلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما ان
 تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا
 فبالضرورة يكون حاصلًا عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو
 لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصابع في ذهنك التجريبي
 والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان
 غير حامل لأنه يقل عرفه بانتظام الاصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان
 كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك
 فانت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم
 تقليدا للوالدين وانزهاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا
 وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه
 فينبغي على زعمك ان لا تثق به

فقال : صدقت فأين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا
 قلت : هيات راجع القرآن فلقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا
 إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى
 الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرنا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل عليك لكن طريقك أن تعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحسبت ما للبقال عليك أولك عليه أو قسست في مسألة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فبطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ما غلطت في دققة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بديهية معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان التعلم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فإبرهانك ومعجزتك فان امامي اما أن يفهم معجزة واما ان يحتاج بالنص المتعاقب من آباءه اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التعلم وقفا على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نعتني به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نعتني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضي الله عنه اماما فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . أما برهاني عليه فواضح من النص وما نعتده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن . فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص على الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص على علي فكأن الكسائي نص على

وقال الثاني اني اقلب العصا حية قلب العصا حية ، وقال : الثالث برهاني اني اقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بأياها أشد تصديقاً؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالفني فيه ريب، أما نص استاذة عليه ونص الكسائي على استاذة فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار، وأما قلب العصا حية فلهذه فعل ذلك بحيلة وتليس وان لم يكن تليسا ففأيته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذا أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهممت وازلت الشك عن قلبك في صحته فإزمالك الايمان بامامي كما انك اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضاً في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القبر ولا بقلب العصا حية بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جداً لكنني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتبينت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلاً عروبياً يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعباناً لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتليس والطمس وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فيما ايمان

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية فلا يكون كذلك
فقال : فأننا أيضا اشتبهنا أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت
أن ذلك لا يعرف إلا بأن توزن جميع المعارف الإلهية بهذا الميزان وما اتضح عندني
أن جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فم اعلم ذلك ؟
قلت : هيهات لا أدعي أنني أزن بها المعارف الدينية فقط بل أزن بها العلوم
الحسائية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضيعي فاني أميز
حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو
رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى : لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل إلا بنص ولا قلب
المصائبنا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك بنجربة وامتدانا فمدعي الفروسية لا ينكشف
صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلي عما شئت من العلوم الدينية لا تكشف
لك الفطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وأزنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم
ضروري بأن الوزن صحيح وإن العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف .
فقال : وهل يمكنك أن تعرف جميع الحقائق والمعارف الإلهية بجميع الخلق
فرفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيهات لا أقدر عليه وكأن إمامك المعصوم
إلى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وأزال الإشكالات عن القلوب بل
الأنبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قد روا عليه ؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري
أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك »
أفادعي أن أردت قضاء الله الذي قضى به في الأزل ؟ أو يقدر إمامك أن يدعي
ذلك ؟ فإن كان يدعيه فلم ادخره إلى الآن والدنيا طالفة بالاختلافات ؟
وايت شعري أريئس الأمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات
بين الخلق أو سبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر ؟

« القول في طريق نجات الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصغروا إلي رفعت
الاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصفون اليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم .
وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو
الفصول الاثني عشر .

فقال : فلو اصغوا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

فقال : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البُدْءُ وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص قاني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بهافيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهوؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها ، والثانية خلو باطنهم من تقليد وتمصّب لمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصفي والبليد وان أصفى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البُلْءُ وهم جميع العوام وهوؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطاب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكايين في العلم مع قصور الفهم عنه فهوؤلاء لا يختلفون ولكن يتخبرون بين الاثمة المختلفين فأدعو هوؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا عملت في رأس العلم » أي

الايان والتقوى والاستعداد للآخرة » اذهب فأحكم رأس العلم ثم اوجع لاعلمك من غرائب » فأقول للعامي ليس الخوض في الاختلافات من عشتك فادرج فاياك أن تخوض فيه أو تصفى اليه فهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فاياك ثم اياك أنت تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري .

فان قال : لا بد من دين أعتقده واحصل به لاصل به الى المنفعة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيها أما الأصول فليس عليك أن لا تعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثل شيء الى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء قل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونقيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس كمثل شيء وبعد هذا لا تنفت الى القيل والقال فانك غير مأمو به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتعذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لأعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يوتئهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فإذ كر علاجهم .

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهو لاء أهل الحوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

(١) يريد العلم بأصول العقائد والاحكام ومذاهب الخلاف فيها

الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات
 حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمت طريق الخلاص من
 الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدي وليس بعامي ومنى
 تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رقائك قد فرغوا من جميع
 هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمخفقهم ؟ هيئات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا
 بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو
 يقول قد اختلفت الأطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه
 يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يعطيني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل
 علي مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللبس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل
 في رمضان أو بالنهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة
 فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان
 كل من لا يوجهه يستحبه وأنو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجهه يستحبه .
 فان قال هو ذا يثقل علي الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات
 وقال لا أدري أقنت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فأقول الآن اجتهد مع
 نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت
 مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض اطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك
 مثل ذلك الاجتهاد في امر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبه (١) فمن
 أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك اجر واحد
 وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله أجران
 ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال
 تعالى « لعلهم الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولا حقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد لشخص
 لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره اولا ان يجتهد في نفسه ثم في الأئمة الذين اشتبه في
 أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد
 النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من رجح دليله

الله عليه وسلم لما ذ « بم تحكم » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد » قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد » قال أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذ وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقمت اهلي في نهار رمضان فقال « أعتق رقبة » ففهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الإعتاق وهذا لأن الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر ولو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انبأ جبريل أن عليه قدرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجمال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكلفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاء في سفك الدماء وباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الأدلة عند الاجتهاد !

وليت شعري ماذا يقول رفقائك في هذا ؟ أقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجمال والرياح ؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذورا مأجورا فلا يبعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذورا فالجهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبة فاختلغا في الاجتهاد فحكما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف إلا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من تقيضه بعد كونه مقنونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن واما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوه بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومضى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك تشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقبته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجأجه وعناده عاجلته بالحديد فان الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالتوسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم دون أهل الجدل واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقراكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن أكثر أهل الجنة البله وان عليين لذوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

الفریقین الذین یجادلون فی آیات الله وأولئک أصحاب النار ویزعم الله بالسلطان ما لا یزع بالقرآن وهو لا ینبغی ان یمنوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين فی کتاب الله تعالى فملاه بالدرة وكأ قال مالك رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء علی العرش فقال : الاستواء حق والایمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف کلهم . وفي فتح باب الجدال ضرر عظیم علی عباد الله تعالى

فهذا مذهبي فی دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تم الميزان القسط لم یقدر به علی علم واحد بل علی علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه یعرف به مقادير أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقیم فمعه الحكمة التي من أوتیها فقد أوتی خیرا كثيرا لانهاية له وأولا اشمال القرآن علی الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما یبصر بنفسه ویبصر به غیره وهونعت الميزان ولما صدق قوله « ولا رطب ولا یابس الا فی کتاب مبین » فان جمیع العلوم غیر موجودة فی القرآن بالتصریح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لانهاية لها فبهذا ادعو الخواص . ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة علی الكتاب والاقتصار علی ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدال بالمجادلة التي هي أحسن فن أبی أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بیأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

قلت شعري الآن یارفيقي بم یعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أعلم العوام فيکلفهم ما لا يفهمون ویخالف رسول الله صلى الله علیه وسلم أو یخرج الجدال من أدمغة المجادلین بالحاجة ولم یقدر علی ذلك رسول الله صلى الله علیه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى فی القرآن مع الکفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو یدعو أهل البصيرة الى تقلیده وهم لا یقبلون قول الرسول صلى الله علیه وسلم بالتقليد ولا یقنعون بقلب العصا ثعبانا بل یقولون هو فعل غریب ولكن من أبین یلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطَّدسمات ماتت في العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطَّدسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوى على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذة في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولوالالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم ؟ وما الذي حل من اشكالات الدين ؟ وماذا كشف عن غوامضه ؟ قال الله تعالى « هذا خالق الله فأروني ماذا خالق الدين من دونه » وقد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأروني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه ؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أرني ما رأيتها :

مايسدي بي رتسدي أوف خر ابن وقلب يارفت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم اري المستجيب لإمامك بعد الاستجابة على جهل الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقده حلا ولم تفده استجابته له بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قد طالعت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف . قلت : فمن الغرائب ان يدعو الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتوني الى التعليم فاستجيب فعلموني ما عندكم فقال : ما أراهم يزيدوني على هذا شيئا . قلت : فأني قائل أيضا بالتعليم وبالامام وببطالان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أطق ترك التقليد تعليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية انشعب العلوم كلها منه في كتاب

جواهر القرآن لکنی است ادعو الی امام سوی محمد علی الله علیه وسلم ولا الی کتاب
سوی القرآن فمنه استخرج جميع أسرار العلوم و برهانی علی ذلك لسانی و بیانی و علیک
إن شککت تجریبی و امتحانی ، أقترانی أولى بأن یعلم منی من وفائک أم لا ؛ اه المراد منه

باب المناظرة والهراسلة

﴿ النسخ وأخبار الآحاد ﴾

وعدة في الجزء السابع بأن نين رأينا في المناظرة التي دارت في المنارين الدكتور محمد توفيق أفندي وصدقي والشيخ صالح اليافعي ورجونا أن يكون ذلك في الجزء التاسع (وكتب « السابع » غلطاً وصححناه في الجزء الثامن على أنه غلط بديهي إذ هو في الجزء السابع) . وقد عرض لنا من كثرة المواد ومن الشواغل ما حال دون محقق الرجاء بالتفصيل الذي كنا نريده فرأينا أن نقول الآن كلمة بجملة ونرجي التفصيل المراد إلى جزء آخر فتكون كلمتنا هذه كحكم المحكمة بدون ذكر الأسباب التي يسمونها الحثيات وكلمتنا الموعود بها كبيان حثيات الحكم فنقول :

النسخ

قد سبق لنا القول بأن النسخ المصطلح عليه الذي هو محل النزاع لم يرد به نص في القرآن ولا في الحديث المرفوع يعلم منه أن آية كذا أو حديث كذا قد نسخ وبطل معناه أو ترك لفظه أو اللفظ والمعنى جميعاً وما أورده اليافعي في تفسير « ما نسخ من آية » ليس نصاً ولا ظاهراً فيها بل الظاهر ما قاله الاستاذ الامام وجرى عليه الدكتور وصدقي ولكن الاستاذ كان يرى أن الظاهر في قوله تعالى (١٦ : ١٠٠) وإذا بدلنا آية مكان آية) في آيات القرآن خلافاً لما قاله الدكتور فيها وهي ليست نصاً قاطعاً في هذا ولا ذاك . وقد ورد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة الفقه ما يدل على أن للنسخ الاصطلاحي أصلاً ولكنه كما قال اليافعي في بعض المواضع أنه أهم من النسخ الذي عليه الأصوليون

وإن نسخ حكم في الشريعة بحكم آخر هو كنسخ شريعة بشرية أخرى معقول المعنى موافق لحكمة التشريع في انطباقها على مصالح الناس التي تختلف

باختلاف الزمان والأحوال لا شبهة فيه على أصل الدين . وأن أكثر ما قاله العلماء في نسخ أحكام القرآن بديهي البطلان وما هو محل نظر منها قد جعله السيوطي عشرين وغيره سبعا والصواب أنه لا يوجد في القرآن آيات لا يتفق معنى إحداها مع معنى الأخرى بحيث يقطع بالتعارض الذي لا يمكن التفصي منه إلا بحمل إحداها على النسخ المعروف عند الأصوليين . أما النسخ بالمعنى الذي يتم التخصيص والتقييد وبيان المجمل فهو واقع في القرآن ونقول به

وأما نسخ التلاوة فلم تظهر لنا حكمته ولم يأت الياضي ولا من قبله من العلماء الذين اطلعنا على أقوالهم بحكمة مقنعة لمن كان مستقلا في فهمه غير مقلد فيه لا سيما نسخ اللفظ مع بقاء حكمه

وأما الدليل على وقوع ذلك فهو بعض الروايات عن الصحابة وهي وإن صحح مثل البخاري أسانيدها محل إشكال في متنها كأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرها منها نص علماء هذا الشأن على عدها مشكلات وعدم الاهتداء إلى حل معقول لها إلا الجزم بطلان الرواة فيها كحديث شريك في المعراج عند البخاري وحديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رفعه مسلم وغيرها . وسنشير إلى غير هذين الحديثين مما هو مشكل في الصحيحين قريبا

أحاديث الآحاد والدين

إن كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير يتعلق بأمر الدين على أنه منه فهو حجة على من ثبت عنده يجب عليه الاذعان لما يدل عليه ولا يقال إن شيئا منه خاص بوقت دون وقت أو قوم دون قوم أو شخص دون شخص من المكلفين إلا بدليل يثبت ذلك . فإن عارض هذا الحديث بعد ثبوته آية من القرآن أو حديث آخر أو دليل حسي أو عقلي كان الحكم في ذلك لما تمتضيه قواعد التعادل وال ترجيح والجمع والتأويل وهي مروفة في مواضعها . وقد قال المحدثون إن من تلاوة كون الحديث موضوعا لمخالفته لنص القرآن والمسائل القطعية في الدين واليقينيات الحسية والعقلية ، هذا إذا كان الجعم بينه وبين القطعي أو التأويل متقدرا

ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمة الفقه أن معرفة الدين تتوقف على الإحاطة بجميع ما رواه المحدثون من الأحاديث ولا بأكثرها ولم يكن الأئمة الأربعة الذين يشبههم أكثر المسلمين في الأحكام العملية مطلعين على ذلك كله لا سيما الإمام أبو حنيفة الذي لم يرحل في طلب الحديث للقاء الرواة المنتشرين في بلاد الإسلام ولم يكن الحديث مدونا في الأسفار فيأخذه منها وهو مع ذلك معترف بإمامته واجتهاده عند أتباعه وغيرهم من أهل السنة . فما جرى عليه سلف الأمة وخلفها هو أن من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الأحاديث لعدم ثبوتها عنده أو لعدم العلم بها فهو معذور فالعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنن العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت من السنن وأحاديث الآحاد المختلف فيها رواية أو دلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا في الآخرة مقربا عند الله تعالى كما ترى بيان ذلك في ترجمة الإمام الغزالي من هذا الجزء .

أحاديث الآحاد تفيد اليقين أم الظن

ذكرت هذه المسألة أكثر من مرة في المأروقد حققنا في تفسير قوله تعالى « ١٧٣: ٣ » فزادهم إيمانا « أن للظن إطلاقين أحدهما اعتقاد أن هذا الشيء ثابت وأنه يحتمل احتمالا ضيقا أن لا يكون ثابتا وهذا هو الظن الذي جاء في القرآن أنه « لا يغني من الحق شيئا » . ثانيهما اعتقاد أن هذا الشيء ثابت مع عدم ملاحظة الطرف المخالف ولكن من غير برهان على منع الطرف المخالف وهذا قد يسمى في اللغة والشرع يقينا وعلميا ولكنه لا يسمى يقينا عند علماء المنطق والكلام والفلسفة لأنهم يطلقون اليقين على مرتبة أعلا من هذه المرتبة في العلم وهي ثبوت الشيء بالبرهان وثبوت امتناع مقابله . وراجع التفصيل في التفسير (ص ٨٩٨ م ١١)

فيعلم مما حققناه أن بعض أخبار الآحاد يفيد العلم واليقين لغة وشرعا وعادة وبعضها لا يفيد ذلك ولكن لا يفيد شيئا منها العلم البرهاني واليقين المنطقي . والدكتور توفيق صدقي لا ينكر أن له من الأصحاب من لو أخبره بشي

بصدقه ويعطئن قلبه خبره فلا يشك ولا يتردد فيه كما انه يصدق المؤذن في دخول وقت الصلاة والفطر في هذه الايام لا يشك فيه ولا يترث في العمل به . فهل هو في هذا عامل بالظن الذي ذمه القرآن ؟ لا لا . وقد صرح الاستاذ الامام في الدرس بأن الصحابة والتابعين كانوا موقنين بصدق الاحاديث التي عملوا بها عند ما سمعوها ممن رفعها الى النبي (ص) وانه لا يعقل ان يحدث مثل الصديق أحدا عن النبي (ص) ويتردد السامع في صدقه

ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين ولا يعقل ان يكون كل ما رواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به بل لا يعقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة ، فكيف يكون أكثر ما رواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد فحريا وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطأ بعض الرواة العدول ووقوع ذلك من بعضهم لا يمنع الثقة بكل ما يروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لهم لا يقتضي قبول كل ما رووه بغير بحث ولا تمحيص

فالجامعان الصحيحان البخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيها (رضي الله عنهما وجزاها خيرا) ومع هذا لم يتلقها المحدثون بالقبول تقليدا لها وثقة مجردة بهما بل بحثوا ومحصوا وجرحوا بعض رواياتها وينوا غلط بعض متونها . كتقليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المأرج ، وتقليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت (وتقدم ذكرهما) وفي حديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات . وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كتابا .

ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين منهم يرى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي العدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما أنكروه عليها مما صححه من الاحاديث يجد ان أقوالها في الغالب أرجح من أقوال المنازعين لها لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس ممصوما من الغلط والخطأ في الجرح والتعديل

وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدھا والقليل منها مختلف فيه وما من امام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فإذا جاز رد الرواية التي صح سندھا في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالمروايات في نسخ التلاوة) لا سيما لمن لم يجد لها تخرجاً يدفع الشبهة كالذكر محمد توفيق صدقي وأمثلة كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الأستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي (ص) أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨) وقال الظالمون ان تبعون إلا رجلاً مسحوراً) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً) .

ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لاننا لم نجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طريقة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه . فإذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشئته الله تعالى ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — ان لم تكن التخصية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقية فهي معنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجواب انطابقاً ظاهراً لا مراء فيه؟ اللهم لا . ولكن هذا النوع من الحديث على تدورته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانبيا لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

يقول أئمة الدين أنهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأييد النخل ولكن يستثنى الأخبار عن عالم القيب فهم معصومون فيه

أما الأحاديث المخالفة للقرآن في خبره أو معناه أو أي نوع من أنواع المخالفة الحقيقية فلا يمكن أن تكون صحيحة في الواقع وإن وثق المحدثون رجال أسانيدهم ولكن يجب التدقيق في ذلك قبل الحكم به فما رآه الدكتور محمد توفيق صدقي من أن تحريم الأكل والشرب في أواني القدين مخالف لآية إباحة الزينة والطيبات هو في غير محله فإن النبي (ص) استنبط ذلك من قوله تعالى في الآية التي قبل آية الزينة (٣١:٧) كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (قالوا كل والشرب في

أواني القدين إسراف عظيم لا سيما بالنسبة إلى المسلمين في ذلك الزمان وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها أخذه صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين الاختين لأن العلة فيهما واحدة وكما أن تحريم الخمر التي كانت في زمن التنزيل يتضمن تحريم كل مسكر يستحدثه الناس إلى يوم القيامة كذلك يتضمن تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه كالجمع بين العمة و بنت أخيها فقوله تعالى (٤ : ٢٣) وأحل لكم ما وراء ذلكم (لا يتناول الجمع بينهما على هذا فالحديث ليس مخالفا له . ولكن الجمهور يمدونه مخصصا للآية ونخصيص السنة للقرآن جائز وواقع فإن سماه بعضهم نسخا فلا تعارضه في التسمية ونحن موافقون له في المعنى

النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بقوله وفعله ويدخل في البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ولكن لا يدخل فيه إبطال حكم من أحكامه أو قرض خبر من أخباره ولذلك كان التحقيق أن السنة لا تنسخ القرآن . ثم انه (ص) (شارع بإذن الله ولذلك قال عند ما سئل عن بعض المسائل « لو قلت نعم لوجبت » ومن ذلك انه حرم ما بين لآبي المدينة فجعلها كحرم مكة لا يحمل صيدها ولا يقطع شجرها ولا لا يختل خلاها والحديث في الصحيحين وغيرهما وليس ناقضا لشيء من القرآن ولا مخالفا له . وما يدل على انه حرم المدينة من قبل نفسه أي بغير وحي خاص أن العباس قال له « إلا الإذخر » فقال « إلا الإذخر » فاستثنى الإذخر من قوله لا يختل خلاها وهو نبات عطر حاجتهم إلى قطعه بمجرد طلب العباس . ولكن هذا النوع من التشريع قليل جدا وهو

(الناشر ج ١٢، انقلاب العشاني، رد ثالث على صاحب جريدة وطن الهندية ١٩٩٩)

مختلف فيه قيل ان الله أعطاه ذلك وقيل لا وليس هذا القول المجمل مما ينسج لتحقيق ذلك هذا وان للاسلام اصولا ومقاصد لا بد لكل مسلم منها كالتوحيد وادكان الايمان وهي الايمان بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليوم الآخر واقدر وهي اعتقادات ، وادكان الاسلام الخمسة ، وهي اعمال بدنية ، وادكان الأدب التي تجمعها كلمة التقوى واجتناب الفواحش ، اظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وكل ذلك مبين في القرآن والسنة العملية . فهذا ما يجب على كل مسلم ان يعلمه ويعمل به

وأما الاحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الاعظم من أهل الصدر الأول ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا اليها وانما انفرد بها بعض الذين صرفوا همهم إلى جمع الروايات وحفظ الاخبار والآثار فيها تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها من يد علم ومن عرف شيئاً منها وصح عنده متاوسداً بلا معارض أقوى منه وجب عليه ان يقبله ويهتدي به نكتفي بهذه المجالة الآن بل هي قد جاءت أطول مما كنا نبغي ومتى سنحت الفرصة نعود الى بعض هذه المسائل بالبيان والتفصيل والى غيرها مما دار عليه كلام المتأخرين ما لم يدر عليه مما يتعلق بالمقام ككراهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة السؤال لثلاث تكاليف واستلزام ذلك لكراهة ان يعلم جميع الناس بما يجاب به بعض السائلين ويكلفوا العمل به كما كلف السائل ذلك لحاجته اليه ، أو عدم استلزامه . وما جرى عليه الصحابة في السكوت على ما يعلمون من ذلك حتى يسئلوا عنه وانفراد الكثيرين منهم بالحديث الواحد وقلة ما رواه الجهم الفقير . ولا نضرب لذلك موعداً معينا لثلاث نصد عن الوفاء به والله الموفق

الانقلاب العشاني الميمون

لاهور في ١٩ أغسطس سنة ١٩٥٩ م

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين
أما بعد السلام والاحترام ، لا أستطيع ان أفي بحق شكركم على ما أبديته

من اللطف في نشر مقالتي والرد عليها ردا مسهيا ، وسأشر ترجمة ردكم هذا في جريدتي تماما ان شاء الله تعالى

ولا أكتب بعد ذلك في هذا الأمر شيئا بقصد استطلاع الآراء ، بل نترك للدهر يقضي كيف يشاء ، فانه خير قاض ، ولكنني أرى بنفسني ان الذين هم اليوم اعداء لعبد الحميد مثل شوكت باشا والغازي مختار باشا وغيرهم يحسون عاجلا بضرورة رجوعهم إلى عبد الحميد — ان لم تأخذهم الحمية حمية الجاهلية وسلوكوا مسلك الانصاف والساداد —

وأما أمر التحاشي من نشر ردكم الأول فكنت على الصواب فيه لانه صدق ظني حين نشرته جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » ، فاستاء منه العالم الاسلامي الهندي أشد الاستياء حتى اضطر محرر هذه الجريدة لتقديم الاستقالة من خدمته في أواخر شهر يونيو الخالي — وساءت سمعة مجلة المنار أيضا — فرأيت ان أدافع عن المجلة ونشرت ردكم في جريدتي مع جوابي الذي أرسلته اليكم بعد التهريب كما نشرتموه في العدد السادس من مجلة المنار الاغر — ولقد أثر ذلك الأمر تأثيرا حسنا في تسكين تأثرة نفوس المسلمين الهنديين واطفاء نائرة غيظهم على « المنار » وليكن في علم حضرتكم ان الجرائد التي وافقت آراءكم من مائة جريدة إسلامية في الهند لا يربو عددها على اثنتين فقط — إحداهما جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » والأخرى جريدة « وكيل » (أمرتسر) فما الذي جرى للاولى ؟ هو ان النواب وقار الملك ناظر الكلية الإسلامية في علي كده طلب من المحرر ان يصلح آراءه ويكتب ردا لأقوال مجلة المنار — ولكنه أبى الرد واستقال من وظيفته — ورد أقواله حضرة النواب المشار اليه في الأعداد التالية من الجريدة واضطر الى التسليم بان عبد الحميد هو « عبد الحميد الاعظم » لا محالة — وقد ندمت جريدة « وكيل » أيضا من سلوكها ذلك المسلك الصعب المخالف للرأي العام لمسلمي الهند واعتذرت عما فرط منها —

وظنكم أن آراء جريدة « وطن » موافقة لقراءتها وهم عدد قليل في الملايين من مسلمي الهند فليس في محال لان شيوع هذه الجريدة في الاقطار الهندية

واشاعتها أكثر بكثير من جميع الجرائد الإسلامية الهندية ، فان جريدة علي كده
جميع اشاعتها خمسمائة في الاسبوع ، وجريدة « وكيل » اشاعتها ألف وخمسمائة -
وقبة الجرائد الإسلامية لا تزيد اشاعتها عن الالف البتة - ولكن جريدة « وطن »
اشاعتها الآن خمسة آلاف وثلاثمائة في كل أسبوع - ولا ريب في ان قراءه
لا يكونون أقل من خمسين أو ستين ألف رجل من المسلمين - بل ربما يكونون
مائة ألف أو يزيدون - ولا يخفى على حضرتكم ان جريدة « وطن » تجد
مشركين معاونين لها في كل مكان فيه عدد ولو قليل من المسلمين الذين
يعلمون لسان « الأردو » مثل إفريقيا الجنوبية والمشرقية - وأمريكا الشمالية
والجنوبية - وجزائر غرب الهند - والصين ، وأستراليا ، وزنجبار ، وتونس ،
وطرابلس الغرب ، ونايجيريا ، وملايا ، وسومترا ، وتركستان ، وعرب (؟) ، وبغداد ،
وغيرها من البلاد النائية الاطراف من العالم الاسلامي فان جريدة « وطن » لتصل
الى كل هذه البلاد دائما وانكم تعلمون ان وظيفة الجريدة ليست هي هداية قرائها الى
جادة الصواب فقط بل انها يجب ان تكون مرآة ترى فيها آراء الامة والقراء جميعا
وتكون مظهرة لميلائهم (؟) - واني أقول بكل الثقة ان آراء جريدة « وطن » في هذه
المعاملة مطابقة لآراء قرائها وآراء الجمهور من المسلمين ولا عبرة للشواذ -

وأما قولكم بجمل مسلمي الهند بالحقائق في أول الأمر واقتناع منصفهم بعد ما ظهر
لهم من الحق بواسطة نشر الحقائق في الجرائد التركية والعربية حتى تصعبون من
اصراري على ما كنت عليه فال المطلوب من حضرتكم إيمان النظر في وكالة مراسل
جريدة « باونير » الانكليزية (اتي تصدر في بلدة إله آباد بالهند) مع محمود شوكت باشا
وقد أدرجت هذه المقالة بمددها الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ فاعترف
شوكت باشا بأنه ليس عنده الرجال الا كفاء ذوو سطوة واقتدار حتى يقدر على
حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب ،

واننا مسلمي الهند مع وقوفنا على كون المهد الحميدي محفوقا بالاخطار ومملوا
من السيئات ، لانقي تبعة هذه المفاسد على عبد الحميد وحده كما تلقون حضرتكم بل

نسبها الى جهل الملة وخمولها ونعلم ان عبد الحميد سعى جهد طااقه في تخفيف ذلك
الجهل والخرول (١١١)

واني لا ادعي الاولية في كتابة ذم عبد الحميد وعماله على جميع جرائد العالم
بل قصدي انه ان اول من كتب بهذه الصراحة في الجرائد الاسلامية الهندية لا غير
وهذا صحيح لا ريب فيه وقلم ان الاختلاف في مشروع السكة الحجازية لم يكن
من جهة السلطان السابق فاني لا اسلمه لان عندي كتبا خصوصية من اصدقائي
في الاستانة وهم يكتبون ان الجرائد التركية حظرت عليهن الحكومة ذكر مشروع
سكة بغداد والحجاز وسبب نشر آرائي في جريدة المعلومات العربية هو قلة انتشارها
في المملكة العثمانية وان لم انس فاذا ذكر ان الذي كتبوا منهم صديقكم وصديقي السيد
عبد الحميد الزهراوي ايضا

والمؤرخون الذين ينحازون الى احد الطرفين لا يعد قولهم صحيحا بل العبرة
بما قاله مؤرخة اولي الدراية في الازمنة التالية وكذلك الذين ليس لهم علاقه باحد من
الفرقتين المتخاصمتين وانا كما تعلمون ليس لي واسطة بعبد الحميد ، ولا بتركيا الفتاة
بل كل ما أقصده هو خير الدولة العلية وسلامتها حفظها الله ووقاها من جميع الآفات
والمهايكات آمين

وعجبت من احتجاجكم باعترافي ان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم
توجد في عهد عبد الحميد الخ ، فاقول لكم بكل ادب ان فيلسوفا مثلكم لا يلزم
ان يكون ناسيا لفرق بين الترقية وبين حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ومقصودي
هو أن عبد الحميد لا يجب ان تأخذه بجريرة اسلافه وترك ما اصلاحه هو ولا نشكره
عليه فان العقل لا يسلم لاحداث لا يكون فيه حسنة غير السيئات وان ذلك لا يخلو
عبد الحميد ايضا من حسنات ويشهد على حسناته ما كتبه جرائده مصر العربية وجرائد
اوربا في اكثر الاوقات في اعمدتهن من مدائح واصلاحات عصره بالصراحة التامة
والنارح يحفظ ذكرها

واما مدحت باشا فانه عزل من منصب الصدارة في سنة ١٨٢٢ ونفي ولكن
القوم لم يكثرثوا لحالته وبعد ذلك لما عين واليا على عدة ولايات فلم يكن سببه خوف

(المأرجح ١٢م ٩) الشبهات على كون حكم النبي والراشدين من نوع المطلق ٧٠٣

عبد الحميد منه أو من جماعته بل رأى ذلك السلطان العظيم أن يستفيد من اهلية الرجل وكفاءته في اصلاح شؤون المملكة — وما كان سبب العزل والنفي لمحضت باشا الأتلة مواليه ومشاركه في حب الدستور (١)

انكرتم علي قولي ان حكم النبي (ص) والصدیق والفاروق (رض) وغيرهم من الخلفاء الراشدين كان مطلقا وواجبم علي ان استغفر الله من هفوتي هذه فاعوذ بالله واستغفره من كل ذنب واتوب اليه وبعد ذلك اسألکم ان ضميرهم في قوله تعالى (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأُمْرِ) هل مرجعه جميع افراد الملة الاسلامية او بعض سراتها وذوي الرأي منها؟ ان كان المقصود منه ذوي الرأي من سادات القوم ووجهائهم فلم تنسون مجلس شوري الدولة الذي كان موجودا في عهد عبد الحميد في آخر ايامه واعضاؤه من اهل الخبرة والجاه والسياسة وسراة الامة؟؟ وان كان الضمير راجعا الى كل فرد من افراد الامة فتي حصلت الاستشارة لجميعهم وكيف السبيل الى حصولها ايضا؟

هل كان صلح موقع الحديبية في زمن النبي (ص) وقتال أهل الردة والممتنعين من اداء الصدقات وتزحيف جيش أسامة (رض) وعدم مؤاخذه خالد بن الوليد (رض) من اعمال الصدیق (رض) كل هذه الامور بمشورة القوم وغير مناقض لآراء الجمهور من الصحابة (رض)؟ ومتى اظهر المسلمون رضاهم من عزل خالد (رض) حينما عزله الفاروق (رض) لان الجمهور كانوا يحبونه ويفضلون ان يكون هو قائدا عليهم؟ — وان كانت هذه الامور بالاستشارة فالمرجو من كرمكم ان افيدوني باعلامها واذكروا لي اسماء الصحابة الذين استشيروا في تلك الامور وعلمت اطلاع عبد الحميد على التوايا السيئة للنازي مختار باشا اليه من نشر تقارير الجواسيس في جرائد الاستانة في هذه الايام . وظهر انه كان عالما بسوء نية الرجل وإنعامه عليه واکرامه كان بسبب لطفه الطبيعي وحسن سياسته في تأليف قلوب النافرين منه بواسطة المال والاکرام (١)

انکم تقولون اني عاشق لعبد الحميد . ولا اعرف الحقيقة التي عرفتھا الارض والسماء من انه كان السفاك المبيع للدماء وقاتل الابرياء وغيره ، فقولکم هذا لا يعتد

به من غير بينة . وان الجرائد التركية مع كونهن تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد لم تستطعن ان تثبتن شيئاً حقيقياً من التهم الموجهة اليه في أمر افساد الدستور وشركته في الحركة الارمنية يوم ١٣ ابريل الماضي . غير الظنون والشكوك فان الطافل لا يبا بها . ومن الذي لا يعلم ان جرائد اوروبا لم تكن لتتصرف في اذاعة سيئات عبد الحميد ومظالمه لو وجدن اليه سيلاً . والحمد لله خابت آمالهن من هذا القليل ولم تستطع جريدة من جرائد اوروبا ان تكتب كلمة واحدة تدل دلالة صريحة على شركة عبد الحميد في الحادثة الارمنية ولكنكم تضرعون على هذه النعمة عبثاً وتحاولون اقناعي بمثل هذه الخزعبلات (١)

ومصيتي الكبيرة التي جنبها في زعمكم هي قولي الحق في شأن مولانا السلطان محمد خان الخامس ادام الله ملكه وسلطته « انه كآلة صماء في يد جماعة » ودعوتوني الى التوبة من هذه المصيبة ولكن ما تقولون في اشاعات جمعية الاتحاد والترقي واقوال شوكت باشا نفسه بانه لم يترك حول جلالة احداً من انصار عهد التقديم لا من وصال المهية ولا من الخدم والحشم حتى لم يتركوا حوله من خدامه القدماء احداً . وقد قاله شوكت باشا في مكالمته مع مراسل جريدة باونير المذكور سابقاً في هذا المكتوب

وبالجملة فاني اتعجب من شدتكم في أمر عبد الحميد وسببكم له مع كونكم من العلماء الاعلام وحكام الاسلام . يغفر الله زلتكم هذه ويهديكم سبيل الرشاد لان السب والشتم ليس من شيم الكرام . والسلام
ولا ابني نشر مكتوبي هذا في المجلة ولا اكلفكم الرد عليه بغير رضاكم لاني علمت من الردين ما قد كفاني . واني عرضت عليكم بعض ما جال في خاطري عند قراءة ردكم . ونخفت ان لو اكتب في جوابه شيئاً فيطول الكلام لذلك اكتفيت ببعض الامور التي يجب اطلاع قرائكم عليه فان رأيتم من المناسب نشره نشرتموه والا فلا .
فاطلب منكم العفو من تكليفكم مرتين
كانه المخلص

محمد انشاء الله محرر ومدير جريدة « وطن »

بلدة لا هور (بنجاب - الهند)

﴿ جواب المار ﴾

ان هذه الرسالة تشر باخلاص صديقنا فيما كتبه أولا وآخرا في مسألة الانقلاب في الدولة لتشره بعض ردا ووعده بنشر الباقي وهذا هو ظتنا في الذي يناء في ردا عليه من قبل خلافا للجرائد التركية والعربية التي جعلته من صنف (الاربعاءين) الذين يتبعون الهوى في نصر عبد الحميد حبا في ماله ورتبه واوسمته . وقد اوسمته تلك الجرائد ذما وتوبيخا وتهكما وهي مخطئة في ذلك كما انه هو مخطئ في اجتهاده ، ولذلك لم ننوه بشيء مما كتبوا وان أثبت علينا الجرائد التركية فيه وارسل اليها بعضه من الاسنانة معلما عليه بالخبر الازرق . وتقول لأولئك الكتاب ان صاحب جريدة الوطن ربما كان اشد اخلاصا للدولة من اكثر الجرائد العثمانية التي تلعن اليوم الاستبداد وسلطانها ، وتطري الدستور واعوانه ، وسيرون ان شاء الله من محمد انشاء الله خير نصير للدولة الدستورية ، لا سيما بعد الاقتناع القريب بسوء عاقبة السياسة الحميدية ، ثم اننا نحيب مناظرنا عن شبهاته في هذه الرسالة بما يأتي بالاختصار :

(١) ان قراء الجرائد في الهند معذورون في إساءة الظن في المار لما كتب ما يخالف آراءهم واهواءهم وجرائدهم التي استمدوا منها تلك الآراء والاهواء في السياسة الحميدية . وقد علمت ان اكثر المستأئين يظنون اننا كنا نمدح عبد الحميد وسياسته في عهده فلما خلع انقلابا عليه دامين قادحين ، وظنهم هذا من الإثم ، والحكم علينا بغير علم ، ولذلك نطن ان قراء المار لم يتهمونا بمثل ما اتهمنا به غيرهم لأنهم يظنون اننا لم نكن نحسن الظن في السلطان عبد الحميد بعض الشيء ، ونتمس له بعض العذر الا في السنة الأولى من سني المار لأن استبداده لم يكن قد بلغ غايته وقرب عهدنا يومئذ ببلادنا المحجوبة عنها الحقائق ، والمملوءة بالتفاق والمدح الكاذب ، وقد كان المار بعد ذلك يتميز غيظا من سوء تلك الحال ، ويشكو منها بالاساليب المختلفة من الأقوال ، ومن أوضحها مقالة (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) وما يتبعها من المقالات التي نشرناها في المجلد التاسع ودعونا

فيها علماء الاسلام في مصر والهند وتونس الى مطالبة السلطان عبد الحميد بالعدل والإصلاح ، ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سمينها باسمها (الشورى العثمانية) وكنا نمرز الجريدة بنشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الأستانة والروملی والآن طول بنفقة من الجمعية لما رضىنا بذلك التتديد الاجالي في المنار . وقد نوهنا بذلك في فاتحة هذه السنة ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خلعهم — وهو نفسه يعلم ذلك ولا يشك فيه — فليطلب منا بعض اعداد جريدة جمعيتنا ليعلم اننا لسنا كأصحاب تلك الجرائد العثمانية التي كانت تسبح اسم عبد الحميد بكرة وأصيلاً راضية أو كارهة ثم صارت تلعنه كذلك . ولو كان المنار كذلك الجرائد وصاحبه كأصحابها لما خربت الحكومة بيت أبيه ، ونكلت بأهله ومحبيه ، ولولا انه مخلص في جهاده الاستبداد الحميدي لما احتمل ذلك العذاب ، والبلاء في الاموال والأفانفس والأوقاف ، ورغب عن العطايا والرتب التي عرضت عليه ليكون من المادحين لعبد الحميد . واننا ننشر في هذا الجزء ما نشرته الحكومة الحميدية في جريدة بيروت الرسمية من اتهامنا واتهام بعض اخوتنا وأصحابنا بالجناية والأمر بالتبعض علينا احياء أو ميتين . ونرجو من صديقنا ان يترجمه وينشره مع هذا الرد في جريدة ليقرأه من لا يعرف العربية من إخواننا مسلمي الهند

(٢) اننا نعجب لظن صديقنا المناظر لنا بعد ان بينا له الحقائق ان مثل مختار باشا وشركت باشا سيظهر لهما على عداوتها لعبد الحميد ضرورة الرجوع اليه !! بالله العجب ! أظن صاحبنا أنه أعلم بعبد الحميد منهما ومن على رأيهما من خيار رجال الدولة حتى يظهر لهم انهم هم المخطئون فيكون هو المصيب في غلوه في إطراء عبد الحميد !! أيسمح لي صديقي الفاضل ان أسمى هذا الثن غروراً بيننا مع احترامه وحفظ مقامه ؟ هل أعيد له القول البديهي انهم يعرفون جميع عجزه وبجوره الخفية والجلية وجميع أعماله السرية والجهرية وصديقنا لا يعرف منها الا بعض الظواهر التي برز أكثرها في غير صورته الحقيقية . وهل تكون حمية مختار باشا على عبد الحميد حمية جهلية وهو أكبر قواد الدولة الذي بذل دمه مرات كثيرة في سبيلها ؟ وتكون حمية

(المراجع ١٢م) افساد عبد الحميد للملكة . ظهوره بتصفية الرتب العسكرية ٧٠٧

صاحب جريدة الوطن هي الحمية الصادقة التي يثيرها الانصاف ؟ أي حظ لختار
باشا من عداوة عبد الحميد ؟ ان مرتبه الآن لا يبلغ عشر مرتبه من عبد الحميد وان
ولده كان بمحابة عبد الحميد فريقا من الدرجة الاولى وقد أنزل بعد الدستور الى
رتبة أميرالاي ، ومختار باشا راض مسرور من خلع عبد الحميد ؟ أليس هذا برهانا
قاطعا على إخلاصه ؟ فائتنا أيها الصديق ببرهان مثله يثبت انك أشد إخلاصا
للدولة وأعلم بمصلحتها منه ؟ ما كان ينبغي لك ان تعيد مثل هذه الاقوال التي
لا يكاد يعقل صدورها من عالم مخلص مثلك إلا بذلك التأويل الذي حملت عليه
كلامك من قبل وهو كون اعتقادك حسن حال عبد الحميد صار وجدانا لا يقبل
البحث كدين العجائز ، ومنك يرجى السماح والمفو

(٣) اذا كان قولك ذاك عجبا فاعجب منه استدلالك على كونك مصيبا
في اصرارك على رأيك في عبد الحميد وحكومة الدستور بقول شوكت باشا انه ليس
عنده من الرجال الا كفاء من يكفي لحفظ السلطنة !! ان هذا اكبر حجة لنا عليك
واظهر مبطل لقولك ان عبد الحميد كان يسعى جهد طااقته في تخفيف الجهل والجهل
السائدين في السلطنة . او كان حقا ما تقول لك ان مدة سلطته كافية لتعميم التربية
الملية والتعليم النافع وتخرج رجال لا عداد لهم يصلحون للنهوض بجميع أعباء السلطنة .
فان ثلث قرن كاف لتربية ثلاث طبقات أو أجيال من الامة . ولكن عبد الحميد
كان والله مفسدا في المملكة عدوا للعلم والتربية نصبرا للجهل والضيالة . وان من
البراهين القاطعة على افساده وتخريبه للدولة وإتيانه إياها من قواعدها وآساسها ما
قامت به الحكومة الدستورية من تصفية الرتب العسكرية فقدتين به صدق ما كنا نطمح
بالاجمال ونقوله بالاختصار من ترقية عبد الحميد للضباط والقواد بمحض ارادته محابة
لهم اثلا يسخطوا على هدمه لسائر قواعد السلطنة . فالعسكرية التي احدثت الانقلاب
و بيدها زمام الأمر هي التي اختارت إنزال الجمل الغفير من قوادها وأمرائها وضباطها
عن مراتبهم غيرة على الدولة ومنعها لهذا الخلل الذي يقضي على الدولة اذا هي وقعت في
حرب مع دولة قوية منظمة . لقد خلع عبد الحميد والدولة عاجزة عن محاربة البغار
التي هي قطعة منها ولكن حكومة الدستور أمكنها ان تتلافى الأمر بسرعة حتى

استعدت للطوارئ في اقل من سنة وان كان الاصلاح التام لما افسده عبد الحميد لا يتم الا بسنين ، وناهيك باصلاح الاسطول وتعزيزه وقد ظهر للوجود بعد خفائه يا سبحان الله ! البلاد بلادنا والمكاتب والمدارس مدارسنا ومكاتبنا بنيت بأموالنا وهي تحت مواقع ابصارنا والمعلمون والمتعلمون فيها اخوتنا وأولادنا ، ونحن الذين نقول ان عبد الحميد ابطال كثيرا منها وجعل بعضها تحت مراقبة الجواسيس ومنع منها باشاراتهم بعض العلوم وبعض الكتب ثم بعض الآلات والمواد التي يتمرن فيها التلاميذ على الاعمال في العلوم الطبيعية ، كما منع اكثر الكتب النافعة في الدين والأدب والتاريخ والتربية وغير ذلك واحرقت حكومته ألوقا كثيرة من هذه الكتب وحملت الناس بضغطها وظلمها على احراق أكثر مما احرقت هي . وبعد هذا كله يقول صاحب جريدة الوطن ان السلطان عبد الحميد كان باذلا جهده في ازالة الجهل واصلاح حال الأمة بالعلم . ثم هو يعترف معنا بعد ذلك بأن الأمة العثمانية ليس فيها (بعد هذا الجهد في تعليمها بزعمه) أناس قادرين على القيام باعباء الحكومة ! كيف يفهم هذا وجم يفسر ؟ ؟ ؟

يعترف صاحب « وطن » بأنه هو وقومه واقفون على ما كان في العهد الحميدي من السيئات ولكنهم لا يلقون عليه التبعة وحده مثلنا كما يدعي بل يقولون إن سببها جهل الأمة نعم ان جهل الأمة هو الذي مكن مخالفته من مقاتلها ولذلك كان يكره ان تعلم وينكل بكل من ينه افكارها والا فليدلونا على ذنب النار حتي لقي واهله ما لقوا منه ؟ اما عماله واعوانه على الافساد فانهم كانوا على شاكلة

ومن يربط الكلب العقور بياحه فكل بلائ الناس من رابط الكلب

ولماذا لا تحرق الكتب الآن ولا يحذف بعض المسائل من نسخها الطابعون كما حذفوا طائفة من كتاب المواقف الذي طبع في عهده بالاستانة ومن كتاب شرح المسيرة في العقائد الذي طبع في مصر فجعلت بعض نسخه كاملة صحيحة وهي ما يباع بمصر وسائر بلاد الدنيا ماعدا البلاد العثمانية وأما بقية النسخ التي ترسل إلى الاستانة وغيرها من الولايات العثمانية فقد حذف منها بعض المباحث لتلا يجعل وقودا للنار

(٤) تنازل صديقنا من دعوى ترقية عبد الحميد للسلطنة أو اجتهداه في ترقيتها

في بعض كلامه (وان تناقض مع بعضه الآخر) وجعل حسنة العليا حفظ مركز السلطنة وسد الخلل وتقول ان هذه الدعوى ممنوعة أيضا فان سد الخلل إنما يكون قبل كل شيء بإصلاح المالية فالدولة التي ليس عندها مال لا تهدر ان تدفع خطرا داخليا ولا خارجيا وهو قد دمر مالية الدولة تدميرا كما هو بديهي لا يقبل المراء . ثم ان الركن الآخر لحفظ المركز هو العسكرية وقد قلنا آنفا انه اشتغل في آخر عهده بإفسادها وإن تصفية الرتب العسكرية أقوى برهان على ذلك . نعم ان كل ما كان يعمل به عبد الحميد في المشكلات الخارجية هو الحيلة والمواربة والتسويق والرضية للدول بعد ذلك والفرض من هذا كله تأخير سقوط الدولة الى ما بعد موته ليقى طول حياته متمتعا بنعيمها وان كان أكثره وهما مشوبا بالمنقصات التي لا قبل له بدفعها لأن وسواسه هي مآثرها ومعهدا . ولو طال العهد على تلك السياسة الخرقاء التي لم ينل منها بعض ما يريد الا باختلاف الدول وتنازعها خربت المملكة فقد تداخلت أوروبا في ولايات مقدونية وكان ذلك مقدمة لسلخها من الدولة ولولا الدستور الذي أراحنا من سياسته لذهبت تلك الولايات وما ثبتت الاستانة بعدها إلا قليلا . واما مدح الجرائد له فكان بعضه بالثمن وبعضه بسوء الفهم وبعضه بالاكرام (٥) قال انه لم يثبت ان عبد الحميد هو مدير الفتنة الأخيرة التي خلعت بها ، ومع هذا نصفه بسفك الدماء ، وتقول ان هذا وصف قديم له معروف عند الافرنج الذين يسمونه السلطان الأحمر ، وان الحكومة الدستورية قررت عدم محاكمته ولذلك لم تظهر كل ظهر لها من دسائسه في الفتنة وغيرها

(٦) سمى صديقي ما عبت به عبد الحميد في سياسته وإدارته ، وما كتبه من وجه العبارة بخامه ، سبا وشتما وقال انه ما كان يليق ذلك بمثلي . وهي غفلة من الصديق ، سبها الغلو في حب عبد الحميد ، فان السب عبارة عن الفاظ بذية توجه الى شخص لأجل تحقيره وإهانته فقط . وما ذكرناه في عبد الحميد لم يكن كذلك وإنما كان بيانا لحقيقة رجل آذى دولة عظيمة وأمة كبيرة وتفتيتها لوجه العبارة في سقوطه فهو من قبيل ما في الكتاب والسنة من ذم فرعون وملأه والعبارة بهلاكهم ، ومن قبيل جرح المحدثين لرواة الحديث ، ومن قبيل ما أذن الله به من قول السوء لمن ظلم

بيان ظلم ظالمه وسوء عمله، وعبد الحميد لم يكن ظالماً لي ولا أهلي فقط بل كان ظالماً لنا
ولجميع الأمة ما عدا اعوانه على الظلم منها . هذا ما أقوله فيما يتعلق بعبد الحميد وأثبت
له حسنة السكة الخجازية وحسنة عدم التعصب لجنسه وكرامته ان يقال ترك
وعرب، واما المسائل العامة التي أنكرها علينا صديقنا أو سأل عنها فهذا جوابها بالأجمال
الذي يسمه المقام نذكره تابعا بالعدد لما قبله

(٧) من البديهي ان الذين يجب استشارتهم في الامور العامة هم اهل الرأي
والمكانة في الأمة العارفون بمصالحها والمختبرون رأيهم عند جمهورها المبرر عنهم في القرآن
باولي الامر لا جميع افراد الامة . ولم يكن مجلس شورى الدولة مؤدياً في عهد عبد الحميد
لوظيفة المشاورة الشرعية ولا أعضاؤه من أهل المكانة في الامة ولا من المعروفين
عندها وانما يعرفهم من كان يثقه وينهم صلة جوار أو نسب أو عمل . ذلك مجلس
قديم العهد في الدولة وقد أفسده عبد الحميد كما أفسد غيره حتى جعله مستودعاً لمن
يسترضيهم ممن يخشى اشتغالهم بالسياسة وكان أكثرهم لا عمل لهم ولم يكونوا مرجعاً
له في الامور العامة ولا مستشارين على ان يكون رأيهم معمولاً به قطاً بل كان المجلس
ولا يزال ثلاث دوائر احدها للملكية والثانية للتنظيمات والثالثة للمحركات يحاكم
فيها كبار الموظفين وكانت الاشارة من اقل رجال المايين او جواسيسه تكفي لإدانة
البريء والحكم عليه بأشد العقوبة وعفو السلطان فوق حكم هؤلاء كما انه فوق جميع
المحاكم الشرعية والنظامية هذه هي الشورى المطلوبة في القرآن التي كان النبي صلى
الله عليه وسلم يعمل رأي رجالها وان خالف رأيه كافعل في غزوة أحد التي أنزل عليه فيها
(وشاورهم في الامر) ؟ ؟ ياسبحان الله لهذا الحد وصلتم في الاتصاف لعبد الحميد ؟
(٨) ذكر صديقنا عدة شبه على قولنا ان حكومة الاسلام حكومة شورى مقيدة
لا استبداد مطلقة وان الخلفاء الراشدين لم يكونوا في احكامهم مستبدين ،
ونحبب عنها واحدة بعد أخرى :

(الشبهة الأولى) ان صلاح الحديبية لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأي
الصحابه بل كانوا له كارهين في أول الامر وانما قبلوه تدبيرا لا اقتناعاً بفائدته كما هو معروف
في السير مع انه وقع بعد غزوة أحد التي أمر فيها بالاستشارة . والجواب عنه من وجهين

(المارج ٩ م ١٢) صلح الحديبية بالوحي . أحكام الصديق كلها مقيدة بالشرع ٧١١

(الوجه الأول) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعض الاعمال بأمر من الله تعالى فلا يستشير فيها أحداً إذ لا مجال لرأي أحد مع أمر الله تعالى ويجب ان يكون صلح الحديبية من هذا القيل والالزم مخالفة النبي (ص) لأمر الله تعالى إياه بمشاورتهم وذلك غير جائز ، وقد يدل على ذلك قوله تعالى في الرد على كراهة الصحابة لذلك الصلح « ففعل ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » ونسبة ذلك فتحاً مينا في أول السورة أيضاً ، ولم يعاتبه تعالى عليه كما عاتبه على أخذ الفداء من الأسرى بغير

(الوجه الثاني) قيل ان المشاورة لم تكن واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وان أمر الله بها للندب فهو يفعله إذا لم يرغبه أرجح منه . ولا أراك تطيب نفسك للقول بأنه (ص) يخالف الأمر الإلهي وان كان للندب كما تطيب نفسك للقول بأنه فعله بوحى إلهي كما تدل عليه سورة الفتح

(الشبهة الثانية) بعض أعمال الصديق كقتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة ، وإنفاذه لجيش أسامة ، وعدم مؤاخضة خالد بن الوليد على قتل مالك بن نويرة والتسري بزوجه ، وانا نجيب عنها كلها جواباً عاماً ثم نجيب عن كل منها بالتفصيل اما الأول فهو ان الحكومة المطلقة هي ما كان الأمر فيها للحاكم العام في التشريع والتنفيذ والحكومة المقيدة هي ما كان الحاكم العام فيها مقيداً بشريعة ليس هو الواضع لها إما منزلة وإمام موضوعة برأي الأمة ، وإما بعض احكامها منزل وبعضه موكل الى استنباط أولي الأمر من الأمة يضعونه بالمشاورة بينهم — كالشريعة الاسلامية — والتنفيذ في هذه الحكومة لا يحتاج فيه الى الاستشارة متى كان الحكم معروفاً عند الحاكم . وكذلك كانت حكومة الراشدين : كانوا اذا وجدوا الحكم في كتاب الله حكموا به او في السنة كذلك فان لم يجدوا جمعوا أهل الرأي من الصحابة واستشاروهم كما روينا ذلك بالاسانيد المتصلة واوردنا بعض ذلك في المارج من قبل وعلى هذا تجري الحكومات الدستورية الآن في اوربا وغيرها : يحكم الحاكم بالقانون فلا يراجع مجلس النواب في كل قضية وإنما يرجعون اليه في المشكلات وما كان غير منصوص في القانون . وقد كان الحكم الشرعي في المسائل المذكورة معروفاً

عند ابي بكر فجاز له ان ينفذها من غير استشارة بل وجب عليه ذلك في اعتقاده
واما التفصيل فقد تأول في قتال مانعي الزكاة حديث « امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » فانه جعل من حقها ان مانعي الزكاة الهاديين
لركن من اركان الاسلام يقاتلون عليه حتى يذعروا له . وان الفقهاء صرحوا بأن الذين
يمنعون شيئا من شعائر الاسلام ولو مسنونا كالاذان يقاتلون عليه . فهو قد تصدى
لقتال مانعي الزكاة عملا بحكم مقرر عنده بالنص ولما راجعه عمر في ذلك وذكر الحديث
قال له « ألم يقل الا بحقها ؟ فالزكاة من حقها » الخ ما قال وهو مشهور فاقتنع عمر
بقوله . وهذه المراجعة تدل على انهم كانوا يعارضون الامام اذا تصدى لشئ لم يظهر
لهم دليله الشرعي فيه او ظهر لهم مخالفته فيه للنص الشرعي

والناس يظلمون في هذا المقام فيخطئون بين محاربة المرتدين وهو بنو حنيفة
اتباع مسيئة الكذاب الذي ادعى النبوة وبين مانعي الزكاة وهم غيرهم فمحاربة
بنو حنيفة كانت باتفاق الصحابة لم يعرض لأحد فيها إشكال ومحاربة مانعي الزكاة
عرض فيها الاشكال لعرفاقته ابو بكر

الحديث الذي دار الكلام عليه بين الشيخين مروي في الصحيحين وقد اخرجاه
بزيادة هي نص في فهم ابي بكر الذي رجع إليه عمر اذ قال « فوالله ما هو الا ان رأيت الله
قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعلمت انه الحق » وهذه الزيادة هي « ويقبضوا الصلاة
ويؤتوا الزكاة » فالخاصل ان أبا بكر عمل بما علم من حديث الرسول في المسألة وذلك
بما لا يحتاج فيه الى الاستشارة وقد اقره الصحابة كلهم على ذلك بعدم مراجعة عمر واقتناعه
ولما إنفاذ أبي بكر لجيش اسامة فهو ايضا تنفيذ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
اشار عليه بعض الصحابة أن يرد الجيش فلم يفعل وقال « لا أحل راية عقدها رسول
الله صلى الله عليه وسلم » فاحتج بأنه منفذ لأمر الرسول (ص) وكانت المصلحة
فيما فعل . ومما يدل على انه لم يكن يرى ان له الحق في رد الجيش طلبه من أسامة
ان يأذن لعمر في البقاء في المدينة لينتفع المسلمون برأيه ولم يمضك عمر عنده بما له من
السلطة العامة لأن سلطته في الامور المنصوصة لا تعدو تنفيذ النص الا ان يظهر له

في اتباع النص ما ينافي المصلحة العامة لأمور عرضت تقتضي ذلك فينشد يستشير أولي الأمر في العمل بما فيه المصلحة كما فعل عمر في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد إذ كان على عهد النبي (ص) وأبي بكر (رض) بعد طاعة واحدة . فرأى عمر بعد مضي زمن من خلافته أكثر الناس من هذا الطلاق المخالف لسنة ومقصد الشريعة فاستشار الصحابة في إنفاذه عليهم عسى أن يتركوه وأتفذه برضاهم والحديث في الصحيح وتقدم الكلام عليه في التفسير وغير التفسير

وأما عدم مؤاخذه أبي بكر لخالد بن الوليد أي مقاصته على قتل مالك بن نويرة فهي لا تدل على أن حكومته كانت مطلقة استبدادية إذ ليس في الشريعة نص يوجب القصاص في مثل تلك الحادثة وهي القتل بالتأول في الحرب بل فيها ما يقتضي عدم القصاص فإن خالداً نفسه قتل طائفة من بني جذيمة متأولاً فنضب النبي (ص) حتى قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، كما في الحديث الصحيح ولكنه لم يقتله ولم يوجب عليه دية . وكذلك قتل أسامة رجلاً قال لا إله إلا الله فأنكر النبي (ص) عليه ذلك وقال يا أسامة أقتله بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ ، قلما ثلاث مرات كما في الصحيحين ولم يقتله به ولا أوجب عليه قوداً ولا دية لأنه متأول . وما روي من أن عمر أشار عليه بقتله غاية ما يفيد كما قال ابن تيمية أن المسألة اجتهادية اختلف فيها اجتهد الشيخين ولم يأت عمر بدليل يوجب على أبي بكر الرجوع إلى رأيه . والظاهر أن عدم الدية والقيود خاص بما يكون من مثل هذا في أيام الحرب وأما من قتل معصوماً في أيام السلم متأولاً فتأوله قد ينافي التمسك الذي يقتل به ولكنه لا يمنع إيجاب الدية ولا التعزير بحبس أو غيره . ولو رُخي الشيعة وغيرهم أقوال غير صحيحة في مسألة قتل خالد لمالك ومنها تسريه بزوجه من غير اعتداد ولا استبراء وليس لهم في ذلك رواية يحتاج بمثلاً شرعاً ، على أن فقهاء الأمة مختلفون في اعتداد مثاها وليس هذا المقام مما يتسع للخوض في ذلك

(الشبهة الثالثة) عزل الفاروق لخالد من قيادة الجيش في الشام . وتقول إن ذلك حقه وقد بلغه من الأخبار ما أراه أن المصلحة في ذلك . وهذا ما يفعله كل رئيس للمساكر

اولاد ادارة في الحكومات الدستورية ولا يثبمون في اختيار القواد هوى الجند ورضاه قط بل كثيرا ما تقضي السياسة بابعاد القائد عن الجند الذي يعشقه ويقتن به لئلا تحدثه نفسه بالخروج به على الحكومة وتأسيس دولة جديدة . ويروي ما يدل على ان هذا هو السبب في عزل عمر له وهوانه لما سأله خالد عن ذلك قال خفت أن يعبدك أهل الشام . ألم يكن السبب في سفك نابليون لدماء الملايين من البشر هو افتتان جنوده به حتى أنهم عصوا حكومتهم عند ما أمرتهم بمحاربته بسد رجوعه من جزيرة « ألبا » وكانوا عازمين على ذلك فلما أقبل عليهم بوجهه ودعاهم الى قتله خروا امامه خاضعين وله متبعين ؟ ؟

(٩) ومن المسائل العامة التي غلط فيها صديقنا صاحب « وطن » ما ذكره في المؤرخين الذين يمتد بأقوالهم والذين لا يعتد بأقوالهم وتطبيقه ذلك على أقوالنا وأقواله في الاقلاب العثماني . والصواب ان المؤرخ الصادق العدل يعتد بروايته عما رآه واختبره بنفسه وأما ما يرويه عن غيره فالعبرة فيه بصحة السند ومتى كان الراوي عدلا قبل قوله ولو فيما يؤيد رأيه ومذهبه كما قبل المحدثون من أهل السنة رواية العدول من المعتزلة والخوارج والشيعة . ثم انه ليس ههنا فريقان مختصمان تنصب نحن لاحدهما على الآخر وانما يظهر التعصب من صديقنا لأنه يفضل الحكومة الحميدية الاستبدادية التي سقطت على الحكومة الدستورية التي قامت ويطري عبد الحميد ويذم خلفه وأعوانه فهذا هو التحيز الى فئة . وقد اتهمته (بني غزته) وغيرها من الجرائد التركية بأنه كان يرجو من عبد الحميد فوق ما ناله من وسام أونوطة وأنه وجد منه كناية الى المايين يطلب فيها ان يدعى الى احتفال سكة حديد الحجاز ويعطى نفقة سفره الى الحجاز ، وهي مطالب في المال والجاه

أما نحن فانا رأينا ظلم عبد الحميد في أنفسنا وبلادنا وأمتنا ودولتنا : رأينا المالية منهوبة ، والأرض موزونة ، والأموال مفضوذة ، والمعارف مفضوذة ، والكتب ممنوعة ، والقضاء السياسية والإدارة مدبرة الاستبداد ، والعسكرية قد سرى اليها الوهن والفساد ، والاجانب ينتقصون الأرض من اطرافها ، ويسري نفوذهم فيها ، فجاهدنا على قدر صجزنا وضعفنا ، وجاهد غيرنا من الاحرار كل على قدره ، حتى اذا اذن الله بسقوط تلك

الحكومة الحميدية المفسدة ، حمدناه وأظهرنا سرورنا بنصره ، وشكرنا العاملين على
 الانقلاب مع شكره ، عملاً بحديث « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ، ولكننا لم نقدر
 الحكومة الجديدة ولم نتمصب لها في عمل من الأعمال بل نرشدنا وننتقدنا على خطاياها ومنه
 ما يرى خبره في هذا الجزء عن قن الشام ، وعلى تقصيرها ومنه انما لم نمد ايدينا شيئاً من حقوقنا
 التي سلبها الاستبداد منا ، فلا نقول اننا بلغنا بها أعلى عليين ، وانما نقول اننا حمل الرجاؤ وكنا
 مما قبلها يائسين . فهل من العدل ان يقول صديقنا ان كلامنا لا يمتد به لا ناصحون
 متعصبون ، وان كلامه هو الذي يعتد به لانه يشهد لنفسه انه أوسع علماً وأشد إخلاصاً ؟
 قلت من قبل اني أحسن الظن فيه وأقول الآن ان ظني فيه لم يتغير وان أصر
 على مدح عبد الحميد بعد البيان ، كما يحكم عليه الوجدان ، ولا أعد ما ذكرته الجرائد التركية
 قادحاً في إخلاصه ، ولكني أوقن بأنه لا يعرف من حال الحكومة الحميدية عشر معشار
 ما أعرف أنا وأمثالي اذ ليس عنده الا سميات قليلة يصدق بعضها ويكذب بعضها
 بحسب فكره ووجدانه ، وأما معلوماتنا فتدخل من ابواب اليقينيات الستة وهي كثيرة
 جداً . واذا كانت الغيرة على الدولة والاخلاص لها تعذر الموازنة بينهما في أنفسهما
 فدلائلنا فينا أقوى من دلائلها عنده لاننا نحملنا الايذاء والبلاء في أنفسنا وأهلينا
 وأموالنا وآثرنا ذلك على الاموال والرتب والوسمة ، فهل عنده شيء من مثل هذه
 الدلائل على حب الدولة والاخلاص لها وهما مما لا تنكرهما عليه ؟

(٩) احتج مناظرنا على كلمته الشنيعة في مولانا وخليفتنا السلطان محمد الخامس ايده
 الله بروح منه بقول جمعية الاتحاد وشوكت باشا انه لم يترك حوله احد من انصار العهد
 القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم !!!

انني على كثرة ما انكرت على صاحبي من اقواله وآرائه وحبججه في موضوع
 مناظرتنا لم ار أغرب من قوله هذا وما كان يخطر في بالي ان يقوله مثله وهو من أهل
 العلم والسياسة . ان مولانا السلطان محمداً لم تكن له حاشية عظيمة من أهل السياسة الذين
 يعتمد عليهم فيقال ان إبعاد شوكت باشا أو غيره إياهم عنه واستبدال غيرهم بهم جعله غير
 قادر على التصرف حتى يصح ان يقال فيه تلك الكلمة المنكرة ، وانما كان حوله جواسيس
 عهد الحميد ليسوا من أهل السياسة بل من أهل الفساد والسماية ، ولم يكن بشيء بأحد

منهم ٥ وهو الآن يرى جميع الوكلاء وأركان الدولة ومن شاء من غيرهم ويكشفهم بما يريد وكذلك كان جميع السلاطين قبل عبد الحميد لا عمل لهم الا بواسطة حكومتهم ولم تكن حاشيتهم إلا حاشية خدمة ولكن عبد الحميد امس حكومة المايين ليحارب بها الدولة والامة وقد فعل وظفر زمانم كان عاقبة امره خسرًا

* * *

﴿ قيل للرد يدخل في باب الاخبار والا راء ﴾

فما نشر في عدد ٨٦٦ من جريدة بيروت الرسمية التي صدرت في ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٤ بالتركية والعربية في اتهامنا بالجنایة وجلبنا بالقوة احياء أو ميتين لحكمة الجزاء بطرابلس كما هو معنى « اخذ وكرفت » وهو

(طرابلس شام بدايت محكمه سي جزا)

« دائره سندن »

مصره فرار والمنار هذياننامه سنده نشریات خائنانه وملعتكارانه يه اجتناسار ايتك ماده سندن طولاني مظنون وفرارده بولتان طرابلس شام سنجاغنه تابع قلمون قريه سي اهالي سندن وهذياننامه مذكوره صاحب ومحروري محمد رشيد رضا ايله هذياننامه مذكوره يه دخالت ونشریات ملعتكارانه يه اشتراك ايلد كلري ادعاسيله مظنون ومرقوم رشيدك برادري اولوب موقوف بولتان ابراهيم ادهم وينه مصره فرار وأرباب فسادہ التحاق ايدن ديكر برادرلري أحمد حمدي وحسين وصفي ايله طرابلس شاملی عبد القادر مغربینك حرکات خائنانه وملعتكارانه لرندن طولاني اصول محاکمات جزائيہ نك مواد مخصوصه سي احكامنه توفيقا طرابلس شام جنایت محكمه سنده محاکمه لري اجرا قلمق اوزره جزا قانوننامه هما يونك التي سكرنجي ماده سي موجبنه بيروت ولايتي هيئت اتهاميه سنجه جنایته اتهامينه قرار ويرلديكندن متهمون مرقومونك هر نره ده كور بولور ايله طوئييه ب محكمه مذكوره توقيفخانه سنه تسليملي لازم كله چكي بالجله ضابطه عدليه. موراريات معلوم اولق اوزره اشبواخذ وكرفت مذكرومستك خلاصه سي بيروت وسندن غزته سنه درج واعلان اولمق اوزره تنظيم اولندي .

(من دائرة جزاء محكمة البداية)

« في طرابلس الشام »

بما ان محمد رشيد رضا من أهالي قرية القلمون التابعة للواء طرابلس الشام الفار إلى مصر وصاحب ومحرر جريدة المنار الهداية والمظنون عليه بالتجاسر على نشر مواد الخيانة والمهينة في الورقة المذكورة وكلا من أخيه ابراهيم أدهم الموقوف والمظنون عليه باشتراكه في تلك التشريرات اللعينة وأخويه أحمد حمدي وحسين وصفي وعبد القادر المغربي من أهالي طرابلس الشام الفارين الى مصر أيضا والمتحقين بأرباب الفساد قد اتهمتهم الهيئة الاتهامية في ولاية بيروت بالجناية توفيقا للمادة ٥٨ من قانون الجزاء الهايوني ليحاكوا في محكمة الجناية في طرابلس الشام توفيقا لاحكام المواد المخصوصة من أصول المحاكمات الجزائية وذلك بالنظر لحر كاتهم الجنائية اللعينة فعلى جميع مأموري ضابطة العدلية ان يتقوا القبض عليهم أينما وجدوا ويسلموهم لحل توقيف المحكمة المذكورة ولأجل ان يكون ذلك معلوماً عند المأمورين المذكورين جرى تنظيم هذه المذكرة (اخذ وكرفت) لتشر خلاصتها في جريدة بيروت الرسمية .

(الطبيب محمد اسماعيل الأجيرى الهندي)

زارنا في أوائل هذا الشهر المبارك هذا الطبيب فعلمنا منه انه جاء من القدس الشريف وانه جاء في العام الماضي مع أهله الحجاز فادوا الفريضة وأقاموا في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة عدة أشهر ثم سافروا الى القدس فأقاموا فيها مدة ثم عادوا منها في أواخر الشهر الماضي محرمين بالعمرة وسيمودون بعدها الى بمبي وهي موطنهم وبلد اقامتهم . وقد كان هذا الطبيب يعالج جميع المرضى في البلاد المقدسة بفسير أجرة ابتغاء مرضاة الله تعالى وقد كتبوا له شهادات في الحرمين ختمها الجرم الفقير من العلماء والشرقاء وغيرهم وصدقت عليها الحكومة لاسيما في المدينة المنورة فنسأل الله تعالى ان يجزيه خيرا الجزاء ويجمله قدوة صالحة للأطباء

وقد علمنا منه انه ما جاء القاهرة الا لاجل زيارتنا فنشكره ذلك وقد سأله عن افكار مسلمي الهند في الانقلاب الهندي وهل يصح ما قيل ان اكثرهم يسيئون الظن بالدولة الآن لحسن ظنهم في السلطان عبد الحميد الخلوع . فقال ان في الهند كذا مليوناً من المسلمين اكثرهم لا يعرف السياسة ولا يهمهم من امرها شيء قط ولكن الذين يقرؤن الجرائد وقليل ما هم يتبعون رأي جرائدهم في ذلك

❖ كتاب التوسل والوسيلة ❖

طبنا الآن في هذه الايام كتابا خاصا في مسألة التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام وهو الذي قلنا نمودجا منه في الجزء الثامن ونبذة وجيزة منه في تفسير الجزء السابع ، طبنا اكثره على نفقة السيد محمد حسين نصيف وكيل امانة مكة في جده وطائفة منه على نفقتنا ، ليكون سلاحا في أيدي أنصار السنة ، يفرون به ضلالة أهل البدعة ، واتنا ندعو أولياء البدعة المنكرين على شيخ الاسلام (كاشيخ النبهاني) الى قراءته والرد عليه ان استطاعوا وندعو جمهور الامة الذين يحبون السنة ولكن يخشون بعضهم الجاهلون ، ويكرهون البدعة ولكن يزبنها لأعينهم المبتدعون ، أن يقرءوا هذا الكتاب ويوازنوا بين ما اطلعوا عليه من كتب المبتدعين ثم ليذهبوا ما يرونه موافقا لكتاب ربهم عز وجل ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيرة سلفهم الصالحين ، وأئمتهم المجتهدين ، بين شيخ الاسلام في كتابه هذا معنى الوسيلة في القرآن ومعنى التوسل في لغة الصحابة وعرفهم ومناه في عرف المتأخرين الذين ادخلوا فيه معنى البدعة ، وما هو مشروع منه وما هو مبتدع ، وما هو نافع وما هو ضار ، وحقق مسألة السؤال ومسألة الدعاء وما يشرع منها وما لا يشرع مع الدلائل من الكتاب والسنة وأقوال السلف وحكمة التشريع وبين ما يشرع في زيارة القبور وما يمنع ، ومسألة الكرامات وشرطها والخوارق التي يتخذ بها الناس فيعدونها كرامة وما هي كرامة ، وتكلم عن الاحاديث الواردة في زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام وفي النهي عن اتخاذه وثنا وعن اتخاذه عبدا وعن اتخاذه المساجد على القبور وحقق مسألة رواية الحديث الضعيف والعمل به في الفضائل والمناقب وتكلم عن الشفاعة والاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بشير الله وبين ما يصح من ذلك وما لا يصح ،

ولما كن حديث الاعشى الذي استشفع بالنبي (ص) فشفع له ودعا الله ان يرد عليه بصره فاستجاب دعاءه هو الحديث الوحيد الذي صح سنده في هذا الباب تكلم عنه في عدة ورقات فجمع طرقه وبين جميع رواياته وما صح منها وما لم يصح وحقق ان الصحيح لا يدل الا على ما هو ثابت مشروع من التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله

عليه وسلم في حياته بطلب الدعاء منه وبين في هذا المقام وفي مواضع أخرى أن ما كان يطلب من النبي (ص) في حياته لا يطلب منه بعد موته وإن كان حياً عند الله تعالى في عالم الغيب كما أنه لا يطلب منه غير ذلك مما كان يطلب منه في حال حياته كالإستسقاء والعلم واستدل على ذلك بعدم طلب الصحابة ذلك عند قبره أو مع البعد عنه وبعدهم عن التوسل به في الاستسقاء إلى التوسل بالبساس وغيره وذكر مسألة الاستسقاء في عدة مواضع واجتهاد الصحابة وما انفرد به بعضهم وخالف الجمهور وكونه خطأ لا يؤخذ به

وتكلم عن مسائل الشياطين وأضلالها للناس ونفثها لهم وخدمتها لهم واشتباها ذلك بالكرامات وكذا عن الاستغاثة والتعوذ بهم والرقية والعزائم باسمهم وعن وسوستهم وإغوائهم وسلطانهم على غير المؤمنين

وان القارىء ليجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير ومعاني الأحاديث وأسرار التشريع ما لا يجده في غير كلام المؤلف من العلماء ويجزم بأن ما انفرد به من البيان والتحقيق فيها هو الحق

مثال ذلك كلامه في الدعاء والسؤال والحلف وكيفية الفرق بينها وحكمها وحكمة ما يجوز منها وما لا يجوز ومن ذلك معنى كون الدعاء عبادة فلا يدعى غير الله ، والسؤال بالخلق وموآله والسؤال بما هو سبب للإجابة كالرحم والعمل الذي يقتضي الإجابة والسؤال بما ليس كذلك كالأموال الأجنبية التي ليست أسباباً وكالدوات والأشخاص التي لا تدخل لها في السببية وسؤال الله بحق بعض خلقه وهل لأحد حق عليه أم لا ، وبجاء الأنبياء وهل الجاه الذي منحه الله لبعضهم يكون سبباً لإجابة غيرهم إذا ذكره أم لا ، والفرق بين حلفنا وإقسامنا بالخلقوقات وبين إقسامه تعالى بها في القرآن وذكر أنواع هذه الأقسام وحكمها الخ

وفي الكتاب تكرار لبعض المسائل يذكر المسألة ثم يبيدها بالناسبة والمصنف يعتمد لذلك لعله أن هذه المسائل التي أخطأ فيها كثير من الناس حتى أدى بعضهم إلى الشرك الأصغر أو الأكبر لا تنجلي وتستقر في الأذهان إلا بذلك

صفحات الكتاب مثنان وثمئة سبعة قروش صحيحة وأجرة البر يدقرش صحيح

﴿ قن رمضان ، في دمشق الشام ﴾

يقول أحد الدمشقيين المارقين ان لاهل دمشق في كل رمضان فتنة يطهون بها فذا أو شك الشهر ان ينتضي بغير فتنة حاص محبو الفن ثم يسمون في اثاره فتنة صغيرة أو كبيرة بقدر الامكان ونقول ان كبري فتنتهم الرضائية ثلاث متشابهة في ثلاث : في تدبير اكابر الحشوية المستبدين لها ، وفي جعل مبدأها الانتقام من بعض الاحرار طلاب الاصلاح ، وفي كون الغاية منها التشكيل بجماعة معروفة ذنبها عند اولئك الاكابر انها تكره الاستبداد وأهله ، ونحب الاصلاح وتعمل له (الفتنة الاولى) هي التي آثاروها على السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من بضم سين لانها ألف رسالته المشهورة (الفقه والتصوف) وكانوا يريدون قتله وقتل من أشرنا اليهم من محبي الاصلاح ولكن الحكومة الحميدية سبقت رعيتهما المخلصة الى الانتقام منه وامره مشهور (الفتنة الثانية) هي التي آثاروها على كاتب هذه السطور في أواخر رمضان السنة الماضية وهي مشهورة ، وقد ضعفت الحكومة الدستورية عن مداركتها بما برى مشري الفن ، ولذلك نشروا بعدها جمعية « ولقان » التي قامت على الدستور ولو نجحت تلك الجمعية في الاستانة لكانت دمشق استانة ثانية لها بتدبير اكابر المجرمين في الباطن وأصاغرهم في الظاهر كالشيخ صالح المغربي والشيخ عبد القادر الخطيب اللذين كانا يقولان اقتلوا هؤلاء الدستوريين أو الوهابية فانهم ٥٠ رجلا . (الفتنة الثالثة) ما آثاروه في هذا العام على محمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس أولاً ثم على سائر أعدائهم الذين أشرنا اليهم ، وقد علمنا انهم ألفوا جمعية للانتقام من الاحرار والمصلحين وانهم بدأوا بصاحب المقتبس لانه شدد التنكير في جريدته على أعداء الدستور ومشري فتنة رمضان الماضي فاتهموه أولاً بمشايمة جمعية « ولقان » على الدستور ففتشت الحكومة مطبعته وادارته ولم يثبت عليه في التحقيق شيء فعلموا ان هذه النعمة لا تسمح في مشله فاتهموه وسائر الاحرار ومحبي الاصلاح الذين كانوا يضطهدونهم في زمن الاستبداد بالسمي الى « الخلافة العربية » وهي الكلمة التي كانوا هم واضرابهم يتقمون بها من شاؤا في العصر الحميدي أما كرد علي فرجل كان وما زال يكره الاستبداد وقد أصابه شره ففر الى مصر وكان فيها سيداً عن السياسة وأهلها وقد دعوا له أكثر من مرة للدخول في جمعية الشورى الثمانية فأبى وهو لا يخلو من غرارة وسذاجة فما هو والله بأهل للسياسة ولذلك يسقط من قلمه وينشر لفسيره ما يمكن ان يعده العدو شبهة على سوء قصده وما هو بالسيء القصد ، ومن ذلك انه كتب عن بلاغ شيخ الاسلام عبارة فهمها من بعض الناس تشتم بأن الدولة العثمانية ليست دولة خلافة فأخطأ بذلك واعترف بخطأه في اليوم الثاني واسكن الحكومة بادرت الى الحكم عليه بالجناية وبإبطال جريدته ومطبعته فقرأ ذلك مشري الفن في كل زمن على سائر الاحرار فوشوا بهم واتهموهم المتهمون الآن بالخلافة العربية الوهمية هم أخلص المخلصين للدولة والملة في الشام فمنهم أفضل العلماء كالليطار والقاسمي وأشهر الاحرار كعبد الرحمن بيك اليوسف وكرد علي ومنهم جمعية النهضة السورية وهم احداث لا يعرفون السياسة. فإذا كانت حكومة الدستور تهين أمثال هؤلاء باغراء الرجعيين مشري الفن أفلا تكون الحكومة الحميدية خيراً منها وأعدل اذ كانت تعلم انهم أعداؤها ولم ينلهم منها الا المراقبة وتفتيش السكتب؟ اعقلوا أيها الحكماء وقبصروا وأقيموا الدستور بالقسط والا كانت العاقبة خطراً على الدولة والامة وقد قال الرسول (ص) « اذا ابتغي الأمير الرية في الناس أفسددهم » رواه أبو داود

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا ومما يصدعكم إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و ه منارا ه كنفار الطريق ﴾

﴿ مصر - الجمعة سلخ شوال ١٣٢٧ - ١٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م ﴾

الصوفية والفقراء *

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وانهم أقسام والفقراء أقسام فما صفة كل قسم وما يجب عليه ويستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد قل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من أسماء النسب كالحارثي والمدني وأمثال ذلك فقيل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لو كان كذلك لقيل صُفِّي وقيل نسبة الى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك لقيل صَفِّي وقيل نسبة الى الصفوة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفوي وقيل نسبة الى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب اليهم النسب وهذا وان كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضا لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر الناس ولانه لو نسب الناسك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافا الى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الاسلام وقيل وهو المعروف انه نسبة الى لبس الصوف فانه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بين دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة

﴿ المناجى : تنشر هذه الفتوى ليعلم الذين يقلدون ابن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيمية كان ينكر على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها يعلمون ان الرجل يزن كل شيء بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح

والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية وقد روى ابو الشيخ الاصبهاني باسناده عن محمد بن سيرين انه بلغه ان قوما يفضلون لباس الصوف فقال ان قوما يتخيرون الصوف يقولون انهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدى نبينا أحب الينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاماً نحوه من هذا ولهذا غالب ما يحكي من المبالغة في هذا الباب انما هو من عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن اد في قاضي البصرة فانه قرأ في صلاة الفجر « فاذا قرئ في الناقور » فخرميتا وكقصة ابي جهمر الاعمى الذي قرأ عليه صالح المري فمات وكذلك غيره ممن روي انهم ماتوا باستماع قرائته وكان فيهم طوائف يصمقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلما ظهر ذلك انكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت ابي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لهم مأخذات منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعاً: يذكر عن محمد بن سيرين انه قال ما يثناو بين هؤلاء الذين يصمقون عند سماع القرآن ان يقرأ على أحدهم وهو على حائط فان خرف فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لانه رآه بدعة مخالفاً لما عرف من هدي الصحابة كما قل عن أسماء وابنها عبد الله والذي عليه جمهور العلماء ان الواحد من هؤلاء اذا كان مغلوباً عليه لم ينكر عليه وان كان حاله ثابتاً أكل منه ولهذا لما سئل الامام أحمد عن هذا فقال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان ففشي عليه ولو قدر أحد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد قل عن الشافعي انه أصابه ذلك وعلى بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه لكن الأحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجلت القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود كما قال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » وقال تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تabin جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال تعالى « اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبُكياً » وقال « واذا سمعوا ما نزل الى الرسول نرى أعينهم

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وقال « ويخروون للاذقان يكون ويزيدهم خشوعا » وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرين عليها والجلقاء عن الدين ما هو مذموم وقد فعلوا ومنهم من يظن ان حاله هذا كمال الاحوال وانما راعاها وكلا طرفي هذه الامور ذميم

بل المراتب ثلاث احداها حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسمع والذكر وهوؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء وان منها ما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن النقي الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه فهذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فيمن يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه المشق أو قتله أو جننه وكذلك في غير . ولا يكون هذا الا لمن ورد عليه أمر ضعف نفسه عن دفعه بمنزلة ما يرد على البدن من الاسباب التي تمرضه أو تقتله أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك فاذا كان لم يصدر منه تفریط ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للرية كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والنشأ ويحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فانه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فان السكران بلا تمييز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فانه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الأمور فهو كافر وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومنى إفاقة من به سكرات

وهذا مذموم لأن سببه محظور وقد يحصل بسبب سماع الأصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فإنه ليس للرجل أن يسمع من الأصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقله إذا زالة العقل محرم ومتى أفضى إليه سبب غير شرعي كان محرما وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمر فيبانوع من الإيمان فهي مضمورة بما يحصل منها من زوال العقل ولم يأذن لنا الله أن نمنع قلوبنا وأرواحنا من لذات الإيمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادقه لأحيلة له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لافضل للعبد فيه كسماع لم يقصده بهيج قاطنه ويحرك ساكنه ونحو ذلك وهذا لا ملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لأن العقل مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالغنى عليه والمجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخرق فهو مكلف حال زوال عقله ؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حاله نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي وأحمد وقيل يفرق بينه وبين الخمر لأن هذا يشتهي وهذا لا يشتهي ولهذا أوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن أحمد ومذهب أبي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنونا إما بسبب خلط يغلب عليه وإما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يعدون في النساك وقد يسمون المؤمنين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا غلب عقولهم لهم وأسقطوا بقى أحوالهم فلهذا سلب هذه الأحوال التي يفرق بها الفشى أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محمودا على ما فعله من الخير وما ناله من الإيمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الأسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله أو فعل ما يكرهه الله ولكن من لم يزل عقله مم أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله وأكل منه فهو أفضل منهم (هـ) وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

عليه وسلم فانه أسري به الى السماء وأراه الله ما أراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله
فحاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صعقا لما تجلى له ربه للجبل وحال
موسى حال جليته عليه فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكمل واعلا وافضل .
والمقصود ان هذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من
البصرة وذلك لشدة الخوف فالت الذي يذكره من خوف عتبة الغلام وعطاء
السلمي وامثالها امر عظيم ولا ريب ان حالهم اكمل وافضل ممن لم يكن عنده من
خشية الله ما قابليهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفا مقتصدا يدعو الى فعل
ما يحبه الله وترك ما يكره الله من غير هذه الزيادة فحاله اكمل وافضل من حال هؤلاء
وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان عطاء السلمي رضي الله عنه روئي
بعد موته فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لي يعطاء أما استحييت مني أن تخافني
كل هذا أما بلغتني غفور رحيم .

وكذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك
قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنه الرسول أمور
توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينقصونهم وربما أسرفوا في ذلك
وقوم يغالون فيهم ويجعلون هذا الطريق من اكمل الطرق وأعلاها والتحقيق انهم في
هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في
مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة
ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين
قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغالون في تعظيمهم ويجعلونهم اعلم بالفقه من
غيرهم وربما فضلوهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قد يفضلونهم على
الصحابة وهذا باب يفترق فيه الناس

والله اعلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى
الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وان افضل الطرق والسبل الى الله
ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم
ووسمهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا

أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وان كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والايمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد ان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم وينفروا لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا » قال الله تعالى قد فعلت . فمن جعل طريق احد من العلماء والفقهاء أو طريق احد من العباد والنسك افضل من طريق الصحابة فهو مخطيء ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما مميما مقتوتا فهو مخطيء ضال مبتدع .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم ايضا مجتهدون يصيبون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يحبه احب الرجل مطلقا واعرض عن سيئاته واذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقا واعرض عن حسناته محاط (١) وحال من يقول بالتحافظ (٢) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعده الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمده عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا .

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ماله فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى البسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق واحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفات من الكدر وامثلا من الفكر واستوى

عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان الماني، وترك الدعاوي، واشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي الى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الانبياء الصديقون كما قال الله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء أفضل من الصوفي لكن صوفي الحقيقة انواع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي جاهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأئمة فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة انهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول أكمل. منهم والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الانبياء وكلا طرفي قصد الأمور ذمهم والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله فقيم السابق السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المنتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد اتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فان أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الرحمن

السمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .
فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة اصناف
صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما
صوفية الارزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن
يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز واكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك
ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط احدها العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض
ويجتنبون المحارم والثاني التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب
الاقوات وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت اليها ، والثالث ان لا يكون احدهم
متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للعالم أو كان غير متخلق بالاخلاق الحمودة
ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم
المقصرون على النسبة فهمهم في اللباس والاداب الوضعية ونحو ذلك ف هؤلاء في الصوفية
بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث
يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن
المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للفتي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (؟)
والفقراء والفقراء انواع فمنه المسوغ لاخذ الزكاة وضده الفتي المانع المحرم لاخذ الزكاة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحمل الصدقة لفتي ولا تقوي مكتسب » والفتي
الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد وهو ملك النصاب
وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله
سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة في آية
والفقراء المستحقين للفتي في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعما هي
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » الى قوله - للفقراء المهاجرين الذين
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

رسوله من اهل القرى ... الآية الى قوله ... للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »
وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من افضل من كثير من
الاغنياء وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس ايما
افضل الفقير الصابر او الغني الشاكر والصحيح ان افضلها اتقاها فان استويا في
التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء
الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسنة ارجح من حسنات
فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسنة دون
حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقر في
اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل
هذا فيه فقر او ما فيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفي من
المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا
ايما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابى جعفر السهروردي
ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرة وربما يختص هؤلاء بالزوايا
وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق ان افضلها
اتقاها فان كان الصوفي اتقى الله كان افضل منه وهو ان يكون يعمل بما يحبه الله
وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير وان كان الفقير يعمل بما يحبه الله وأترك لما
لا يحبه كان افضل منه فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في
الدرجة ، واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او فقيرا
او علما او تاجرا او جنديا او صائغا او اميرا او حاكما او غير ذلك
قال الله تعالى « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الذين آمنوا
وكانوا يتقون » وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تعالى « من عادى لي وليا فقد بارزني بالحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل
ما قترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي أحبه فاذا أحبته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

بها، في يسمع وبي يصرو بي يطش وبي يمشي ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وكره مساءته ولا بد له منه» وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقصدين أصحاب اليمين المقربين والسابقين ، فالصنف الأول الذي تهربوا إلى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي تهربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكركم الله في غير موضع من كتابه كما قال « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » وكما قال الله تعالى « ان الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون » تعرف في وجوههم نضرة النعيم » يستقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » ومزاجه من نسيم عينا يشرب بها المقربون » قال ابن عباس يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً قال تعالى ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلاً » عينا فيها تسمى سلسبيلاً » وقال تعالى « وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون » وقال تعالى « فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين »

وهذا الجواب فيه جمل يحتاج الى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

﴿ الشيعة والمسلمون ﴾

سألنا عن قولنا في الباية انهم ليسوا من الشيعة ولا من المسلمين ألا يفيد هذا القول ان الشيعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ فقلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء النار وغيرهم من كون الشيعة مسلمين والقاعدة انه اذا قيل الخاص بالعام يراد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعثماني . فلما كانت الشيعة فرقة من المسلمين وتبين ان تكون طائفة الباية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان الباية ربما خرجت من مذهب الشيعة بخالفته في المسائل التي كان بها مذهبا خاصا فقط وجعوا على اصل عقائد الاسلام التي لا خلاف فيها بين الشيعة وغيرهم فبيننا ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقا

مكة المكرمة (١)

والجرائد العربية

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومرسكنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعه موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الاخلافة » على الأمم الاسلامية كلها نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا نتأثر من النذل الذي يلحق اخواننا في بخاري ؟ لماذا نظل فاقد الشموخ امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراکش ؟ ألم يكفنا أننا تسفلنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالتعلل بلفظ « لا بصير » و « ما يعني » ؟

ألم يكف باننا قد جعلنا تحت الأرض قيد النذل والاسر مئات الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟ هل نحن واقفون على الحالة السياسية والاضطحية الموجودة فيها إخواننا المسلمون في أستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخينا ومجاورينا الإيرانيين ؟ أو على الملم بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القريبيين ؟ أو سياسة المصريين ؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لترك هؤلاء أيضا ، هل تذرنا لا نقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلغار من الجهل الخقيم عليها منذ قرون ؟ أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما نمار له عقول ذوي العقول ؟ أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متسكتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الخيرة ؟

* مقال لخميد عالم افندي من كتاب الترتك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التي تصدر في الأستانة وقد نشر مترجما في مجلة الدراسات وأخصت جريدة المنيد وغنيا أخذنا

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العدا من لسان الاوداء ، لا من لسان الاعداء ، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللئيمة : « أي شيء رقاہ المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به ؟ »

هنا يتهاقت اخواتنا و بنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيملقون بأشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقى الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاهة الموجودة عندنا هي من الغرابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعاً للتمدن الأوربي الحالي ، ومصدرا للعالم الحاضر ، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم ؟ فما هذا التناقض !

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقى ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكن للملاء

نعم نحن نعترف بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لأصبحوا سخرية ، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نقى الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نقى الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوها ، بل خالفوا الشرع ونبدوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سيادة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم

والارتقاء استنادا على جهل بنيه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فإذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجهد بإزالة كرب ، فأننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى : ما جعل عليكم في الدين من حرج

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم الموعظة

والنصح ويطلبهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم بعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضا وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شئون اخوانهم الثائين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فإذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون ويتباحثون فيما

يعود عليهم بالنفع ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسرون عليها سعياء وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الألوف بإمام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما - الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين . الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في وطنه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشرب به « أحمد » في القرآن يشرب به « محمد » في القرآن . أياها القوم ! أليس من الأسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد أداء الصلوات الخمس فضلا عن أداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على انا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الحامع عملا لا لزوم له !

أياها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لانهم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكير به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقة ، كلنا نتمنى ان ترى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحى ، منيرة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن يا ترى لماذا لا تدرع بالوسائل التي تقوي العنصر الاصلى للاسلام « وهو العنصر العربى » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأى هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بإنشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعم

اللسان الفرنسوى بهذه الأوربيون اللسان الرسمى العمومى بينهم ، واللسان العربى بهذه المسلمون اللسان الرسمى الدينى العمومى بينهم - اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربى غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربى اجنبيا ؟ - وعليه فأى شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه

انا وايم الله لنأسف كل الاسف لانا لم نذرع حتى الآن بشي من هذا القيل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا لتحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان نقدها ؟ انه يوجد لهذه الغاية الشريعة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزاً وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الغراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين ان يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئاً ؟ انا مع الاسف لم نعمل شيئاً حتى الآن لكن مادامت غايقتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطوة هي احسن وسيلة للوصول الى ما نرعى اليه

وأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء تراهم بسبب رزية جهلهم وسيرة عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشا كل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم ما الذي صنعناه نحن ؟ انا الى الآن لم تقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل انا نحن الى الآن لم تقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحجاج حلالاً مباحاً طعماً بسلب ثلاث أو خمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركاً

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي يد ان الذي يجدي هو أن نجتد ونجتهد لكي نجعله ماضيا وبعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي اقول بكل صراحة انا اذا اردنا ان نهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة لان . . . الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية ونجعلها في عداد الدول القوية التي تأتي ان تغلب انما تنالها بتلك الارحاء يجب علينا ان نجعل لتلك الارحاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارحاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية يجب ان تُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارحاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا (المدارس) في تلك الارحاء

يجب ان توزع من تلك الارحاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم يجب ان نجعل تلك الارحاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه رأى الممالك الاسلامية ويعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة

يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشؤون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفا على النموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هدايتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة . يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمواني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم توجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز ديانتنا

اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا بانحاء مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

وبما يتخيل بعض الناس ان انحاء مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن ان المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم

والتوزيع ، لأن موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الأرض باب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبله المسلمين في جميع أرجاء الأرض وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، وإذا فكر أولياء الأمور وأولو الشأن وأرباب الأقاليم منا بهذه النقطة الدقيقة فلا شك في أنهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي نالها

ليس الواجب ان تشمل تلك الأرجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجربها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الفيورين المتفانين بأعلاء كلمة الدولة والامة؟ ليس من الواجب ان لا يحرم الحاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل ايها القوم ! علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

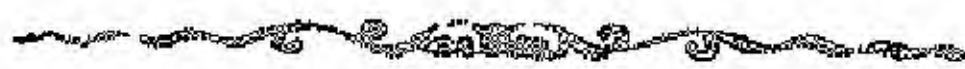
أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، واليرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والأتراك ، والاكراذ واللازيين ، والالبانيين ، والجزائريين - كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) تصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق ايها القوم ! ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم أجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تقدر بوجه من الوجوه ايها القوم ! لماذا التماس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة ونجعلهم متمدنين ؟ ألسنا من بني الانسان ؟

ايها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المفضية على صياخ آذاننا لنسمع بها كيف ان الامم تجدد وتجتهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها ايها القوم ! انا نسمم الذين يلقبون بلقب (لورد) او (موسيو) بأسفوف لوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الدل ؟ وما هذا الطار ؟ افلا

يجب علينا ان نحمد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)
ايها المسلمون ! يجب ان تقهروا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير
والسلام على من اتبع الهدى اه

(المنار) طرقتنا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي ،
في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في
ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام القيام بالاصلاح
المطلوب فاننا كنا على قلة ما نعلم من سيئات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن
مفترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون
فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل
إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المنفذون ، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال ،
الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لا ييجاد الرجال ؟



باب المناظرة والمراسلة

ايضاح وانتقاد

العلامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

(١٣ - السلام عليكم ورحمة الله) وبعد فقد اطلمت على جوابكم بالانار (صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضعيف مجالا في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده . وان خوفي من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجبني اختلس القليل من وقت راحتي لا اكتب ما اري ذمتي تطالبني ببيانته اجمالا مع اعترافي بالعجز وان كان فيما اكتب شيئا من السلطة فهاذا اقول « رب زدني علما » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابدي في بيان المقصود فاقول :

(١٤ - القسمة في الآخرة) ذكرت في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » فهذا لا يخالفكم فيه في شيء .

(١٥ - مساواة الناس في بدء الخلقة) قلم في صحيفة ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه » ففهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقيا وسعيدا وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سييدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم « انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ . . . وهذا ما يخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقهم متساوين (٩) لغرض واحد فلا شقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالأية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فحضر الغرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدء النشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحد في بدء الخلقة لا تميز بين انسان وآخر ولا وجود لشقي بينهم ولا سعيد ثالثا : قال تعالى : « واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » فهذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آبائهم كانوا مطبوعين على تأليه الخالق وتوحيده بلا شرك فدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن مما ثبت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداية على هذه الطهارة فكيف تقولون انه بدأهم قسمين ويعيدهم عليهما !

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الأصل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذا في بدء الخلقة تقسيم

(١٦ - سير الناس على نظام ذو (٩) وجهين) لعلمكم تتساءلون به ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لا شقيا ولا سعيدا فكيف ينقسمون في الآخرة اليها .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على الفطرة طاهرين وحمل لهم إرادته نظاما يسرون عليه بعد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين : طريق الخير وطريق الشر في آن واحد ولما كانت الطبيعة الانسانية متركبة بكيفية ثلاثم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحد فقط منها ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعاً لحرية

الإنسان واستقلاله كالأية « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فكان ذلك داعيا لاقسامهم أنفسهم مع ان الله تعالى لم يقسمهم من قبل ذلك . . . فوجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحدة وآخر في طريق الشر دفعة واحدة وثالث (١) ينتقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم أن يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فتقسيمهم في الأصل غير موجود بالمرّة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط و الفرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعلوم لله من قبل خلق الناس أجمعين

(١٧ — علم الله الأزلي وسير الناس في الطريق) ربما يقولون بما ذكرته آتفا انه مادام الناس غير منقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الأزلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم من هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل ما يحدث مهما كان من عمل الانسان الحر كان معلوما لله ازلا قبل وقوعه فعلا بصفة عامة لا تخصيص فيها لزيد من الناس وانه تعالى خلق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التناوب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة دائمة هو قائم على كل نفس بما كسبت « فالمراقبة هي أساس العلم بال تخصيص بأحد الطريقين أو المختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان تمام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ما يخص كل فرد لنفسه من أحدهما . مع كونهما وكل ما فيهما من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كما مر . وكل هذا بالبداية لا يزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية ما في الامر ان الله تعالى خلق الناس في الأصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لفرص هو : ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالأية « ان الله كان عليكم رقيبا » . ويؤيد ذلك ما يأتي

أولاً : ماذا كره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أو الامتحان لا اختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائياً على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كالأية : «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » قاله تعالى بصرح في القرآن بنفسه بانه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد ان يفتنه ويحجر به ويمتحنه ليعلم منه قوة الخيار للايمان والثبات عليه أو الزعزعة عنه بمطلق حرية الممنوحة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشاف فهو مردود لانه لا يوجد لله علم مكشوف لان المعلوم والموجود في علم الله سواء

ثانياً : قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها ووربك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة مما ليحور (١) إرادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضعيفة » ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » أمرها بسيط ولا تأثير منها ويمكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام - والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا لجعلها في ضمن الفتنة أو اللزوم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وان هذا العلم لا يكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لا يكون معنى للمراقبة التي مدلولها التأمل لا انتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (٢) جهتين متضادتين

ثالثاً : قال تعالى « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » فهو تعالى بصرح هنا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة بييت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لا يتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجهل شيئاً أو يعزب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ما خلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بهما ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكل

به الخلق الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعا ان لا يتبعوه (ص) بمطلق حريتهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيبهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يتبعوه . ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلاء . كلا بل هو علم تنقل ارادة كل منهم الى اي جهة برغب السبر بحريته في احد الطريقين المتضادين المعاوين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت أمام كل انسان حتى يمد الله بعد ذلك بجزاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » رابعا : ان خلق الناس متساوين (؟) في بدأ الخلقه وخروجهم الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . . فهل يعرف المنار ما هو هذا الحق ؟ هذا الحق هو منح المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله والسير في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدهما او كل منهما بالتناوب على عاتقه بما وهبه الله من عقل وشعور وإلهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصيران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورحمة اناس وتعذيب آخرين بالاستبداد والقوة دون غيرها مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشعر الواحد ويحس كما يشعر الآخر وهذا لم يعمل له ولن يعمل الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرمنا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقه ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لا كسبناهم بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناهم النجدين » لا طبقا

للمقسوم المحتوم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولما يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالايان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي . فهو لا يؤيد على الله الجهل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره . كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه للانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد . والمطلوب عليه هو تقييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله ازلا من كلا الطريقين . فاذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فعلا فقد كان هذا الواقع معلوما لله ازلا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة . ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع ما من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بحريته الاول وترك بحريته الثاني فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره يثبت لكم ان الله تعالى لم يخص من الازل اناسا للايمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع . كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم بنفسه اثبات عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم ولما كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحرية الذاتية إذ ان هذا هو الغرض الوحيد من الخلقة

(١٨ - تعلق العلم الالهي - علم الله بالواقع وبعضه في وقت واحد) قلتم في صحيفة (٥٤١ ج ٧ م ١٢) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا . . . وذلك محال »

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريد بها الله تعالى بحق كالأية : « انما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلا تعلق لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنها معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل غيرها تماما بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز المدم ولكنه ما زال معلوما لله تعالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هذا التعلق الذي تقصدونه معناه تحديد ما وقع فعلا مهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو الخلاف الذي بيني وبينكم في الغالب ومنه أيتم عدم فهمكم لكثير مما ذكرت آنفا (وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصلا لسقوط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوما لله تعالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحد وغاية ما في الامر ان الواقع تخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحد منها في وقت واحد وان هذا التخصص هو الذي كان يراقبه الخالق ليعلمه (راجع ١٧ علم الله الازلي وسير الناس في الطريقين) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معلوما من الازل بمن يؤمن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فما الداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بجهنم في الآخرة ؟ اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء . وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

تعالى أنه آمن إلا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى أنه كفر إلا في حال كفره . وإن حكم الواقع عند الله في العلم هو حكم المدوم سواء بلا فرق وإن كان ذلك يصحز عنه عقل الإنسان « ليس كئله شيء »

ثانيا : عثرت في الكتبخانة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه (مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢) يقول فيها ما يأتي : « لم يجبر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الإيمان ولا خلقهم مؤمناً ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً والإيمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً . فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه » فافتكر أن مدلول ذلك وإن كان مجعلاً ولم اطلع على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثا : ما يدلكم على أن علم الله تعالى بالنسبة للعمل الإنساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به وبضده في آن واحد بلا فرق - مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سيقولونها بأنفسهم بعد أن يبصروا كل شيء على حقيقته كالآية : « ولو ترى أذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » - فهذا يدل على أن الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكناً لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتى يكون الكفر بعيداً عنهم في المدم كما صار الإيمان الذي يتنموا (؟) أن لو ردوا إلى الحياة لا اعتنقوه (؟) ، ولا يخفى أن ذكر الله تعالى لمثل هذه الامثال لم يكن عبثاً ، بل لغرض أن نعلم أن علمه تعالى لم يكن معاقاً بالكفر الذي كفروه فعلاً وبعذبون لأجله في الآخرة ، لأن معنى التعاقب يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختبارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعاقب ، مع أن الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وإنما كان يعلم عنهم الإيمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفيتهما المتضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى علم منهم أنهم اختاروا الكفر بجهريتهم

بدل الإيمان نهائيا فجازاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حق أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طبعوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد ، وما ربك بظلام للعبيد »

رابعا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فإن العمل الذي عملوه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عذبهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي عملوه فيه حتى كان يمكنهم ان يجعلوا الذي عملوه في العدم والعدم مفعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن مطلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبمراقبة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتمام حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتعذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصر كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لاخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « وما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول يا ليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارحمني لعلي أعمل صالحا فماتركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك ونبع الرسل » الخ الخ

(١٩ - مثالان عن علم الله الازلي وعمل الانسان) أخشي ان تقولوا ان ما ذكرته معسلا (؟) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :
الاول : افرض يا صاحب المنار أنك أصبحت غنيا ومالكك لحل « ستين »

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عنده
 المليون من الاصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف
 عليه نمرة مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و ٣ و ٥ الخ الى المليون
 مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢ و ٤ و ٦ الخ
 بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المنار وقلت لأولهم ان لك
 في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١
 الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الاربعة رجال في المحل متستعين بحريتهم
 وأخذ كل منهم نمرة المقررة له منكم من قبل . فكذا تقولون أتم عن علم الله الأزلي
 بأزاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الاول نمرة من ١ الى
 ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل .
 وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولها الى
 آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الاربعة بأن لكل منهم
 عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمر محددة كما فعلت
 في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمرة الموجودة
 ويأخذ عشرةا منها كلها . فهل يمكنك بعد ان أدخلتهم في هذا المحل على هذا
 الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ما هي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو
 الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك
 الا بعد ان يضع كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غير شئ في النمر
 المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو اقصى شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فكذا اقول عن الخالق سبحانه انه اخرجنا في هذه الحياة على
 مثل هذا الفرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال ما يعجز
 عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى :
 « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض

جميعا « فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالى لذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهيتة في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم أولا لمن يختاره عرضا عن تعميمه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناء عن ارادة الله الذاتية في وضع الانسان على هذا النظام من الازل - وكل ذلك بالبداهة المتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (٩)

(٢٠ - ادوار الخلقة الانسانية أمام العلم الالهي) ينقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويتبدأ من بدء الكون الى وقت الولادة . وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة - والدور الثالث الاخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

فاذا فرضنا ان الاخرة تجسمت امامنا ونظرنا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص (ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير . فاقول ان كلامهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد في علم الله الازلي ان (ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلام (ج) و (س) شخص طاهر مكرم لا شقاء له ولا معاناة الا بعد ان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيما بحريته على نظام ذو (٩) وجهين متضادين فيهما السعادة والشقاء يراقبه الله تعالى عند اختيار واحد منهما فيعلم له تعالى وقتها من فعل (ج) انه سيكون في الاخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الاخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا وبه صار سعيدا في الاخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير مع (ج) فيه جنبا الى جنب وان

يجتمعان في الآخرة في الجنة . وبالعكس فإن الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بحريته وبه صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا أيضا في الوقت نفسه امام (ج) في الدنيا وإن الأخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وإن يكون معه جنبا إلى جنب حتى يجتمعا (٤) معا في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الآله الأزل

(٢١ — الله أول ملك دستوري في العالم) . قال تعالى في الكتاب العزيز: «قل أعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس» فصرح تعالى في هذه الآية أنه ملك الناس وألهمهم . وهنا أسأل صاحب المنار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الانساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة ؟ . فإذا كانت نوع الحكومة الالهية مجهولة لصاحب المنار فاني أقول له انها هي الحكومة التي تمسكها وتتلطف على وجودها الآن جميع الامم ويسفكون لاجلها دماءهم واموالهم للحصول عليها الا وهي «الحكومة الدستورية» فإن الله تعالى يحكمنا بالدستور الأزل لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قدرته واوسم علمه لم يشأ أن يحكم الناس الأحكاما دستوريا عادلا لتعلم من ذلك وما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما يجعله اساسا في اعمالنا واحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل ونحبي الامم على أساس رصين وكفى الانسان شرفا ان يكون هو الوحيد خليفة الله في الارض ليعمل في حكمه كعمل الله كالأية «إني جاعل في الأرض خليفة»

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء علماتا ما كان هو وحده الذي اسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لمداته كل مخلوق في الارض والسماء اوقياحا تاما لانه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه «كتب على نفسه الرحمة» وكان الأساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات «الحرية» الكاملة بعد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وانه تعالى لا يمس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فعلت تلك المخلوقات من صالح او اساءة الا أن يمدّها بجزاء ما تفعل بالرغم عنها جزاء عادلا ليس الا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لتقلب الطبيعة الإنسانية «وما تجزون الا ما كنتم تعملون» وبمقتضاء

صار « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » ولهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب في هذا القانون « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها (اي خلقها) ان ذلك على الله يسير » وبه يصيبنا في الحياة الدنيا والآخرة بجزاء الخير أو الشر طبقا لأعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما في حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا وكذا . فطبعا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلا استثناء وما على الحكومة الا ان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد من تكبنا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى (؟) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم فقد كتب قانونا لجازاتهم بالخير أو الشر في الحياتين بما لا ارتكابهم خطأ أو عملهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقيقا على كل نفس لتنفيذه « ان الله كان عليكم رقيبا »

(٢٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب المنار في القسمة) صاحب المنار يفهم من المثال الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص (ج) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ماسنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا . وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بسنتين عديدة : ولما وقعت منه السرقة قال ان ما حصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم . وبمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول يا صاحب المنار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء . ولكن ليس كما تزعم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ما يناسب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا للشخص معلوم . وانها لا تعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

في هذا اليوم ولا تعلم انه سيأخذ هذا الجزاء . لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة . بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخيث والطيب بحريتها . وان القانون مذکور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه . وأمام ذلك الجزاء على كل نوع منها وليس على الحكومة الا مراقبة الرعية لتنفيذ ما هو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جنابة السرقة وكانت تنطبق على المادة ۳۵ تجازى (۹) بمنطوقها ايضا وبالعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافاة بها . وبديهي المعلوم ان الفرق بين القصدين كالفرق بين السماء والارض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد . ولكن صاحب المنار يقول في (صحيفة ۵۴۳) «لست قادرا على تصور فهمه للمسألة ولا فهم وجه الاشكال التي كانت به اقبل ادواء المسلمين عنده فاحل له ما أحكم من المقدر في خياله » فاذا كان صاحب المنار الآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الآن الفرق بين المقالين السابقين وليعلم مما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجه الحق : فان الحق والباطل لا يجتمعان « ان الباطل كان زهوقا »

(۲۳ - لاقسمه معينة لشخص معين في الاول) يقول صاحب المنار صحيفة ۵۴۵ : أما علم الله تعالى فهو قديم بقدمه ازلي بأزليته - فالقسمه فيه أزليه أيضا وأقول : أما علم الله تعالى بكل ما كان وما سيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمه الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الازلي وذاك بالذات سعيد أولا أمر لم يفهمه الخالق ويبرأ منه القرآن . نعم نظام الشقاء الانساني أو السعادة الانسانية معلوم لله تعالى أولا ولكن هذا النظام سينفذ على بني الانسان الذين أوادهم الخالق أولا ان يكونوا خلفاء في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المعلومه له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحرية والبعض سيكون به سعيدا بحريته أيضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل العالمين « وما ربتك بظلام للعبيد »

قال تعالى : « يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم » فهذه الآية الكريمة تؤيد ان خيرا لله تعالى المطلوب أعطاه لهؤلاء الأسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الآية من قلوبهم هو عدم الخير أو ضعف الإيمان به أو الكفر فاذا غيروا بحريتهم التي لا يحسبها الخالق في هذه الحياة الى خير أو إيمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بخير احسن مما أخذ منهم وقت الحرب من مال أو أبناء وان علم الله تعالى بخير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتمام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كآلية « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وهذا دليل كاف على ان الله تعالى ينفذ جزاءه أو قسمته طبقا لارادتنا الحرة في اختيار نوع من الاعمال وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غيرهما كالأبواب بل الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء وانما قال تعالى « وان عدتم عدنا » فان قول الله تعالى للكافرين « وان عدتم » دليل على عدم الممانعة لهم من الله في الاعادة لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى : « عدنا » أي عدنا بعد ذلك بالانتقام بما لما سقموا (١) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التعميم اليبين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابة شيء مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لاحد من الناس في الازل وبمثل ذلك قوله تعالى : « وان تعودوا عدنا » وهذا يشبه بلا تمثيل الى ان شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثلا من قانون العقوبات فكما يرتكب جريمة تناسب هذه المادة عاقبه الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجريمة اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا يقول الله تعالى : « وان تعودوا عدنا » أي ان تعودوا لفعلكم الذي به تجازيتم (٢) بمقتضى القانون الإلهي - بعد مثل هذا الجزاء عليكم (٣) - بالثاني - فأنتم أحرار فيما تفعلون . فبذلك وبغيره قلنا « ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم » لشحن القرآن الحكيم من أمثال هذه الآيات الواضحة كآلية : « فمن

أظلم ممن اقترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب «
أي ان كل من يكذب على الله من بني الانسان يناله الجزاء المناسب لكذبه مما في
الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، وبالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة
الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في العلم الاولي بل
النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم

كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفلسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم
من سؤاله عن القضاء والقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى
سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده ان الله تعالى لا يعلم ما يكون من
أعمال عباده الا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان
هو الذي يريد من كلامه السابق فقصرت عبارته عن بيانه أم حمله الخرص على
الآتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد ان سدونا في وجهه
باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لئلا يتشعب الكلام ويطول بل
أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالايجاز فقره لم يفهم مرادي
منها وبنى على فهمه خلافا طلق محتج لرأيه فيه بالآيات وغير الآيات. تلك الفقرة
هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه »
ففهم من هذا انني أعني بهذا انه تعالى خالق كل فرد من أفراد البشر إما شقيا غير
مستعد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيدا وإما سعيدا مطبوعا على الخير في
أصل فطرته لا يستطيع غيره هذا رأي يمكن لمن يقول به ان يستدل عليه بالمشاهدة

وبعض النصوص كما يمكن لمعارضه ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عنيته ذلك
الفقرة بل عنيت بها حال جميع البشر (لا كل فرد منهم) في الحياة الدنيا من أولها
الى آخرها وحالهم في الحياة الآخرة وهما الحالان اللتان يهبر عنهما علماءنا بالمبدأ
والمعاد . وقد قال تعالى (٧ : ٣٠) كما بدأكم تعودون . فريقا هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة) فهذا ما أعنيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على
أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا والله الحمد

ان الضابط أحمد أفندي بدوي النقاش يريد أن يثبت ان الانسان خلق حرا
مختارا مستقلا في أعماله تمام الاستقلال وانه مالك لا سبب سعادته وشقائه ملكا تاما
وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للمخلق
فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعله بها تعلق الا ان الله تعالى يعلم ما عمل
الانسان بعد وقوعه . وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر الملمين ولا غير
الملمين . بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية
من الملمين كما بينا ذلك من قبل

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد وإلزام
وإجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته الغربية فما الذي حمله على
إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بابتلاء الله الناس
وتعليه ذلك بقوله « لنعلم » وقوله « ليعلم » (هـ) وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما
يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه
للغيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المينة لبعض تلك الأعمال
قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعالم الغيب والشهادة في الأنعام والتوبة والرعد والمؤمنين والم
السجدة والحشر والتفابن ، ووصف بعلم الغيب فقط في سور أخرى ، فبأي سلطان
يتحكم أحمد أفندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أعمال الناس وهو تعالى

يقول (٢ : ٢٥٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي يعلم ما يكون أمامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لأنه هو واهب العلم للإنسان وواهب كل شيء يتمتع به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠ : ١١٠) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحمد بدوي به علما فحدد ما يتعلق به علمه وما لا يتعلق به ؟ ؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عز وجل (٢ : ١٤٢) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم (وقد صدق الله فقالوا ذلك) وقوله (٦ : ١٤٨) سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الآية وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١١) سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم (وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١٥) سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى منازمنا لنأخذوها ذرونا تبكم يريدون ان يدلوا بكلام الله قل لن تبهرنا كذلك قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدونا ، بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ، وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما أخبر تعالى أنهم يريدونه

ومن أخباره جل جلاله بأعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسع كل شيء علمه بعد الآية الأخيرة التي ذكرناها آتفا من سورة الفتح (قل للمخلفين من الأعراب استدعوني إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨ : ٢٧) لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محققين رؤوسكم ومتصرين لا تخافون) الآية وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله (٣٠) ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ، الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز * وعد الله لا يخاف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقد

صدق خبر الله تعالى ووعدده في الموضعين فقلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله إياهم على المشركين كما هو مبين في محله . ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا ويحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها وأعماله قبل ولادته ، ومن أخباره تعالى شأنه بأعمال الناس وأقوالهم في الآخرة قوله (٧ : ٣٨) قال ادخلوا في أم قد خلعت من قبلكم من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة لغت اختها ، حتى إذا أذكوا فيها جميعا قالت أولاهم لأخراهم ربنا هؤلاء أضلونا) إلى الآية ٥٠ منها وليتدبر أحمد أفندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك (٥١) ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، ومن قبيل آيات سورة الأعراف في تهاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله (٣٧ : ٢٧) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار أهل الجنة بينهم ثم اطلاعهم على أهل النار ومخاطبتهم إياهم (٥٠) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أثنتك لمن المصدقين) الخ الآيات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التهاور في الآخرة بين النافقين والمؤمنين

أفسيست ايها المنكر لعلم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الآيات كلها أم تجد لها تفسيراً برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرقت غيرها بسوء الفهم لا بسوء القصد كما هو الظن فيك ، ولولا ما نشر فإرسائتك ، وما طعمنا في هدايتك ، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تغتر بعد برأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زلت لا تتفق مع الإيمان الصحيح الذي يعتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمناً بالقرآن متأولاً له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في رجوعك إلى الحق ، اذا كنت غير مغرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الأخبار بعدم إيمان الناس مخصوصين كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمانهم والجمعة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يختم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للإيمان والحق والخير . ومن ذلك قوله تعالى (٢ : ٦) ان

الذین کفروا سواء علیہم أنذرتہم أم لم تنذرہم لا یؤمنون ۷ ختم اللہ علی قلوبہم)
الخ وقولہ (۱۸ : ۵۷ وجعلنا علی قلوبہم اکنسۃ ان یفقہوہ وفي آذانہم وقرا ، وان
تدعہم الی الہدی فلن یہتدوا اذا ابدا)

ولو شئنا لاتقلنا من هنا الی موضوع تکثرفہ الآیات الناقضۃ لمذہبہ فی
الاستقلال التام والحریۃ المطلقة التامۃ للبشر فی افعالہم کاستاد اعمالہم الیہ تعالی
وتقید مشیتہم بمشیئہ فہنا : (سأصرف عن آياتی الذین یتکبرون فی الارض بغير
الحق — ولكن کرہ اللہ انبماہم فبطہم وقبل اعدوا مع القاعدین — یضل بہ كثيرا
ویہدی بہ كثيرا — فلم تقتلوہم ولكن اللہ قتلہم ، وما رمیت اذ رمیت ولكن اللہ
رمى — وأضله اللہ علی علم — سنستدرجہم من حیث لا یعلمون * وأملی لهم ان یدي
متین — وما نشاؤون الا ان یشاء اللہ — قل کل من عند اللہ — ولو شاء اللہ ما اقتلوا
ولو شاء اللہ لجعلکم أمة واحدة — ولو شاء اللہ لجمہم علی الہدی — ولو شاء ربک
لأمن من فی الارض کلہم — ولو شاء اللہ لهداکم اجمعین — ولو شئنا لآتینا کل
نفس ہدایا — قل لا املک لنفسی ضرا ولا نفعا الا ما شاء اللہ — یرید اللہ ان لا
یجعل لهم حظا فی الآخرة — ومن یرد اللہ فتنہ فلن تمک له من اللہ شیئا — فمن
یرد اللہ ان یریدہ یشرح صدرہ للإسلام ومن یرد ان یضله یجعل صدرہ ضيقا حرجا
— وان یمسک اللہ بضر فلا کاشف له الا ہو ، وان یردک بغير فلا راد لفضله —
لیس علیک ہدایم ولكن اللہ یرہدی من یشاء — واللہ لا یرہدی القوم الظالمین —
واللہ لا یرہدی القوم الفاسقین)

وامثال ذلک کثیر وما کنا نحب ان نشیر الیہ فی موضع لا یتسع لابطال ما
فہمہ الجبریۃ منہ علی انا قد بینا ذلک فی التفسیر وفي مواضع أخرى لا یمکن لاحد
افندی بدوی ان یردنی عما ذہبنا الیہ فی تفسیرہا وهو ان مشیئة اللہ تعالی و ارادته
جاریۃ علی سنن حکیمۃ هو الذی وضعہا لنظام العالم ومنہا ان للانسان علما بما یفعل
وارادۃ ترجیح بمض الاعمال المکنۃ المستطاعۃ لہ علی بعض واستقلالاً ما فی عملہ
الاختیاری ای الذی یعملہ

وجملة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين وبين اعتقاد احمد افندي بدوي اننا نحن نوؤمن بان الله تعالى عالم الفيب والشهادة يعلم ما يعمل عباد قبل ان يعملوه وبعد ان يعملوه لا يتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ما سوف يجازي به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه وبعده بلا فرق ، وان الجزاء على الاعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح ونزكيتها للنفوس او تدسيستها لها كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفذ فيه مشيئته بحسب علمه ، وان هذا كله لا ينافي ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تمام الاستقلال ليس لله عليه سلطان في افعاله وانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل ولكنهم بعد ان يعملوا يطالع على عملهم فيجازيهم عليه . . . هذا ما يريد ان يصالح به هذا الجندي دين المسلمين " هذا هو التحقيق الذي فاق به الاولين والآخرين ، وما هو الا ضلال مبين ، فمضى ان يرجع عنه ولو بعد حين



تقریظ المطبوعات الجديدة

❦ غاية الاماني ، في الرد على النبهاني ❦

كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الاعلام المكنى بأبي المهدي الحسيني السلامي الشافعي . رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقاربة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية . بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الاطالة فيه من تكذيب ما عزي الى ابن تيمية كذباً وبهتاناً من الأقوال الباطلة وما عزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه انفراد به وهو لم يفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء التي تنفذ أقوال المعارضين الكاذبين والجاهلين تفصيلاً ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقاً

وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرها

فلي هذا الكتاب بحبل الذين يكتبون لنا من الشرق والغرب يسألونا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بطله ولا بنقله » هو من قبيل السب . وحاش لله ما هو إلا ما نفتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورواية ما فيها من الاحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلاً له

وقد فرط هذا الكتاب طائفة من العلماء تقارب حظ حسنة فكانهم كلهم ردوا على
النبهاني ما جمعه كحاطب ليل . وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه
كثير من غلط الطبع فجمع في جدول في آخره فينبغي لمن يقرأه ان يراجعه ويصحح
الكتاب عليه قبل القراءة . وهو يطلب من الشيخ أحمد رزق بشارع الفقهاء بمصر
وثمنه خمسة وعشرون قرشا

في اعلام الموقعين . وحادي الارواح ﴿

سبق لنا التنويه بكتاب (اعلام الموقعين) والتقل عنه فأكثر قراء المار
يعرفون قيمته ويعلمون انه لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل
الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كيان الرأي الصحيح والفساد والقياس
الصحيح والفساد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها
عالم من علماء الاسلام .

واما « حادي الارواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للامام أبي عبد الله
محمد بن القيم صاحب اعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار
السلف في الجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوال في
ميدان البيان ، بما يعجز عن مثله فرسان هذا الشأن ، وقد طبع الكتابان معا بحرف
جميل في مطبعة النيل بمصر في ثلاثة مجلدات

في الاجوبة المرضية ﴿

« عما أورد كمال الدين بن ابي عمير عن السنداءين بثبوت » ثمة المغرب القبلية »

كتاب صفحته ٣٦ وإذا كان بعد صغرها في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل
يقال بادي الرأي انه أكبر من المسألة التي وضع ليانها وهي سنية ركتين قبل
فريضة المغرب ، وربما يظن الذكي الذي لم يقرأه انه كثير من الكتب التي وضعت
ليبان شيء لا يسمع القول فيه فأكثر واضموها من الاستطرادات والمباحث التي

ليست من الموضوع في شيء ليرضي أحدهم هوامه و يظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هذا الكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القبلية ثابتة في الصحيحين ، فلا ينبغي ان يكتب فيها أكثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان ينفق إسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يبالي أصبح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطعم على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لما اطاعت في تقريره وتقريبه الاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته فهو كالمعول الصغير يهدم به البناء الكبير . هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أكثر الناس وهم الذين يقولون إن علماءنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعالم ديننا فيجب ان نأخذه منهم لامن كتب المقدسة لاننا لا يمكن ان نفهمها كما فهموها . هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاله المسلمون الذين امتاز كتبهم المنزل بابطال التقليد ودم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ربنا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيها ولا ان نفهم شيئا منها بل يجوز لنا ذلك ويقول لهم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيخوا حقا من النظر فيها وان يكون اصل اهتدائكم بها وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عوننا لكم على ذلك فلا يسمعون دوما اضيع البرهان عند المقلد وقد يزيد طالب العلم منهم جهودا وتصابا ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال والترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطالع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيقيه بذلك عجباً ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل تقاريره نموذجاً من ذلك

الكامل ابن الهمام أعلم الحنفية في عصره ولم يجيء بعده مثله بل يقل وجود مثله
 فيمن تقدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير
 هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبخنا في الحديث وتخريجا له ولكنه لما
 كان يحثه واستدلالة لا اجل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق
 مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطا في الاستدلال فاذا
 فحص العالم المستقل ادله التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى
 الكثير منها خلافة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة
 المغرب القبلية فان الكامل عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في
 احد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة
 الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا يتقضا ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى
 انك تعد من خطاه فيه العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صفه يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا
 يستغنون بكتب فقهاء المذاهب مهما جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ
 في الحديث وعلومه ، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى
 الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب
 على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المنقطع في دمشق الشام للتأليف
 وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل
 والأعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا
 كله ينهمه الحشوية والمفسدون في الارض بأنه مشغل بتأسيس مملكة عربية ويفرون
 به الحكومة الدستورية كما كانوا يفرون به الحكومة الحميدية فله ان يقول :

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في ثمود

* * *

الحرية في الإسلام

أتمنى الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامعي الزيتونة الأعظم

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية
بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم
الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية
في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختمها بالكلام في آثار الاستبداد

طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلغت صفحاتها ٩٤ صفحة وتفضل صاحبها
باهداثنا نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا تقريرها راجين ان نجد
وقتا نطالعها فيه ولما لم نجد ، فرأينا ان ننوه بها الآن تنويها اجماليا وسنقل في جزء آخر
نموذجاً منها

ومن وجوه العبرة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية
حتى في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء
الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي ألقى فيه مسامرته
قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع
من حرية عمال الحكومة المصرية المتنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة
ولو من الوجهة الدينية . او ان فرنسا اوسع صدرا من انكلترا في ذلك

﴿ شرح المملكات للزوزني ﴾

المملكات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة وقائدها اطلاب ملكة
الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لها هو عمدة المتأدين في فهمها
وقد طبع اكثر من مرة ولعل أحسن طباعته هي الطبعة الاخيرة بمطبعة دار الكتب
المصرية بمصر فهي تفضل غيرها بممارسة المملكات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ
محمد محمود الشقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر (رحمه الله تعالى) وبأبيات
الأبيات الزائدة على ما في شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشقيطي وبضبط
الأبيات بالشكل ، وبضم مملكتين أخريين اليها احدها النابغة الذبياني والثانية لأعشى
بكر وائل وقصيدتي النابغة الداليتين الشهيرتين اللتين يصف في احدهما المتجردة

زوج النعمان بن المنذر ، وبعث في الأخرى له مما بلغه من العناية فيه . و يطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الحلبي وأخوته بمصر

﴿ الوطن — أو — المستتره ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الأحرار السياسيين فيهم وامام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها ناطق كال بك (روح) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن بغالب العشق فيغلبه ، ويصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في أعماق النفس ، والهوى المستتر في زوايا القلب ، حتى تكاد تكون هذه المعاني الروحية ، أشباحاً حرة ، ولكنه يسرف في ذلك أحياناً فلا يراعي فيه ما تهد مثله الطباع وتعرف طعمه الأذواق فينتبه الذهن إلى كونه خيالاً لا حقيقة ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوروبا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجوراً عليها في عهد الحكومة الحميدية ، كسائر آثار مؤلفيها ، وجميع ما ينه الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرمه الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادر الأحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، ترجمها بالعربية الشيخ محي الدين الخياط وأجدر بمثله أن يحسن ترجمة مثاليها ، ويجعل فرعها وارثاً لمحاسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناشيد والقصائد من نظمه فزاد ذلك في مناسها وحجمها ، وطبعها سليم أفندي هاشم وكال أفندي بكداش وهي تطالب من المكتبة الأهلية ببيروت ومكتبة هندية والمليجي بمصر

﴿ المجلات والجرائد ﴾

(النبراس) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلايني وهي تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشر بها دستوري إصلاحية ومنشئها من تلاميذ الأستاذ الإمام كان على عهد مجاورا في الأزهر يواظب على دروسه وهو ممتلي غيرة وإخلاصاً وقد اشتهر اسمه في بيروت في أثناء اعلان

الدستور بما كان يلقبه من الخطب في المجالس . وهو مؤلف كتاب (الاسلام روح المدنية) الذي رد فيه على (لورد كرومر) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبل اعلان الدستور وفيه نقول من كلام الأستاذ الامام معزو اليه بعضها بالتصريح ونقول أخرى عن المنار (كما أشرنا الى ذلك في تقريره) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين . فمجلة النبراس جديرة بتعظيم المحي بالاصلاح ومساعدة النابتة الصالحة التي يرجي بنجاحها نجاح البلاد . وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشاً لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ما عدا الولايات العثمانية فالقيمة لأهلها ريال مجيدي وربع

* * *

(المفيد) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العربي وهو من خيرة النابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الفيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لها وحسبك انه كان على حداثة سنه من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسناها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور . فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب النبراس أحداً من نابتة الديار السورية في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الأمة بعد كوننا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بك العظم وقد ظهرت مزايانا جريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصددها في انتقاد الوالي قبلاً ادهم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعها لأصحاب النزعات الجنسية من الترك الذين يهضمون حقوق الأمة العربية وتبنيها اهالي البلاد العربية التي انشئت بلسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير حق ولا مراعاة ولا مداواة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقبس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد تستطيع حمل اثقال الغلو في انتقاد الحكام فنصح لصديقنا ورفيقنا الجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام نقده دائماً الى الاعمال لا الى العمال ،

ثم اذكره بان بقي في تنبيه الأمة العربية وارشادها عصبية الجنس التي ينهى

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان ثبت بثرها بعض الاغرار من الترك والاشرار من سائر الاقوام ، بل يجب احياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة النصارى العربى وحده ، ولكن دعوتنا الى احيائها وقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من فئات اقلهم في جرائدهم ومجلاتهم ما لم نزل لجرائدنا ومجلاتنا خيرا منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجم الى مجلة « صراط مستقيم » تجددها في ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنهى صاحب « المنيد » عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيعزز جنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتبع عوارهم ، ويقلل أظفارهم ، ويترجم ما يكتبون في ذلك ويحذرهم من مقبته ، وإغرائه كل عنصر بتعزيز عصبية

وقبة الاشتراك فيها اربعة رياالات في بيروت وابرة عثمانية في سائر الجهات

(الرقيب) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية والتركية صاحبها ومديرها عبداللطيف افندي ثنيان (وكيل مجلة المنار) ويهجنهما ان أكثر ما يكتب فيها هو في انتقاد ما ينتقد على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من الإصلاح . وفي يدنا الآن العدد ٥٥ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو مفتتح بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد للصدارة ونظائري الحرية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس . وسنشره في باب الاخبار . ويليه نقل ما روي عن طلعت بك فاطر الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الأمن وراحة الاهالي وكتابته الى الولاة بذلك . والتعقيب على هذا الخبر بعلم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج . قيمة الاشتراك فيها مدة سنة يصدر فيها مئة عدد ٣٠ قرشا لاهل بغداد و٣٥ لساير الولايات العثمانية و٢٧ رويات لاهل خليج فارس والهند و ١١ فرنكا لساير الممالك

باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جعل ناظم باشا الشير واليا على بيروت بعد طوع فخر الدستور وكانت الولاية لانزال سكري بخمرة الاقلاب ، وأهلها من احتقار الحكومة والافتيات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مداراة للأهالي حتي كان نفوذ كثير من البحارة والجمالين (الشياطين) في بيروت أقوى من نفوذه ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فقلطنا في الاشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فيما ليس من شأنهم ، لا يقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعنت بما هو أول واجب عليها من حفظ الامن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستقلال يشبه الاستبداد حتي يكون الاهالي معه كمن ورد فيهم انهم يقادون الى الجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تهودهم اليها الزاما لا محيص عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في الإدارة على ما تعود ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بثقل مسؤولية الدستور من حيث شعرا كثر الاهالي بضد ذلك وظنوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة . فكان حفظ الامن وإضاعته في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ (الأفضايات) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على ما فيها من الخطر حافظة للامن العام ثم نقل ناظم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها . وسيجي ذكره . وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسى ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسنشير اليها

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بيك وهو رجل قلم وفكر ، لارجل اداة وعمل ،
 بارد المزاج لا يبالي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهتمه ما وقع فيها وإنما يرى كل
 الواجب عليه ان ينظر في الأوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي
 كان يتعلمه ، اذ لم يكن من قبل يعلمه ، وقد بينا في المار من قبل اننا نصحناله بأن
 يعيد نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف اقيمت عصائب المرام عند حذره ، ويعني
 بحفظ الأمن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لا يمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصالح
 حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنفذه في جميع الولايات ،
 ولم يكن يعقل معنى قولنا ان ذلك في استطاعة كل حاكم وانه لا يفتقر فيه الى إصلاح
 القوانين ولا تجديد النظام وإنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ
 الحاكم الحاكم ، وبيننا أيضا اننا نصحناله بمثل ذلك لتصرف طرابلس جواد بيك وانه
 كان يجيبنا بمثل ما أجابنا أدهم بيك الوالي لان كلا منهما من أصحاب النظر لامن
 أصحاب العمل ولكن المتصرف كان يحيل على الوالي كما يحيل الوالي على الاستانة
 ظهر بعد ذلك صدق ما قلناه لما أولهم فقد ولي قيادة الشرطة ببيروت أمير الألاي
 نجيب بيك فقل عصائب المقاتلين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص
 في الليل والنهار وقبض على من لم يفر ويغادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع
 الاشقياء فحرف الاهالي ما لم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خير
 عون له على هذا نافذ بيك رئيس الشحنة (مدير البوليس)

وولي متصرفية طرابلس الامير أمين ارسلان فعني في أول الامر بحفظ الأمن
 فقيسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متعسرا بل مستحيلا من
 منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء والقبض على كثير
 من المحكوم عليهم منهم وإقائهم في السجون ثم فترت همته في آخر العهد وقبل انه
 صار يقبل شفاعة بعض الوجهاء أو المتسبين الى بعض الجماعات ولعله لا يدري انهم
 انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء النصوص وسالبي الأمن ، وقد انتخب مبعوثا
 عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر ، فهل يصبر الولاة والمتصرفون ورؤساء الشرطة
 والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب ونافذ وأمين في حفظ الأمن واحترام الحكومة ؟

دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا وله اضعف ولاية الدولة عقلا وفهما وأسوأهم ادارة وأقلهم حزما ، ناهيك بسوء تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آفة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية ، وإعادة العبودية الحميدية ، وقد اشرنا الى ذلك في سياق رحلتنا السورية في منار العام الماضي فلا نعيد وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة

ثم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية (ولقان) الافسادية التي أطلقوا عليها اسم «الجمعية الحميدية» ثمومها وخذاعا لعوام المسلمين . نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانها من الوجهاء ، ولولم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاستانة بتلك السرعة التي أدهشت العالم لظهرت الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها ولقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون بإبطال الدستور وإعادة الساطة الحميدية ، باسم الشريعة الحميدية ، على حين لم يتخذل الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبد الحميد لاسقى الله عوده ، ولا أرى المسلمين مثله بعده

حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشؤمة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وان ضلعه مع الفاتنين الذين أثاروها وهذه الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولا بمشايمة جمعية (ولقان) وكتب الى الاستانة ان كان كرد علي ارتجاعيا فانا ارتجاعى فكيف يتهمه بهذه الشهادة بالارتجاع ، وشاع أيضا ان حسين عوفي بك مدير المعارف بالشام قدم هذه الفتنة في الاستانة تمهيدا قربها به من تصور الحكومة ، وان السبب في ذلك حملات المقيس الشديدة في الانتقاد عليه و بيان ما في ادارته من الخلل والتقصير .

ويغاب على ظني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لتلافي الفتنة ولا تخذ من مخالبيها مثل الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف

لأنه يعرف من اخلاص هؤلاء للحكومة الدستورية ما لا يعرفه غيره ويعرف ما كان يكيد اأكابر المجرمين ودعاة الفتنة من اتباع أبي الهدى وغيره للشينخين السطار والقاسمي في عهد الحكومة الحيدية وانهم يكيدون لها الآن بمثل ذلك ويريدون ان يمحوا الحكومة الدستورية كالحيدية آلة لفوذهم والانتقام ممن يفضون من الاخيار والاحرار ومحبي الاصلاح . ناظم باشا يعرف هذا كله وكم منع أمثال هذه الفتن والشروع في زمن الاستبداد وهو قادر الآن على مساعدة الأبرياء كالشينخين وعبد الرحمن اليوسف وان لم يكن واليا فقله مقبول عند الوالي الذي خلفه وفي الامانة أما كرد علي فقد اخطأ خطأ لا يبرئه منه أحد بل رأينا اأصدق اأصدقائه بلومه فالحكومة أجدر بلومه على ما كسب وان كان بسوء فهم لا بسوء قصد ولكن ليس من العدل أن يجعل الرجل جانبا خارجا على الدولة هادما للقانون الأساسي الناطق بأن سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين

لو كان هذا الأمر مقصودا لصاحب القلم كتب ليدعو اليه لما أسنده إلى بلاغ شيخ الاسلام ، الذي أرسل ليطالع عليه انطام والعام ، وهو نفسه يمتني لو يسبق جميع الجرائد السورية الى نشره في جريدته . فن البديهي الذي لا يلاري فيه عاقل منصف ان نشر تلك الفقرة قد كان زلة قلم ، لا زلة قدم ، وكثيرا ما تزل أقلام الكاتين لكلام الله وكلام رسوله ، وآية ذلك انهم إذا نبهوا أو تبهوا الى خطأهم يادرون الى إصلاحه وكذلك فعل كرد علي فأصلح في غده خطأ أمس ، ونحن قد أصلحنا في الجزء الثامن من هذا المجلد خطأ في آية من كتاب الله وفي تفسيرها بطاها وقم في مثار العام الماضي ، وكتاب الله أعظم من بلاغ شيخ الاسلام فهل تماقنا حكومة الخلافة على ذلك الخطأ ؟ هل يرضى النبي عليه الصلاة والسلام أن تماقب حكومة الخلافة الثانية عنه من بخطي في خبر معاقبة الجناة في شخصه وعمله ومورد رزقه وهو القاتل ؟ رفع عن أمني الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . رواه الطبراني عن ثوبان (رض) بسند صحيح . أي الفريقين يكون طاعنا في كون الحكومة العثمانية حكومة خلافة ، أمن بخطي في خبر لا يؤاخذ الله ولا رسوله عليه ، ولا سيما بعد أن تاب ورجع عنه ، أم من يعاقب من منع الله ورسوله عقابه ؟ « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

لقد قرت في دمشق الشام عيون اعداء الدستور الرجعيين ، وما زالت راجفة فيها قلوب الأحرار المصلحين ، فليهنأ الرجعيون في رمضان هذا العام بفتنة صاحب المتببس ، كما هنتوا في رمضان العام الماضي بالفتنة التي أثاروها على صاحب المنار ، وكما هنتوا في عام سابق بالفتنة التي أوقعوا فيها السيد عبد الحميد الزهراوي ، وليقولوا ان شاؤا ان لكل حر عندنا في رمضان فتنة ، واننا نعد لكل طالب للإصلاح محنة ، وإننا لنحن الظافرون في عهد الدستور وعهد الاستبداد ، وإننا لنحن العابثون بحكومة عبد الحميد وحكومة رشاد ، ونحن نقول ان العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وان الأعمال بالخواتيم

وما الهينا منكم بمشرف تقيا وطالما اشفى الهناء النقا
فاذا لم ينصف الوالي الجديد القوم فستنصفهم المحكمة العرفية وان لم تنصفهم
المحكمة العرفية فستنصفهم الخليفة محمد رشاد بنفسه ، ويكون حزب الحق هم الغالين
وحزب الفساد والاستبداد هم الخاسرين

مظالمنا في طرابلس الشام

نحن أقل الناس تعجبا مما أصاب كرد علي من الظلم لأننا من أوسعهم علما بحفظ بلادنا السورية القليل من الدستور لسوء حال الحكام وجريانهم على ما تعودوا من الاستبداد وجهل جمهور الأمة بطرق مراقبتهم ومطالبتهم بالعدل والتظلم من كل هيئة حاكمة الى ما فوقها على ضعف هذه الهيئات كلها في هذا النوع من الحكم . وعلمنا هذا بعرضه نظري مبني على قواعد علم الاجتماع والسياسة وبعرضه اختباري بالاطلاع على أحوال الحكام والدخول في المحاكمات بأنفسنا :

ظلمنا في عهد الاستبداد ظلما يتنا لا يجهله أحد من حكام بلادنا ولا من الأهالي . ظلمنا في أنفسنا وفي أموالنا وفي أوقافنا وسبب هذا الظلم هو ان أحدنا صاحب مجلة المنار ، وقد نشرنا في الجزء الماضي ما كتب في جريدة بيروت الرسمية من اتهام صاحب المنار هو واخوته بالجناية ليعرف الاجنبي كما عرف الوطني سبب ظلمنا والاعتداء على حقوقنا . وقد حال الحول على الدستور ولم ترجع الحكومة الدستورية إلينا شيئا مما سلبته الحكومة الحميدية منا فضلا عما سلبه الاشقياء منهم برضاها بظلمنا وعدم الاتصاف لنا بمن يعتدي علينا

توفي والدنا وجنود الاستبداد محيطة بداره فمكنت الحكومة الاستبدادية
بعض المتعصبين على الحقوق مما كان في تصرفه من حصة الأموال الأميرية الموجهة
على أجدادنا من سلاطين آل عثمان الكرام المتسلطة اليه من ذويهم بصير توجيه
شرعي ولا نظامي ومن أوقف مسجدنا أيضا . وكنا كتبنا في المنار ان نائب طرابلس
في ذلك العهد وجه ذلك عليه مخالفا لقانون نظام التوجيهات المصرح بأن ما كان
على الرجل من مثل هذه التولية يوجه بعد وفاته على أكبر أولاده . ثم تبين لنا انه
ليس هناك توجيه صحيح وأقنا الدعوى في المحكمة الشرعية لان صاحب هذه
الجهة هو أكبر أخوته وأرشدهم وقد مرت السنة ونائب طرابلس يماطل في الدعوى
ويولي ولا يفصل فيها على وضوح الحق وظهوره . ولماذا ؟ العلة يعرفها كل أحد
على أنه قرر في أثناء الدعوى ان الحصة الموجهة من السلاطين على أجدادنا
لم توجه بعد والذي على أحد وانه رأى ان توجيهها موقتا على خصمي مع أخ لي
منصفة الى أن تنتهي الدعوى اني لا يريد انهاء ما إلا إذا أنا أرضيته وما أنا بالذي يرضيه
نعم قرر هذا النائب (عبد المجيد افندي الجعفري) ان الحصة المذكورة (وتسمى حصة
السبعة اقرار يطأ والسبعة السهام) لم توجه بعد والذي على أحد وامامه دعوى فيها ان خصمي
(محمود حسن) اعتدى على هذه الحصة عدة سنين وأكلها بغير حق وهو يعلم اني صاحب الحق
فيها كما هو مقرر في قانون التوجيهات فكيف وجهها الى خصمي المقتصب ولم يوجهها الي ؟
السبب في هذا هو أنه حاكم مستبد في حكومة يرى هو انها اقرب الى الفوضى
من الحكومة الاستبدادية الماضية فاذا كان لا يخاف من الله ولا من الحكومة العليا ان
تسأله عن ظلمه وتماقبه عليه فاذا يمنعه من تمكين المختلس لهذه الحصة زمنا ثم يوجهها عليه
توجيهها موقتا بعد ثبوت اختلاسه اياها عدة سنين قبل هذا التوجيه الموقت هو تبدأ !!!
ماذا يخاف عبد المجيد الجعفري بعد ان ثارت عليه طرابلس بقضيا وقضيضها
وهجم الالوف من أهلها على المحكمة لاخراجها عنها أو الفتك به لسوء سيرته واشتهاره
بهضم الحقوق وانتهاك حرمة الشرع و بعد أن ارسلت العشرات من الشكاوي عليه
بالبرق الى شيخه الاسلام ونظارة الداخلية وولاية بيروت ، و بعد ان أمر شيخ الاسلام
بمحاكمته في ولاية بيروت فكان من رأي المجلس الذي عقد لمحاكمته الصلح بينه

وبين خصمه بعد ان ظهر لهم وجه اداته والحكم عليه ١١ ولماذا ؟ لانه رجل ذو عيال ؛
 فهل تكون هذه القاعدة متبعة في حكومتنا ومرضية عند امتنا ونكون معها امة
 دستورية وحكومة دستورية ؟ لا لا . وهل يكون من ينجو من كل هذا في
 عصر الدستور ماليا بسلب الحق من صاحبه واعطائه لغيره ؟
 هذا الصالح او الاغضاء عن حاكم بعث بالشريعة ويضيع الحقوق فتعذر الحكومة
 لانه ذو عيال مدعاة لافساد الصالح من الحكم فضلا عن استمرار الظالم على ظله
 تزوج الجعفري على ام اولاده فتاة في الرابعة عشرة من سنها لمجرد التمتع وهو في سن
 السنين ليس في حليته شعرة سوداء . ولا يبعد ان يتزوج فتاتين أخريين ويفتح
 اربع بيوت على قلة راتبه الشهري ، وهل يمنعه قلة الراتب من ذلك والحكومة
 الدستورية تبيع له الاستبداد وهضم الحقوق والحكم بالباطل جهرا كما تعلم ذلك علم
 اليقين في قضيتنا وكما يلهج به الناس في بلادنا

استغفر الله ان الحكومة الدستورية لا تبيع له ذلك بطبيعتها وشكلها ولكن
 ليس عندنا رجال يقيمون هذه الحكومة على قواعدها ، على ان الحاكم الشرعية لم
 يكن لها حظ من الدستور فلا الاحكام فيها تجري بالمشاورة كحاكم مصر ولا المشيخة
 الاسلامية وثيمة هذه الحاكم توجه اليها مفتشين يعقبون احكام النواب (القضاة)
 فيقلع عنهم بالشرعية ولا هي تضع لهم كتابا كالجملة يلزمون الحكم بمسائله . فاذا طال
 العهد على هذه الفوضى في الحاكم الشرعية سقطت قيمة الشرع من نفوس العامة
 وبطلت ثقتهما به فنوجه عناية المشيخة الجليلة الى ذلك

﴿ حال الفيلق السادس في بغداد ﴾

جاء في جريدة الرقيب البغدادية مانعه مع تصحيح قليل :
 ذكرت رصيفتنا (بغداد) في عددها ٨٤ ان قد اجتمع في النادي العسكري
 امراء وضباط الفيلق اجتماعا عموميا وتذاكروا في أمر الفيلق السادس وانحطاطه وتدنيه
 وكان من نتيجة مذاكراتهم ان بعثوا بتلغراف الى الصدارة ونظارة الحربية والداخلية وقد
 وقفت على صورته وأدرجته بنصه بالتركية فأرثنا دوج ترجمته بالعربية وهذه هي :

« ان فيلقنا باعتبار الاعداد هو الفيلق السادس وهو الخامس الوحيد لقسم مهم من أقسام الملك العثماني ولكنه لما توالى عليه من المصائب والروايات السنين العديدة نزل الى دركة من السفالة والضعف . ولذلك لم نزل الدواهي تتوالى على أفراد ه حتى توجهت بلغت أعظم مبلغ يمكن تلفه في حرب دموية عظيمة بل أضاف ذلك . فهذه المصائب أوقعت في المخاطر وشوشت نظامه لدرجة فوق العادة .

فاللوم فضلا عن وجود الأفراد الاحتياطية يوجد ٢١ تابورا من الرديف أيضا تحت السلاح ومع ذلك فالأمن العام مختل بصورة لا يمكن ان تليق بالشرف العثماني ولا تقوم بشأنه وشوكة .

فالعراق اليوم بكل اطرافه بوثة مصائب . والفيلق بجميع جهاته كل فرقة منه توجب الأسف الشديد لما هو فيه من الإزراء وما هو متصور من زيادته شيئا فشيئا ولا سبب الا سوء الادارة . وقد ترك هذا الفيلق الذي لم يزل في كل دقيقة بخطوة لهاوية الاضمحلال منذ تأسيس الحكم الدستوري دون سائر الفيالق بلا قومندان ولا صاحب ولا رئيس أركان حرب .

فالاغتناء به اليوم لا يوازي عشر ما كان عليه عندما افتتح نجد اوسكن تلك الفوائل بأجمعها . فلو وجد قومندان مقتدر فعال (لا كمن لا أثر له سوى كونه عبثا ثقيل على بيت المال) لتمكن من اعادة شرفه وشوكة وسطوته بهذه القوى المتفرقة الضعيفة .

فبناء على ذلك ان كان ثمة للحكومة العثمانية احتياج الى هذا الفيلق أو كان هذا الفيلق ممدودا من فيالق الحكومة الدستورية فيجب تعيين قومندان فعال مقتدر وكذا رئيس أركان حرب وكذا امراء يكونون اهلا لقوماندانية الصنف بأجمعها وارسالهم بالصورة السريفة فان في ذلك صونا له من الاضمحلال المحقق والتلف المحقق .

إننا لسف لمدم وجود مقتدر في هذا الفيلق للقيام بالوكالة لحين وصول من سيعين له فلا يقتضي العهد في الوكالة الى أحد من الموجودين قط وقد حررنا ذلك خدمة لصالح هذا الفيلق في الحال والاستقبال وباسم هذه الخدمة طلبنا ذلك . »

(تصحيح) في « س ١١ و ١٢ ص ٧٥٥ » من هذا الجزء : ان الارار يشرون من كسى : والصواب : ويسقون فيها كساً . الخ

بوتني الحكمة من بشاروس بوت الحكمة قد أوتي
خيرا كثيرا وما يذبح شكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

في شهر محمدي القدي يستعول القول في بشاروس
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الاثنين سلخ ذي القعدة ١٣٢٧ - ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م

فتاوى المنار

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ووبما قدمنا من احوالنا لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صريح لافضاله

﴿ الصلاة بعد صلاة الجمعة ﴾

(س ٣٣) من صاحب التوقيع بالسودان

سيدي الفاضل صاحب المنار الاغر ، تقبنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فلما كانت مجتكم الفراء هي المجلة الوحيدة الدينية الاسلامية التي اخذت على عاتقها خدمة الدين والامة واتباع منهج الحق والتي انتشر ذكرها في مشارق الارض ومقاربها حتى حازت ثقة الخاص والعام حماها الله وحفظكم لخدمة الملة والدين آمين - جئنا بالآتي :

نحن ياسيدي في بلدة حديثة العهد بالعمران يسكنها من المسلمين ما يبلغ ثلاثة آلاف نفس ما بين سوداني ومصري وجداوي و يمني وبعض من الهنود والمغاربة وليس فيها مرشد ديني الا قاضيا الشرعي السابق الذي ارشدنا للمنازل صاحبه وعرفنا كيف تقصده عند الشدائد والذي بسعيه وجده وبما جمعه من المسلمين أسس زاوية من الخشب كأغلب ابنية البلدة وهي المسجد الوحيد الذي تقام فيه الجمعة والجماعة وما زال حفظه الله يجد ويجتهد بإلقاء دروس الفقه والتوحيد على العامة حتى نور الله بصائرهم نوعا حتى رزقنا بنقله الى محكمة مركز سواكن عقب نقل المديرية منها الى مدان (بلدتنا) وجاء قاضي محكمة المديرية فأملنا خيرا خصوصا وأنه اكبر

سنا ومرتبة من سابقه، ولما أقبلت أول جمعة بعد وصوله وحضر المصلون وأزف وقت الخطبة والصلاة وصرنا في انتظار الإمام ولم يتقدم أحد دعي فضيلة القاضي للخطبة فادعى أنه لم يعمل المنابر في عمره ولم يعود الخطابة فخير فيمن يتدبره فندب امام الأورطة المسكرة منا ليخطب ويصلي بالمسلمين بالنيابة عن فضيلته فأجاب المذكور وصلى وأنه وإن كان في لسانه عقدة وفي إلقائه بعض تعقيد غير أننا حمدنا الله تعالى الذي لم يحرمانا ممن يقوم بالإمامة والخطبة

صلى الإمام الجمعة وعقبها بأربع ركعات الظهر أو نقل (لأدري) فظن بعض المالكية أن صلاة الإمام الظهر بعد الجمعة تبطل صلاة المالكية والمسجد واحد لا تقام الجمعة في غيره فسئل الإمام عن ذلك فما كان جوابه إلا أن أفضل وحبل وكبر عليه أن يسأله أحد من العوام ويخطئه في صلاته (وما كان الاستفهام) وتخلص بقوله: أنا ما بأحد شي أجره ومذهبي حنفي وماليش دعوه بالك لا نبي ما حضر تو شي في الأزهر والتي يصلي ورايه يصلي والا ما يصلي شي عنه ماصلى !! رأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى رأيت أن كان على الهدى

لم يكتف حضرة الإمام بما أبداه من الاستياء من سؤال العامي الذي أراد أن يذكر فشقه المذكري بل أعاد الكرة في الجمعة التالية وأظهر عظيم استيائه وجعل خطبته طمنا وذما وشما لمن يتجراً على العلماء ويسألهم ويخطئهم حيث قال بعد الحمدلة والاستغفار والتشهد مانصه :

« عباد الله : قال الله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » إلى عظيم . وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأهم الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً » عباد الله : النبي أودى من قبلي من المنافقين ولي في رسول الله أسوة حسنة ! عباد الله : وسوس شيطان من شياطين الأنس لبعض المصايين وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أن يخطئني في صلاتي أو أن صلاتي باطلة حيث صليت أربع ركعات نفلا وقالوا اني صليت الظهر واقسم بالله العظيم اني ماصليت الظهر ولا تنفلت وإن صلاتكم صحيحة وصلاة الذين صلوا الظهر باطلة ولم أدرك كيف يتجارباً هؤلاء الشياطين على يخطئة علماء الله هم وكلاء الله في أرضه !

عباد الله: قال الله تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون»
 ولئن لم ينه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما تكفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا» عباد الله: اني
 سخطت وما انتصبت الوظيفة من صاحبها وما خطبت الا بعد الاذن منه فاخترت
 الخطيب الذي يعجبكم . هذا وان لم ينه المنافقون فسوف يخرجهم الله من هذه البلدة
 مدحورين خاسرين الدنيا والآخرة كما اخرج الذين من قبلهم عباد الله: ان
 شعبان قد مضى هل فيكم من قدم فيه شيئا ينفعه هل فيكم من عمل صالحا
 هذا هو ملخص الخطبة وآياتها وألفاظها والتي لم تخرج عن السبب الذي سأله ومن
 وافق عليه من (الشياطين) وبالله ما سأل

انتهت الصلاة وقام المصلون وانصرفوا فمنهم من قال بفساد الخطبة وعدم جواز
 الصلاة خلف هذا الامام وآخرون قالوا بفساد الخطبة فقط ولا زال المخرج والمرج
 بين الناس مع اختلاف جنسياتهم وفيهم من عاهد نفسه بعدم الصلاة خلف هذا الامام
 فأغشونا وأفيدونا عن الصواب عن كل وما يتبع وعن صلاح الخطبة وفسادها
 وصلاة الظهر للامام بعد الجمعة أو التنفل هل يفسدان صلاة المالكية مع نشر هذا
 السؤال برمته حتى لا يقال تجاوزوا الحق أو كتبوا غير الحقيقة والمسلمون يطلبون هذه
 الخدمة الدينية لله وللنفع العام ولكم منا الشكر ومن الله الاجر

ولما كان خير البر عاجله فترجوكم نشره بأول عدد وأن تفسحوا له صدركم الرحيب
 بصدور محبتكم الفراء ودمت ياسيدي

ورحم الله الاستاذ الامام حيث يقول ان طول الاقامة في الازهر تضيف
 الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به لان من فكر حضرة الامام ان علم الجغرافيا وما
 فيه من تغلب الفصول والبروج والعلوم الحديثة الاخرى هو من الكفر الذي جلبه
 الشيخ محمد عبده .
 الفقير محمد محمد بهجت

بالمبارك السودانية

(ج) ليس فيما ذكرتم من الخطبة ما يقتضي عدم صحتها أو عدم صحة صلاة

الجمعة المرتبطة بها . وصلاة الامام بعد الجمعة أربعا أو أكثر أو أقل لا يبطل صلاة الجمعة على نفسه ولا على المصلين من المالكية ولا غيرهم وما علمنا ان احداً من علماء المسلمين قال ان عملاً من الاعمال يصدر من رجل يبطل عبادة غيره أو عبادة نفسه الا الردة أي الكفر بعد الايمان فانها تحبط العمل وتبطل ثوابه . فأيها المسلمون لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . بذلك وصى الله من قبلكم وأعلمكم به لعلكم تتقون . نعم ان صلاة الظهر بعد الجمعة ليست مطلوبة عندكم في مذهب من المذاهب وان من لا يقول بسنية صلاة قبل الجمعة وبعدها كالمالكية ليس له ان يعترض بمذهبه على مذهب غيره ممن يقول بذلك والنظر في التعادل والترجيح بين أدلة المذاهب شيء آخر لكل أحد من المشتغلين بالعلم ان يبحث فيه بشرط ان لا يجعل سبباً للتفرق بين المسلمين باختلاف الاجتهاد الذي لا مندوحة عنه . وعندي ان مذهب المالكية في هذه المسألة ارجح ولكنتي لا اعترض على غيرهم لخالفه اجتهادهم لاجتهادهم واذا كان ما ذكرتم عن الخطيب منصوباً على غيره فأنني أعظه ان لا يعود الى مثله واذا كره بما يجب على الواعظ من الحلم والصبر وعدم الانتصار لنفسه ولا سبباً بمثل تلك الشدة التي هي من السب والشتم وفي حديث الصحيحين « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » وفي حديثهما ايضاً « المسلم من سلم المسلمون من شر يده ولسانه » وفي رواية لغيرهما « من سلم الناس » الخ وليعتبر بعاقبة تلك الحدة فانها غيرت قلوب كثير من الناس وأطلقت ألسنتهم فيه ولو عاملهم بالحلم لجمع قلوبهم عليه فأفادهم واستفاد من اقبالهم عليه وتعلمهم منه كثرة الاجر وحسن الذكر كما كان شأنهم مع القاضي السابق ولا شيء يعين على الحلم واللين وحسن السياسة وعدم الدعوى والانتصار للنفس كالاخلاص وعسى ان يوجه قاضي المديرية همته الى اصلاح ذات البين والعناية بارشاد أهل هذا البلد وقراءة درس لهم في الحلال والحرام وآداب الدين وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ اطلاق لفظ مولانا على الناس ﴾

(س ٣٤) من محمد علي افندي من موظفي كرك (يافا)

حضرة العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشي المأرجح الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أعرض اني قد اطلعت على كتاب يدعى (صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان) قرأته قد فسر كلمة « مولى » بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلاً (مولانا فلان) فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله ، قرأت هذا وأنا بين الشك واليقين في كلامه لا تاتي كثيراً ما أسمع هذه الكلمة يقولها الناس لأناس غيرهم فلم أر احدا يهديني للصواب سواكم فأتيت برسائي هذه مستفتياً اياكم عن هذه الكلمة ودرجتها مع الجواب بأول عدد يصدر من مجلتكم الفراء ، فلا زلت الملبأ لحل المشكلات ، والوحيد في فك المضلات ، آمين .

(ج) لقد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي تَقْتَمُوهُ غلوا كثيراً وأخطأ خطأ ظاهراً فلفظ المولى ليس مشتقاً من لفظ الجلالة الذي هو من مادة « وله » بل هو مشتق من مادة الولاية أو الولاء وقد بين الله تعالى في كتابه ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض وما كل ما أطلق على الله عز وجل من الاسماء يحرم اطلاقه على غيره كما هو معلوم من اطلاق لفظ « رؤف رحيم » على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ومن تسمية المسلمين أبناءهم بالحكم والرشيد وغير ذلك مما جاء في أسماء الله الحسنى . وقد استعمل المسلمون لفظ « المولى » من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا العهد وهو بمعنى السيد وشاع عندهم اطلاقه على المتوفى فكانوا يقولون زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) وناقم مولى ابن عمر (رض) . ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء رضي الله عنها في أخيها صخر وان صخر مولانا وميدنا وان صخر اذا نشتر لنحار

﴿ السماء والزرق التي نراها فوقنا ﴾

(من ٣٥) من السيد محمد حسين نصيف (بجدة - الحجاز)

حضرة العلامة الفاضل ، والسيد الكامل ، من طار صيته حتى ملأ الاقطار ،
بأعلا المنار ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله وأدامه

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجوكم حل هذه العقدة التي أبرمها
امامنا أحد طلبة العلم مدعياً ان الزرق التي نراها فوقنا ليست بالسماء المرادة بقوله
تعالى « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » وانما
تلك الزرق هي الجو محتجا علينا بالحديث « ما بين كل سماء خمس مئة عام » وان تلك
المسافة لا يدركها البصر عقلاً ، فهل السماء التي نراها فوقنا زرقاء هي السماء الحقيقية
المذكورة بالقرآن والحديث ؟ أم الجو كما زعم ! أفيدونا وارونا من بحر علمكم الزاخر
زادكم الله علماً وفهماً والسلام

(ج) الحديث الذي أشار اليه طالب العلم لا يصح ولا يحتاج به ولفظ السماء
قد أطلق في القرآن على عدة معان منها السقف في قوله تعالى من سورة الحج « فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع » الآية ، ومنها السحاب في عدة آيات وذلك ان هذا
اللفظ من السموات وهو العلق فكل ما علاك وكان فوقك جاز لك أن تسميه سماء هذا
هو وضع اللغة التي نزل بها القرآن . فهذا الشيء الأزرق الذي نراه فوقنا في النهار
سماء ومجموع هذه النجوم الالامعة التي نراها فوقنا في الليل يسمى سماء وجهة العلو
فوقك تسمى سماء ، وبذلك ورد القرآن . وقد اختلف علماء الهيئة الفلكية في هذا
اللون الأزرق الذي في السماء وينسب اليه ما يشبهه من ألوان الثياب وغيرها فيقال
« سماوي » وفي لون البحر وليسوا على يقين مما يقولون فيه وهو على كل حال وكل قول
لون لا يقوم بنفسه وانما يقوم بجسم أو جوهر وما يقوم به اللون يسمى سماء وان كانت
الزرق حادثة من الفصل بين النور والظلمة في هذه الجهة كما قال بعضهم . والقرآن لم
ينزله الله تعالى لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية كالفلك والنبات والحيوان وإنما

تذكر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها للتنبيه على حكمة الله في ابداعها ونظامها وعلمه الواسع وقدرته العظيمة وان السماء التي تظن اليها في الليل والنهار ذات زينة بديعة وبناء محكم لا تفاوت في خلقها ولا فروج ولا شقوق فيها وهي من آياته سبحانه وتعالى الدالة على الوهيته . وما اكتشفه علماء الفلك من اسرار سننها لا يزيد المؤمن بالقرآن الا ايمانا وخشوعا وليس فيه شيء يقض كلمة منه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

﴿ دفع الزكاة للجمعيات الخيرية العمومية ﴾

(س ٣٦) من صاحب التوقيع في الاسكندرية

حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا فغنا الله به آمين
السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد هل يجوز اعطاء زكاة المال للجمعيات الخيرية
كجمعية رعاية الاطفال وهي ليست خاصة بقراء المساكين المسلمين بل تقبل كل
من يأتيها من قراء اليهود والنصارى وهل يجوز نقلها لمكتب الادارة اذا كان بعيدا عن
مسافة القصر كالمسافة من الاسكندرية الى مصر ونظرا لاهمية الجواب ارجو التكرم به
بخطاب خصوصي وان لم يمكن فالرأي لكم ودمتم
كاتبه

محمود شرف بمصلحة عموم الفنايات

(ج) الزكاة المفروضة لها مصارف معينة وهي تؤخذ من أموال المسلمين لمصالحهم
فلا يجوز صرف شيء منها لغير المسلمين كما هو مفصل في كتب الفقه ومثله يعلم ان دفعها
لجمعية رعاية الاطفال لا يسقط الفريضة عن الدافع بل يكون ما يدفع لها من صدقة
التطوع وهي جائزة للمسلم وغير المسلم كما بينا ذلك في تفسير قوله تعالى « ليس عليك
هداهم » فراجع في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم . واذا علمت ان دفع الزكاة
لتلك الجمعية غير جائز بمعنى انه يسقط الزكاة المفروضة فقد استغنيت عن جواب
السؤال الثاني وهو نقلها الى مكتب الجمعية من مكان بعيد عنها مسافة القصر أو أكثر
والله أعلم

هو العلم والاتحاد ، أيهما المقدم ؟ ﴿

(س ٢٧) من صاحب التوقيع في مستفودة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مايقول حضرة الامام السيد محمد رشيد رضا نفع الله به آمين

في رجاين قال أحدهما : لا اتحاد بدون علم وقال الآخر بل لا علم بدون اتحاد
فن يراه حضرة السيد المصيب ؟ وليفضل بالجواب مبسوطا على صفحات المناظر
لأبرحتم تافعين للأمة كاشفين عنها كل غمة آمين

السيد عبد الرحمن الكاف

(ج) بجمال الكتابة في العلم والاتحاد وعلاقة كل منهما بالأخر مجال واسع يمكن
أن يكتب فيه مصنف كبير ولا يحسن أن يكون ذلك في جواب سؤال مجمل كهذا
السؤال ، و يان ترجيح رأي على آخر وكلاهما غير مبين ، فإما هو الاتحاد المنفي بنفسه
بدون علم وما هو هذا العلم المنكر ؟ وما هو ذلك العلم المنفي بنفسه بدون ذلك الاتحاد
المنكر ؟ هل المراد اتحاد طائفة من أفراد الناس على عمل ما ؟ أم اتحاد طوائف من الناس
على تكوين ملك مشترك كالاتحاد الجرمانى والامريكى ؟

الاتحاد عمل يتطرق بالجماعة أو بالجماعات ولا عمل الاعم العلم بكيفيته ، والعلم بما يناله
الأفراد بدون اتحاد مع غيرهم فهو المقدم دائما ولكل عمل علم خاص يكون مقدمة له
ومنه الاتحاد فقول من قدم العلم هو الصواب

العرب والترك *

١

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

التفاير بين الاخوة الاشقاء ، والتنافس بين الجيران والخلطاء ، هما من الاخلاق الممهودة بين الناس ، في جميع الشعوب والاجناس ، وكثيرا ما يفضي التفاير الى التنافر ، والتنافس الى التحاسد ، فاذا اقترن ذلك بالتقاطع والتدابير ، ولم يفض كل من المتنافسين بما في نفسه الى الآخر ، اشتعلت بينهما نار العداوة والبغضاء ، وان كان الخير لكل منهما في المودة والوفاء ، وان ما يقع من الشقاق بين البشر بسوء الفهم ، اكثر مما يقع بسوء النية والقصد

تلك قوانين الاخلاق وسنن الاجتماع التي تدير عليها الافراد والاقوام ، فالعرب والترك هما الصنوان في شجرة الملة الحنيفة ، والاخوان الشقيقان في الجامعة العثمانية ، والركنان الركينان لبناء الخلافة الاسلامية ، فالرابطة بينهما جدية بأن تبقى دائما كما وصفها كمال بك نامق زعيم النهضة الادبية في الترك بقوله : « ان كان يطعم أحد في حلها فهو الشيطان » وان كان يقدّر عليه احد فهو الله »

هذا ما كان ، وهذا ما يجب ان يكون الى ماشاء الله ، ولكن وجد شيطانان لاشيطان واحد يطعمان في حل الرابطة المتينة بين المنصرين الذين امتزجا كامتزاج الاكسجين والادروجين في تكوين الماء ، أو الاكسجين والنيروجين في تكوين الهواء ، وانك الشيطانان هما شيطان السياسة الاوربية ، وشيطان الجهل في كثير من افراد

*) مقال طويل كتبناه في الاستانة ونشر نبذا متفرقة مترجما بالتركية في جريدة « اقدام » الشهيرة وبالمرية في جريدة « كلمة الحق »

الفنصرين ، ولكل واحد من هذين الشيطانين شر من شيطان الجن الذي ذكره
كمال بك رحمه الله ، وسأبين ذلك تبيناً

ان هذا العاجز كاتب هذا المقال ربما كان من أعلم الناس بوقوع هذه المسألة
وخوافها وهزلها وجندھا لا تبيح في مصر منذ اثني عشرة سنة فكنت اشتغل فيها
بالدعوة الى الإصلاح الاسلامي جهراً ، من حيث اشتغل بالسياسة العثمانية سرّاً ،
وان مصر في هذا العصر ، هي مرآة الشرق والغرب ، بما فيها من الحرية المطلقة ،
والشعوب المختلفة ، والجرائد الحرة ، والاجتماعات المباحة ، فالقيم فيها يسهل عليه ان
يعرف من احوال البلاد العثمانية وسياسة الدول فيها ما لا يعرفه أهل الاستانة ولا غيرهم
من المقيمين في الولايات حتى في هذا العصر عصر الدستور ، فماذا تقول في عصر
الاستبداد القريب : عصر الحجب على المطبوعات وانحتم على الأفواه ، والمنع من الاجتماع ،
والرعب من ذكر بعض الاسماء والالقب ، والمقاب الشديد على فلتات اللسان ،
وزلات الاقلام ؟؟؟

انني ما تركت مصر وجئت الاستانة في هذا الوقت لأمتع النفس باستنشاق
هوائها وعذوبة مائها ومناظر بوسفورها ، وانما جئت باحثاً ومختبراً أو ساعياً في
الإصلاح ، فأنا أعرض ما عندي من المعرفة والاختبار والرأي ، على أولي الامر وأهل
الحل والعقد ، بعضه بالمشافهة والمسارة ، وبعضه بالكتابة في الجرائد ، فان صادف
أذناً واعية ، واعيناً بصيرة متأملة ، فذلك مأرجوه ، وان صدق ما قيل لي بمصر من ان
أولي الامر وكذا أصحاب الصحف في الاستانة لا يبالون بقول أحد ولا برأيه - وما
أظن ان الامر كما قيل - فحسبي اني أدبت الواجب عليّ وعملت بالنصيحة الواجبة
لأئمة المسلمين وعامتهم كما ثبت في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم
في صحيحهما

قضيت أكثر من اسبوع في هذه العاصمة لأقابل أحداً من أولي الامر ولا
من أصحاب الجرائد وانما كان همي فيها محصوراً في اكتشاف الآراء ، واستخراج
مخبات النفوس ، ومكنونات الصدور ، في الامور العامة ، ومسألة سوء التفاهم بين
الترك والعرب خاصة ، فرأيتني بعد ان وقفت على كثير من المسائل والآراء ، وما

فيها من الأغراض والأهواء ، لم أزد علماً بأصل المسألة وإنما أضفت إلى ما عندي جزئيات جديدة من الحوادث والوقائع تؤيد الأمر الكلي ولا تنقص منه شيئاً .
 فالأمر الذي يجب التصريح به بالأجمال ، قبل بيان الأسباب والنتائج بالتفصيل والذي يجب أن يعلم وأن يعمل به ، هو أنه يوجد شيء من سوء التفاهم بين المنصرمين تخشى عاقبته أن لم يتدارك في الحال ، وأن كبار الدولة وقادة الأفكار في العاصمة ليسوا على بينة منه وأستشهد على ذلك شهيدين قرييين : أحدهما فتنة الشام في هذا العام ، وثانيهما ما نشر في جريدة «أقدام» من خبر اتحاد أمراء جزيرة العرب لأجل تكوين دولة عربية ١

أما الأول الذي استدل به على أن حكومة العاصمة ليست على بينة من أحوال الولايات العربية فهو أن بعض الوشاة في دمشق الشام بلغوا هذه الحكومة بتقرير من قاربهم التي اعتادوها في زمن الحكومة الحميدية بأن أفراداً معينين يكونون دولة عربية وخلافة جديدة ١١ فبادرت الحكومة الدستورية إلى التحقيق واستنطاق المتهمين بهذه الجنابة جهراً ، وكانت الحكومة الحميدية تفعل ذلك في شأنهم وشأن أمثالهم سرا ، وهم أفضل علماء الشام وأخلص الخاضعين من أحرارها للحكومة الدستورية ، هم الذين كانوا مضطهدين في الدور الماضي فلما جاء الدستور ظنوا أن زمن اضطهادهم قد مضى وجاء الزمن الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم ، ويعرف فيه المخلصين إخلاصهم ، وكانوا هم السابقين ، إلى مقاومة الرجعيين ، أما ينزل نعتهم وعلمهم كالشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، وإما ينزل أموالهم ونفوذهم كعبد الرحمن بك اليوسف ، والسبب في وقوع هذا الغلط عدم الوقوف على حقيقة الأحوال ودليل ذلك أن ناظر الداخلية لم يلبث أن أصدر أمراً حين علم بالحقيقة من مدة قريبة بترك التحقيق عن المتهمين بالباطل وجعل المسألة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولكن تلك الإهانة التي أصابت أولئك المخلصين بسبب ما ذكرنا من عذر الحكومة قد تنسب إلى سوء القصد ، أو تضعف الثقة بالحكومة الدستورية — لو لم يتداركها — وسنبحث في طريق معرفة الحكومة والجرائد في العاصمة لأحوال الولايات في نبذة أخرى من هذا المقال .
 وأما الأمر الثاني وهو ما استدل به على عدم معرفة الجرائد وقرائنها بأحوال

البلاد العربية فهو تصديق ما نشرته جريدة « اقدام » مترجما عن جريدة « الاتحاد العثماني » من اتحاد امراء العرب وشيوخهم في الجزيرة واهتمام الناس هنا بذلك: وهذا ما حملني على زيارة هذه الجريدة ومكاشفة مديرها الفاضل بحقيقة الامر في ذلك الخبر والاتفاق معه على كتابة مقال في بيان ما عندي من الصواب في هذه المسألة وفي المسألة الكبرى التي تعد هذه فرعاً من فروعها وهي مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك وما يجب من طرق تلافيه بهد معرفة أسبابه ، وقد شكرت للرصيف الكريم قبوله مني ما اكتب وترجمته ونشره في جريدته

لمسألة اتفاق امراء الجزيرة أصل عريق من اوثق المصادر واصحها وهو ان شيخ لحج (ويلقب هناك بسلطان لحج) قد كتب كتابا الى بعض امراء العرب وشيوخهم كامام الزيدية في اليمن والشريف أمير مكة في الحجاز وغيرها وأرسله مع رجل من قبله يحملون بعض الهدايا وهي تتضمن الدعوة الى المذاكرة في الاتفاق على حفظ جزيرة العرب من العبث باستقلالها ولوم من قبل الدولة العلية ، ولكن لم يجبه أحد الى دعوته ولا حصل اتفاق بين اولئك الامراء ولا اتفاق على الاتحاد ، ولا ذلك من التيسر ولا شيخ لحج ممن يسم له اولئك الامراء قولا ، أو يحترمونه رأيا ، أو يعتقدون فيه اخلاصا ، بل هم يسيئون الظن فيه لما بينه وبين انكلترا من الولا ، وما يأخذ منها من العطاء ، علمت بهذه المسألة من عدة اشهر ولم أنشرها في « المآرج » ولا في غيره من الصحف لا اعتقادي أنها لا ضرر فيها وانما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما سألته بعد : ولكن لما كان علم الدولة بها واجبا ولا سيما ان كانت بدسياسة اجنبية بادرت الى اخبار بعض من يثق بي من كبار الدولة بها في كتاب ارسلته اليه من مصر على انه بلغني ان امير مكة المكرمة اخبر حكومة العاصمة بها ايضا

بعد ذلك سمع بعض التجار في عدن وغيرها بالخبر ولكن على غير وجهه فتناقلوه حتي وصل الى طرابلس الشام فلقنه مكاتب جريدة « المؤيد » المصرية هناك وكبره واطاف اليه ماجرت عادة مكاتب الجرائد بالتوسع في مثله وأرسله الى المؤيد ، وبعد ان نشره المؤيد بزمن غير طويل نشرته جريدة « الاتحاد العثماني » فوصل الى الاستانة العلية في هذه الايام وكان له من سوء التأثير ما كان . ونحمد الله

ان كانت الحكومة هنا اعرف بحقيقة هذا الامر من الجرائد اذ لولا ذلك لخشي ان تحشم الزخوف ، وتنفق الالوف وتسير الاسطول ، لدرء هذا الخطر الموهوم ، فان اتفاق اولئك الامراء لا يتلافى بمثل ما يتلافى به اتفاق الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وهما شيخان ضعيفان يقمان في مركز فيلق من فيالق الدولة العلية !! أكتفي بهذه النبذة اليوم وسأكشف الغطاء في النبذة الثانية عن اسباب سوء التفاهم واجعل هذا وذاك مقدمة لما أدعو اليه من الوحدة والاتفاق

٢

قلت ان العرب والترك يجب أن يكونا متحدين كالعنصرين المكونين للماء والهواء بحيث يكون الناظرون اليهما كالناظرين الى الماء يرون شيئاً واحداً لا شيئين ، والشاعرون بمقاومتهم كالشاعرين بمقاومة الهواء وهو قوة واحدة لا قوتان منفصلتان ، وقلت ان شيطاني السياسة الاجنبية والجهالة الداخلية ، يطمعان في حل رابطتهما القوية ، وتحليل وحدتهما الدينية الاجتماعية ، بحال العصبية الجنسية ، واتانين ذلك بشيء من التفصيل

سياسة أوروبا في الاجناس

وضعت في أوروبا قاعدة من قواعد السياسة من عهد نابليون وهي وجوب استقلال كل جنس بنفسه ، فهذه القاعدة يعمل بها رجال السياسة الاستعمارية حيث توافق مصطلحهم فقط ، ويوجد من رجال الاجتماع من يقول بوجوب اطرادها لمصلحة البشر وان كان استقلال بعض الاجناس ينافي مصلحة جنس آخر سائد عليه او متعزز به

لهذه القاعدة فروع كثيرة تتعاق بالدولة العملية لاخير لها في شيء منها لانتها مؤلفة من اجناس كثيرة لا قوة للدولة الا باتحادها كلها او جلها بالاخلاص فان شذ منها جنس صغير هو فيها كالكربون في الهواء لم يكن ذلك ضاراً لها ضرراً يضعف كيانها فان خلو الهواء من الكربون لا يمتلئ كونه هواء وإن كان لا يخلو في الغالب منه ، واتني لأبحث هنا في هذه الفروع وإنما أقول انه لا ينبغي لحد من الاجناس

العثمانية في سياسة الجنسية كما يفهم الترك العثمانيون لأن من مقتضاها أن يمحصر استقلالهم في بلاد الأناضول التي هم فيها أكثر عددا ولا تسمح لهم أوروبا بالاتحاد بأهل تركستان ولا هم يقدرون على ذلك بالقوة ، فاتهم بعض العرب وغيرهم لسياسة الترك بأنهم يريدون استخدام قوة الدولة لتمييز جنسهم على سائر الاجناس العثمانية هو اتهم لهم بالجهل بمصلحة الدولة وبمنفعة جنسهم فوق الجهل بما يحظره عليهم دينهم من عصبية الجنسية

سياسة أوروبا الجنسية في البلاد العربية

قلت ان القائلين بهذه السياسة في أوروبا فرقتان : رجال الاستعمار الذين يستخدمونها لمصلحتهم بقدر مصلحتهم ، ورجال الاجتماع الذين يسمونها سعيها على الاطلاق عملا بما يعتقدون من خير البشر . فالاولون يشنون في البلاد العربية العثمانية فكرة الاستقلال العربي مخادعة للعرب ليساعدوهم على الانفصال من جسم الدولة العلية ، وماذا تريد أوروبا بعد ذلك ؟ تريد أن تضع هذه البلاد العربية تحت حمايتها أو تضيفها الى مستعمراتها وتقطع عليها طريق الاستقلال باسم الاستقلال !! وان لاوروبا من الدسائس والوساوس في اطماع البلاد العربية العثمانية بالاستقلال مالا تسمح لنا الحالة السياسية في الاساتنة الآن بشرحه وانما اشرنا اليه لندكر اهل الحل والعقد ورجال الصحافة في هذه العاصمة بأن سوء الادارة في عصر الاستبداد كان هو المساعد لترويج تلك الدسائس ، وان حسن الادارة وحده لا يكفي في هذا العصر لقطع عرق الدسائس وخفية مساعي اصحابها بل يجب أن يهتروا بالمساواة وتأييد الوحدة العثمانية بالعمل من الحكومة و باقوال الجرائد وفي مقدمتها جرائد العاصمة فان كلمة واحدة من جريدة تركية او من كاتب تركي تشعر بتفضيل الترك على غيرهم تحبط عمل الف واحد من العرب في الدعوة إلى الاتفاق والاتحاد

قد اشتهر امر المناظرة الطويلة التي دارت بين هذا العاجز وبين صاحب جريدة (وطن) التي تصدر في مدينة لاهور بالهند في الانقلاب العثماني الذي سميت ميمونا وسماه مناظري مشوئا ، وقد كان مما قاله في رده الاخير على اني لم أعترف لعبد الحميد بحسنة واحدة وقد كانت جرائد الشرق والغرب طافحة بتعداد حسناته الكثيرة ،

فأجبت في ردي الأخير عليه الذي نشرته في جز: المار الذي صدر في آخر رمضان الماضي : اني أعترف لعبدالحيد بحسنتين سكة الحديد الحجازية ، وهنم النصب الجنسية، اذ لم يكن يقال في زمنه ترك وعرب . وأزيد الآن على ما قلته هناك انه لو كانت تلك الادارة السوءى مقرونة بالنصب الجنسي للترك لا انفصلت البلاد العربية من جسم الدولة ألبنة

هذا : وان في أوروبا من اهل السياسة من يساعد على فصل بلاد العرب من جسم الدولة العلية لاجل اضافة الدولة لا لطمع في شيء من تلك البلاد ، واتي قد دعيت منذ اعوام الى الدخول في جمعية اورباية جمعية باوربا تدعو الى استقلال البلاد العربية وقيل لي ان جمعية كذا وجمعية كذا من الجمعيات التي تريد اضافة الترك في مقدونية وفي الاناضول وحملهم على تفريق القوة العسكرية ، تساعد هذه الجمعية العربية بالمال الكثير اذا دخل فيها بعض المشهورين من المسلمين ، ولما رفضت هذه الدعوة قيل لي اسبح لنا بكتابة شيء في ذلك بقلبك او اسمع لنا أن نستخدم اسمك فلم اقبل بل كان ذلك مما قوى عزيمتي على القيام مع بعض اصدقائي العثمانيين بمصر بجمعية الشورى العثمانية التي ألفناها من جميع العناصر العثمانية المطالبة بالدستور والاصلاح

واما رجال الاجتماع من الاوربيين الذين يميلون الى تكوين دولة عربية فكثيرون ، ومنهم المخلصون الذين لا يقصدون مساعدة الطامعين في البلاد العربية ولا اضافة الشعب التركي ، وقد يستغرب كثير من القارئ لهذا المقال الجزم بوجود هذا الصنف من الناس في أوروبا ، ألا فليعلم المستغربون اننا نقول هذا عن علم لا عن ظن وان الانسان ما زال مصدر الفرائب . وما وقفت عليه من ذلك ان بعض هؤلاء المخلصين في حب العرب قد عرف الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) ووثق باقتداره فرغب اليه أن يضم له نظاما لاستقلال جزيرة العرب وتكوين دولة عربية فيها ليسعى في تنفيذ ذلك . وقال له انه يوجد مال كثير يذل في سبيل المشروع وانه هو ينفق من صندوقه مبلغ كذا من الوف الجنيهات . فأقنعه الاستاذ الامام بأن فصل العرب من الترك يصعب الفريقين ويضر الاسلام نفسه ،

فقال له ذلك الاوربي الفاضل اذا كان الامر كذلك فانا أعاهدك على ترك السعي له
 إن ما يظهره العلماء المستشرقون من آثار العرب في العلم والمدنية والدين وما يطبقونه
 في كتبهم التي كانت نسجت عليها عناكب النسيان هو مما يقوي ميل أولئك الاجتماعيين
 الى مساعدة الاستقلال العربي اذا سمت العرب اليه وطالبت به فأحب ان يعرف
 ذلك رجال السياسة والصحافة من الترك وان يعلموا علم اليقين انه لم يوجد الى هذا
 اليوم سعي الى هذه التفرقة الضارة ولا ميل من أهل البلاد العربية وان العارفين
 منهم بهذه المناقذ يسعون في سدها وان الذين أظهروا الدعوة اليها في أوروبا انما هم
 أفراد من اصحاب المطامع الذين كانوا يبتغون المال والمناصب من عبد الحميد والتهويش
 على الدستور ورجاله في أول العهد باعلانه وان عزت العابد لا يقدرا الآن على شيء
 وان كل ما يجب الآن محصور في ازالة سوء التفاهم بين العنصرين وهو ما سنبينه بعد

٣

إذا جنحت الترك للاعتصام والامتزاج بالعرب بما ساذكره من الوسائل فان
 العرب تكون أجنح لذلك لان الترك هم العنصر الاكبر في الدولة والسياسة والقاعدة
 الطيبة في الجاذبية ان الاكبر يجذب الاصغر ولانهم أشد استمساكا بالجنسية فيخشى
 ان يكونوا هم الذين يكوّنون عصبية العرب الجنسية
 فان قيل ان العرب هم أكبر العنصرين بكثرة عددهم وسعة أوضاعهم وموارد
 ثروتهم فهم الذين يجب ان يجذبوا الترك اليهم فالجواب ان هذا كان يكون صحيحا
 لو كان التنازع والتجاذب بين عامة العنصرين وبمحمد الله انه لم يكن كذلك لان
 هذه العصبية اذا سرت في نفوس العامة فتنبهوا لها وتوجهوا الى العمل بواجبها فإنه
 يتصر أو يتعذر نزاعها من قلوبهم واستخرجها من أدمغتهم وإنما التنازع والتجاذب
 محصوران في طائفة من المعلمين وهم رجال المناصب في الدولة وطلابها والمستغلون
 بالسياسة كأصحاب الجرائد وكتابها ومجموع الفريقين في الترك أكثر منهم في العرب
 وهو معنى قولنا ان الترك أكبر العنصرين في الدولة والسياسة وإن انحصار التجاذب
 بين اعقل المعلمين في الفريقين هو الذي يطمع طلاب الوفاق ومحبي الإصلاح في

ازالة سوء التفاهم الذي يفري كل فريق بيث سموم التفريق في عامة الناطقين بلفته
وأما كون الترك اشد استمساكا بعصبية الجنس من العرب فسببه ان دولتهم
قامت بهذه العصبية لا بالدين الذي يجمع بين الاجناس الكثيرة ويساوي بينهم كنسولة
العرب أو دولهم ولا فطيل في بيان هذا لانه لا يقوي ما نرمي اليه من التأليف والتوحيد بل
ربما يعارضه ، وحسبهم ان دولتهم سميت باسم جنسهم (تركيا) وكان مما زادهم استمساكا
بعصبيتهم الجنسية كثرة الاجناس المزاحمة لهم في عاصمة الملك وما يتصل بها من البلاد .
نعم انهم على قيامهم بعصبية الجنس لم يكرهوا الاجناس التي استولوا على بلادها
على التجنس بجنسيتهم ولا على الدخول في دينهم ، أما الاول فلان دولتهم لم تكن
دولة علم وحكمة ، وانما كانت دولة بأس وقوة ، وقد مرت عليها القرون ولم تجعل للغة
التركية مجوا ولا صرفا ولا معاجم ولا غير ذلك من كتب التعليم . وأما الثاني فلان الإسلام
نفسه هو الذي لم يسمح لهم بذلك وقد أراد به بعض سلاطينهم واستقى فيه مفته شيخ
الإسلام ، فلم يفتيه فامتنع لانه كان مسلما ودولته اسلامية لا شبهة في ذلك .
ما كنت لألم بهذا الاستطراد لولا ما خشيت من الاعتراض على بعض المقدمات
الذي يترتب عليه عدم التسليم بالنتيجة . واذا سلمنا ان الاستمساك بالجنسية فيهم
أشد ، وانهم أقوى على جذب غيرهم اليهم وأقدر ، فلا مندوحة لنا عن التسليم بأن
الخوف من التفرق والرجاء في الاعتصام هما من أهم أسباب أشد وأقوى أيضا . واني
لأرجح الرجاء على الخوف لحسن ظني بكبراء القوم وزعمائهم الذي لا يقضه وقوع
بعض الاغلاط منهم ، التي تولد منها ما تولد من سوء الفهم ، الذي يسهل تداركه مع
حسن القصد ، وقد رأيت بوادر الارتياح الى التدارك من فخامة الصدر الاعظم فمن
دونه من رجالهم الذين اتفق لي الحديث معهم ، بل رأيت الكثيرين من فضلائهم
قد اقبلوا بعد نشر النبعة الاولى من هذا المقال في جريدة (اقدم) للإسلام على التعرف
بي والشكر لي والاعتراف بحسن ما دعوت اليه من وجوب الاتحاد والاعتصام .
وكذلك فعل الكثيرون من وجهاء العرب المقيمين في هذه العاصمة . افليس هذا
دليلا على صدق ما جزمنا به من كون المسألة التي نبحث فيها مسألة سوء فهم يسهل
تداركها قبل اتساع دائرتها ؟ بلى ، ومتى وضعت الأسباب ، زال الارتياح .

تاريخ التغاير بين العرب والترك

ان الطبيب لا يحسن معالجة المريض ويكون جديرا بالنجاح فيها الا اذا كان عارفا بتاريخه الصحي وبمطرا عليه من الامراض من قبل ، بل يجب ان يكون مع ذلك على علم بالحال الصحية في آبائه وعشيرته ليعرف استعداد مزاجه وما عسى ان يكون قد جرى اليه بالوراثة ، وكذلك يجب ان يعرف الطبيب الاجتماعي تاريخ الامم والشعوب التي يتصدى لارشادها ومعالجة امراضها الاجتماعية ، واخلاقها وعاداتها الطارئة والموروثة ، وهذا ما يدعوننا الى الاشارة الى ما لا بد من التذكير به من تاريخ التغاير بين هذين العنصرين اللذين يجب ان يتحدا دائما كتحاد عنصرى الهواء والماء كان للعرب مدنات قديمة قد امتدت من بلادهم الى بلاد الكلدان والفرس من جهة الشرق والى مصر من جهة الغرب فتاريخ دولة الرعاية العربية في مصر معروف ويقول بعض المؤرخين انه كان لهم في تلك البلاد دولة اقدم منها ، وشريعة حمورابي وهي اقدم الشرائع المعروفة من التاريخ شريعة عربية ، فحمورابي العربي كان يدعى ملك السلام كما في العهد العتيق والعهد الجديد من اسفار اهل الكتاب وكان معا صرا لابراهيم الخليل عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، الا ان تلك المدنات قد زالت كما زال غيرها من المدنات القديمة — ولم يظهر شيء من آثارها الا في هذا العصر الذي غني فيه الاوربيون باستخراج الآثار القديمة من بطن الارض وسيجاريهم العثمانيون في ذلك وهم أحق بمعرفة تاريخ البلاد التي ورثوها ويوجب عليهم الدستور في هذا العصر عمارتها كما أوجب الاستبداد على سلفهم اهمالها ان لم يقل تخريبها

ثم اتى على العرب حين من الدهر لم يكونوا فيه شيئا من كورا في عالم المدنية حتى انبج فيهم فجر الاسلام بمكة المكرمة وطامت شمسها بالمدينة المنورة ثم امتد نوره الى سائر الآفاق ، واتسمت فتوحاته في الشرق والغرب ، واحيا العلوم التي كانت قد ماتت ، وجدد المدنية التي كانت قد عفت وطمست ، ولكن كان من تعاليمه محو العصبية الجنسية ، ولذلك كانت الدواوين التي دونها الخليفة الثاني للحكومة في بلاد الشام بالله الرومية الى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان وزراء اعظم الخلفاء العباسيين

من الفرس ، وحاشية آخرين منهم وحرسهم وجندهم انخاص الممتاز من الترك . ثم حدثت في بلاد الخليفة العباسي سلاطين الطوائف فكان منهم الفارسي والتركى والكردى ، ولم يخطر في بال العرب ان هؤلاء غرباء عنهم ، وانه يجب تأليف عصبية عربية لنزع الملك منهم ، ذلك بأن الاسلام نزع عصبية الجنس من قلوبهم بقول الله لهم في سورة الحجرات «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فعلمهم ان الشعوب التي تختلف باختلاف الجنسية والقبائل المتفرقة باختلاف النسب يجب ان تتعارف فتألف ، لا ان تتناكر فتختلف ، وبذلك أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وصرح بأنه لأفضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، ولذلك كانت العرب ولا تزال تفضل مثل ملكشاه السلجوقي وصلاح الدين الايوبي الكردي على أكثر ملوك بني أمية . ولذا سهل على ملوك آل عثمان الاستيلاء على البلاد العربية ولم يخطر على بال الامة العربية أنه قد استولى عليها قوم ليسوا من جنسها ، اذ ليس لها ومعضلها على الاسلام جنسية في غير دينها ، ألم تر الى الشعب المصري العربي كيف يئن من نفوذ الانكليز وهم ليسوا بمالكين ، ويحن الى الترك وان كانوا الى آخر عهد عبد الحميد من الظالمين ، ومن الامور التي لا ينكرها مصري ولا تركي ان الانكليز قد اصلحوا من بعض الوجوه في مصر ، ان الترك لم يصلحوا فيها شيئا ، ولا يزيد على ذلك لئلا تخرج الى ما ليس من غرضنا أو الى ما يوشك ان يضعف صوتنا فيه

يقول بعض المتفرجين منا ان عدم تعصب العرب لجنسهم كان ضارا بهم لانه أزال ملكهم ، وان الترك لو عملوا بهذه السياسة الاسلامية لكان شأنهم في ذلك كشأنهم . ونقول ان هذا القول باطل وليس هذا المقام مما يتسع لبيان بطلانه بالحجة والبرهان ، وانما الغرض مما تقدم بيان ان العرب لا يكرهون سلطة الترك تعصبا لجنسهم وإنما ينكرون منهم بعض الاخلاق والاعمال كما ينكر بعض أفرادهم وبعض جماعاتهم على بعض . هذا ما عليه مجموع الامة العربية لا جميع افرادها فانه لا أنكر انه قد جرى الى كثير من المتعلمين الميل الى التعصب الجنسي والاستقلال العربي وهو المقصود من بحثي هذا

ان الدولة التركية لم يكن لها في عصور قوتها نفوذ ولا سلطة ولا دواوين ولا محاكم في داخلية البلاد العربية ولا مدارس تركية فهي لم تخرج بالعرب ولم تلتهم معهم بلحمة العدل والعلم واللغة فيكون الترك والعرب امة واحدة ، ولم تسهم بالقوة والجبروت والظلم العام ففسد بأسهم وتجهلهم امة ذليلة ، بل كانت الى ما قبل « التنظيمات الخيرية » التي وضعت في عهد السلطان عبد المجيد (رحمه الله تعالى) تكتفي بارسال بعض عمالها الى بعض البلاد الكبيرة لاجل اخذ ما فرض على كل جهة من المال للدولة ، ولكن البلاد المصرية قد ذاقوا من الظلم في عهد المماليك ما صارت تعد به عصر محمد علي باشا وعصر احفاده عصر نور واصلاح ، على ما كان فيه من ظلم وجور ، ومع هذا كله لم تتوجه نفوس المصريين الى طلب الاستقلال التام عن الترك الا في عهد الثورة العراقية ، ثم لما كانت عاقبة الثورة هي احتلال الاجانب للقطر المصري حدث للمصريين من التعلق بالدولة العلية ما هو معروف وقد أشرنا اليه آنفا

بعد « التنظيمات الخيرية » تغافل عمال الحكومة من الترك في البلاد العربية فلم يكن الناس يستنكرون سلطتهم ، أو يستقاون وطأتهم ، ولا كانوا يرون أنفسهم اذلاء لخضوعهم لحاكم اجنبي عنهم بل كان السواد الاعظم وهم المسلمون يعدون التركي منهم لانه مسلم وهم قلة يفكرون في مسألة الجنسية ، وأما غير المسلمين فلم يكن عندهم فرق بين التركي المسلم والعربي المسلم فهم كالمسلمين كانوا لا يفكرون في غير الرابطة الدينية ثم صار المعلمون منهم على الطريقة الاروية يدعون الى الرابطة الوطنية على ان اكثر اهل بلادنا لا يفهمون من معنى الوطن الا موضع الإقامة حتي ان كل بلد عندهم وطن وهذا هو المتبادر من المعنى اللغوي . ثم ان النصارى سبقوا في كثير من البلاد العربية الى التقرب الى حكام الترك بتعلم التركية حتي صار كتاب الدواوين كلهم أو جلهم منهم في أوائل العهد بالتنظيمات ثم قل عددهم فيها بعد ذلك نعم ان جهل أهالي البلاد للغة التركية وجهل الحكام من الترك للغة العربية كانا ولا يزالان من أسباب الجفاء وعدم الانس ، واشتهر الترك على رقة حاشيتهم وعلا أدبهم بالكبر والغلظة على ان كثيرا منهم كان يتكبر لظنه ان التكبر يكون أدعى

الى المهابة والاجلال ولكن لم يكن يشعر بهذا إلا بعض أفراد الامة وهم رجال الحكومة من أهل البلاد فلم يكن له تأثير في الامة يوجب سريان الكراهة للجنس ، وإنما كان يعرف بين الناس وصف الحاكم من حيث هو كما يقال هذا الوالي أو هذا المتصرف عادل لا يأكل « الرشوة » وهذا الوالي أو المتصرف يأكل ويشرب ... وكثيرا ما كان الناس قبل هذه الايام يمدحون الترك كلهم لوجود حاكم عادل منهم وقتما كانوا يذمونهم كلهم لظلم الحاكم منهم على أن الظالمين كانوا بطبيعة الاستبداد أكثر من العادلين

وقد عرف بين الناس في الولايات العربية شيء آخر لا بد من ذكره وان كان مرانا نبحث في هذه المسألة بحث الطبيب الآسي وفي المثل العربي « من إكتم داءه قتله » ذلك الشيء هو أن الترك ينفضون العرب . ويتناقل الناس في كثير من البلاد العربية كلاما سمعوه من بعض حكام الترك صريحا في هذا ولا أحب أن أطيل في بيانه وأولاً أنه مشهور لما ذكرته ليعرف اخواننا الترك من ولاية الامور وأصحاب الصحف فيكونوا معنا على بصيرة فيما نطلبه من خير الامة بالاعتصام والوحدة يمكن أن يقال ان ماسم من تصریح بعض الترك بـنفض العرب هو من الجزئيات التي لا تباع أن تكون استقراء ناقصا فالحكم بها على الجنس كله حكم باطل ولا سيما اذا عرف لها سبب يوجد في صنف من افراد الجنس دون غيرهم . وقد علمت بعد البحث والتحري ان هذا الصنف الذي قد بدت البغضاء للعرب من افواه كثير من أفرادهم هو صنف المتفرنجين والضعفاء في الدين من الذين يتقل عليهم مزاحمة العرب لهم في خدمة الحكومة وفي التوسل اليها بالتعلم في المدارس الرسمية فان بعض المتخرجين في هذه المدارس من أبناء العرب وبعض التلاميذ الذين لا يزالون فيها يذكرون من تعصب بعض المعلمين عليهم مالا محل لشرحه هنا . ومن المشهور عن كثير من الترك الصالحين وغير المتزاحمين معهم على اعمال الحكومة أنهم يحبون العرب حبا دينيا حتي ان منهم من يتبرك بالعربي لانه عربي فالحقيقة المحصنة هي انه ليس بين الجنسين عداوة ولا بغضاء فنقول ان الاتحاد بينهما متعذر أو متعسر وإنما هو التغاير والتنافس في طلب المناصب والوظائف وفي

صفوف المدارس قد وصل مع الفلوالى التحاسد كما أشعرنا الى ذلك في فاتحة النبذة الاولى ومثل هذا التنافس والتحاسد يقع بين المتزاحمين من ابناء الجنس الواحد فلافيه سهل ان شاء الله

والخلاصة ان تاريخ العلاقة بين الترك والعرب لم يكن فيه شيء اكثر مما ذكرنا ولم يكن ذلك في الماضي مما يخطر على بال زعماء العرب السعي الى انفصالهم من الترك واستقلالهم بأنفسهم ولا ذكر هذا على لسان احد الا في عهد ولاية زعيم الحرية والاصلاح (مدحت باشا) على سورية ففي عهده شاع ان في البلاد حزبا كبيرا مؤلفا من وجهاء المسلمين والنصارى في بيروت والشام يسمى الى جعل القطر السوري مستقلا كقطر المصري تحت سيادة الدولة العلية ويكون الخديو له مدحت باشا . وقيل ان بعض « الماسون » كانوا يسعون الى جعل الأمير عبد القادر الجزائري هو الخديو لهذا القطر . وقد سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان مدحت باشا على سببه في اصلاح الدولة اعتقد ان اصلاح البلاد السورية وجعلها خيرا من البلاد المصرية لا يتأتى الا باستقلالها الاداري فكان يهد السبيل لذلك فشرع بالامر وسقم باشا متصرف لبنان فكاشف به الدولة فكان ذلك هو السبب في عزل مدحت من ولاية سورية . ولكن أخبرني بعض العارفين بدخائل السياسة في ذلك الوقت ان السلطان عبد الحميد هو الذي أوجد تلك الاشاعة في سورية ليتوسل بها الى اخراج مدحت من سورية لاجل الانتقام منه . ويقال ايضا ان لبعض الاجانب يدا في توجه نفوس الناس في سورية الى هذه الفكرة . وقد حدثني بعض اصحابي الذين كانوا من عمال الحكومة في عهد مدحت باشا انه سأل عما يقال في هذه المسألة فقال له زعيم الاحرار ان هذه دسائس من الاجانب يريدون بها فصل سورية من الدولة ليستولوا عليها

مثل هذه الدسيسة لا يستغرب من سياسة « يلدز » التي كانت مبنية على المكايدة والتخادعة واخفاء الحقائق بألوان التمويه والتليس وهي التي لعبت بالثورة الهراية ذلك اللعب المشوئم ومكنت للانكلاز في أرض مصر ثم أرادت أن ترضي سائر الدول القوية بتمهيد السبيل لتسكنهم في سائر أرجاء الدولة في مقابلة مصر

فأعطت الألمانين سكة حديد بغداد وقررت إعطاء الروسين مثلها على شواطئ البحر الأسود - وقد راجت تلك الدسيمة الحميدة على أهالي سورية فشاع بينهم أن مدحت باشا وهو المعروف بحب الإصلاح ما أراد إنشاء دولة عربية ألا بعد يأسه من قدرة قومه على سياسة الملك وإقامة العدل وتشييد دعائم المدنية بما تقتضيه حال مصر ، فكان هذا أول فكر في التنفير من السلطة التركية سرى في بلاد عربية ، وقد نظمت فيه القصائد البليغة المؤثرة كالقصيدة السنية الشهيرة لليازجي ولكنه فكر لم يتلقه السواد الأعظم بالتسليم

ثم سكنت هذه الأفكار بعد إخراج مدحت باشا من سورية عدة سنين حتى إذا ما اشتدت المظالم الحميدة في السنين الأخيرة وقويت فتنة اليمن وقتنه مكذونية عاد بعض الناس إلى الحديث فيها بمصر وأوربا فكان المشتغلون بالسياسة من أبناء العرب على ثلاثة آراء: بعضهم يرى السعي في أوربا لاستقلال البلاد العربية كأصحاب جريدة النهضة العربية في باريس ولم يكن لهم تأثير لعدم انضمام أحد من المسلمين إليهم ولا اتهامهم بأنهم يريدون الاستفادة من السلطان عبد الحميد بالإيهام الذي كان يروج في سوق سياسته أو وسواسه

وبعضهم رأى أنه يجب اتحاد المسلمين مع اليهود والنصارى على العمل ووضع له قانونا جعل فيه من الامتياز لليهود ما كان ضامنا به أن يبدلوا المشروع الملايين من أموالهم ليعطى بعضها لعبد الحميد ورجاله ثمنا للبلاد التي يراد استقلالها وكان يعتقد أن إرضاء « يلدز » بالمال متيسر أو مضمون وقد أطلقني صاحب هذا المشروع أنا وبعض أصدقائي على قانونه فلم نوافق على السعي له مع علمنا بما لليهود من اليد العاملة في كل انقلاب كبير في التاريخ ويؤيده ما حصل أخيرا من الانقلابات ...

والرأي الثالث هو ما عليه جمهور المشتغلين بالسياسة وهو أنه يجب الاتحاد الدائم بين العرب والترك والمحافظة على كيان الدولة العلية بالسعي في إصلاحها وجعلها دولة دستورية ولاجله أسسنا جمعية الشورى العثمانية من جميع العناصر كما أشرنا إلى ذلك من قبل . فهذا ملخص تاريخ هذه المسألة قبل الانقلاب الأخير فماذا جرى بعده؟

(المقال بقية)

ابو حامد الغزالي *

٧

﴿ رأيه في التوحيد والتوكل ﴾

« ويدخل فيه بيان وحدة الوجود والجبر والكسب »

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم أن التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنظم الا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل ، فلنبداً ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له ، والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك اله الملك ، والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد . فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل ، اعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا تعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول : للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب الالب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته

(*) نقلا عن كتاب احياء علوم الدين وهو تابع لما في « ص ٦٢١ » من الجزء التاسع

(المجلد الثاني عشر)

(١٠٥)

(المناهج ١١)

العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين . والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقرين وذلك بأن يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه واخلق

فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف واللسان ، والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقيدته ولهذا القدر حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلم وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد ينحصر المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقده ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه الا انه كاف قلبه ان يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صفة تافيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة ، والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة

السفلى والثالث كالب والرابع كالدهن المستخرج من اللب ، وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو من المذاق وان نظر الى باطنه فهو كربه المنظر وان اتخذ حطباً أطفأ النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن ، وتوحيد المناق يهون بدنه عن سيف الفزاة فانهم لم يؤثروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينفع بها حطباً لكنها نارة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانسراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)

وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وأكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عسارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد العقل مقصود عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحداً وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون : افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان اتفت الى روحه وجسده واجارفة وعروقه وعظاه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى

واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهثار به مستغرق بواحد ليس فيه تفریق وكأنه في عين الجمع والمثلث الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخرى سواء كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجمود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الخلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت ؟ فقال ادور في الاسفار لاصح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد ؟ فكأب الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث ، وأما الاول وهو النفاق فواضح ، وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه ، مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه ، وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خالق ورازق وعطاء ومنع

وحياة وموت وغنى وفقير إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم - فالمفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه ثقك وعليه اتكالك فإنه الفاعل على الأفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحرك ذرة من ملكوت السموات والأرض

وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا انضاحاً ثم من المشاهدة بالبصر وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يتقني به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك لسببين أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتبادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونعائه وعلى النسيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغنم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور ولذلك قال تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) قبل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجوناه ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات المبدئ في النجاة إلى الريح يضاهي الالتفات من أخذت حزر رقبته فكتب الملك توقيعاً بالمفرغه وتخليته فأخذ يشغل بذكر الخبر والكاغذ والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما نجات فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والخبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والنسيم والأرض وكل حيوان وجهاد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان

خائباً وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأتاك في المهلكة الثانية وهي الانتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ؟ وبقول له ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له ؟ وعند هذا زل أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لاسطان عليهم الشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخراً مضطراً كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخراً وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلاً لو كانت تدب على الكاغد قترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلاعن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهراً وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض

بل أر باب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسميحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذاق تكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعاً يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل نصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سمحت وقرست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أر باب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فاتها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انها تقناجني بأسرار الملائك والملائكة وافشاء السرا لو ثم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط

أمننا على أسرار الملك قدنوجي بخفائيه فنأدى بسرّه على ملأ من الخلق؟ ولوجاز افشاء كل سر لنا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو علمت ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سرّ القدر ولما قال «إذا ذكر النجوم فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكر أصحابي فامسكوا» ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار

فأذا عن حكايات مناجاة ذوات الملك والملوك لقلوب أرباب المشاهدات مانعان : أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكننا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم بحكمي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه وتردد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاعد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد! فلم سودت وجهك وما السبب فيه؟ فقال الكاعد ما انصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعأ سا كنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار منزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحّشت غني قشري وهزقت غني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنا وبين برتي وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الخبر وموارثه وهي تستخدمني وتمشيّني على قبة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسوءالك وعتابك ففتح غني وسل من قهري فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر وركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي

التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المد والجزر والشجر لا يتعدى
شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى
أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فأنا
أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب
أزعجني من ركني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة
استخدامها وترديدتها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملهم وكم من ملوم
لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركنها وقد كنت
لها راحة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن
الظانون بي اني ميتة أو معدومة لأنني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزعجني
وأرهبني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا
الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ أزعجني من غمرة النوم
وأرهبني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة
ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرقتها الى التحريك وأرهبتها
اليه ارهاقاً لم تجد عنه مخلصاً ولا مناصاً فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذراً
وأنت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر
وأمر حازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على
لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطراب فاني مسكنة مسخرة تحت قهر
العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمته طاعته لكني ادري
اني في دعة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد
وقفت عليه وقفا والزمته طاعته الزاماً بل لا يبقى لي معه منها جزم حكمه طاقة على المخالفة
لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتعير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استئثار
وانتظار لحكمه فاذا انجز حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة
لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع غي عتابك فاني كما قال القائل
متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم
فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً لهم ومعاتباً ايهم على استنهاضهم

الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي
ولكنني أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال
العلم اما انا فنقش نقشت في يياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انحططت
بنفسي فكأن هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم
فمنذ ذلك تمتع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال نعي في هذا الطريق
وكرت منازل ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الامر منه على غيره
ولكنني كنت أطيب نفسه بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفوائد
وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست
أفهمه فاني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا
الا بالخبر ولا سراجا الا من النار واني لا سمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج
والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا ، أسمع جمجمة ولا أرى طعنا !

فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم
ان الممالك في الطريق التي توجهت اليها كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع
ما أنت فيه فها هذا بمشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام
الطريق الى المقصد فائق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا
ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم
وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثاني عالم الملكوت وهو وراثي فاذا جاوزتني
انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفصح والجبال الشاهقة والبحار المفرقة ولا أدري كيف
نسلم فيها ، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت
منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك
والشهادة والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا
وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة
بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض
وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته

الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فإن انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنعم فإن كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف ، فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافي وأول علم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام « لو ازداد يقينا لمشي على الهواء » لما قيل له انه كان يمشي على الماء

فقال السائل السائل قد تبحرت في امري واستشعر قاي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري اطلق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به انكبت في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فقال السائل لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلم الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجمة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورمم ولا جبره زاج وعقص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا فحشا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة

بالبصر فكأن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت
منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكأن منزها صرفا ومقدسا فخلا واطورا
الطريق فانت بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فملكك تجمد على النار
هدى وملكك من مرادقات المرش تنادى بما نوذي به موسى اني انا ربك فلما سمع
السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل
قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيتها الذي في مشكاة
قلبه يكاد يضيء ولولم تمسه فار فلما نفخ فيه العلم بجودته اشتعل زيتها فأصبح نورا على
نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لملك تجمد على النار هدى
فتفتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب
ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف
العلوم وكان له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه المعجب وقال نعم الرفيق العلم
فجزاه الله تعالى عني خيرا اذ الآن ظهري لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه
قلما لا كالأقلام

فعمد هذا ودع العلم وشكره وقال قد طأ مقامك عندي عندك ومرادني لك وانا
أزعم على أن اسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فاسافر اليه وقال له ما بالك
ايها القلم نخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبحث به الارادات الى اشخاص
القدر وصرفه الى المقدورات فقال أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة
وسمعت من جواب القلم اذ سأله فأحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي
مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم
على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي
يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير
وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال : فمن يمين الملك ؟ فقال القلم : أما سمعت قوله
تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) قال نعم والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي
يردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد
على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات

كثيرة عشر عشر وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالاتان ويد لا كالأيدي واصبع لا كالاصابع فأرى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جواني مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركا القدرة لا محالة فساغر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من المعجائب ما استحقر عندهما ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) فغشيت هبة الحضرة فخر صمعا بضطرب في غشيتة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن أسألك وانضرع اليك وأبتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لا عرفك واحلل عقدة من لساني لا ثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذ وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك فقال اني ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطعم في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الأكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول : المعجز عن درك الإدراك ادراك . فيكيفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا

فعند هذا رجع السالك واعتذر عن استئنه ومعاتباته وقال ليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكارى عليكم الا عن قصور وجهل ، الآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والمنة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره

(المخرج ١١م ١٢) معنى كونه تعالى الأول والآخِر والظاهر والباطن . الجاحد ٨٤٥

وقدوته مرددون في قبضته وهو الأول والآخِر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والآخِر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بالآخِر والظاهر ليس بباطن؟ فقال هو الأول بالإضافة إلى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحد بعد واحد وهو الآخِر بالإضافة إلى سير السائرين إليه فانهم لا يزالون مترقبين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى العالم كفين في عالم الشهادة الطالبين لأدراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه ينبغي على الأيمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه؟ فأقول أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والارادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وأنا من جهتهم فاني شاك أيضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء

هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الأزالة والتقية اشتغلوا بتقيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذيات الملائك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا

ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيداً إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبيه والبلد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقله: إله العالم واحد والمدير واحد اذ (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فينخرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاوراة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلاً فيه؟ فأقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة الاحوال الا أنه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالباً ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه أو الى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من استاذه أو من أبويه أو من أهل بلده

وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً وان كان يزداد وضوحاً كما أن الذي يرى انساناً في وقت الاسفار لا يزداد يقيناً عند طلوع الشمس بأنه انسان ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحرة لطول مشاهدتهم ونجر بنهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكثرثوا بقول فرعون (لا قطع من أيديكم وأرجلكم من خلاف) بل (قالوا ان نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرننا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فان البيان والكشف يمنع التغير وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسموهوا خواره تغيروا وسموهوا قواه (هذا الحكم واليه موسى) ونسوا (انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً) فكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا يجد فيه اختلافاً وتضاداً أصلاً فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهمما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك

ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا؟ فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزية القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لا فتقرت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن اليه المشيئة فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخافة

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بحث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا؟ فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار؟ فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متظفلا وقابها فان هذا الكتاب لم يقصده الا علم المعاملة ولكنني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والخنجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد وليكنها تختلف وراء ذلك في امور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات: فتسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا وتسمي تنفسه فعلا اراديا وتسمي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس انثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تفيض الاجفان اضطرارا فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة

الابرة في مشاهدته بالأدراك حدثت الإرادة بالتقيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وثارة يشاء وثارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه أن الإرادة تبع للعلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بآلة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبث الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الاجتنان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبثت الإرادة هنا كما تنبث لدفع السيف والسنان فإذا انبثت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا اقتصر إلى الروية فلاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثت بإشارة العقل فيما له في أدراكه توقف وعن هذا قيل أن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحز رقبة نفسه مثلاً لم يمكنه لألدم القدرة في اليد ولا ألدم السكين ولكن لقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة وأما فقدت الإرادة لأنها تنبث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقاً وقوله نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤهلة لا نطاق فإن العقل

هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأنه تردد بين شر الشرين فإن ترجح له بعد الرواية أن ترك القتل أقل شرًا لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شرًا وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبثقت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يقبع بالسيف للقتل فإنه يرمي بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبثق له داعية البتة؛ لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري قائماً هو محل وعجى هذه الأمور فاما أن يكون منه فكلًا ولا. فإذا معنى كونه مجبوراً إن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لآمنه ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون العقل خيراً محضاً موافقاً وحدث الحكم أيضاً جبراً فإذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الأحراق مثلاً جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان قنًا ثالثاً واثموا فيه بكتاب الله تعالى فسماه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه

فإن قلت فهل قول أن العلم ولد الإرادة والإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وإن كل متأخر حدث من المتقدم فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وإن آيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض؟ فأعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو

الاصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مم نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتيب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعمامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والزموم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والي هذا أشار قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله تعالى (وما خلقت السموات والارض وما بينهما الا عبين * ما خلقتها الا بالحق)

فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الا لا تتطاول شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لمب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدير وتفهم ذلك عسير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بأن تقدر انسانا مهدئا قد انفس في الماء الى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متطقة بها ملاقة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فرما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند

غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لها لا بغسل الوجه والماء لا يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر الصلة فكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلتترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على ان تذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤثته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه غلي القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعني التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعني الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجعلا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فمعني كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعني كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلاهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى

العباد ونسبها بغيرها مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) ثم قال عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال تعالى (أفرايتم ما تهرثون) أضاف اليها ثم قال تعالى (أنا صبينا الماء صباء ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباء وعنباً) وقال عز وجل (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) ثم قال تعالى (فنفخنا فيها من روحنا) وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فأضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وقال تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهر اولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به رامياً اذ رميت المعنى الذي يكون الصبد به رامياً اذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى (الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) ثم قال (الرحمن علم القرآن) وقال (علمه البيان) وقال (ان علينا بيانه) وقال (أفرايتم ما تمنون) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام « انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسداً فيقول يارب اذكر أم اثنى أسوي أم معوج ؟ فيقول الله تعالى ماشاء ويخلق الملك - وفي لفظ آخر - ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة »

وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يوج الارواح في الاجساد وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحاً يلج في جسم ولذلك سمي روحاً وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببيصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضاً بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا

ربي لما عرفت ربي وهو معني قوله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الحي والميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر أن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أبيت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا الميت والحي لا أبيت ولا يحى سواي فإذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا يتناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة «خذها لو لم تأتها لآلتك» أضاف الآتيان إليه وإلى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك لما قال التائب أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهله» فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو المتجاوز والمستعير في كلامه وللتجاوز وجه كما أن للحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبه إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالإضافة إلى نسبه إلى الجلاد فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعه أبها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة وبغيره بالمجاز أي يجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصداً أو اتفاقاً صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل» أي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فإذا لاحق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كئله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرمت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان

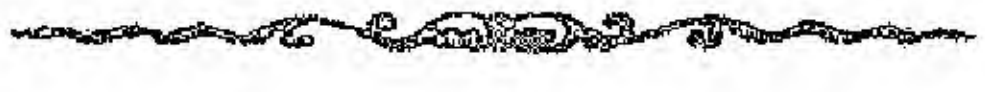
فان قلت فقد ظهر الآن أن الكل جبر فامعنى الثواب والعقاب والغضب والرضا كيف غضبه على فعل نفسه؟ فاعلم أن معنى ذلك قد أشيرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بإعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالأيمان

بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وصفها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يشترى فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا متهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتي اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيما دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا والآخرة جناح بهوضة ولا أن ينقص منها جناح بهوضة ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن ينخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضرر عن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عن انعم به عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور

وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الاوهية بل كان فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما أن غدا ارواح الانس بأرواح

البهائم وتسليطهم علي ذبحها ايس بظلم بل تقديم الكامل علي الناقص عين العدل
فكذلك تفخيم النعم علي سكان الجنان بتعظيم العقوبة علي أهل النيران وفداء أهل
الايان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق
البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والقص يظهر بالاضافة فمقتضي الجود
والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت إبقاء علي الروح
عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة
في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لب فيه وهذا الآن بحر
آخر عظيم العمق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد
فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله الا العالمون
ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الا كثرون ومنع من إفشاء سره
المكاشفون

والحاصل ان الشر والخير مقضي به وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق
المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر، وحصوله
بقدر معلوم منتظر، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولتقتصر
علي هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولترجع الي علم
المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل



باب المراسلة والمناظرة

تعصب أوروبا الديني والحج

﴿ تمهيد لمقالة من سنننا فورة ﴾

أثبتنا في السنة الأولى من المنار أن الغلو في التعصب الديني ولد في أوروبا ثم أعدنا الكرة في هذا مرة بعد أخرى حتى في بعض أجزاء هذه السنة ومن العجيب أن نرى جرائدنا السياسية غافلة عن تنبيه أهل الشرق إلى هذا أو وجلة من ذلك وأصحابها يرون ويسمعون ويقرأون كل يوم مايوئيده حتى أن بعض الجرائد الانجليزية التي تصدر في مصر تسمنا آنا بعد أن من آيات تعصبها عجباً فهم على جهلهم بالاسلام يطعنون في أحكامه الحكيمة العادلة ويحرفون بجهل أو بسوء قصد بعض آيات القرآن كما فعلت أكثر من واحدة منهم في الصيف الماضي بتحريف قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) الآية إذ أولوها بأن الاسلام يوجب على المسلمين ان يقتلوا كل من لقيه من الكفار في كل مكان وكل وقت سواء كان محارباً لهم أم لا، ولو كان هذا معناه لما عاش أحد من الكفار في الممالك الاسلامية وقد كان المسلمون قادرين على إبادة مخالفهم من الشرق الأدنى ومن بعض بلاد أوروبا أيضاً ولكنهم كانوا يعاملونهم بأفضل مما تعاملنا به أوروبا اليوم في جاوه وسنغافورة والهندوتونس والجزائر. وانما الآية في كيفية القتال مع الكفار المحاربين فهي تأمرنا ان نجعل قتل عدونا في الحرب مغنياً بالأثمان وان نكف عن القتل اذا اثننا وظفروا ونكتفي عند ذلك بأسرهم فكانه يقول: اقتلوا في المعركة من يقاتلكم مادمتم خائفين على أنفسكم فاذا ظفرتهم فكفوا عن القتل واسروا المقاتلين اسراء أفليس هذا منتهى الرحمة؟ بلى وهو يقول بعد ذلك في الاسرى من هذه السورة (فإما منا بعدو إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك

ولو يشاء الله لا تنصر منهم) فهل بعد هذا من رحمة وراقة في الحرب ؟ وهل يتراض على تلك الآية الاكل غال في التعصب ؟ وهو ماعليه الاوريون وأفعالم أدل على التعصب من أقوالهم

ان الانكليز لم تستقر أقدامهم بمصر الا وحاولوا أن يثبتوا في موطنهم طلي كون الحجاز هو مهد الهيضة الربانية وقد ضغطوا على الخديو توفيق باشا ليكره طيبه سالم باشا سالم باقرار ذلك فأمره بأن يوافقهم فلم يفعل حتى أظهر توفيق باشا ماضية إرضاء لهم ثم انهم لما باعوا البواخر المصرية لشركة انكليزية بثمن لا يزيد على ثمن ما فيها من الاثاث والماعون (الموبليات) وان هئت قلت وهبوا البواخر وأرصقتها حملوا الحكومة على إلزام حجاج المصريين السفر في هذه البواخر دون غيرها وكانت الشركة تسمى «معاملة الحجاج الذين يركبون بواخرها ولكن الظلم الذي يكون في مصر نيس كالظلم الذي يكون في مثل جاوه أو سنغافورة بل يكون ظلما مفضوحا فيها وفي أوروبا فلذلك ولما بذل من السمي في تحسين معاملة الشركة للحجاج اتفق لورد كرومر مع الحكومة المصرية على وضع نظام معتدل لنقل الحجاج المصريين في هذه البواخر وكان انفع تلك المساعي ما قام به مستر ويلفرد بلنت المستشرق الشهير وما كتبه في ذلك الى لورد كرومر وما نشر في الجرائد الانكليزية. فهذا التحسين لم يكن من رحمة لورد كرومر ووافقه ولا من عدله وعدل حكومته ولكن كان امرا اضطراريا لا بد منه ولو كان ذلك من رحمة الحكومة أو عدلها لكان عاما في سنغافورة وفي كل بلاد لها سلطان عليها

هذا ما نقوله تمهيدا لرسالة جاءتنا من سنغافورة ورغب الينا ان ننشرها في عدة جرائد اذا أمكن وقد شدد الكاتب النكير فيها على الاوريين وسمى تعصبهم الحامل لهم على إهانة المسلمين وهضم حقوقهم تعصبا صليبيا يعني انه تعصب لأجل المسيحية نعم ان المسيحية تتبرأ من مثل هذا العمل الذي يصفه صاحب الرسالة بل هي تتبرأ من هؤلاء الافرنج عباد المال والقوة واعداء الضعفاء من غير أبناء جنسهم ولكن ماذا يعتقد وماذا يقول مثل هذا الكاتب الذي رأى بعينه واختبر بنفسه تضيق هولاندا

وانكثرا على الحجاج دون غيرهم وهو يعلم كما يعلم كل احد انه لا عذر لهم في ذلك؛
أليس يعد معنورا في كل مقاله ؟ بلى وهذا نص رسالته :

الحج

﴿ أوروبا والاسلام ﴾

ماذا تريد أوروبا من الاسلام وأهله؟ انهم لم تزل تحاربنا حربا صليبية كأشد ما يكون
من الحرب متحدة متناصرة من حيث ندري ولا ندري فانها لا تمنح لنا فرصة الا
ووثبت على قطر فاقترست استقلاله والتهمت ثروته واستعبدت أهله ونشرت فيه
الجرائم الضارة المهلكة للعقول والابدان والاموال (الخمر والزنا والقمار) كل ذلك
باسم الانسانية وتأييد الحقوق وتأمين التجارة وحب الخير و... وما هو الا الكذب
والخداع والقدر والاحتيايل ولقد رابها ماترى من عطف المسلمين بعضهم على بعض
ذلك المطف الذي يوجب الاسلام ان يكون على أقوى ما يتصور ولكنه وبالاأسف
لا يوجد منه الآن الا اسم بدوت مسى ومع ذلك لم يرق لدى أوروبا الرحمة
فصاحت الصيحات المزعجة وسنته التعصب الديني ونسبت اليه ماشاءت ولوته بما
أجبت وصورته غولا يتلعم الانسانية ويعيد الهمجية ولقد نجح مسعاها فاصفى الى
زورها من تربوا في أحضانها من شبائنا ومن تخرج في مدارسها المحشورة بالرهبان
والقسوس وبالملاحدة فكانوا طليعة الاعداء وسلماء لهم وحبالة يصطادون بها سخاف
العقول والجهال منا فلا حول ولا قوة الا بالله

كبر على أوروبا المتمدنة أن تكون للمسلمين ندوة عامة وهو الحج يلتقي فيه أهل
الغرب منهم بأهل الشرق وأهل الجنوب بأهل الشمال فقامت لحاربه فقالت ان
الحجاز ينبوع الأمراض ولوا نصفوا لهموا - وما إخالهم جاهلين - ان الهند منذ ربع قرن
لم يفارقها الطاعون وهفكوع منذ ١٥ سنة كذلك وغيرها كثير فلماذا لا تنظر أوروبا الى
تلك الجهات وتهيم عليها الحجر (الكورتينات) بل تنفض عنها النظر ولكنها في مقابل ذلك

تشدد على من يأتي الحجاز أو رجع منه كأنما هو ميكروب مجتمع سواء كانت الصحة هناك معتلة أو في أحسن حال حتى صار مفهوم لفظ الحج ملازماً لمفهوم الحجر الصحي والتطهير! اذ لا انفكاك عنه ولا سلامة منه مهما كانت صحة الحجاج جيدة سبحانه الله! لماذا كل هذه العناية ومزيد الرعاية من اساطين التمدن الرحاء؟ كلنا نعرف ونعتقد انها احتقاد وسخام صليبية قلبت أسماؤها تغريراً للبسطاء وسترا عن أعين العمش وما كفاهم هذا حتى اجتمعوا فكادوا للإسلام وأهله وخصوا سفر الحج بقانون مخصوص! انرى الحامل على ذلك كثرة المحبة والشفقة على الحجاج واختصاصهم بمزيد العطف؟ هكذا قال أولئك الساسة وادعوا

والدعاهي ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

لو كان ما يقولونه مما يمكن ان يكون صدقاً لما خص أولئك الحجاج وحدهم بهذه النعمة وحرم منها جميع المسافرين في اقطار الارض كلها، أترى ساسة أوروبا هان عليهم جميع الناس واشفقوا على الحجاج فقط؟ زه زه!! اننا نسألهم لماذا يكون الانسان حراً في سفره الى الاقطار الاربية بل والى القطب الجنوبي أو الشمالي ومجاهل افريقية وغيرها بلا شرط ولا قيد حتى اذا ما قيل انه يريد الحج قيد بالسلاسل والاغلال، وسيق الى المحاجر، واحتاج الى اجتياز عقبات، وتحمل صعوبات، أترى ذلك رحمة وعدلاً؟ بل لا بل!! لو كان الحامل لهم على عملهم هذا هو الرحمة لكان المجلوبون كالاغنام من الهند وجاوة للعمل في افريقية واستراليا في اعماق الارض أحق برحمتهم من الحجاج لانهم أكثر واسوأ حالاً منهم. قالوا ان كثيراً من الحجاج جهال مغفلون فهم عرضة للضباع، وقد صدقوا، وقالوا إنهم لذلك خصوهم بقانون مفرد غريب رحمة بهم وقد كذبوا، ولو كان الامر كذلك لكان الاحق بهذه الرحمة فلاحى روسيا والحبشان فلماذا لم يرحمهم ويحربوا هذه القوانين النحسة فيهم؟ مع اننا نرى أوروبا تسوق الجيوش وتجهز الاساطيل اذا أصاب النصارى من غيرهم أذى بحق أو بغير حق ولا نراها ترحم المسلمين اللهم الا في سفرهم الى الحج ولكن رحمة مقلوقة! فهل بلغ من استخفاف أوروبا ان ظننت اننا نصدقها في هذا؟ عجب عجب!!

هذه هولاء! قتل أهل سمترام ظلاماً منذ أكثر من اربعين سنة ولم ينبس احد

من وزراء أوربا بينت شفة ! أترأهم لم يعلموا انه لم يبق من أربعة ملايين فيها الا نحو الربع : كلا انه من المستحيل ان يعلم بذلك كل أهل الدنيا ويجهله وزراء الدول المتعددة الرحمة . بل الحقيقة ان أولئك المقتولين المضطهدين مسلمون والقائلين الظالمين لهم نصارى

قالوا ان الحجاز محل الاستبداد والنهب والظلم وقد علموا ان وجود ذلك مسقط لوجوب الحج أو مانع من دخول الحجاز وقد صدقوا ولكن ذلك كان في أيام الطاغية راتب باشا وقد طار الاستبداد معه . وقالوا انهم لذلك احتاطوا للمسافر اليه . ولو دفعوا تلك الحواجز الآن ونسخوها لقلنا انهم صدقوا فكيف وقد كذبوا أنفسهم بأنفسهم بثباتهم على العدوان والتشديد مع سبق الاصرار على ذلك ! ولسان الحال أفصح من لسان المقال .

انهم بما سنوه من القوانين وأوجبه من الشروط قد جعلوا الحجيج من الأصناف المحتكرة كالأفيون والخمر فاخص بهم بعض الشركات القاسية تسوهم الخسف وتذهب أموالهم فلقد كانت اجرة الذهاب من سنغافورة مثلا الى جدة يتراوح بين ١٧ و٢٠ ريبالا الى ٢٠ ريبالا وهو الآن ١١٠ ريبالات ذهابا وايابا ! ولو لم يقيده بالشروط المخصوصة لم يزد على ما كان ان لم ينقص لان المراكب التي تذهب من الصين الى أوربا لا تعد كثرة وسطوحها فارغة وكذا كراتها ان لم تكن مراكب بريد ولا يكلفها أخذ الحجيج شيئا الا ساعات قليلة تنحرف بها عن سبيلها حين ادخالهم جدة فيكون جل ما تكسبه من الحجاج أو كلة رجعا . ولكن كيف وانسى وقد احتكر وافضل رحمة الرحاء من صليبي أوربا وصاروا من حقوق بعض الناس و بعض الشركات يورثونها من بعدهم !!! أفلا تكون هذه نخاسة من مخترعات القرن العشرين ؟ فهنيئنا مرينا للأقوياء ما استحلوا من ظلم الضعفاء ، اذ لاراحم للمسلم الضعيف ولا معين ...

أما المراكب التي اختصت بأخذ الحجاج من سنغافورة وجاوة فلا كرات فيها ولقد رأيت أمراء هذه البلاد وأبناءهم يركبون ظهور تلك المراكب الوسخة بين الفحم والبهائم مضطرين وقد اعتادوا صنوف النعم والرفاهة والنظافة فيمرضون ويسقون وكثيرا ما يهلكون ، ويقاسون من العذاب والنكال ما يرجعهم عليه زبانية جهنم

ولا يرهم محبو الانسانية من الاوربيين ! وما هو ذنبهم ؟ هو ذنب عظيم ألا انه هو قصدهم الحج وذهابهم الى الحجاز وأوربا لا يحب ذلك ، فهي تعاقبهم ويحجزهم في تلك المراكب المظنة ثم تسوقهم الى المهاجر حيث تعري ابدانهم ويهانون ويقتل من أموالهم ما أبقته أيدي السراق والامطار والانواء . ولقد بقيت أحد كبراء هذه الجهات بعد خروجه من الحجر فرأته كأنما نشر بعد ما قبر ولو أراد أن يذهب بأحد مراكب البريد أو بمركب من غير مراكب الشركة المحتركة للحجيج لأقامت الحكومة عليه وعلى الباخرة التي تقله الدعوى وحكم عليه وعليها بأشد أنواع العقوبات ورحمة وشفقة !!

لو فرضنا ان الحكومات الاوربية تحب ان تخدم الحجيج ، وانها تعتقد أنهم في منزلة القصار وعديمي الرشد لعلت معهم ما تامله لو أودت قتل قطع من البقر للذبح فانها تعلن ذلك الامر والشروط المرغوبة وتعطيه لمن يطلب أقل أجره عليه . ولو فعلت هذا لما كانت تبلغ أجره الحاج الواحد ذهابا وايابا . ٤٠ ريبالا فيتوفر لكل نفر من الحجاج من ركاب السطح ٧٠ ريبالا وهي شيء كبير بالنسبة لفقير الاهالي اذ الكثير منهم لا يقدر على توفير ذلك المبلغ في ثلاث سنين ولكنهم عندها اذل من البقر ومعاملتها تفصح بهذا وكان يجب عليها ان تحتم على من منحهم قتل الحجاج ارجاع اجرة العودة الى ورثة من مات ولكن الامر الآن بالعكس فأنا أكتب هذه الاسطر وأمامي أحد الاهالي ويده ٢٥ ورقة مات أهلها وقد دفع أجره العودة كل واحد منهم ٥٥ ريبالا ولكن الشركة (الكبانية) أثبت ان تدفع له ذلك واتفق مع احد المتسبين اليها أن يشتري منه تلك الاوراق بعشرين ريبالا فقط ثم أبي وقال بها لمن يريد العودة من جدة ومعلوم انها هناك تباع بثمانية ريبالات أو نحو ذلك والحكومة تساعد الاوربي الظالم على الاهالي المساكين ، وذلك ايضا رحمة وحنان !!

نعم ان طرحها أمر تفسير الحجيج في المزداد كما قلنا منافع لحرية التجارة ولكن ذلك مع نفقه للمساكين أقل اثما من انتهاك الحرية الاشخاص بمنهم من السفر كما يشاؤون . فاذا جاز هذا جاز ذلك بالاولى قطعا اما تهيدها حرية الحجاج المساكين

وتركها لهم مربيين بين يدي أولئك النخاسين الفلاظ الا كباد فظلم من اشنع
وأبشم أصناف الظلم فيما نعتقد

ويجب أن يستثنى من يركب الكمرات من كل قيد كما هو الحال بالهند والصين
ومن العجب أن يكون ركاب الدرجة الأولى والثانية وخدامهم مستثنين من الحجر
الصحي والتطهير مطلقا هنا وفي الهند والصين ولا يستثنون إن سافروا الى الحجاز،
فإذا فعل المصعب الأعمى قاتل الله الأغراض

ومن القريب ان مجلس المبعوثان المحترم لم ينس أحد من اعضائه يفت شقة في
هذا الصدد وذلك اهل او جبن ولا قول لاجل أن يتحقق مسلمو الشرق مايقوله
اعداء جمعية الاتحاد والترقي الموقرة من بغضها لكل ما يتعلق بالدين ليفصموا
عزى اتحاد المسلمين من كل جهة فانا نتحقق كذب هذا القول بالنسبة لعتلاء القوم
وقضائهم واذا كان فيهم زنادقة أو متفرنجة أو نصارى جهال فاني لأبخل عليهم
بنصيحة يتحققون صدقها : وهي ان منفعتهم كبيرة جدا في تمسكهم بالاعتدال في
كل حال وفي اجتلاب محبة المسلمين كلهم والسياسة توجب عليهم الاجتهاد في
ذلك ولهم بفرنسا قدوة حيث طردت قسوس الجزويت من بلادها وحميتهم في
الشرق فليتظاهروا بذلك لنفعه المقطوع به ولا يكونوا السبب في خسارة الدولة اهم
قوة بحسب لها عدوها الف حساب وحساب فلهذا نستصرخ باعضاء المبعوثان الكرام
و باهل الجرائد و حملة الاقلام والعلماء الاعلام ليقموا الحجة ولا يسكتوا عن المطالبة
بالحق والانصاف فان انصار الحق كثيرون في أوروبا وغيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل
ستافورة (س . س . ي)

﴿ الشيعية وتعدد الزوجات ﴾

كتابي الى مولاي الأستاذ الحكيم ، بعد السلام عليه ورحمة الله وبركاته ،
كتاب معجب بماله من الايادي البيضاء في اصلاح الامة ورفع « منار » الاسلام

وارشاد المسلمين الى الطريق الاقوم والصراط السوي ، بيد اني اعتقد انه لا بد للجواد أن يكبو ، والصارم أن ينفو ، فقد أويت في الجزء الثامن من مناوكم (صفحة ٥٩١) ما يشير بالنسبة الى الشيعة ما هم منه براء ، وما نسبة ذلك اليهم الا محض وهم واقتراء ، وهي انهم يجوزون الزواج الدائم بأكثر من اربع لانهم أولوا الآية الكريمة بخلاف ظاهرها وفهموا منها ما لم يفهمه سائر المسلمين بل ادعينهم اجماعهم على ذلك مع ان اجماعهم على عدم حل الزوج بأكثر من اربع كما ستعلم . ولما قرأت ما كتبتوه عجبت اشد العجب لعلمي بعدم صحة ما نسب لهم قلت لعلي لم أطلع تمام الاطلاع على دخيلة الامر فعرضت ذلك على فريق من علماء الشيعة فاستنكروا ما عزي اليهم غاية الاستنكار ، وعجبوا كيف يصدر هذا الخطأ من فاضل نظير صاحب المنار ، ثم استحضرت الكتب الفقهية التي عليها اعتماد الطائفة الشيعية ، لعلي أعثر لذلك على أثر ، أو أقف له على خبر ، فلم أجد ضالتي المنشودة بل وجدت خلافاً لها انا اقل لكم عباراتهم بالحرف الواحد لتعلموا صدق ما اقول وتكونوا على بينة من الامر وتزيلوا هذا الفناء عن البصائر والابصار

قال في تذكرة الفقهاء لمولفها الحسن بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة وهو من اعظم علماء الشيعة واجلهم قدرا عاش في القرن السابع والثامن مانصه :

« مسألة : اجمع علماء الامصار في جميع الازمان والاقطار على أنه يجوز للحر المسلم أن يتزوج بالعقد الدائم اربع حرائر ولا يجوز له الزيادة عليهن لما روي عن غيلان بن مسلمة الثقفي أنه اسلم ونحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربعا وفارق سائرهن ، واسلم نوفل بن معاوية فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربعا وفارق الاخرى ، ورواية زوارة بن اعين ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال لا يجمع مائة في خمس ، وفي الحسن عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام في رجل تزوج خمسا في عقد قال يخلو سبيل أيهن شاء ويمسك الاربع ، وحكي عن القاسم بن ابراهيم أنه أجاز العقد على تسع واليه ذهبت القاسمية من الزيدية . قال الشيخ رحمه الله : هذه حكاية الفقهاء عنهم ولم اجد احدا من الزيدية يعترف بذلك بل انكروها اصلا واستدلوا بقوله تعالى (فانكحوا

ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو للجمع ولان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع والواو ليست للجمع بل للتخيير كما في قوله تعالى (أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ولم يرد به الجمع اذ لو كان المراد الجمع لقال تسعة ولم يكن للتطويل معنى قال الشيخ رحمه الله : لو كان المراد الجمع لجاز الجمع بين ثمانى عشرة لان معنى قوله مثنى اثنين اثنين وكذلك قوله ثلاث معناه ثلاثا ثلاثا وقوله رباع معناه اربعا اربعا كما في قوله جاء الناس مثنى وموحدا أي اثنين اثنين وواحدا واحدا وهو باطل اجماعا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخصوصا بذلك فانه جمع بين اربع عشرة امرأة فثبت ما قلناه اهـ

وجاء في اللمعة الدمشقية لمؤلفها محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول وشاوحها زين الدين المعروف بالشهيد الثاني وهما من اعظم علماء الشيعة عاش الاول في القرن الثامن والثاني في القرن الالف مانصه :

« السابعة لا يجوز لحر أن يجمع زيادة على اربع حرائر او حرتين وأمتين او ثلاث حرائر وامة بناء على جواز نكاح الامة بالعقد بدون الشرطين والا لم يجوز الزيادة على الواحدة لاتقاء العنت معها وقد تقدم من المصنف اختيار المنع ويبعد فرض بقاء الحاجة الى الزائد عن الواحدة ولا فرق في الامة بين المؤمنة والمدبرة والمكاتبه بقسميها حيث لم تؤد شيئا وأم الولد ولا للعبد أن يجمع اكثر من اربع اماء او حرتين او حرة وأمتين ولا يباح له ثلاث اماء وحرة والحكم في الجميع اجماعي » اهـ

وكلا الكتابين للذين نقل عنهما مطبوعان في طهران عاصمة بلاد فارس وقال في مجمع البيان وهو التفسير المعتمد عند الشيعة في معنى الآية (فانكحوا ما طاب لكم) الخ وطريقه ان يذكر الآية أولا ثم القراءة فالحجة فالاعراب فالنزول فالله في هذا من جملة ما ذكره في معناها :

« وقوله مثنى وثلاث ورباع معناها اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا اربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلاثة وأربعة تسعة كما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول

ولأن لهذا العدد لفظاً موضوعاً وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من الهي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلام لا يحمل ماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من الحرث اراه

ولو أردنا استقصاء كلام علماء الشيعة لضاق المقام وطال الكلام وأظن فيما أوردناه مقنناً ومنه تعلم ان اجماع الشيعة على عدم حل الزوج بأكثر من أربع في المقد الدائم وأزيدك على هذا اني رأيت في أثناء مراجعتي الكتب الفقهية ما لم أكن اعلمه وهو استشكل لبعض علمائهم في الزيادة على أربع حتى في المتعة مع ان الاكثرين منهم ذهبوا الى عدم الحد بها

ومن المعلوم لدى الاستاذ ان العصر عصر دليل وبرهان فلا يحمل بصاحب مجلة معتبرة ان يورد أمراً لم يسبره بمسبار التحقيق ثم يهده من المسلمات البديهيات وعندى ان عدم التثبت في نقل الاخبار أوصل الامة الاسلامية الى هذه الحالة وجعل كل فرقة تسيء الظن بالآخرى وكل هذا راجع على ما اعتقد الى عدم مراجعة كتب الفرق المنسوب اليها تلك المقالة التي تبتأ منها والاعتماد على كتب مناظرها فاني رأيت كثيراً ما ينسب علماء السنة الى الشيعة ما يبتأون منه وما لم يوجد في كتبهم المعتبرة وكذلك يفعل علماء الشيعة وخذ لذلك مثلاً ما ينسبه أغلب المسلمين الى الوهابية من المقالات الشيعية والاعتقادات الفاسدة ولوراجعنا كتبهم لافيناهم يبتأون منها ولم تكن علاقتهم بها الا كقول الشاعر

انما أنت من سليمى كواو الحقت في الهجاء ظلاً بهمرو

ولا اظنكم اعتمدتم فيما كتبتم الا على كتب أمثال ذلك (العالم الغيور) مع انكم لو اعمستم النظر واعلمتم الفكر لافتم اولئك يخبطون في بعض الامور خبط عشواء لانهم لا يعتمدون على المصادر الموثوقة بل يتكلمون على السماع وهو ما لا يجوز ان يتخذ حجة يتمسك بها كما فعل ذاك العالم الغيور في رسالته التي بحث بها اليكم عن أحوال المراق ونشرتوها في الجزء الاول من المجلد الحادي عشر وكل مطلع على احوال المراق يهتفه ضاحكاً من عدم التثبت في اسانيدها والاعراب من ذلك تذييلكم

(المجلد الثاني عشر)

(١٥٩)

(المارج ١١)

لها وقولكم ان مجتهدى الشيعة يبيعون لامراء العرب التمتع بعدة نساء مما يصادف هوى في قوادهم مع ان اولئك الاعراب يأفون أشد الافة من المتعة ولا يفعلونها قطعيًا وهي مع حلها عند الشيعة لا ترى عريًا يفعلها بل لا ترى عريّة تقبل بها الا في النادر وربما كانت شائعة عند الفرس لا غير وهذا ما حمل بعض علماء الشيعة من العارفين بأحوال العراق على الرد على ذلك العالم القيور في مجلتنا (العرفان) ولما كنت اعلم منكم الانصاف وأجلكم عن عدم الثبوت ودعم ما تنقلونه بالدليل مع ان مبدأكم المطالبة بالبرهان جئت بكتابي هذا كي تنشروه على صفحات مجلتكم الحرة احقاقًا للحق وإعلاءً لنار الصدق حتى اذا كان لكم دليل من كتب الشيعة على مدعاكم اتيتكم به واني على يقين بأنه لا يوجد بتاتًا وبقي امر آخر لا بد من استطلاع طلائع واستجلاء حقيقته منكم وهو قولكم لا يعتد باجماع الشيعة لان المسلمين اجمعوا قبلهم فلم يري هذا من الغرابة بمكان لان الشيعة أقدم من بقية المذاهب المستحدثة في الاسلام كما يعلم ذلك كل من له مسكة من علم التاريخ واطلاع على نشأة القوم واني انبهكم قبل ختام الكلام الى ان كتب الشيعة اصبحت منشورة ومطبوعة أكثرها في بلاد فارس والهند والحصول عليها متيسر فيمكنكم استجلاب شيء منها حتى اذا قلتم شيئاً عنهم يكون على ثقة وثبت والسلام .

٣٠ رمضان سنة ١٣٢٧ هـ نشيء العرفان

احمد عارف الزين

(المنار) أرسلت الي هذه الرسالة وأنا في سياحتي بالاستانة فأنا اعلق عليها بالايجاز وأنا جالس في احد المطاعم بعد الفداء وابدأ كلامي بالبراءة من التعصب للمذاهب ثم أقول :

أشكر للكاتب بيانه وأعده له يدا يمنها على المنار اذ لا يحب ان ينسرفه شيء من الخطأ ولا يعقب بيان الصواب ولكني أنكر عليه ما ذكره من الكلمات الجارحة التي اعتادها الذين ينكر بعضهم على بعض انتصارا لمذهب على مذهب والتشيم لقوم وإهانة آخرين كقوله « شخص وهم واقترء » فان الاقترء تعمد الكذب ويبعد جدا ان يكون الذين عزوا هذا القول الى الشيعة قد تعمدوا الكذب في نسبتها اليهم بل لا يعقل أن يقع هذا من عاقل اذ لا فائدة فيه ولا هو من المسائل التي يرجح بها مذهب على

مذهب والخطأ في فهم آيات القرآن جائز على كل أحد وقد وقع من بعض الصحابة وهم أهل اللسان وشهداء البيان وعمن دونهم من أئمة الفقه وعلماء المذاهب المنسوبون إلى السنة كثيراً ما يخطئ بعضهم مذهب بعض ، فنقلهم مثل ذلك القول عن الشيعة لا وجه لأن يكون من الاقراء عليهم أو انتقاصهم لأنهم شيعة بل لا بد أن يكون له أصل وإن لم يكن هو المصنف في مذهب الإمامية أو الزيدية ، ونسبة الأقوال الشاذة في المذهب إلى أهل المذهب معهود وغاية ما يقال فيه أن نقل المخالف لا يمتد به . وأنت تقول إن القاسم بن إبراهيم أجاز العقد على تسمي وإليه ذهبت القاسمية من الزيدية ، وهم من الشيعة في عرف أهل السنة . ولا يبعد أن يكون أولئك الناقلون عن الشيعة ما ذكر قد سمعوا منهم أو قرأوا عنهم قولاً آخر من الأقوال الشاذة فظنوا أنه هو المصنف في المذهب ، ويكفي في بيان مثل هذا الخطأ أن يقال إن ما نقل عن الشيعة في مسألة كذا غير صحيح أو غير معتمد عندهم والمصنف هو كذا ولا حاجة إلى مثل هذا التطويل والتهويل والتذكير بالانصاف والدليل

وأما القول بأنه لا يبعد بخلاف الشيعة في مسألة كذا لأن المسلمين اجمعوا قبل ذلك عليها فلا ينقض بدعوى أن مذهب الشيعة أقدم من بقية المذاهب لأن المراد باجماع المسلمين قبلهم هو اجماع الصحابة لإجماع أهل المذاهب المستحدثة أو القديمة ، وجميع المذاهب حادثة في الاسلام وقد كان الاسلام على أفضل ما كان عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الصحابة والتابعين ولم يكن فيه مذاهب ، ثم حدثت المذاهب ففرقت كلمة المسلمين وما زادت الاسلام الأضعف ووهنا ولا نبحت في قدم بعضها على بعض إلا من باب التاريخ إذ لا علاقة لذلك بالحق والباطل والخطأ والصواب فكون مذهب المعتزلة سابقاً لمذهب الأشعرية لا يقتضي كونه أصح منه وكون مذهب الجهمية متأخراً عن مذهب الخوارج لا يستلزم أن يكون أقرب إلى الصواب منه . ونحن نعتز بأن ذكرنا للمذاهب أحياناً في تفسير القرآن مخالف لمشر بنا وهو إنما يقع منا سهواً فالقرآن فوق المذاهب كلها ونحن لا نلتزم في تفسيره مذهباً من المذاهب لأن هذا من تفسيره بالرأي والهوى وهو منهي عنه

وأما ما نشرناه لذلك العالم السائح فهو من باب النقل والناقل عدل ثقة لا شك

عندنا في عدائه وقد يخطئ ويصدق بعض الروايات الباطلة فينقلها بحسن النية ولو جاءنا رد عليه لنشرناه اذ لاحظنا غير اتباع الحق والسلام

﴿ الصديق وميراث النبي (ص) ﴾

سيدي الدكتور مرجليوث

إليك ما وعدتك في جوابي عن تذكريك من الملاحظة على بعض ما جاء في انتقادك لكتاب بلاغات النساء الذي شرحته وطبعته

(١) جاء في انتقادك ان الكتاب لم يذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر وانه قد يكون هو كتاب المستظرفات

وأفيدك: ان بلاغات النساء هو الجزء الحادي عشر من كتاب المنظوم والمنثور لابن أبي طاهر أسماه باسم خاص به هو اسم بلاغات النساء الخ، وقد اخترت نشره بهذا الاسم لانه خير عنوان لمشمولاته وادعى لإلفات النظر اليه فان غرضي من نشره هو مساعدة الحركة العاملة عندنا لترقية المرأة وترى عقب المقدمة التي وضعناها للكتاب اشارة الى ذلك فلتراجع هذا وان كتاب المنظوم والمنثور ذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر (راجع معجم الادباء)

(٢) ثم جاء في الانتقاد: ان اخراج ابي بكر لفاطمة من ميراث ابيها كان يقينا بتعريض عائشة التي لم تسامح عليا قط فيما كان له من اليد في حديث الافك !! أقول: ان انباء الحوادث لا تثبت الا من طريق النقل وهذه كتب التاريخ كلها خلو من ذكر ما حسبته يقينا ولم يشر اليه في واحد منها لا تصرحاً ولا تلميحاً فتفردك بقول في حادثة مضي عليها ١٣ قرناً موضع نظر!

ان الفكر لا يلجأ الى الاستنتاج العقلي لمعرفة السبب في حادثة تاريخية الا اذا

*) كتاب لاهد افندي الانبياء بعث به الى الدكتور مرجليوث المدرس بجامعة اكسفورد رداً على ما تعرض له بتقريره كتاب بلاغات النساء من انباء الصديق (رض) بحرمان فاطمة عليها السلام من ميراث ابيها (ص) اجابة لتعريض عائشة (رض) وقد ثبت به انك لنشره بمناسبة هذا الانتقاد في التفسير من الاضافة في هذا الموضوع راجع (ص ٧٢٧ - ٧٣٤) من هذا الجهد

خلت روايتها من ذكره على وجه صريح معقول وليس ذلك في حادثنا فان أبا بكر لم يخرج فاطمة من الميراث الا أخذنا بقول ايها صاحب الشريعة الاسلامية: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» وقد ائتمت فاطمة وأما واشراف الامة حينئذ بصحة هذا القول وأقروا العمل به وقبلوه

ان مثلك لا يند عنه معرفة قوة سلطة الدين علي متحليه في ابان نشأته كما كان ذلك في عهد تلك الحادثة حينئذ والعرب على فطرتهم البدوية وسذاجتهم الطبيعية فلا يمكن أن يلتزم مع ذلك ان يجنح أبو بكر الى هضم انسان حقه بتحرير محض وأن يقره على ذلك الباطل اعيان الامة وان يخفى كل ذلك على رواة التاريخ فينفقوه ان العيان يكذب ان الموجدة الشخصية تكون سببا في ان يمنع الانسان غيره من حقه فان كثيرا من المتعاملين يجني بعضهم على بعض ومع ذلك قتل أن يكون ذلك سببا للجسارة على ان يهضم انسان حق آخر خصوصا اذا كان صريحا كما في مسألة الميراث في مثل تلك الظروف

ان عليا لم تكن له يد في حديث الافك وانما صدر عنه رأي في تخفيف وقته على محمد واليك مانسبته عائشة نفسها الى علي في هذا الشأن وقد نقلته عن كتاب البخاري اصح كتب الرواة الاسلاميين بالاجماع قالت :

« ثم اصبحت فدعا رسول الله علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد يستشيرها في فراق علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعاها رسول الله فقال لها « يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ » قالت بريرة لا والذي بعثك بالحق ما رأيت منها أمرا اغمضه عليها قط »

وقد طوي حديث الافك بأسبابه ونتائجه لما تحققت براءة عائشة حتى أن أبا بكر أعاد صدقته على « مسطح » أحد القائلين فيه وكان قطعها عنه أثناءه

إن عائشة لم يكن لها في حياة أبي بكر وعمر الى أواخر زمن عثمان دخل في شئون الامة العامة وبعيد أن يحصل منها تحريض في مسألة الميراث يخفى خبره على رواة الاخبار حتى لا يذكره منهم ذا كره ويجوز باطله على اعيان الامة في ذلك الحين حتى لا يجهر بالحق منهم جاهر

ان الميراث لم يكن راجعا الى علي حتى تدفع عائشة بدافع موجدتها منه
فتمرض أباهما عليه فيه بل الميراث ميراث فاطمة والعباس عم النبي وأزواج الرسول
ومنهن عائشة

جاء في تاريخ الطبري رواية عن عائشة نفسها :

« ان فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهما حينئذ يطلبان ارضه من فديك وسهمه من خير فقال لهما أبو بكر أما اني
سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، انما يأكل آل محمد من
هذا المال وانني والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعه »

لوم تقتنع فاطمة والعباس بحجة أبي بكر أو لو أحسا بأن الدافع اليه حقد يضم
جوانحه عليه لا بت لهما انقهما العربية وهما هما صفوة بني هاشم ، وعزتهما الاسلامية
وهما آل الرسول وبجانبهما علي وشيعته ... ان يستخدما للباطل ولأثارا على أبي
بكر غارة شعواء لا قبل له بها

قد كان علي بنفس علي أبي بكر منصب الخلافة ولكن منه دينة أن يتعرض
خليفة سلك مسلك الحق ولو وجد علي في عمل أبي بكر منفذا يدخل عليه منه لما
وئى وقد أراده أبو سفيان رأس بني امية (راجع الطبري) على مناوأة أبي بكر
فاستعصم علي لهم المسوغ وأي مسوغ كان أدعى من أن يجبر أبو بكر على منع
فاطمة بنت رسول الله والعباس عم رسول الله ميراثهما بتحريض عائشة ؟

ان ابا بكر في حسن سياسته وقوة ايمانه اجل قدرا وارجح رأيا من أن يندفع
بالباطل لمنع آل الرسول حقهم الصريح وسيرته ترفع بقارثها عن أن يظن به ذلك
خصوصا ان ابا بكر لما ولي الخلافة تخلف عن بيعته من تخلف وارتد عن الاسلام
من ارتد فكان إزاء نارين فارتأى بحكمته مداراة المتخلفين حتى سكتوا عنه وراجعوه
وعزم بحزمة حرب المرتدين حتى انصاعوا اليه فكيف مع هذه الظروف يجسر على
منع رؤس بني هاشم وآل الرسول حقهم بالباطل ؟ وبعيد جدا أن يفسلوا على حقهم
الصريح بتأليب الباطل والغرض مع قدرتهم على المقاومة لو أرادوا ، وبعيد جدا أن
يقرب العرب اجمع ابا بكر على باطل ارتكبه بدافع التحريض وهم الذين انكروا

على عثمان توليته بعض مناصب الدولة لاحداث قومه حتى قتلوه
لو أن حادثة الميراث غير معلومة السبب وكان لابد من تلمس العلة فيها لكان
غير رأي يتفق مع طبيعة ذلك العصر وظروف هؤلاء الناس أن يقال : ان ابا بكر
اراد بتقريب ان النبي لا يورث توهين اعتماد علي في احقيقته بالخلافة على قرابته من
النبي لانه اذا كان النبي لا ترثه قرابته في عقار وهو ملك خصوصي فبالحري او
بالأولى أن لا تتخذ قرابته وصلةً لاحقيقه في امر عمومي

(٣) اما اسناد خطبة فاطمة فان ملاحظتك عليه صحيحة والصواب ان
(زيد) الذي سأله ابن ابي طاهر ليس هو زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢ بل هو
زيد حفيده كان معاصراً لابن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) . وقد روى ابن ابي
طاهر عنه غير هذه الخطبة كما ورد في صفحة ١٦٢ من الكتاب ذاته اذ قال : حدثني
زيد بن علي بن حسين بن زيد العلوي . فزيد العلوي هذا هو المتوفى سنة ١٢٢ وهو
من اجداد زيد المعاصر لابن ابي طاهر

وعليه فيكون قد سقط من اسناد خطبة فاطمة ثلاثة رجال خطأ من النسخ
لنسخة الخطبة التي طبعت عنها هذا الكتاب

هذه ملاحظاتي اقدمها مع الشاء الجميل لك واعجابي الزائد بفضلك وأود
أن تنشرها في المجلة التي نشرت فيها تقریظ الكتاب حتى يطلع عليها قارئو التقریظ
فلا يفوتهم ما جاء فيها من التصحيحات والملاحظات وارجو أن ترسل لي نسخة من
العدد الذي تنشر فيه وعلى كل حال احب أن تفضل بافادتي عن وأيلك فيها فان
الحقيقة بنت البحث وهي ضالتنا المنشودة جميعاً .

• حركة الإصلاح في جاوة •

سيدي الامام ، الداعي الى سبيل السلام ، بعد التحية والسلام : قد وصلنا العدد
التاسع من المنار المنير وكله فوائد تهش لها افئدة المؤمنين ، وحجة قاطعة لالسنه
الجامدين ، وقد انتعش بها قلوب احبوا الهدى ، وغص بها آخرون اخلدوا الى زينة

الحياة الدنيا ، ولقد احسنتم كل الاحسان فيما اتقدتم به رسالي الفاضل السيد عثمان ونحن نوافقكم عليه حرفيا وانه لكما ذكرتم حري بأن تحسنوا به الظن لانه قد بلغ من الكبر عتيا وله خدم مشهورة وما أثر حسنة وان كانت له هفوات معدودة ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه واني اكاد اجزم أنه سيرجع الى الصواب ويضيف بذلك لنفسه منقبة ان شاء الله ان لم يكن ادركه الخرف لانه في العقد التاسع من العمر نسأل الله أن يوفقنا وإياه وإياكم لرضاه آمين

وكيف لا ارجو له الرجوع الى هدي الكتاب ونبذ تقديم آراء الرجال عليه وجده الادنى السيد عقيل بن عمر كان من المجتهدين الذين لا يحتقنون الناس دينهم فلقد عطل ابن سعود دروس المقلدين من الحرم الشريف لما استولى على مكة المكرمة ولكنه لم يتعرض لحلقة السيد عقيل المذكور بل كان علماء نجد يجتمعون فيها كما أنه منع جميع المفتين بمكة عن الافاء ولكنه لم يمنع السيد عقيل لانه كان يقضي بما يظهر له من محكم الكتاب وصحيح السنة وهاهي فتاوى السيد عقيل وكتبه موجودة وهو شيخ مشايخ الملاويين في علوم الشريعة والطريقة وطريقتهم الاخذ بالكتاب والسنة ومن احق الناس بساوك طريق السيد عقيل حفيده السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل

ولقد ظهرت بشارت نعم دعوة المنار ودعائه ومن يدعو الى ما يدعو اليه بهذه الجهات فصار الناس يتأففون من حالتهم الحاضرة ويثنون مما اصابهم من الجهل وابتدأوا في تأليف جمعيات وجمع نقود لفتح مدارس اسلامية تعلم النابتة اللغة العربية والعلوم الدينية وطرقا مما ينفعهم في امورهم الدنيوية وبالفعل قد فتحت مدرسة في بتاوي وأخرى في قاليماغ وثالثة في سورابايا ورابعة في قرسي استاذها الشاب الفيور الفاضل السيد محمد بن هاشم بن طاهر سبط الفاضل السيد عثمان وقد جعلوا لتلك المدارس نظاما وترتبا نؤمل مع الزمن أن يكون مرعاة الى بلوغ الكمال وقد امتحن منذ شهرين تلاميذ مدرسة قرسي للسنة الاولى فنجحوا نجاحا يكاد يعد من المعجزات بفضل اجتهاد وذكاء استاذها وحيل صبره فلا أعد ما قلنا ان قلت انها في مدرسة في

هذه الجهات وان ستين في المئة من تلاميذها أعلم من آبائهم ولما يرض عليهم بها شهرًا
وان المهمة مبدولة من رجال النهضة في هذه البلدان في طلب مدرسين من الخارج
ليستفيدوا من تجاربهم ومعرفتهم بالنظام والترتيب

نعم قد صنف حضرة السيد عثمان رسالة سماها جمع النفائس ونشرها وصدر لكم
منها مع هذا نسخة لا عذر لكم عن تصفحها وهي أقل من ١٢ صفحة وأراها (ورقًا
اكون مخطئا) ستعقل هذه النهضة الشريفة ان لم تقض عليها في بعض البلدان لما
لصاحبها من الصيت والجاه وانني لا أشك في حسن نيته ولكنني أقول انه أراد أن
ينفع فصر فعسى أن تلاحظوا ما كتبه ونشروا رأيكم فيه نقسوا من جهة الدعاة
وتكسروا شجرة الجامدين وتقوموا هذه النهضة قبل أن يجهز عليها اصحاب المرام وهي
في سن الطفولية ادامكم الله نفع العباد وشعبي في حلق اهل القصاد
آمين آمين لا أرفى بواحدة حتى أضيف اليها القصد آمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
س م م م يتاوي (جأوة)
المناج : أثني على القائمين بنشر التظيم اطيب الثناء ونحسبهم على المضي في عملهم
بدون مبالاة بأر باب النزغات والاهواء ، وسندكر وأينا في رسالة «جمع النفائس» في
الجزء الثاني عشر إن شاء الله تعالى

مدافعة صاحب جريدة { وطن } عن نفسه

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين
أما بعد السلام والاحترام : أثني عليكم ثناء جميلا لحسن ظنكم بهذا العاجز
ومعانة الرد على شبهاتي العديدة بالحسنى ، ودفع التهم الموجهة الي من جرائد
الاستانة الاخذة بالظن والغير المبالية بالحقائق وأشكر فضلكم
ان اقوال جريدة «يني غزته» وغيرها في اتهماتي بالطمع باحراز المال والجاه
وتوقع الانعامات الحميدة - لا أجد حاجة لتفنيدها ، وكل من يرجع الى وجدانه

الصحيح يرى بطلانها عيانا لان الدولة التي أجدها محتاجة لاعانة المسلمين وكنت اجتهد جهد طاقتي في جمع الاعانات المالية لما حينا بعد آخر وأخذ من اهل البر من المسلمين من بضعة اعشار القرش الى القرش فصاعدا وأحفظها عندي ومتي اجتمع مبلغ من المال ارسله الى الاستانة ، - لا يعقل انسان اني كنت أوئل من مثل تلك الدولة منفعة مالية لان ذلك الأمل يجب أن يكون من الغني لا من المهور ! وعدا ذلك فاني لو كنت أنوي الفوز بالوسامات والانواط من الدولة العلية وكأنت بهذا الأمر رجال المايين لما كنت أجديسارة في ذم القابضين على زمام الاقتدار فيه ورجاله المشهورين مثل عزت « افندي » العابدوغيرهم ومدح الحكومة الدستورية في تأليني « تاريخ السكة الحجازية » ؟

والحاصل اني لم اكتب قط الى المايين كتابا ، وأنى لمثل أن يكتبه ويمجد منه أذنا صاغية ويتشرف بالرد الجميل منه ، اللهم اني كتبت مرة الى سعادة السيد مصطفى ذهني باشا ناظر النافعة الاسبق لكونه مشرفا على ادارة السكة الشريفة حوالي موعد الاحتفال بافتتاح السكة الكريمة الى مدينة النبي (ص) - بأسماء بضعة من اكابر الملة الاسلامية وأصحاب الجرائد ، لدعوتهم الى حضور الاحتفال رسميا ودعوة رجل أو رجلين من صحافي الانكليز أيضا لذلك الغرض ولا أذكر الآن هل كان اسمي أيضا في تلك القائمة أم لا ، وكان ذلك الكتاب كشورة نافعة لجمع الاعانات للسكة الحجازية من مسلمي الهند وغيرها من الاقطار الاسلامية لان الكبراء والصحافيين الذين يدعون الى الاحتفال ويشتركون فيه لاشك في أنهم يصيرون بعد العودة من الاحتفال ساعين في بني قومهم بترغيبهم وحثهم على اعانة ذلك المشروع الاسلامي العظيم وتستفيد الدولة بحصول حبهم الخالص أيضا ولا أظن انكم ترون في مشورتي هذه غير الاخلاص والحب الصادق لدولة اسلامية عظيمة ، وكثيرا ما كنت اقترح على سعادة الباشا الممدوح ما أراه مفيدا من اسباب توفير الاعانة والاصلاحات الضرورية لهذه السكة المباركة

وأما أمر الوسام والنيشانات فأكرر قولي في ذلك الباب كما قلت لكم قبلا بأني لم أوئل قط حصولها بل لما أرسل الي سعادة مصطفى ذهني باشا النيشان العثماني من

الطبعة الرابعة كتبت الى سعادتكم « لو كنتم أخذتم رأيي في ذلك الباب قبل ارسال
النشان فلم أكن لأقبله ، وأما الآن وقد أرسلتموه الي فأرى رده من سوء الادب »
وأرجو من كرمكم نشر كتابي هذا في « المنار » الاغر والقات رصيفاتنا الجرائد
التركية وبالأخص جريدة « بني غزته » الى نشر كتابي الذي وجد في المايين والذي
بنت هذه الجريدة قولها عليه بنصه مع الترجمة باللغة التركية لينصف العالم هل أنها
صادقة أم لا ، والا فالواجب الصعافي والاسلامي يحتم عليها نفي قولها الغير الصادق
باتهامي بما لست فاعله أبدا

والرجاء من غيرهم الاسلامية قبول دعوتي هذه لثبث طهارة ذمتهم بتبرئة البري
من التهم الباطلة الموجهة اليه والا فلا أكون مخطئا في ظني بحزب تركيا الفتاة انه يصد
عن الانصاف والحق كل البعد ولذلك ارسل نسخة من كتابي هذا الى رصيفتي المؤيد
ايضا وارجو منها نشره

هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم ودمتم سالمين كاتبه المخلص

محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية

لاهور - پنجاب (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاح مجلس المبعوثان

كان يوم غرة ذي القعدة الحرام يوما مشهودا في الاستانة العلية ، تطالت اليه
اعناق العثمانيين ، وحدجت ابصار الشاهدين منهم له والغائبين ، اذ هو يوم من ايامهم
المشهوده ، وعيد من اعيادهم المعدودة ، ألا وهو افتتاح مجلس الامة الذي استردت
به الامة حياتها ، وحفظت كيانها ، واصبح امرها بيدها

ولأن كان يوم إعلان الدستور هو العيد العام لجميع العمانيين، والحد الفارق بين عصر قرب العدل، وزمن سلطة الجائرين، فجدير بهذا اليوم أن يكون عيداً مثله عظيماً، إذ به تتحقق مباشرة الأمة للقبض على أزمته الحكم عملاً، وذلك بسن القوانين العادية، والتصديق على اتفاق المشروعات النافعة

لقد كان هم المبعوثان في العام الماضي محصوراً في تهريب طرق المحافظة على الدستور، والسعي في حمل الحكومة على التنازل عن واسع سلطتها، لتكون في يد المجلس، ويناهم يكافحون ويناضلون، ويتحاجون ويتحاورون، إذ نهجت تلك الفتنة الماثلة، والبلية النازلة، التي كادت تذهب جذورها في جميع أنحاء السلطنة، فاقضت على الدستور بقية زعزعة أركانه، ونقض بنيانه، وصدت المجلس عن عمله، وحالت دون تحقيق أممه، وكان من فضل الجيش وقائده العظيم محمود شوكت باشا اجتناب تلك الفتنة من أصولها، والقضاء على السلطة الجائرة، فكانت بحمد الله صفتنا واجبة، وصفتها ربهما عبد الحميد خامسة

انقضى ذلك العام بخيره وشيره، وقطعت قبل مغيب شمسه السنة الفتنة، وأخذت نار الحنة، وقد هل هلال هذا الشهر وهو أول العام الثاني للمجلس - ونوابنا الكرام جالسون على مقاعدهم، مترقبون لطلعة سلطانهم وخليفهم، ليفتح مجلسهم، ثم ينصرفون بعد ذلك إلى ما يخصهم

هذا: ولم تكف تقسيم شمس نهار افتتاح المجلس إلا وقد برزت العاصفة في لبوس من الزينة يروق الأبحار ويسر البصائر، وما كان خفقان الإعلام على الدور والقصور، والحوائط والقنادق، إلا دون خفقان القلوب وهزازات النفوس! ثم أقبل الخليفة بموكبه الجليل والنهار في مستوى شبابه يحيط به أمراء الأسرة المالكة كالنجوم حول القمر، ولما بلغ القصر بعصر بوزراء الدولة وقوادها وأقربين أمام باب القصر لاستقباله أجيالاً وتعظيماً

بعد أن جلس الخليفة على كرسي السلطنة وأخذ كل واحد مكانه - وكان المجلس حفلاً بالوزراء والقواد والسفراء وحمله الأعلام - ناول مولانا السلطان خطابه الصادر الأعظم وأمره بقرائه فتلوه بصوت جهوري دوي له المجلس حتى وعاء كل سامع

عارف بالتركية ، وانه لخطاب حكيم ، واني أنشره على القراء مترجما ترجمة صحيحة
وهاؤم الترجمة :

﴿ خطاب السلطان ﴾

أيها الأعيان والمجوثان المحترمون

أحمد الله جل جلاله الذي جعل جلوسي على أريكة السلطنة الثمانية في دور
الدستور السعيد ووقتي في السنة الأولى منه أن أحضر افتتاح الاجتماع الثاني للمجلس
العمومي وأهني أعضاءه جميعا بقدمهم المأنوس .
ان الشرع الشريف يأمر بالحكومة المقيدة بالشورية عقلا وتقالا ويعدها لنا
كطريق نجاة وسلامة فإذا دارمنا مسيرنا في هذه السبيل وصلنا إلى الاتحاد والقوة
اللازمين لحياتنا الاجتماعية والسياسية

إن من أكبر أمانتي المحافظة على الدستور وتأييد مبادئه وتطبيق قواعده
وسأستغل بمنتهى مقدرتي مع رعتي مستعينا بمعونة الله وروحانية النبي صلى الله عليه
وسلم لتحقيق هذه الأمانتي الشريفة والوصول الى هذه الغاية المجيدة

ان امتناني كان عظيما جدا عند ما أريت الاخاء عاماشاملا بين عموم أبناء الوطن
اثناء سياحتي في بورصة وأزميدو كنت سعيدا جدا باقترابي من افراد الأمة الصادقة
ان الخدمة العسكرية التي تشمل اليوم جميع وعايانا بلا استثناء هي من نتائج ما يأمر
به القانون الاساسي الذي يضمن لهم المساواة بالحقوق والواجبات واني أعد وضع
هذه الخدمة العامة المحلية لقوة الدولة وعظمتها موضع التنفيذ من أهم الحوادث التي
سينقلها تاريخ نهضتنا الوطنية لأن من طلائع هذه الخدمة في الجيش بحكم عري النأخي
الصحيح بين أبناء هذا الوطن

ان الرقي والانتظام اللذين أظهرهما أفراد جيوشنا اثناء المناورات البرية
والبحرية التي جرت لأول مرة في هذا العام يحملان على ان قدرهم حق قدرهم وان
نصرف مساعينا لا يصال هذه القوى الى درجة الكمال اذ عليها يتوقف الذب عن
حوزة الوطن والمحافظة التامة على السلم العام

ان أحوالنا الداخلية - والله الحمد - لا توجب القلق وان الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع لتصرفية الحديدة وفي مصرفية عسير من ولاية اليمن وفي قضائي بارزان ولوما من ولايتي الموصل وقوصوه اخذت زول بالتدابير الرشيدة التي اتخذتها الحكومة المنفذة حتى ان القبائل الثائرة جنحت للطاعة والسكون والآمال معقودة على انها لا تكرر فيما بعد ولا سيما متى تهمت المعارف وفهمت الاهالي عامة القواعد الدستورية فيجب علينا في الوقت نفسه أن نعمل باهتمام وسرعة في سبل إنهاض المعارف وترقية الاحوال الزراعية والصناعية والتجارية في ممالكنا الواسعة وكل عمل من شأنه ان يعود على العموم بالراحة والرفاه وعلى البلاد بالثروة والعمران

الا وان اكبر آمالنا حصول التوازن المالي الذي هو أس أساس الإصلاحات وستقدم ميزانية سنة ١٣٣٦ العمومية لمجلسكم فعليكم ان تدققوا فيها أصلا وفرعا وإذا كان واضعوها لم يتمكنوا من الوصول بها إلى هذا التوازن المنشود بالرغم عما أنفقوه من الحكمة والاقتصاد في وضع النفقات المعقولة اللازمة فانهم سيتوصلون بلا شك إلى سد عجز الميزانية العمومية المقبلة متى استوفيت الزيادة التي ستجبي من الرسوم الجمركية ووضعت الاحتكارات المنوي وضعها وتحسنت طرق جباية الاموال الاميرية وعندئذ تزداد الثقة المالية بنا وقد أثبتت أعمالنا المالية الاخيرة لنا ذلك

لقد أقمم الدستور باجتماعكم الاول على قواعد متينة لا تززع وأيدتم النظامات الكافلة للامن والراحة في البلاد وستنظرون في اجتماعكم الثاني لوائح القوانين والنظامات التي وضعها الحكومة المنفذة مجددا فيما يتعلق بحياة المملكة الاجتماعية والاقتصادية وتأييد النظام والراحة بقوة القانون ومن هذه المشروعات التي تستحق الذكر نظام التجارة البرية والبحرية وحقوق الملكية ونظام قضاء المحاكم المتقلين وادارة الولايات وقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول كافة ودية محضة وبما أننا نراها جميعها متحدة على السعي في سبيل المحافظة على السلم العام فلذلك ترى حكومتني من واجباتها أن تكون عنصرا شريفا ساعيا معها في سبيل تأييد السلم

اني مع بيان فائق امتناني من المساعي الوطنية التي صرفت من قبل هيئتكما

في الاجتماع الاول أعلن لكما افتتاح جلساتكما اعتباراً من هذا اليوم باسطة اكف
الدعاء اليه تعالى أن يوفقكما ويسهل اعمالكما إلى ما فيه خير الدولة والامة انه
سميع مجيب » اهـ

بعد ان أتم الصدر الأعظم قراءة الخطاب السلطاني هتف الحاضرون للسلطان
ومصافحه السفراء ، ثم غادر قصر التواب والقلوب هاوية الى طلعتة الفراء ، والأبصار
شاخصة الى موكبه ذي الجلال والرواء ، والألسنة منطلقة بالهتاف له والدعاء ، أدامه
الله رافلاً في مطارف الصحة والهناء

وبعد فإن أعمال المبعوثان في هذا العام ستناول شوئونا جهة تتوقف على انفاذها
على وجهها حياة الامة وعزة السلطنة ، وهي النظر في القوانين المسنونة والنظامات
الموضوعة لتأييد الحق وشمول الامن والعدل ، ومن اعظم تلك الشئون وآكدها
مشروع تعمير العلوم والمعارف بين طبقات الشعب ومشروع التجارة وانشاء نظارة
خاصة لها ، والنظر في توسيع سلطة الولايات ، وتهذيب قانون الجزاء (الجنايات)
وغير ذلك من الاعمال التي تجعل اعمال المجلس في هذا العام ايجابية ، وقد كانت في
العام المنصرم سلبية

ولنا الرجاء بأن يقوم اعضاء المجلس بما اتدبوا له خير قيام ، ولا سيما بعد أن تمرنوا
على نسق السير في المجلس ، وسمعوا كثيراً من الصيحات والانتقادات بحق
و بغير حق والله المستعان
حسين وصفي رضا

﴿ خطاب رئيس المبعوثان ﴾

خطب احمد رضا بك رئيس المبعوثان اخوانه الاعضاء بعد انتخابه رئيساً خطبة
حفيلة نورد منها هذه الكلمات الحكيمة :

ان أول واجب على النائب الشريف النفس بعد اجتماعنا تحت سقف قصر
ذي شهرة بالتاريخ هو شكر جلالة مولانا السلطان الذي تفضل علينا بهذا القصر ولي

الامل انكم تنبئونني عنكم في القيام بتأدية هذا الواجب ، ولا شك بأنكم تشتغلون بهدوء وسكون ونظام لتخدموا الامة الخدمة التي تنتظرها منكم ولكفكم لا يلفون هذا القصد الا اذا حاذرتهم تجاوز حدود الاعتدال الى التطرف

والواجب ان تكون الشرائع والقوانين والمطالب مما تتطلبه حالة البلاد وينطبق على تقاليد الامة واخلاقها حتى يسهل تنفيذها . فقبل ان نصوغ القوانين يجب ان نعد معدات التنفيذ التي تضمن نفع تلك القوانين لكل عناصر الامة على حد المساواة ولا بد للوزارة التي تتولى التنفيذ من المساعدة والعون داخلا وخارجا ا كبر من مساعدة مجلس النواب لما بالاماني والتمني . والعون الاول هو بلاجدال ما يكون من ناحية الطائفة الدينية قبل كل شيء ، ثم من آداب الامة ودرجة تعليمها والنجاح والمدنية يشبهان مركبة قد دفعتها قوة ذكري العهد الماضي فاذا لم يكن وراء هذه المركبة روح قوية تدفعها الى الامام وقوات ادييه ومادية تؤيد الدافع فيما أنها تقف وامانها تنهقر وبما ان اعمال المجلس ومجهوداته لم تأت حتى الآن بالنتيجة التامة فهم يظنون أن هذا المجلس لا نفع له ! وقد جسموا بعض المفوات ومن عادة الشعب ان يعد الخير الذي لا يدركه أو الاعمال التي لا تعود عليه بالنفع المادي والاعمال الحسنة بنفسها اذا هي مست مرافق الافراد - من الشر

وليس ذلك غريبا في فهم الشعوب للامور على هذا الوجه فان الاصلاحات التي تطلب كيان الامة اذا كانت فجائية قد تعود غالبا بالضرر على الافراد فالناموس الطبيعي يقضي بأن يكون الانقلاب تدريجيا وعلى مهل فليس من الواجب علينا وحدها العمل فقط . بل من الواجب على كل عثماني ان يأخذ بيد اخيه العثماني للسمي وراء نجاح الوطن متحاشيا البحث أو التفتيش عن سياآت اخيه ليعيبه بها

واذا كان قد الامور حقا ومنحة من الحرية فان من الفضيلة الشريفة للضمائر الحرة الطاهرة أن لا ترى الشيء من جهة السيئة وبأن لا تثق بكل فكر يقال دون تحقيق أقوال هذا معربا عن أملي بأن تكون الروح التي أشرت الى فضائلها هي الروح السائدة في هذا المجلس

يقول الحكمة من ينشأه من يؤت الحكمة فله أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فيهر يهادى الدين يستعمل القول فينبوذا حسنة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الثلاثاء سلخ ذى الحجة ١٣٢٧ - ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥ هـ ١٩١٠ م

فَتَاوَى الْمَنَارِ

فتعنا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس طامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزى إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منامت آخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صريح لأغفاله

﴿ مدة حمل النساء شرعا وطبا ﴾

(من ٣٨) من صاحب الامضاء في قفصه (بتونس)

الحمد لله وحده

(مشكلة واقعية)

حضرة العلامة فيلسوف الاسلام سيدي السيد محمد رشيد رضا الحسيني منشي
مجلة المنار دامت سعادته وتوات مسراته ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فمن المعلوم أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقصاها خمس سنين عند مالك وأربعة عند الشافعي وسنتان عند أبي حنيفة القائلين بجواز رقاد الجنين في بطن أمه ثم يفنى في خلال هذه المدة المحدودة ، ويلحق بأبيه بعد إتمام الموجبات الشرعية . وروى مالك في الموطأ أن امرأة هلك عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر وعشرا ثم تزوجت حين حلت فمكثت عند زوجها أربعة أشهر ونصف شهر ثم ولدت ولدا تاما فجاء زوجها إلى عمر بن الخطاب فذكر له ذلك ، فدعا عمر نسوة من نساء الجاهلية قداما فسألهن عن ذلك فقالت امرأة منهن أنا أخبرك عن هذه المرأة : هلك عنها زوجها حين حلت فأهرقت عليه الدماء فحشر ولدها في بطنها فلما أصابها زوجها الذي نكحها وأصاب الولد الماء تحرك الولد في بطنها وكبر

فصدقها عمر بن الخطاب وفرق بينهما . وقال عمر أما إنه لم يلقني عنكما الاخير وألحق
الولد بالاول اه وقال ابن سينا في الشفاء : يلقي من جهة من أثق به كل الثقة ان امرأة
وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا بنتت أسنانه اه وعلى هذا جرى عمل الفقهاء
والمفسرين في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا الى ان ارتقى علم الطب والتشريح
واجلاء للعيان علم الطبيعة الذي انتفع بمواهبه وأسراره بنو الانسان ورأوا ما كان
جوازهم مستحيلا واقعا لا غبار عليه . فقام من بين أطباء الافرنج عندنا جماعة حكموا بمنع
رقاد الجنين في بطن أمه ونسبوا الى من ادعت رقادها زناها واعتذروا لما عليه علماء
الاسلام في هذا الشأن بأن علم الطب لم تنكشف أسرارها في الأزمنة الغابرة انكشافها
في زماننا الحاضر . وهامي (ذي) واقعة حال صورتها ان امرأة فارقتها زوجها منذ
أربعة أعوام بريئة الرحم والآن ظهر به حمل نسبته لفارقها الذي ناكرها فيه، وزعمت
رقاده في هذه الأعوام واعترفت بعدم مسيس مفارقها لها بعد الطلاق ، ونشرت معه
النازلة لدى المحكمة الشرعية من حيث لحوق الولد أو نفيه كما نشر معها النازلة لدى
المحكمة العدلية من حيث رميها بالحمل من زنا . وان أدري يحكم لها ام عليها في المحكمتين
يد أن النفوس على حيرتها تتطلع الى معرفة هذه الحقيقة الشرعية الطبية ولما كانت
لقامكم المامي قدم راسخة في العلوم الشرعية ولصديقكم النطاسي سيدي محمد توفيق
صديقي معرفة عالية في علم الطب جئتكم بهذا السؤال ألتمس ادراجه قريبا على
صفحات المنار مع الجواب عنه بما يقنع النفوس ويرفع الالتباس ويزيح الاشكال
وربما كان نموذجا راجعا عند تعارض الأدلة ، لا زلم ملجأ للسائلين ، وقدوة
المسترشدين ، والسلام من معظم حضرتكم حموده بوتيقي

رئيس مجلس عدلية قفصه (تونس)

(ج) اذا قلنا ان مسألة مدة الحمل دينية يجب العمل فيها بما جاء في الدين
من غير زيادة ولا نقصان قالوا يجب حينئذ أن نعمل بقوله تعالى في سورة الاحقاف
عن الانسان (٤٦ : ١٥) وحمله وفضاله ثلاثون شهرا) فاذا كانت مدة الحمل والفصال
ثلاثين شهرا وهي سنتان ونصف فكيف نجعل مدة الحمل وحده عدة سنين من
ثنتين الى خمس وقول ذلك هو حكم شرعنا في المسألة ؟ فاذا كان المعلوم لكل

الناس ان مدة الحمل تسعة أشهر فمدة الرضاعة التي يكون الفصال بانتهاءها ٢١ شهراً هذا هو أقلها الذي لا بد منه شرعاً وأكثرها ستان كما في آية ٢٣٣ من سورة البقرة ولذلك قال فيها (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) وقد ذكرنا في تفسيرها قول بعض المفسرين انه يستنبط من مجموع الآيتين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانها هي التي تبقى بعد طرح ٢٤ شهراً مدة الرضاعة الثامنة من ٣٠ شهراً مدة الحمل والفصال (راجع ص ٤٠٨ ج ٢ تفسير) فاذا عاش الولد الذي تلقىه امه بعد تمام ستة أشهر من حملها كالشهر السابع او الثامن فينبغي أن يكون حظه من الرضاع أكثر من حظ من يولد لتسعة أشهر ليكون غذاؤه من اللبن عوضاً عما فاتته من التغذية بالدم في رحم امه فلا تقل مدة الحمل والفصال عن ثلاثين شهراً وهي حكمة ظاهرة فان زادت ثلاثة اشهر كان ذلك من تمام العناية بالولد . واذا جرينا على ذلك في جميع الاحكام الشرعية المتعلقة بالحمل نكون موافقين لاقوال اطباء هذا العصر واستقرائهم واختبارهم لان تحديد القرآن الحكيم لمدة الحمل والرضاعة لم ينقصه من اقوالهم شيء بل لا يزداد الا قرآن بزيادة علوم البشر الاقوة وظهورها واذا قلنا ان هذه مسألة دنيوية وما يتعلق منها بالمعاملات الشرعية لا يكفي فيه بظواهر الكتاب أو السنة وما يتبادر من معني النصوص بل يجب أن يضم الى ذلك اختبار الناس وما يصلون اليه من معرفة الواقع بطريق الاستقراء والبحث ، قلنا حينئذ ان ما قاله العلماء الذين بحثوا في المسألة من قبل كالائمة الثلاثة الذين ذكرت اقوالهم في السؤال ليس نصاً دينياً يجب التعبد به وعدم اعتبار بحث غيرهم واستقرائهم بل يعمل اهل كل عصر بما يصل اليه علمهم واستقراؤهم ، وقد وقفنا على طريقة بحث الأوائل في مثل هذه المسألة وهو انهم كانوا يسألون المعجزة ويصدقونهم كما سأل عمر (رض) المعجزة الجاهليات في واقعة المرأة التي نقلت في السؤال عن الموطأ وكما كان الشافعي (رح) يسأل المعجزة عن مدة الحيض والطمهر ومن الجائز أن يكذب بعضهم ويحجب بعضهم عن جهل ، وثقة بعض أئمة الفقه بما سمعه من عجائز زمانه لا يوجب أن يكون ذلك ديناً متبعاً لكل من يعمل بفقهه وان ظهر له استقراء أنهم وعلم أصح

نعم ان ما قاله الفقهاء غير محال عقلا ولا طبعا فاذا فرضنا ان ما قل اليهم من مكث الجنين في الرحم اربع سنين أو خمس قد وقع شذوذا كما قل مثل ذلك الى ابن سينا فهل يصح ان يجعل قاعدة مطردة تبني عليها الاحكام الكثيرة لمجرد احتمال تعدد ذلك الشذوذ الذي يسميه أهل هذا المصرفة طبيعة كولاية حيوان أو إنسان برأسين ؟ أم القواعد تبني على الغالب المألوف . وما جاء على خلاف الأصل وخلاف الغالب لا يقاس عليه ؟

اذا نحن بنينا أحكام الحمل على ما صدقه بعض أولئك الفقهاء من أقوال النساء نكون قد خالفنا إطلاق القرآن وقيدناه بقيد لا ثقة لاحد من المتضمنين به في هذا العصر ، وخالفنا الثابت المطرد في مدة حمل المرأة وهي انها لا تكاد تبلغ سنة واحدة فضلا عن عدة سنين وخالفنا القياس الفقهي على تقدير صدق أولئك المجازفين أخبرن به الأئمة من ان ذلك قد وقع شذوذا فكيف اذا لم تصدقهن ، وخالفنا ما قرره أطباء هذا العصر من جميع الملل والنحل على سعة علمهم بالطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء (physiologie) واستغانتهم في بحثهم واختبارهم بالآلات والجسات والمسابير والأشعة التي تخترق الجلد واللحم فتجمل البدن شفافا يظهر ما في داخله ويرى بالعينين ، وعلى بناء علمهم على التجربة والاستقراء واستعانة بعضهم في ذلك ببعض على اختلاف الاقطار بسهولة المواصلة البريكية والبرقية ، وعلى كثرة النساء اللواتي على حرية القول وعدم الحمل من إظهار ما لم يكن يظهره أمثالهن في بلادهن أو غيرها من قبل وما لا يظهره غيرهن من سائر البلاد التي لا حرية فيها كحرية بلادهن

ثم اننا نكون مع هذه المخالفات ، اللواتي نحملها لتصديق أولئك النساء المتهمات قد تعرضنا لمفاسد كثيرة (منها) طعن الأجانب في شريعتنا طعننا على السلم والاختيار لا على التحامل والتعصب وذلك منفر عن الدخول في ديننا وما نتم من ظهور حقيقته لمن لا يعرف من شأن هذه الأقوال عندنا (ومنها) تشكيك الكثير من المسلمين في حقيقة شريعتنا وكونها إلهية ، وأعني بالكثير جميع الذين تعلمون الطب والدين يتفقون على أقوال أطباء وعلماء هذا العصر وأطمئن قلوبهم بأقوالهم في مدة الحمل مع مخالفته لما يظنون انه هو الشريعة المقررة الثابتة بالكتاب والسنة (ومنها) إطلاق الأولاد بغير آبائهم

وهي مفسدة يترتب عليها مفاسد كثيرة في الارث والنكاح وغير ذلك
 (ومنها) انه يجزئ المرأة الفاجرة اذا طلقها زوجها أو مات عنها ان تدعي انها
 حامل منه وان الوالد راقد في بطنها ويكون لديها وقت واسم تستبضع فيه ولدا من
 غيره بالزنا ثم تلحقه وتستولي على جميع ماله إن لم يكن له وارث آخراو على أكثره
 (ومنها) ان تصدق من يغيب زوجها عنها من سنة الى خمس سنين فيما تأتي به من
 ولد في هذه المدة انه منه ، والفقهاء في أمثال هذه المسألة كلام لا محل هنالك كره ولا
 الاشارة اليه باحتراز أو غيره فمنهم من يقول ان هذه المرأة تصدق في الحاق ما تأتي
 به من ولد بزوجها الغائب وان كانت غيبته أطول من أكثر مدة الحمل مهما كانت
 المسافة بعيدة كأن تكون هي في تونس وهو في داخل بلاد الصين التي ليس فيها
 سكك حديدية وذلك الاحتمال ان تطوى له الأرض كرامة فيجبي من الصين الى
 تونس فيفساها ويعود الى مكانه في ليلة واحدة !! أكثر مثل هذا بعض الحنفية
 الذين قال بعضهم بأن مدعي طلي المسافة يكفر !

واذا نحن بينا أحكام الحمل على الظاهر من اطلاق القرآن الحكيم المطابق للواقع
 المعروف عند كل الناس ولما يقرره الأطباء وقتلنا إذا ثبت غير ذلك في حق بعض
 النساء يكون من الشاذ النادر الذي لا يبي عليه حكم فإنا نسلم من كل تلك المخالفات
 والمفاسد ولا نكون قد خرجنا عن هدي أئمتنا فانهم إنما كانوا يتبعون الدليل القوي اذا
 ظهر لهم ولكن المقلدين المنسوبين اليهم يفضلون العمل بما في هذه الكتب التي بين
 أيديهم مهما ترتب على ذلك فلا فائدة من مخاطبتهم بالدليل والله يقول الحق وهو
 مهدي السبيل ،

• • •

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ٣٩) من (وطني) في تلو سماوي . جنوب اسيه (سنرا)

مولاي الاستاذ الحكيم .

نرى امراء واغنياء هذه البلاد الوطنيين منهم يتهاقون تهافت الفراش على ادخال

أولادهم مدارس الحكومة لتعليمهم لغة أوربا . ولم يفكر وا يوما ان تعلم اللغة العربية من الامور المطلوبة شرعا لانها لغة القرآن . وان من المصلحين من يرى ان لا رجوع للاسلام الى مركزه الاول الا بعد تعميم هذه اللغة الشريفة بين أتباعه . واذا جئت تقول لهم ان الواجب الالهم على المسلمين القادرين إقامة مدارس عربية لتعليم أولادهم وأولاد الفقهاء العاجزين لغة القرآن قبل تعلم أي لغة كانت . قالوا ليس المطلوب شرعا هذا . وانما المطلوب هو تعلم الاولاد ما يجب عليهم من مبادي الدين فقط . ١١ .

واستشهد بعضهم بدولة الخلافة الجديدة من انما لم تجعل هذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها واشتهر انها جعلت التركية إلزامية ثم بعض لغات أوربا كالانكليزية والفرنسية . ولو كانت دولة الخلافة مع وجود كثير من رجال الاصلاح الاسلامي في مجلسها ترى بعض ما يراه رجال الاصلاح من ضرورة تعميم هذه اللغة بين المسلمين لكانت دولة الاسلام الكبرى هي القدوة للمسلمين في العمورة . فاذا تقول أيها الاستاذ في هؤلاء ؟ وهل توجد طريقة لا قناعهم ؟ وهل عندكم علم بما قرره الدولة العثمانية تجاه هذه اللغة الشريفة ؟ وهل صحيح من ان الدولة قررت جعل لغة محاكم بلاد سورية والعرب تركية وألزمت المترافعين بذلك ؟ فادركونا بالخبر اليقين . مع الله بوجودكم المسلمين . فنحن على أحر من الجمر والسلام .

(ج) انني أعتقد منذ سنين كثيرة بعد طول البحث في حال المسلمين انهم لا حياة لهم الا بالاهتداء بالقرآن الحكيم سواء منهم من يؤثر الاستقلال في فهم الاسلام ومن يؤثر تقليد بعض الأئمة والعلماء . ذلك بأن هداية القرآن التي أنزل لاجلها ليست محصورة في الاحكام العملية التي أباح جمهور المسلمين من الخلف التقليديها بل هذه الاحكام أقلها وأدناها مرتبة فان فوقها آيات العقائد وصفات الله تعالى وسننه في خلقه وأسرار دينه ، والعبر بسيرة رسله في أممهم ، والآداب العالية ، والأخلاق الناضجة ، وأصول الاجتماع البشري ، والسياسة ، والترغيب في رضوان الله تعالى في الدار الآخرة ، والترهيب من عقابه ، وغير ذلك من الحكم المؤثرة في النفوس ، المصلحة للقلوب ،

ولا يمكن ان يستغني المسلم عن القرآن بغيره في ذلك ، بل أقول ان تفسيره وترجمته لا يفيان في ذلك عن تلاوته وتدبره لان لاساوبه من التأثير في النفوس ما حير الباقاء والعقلاء من المسلمين وغير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين حتى قال فيه بعض المشركين في زمن التنزيل «ان هذا الاسحر يؤثر» وقال بعض فلاسفة فرنسا المتأخرين «ان محمدا (ص) كان يقرأ القرآن في حال مؤثرة من الوله والخشوع فيجذب قلوب السامعين الى الايمان به جذبا خارقا للعادة أغناه عن جذبهم بالخوارق والآيات الكونية التي بأمثالها آمن الناس بالانبياء من قبله »

يجب على كل مسلم ان يأخذ عقيدته من القرآن وأن تكون عقيدته مطابقة للقرآن ، ومن قال من المتكلمين ان مسائل الاعتقاد المتعلقة بالآلهيات مقدمة على مسائل الايمان بالوحي والرسول وما انزل اليهم من ربهم فانما يراد بهذا الترتيب ما يحتاج به على غير المتدين فمن كان لا يؤمن بوجود الله عز وجل لا يدعى أولا الى تطبيق عقيدته على القرآن أو أخذها منه فانه ليس له عقيدة ، وإنما يبدأ في دعوته باثبات وجود الله وصفاته بالدلائل التي جاء بها القرآن والتي هدى اليها من حيث هي براهين لا من حيث هي وحي ، ويثني بالوحي مطلقا ويثبث بالرسول والقرآن ، ولا يراعى هذا الترتيب فيمن ينشأ على الاسلام بل يؤخذ بعقيدة القرآن من أول وهلة وقد ذهب جماهير المحققين من العلماء الى وجوب معرفة الدليل على العقيدة وامتناع التقليد فيها ، والايمان بالقرآن من أصول العقيدة وإنكار شيء منه كفر باجماع المسلمين ، فكيف يستغني مسلم منهم عن معرفته ويعتمد نفسه من أهل الدليل في اعتقاده ؟ ومن المعلوم في كتب العقائد أن إيمان المقلد يختلف في صحته بل تقل السنوي في الكبرى وغيره الاجماع على عدم الاعتداد بإيمانه أي على كفره ، وبعضهم قال بصحة إيمانه اذا كان مطابقا للحق وكان هو جازما به ومن أكبر هؤلاء ابو حامد الغزالي وهو قد صرح في كتاب إجماع العوام عن علم الكلام بوجوب الايمان بصفات الله تعالى كما جاءت في القرآن وأنه لا يجوز ترجمتها لان الترجمة لا يمكن أن تؤدي معنى الاصل تماما وفي الانحراف عن الاصل خطر الكفر لاخطا المصيبة فقط

انا قد أفينا في المنار من قبل بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم ، وقول

الغزالي هذا يؤيد فتوانا بل قال لنا أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر أنه رأى نصا للإمام الشافعي في ذلك وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وعلماءهم ومن بعدهم من القاتحين الأمويين والعباسيين يدل على ذلك . فأنهم نشروا لغة الدين في جميع البلاد التي فتحوها مع بعدهم عن العصبية الجنسية وعدم التفاتهم إليها في معاملاتهم الاجتماعية والدولية . وجميع المجتهدين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين يهزمون بوجوب معرفة اللغة العربية لأن الاجتهاد يتوقف على ذلك كما هو مصرح به في كتب الأصول . وانا نذكر مسلمي جاوة بالبيانات الآتية على وجوب تعلم العربية :

(١) ان القرآن هو آية الله الكبرى على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة والرسالة ، وطريق العلم الصحيح بكونه آية معجزة هو فهمه الذي يعرف به وجه إعجازه وكونه آية تشتمل على آيات كثيرة . وان جواهر علماء المقاتلة قد قرروا ان أقوى وجوه الإعجاز فيه هي بلاغته وأسلوبه ، وهل يعرف هذا الا من يتقن العربية إتقاناً ؟

(٢) ان الله قد أنزل القرآن هدى للمتقين ورحمة لقوم يؤمنون ولا يهتدي به الا من يفهمه كما هو بديهي ولا يفهمه من لا يعرف العربية

(٣) ان الله تعالى قد حث على تدبر القرآن في آيات كثيرة « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأمل لهم » « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » ؟ ولا يمكن تدبره الا بفهم لفظه

(٤) ان الله قد أوعد من يعرض عن القرآن بترك تدبره والاهتداء به أشد الوعيد كقوله « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » الخ الآيات ، ومن البديهي ان ترك تدبره والاهتداء به هو عين الاعراض عنه والهجر له الذي يخشى ان يدخل صاحبه في زمرة من اشتكى منهم الرسول (ص) الى ربه عز وجل كما قال تعالى في سورة الفرقان « قال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وقد بالغ بعض علماء الحنفية في التوقي من الدخول في زمرة هؤلاء حتى قالوا انه يكره ان يواظب المرء على قراءة سورتي الم السجدة والانسان في صلاة فجر الجمعة لما في ذلك من هجر غيرهما من القرآن . فاذا قالوا في قراءة سورتين وردت

قراءتهما في السنة فإذا يقولون فيمن لاحظ له من فهم شيء من القرآن لعدم معرفته لفته؟
 (٥) ما تقدم شرحه في وجوب اخذ العقيدة من القرآن أو مطابقتها له على الأقل
 (٦) ان الصلاة وهي عماد الدين المفروضة على كل مسلم ومسلمة لا تصح الا بقراءة شيء من القرآن فيها وأركان أخرى كالتكبير والتشهد كلها عربية والمقصود منها فهمها لان فهمها هو الذي يؤثر في النفس ويذكرها بمظلة الله تعالى ومراقبته فتكون جدرة بأن تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الذي فرضها بقوله «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وبأن تكون عوناً للعبد على مقاومة المصائب والنوائب كما قال تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة» وبأن تحول بينه وبين الهلع كما جاء في سورة المعارج ومن لا يعرف العربية لا يستفيد من صلاته ذلك ومن لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً كما ورد

(٧) ان الخطب المشروعة في الاسلام من مفروضة ومسنونة كخطبة الجمعة والعيد وعرفة كلها تؤدي باللغة العربية لغة الدين، فمن لا يعرف العربية من المسلمين لا يستفيد منها بل تكون هذه العبادة كسائر عباداته العربية رسوماً وتقاليد صورية والاسلام أجل وأكبر من ذلك

(٨) ان الاسلام قد جاء بدعوة جميع البشر الى ترك الشقاق والعداوات الجنسية والدخول في السلم كافة ليكونوا أمة واحدة ويتآخروا في هذا الاصلاح فلا يتعصب أحد لجنس على جنس كما ثبت في آيات واحاديث كثيرة ولا يتم هذا الارتباط والتآخي بين الداخلين في هذا السلم الا اذا كان لهم لغة واحدة يتعارفون بها، وهل توجد لغة لهذا الجمع الكبير من الاخوة يتعارفون بها غير لغة الدين الذي يتعرفون به الى ربهم عز وجل ويرجون رحمته ويخشون عذابه؟

هذا ما اتسع له الوقت القصير من البيانات على وجوب تعلم المسلمين لغة دينهم كتبه في أحد الاندية العامة في القسطنطينية على عجل وقد قرب الوقت الذي اودعه فيه بالبريد فاكتفى به لاشير الى شبهة ترد عليه وهي :

ينكر علينا ما تقدم بعض المتفرجين من المسلمين، بالذين غلبت في نفوسهم نزعة الجنسية الجاهلية على نزعة الدين، فهم يحاولون مقاومة ما يجدونه في العالم الاسلامي

من الشعور بخطر التفريق والميل الى التعارف وإحياء ما اندرس من معالم الاسلام فيقول هؤلاء المنكرون إن الاسلام ليس له لغة فيمكن لكل جنس من الاجناس التي دخلت في الاسلام ان يترجم القرآن والاحاديث الى لفته ويستقي بها عن الاصل العربي وقد بينا في آثار من قبل ان ترجمة القرآن ترجمة تهوم مقام الاصل متعذرة قلن القرآن معجزة تشمل على معجزات كثيرة ولا يمكن ان تكون الترجمة كذلك . وان القرآن مؤثر بأسلوبه في القلوب ولا تكون الترجمة كذلك كما بينا ذلك بالاجاز في أول هذه الفتوى وسنزيد ذلك بيانا في وقت آخر

واما زعم اولئك الجاويين أن دولة الخلافة الجديدة لم تجعل هذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها الخ ما قالوه فهو زعم باطل وكذا نعتهم بمثله اذ أطلقنا بعض الناس هنا على آخر بروجرام المدارس الاعدادية فرأينا فيه عدد الدروس العربية مساويا في بعض السنين للغة الارمن ولغة البلغار الاختياريتين وقد اشرنا إلى هذا في مقالنا « العرب والترك » الذي كتبناه ونشرناه في بعض جرائد العاصمة نصيحة لأولي الامر ثم راجعنا البروجرام كله فوجدنا ان دروس العربية في النحو الصرف وحفظ بعض المشور والمنظوم قد قومت فيه تقريرا . نعم ان ما هو مقرر غير كاف وان هذه البروجرامات والقوانين لا تنفذ كما يجب ولكن كان هذا من طبيعة الخلل الذي جرت عليه الدولة في دور الاستبداد الطويل العريض ونرجو ان يصلح الحال في دور الدستور وان كان يوجد في بعض رجال الحكومة الآن أفراد كثيرون متعصبون للجنسية التركية تعصبا ضارا وهؤلاء هم الذين حاولوا جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية بالتركية وترون بيان ذلك مفصلا في مقال « العرب والترك » من هذا الجزء ، ونحن ساعون في تدارك ذلك والله الموفق

﴿ الزكاة في القراطين المالية ﴾

(س ٤٠) من صاحب التوقيع الرمزي في (سبب برنيو)

حكيم الاسلام والمسلمين ، سعد الملة والدين ، حضرة سيدي الأستاذ السيد

محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر متفني الله بعزير وجوده آمين
بعد إهداءكم عظيم تحيتي واحترامي جزاكم الله عنا جزاء موفورا وجعل سمعكم
صما مشكورا على فتياكم في حكم القراطيس المالية بوجوب الزكاة فيها . وهي التي
نستند عليها ونسندك بها غير اني أرجو من فضيلة سيدي الجواب عما سألت عنه
وهو : من أي طريق عدت هذه القراطيس من النقود الذهبية ؟ واستمهلته حتى
أوفته الى حضرة سيدي فوضحوه لي أشكركم

وأرجو أيضا سيدي أن تنظروا الى أقوال القائلين في هذه القراطيس منهم
من قال أنها لا تجب فيها الزكاة إلا زكاة التجارة وأنها كفيلوس النحاس في عدم
وجوب زكاة العين فيها اهـ ومنهم من قال انها في حكم السندات تجب فيها الزكاة
على قدر الدراهم التي بها من فضة أو ذهب اهـ

فهل هذان القولان هما وجه صحيح أم لا ؟ تفضلوا سيدي بزيادة الايضاح في
هذه المسألة حتى لا أعيد ذكرها بعد . ولكم من الله جزيل الاجر ومنى جميل
الحمد والشكر
ملتبس الدعاء

م . ب .

(ج) ان هذه القراطيس لا يفرق بينها وبين نقد الذهب أحد من المالكين
كما هو معروف للمعاملين بها وهناك اوراق أخرى تسمى سندات مالية تؤخذ في
مقابلة حصة معينة بالسهم من شركة مالية وهي أشبه بعروض التجارة لا ان
يزيد في السوق وينقص وتباع كذلك وتشترى ولكنها لا قيمة لها في ذاتها
وقد يفتي بعض الفقهاء في المسائل المالية المستحدثة في هذا الزمن وهو على غير
هيئة من انواعها وعرف الناس فيها ومن كان عارفا منهم بذلك يقيس عرف
الحادث على ما يراه أشبه به في عرف سابق مما تكلم عنه الفقهاء فبعضهم يرجح في
ذلك جانب المعنى أو المقصد ومنهم من يرجح جانب اللفظ أو الصورة فمن قال ان
القراطيس المالية التي تدعى « بنك نوت » ويطلق عليها بعض العرب لفظ « الانواط »
هي من عروض التجارة وجعل التعامل بها كبيع المرض بمثله أو بالنقد فقد بالغ في
الوقوف عند ظاهر الصورة ، فالعروض قيمها ذاتية وهذه لا قيمة لها في ذاتها ومن

قال أنها في حكم السندات والسفاح راعى الصورة أيضا من جهة. والمعنى من أخرى ووجه قوله أنها أوراق تؤخذ في مقابلة نقد ويسترجع مثل ذلك النقد بأعادتها ، وغفل عن الفرق الكبير بينها وبين السندات بالمعنى الفقهي وهو أن السند يكون بدين على شخص معين وهذه القراطيس تروج في الأسواق المالية فيشتري بها من كل أحد كالنقدين بلا فرق . . .

هذان القولان يتفقان مع قولنا في غايته من حيث الزكاة إلا عند من يقول أن الدين لا زكاة فيه قبل قبضه و يترتب على الخلاف من المسائل المهمة أن جعل القراطيس المالية كالنقدين يقتضي وقوع الربا فيها وهو ما يهزم به ومن قال إنها عروض تجارة منع الربا فيها حينئذ يسهل على كل أحد أن يأكل الربا أضافا مضاعفة بهذه الأوراق التي لا فرق بينها وبين الذهب عند أحد من المالين ، وكذلك القول بأنها في حكم السندات قد يكون موصلا لا كل الربا ولمنع الزكاة ولا حاجة إلى تفصيل فمن نظر إلى حقيقة المسألة في الواقع واحتاط لدينه أخذ بما قلناه والسلام

﴿ الأحاديث الموضوعة في كتاب الأحياء وروايتها ﴾

(ص ٤١) ومنه أيضا

حضرة العلامة الفضال سيدي الأستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء متغني الله بعزیز وجوده آمين

بعد اهداء أسمى السلام والتحيات العظام: تعجب بعض الأفاضل مما ذكر في كتاب أسنى المطالب ونصه « اعلم أن كتاب الأحياء لسيدنا الفزالي مع جلالة قدره وعلو مرتبته ورسوخ قدمه في العلم لا يعتمد عليه في الحديث لذكره في كتابه المذكور جملة من الأحاديث الموضوعة » اهـ (ص ٢٦٨) فهل يتصور أن حجة الاسلام شهن كتابه الجليل بالموضوعات ؟ خصوصاً وقد زينت مجلة المنار بترجمة صاحب ذلك الكتاب وقد قلم : وانما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في

٩١٢ الاحاديث الموضوعة في كتاب الاحياء (المارج ١٢م ١٢)

المنار — الى قولكم — ولعل ذلك يكون مشوقا لهم (أي طلاب العلوم والازهرين)
الى مطالعة الاحياء وغيره من كتبه (٨٥١ — ١٠ ص ٥٩٥)
وعليه فبل يجوز لمن لا يميزه الصحيح من الضيف أو نحوه رواية أو قراءة
ما فيه من الاحاديث احتياطا أم لا ؟ قضاوا سيدي بيان الحق لئلا نكون في ريب
عما أتى به حجة الاسلام من أحاديث سيد الانام لا زلتم في اجلال واكرام
(ج) ان مقاله صاحب كتاب أسنى المطالب حق وسند ك ذلك في ترجمته
التي نشرها في المنار فان لها بقية صالحة ، وان أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى لم يكن
في أول امره برواية الحديث وحفظه وكذلك كان الكثيرون من الفقهاء والمتكلمين
والصوفية ولا سيما في عصره وبعد عصره ، وانما عني بالحديث في آخر عمره . وقد
جمع التاج السبكي في ترجمته هذه الاحاديث المضمون في روايتها في عدة صحائف
من طبقات الشافعية الكبرى ووضع الحافظ العراقي كتابا خاصا في تخرج أحاديث
الاحياء وهو الذي اعتمد عليه الزبيدي في شرحه للاحياء وزاد عليه مباحث وفوائد
واذا كان الامر كذلك فلا يجوز لغير العارف بالحديث المطلع على تخرج تلك الاحاديث
ان يعتمد عليها في الاستدلال أو يحزم برفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما اسنده
الغزالي الى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبرة وهو يفعل ذلك كثيرا في
مقام الاحتجاج والاستدلال بعزو الحديث الى الصحيحين أو كتب السنن . واكثر
ما فيه من الاحاديث الضعيفة والموضوعة قد ذكر في مقام الترغيب في العبادات
والفضائل (كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان) أو الترهيب والتنفير عن
المعاصي والردائل ، وهم يتساهلون في مثل هذا المقام بتأييد كلامهم بالروايات
الضعيفة على ما في ذلك من الخلاف والتفصيل في شروط جوازه عند من أجازوه .
وحاش للغزالي من يعتمد ايراد الموضوعات وانما نقل ما نقله منها من الكتب التي
أحسن الظن بمؤلفيها كقوت القلوب لأبي طالب المكي فمظم الاخبار والآثار
الضعيفة والمنكرة والموضوعة في كتاب الاحياء منقولة من ذلك الكتاب

العرب والترك (*)

٤

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قد انشق ليل الاستبداد عن صبح الدستور والعثمانيون الذين في بلادهم نيام يغطون : بعضهم يرى احلاما مخيفة ، وبعضهم يرى احلاما سخيفة ، والذين في بلاد الحرية قيام يرقبون : بعضهم يتطل بالآمال القوية ، وبعضهم يلهو بالآمال الضعيفة ، فاستيقظ بصوت مؤذنه النائمون ، وحمد غيب سُرَّاهم المجدُّون ، وعادوا الرجاء نفوس اليائسين ، وغادر العداء قلوب المتدابرين ، واقبل المسلم بوجهه على النصراني ، والترك على الارمني ، وعانق الشيوخ القسوس ، وصاحت الشعوب الشعوب ، واذن مؤذن بينهم (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام)

هكذا كان العثمانيون في نشوة من السرور العام ، الذي كاد يكون من اضعاف الاحلام ، أو من خوارق الماديات ، بعد انقضاء زمن المعجزات ، لتأليف الدستور بين الشعوب الكثيرة المختلفة في الاديان والمذاهب والمشارب والمادات واللغات والبقاع والتربية والتعليم ، وهي ضروب من الاختلاف لم تعهد في أمة ولا مملكة ، وبعضها كافٍ لاستمرار الاختلاف والافتراق ، ومنع الاتحاد والاتفاق ، وانهم لكذلك واذا بنبأة من بعض الترك بمصر ، ونبأت من كتابهم بالاستانة ، قد اجفلت الوادعين الساكنين ، وروعت الآمنين المستبشرين ،

كتب أحد شبان الترك المقيمين في القطر المصري مقالات في جريدة الاهرام

(*) تأيم لما نشر في «ص ٨١٨ ج ١١» من هذا المجلد

يفخر فيها العرب بقومه وجنسه معبرا عنهم بالملة المالكة، متبجحا بزعمه أنهم هم وحدهم الذين أزالوا الحكومة الاستبدادية، وأدالوا منها الدستور والحرية، وأنهم هم وحدهم الذين لهم الحق بالتمتع بثمرات الدستور الكاملة، وليس للعرب ولا لغيرهم من الاجناس ان يطعموا في مساواتهم في مناصب الدولة وأعمالها لأن ولايتهم مستعمرات أو مستملكات للترك ! فيجب ان يكون قصارى حظ العرب من الدستور ان يستريحوا من اعباء الظلم ويتذوقوا طعم العدل فيكونوا من الترك كأهل الجزائر من فرنسا أو أهل الهند من انكلترا !!

هذه المعاني العالية كانت تصح سامع العرب أحيانا في عصر الاستبداد، وقلما كانت تكتب ولا سيما في مثل مصر التي هي أرقى من جميع الولايات التركية علما وعملا وثروة وحرية، وفيها الاقلام المرهفة، والالسنه الذقة، والقلوب الجريئة، نعم كانت كتبت منذ بضع سنين في جريدة «ترك» التي كانت تصدر في القاهرة محررة بأقلام نفر من أذكاء الترك كعلي كمال بك وجلال الدين بك عارف - أسرفت تلك الجريدة في الفخر بجنس الترك معبرة عنهم بالملة المالكة وحققت العرب في سياق الكلام عن موا كس ونصبت الميزان للترجيح بين الترك والعرب والخلافة العربية فجعلت العرب كلهم بمنزلة قبائل المغرب الاقصى وفاخرتهم بالترك في مدارسهم وودواوينهم وقصورهم وجيوشهم وملأت مواضعها بالفخر والتبجح ناسية ما يكتب فيها وفي غيرها من الجرائد العثمانية في البلاد الحرة في وصف مظالم خليفتهم عبد الحميد خان وافساده للمملكة وتخريبه للولايات التركية والعربية والكردية والالبانية والرومية ومنعه للعلم وعيئه حتى في الجيش وفرار كتاب جريدة «ترك» وغيرهم من ظلمه الى مصر العربية. ولا أقول ان كاتب تلك التبجحات الفثة الباردة نسي عدل الخلفاء الراشدين وعلوم العباسيين في الشرق والامويين في الغرب بل أقول انه عمي عن البلاد التي اوى اليها والمدينة التي يطعم جريده فيها وهو يرى العرب فيها أرقى من قومه علما وثروة ومدنية. ولكنني ذكرت تلك الجريدة يومئذ بخطأها في تحريك العصبية الجنسية التي أماتها الاسلام وبوجوب اتحاد العرب والترك وضرور تفرقهم باختلاف الجنس. وبأن العرب اذا فخروا أي جنس بجنسهم فأنهم يفخرونه ويبذونه :

هم الأولى ان فآخروا قال الملا في امرى فآخركم عفر اللى
هم الأولى جوهرهم اذا اعتزوا من جوهر منه النبي المصطفى
وانما كتبت ذلك الرد في النار على جريدة ترك لتلايفها السكوت عنها بالتأدي
في ذلك التبجح الذي يولد الاضغان ويؤثر الاحقاد وينفر المصريين وغيرهم
من الدولة العلية وفتح في المسلمين باب الشقاق باختلاف الجنسية ولكن كتاب
تلك الجريدة صاحوا بعد ردي صيحة أخرى ثم خفت صوتهم لاني لم أشأ أن تستمر
المنافرة في ذلك ثم قام أحدهم جلال الدين بك عارف يوم احتفالنا باعلان الدستور
خطيبا فقال : انا اليوم قد تنازانا عن كلمة « ترك » وهي محبوبة لنا فكلنا عثمانيون
لا فرق عندنا بين الترك والعرب والروم والارمن وغيرهم ، فصفت الجماهير المختلفة
لقوله هذا تصفيقا وكذلك قال غيره من سائر الخطباء العثمانيين ونادى لسان الحال
والمقال الدستور يجب ما قبله كما ورد في الحديث الشريف « الاسلام يجب ما قبله »
فلما انبرى ذلك الكاتب التركي بعد ذلك لكتابة ما ذكرنا تذكر الناس ما كان
كتب من قبل وما كان يقال ، وأقبل العثمانيون بعضهم على بعض يتساءلون : قال
أكثر من واحد منهم ان القوم لا يتركون ما يألون وانهم سيستبدون مجتمعين كما
استبد آحادهم (كبد الحميد) منفردين ، وربما كان استبداد الجماعة أشد وأبقى من
استبداد الواحد . وقال الاكثرون : إن هذا إلا شاب مفرور لا يزال جذعا في
السياسة وان القرح والبرل من سياسة الترك المحنكين لا يقولون بقوله ، ولا يدينون
برأيه ، ولكن لم يلبثوا ان سمعوا تلك النيات الأخرى من جرائد العاصمة (الأستانة)
ورأوا اعمالا من الحكومة الجديدة استدلو بها على التعامل على العرب وهضم حق
العربية فنفرت القلوب وساءت الظنون

قامت بعض جرائد الأستانة تضرب على نغمة التغاير بين الترك والعرب وتلفظ
بتلك الكلمات المنفرة « ملة مالكة ، مستملكات ، استقلال العرب » ، الخلافة العربية ،
بنقص العرب للترك ، فضل الترك على العرب ، عجز العرب عن تدوين لغتهم ونشر
الاسلام خارج جزييرتهم ، الى غير ذلك من الكلم الدال على الجهل بالتاريخ أو
تعمد العبث به فيما يضر ولا ينفع . وكان من أشهر هذه المباحث التي حركت التغاير ،

واحدثت التنافر، مانشر في جريدة (اقدام) من اقتراح تنقية اللغة التركية من الالفاظ العربية، وما أودعه بعض الكتاب في مقالات نشرت فيها عن السنوسية، ومنها طعن بعض الجرائد في المصريين وفي الدمشقيين خاصة، وأهل هذين المصريين هم اعظم العرب حضارة وأوسعهم مدنية وفيهما السراة والاباة والعلماء والكتاب

رب قول يصدر عن حسن نية ويكون جديرا بأن يحترم وان كان خطأ يحدث من الاثر السيء ما لم يكن يراد به، ويتفاهم ذلك بمقتضى الحال وطبيعة الزمان، وطريقة الاداء والتصير، وكذلك كان حظ اقتراح صاحب (اقدام) بدعواه في تنقية التركية من الالفاظ العربية - يقول هو ان هذا بحث في محض وان الفرض منه الاستغناء عن الالفاظ العربية التي يوجد في التركية ما يقوم مقامها، ولكن لماذا طلب هذا المصلح اللغوي تطهير لفته من العربية دون الفارسية والفرنسية؟ وبقول ان هذه فلسفة مبتسرة كان يجب عدم الخوض فيها الآن وان الكلام عندما ينقل من لغة الى أخرى ويتحدث به الخاص والعام يعرض له التحريف والتبديل ويفسر بحسب الحال الغالبة فقد شاع في بلاد سورية ومصر وغيرها من البلاد أن بعض كتاب الترك يدعون قومهم الى الابتعاد عن العرب حتي في ترك الالفاظ العربية المستعملة في لغتهم وانهم يعبرون عن ذلك بلفظ التطهير كأنهم يرون اللغة العربية نجسة قد تدنست بها التركية !! وانتقل بعض الناس من المألوم الى اللازم فقالوا ان هذا الكلام يعد طعنا في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وان هذه الدعوى قد تكون مقدمة لدعوة أخرى ترتب عليها اذا أجبت وعمل بها وهي الدعوة الى الارتداد عن دين الاسلام لأن أصله وأساسه من الكتاب العزيز والسنة السنية، وانما هما باللغة العربية، والرسول الذي جاء به عربي (صلى الله عليه وسلم)

الى هذا الحد البعيد وصل سوء تأثير ذلك الاقتراح القبيح لنشره في هذا الوقت النحيف (أو النازك كما تقول الترك) الذي يجرحه من التسميم، ويديمه لس الحرير، وقد ردت بعض الجرائد العربية على هذا الرأي فعرفه الناس وعدوه ذنبا للترك ولم يعلم السواد الاعظم منهم ان من كتاب الترك انفسهم من رد على مقترحه بأوسع مما رد به كتاب العرب

وقد سمع أيضا من جريدة طنين كلام في غصص العرب لم يكن كهلين الذباب

فيناسب اسم الجريدة بل كان كدوي المدافع وقصف الرعود لا شتار هذه الجريدة بأنها لسان جمعية الاتحاد والترقي ومظهر سياستها ومكان الجمعية من سياسة الدولة معروف ولا سيما في أوائل العهد بالانقلاب — فهذا من الأسباب القولية في سوء التفاهم والتناحر بين الترك والعرب الذي نجم قرته بعد الدستور فزلزل الآمال الجميلة وأساء تصوير الأحلام اللذيذة ، وقد سمع شيء منها من بعض رجال الحكومة الدستورية كطعن سليمان بك نظيف والي البصرة في الحزب الوطني المصري وهو في مصر أثناء مروره بها في سفره الى البصرة وقد اشتهر هذا لرد جريدة اللواء عليه ولكنه قال قولاً آخر شراً منه وأسوأ تأويلاً : قال في سياق الكلام على الفتن التي تحدث في جزيرة العرب ما آله : ان الدولة مستعدة لسحق أولئك العرب بالقوة القاهرة فان عندها سبعة فيالق من الأبطال !!! فهل يصح أن يقال مثل هذا القول بمصر أو بغير مصر ؟ وهل تدرب الدولة الجند من أبناء الأمة لأجل سحقها وتدميرها ؟ أم لأجل حمايتها وتعزيزها ؟ أما كان ينبغي له أن يقول ان أولئك العرب بان وغيرهم كانوا مرهقين بالظلم وسوء الإدارة وسنريهم العدل والنظام فنجعلهم بذلك يتفانون في حب الدولة وطاعة الحكومة ؟

ومن أسباب سوء التفاهم ان كثيراً من احرار العرب الذين جاهدوا في سبيل الدستور حتى الجهاد (ومنهم من هو معروف الاسم أو الشخص عند أكثر احرار الترك) وكثيراً من الفضلاء والكتاب الذين أظهروا الاحتفال بالدستور بخطبهم ومقالاتهم جاؤا الاستانة زائرين ومختبرين ، وأكثرهم كانوا ممنوعين منها ومحرومين فلم يعبأ بهم احرار الترك ولا رأوا منهم عواطف الاخاء كما رأى الارمن مثلاً ! وأما الأسباب المتعلقة بحكومة العاصمة فمنها اسرافها في عزل أبناء العرب من وظائفهم حتى انها عزلت في وقت قصير زهاء بضعة عشر مئمة منهم ، ومنها بخلاف الوظائف على طلابها منهم وجودها بها على غيرهم من العناصر الأخرى ، ومنها تعجلها بأهـور تشمر بتمديد اضافة اللغة العربية كجمل المرافعات في محاكم الولايات العربية باللغة التركية مع علمها بأن الناس يجهلون في الغالب حتى وكلاء الدعاوي (المحامين) — وكجمل الكشوف (البيانامه) التي يقدمها التجار من أبناء العرب

في بلادهم الى ادارة المكس (الجرك) باللغة التركية أو الفرنسية مع تسر ذلك أو
تعدوه عليهم واقتضائه نفقات كانوا في غنى عن بذلها — وكعدم قبول عرائض
الشكوى بالعربية حتى في مجلس الأمة مع ان المشتكين من الأمة وهي ذات لغات
متعددة للعربية منها مكانة خاصة من حيث هي لغة الدين الرسمي الذي يكفله
مقام الخلافة كما سنيين ذلك بعد

ومنها ما يتعلق بنظارة المعارف خاصة كالفاء الدروس العربية من المكتب
الملكي في العام الماضي (ولكنهم أعادوها في هذا العام) وكجعل العربية في المدارس
الأعدادية اختيارية كاللغة الأرمنية واللغة الرومية وعدد دروسها كعدد دروسها مع
كون العربية أصلا من اصول اللغة الرسمية يحتاج إليها في إتقانها أكثر مما يحتاج إلى
اللغة اللاتينية لاتقان الفرنسية ، وكونها ينطق بها أكثر العناصر العثمانية عددا وأقلهم
لها معرفة ، وكونها لغة الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للدولة — وكارسال
النظارة خمسة وسبعين تلميذا من مكاتبها إلى أوربا لتحصيل العلوم العالية ليس فيهم
غير اثنين من أبناء العرب — وكارسالها معلمين من الترك إلى مدارس البلاد العربية
لأجل تعليم العربية نفسها وهم يجهلون — وكتصيب بعض المعلمين في المكاتب
العالية على أبناء العرب واسماعهم ما يجرح عواطفهم حتى في الدروس

ومنها ما يتعلق بنظارة الحربية كاستحضارها الضباط ولا سيما اركان الحرب
منهم من الولايات العربية إلى سلاطنتك والآستانة ثم تفرقهم في البلاد التركية —
وكاخراجها بعض التلاميذ العرب من المكتب الحربي حتى بصورة ادارية كما أشيع
في مصر وغيرها . ولعل الشبهة أو الشبه المتعلقة بنظارة الحربية اضعف من الشبه
المتعلقة بغيرها ولا أرى شيطان التفریق بين المنصرين يقبل وسواسه فيها فالحرية
في دولتنا هي أرقى ما فيها فنسأل الله تعالى لها ولسائر النظارات اكل التوفيق
وأنتم النظام

ومنها ما يتعلق بمجلس الاعيان فقد كان ينتظر أن يكون فيه أعضاء من العرب
واو بعدد ولاياتهم ان لم تقل بحسب عدد نفوسهم ولكن ذلك لم يكن
ومنها ما يتعلق بمجلس المبعوثين وهو المظهر الاكمل المساواة والاخاء ولكن

اخباره في السنة الماضية لم تكن تدل على ما نحب من توثيق الرابطة بين العرب والترك كسائر العناصر بل وجد العرب امورا متقدمة ، ووجوها متجبهة ، وسمعوا من بعض اخوانهم كلاما لا نحب أن يكتب ويطعم ونرجو أن يكون هذا العام خيرا من سابقه وأن يكون مجلسنا وسائر امورنا العامة في ارتقاء دائم بالاخاء الصحيح والمساواة مع الاخلاص بسعي الفضلاء محبي الوفاق من العناصر وسائر العناصر تلك كليات من اسباب ما سميناه سوء التفاهم بين الترك والعرب وفي ضمن تلك الكليات جزئيات كثيرة

لا أقول ان كل ما روي من ذلك صحيح المثل والسند ، ولا أقول ان ما صح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب ، ولكنني لا أستطيع أن أنكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يعرفون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم ، وانه تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية وبقاؤها وان هذا الاتحاد تقتضيه طبيعة العناصر الاجتماعية وان دار الخلافة والسلطنة هي الآلة التي يكون بها التركيب والتحليل ، وان الكيماويين الاجتماعيين الذين يحركون هذه الآلة هم رجال الحكومة ورجال الصحافة ، وانه يجب في هذا الدور دور الانقلاب والتحول من الاستبداد الى الدستور - أن يؤخذ على أيدي المحللين بسوء القصد أو بسوء الفهم حتي لا يتقل عن العاصمة الا ما يدل على ارادة المزج والتركيب والاعتصام والتأليف . ولكن وجود هؤلاء الجاهلين بهذه الحقائق والمسيئين الى العرب بأقوالهم وأفعالهم لا ينافي كون العناصر التركي أخا للعنصر العربي ومحبا له كما يحبه هو ، ولذلك قلنا فيما سبق من نُبذ مقالنا هذا ان التغاير والتنافر محصور بين المتزاحمين على اعمال الدولة ومناصبها وبين رجال الصحافة وحملة الاقلام وسأبين طريقة تداركه مع حفظ حرية الصحافة وتنفيذ قوانين الحكومة ولو بترجيح الترك في المناصب ترجيحاً مقروناً بالحكمة والدوق

ان ما أشرت اليه من اسباب سوء التفاهم قد سرى في أكثر البلاد العربية ولا سيما أرقاها وهي المصرية والسورية بسرعة الكهرباء وكثر حديث الناس فيه

وخاضت فيه الجرائد ولها العذر ونبارت فيه اقلام الكتاب والشعراء فيجب تداركه قبل أن يتم نشره فيصل الى سائر البلاد والبوادي وقبل أن تضعف حجة امثلتنا من محبي الوفاق والسامعين في الاتحاد الذين اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في الاعتذار عن الحكومة ، وما كل عذر يقبل ولا سبيل الى ايصال الاعتذار الى الملايين

اذا قلنا ان الحكومة عزلت الجسم الفقير من عمالها العرب لانها نظن انهم من صنائع أبي الهدي وعزت العابد يقال لنا ولماذا لم تعزل جميع رجال الدور السابق وهم صنائع عبد الحميد وبقية رجاله من الترك وقد ثبت بالبيان والبرهان انهم خربوا المملكة لان العمل كان في أيديهم ؟ وكم سألنا وسأل غيرنا من الناس : ماذا ثبت على أبي الهدي وعزت العابد من الخيافات والأعمال الخربة للدولة ؟ أما أنا فلا أعرف لها ذنباً خاصاً وراء ثقة عبد الحميد بهما وما نالاً بها من مال وجاه الا أن الاول آذاني وآذى اهل بيتي بسعيه او سعيته والثاني اذا كان لم يوافق على ذلك فانه لم يعارض فيه ، فانا على عدم حمدي لاحد منهما وعدم دفاعي عنهما لا أرى من العدل عزل كل من نال عملاً في الحكومة بمجاههما ، وأعلم ان كثيراً ممن عزل من العرب لم يكن له صلة باحد منهما ، وان بعض المتهمين اليهما لا يزالون في اعمالهم . وانما اعذر الحكومة بعض العذر بأن كثارها من عزل العرب وغيرهم كان من بعض الاضطراب الذي جاءت به طبيعة الانقلاب ، وقد آن أن أين شيئاً من ضرر التناحر وطريقة ازالة سوء التفاهم ، وقطع عروق التقاطع والتدابير ، وهو موضوع البندين التاليين

٥

ما كاد ليل الاستبداد ينجلي يصبح الدستور ، وتقضي أيام الاحتفال بعيد في فرح وسرور ، الا وبادر كاتب هذا المقال الى زيارة القطر السوري زائراً ومختبراً للبلاد التي نشأ فيها وحجبه الظلم الحميدي عنها احدى عشرة سنة ، فطفت المهاد ، وبلوت الافكار والسرائر ، فما رأيت فيما رأيت للفرقة الجنسية العربية حركة ، ولا سمعت فيما سمعت لها دعوة ، اللهم الا ثباتاً لداعية الجمعية العربية العثمانية ، منعك من الآستانة العالية ، لم يفهم منه معنى الفرقة ، ولم تشد من الجمهور فيه الرغبة ، وكنت

مع هذا انفر الناس عن هذه الجمعية، وأتشام من تسميتها بالعربية، لئلا يفهم منها إنخوانا الترك معنى العصبية الجنسية. بل أقول طالبا السماح والمفهوم مؤسسيها أنني لم أكن أحسن الظن فيهم، ولا أبرئهم من الأغراض الشخصية - دون الجنسية - في عملهم،

وكنيت أقول في خطبي ودروسي في البلاد انه يجب على كل بلد أو ولاية عثمانية أن تُعنى بترقية نفسها بالعلم والثروة، لتكون عضوا قويا عاملا في بنية الأمة، ومددا عظيما لتعزيز الدولة، لئلا أجل أفراد أهلها بأنفسهم، أو اغتصابهم بأبناء جنسهم، (أي الجنسية القوية لا السياسية) فإن الأمم المستقلة في أحكامها المختلفة في لغاتها ومذاهبها ومواقفها، يتحد بعضها ببعض ليقوى الجميع بالمحافة، فكيف تضعف الشعوب العثمانية نفسها وهي أمة واحدة - بالتفرق والمحافة،؟ نعم إن على العرب أن يجربوا أنفسهم، وإن يطالبوا الدولة بمساعدتهم، لأن لهم في الدرجة العليا من الارتقاء، ولها في العلوم والآداب أفضل تراث، وهي لغة الإسلام التي يقدرونها المسلمون من جميع الشعوب والأقوام، فهي رابطة الأخاء والمودة المعنوية، بين الملايين المذبحين للديانة والخلافة الإسلامية، فترقية هذه اللغة خدمة للدولة المليمة وترقية لها - فكنت أرى الجماهير يتقبلون كلامي بقبول حسن وما كنت أرى أحدا يعارضني بتوهم الفصل بين الترك والعرب،

هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي وكانت قد نهجت قرون الخلاف ولكن لم يشعر بها الجمهور فلا كثرت وكبرت كما بينا في البند الرابعة تنكر الناس في سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في أمريكا وبارت فيها قرائح الشعراء وتجاوزت فيها الأصوات، حتى عمت البلاد والجهات، فاهتزت بذلك النعرة العربية اهتزازا شديدا، وصيغها بعضهم بصيغة الدين فكان تأثيرها عظيما، ومن المعاني التي نظمها الشعراء وخطب بها الخطباء ونشرت في الجرائد المصرية: إن الترك جاروا على لغة القرآن وعدوها من النجاسات!! فانفطرت القلوب، وفاضت العيون، وضع البيت والحرم، وكاد الركن يتحطم، وشكا القبر العظيم، وغضب الرب عز وجل...
(المار ج ١٢ م ١٢) (١١٦) (المجلد الثاني عشر)

فهل تظن حكومتنا العليا ، وأصحاب الجرائد التركية في عاصمتنا ، ان هذه القارة
الشعواء هبن أمرها ، خفيف وزرها ، مأمونة عواقبها ، اذا ألقي حبلها على غاربها ؟؟
كلا ان من عرف حقيقتها ، وتفكر في عواقبها ، يعلم ان الأمر إدّ ، والخطب جدّ ،
وانه يجب اخذه برُبّانه ، وتداركه في إِبّانه ، قبل ان يستقر في نفوس العامة ،
وتقتنع به الحاضرة والبادية

ان لهذا العاجز على ضعفه صوتا مسموعا في البلاد العربية ، وفي غيرها من البلاد
الاسلامية ، وقد دافع بقدر طاقته ، عن الدستور والقائمين به ، حتى أزال كثيرا من
شبهات المشبهين ، ومكّن الثقة في نفوس الجماهير من المتزلزلين ، وهو على ذلك
وعلى حرصه على الاتحاد والاعتصام بين جميع العناصر العثمانية لم يستطع ان يقف
في مجرى التيار الذي حركته تلك الاقوال والافعال التي أشرنا اليها في نفوس العرب
كما وقف في مجرى التيار الذي حركه خلع عبد الحميد في بلاد الهند وفي غيرها من
البلاد ، بل رأيت ان هذا التيار قد تدفق من (الدردنيل) فلا بد من السهي الى قطعه
من هناك ، فكان أحد باعثين بعثاني على ترك عملي بمصر في مثل هذا الوقت ،
وتيمحي عاصمة الملك كما سبق القول ، (وأما الباعث الآخر فسأبينه في مقال آخر انشره
في بعض الصحف التركية ان شاء الله تعالى)

أحمد الله ان كانت هذه الحركة محصورة في دائرة الغيرة على اللغة العربية
والمزاحمة في الوظائف والمناصب ، وصفوف المدارس والمكاتب ، وأنها لم تعد الى
مقام الخلافة ، ولا الى اساس الحكم والسلطة ، ولم يجر على لسان متقدم ولا خطيب
ولا من قلم كاتب ولا شاعر دعوة الى الانفصال من الترك ، أو الاستقلال في الحكم ،
ولهذا كان التدارك سهلا ، وحسن التفاهم ميسورا ،

مارأيت خطأ بعيدا عن السياسة المثلى خارجا عن قواعد علم الاجتماع ، مثل خطأ
رجال السياسة في الآستانة الذين يلغطون في الجرائد بكرد «استقلال العرب والدولة
العربية والخلافة العربية» ، يتهمون العرب بطلب ذلك وبعدهونه جهلا منهم لانه محال
لتوقفه على المحال وهو اتفاق زعماء جزيرة العرب وشرفائها من جهة وعلى مساعدة أوروبا

من جهة أخرى ، وما كان خطأ الحكومة في الاصغاء الى الواشي والتحقيق في مسألة الشام في هذا العام الا كخطأ الجرائد أو أشد

ذلك بأن هذه الأقوال والأعمال هي التي تشغل الأفكار بما كانت خالية منه ، ويخشى ان توجه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ، وتعلمها لما لم تكن مستعدة له ، ألم تر أن علماء التربية يحرمون ذكر الألفاظ التي تدل على الرذائل وتثير كوامن الشهوات لتلايدعو التفكير فيها الى الأقدام عليها ، حتى ان بعض الأوربيين حذفوا من معاجم اللغة ولا سيما التي يراجع فيها التلاميذ مثل لفظ الخيانة والسرقة كما اجمعوا على حذف ألفاظ الرّفث ، وعلى هذه القاعدة جرى عبد الحميد في منع الجرائد من كثير من الألفاظ التي توجه النفوس الى ما يراه مخالفا لسياسته ، ولا يجوز للحكومة الدستورية ان تحذف حذوه ولكن يجب عليها أن لا تكون هي المثيرة لتلك الأفكار الضارة كما يجب مثل ذلك على الجرائد من غير ان يمنعها منه القانون - فهذا هو مدرك قولي في النبذة الاولى من هذا المقال انني لم أذكر مسألة اقتراح شيخ لحج على امراء العرب في المنار ولا في غيره من الصحف « لا اعتقادي انه لا ضرر فيها وإنما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها » لما سأينته بعد » وهذا بيانه :

ان عظمة الدولة العثمانية وعزتها وسائر ما يرجي لها في مستقبلها الدستوري يتوقف على العنصر العربي ، لا يتوقف على عنصر آخر من العناصر التي نطلب اتحادها كلها حتى التركي منها فان البلاد العربية المحضنة أوسع من البلاد التركية المحضنة مساحة وأعز ثروة وأحسن موقعا وأشرف بقعة من حيث هي مهبط الوحي ومثابة الامم الاسلامية والنصرانية تهوي الى زيارتها من كل فج عميق . وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة فمن تجارهم في الصين والهند وجاوة واستراليا وأمريكا من يملكون الملايين . وأما ذكاؤهم واستعدادهم للعلم فهو اشهر من ان يوصف . وأما القوة الحربية فيمكن للدولة ان تجند منهم مليوناً أو أكثر من أشجع خلق الله وأصبرهم على القتال ناهيك بفرسان العرب وخيولهم اذا تدرّبوا على الفنون العسكرية الحديثة ، وهل تكون الدولة بأمن من مطامع أوربا في العراق اذا أصلحت أرض الجزيرة (بين

النهرين) الا بتجنيد أولئك الاسود الذين يهابهم الموت ولا يهابونه، ولا يحتاج الدولة الى نفقة كبيرة في تجهيزهم عند الحاجة؟؟

إن قوام الدول وعظمتها في هذا العصر على مقدار ثروتها، وانما ثروتها مستمدة من الأمة وان أرجى عناصر الأمة الثمانية ثروتها هو العنصر العربي وان ما بين النهرين (دجلة والفرات) من بلاده هو أخصب البقاع تربة وأوفرها غلة حتى قال هيرودس شيخ المؤرخين انها كانت تؤتي غلاتها مضاعفة من مئة ضعف الى مئة ضعف ثم كانت بعده هي ينبوع ثروة الدولة العباسية، ولا يكون اشتغالها وحفظها للدولة في هذا العصر الا بالعرب وان شاركهم غيرهم في اصلاحها وثمرتها

مركز الدولة في أوروبا مخوف بالمشاكل والقتال، مضطرب بالمطامع والفتن، ومركزها في الاناضول عرضة للفتن أيضا فليس في ولاياتها اهدأ من الولايات العربية الحضرية كبيروت وفلسطين والشام وحلب، واما ما كان يجري في الولايات التي تغلب عليها البداوة كاليمن فسببه سوء الادارة وفساد السياسة التي كانت عليها الدولة الى آخر يوم من أيام الاستبداد ولما تصالح الحكومة الدستورية من ذلك الفساد شيئا بل لم تنق أسباب سوء التفاهم الذي نشر أسبابه في ظل الحرية بسرعة البرق، فعلمها ان تدبر وتعلم علم اليقين انه لم يجر الى هذا اليوم شيء من السعي ولا من التدبير لانفصال العرب من الترك ولم يمل الى ذلك أحد من المشتغلين بالسياسة العامة من العرب وانه لا يوجد سبب من الأسباب يوجههم الى هذا الا هضم اخوانهم في العاصمة لحقوقهم وأهمها التعالي عليهم بالجنسية التركية، والتقصير في حفظ لغتهم العربية،

سوء التفاهم محصور الآن في هذين الأمرين : تعالي التركي على العربي بجنسه وإيثار نفسه عليه بأعمال الدولة ومكاتبها، والتقصير في نشر اللغة العربية، فأما الأول فإني أعذر الترك فيه من جهة وأعذل المتعصبين منهم على غيرهم من جهة أخرى : أعذرهم من حيث ان المتعلمين منهم قد جروا على اتخاذ اعمال الحكومة معاشا وموردا للرزق وهم قلما يحسنون عملا آخر كما جروا على حسابان ذلك حقا خالصا لهم من دون سائر العثمانيين الذين اذا نالوا منه شيئا فانما يكون من إيثار الترك لهم

على انفسهم دواء لمنسدة اوجلبا لمصلحة ، فان كان الدستور قد ساوى بينهم وبين سائر العناصر في كل شيء فلا نقى ان تطبيق الدستور على الامة ، يجب أن تراعى فيه الحكمة ، ومنها أن يكون بالتدرج ولا سيما فيما يتعلق بتغيير العرف والمعاملات المتبعة والعادات المألوفة ومن هذا الباب نلوم الحكومة في بعض المعاملات المخالفة للعرف التي يمكن تطبيقها على القانون اذا أسرعت فيها قبل اعداد الامة لها . فاذا نحن طالبنا الحكومة أن تجعل اعمال الحكومة مشتركة بين العناصر العثمانية على نسبة عدد كل عنصر منها نكون قد طلبنا الطفرة في التغيير وقطعنا على متعلمي الترك اوسع ابواب الرزق التي ألقوا الدخول فيها ، وجعلناهم دون سائر الشعوب العثمانية بعد أن كانوا فوقها من هذه الجهة التي هي اشرف الجهات في نظرهم ، فهل من الحكمة أن يكون أول حظهم من الدستور خسران اعظم شيء عندهم ؟ كلا انني أرى جميع عقلاء العرب يفهمون هذا و يقدرونه قدره وإنما ينكره ويتألم منه من هم مثل الترك في قصر همهم على خدمة الحكومة واتخاذ ذلك وسيلة للمعيشة ، وهذه هي الجهة التي اعذل الحكومة على عدم مراعاتها وأطالبها بان تعدل في هؤلاء المتعلمين في سلوكها والمرشحين انفسهم لذلك وان لا تشمر احدا منهم بان جنسه علة للتعامل عليه رقعا بهم واقناعا لهم ولغيرهم بانها تنفذ الدستور بالعدل والمساواة بقدر الاستطاعة وتفاديا من سوء التفاهم في هذا الدور الخطر - دور التحول والاقبال

وليعلم الفريقان ان الحكومة الدستورية لا تكون موردا واسعا للرزق ولا ينبغي ان تطالب وظائفها لأجل المعيشة لان المرتبات الكبيرة فيها قليلة جدا ، وما عداها لا يكاد يصل الى درجة الكفاف ولا سيما مع نفقات الاسفار في هذه المملكة البعيدة الارحاء اذا بطلت الرشوة كما هو المنتظر من الاصلاح في عهد الدستور وانما كانت الحكومة بابا من ابواب الثروة ايام كان الحاكم مستبدا بها باستيحا لجميع ما تصل اليه يده من اموال الامة لا يخاف في ذلك دَرَكا ولا يخشى . وانني لاشفق على اخواننا من الترك وأخشى ان يكونوا في عهد الدستور وراء الروم والارمن المزاحمين لهم في عمر دارهم وفي عاصمة الملك اذا لم ينزعوا من اذهان ثابتهم فكرة الارتزاق من الحكومة . وقد كان المتعلمون من المصريين على رأي المتعلمين من الترك في ايام

الاستبداد المحض والظلم ، وفي أوائل العهد بالحرية والعدل ، ثم لما عمرت البلاد صرنا نرى بعض عمال الحكومة الذين يأخذون في كل شهر عدة الوف من القروش راتبا معينا لا يتخلف قبضه عن اليوم الاول من الشهر يستقبلون راغبين عن خدمة الحكومة الى الاعمال الحرة التي هي اوفر كسبا واوسع بابا لتحصيل الثروة ، ونرى الذي يتقاضى من الحكومة في كل شهر ثمانية آلاف وعشرة آلاف قرش يهدقها اذا لم يكن له مورد آخر من الزراعة مثلا

واما التقصير في نشر اللغة العربية فلا أرى للحكومة فيه عذرا معقولا فان قيل ان اللغة التركية هي اللغة الرسمية فما عداها من اللغات يجب فيه المساواة فاذا رجحت الحكومة اللغة العربية على غيرها قام سائر العناصر يطالبونها بمساواة لغتهم لها ويعدونها مقصرة معهم غير عادلة فيهم ! فالجواب عنه يعلم مما أشرنا الى بعضه قبل من مزايا العربية وخصائصها التي يمكن للحكومة أن تحتج بها على أي عنصر يطلب مساواة لغته بها في المكاتب الرسمية ونزيده ايضا بالتفصيل بخمسة أمور :

(١) ان العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما اصل الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للمملكة الذي يجب على خليفة المسلمين أن ينشره ويحميه

(٢) ان السواد الاعظم من اهل المملكة مسلمون يحتاجون الى العربية في فهم دينهم وطاعة ربهم فيما حث عليه من تدبر القرآن وايس لهم جمعيات دينية تنشئ لهم المدارس كالنصارى فالحكومة الوارثة لهم هي المطالبة بتعليمهم

(٣) ان الشريعة الاسلامية هي الينبوع الذي تستمد منه الاحكام التي يحكم بها في الاحوال الشخصية والمدنية وتطبق عليها القوانين ومعظم كتبها التي عليها الاعتماد في ذلك والتي يرجع اليها عند المشكلات هي باللغة العربية فالدولة محتاجة في ذلك الى تعليم هذه اللغة

(٤) ان العنصر العثماني العربي هو اكبر العناصر وابعدا عن معرفة اللغة الرسمية للدولة ولا يتيسر تعميم هذه اللغة فيهم إلا بعد اتساع مالية الدولة بمشروعات من السنين . فاذا لم تعلم الحكومة اللغة العربية لمن تخدم في مكاتبها للوظائف كان

نتيجة ذلك ان اكثر عمال الدولة في اوسع ولاياتها لا يعرفون لغة الاهالي فيتمذر عليهم اقامة العدل والنظام . ولا يقال انهم يستعينون على ذلك بالترجمين لانها لا تجد الذين يحسنون الترجمة في كل مكان وان وجدتهم كانت في حاجة الى نفقات كثيرة لهم لا تحتاج الى اكثر منها لتعليم العربية ولا مندوحة عن أحد هذين الامرين الا بابقاء الحكومة كما كانت في شراياها الاستبداد جمعيات نهب وسلب لا يهملها الا ملء الجيوب ، واما الروم والارمن وغيرهما من العناصر فاللغة الرسمية منتشرة بينهم لا تحتاج الحكومة الى الترجمين الا في القليل من بلادهم وما ذلك بالامر الشاق ولا المتوقف على النفقات الكثيرة

(٥) ان اللغة العربية اصل من أصول اللغة التركية الرسمية يقرب أن يكون ثلث مفرداتها أو نصفها مستمدا منها ولا سيما المفردات في علوم الطب والشرح والنبات والحيوان ، فتعليم العربية في مكاتب الدولة يقوي تعليم اللغة الرسمية ويعدها فالتركية أحوج الى العربية من اللغة الفرنسية الى اللغة اللاتينية وانا نرى الأفرنج يعلمون اللغة اللاتينية التي لا يوجد عندهم شعب يتكلم بها لانها من اصول لغاتهم فأعراض الترك عن تعليم العربية على كونهم أحوج اليها من هذه الجهة وعلى ما لهم فيها من الفوائد الدينية والمدنية لا يظهر تعليله الا بتعمد اضافة العربية وهذا شيء لا يرضى به جمهورهم وان نزع اليه بعض المتفرجين المتعصبين ، الذين ليس لهم رأي ولا دين

٦

زبدة المقال وخاتمته

(١) إن الجواذب التي تجذب الترك الى العرب والعرب الى الترك وتمزج احدهما بالآخر فيكونان عنصرا واحدا قويا نافعا كالماء والهواء في كونه علة للحياة والبقاء هي قوية جدا لانها جامعة بين الاخوة الدينية والمصالح المدنية والسياسية التي لا قوام للدولة بدونها

(٢) ان الحوادث السابقة واللاحقة أعدت المشتغلين بالسياسة والبحث في

الأمور العامة والمتزاحمين في المكاتب والمناصب إلى شيء من سوء الفهم والارتباب والظنية قواها في نفوس بعض الترك شبهات أوهمتهم أن العرب يريدون الانفصال من الدولة العثمانية والاستقلال بأنفسهم ، وقواها في نفوس بعض العرب أقوال منكرة قلها وكتبها بعض المشهورين من الترك وأعمال مستنكرة من الحكومة لا يصح أن تعد أصلاً واسخاً في الدولة لأنها حدثت في عهد الانقلاب والفن التي اضطرت الدولة إلى الأحكام العرفية مع تبدل الوزارات وعدم انتظام الأحزاب في مجلس المبعوثين الذي يرجع إليه الأمر كله

(٣) أنه يمكن أن تهض حجة قيمة على التباغض بين الترك والعرب إذا وقع الشقاق بين المبعوثين في مسألة تعليم اللغة العربية أو مسألة المساواة بين المنصرين المحتمة في القانون الاساسي ولكن هذا الشقاق ما وقع ولن يقع ان شاء الله تعالى . وقد حضرت مذاكرة بين فاضلين من المبعوثين أحدهما عربي والآخر تركي فقال هذا اتني أحب العرب أكثر من الترك لأن الذي يحب إلى الترك هو النزعة الجنسية الدنيوية وأما الذي يحب إلى العرب فهو ديني الذي عليه مدار سعادي الأبدية ، — أوما هذا مؤداه

(٤) ان الذين قد بدت البغضاء من أفواههم للعرب في معاهد السياسة والحكومة ومكاتب التعليم هم على قلتهم ليسوا من المنصر التركي باليقين وإنما أكثرهم أوشاب وأوزاع من عناصر شتى قد تركوا وأسلموا من زمن بعيد أو قريب لأجل مناصب الدولة فهم لاحظ لهم من الحياة إلا فيها فلا عجب إذا أبغضوا كل من يزاحمهم عليها (٥) يجب على العقلاء السعي في إزالة سوء التفاهم وسد منافذه مهما كان سببه لئلا يتمكن في نفوس العامة فيتعذر نزعه وتسوء مغبته .

ما به يكون التأليف بين المنصرين

يجب أن يتعاون على هذا التأليف الذي تتوقف عليه حياة الدولة كل من عقلاء الامة وعقلاء الحكومة ويجب ان تكون العاصمة هي البادئة بذلك صحافتها وحكومتها العليا فأما الصحافة فيجب عليها أن تترك الخوض في مسألة الجنسية النسبية واللغوية ،

الى الجنسية السياسية المعبر عنها بالعثمانية، فتجمل هذه هجبرها بكرة وعشياً، وتجمل تلك نسياً منسياً، ولا تترك لفظ الترك والعرب، ولا اسم غيرهما من العناصر الاخر، بكلمة تشير بالترجيح أو التفضيل، أو عصبية النضر والقبيل، وأعمري ان أولئك الرجال الذين تبدلوا كلمة العثمانية « بكلمة تركية » فصاروا يقولون ويكتبون « لغة عثمانية ولايات عثمانية »، لهم اعلى في السياسة وأياً، وأصبح في علم الاجتماع حكماً، من هؤلاء الذين يقرعون الاسماع كل يوم بكلمة « ترك تركلر » (١) متوهمين انه يمكن تحويل العناصر العثمانية الى التركية، أو انهم يمكن ان يتحدوا بشعوب التار الروسية وتركستان الصينية، ومن الذين يريدون ازالة الالفاظ العربية، من هذه اللغة الرسمية، قال كال بك زعيم النهضة الحديثة : انا اخترنا أحسن الكلم من أرقى اللغات الشرقية، وهي العربية والفارسية والتركية، فألفنا منها لغتنا العثمانية، فهذه اللغة هي لغة العثمانيين المشتركة، ليس للترك حق الاختصاص بها والأرة، كما ان العربية هي اللغة الاسلامية المشتركة بين العرب وبين الترك والفرس وأهل الهند والصين والملاو وغيرهم من المسلمين، فنحن العثمانيين لا نسمح لاحد ان يصبث بلغتنا العثمانية، ومن شاء ان يتعلم لغة تركستان فليتعلمها وهي غير لغتنا الرسمية، والأمة كلها تطالب بمعوثيا بصياتها وحفظها بسهولة نشرها وكون أكثر كتبنا ودفاترنا بها.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام اتقاء عزو ذنب بعض الافراد الى الشعب أو النضر على الاطلاق فاذا رأينا بعض الترك أو العرب أو الارمن - مثلاً - يعيب عنصر آخر أو يدعو الى استقلال قومه فلي الجرائد أن تنسب الذنب اليه لا الى جميع قومه. وعلى هذه الطريقة جريتنا في مقالنا هذا فقد برأنا النضر التركي الاسلامي من بعض العرب والتحامل عليهم وحصرنا ذلك في فئة من الترك المشتركين في الغالب لا الخالص.

كذلك يجب على الجرائد ان تتحول قراءها بالمقالات الداعية الى اتحاد العناصر العثمانية مع بيان قوائدها للجميع، واذا اهدت جرائد الآستانة الى هذا الصراط

١٥. كتب بعضهم في هذه الايام مقالة في جريدة صباح بهذا العنوان يحرك بها النمرة الجنسية

المستقيم تبصتها الجرائد السورية والمصرية وكان تأثير ذلك عظيما واحكم على العكس بحكم الطردة وينبغي لأصحاب الجرائد التركية ان يُهتوا بالاطلاع على الجرائد العربية المنتشرة ويترجموا المهم من مقالاتها في سياسة الدولة المليّة وادارتها ويعلقون عليها ما يرون فيه المصلحة للتأليف ، وكذلك المهم من أخبارها فمن الطار على جرائد العاصمة ان لا يذكر فيها شيء عن الولايات العربية ، الا ما يكون من ضياع الشركات البرقية ، أو الاخبار الرسمية ، وكل من هذا وذاك وموز لا تعرف حقائق الاحوال ، ولا تبني على مثلها الاحكام ، ولو قامت هذه الجرائد بوظيفتها حق القيام لجلت لها مراسلين في تلك الولايات فوق تتبع الجرائد العربية وترجمة أخبارها

وأما ما يجب على الحكومة فأهونه وأقر به أن تنصف الواقفين على أبوابها من العرب طلاب الوظائف - وقليل ما هم - فتساوي بينهم وبين اخوانهم الكثيرين من الترك وترقي بعضهم من رتبة القائمقام الى رتبة المتصرف ومن هذه الى رتبة الولاية ، وأن تزيد أعضائهم في مجلس الاعيان . وأهمه وأعظمه ينحصر في امور :

(أحدها) قطع عروق العصبية الجنسية من مكاتب الحكومة واستئصال جذورها فاني اسمع كل يوم من أخبار هذه المكاتب ما يشعر بأن فيها كباوين معنويين يحلون عناصر الوحدة العثمانية ويفرقون بعضها من بعض حتى بلغ ببعض المعلمين الجهل أو سوء القصد أن قال بعضهم في الدرس ان العرب كانوا يجهلون علم الفلك وان الترك هم الذين علموه ذلك وهم الذين بنوا لهم المراصد وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون فن الإحصاء حتى علمهم الترك إياه في زمن المأمون ! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون الفلسفة وجل ما كتب بالعربية في الفلسفة فهو من الترك ! فصار بعض الطلاب من العرب يترجمون على فيلسوفهم المعري ويتناشدون لاميته المشهورة : بل سمعت عن معلمي بعض المكاتب ما هو شر من ذلك وأضر ، وأدهى وأمر ، فيجب على نظارة المعارف أن تختار لمكاتبها من المفتشين المنصفين المهذبن من يكشف لها الحقيقة في ذلك وان تعنى أشد العناية بتطهير معاهد العلم من هذه المفسدة التي لا أرى شيئا أضر على الدولة منها

انه يسهل تقرير كل حقيقة فيها فضيلة لفرد أو أفراد من عنصر من العناصر

مع تحامي اهانة غيره لا سيما اذا كانت تلك العناصر قد وجدت بينها جنسية أخرى أوسع من جنسية النسب واللغة كما جمع الاسلام العرب والفرس والترك وغيرهم فجعلهم امة واحدة . فهل جهل أولئك المعلمون المفرقون المحللون انهم ينجون بتلك النزعات على دولتهم المولفة من عدة اجناس اكبرها وأعظمها عنصرا العرب والترك فاذا هما انحلا تنحل والعياذ بالله ، وينجون أيضا على ملتهم الاسلامية ، أم هم يرمون الى ذلك ؟ وكذلك يجب أن تتيقظ سائر النظارات لمثل ذلك فقلما يخلو شيء منها من افراد متعصبين الا باب المشيخة الاسلامية

(ثانيا) العناية بتعليم اللغة العربية في مكاتبها وفي المدارس الدينية في العاصمة وغيرها فان هذا يرضي العرب عامة ويسر جميع المسلمين ولا يضر الترك ولا يضعف جنسيتهم كما انه لم يضر الفرس ولم يضعف جنسيتهم وهم اكثر عناية من الترك بهذه اللغة من حيث انها لغة الدين وليسوا بمحتاجين اليها لاجل الادارة والسياسة اذ ليس في مملكتهم ولايات عربية .

ألا ان من المحال في هذا العصر تحويل عنصر الى عنصر أصغر منه أو اكبر فالحرص على جنسيته النسيبة او اللغوية في هذه الامة العثمانية يجب أن يكون امينا مطمئنا عليها والطامع من الترك في تحويل عنصر من العثمانيين الى العنصر التركي وادغامه فيه انما هو طامع في المحال ، والمتوسل الى مطمئنه بتعظيم قومه وتحقير غيرهم ، والتعصب لهم على سواهم ، انما يطلب الشيء من ضده أو من نقيضه ، ولولا ان كلا من امتنا ودولتنا لا يقوى على مثل هذه التجارب الاجتماعية لما كنت شديد الخوف من هذه النزعة الجنسية فيها فان من يكون له ولد عزيز هو محل رجائه في ارث مجده وماله لا يسمح باختياره أن تجرب في جسمه الادوية التي تجعل عاقبتها ، بلذة الادوية التي يترجح خطرها ، وسوف يعلم المجربون انهم هم الخاسرون ، اذا ظلوا في طريقهم يهرعون ، وأخشى أن لا يظهر خطأهم الا حيث يعز تلافيه وتداركه

(ثالثا) العناية بنشر العلوم والمعارف واسباب العمران في الولايات العربية كغيرها من الولايات من غير أدنى فرق يمكن أن يفسر بالتعصب الجنسي وأرى

أن تكثر الدولة من المدارس الصناعية والزراعية وتكتفي من المدارس التي تخرج فيها عمال الحكومة بقدر الحاجة

(رابعها) الاخلاص التام في تنفيذ القانون الاساسي . والقيام بهذا يجمع كل مايراد من اعطاء كل عنصر حقه فان لم تفعل الحكومة هذا فاتها تهيج عصبية جميع العناصر عليها حتي العرب الذين هم أشد ارتباطا بالترك واخلاصا لهم ممن سواهم وذلك هو البلاء المين

قد استخف الدستور اهل البلاد العربية فقاموا يطرون الترك ويمحئون الناس على تنظيم شأنهم والاتحاد بهم وتهاقوا على جمعية الاتحاد والترقي في كل مكان حتى ان اهل لبنان أخذوا يتحدثون بالسعي الى الفاء امتيازهم بل كتب أدباؤهم كثيرا من المقالات في وجوب اتحادهم بسائر العثمانيين ، ومشاركتهم في مجلس المبعوثين ، على ان بعض الاتحاديين قد شوهوا بعض تلك الاحتفالات بيد الدستور اذ نقشوا فيها بشيء من سموم التعصب كذلك الضابط الذي خطب في حلب خطبة حتر بها العرب تحقيرا ، وشهر بهم تشديرا ، ولكن اكثر الناس لم يفهموا حق الفهم ، ولو أقامها في بيروت او الشام لكان مالا خيرا فيه

ظهرت أريحية العرب بسورية ومصر وغيرتهم في مقاطعة النمسا في تجارتها وفي الاحتفالات بالدستور وقد ألفنا بمصر لجنة لاجل جمع الاعانات الكبيرة للاسطول العثماني وضمت لذلك قانونا ليكون جمع المال عاما ولكن تلك النيات التعصبية التي سمعت من دار السلطنة أضعفت الهمم . فاذا طال العهد على هذا التنافر فان خسارته المالية والمضوية تكون اول بوادر شؤمه ونعوذ بالله من أواخره

ويسرني أن أبشر العرب باتي وأيت من كبراء العاصمة ارتياحا الى حسن التفاهم وازالة اسباب التنافر ولا سيما من الصدر الاعظم حسين حلمي باشا والعلماء الاعلام فأنصح لهم أن يكونوا عوننا لآخوانهم على هذا الزمان كما نصحت للآخرين ه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

اسباب سقوط الدولة الاموية*)

سادتي

وعدتكم يوم الخطبة الفراء التي خطبها فينا الاستاذ الحضري في ترجمة أبي مسلم الخراساني أن أقول كلمة ألم فيها بشي من الاسباب التي دعت الى ضعف الدولة الاموية وتيسر قيام الدعوة العباسية وانتشارها في المملكة الاموية بواسطة أبي مسلم وأضرابه من رجال الدعوة ثم نجاحهم في الامر وقلبهم الدولة الاموية وتول عرشها وقيام الدولة العباسية مقامها

ولما هممت بتبع التاريخ من اجل هذه الغاية عذرت الاستاذ الحضري لا كفاؤه بايراد سيرة أبي مسلم وما كان من انتشار الدعوة العباسية لانه لو أراد أن يطرق هذا البحث ويتبسط في مناجيه لاحتاج الى الوقوف أمامكم ساعات وانا بعده كذلك ومع هذا فلا نكون وفينا هذا البحث حقه من البيان لذا ألتبس من حضراتكم المَعذرة فيما سأتلوه عليكم مختصرا في هذا الباب ولو اضمت وقتا ما في تهديد الكلام يبحث في الخلافة لارتباط هذا البحث بسقوط بني امية وقيام دولة العباسيين

تمهيد

تعلمون ايها السادة أن السلف اختلفوا في : هل الخلافة واجبة شرعا او عقلا ؟ والذين قالوا انها واجبة عقلا قالوا انها وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعمهم من الظالم و يفصل بينهم في التنازع والتخاصم الى آخر ما قالوه وتعلمون ان ما وجب بالعقل وجب بتحكيم العقل فيه ولما كان تعريف الخلافة

(*) خطبة لرفيق بك المعلم المؤرخ المشهور الفاضل اعضاء نادي دار العلوم بمصر

انما حمل الكافة على الشرع وانما تحمل الكافة على الشرع بمن تتوفر فيه شروط
اللياقة لتولي امور الامة ايا كان من المسلمين فقد ترك الشارع صلى الله عليه وسلم
امر الخلافة لرأي الامة تحيكم فيه ضامرها وعقولها دون أن ينص على شخص
بصينه

وما يدلنا على أنه ليس هناك نص ديني من قبل الشارع على تخصيص الخلافة
بعلي او العباس وآلها أو غيرهم من المسلمين ان أبا بكر لما احتج على الانصار يوم
السقيفة لم يحتج عليهم بخبر عن الرسول بل بالكفاءة والاستحقاق ورضا الامة فيمن
تختاره اميرا عليها حيث قال :

« يا معشر الانصار : انكم لا تذكرون فضلا الا وانتم له اهل وان العرب
لا تعرف هذا الامر الا لقرش . هم اوسط العرب دارا ونسبا . قد رضيت لكم احد
هذين الرجلين » واخذ بيدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح . فكثر
اللفظ بين الانصار حتى بادر عمر بن الخطاب وقال : ابسط يدك ابايعك . فبسط
يده فسبقه بشير بن سعد من الانصار فبايعه وبايعه سائر الناس

ولو كان هناك نص على علي لمساقات ابا بكر وسائر الناس ولما قال الانصار
منا امير ومنكم امير وهم اول من نصر رسول الله في حياته فلا يبدلون عما امر
به بعد وفاته وعلي نفسه اعترف بصحة خلافة ابي بكر ولم ينازعه عليها باسم الدين اذ
خطب مرة فقال :

« لقد امر النبي ابا بكر أن يصلي بالناس وإني شاهد وما أنا بغائب وما بي مرض
فرضينا لدينانا ما رضي به النبي لدينا »

توفي ابو بكر فولي الخلافة بعده منه عمر بن الخطاب ثم توفي عمر فصرفها
الشورى الى عثمان وعلي معروف المكانة من الدين والقراة من رسول الله فلم
يقل فريق منهم بصرفها اليه باسم الدين وكل ما قبل وكتب بعد ذلك من
المغازم التي غمزت بها الشورى أو غمزت بها ولاية ابي بكر وعمر ليست بصحيحة
وما جاء من اخبار الخلاف على الخلافة بين الصحابة لا يحمل على غير ما يقع عادة
من النزاع بين المتنافسين على الامارة في كل امة وجيل لكن صورته الامامية بعد

بالصورة التي توافق مذاهبهم السياسية والدينية حتى تمكنوا من صبغه بصبغة الدين والهلل بوجوب الامامة شرعا لعل وآله وسوقها بعد ذلك في بني ابي عمه العباس باسم الدين

علمت ايها السادة من هذه المقدمة ان الخلافة صارت الى ابي بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان رضي الله عنهم ولم يبق بين العرب من اجلها أدنى نزاع باسم الدين بل كان العقل هو المحكم والمصلحة رائد جمهور العقلاء من الامة بقطع النظر عما اذا كان علي (رض) حقيقا بالخلافة فانه حقيق بها بلا شك ولا ريب وانما كانت هناك ظروف وأحوال اذا وصل اليها خبر بعضها فانا نجعل بعضها الآخر بتاتا وقد راعى جمهور الصحابة تلك الظروف والاحوال مما شاة لسنة الطبيعة والعقل فقدموا عليه الثلاثة الكرام ولو كان للدين حكم باستخلاف علي لما عدلوا عنه الى العقل ومكاتبهم من الدين سامية شهد لهم بها القرآن الكريم والنبي العظيم

إذا فمن أين دخلت السياسة في الدين فجعلت الخلافة حقا شرعيا من حقوق آل البيت ؟ ومتى ظهر النزاع عليها باسم الدين وظهرت مقالة الامامية التي تلتها بدع كانت آفة المجتمع الاسلامي ومنها مسألة المهدوية التي عانى ويحاني المسلمون مضضها الى اليوم ؟ .. الجواب عن هذا يعرفه كل مطلع على التاريخ وكلهم مطلع عليه : دخلت السياسة في الدين وظهرت مقالة الامامية لما دخل الاعاجم في الاسلام وظهر هذا الدين وأهله على الامم وذلك بعد مضي صدر من خلافة عثمان

وأول من قام بهذه الدعوة عبد الله بن سبا واخوانه من الموالي وأبناء الملل الاخرى الذين دخلوا في الاسلام، وابن سبا هذا هو من الذين أخرجهم علي (رض) لفلوهم فيه

تلك البذرة الصغيرة التي بذرها ابن سبا واخوانه من جمعية الدعوة الطولية انبتت ذلك النبات العظيم الذي قوي فيما بعد على ما حواه فأكل دولة الامويين في المشرق أكلا بعد أن دخلها الضمف من جهات أخرى وهذا موضوع البحث وهأنذا متكلم فيه

الموضوع

تولى عثمان (رض) الخلافة بانتخاب أهل الشورى وعمل فيها ست سنين لا ينقم المسلمون منه شيئا وانما اضطرب أمره في السنين الست التالية من خلافه حيث اتسعت دائرة الفتح وكثر الموالي اللاجئون الى المدينة من الاطراف ودخل في الاسلام أو تحت سلطته أقوام لم يكن لهم مالمرب يومئذ من العصبية والقوة والاخلاق الحرة العالية فخفضوا لجيوش المرب طوعا أو كرها وكان استغراقهم في الحضارة جعل فارقا عظيما بينهم وبين العرب الذين كانوا على جانب عظيم من سلامة الفطرة والاخلاق الثابتة المستقيمة فكان ذلك من الوسائل التي جعلت أولئك الاقوام يأتون العرب من جهة العقائد تارة والسياسة أخرى فالتقوا بينهم أول بذرة من بذار التفريق في الدين والسياسة بواسطة الدعاة منهم كعبدالله بن سبأ المذكور وحران بن سودان والاول لم يترك مصرأ من الامصار الكبيرة كالشام ومصر والبصرة والمدينة الادخله لاجل بث الدعوة وزرع هذه البذار الجديدة في النفوس والارض البكر الصالحة سريعة الإنبات بالضرورة ولا سيما إن العرب محبون بطبعهم للتحزب ميلا مع المصيبات التي كانت تتنازعهم في عصر الجاهلية فقبلوا الدعوة الى نصرة علي وانه أحق بالخلافة دينا بشيء من القبول وأخذت تتمكن من نفوس بعضهم هذه المقالة الجديدة حتى أفضت الى انقسامهم الى حزينين ينتصر أحدهما لعلي والآخر لعثمان

قامت الفتنة من ثم على الوجه الذي عرفناه في التاريخ وانتهت بقتل عثمان (رض) وقيام علي ومعاوية يتنازعان امارة المؤمنين واتقسم يومئذ هذان الحزبان الى أحزاب أخرى سياسية ودينية كانت الغلبة فيها للقسم الذي شاع معاوية باسم القوة والعصبية لا باسم الدين والشريعة لان الشريعة نفسها تحتاج في تنفيذها واستمرارها الى القوة كما تعلمون

لما نطاحن العرب من أجل النزاع على الخلافة بتلك الروح الدينية التي بها بينهم دعاة الفتنة ورأي فريق منهم ان عاقبة هذه الحرب الآكلة ربما أتت على

العرب ودينهم وملكهم من أجل الامارة أجمعوا رأيهم على الخروج عن جماعة المتقاتلين وألفوا لأنفسهم حزبا سياسيا برئاسة عبدالله بن وهب الراسبي غايته نفس الخلافة وطلابها من قریش نسفا وان يقام الامام من غير قریش على شرط أن يحكم برأيهم وعلى ما يشيرون به أو ينتهجون له من طرائق العدل والاعزل ونصب غيره والا فلا لزوم لامام أصلا . ومعناه أن تكون الحكومة جمهورية بالضرورة واليكم ما قاله عن هذا الحزب صاحب الملل والنحل قال :

« انهم جوزوا أن تكون الامارة في غير قریش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتباب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلا وإن احتجج اليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطياً أو قرشياً »

هذا رأيهم الذي أورده صاحب الملل والنحل ومنه تعلمون أن مبدأهم جمهوري بحث لاسيما في التشريع يظهر لنا ذلك كل الظهور من قوله : من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له أي على ما سنوا وشرعوا له بالضرورة . وقوله : وكانوا أشد الناس قولا بالقياس . وكلكم يعلم ما هو القياس بالنسبة لمن يريد التوسع في الاحكام بما يدور مع الزمان والحاجة . ولذا فقد جاز لنا أن نسمي هذا الحزب أول حزب جمهوري في مبادئه ومراميه ظهر في الاسلام . ولولم يجعل باستعمال السلاح لتأييد مبادئه وحمل الامة عليها بالهوة وانتظروا ثمنا تسأم جماعة معاوية الحرب القائمة من أجل الخلافة كما ستمتها جماعة علي لكانت مبادئه هي السائدة الى ما شاء الله في الامة الامية ولا تقطع النزاع على الخلافة منذ ذلك الحين

ولكن من الاسف أن ذلك الحزب لما عجل باستعمال الهوة بدموتهم الذي عقدوه في حروراء خارج الكوفة ودعوا من أجله بالحرورية اضطر أمير المؤمنين علي قتلهم وقاتلهم في النهروان وكانوا نحو عشرة آلاف قتلهم جميعا الا عشرة منهم أفلتوا من القتل وتفرقوا في البلاد وأخذوا يثيرون دعوتهم سرا فكان من ذلك ماذا ؟

كان من ذلك ان اتقبلوا الى جمعية سرية اقرت على الفتك بعلي ومعاوية وعمر بن العاص قائلة فانرح البلاد منهم كما ذكر ذلك المؤرخون لتبقى امارة المؤمنين شاخرة للأمة من المتنازعين عليها من قریش ومنتخار الأمة اميرا عليها من شاعت من عامة المسلمين أو خاصتهم كما هو من مقتضى مبادئهم التي مر ذكرها

انتدب لهذا الغرض ثلاثة منهم هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي للفتك بعلي، وعمر بن بكر التميمي لعمر بن العاص، والبرك بن عبدالله الصريمي لمعاوية. واتموا لسبع عشرة من رمضان فقتل ابن ملجم عليا ولم يتمكن الاثنان الاخران من معاوية وعمر كما هو معروف في التاريخ

وكانت هذه الجمعية السرية ثانية جمعية تألفت في الاسلام بعد الجمعية السبئية التي تأسست في خلافة عثمان الدعوة الى علي كما تقدم في صدر البحث ومبادئهما متباينة بل متضادة كما نعلمون

بعد ذلك استصفي معاوية الخلافة لنفسه وأدالها عن آل علي باستئزال الحسن (رض) عنها وان يترك منازعته عليها فتم له الامر بهذا وجمع كلمة العرب عليه واستمال اليه فكانت له منهم عصبية كبيرة احتسب عنها بها وضرب ضعيفا بقويها وقبض على زمام الخلافة بيد من حديد وحماها بلسان من سكر واستمال بدهائه بني هاشم والمهاجرين وابناء المهاجرين وجلة الصحابة تارة بالترغيب وتارة بالترهيب حتى ملك السنتهم وقلوبهم فانفرط عقد الناس الا عن بني أمية واجتمعت كلمتهم على تأييد هذه الدولة ايما تأييد

لكن هل زالت تلك الروح التي بثها دعاة الامامية من الوجود ؟ وهل امكن لمعاوية ومن خلفه أن يقتلوا ذلك الفرس الذي غرسه خصومهم بالامس ؟ كلا ان تلك الروح باقية وذلك الفرس كان ينمو ليثمر ويأكل منه غارسوه من غير العرب ولو بعد قرون وما القرن من أعمال الدول والامم الا كيوم مما تمهدون اغتصب الامويون الخلافة اغتصابا والغاصب خائف كما يقولون وهم اذا تفرعوا بالقوة والمصيبة فخصومهم من بني هاشم متدرعون بالدين والمكانة الادبية التي لهم بين المسلمين والمواطف الدينية اذا تكونت ونمت واندفعت بأهلها تدك العروش

وتزال قوات الدول قاضط الامويون بعد معاوية الى مطاردة بني هاشم والتكر
لم وفعل يزيد فعلته الشقاء بأبناء فاطمة فكان ذلك داعيا الى حذر بني هاشم وسكونهم
الى حين وتستر شيعتهم وعملهم في الخفاء الى أن قامت دولة بني مروان وآلت الخلافة
الى عبد الملك فتولاها والقتة مستعرة في الاطراف فانطوا رج يزيدون نحو الخلافة
وشيعه المختار بن أبي عبيد القفي يطالبون بدم الحسين ، وعبد الله بن الزبير يتازع
الامويين على الخلافة ، وعمر بن سميد الاشدق يريد خالفه ، فإذا يصنع خليفة
يستقبل مثل هذه العواطف ؟ و بماذا تبيض دولة قامت في بحر من الدم ؟

لا جرم انها تلجأ الى أقصى ما عندها من القوة ، وتستعمل متعى القسوة ، والقسوة
تلا الصدور حفيظة وتلجى الخضم الى استعمال أساليب الخلل والتجسس على أخذ
الخضم على غرة منه

ذلك مادعا عبد الملك الى استعمال متعى القسوة في اتحاد هذه القن وألجأ
اخلافه الا قليلا منهم الى اتباع منهجه في معاملة الخارجين عليهم واستعمال مثل
الحجاج بن يوسف في الامصار الثابتة وإشهاد هؤلاء العمال على الناس حتى كان
ذلك من جملة الاسباب التي أوغرت على الامويين الصدور وهدت للدعوة الهاشمية
سبيل الانتشار في الخفاء وعجلت على دولة بني أمية بالدمار

بلغ من قسوة عبد الملك وإظهاره الشدة في تهديد من يناوئه ان خطب بعد قتل
الزبير عام خمس وسبعين خطبة قال فيها :

« أما بعد فليست الخليفة المستضعف (يعني هُمان) ولا الخليفة المداهن (يعني
معاوية) ولا الخليفة المأفون (يعني يزيد) الا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا
ياكلون ويطعمون من هذه الاموال . الا واني لا ادأوي ادواء هذه الأمة الا بالسيف
حتى تستقيم لي قناتكم . تكفوننا أعمال الماجرين ولا تصلون مثل أعمالهم فان تزدادوا
الا عتوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم ، هذا عمرو بن سعيد قرأته قرأته وموضعه
موضعه قال برأسه مكذا قتلنا بأسيا فاما مكذا ، الا وانا نحصل منكم كل شيء الا وثوبا
على أمير أو نصب راية . الا وان الجامعة (أي القيد) التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد

عندي والله لا يفعل أحد فعله الا جعلها في عتقه، والله لا يأمرني أحد بقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عتقه ١١١ » ثم نزل

ثم ان السيوطي أوهن سند هذه الخطبة بقوله : في اسنادها الكرمي وهو متهم بالكذب ، لكن من درس أخلاق عبد الملك بن مروان لا يستبعد عليه النفاق بهذه الخطبة اللهم الا الفقرة الاخيرة فربما كانت مدسوسة عليه ومن أجلها شكك السيوطي في صحة الخطبة والا فان قساوة الطبع التي عرف بها عبد الملك لا يحتاج اثباتها الى كثير امان فان تطبعه بالقساوة اكسبه خلق الثبات والجلد حتى ما يما بالمصائب اذا توالى عليه

فهي رواية لابن عساكر عن ابراهيم بن عدي قال : رأيت عبد الملك بن مروان وقد أتمه امور اربعة في ليلة فامتكر ولا تغير : قتل عبيد الله بن زياد ، وقتل جيش بن دجلة بالحجاز ، وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد الى دمشق ، يعني مشاقا

ولكي ينهج ابنه الوليد في الشدة منهجه ولا تأخذه هودة في امر ملك او انطلاقة اوصاه قبل وفاته بوصية قال فيها :

« يا وليد اتق الله فيمن أخطأك فيه - الى أن قال - وانظر الحجاج فاكرمه فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك فلا تسمعن فيه قول احد وانت اليه احوج منه اليك ، وادع الناس اذا امت الى البيعة فمن قال برأسه هكذا قتل بسيفك هكذا ! »

على أن الوليد مع استعماله متعنى البقطة في ولايته لم يسلك في الشدة مسلك ابيه بل عدل عنها الى الفتح والاحسان الى الناس وشغل المسلمين بالفتوح والعمران فشيده المصانع والمستشفيات والمساجد الكبيرة كمسجد دمشق والمسجد الاقصى وكتب الى البلاد باصلاح الطرق وجعل لكل اعمى قائدا ولكل زمن خادما وأقام الفنادق فيما بين البلدان تسهيلا على ابناء السبيل وامر بحفر الآبار في الحجاز الى غير ذلك من الاعمال النافعة

و بالجملة فقد كان عمرانيا محبا لرفي البلاد حتى كان الناس على عهده لا يتكلمون

بغير العمران ووجهه همه الى انتقاء العمال فولى خالد بن عبد الله القسري مكة وعمر
بن عبد العزيز المدينة وموسى بن نصير بلاد المغرب ففتح الأندلس كما هو معروف
وكثر النصح في زمنه ففتح قتيبة بن مسلم ما وراء النهر الى بخارى وسمرقند أي
التركستان ، وتجاوزها إلى بلاد التبت ففتح عاصمتها كاشغر ، واولغل مسلمة بن
عبد الملك من جهة ارمينيا في جبال القفقاس

وهكذا انتهت مدة خلافة الوليد على احسن حال وآها الامويون اذ استفحل
ملكهم وعلا شأنهم وشأن دولتهم واحبهم العرب حتى اذا ولي الخلافة سليمان بن
عبد الملك اراد قتيبة بن مسلم ان يخلع طاعته لاسباب لا محل لذكرها فلم يوافق
على ذلك جند خراسان ووقع بينه وبينهم خصام افضي الى قتله فخرت الدولة
فاتحها من اكبر الفاتحين في الاسلام وسار سليمان في الناس سيرة حسنة أيضا لم يجعل
لناقبين من دولته سبيلا اليها وختم أعماله بأحسن عمل له وهو عهده بالخلافة الى عمر
بن عبد العزيز وكلكم يعرف من هو عمر بن عبد العزيز

الا ان سليمان غرس يده غرس الدولة العباسية وقد سبقني الاستاذ الخصري
فذكر لكم في خطبته الماضية كيفية تسميم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
الذي كان الشيعة يدعون اليه وعهده بالامر بعده إلى محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس فلا لزوم للاعادة هنا

كان الامويون شديدي الحذر من آل علي كما ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم
في خلافة يزيد قلبلي الجرأة على الظهور لشدة المال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم
ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانهم ويحسبون
اليهم فلم ينزع أحد منهم الى الخروج عليهم لضعفهم الا يزيد بن علي فقد خرج في
خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان أما تسميم أبي هاشم فقد
كان بامر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجاسة والذكاء
وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين
بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالا لا يصلحون لقيادة الناس فالتفت
الشيعة حول محمد بن علي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا

الامامة في بني من بعده كما ساقها غيرهم الى بني فاطمة ايضا وانتقلت من ثم الى
أبي هاشم الى بني العباس

لا جرم أن سليمان بن عبد الملك جنى على دولته بقتل أبي هاشم لأن آل علي
كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئ المنطى في الثوب
على الخلافة الاموية والظهور المنازعة الامويين عليها فقلق العهد بها آل العباس وهم
بهيدون عن سوء الظن والمراقبة لم يمانوا مشاق الدعوة ولم يذوقوا طعم الاضطهاد
فيخافوا الوقوع فيه . ولذا مالبت ان عهد الى محمد بن علي بالأمر حتى نهضوا بأهواء
الدعوة بجرأة عظيمة وكان لأبراهيم بعد موت اخيه محمد ما كان مع أبي مسلم بن قيس
أمر الزعامة اليه وقيام هذا بيت الدعوة لحسن قيام حتى استفحل أمرها وتطهرت
على خصوصها

أحس الامويون بهذا الخطر السريع فبادروا أبراهيم الامام بالقتل فنهض
أبو العباس النخاس بعد قتل اخيه إبراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل أن
يدب الفشل في أهله وشيعته مشمزا فرصة وقوع الشقاق بين الاخوة وابناء الأهمام
من آل مروان وتلقى الملكة الاموية بنار الفتنة وظفر بما أراد وقضى على دولة
الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالامس

على ان ظفر العباسيين على هذا الوجه وبهذه السرعة له بواعث واسباب اخرى
كاختلال نظام الدولة وغيره أرى أن ألم بها على قدر ما بمكنتي من الاختصار
نظرون أن الدولة تموت برجل ونحبا وآخر وامت الرجال في الدول قليل
والدولة الاموية لما فقدت رجالها فقدت جانبا عظيما من قوتها وأعني بأوامر الرجال
الرجال المخلصين الذين يخدمون الدولة بمتى الصداقة بتمام النظر مما ينسب الى
أفراد منهم من النسوة فيهم ومنهم من أجل ذلك بالظلم اذ الرجال يعطون بصيغة
الدولة ويتشككون بشكها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم أن يسير
عمالها على منها

من رجال الدولة الاموية المخلصين : مومي بن نصير ، والحجاج بن يوسف
وخالد بن عبدالله القسري ، ويزيد بن المهلب ، وقيس بن مسلم واضرابهم ، ومن

خطأ الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال فأخرجوا من أخرجوه منهم حتى أخرجوه قتلوه كخالد بن عبدالله وقيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء الظن أو سوء التفاهم وموسى بن نصير الذي زج به في السجن في ظنهم قتله الأندلس ومات أقيح ميتة فقدت الدولة بهذا هؤلاء الرجال وامثالهم جانبا لا يقدر من قوتها واخذت تنحط من ثم هبتها أما الحجاج فوثره في الحقيقة مبدأ افول نجم الدولة لأنه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فانه بعد ان اخذ لم قسبة ابن الزبير كان واليا على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلا المكانين عش الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا فقد خبط البلاد وارهب يطشه المنازعين للدولة والنازعين الى الشعب . وأحسن في انقلاء الهائل والقواد قامت ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقا والتركستان الصينية شمالا ولربما بعد من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزم وعزيمة لطلال همة الدولة الاموية بلا ريب

ولعل نوابغ الرجال يكثرون في مبدأ نشوء الدولة وإن كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص

ومما ساعد أيضا على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد أطراف المملكة بما صار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبدالملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه قبلهم غير دولة الرومان

فما بين النهرين المعروف بالجزيرة وایران وقسم من الافغان والتركستان والهند واثيوبيا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والأندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم وأصبحت خاضعة لسلطانهم . وضبط مثل هذا الملك الترابي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد متعذرا جدا ولا سيما على أمة حديثة عهد في سياسة الامم . ولذا فقد كانت تكون الفتنة في طرف من أطراف المملكة بين الجنود والامراء المنازعين على الولاية وتنهي بقتل والي وقبيلهم وربما انتهت بغلبة المشاعب أو النازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله

بالولاية عليها دونه وفصلها عن جسم الدولة والخليفة لا يعلم ذلك أولا تصل قدرته الى اتحاد نار الفتنة في تلك البلاد الثانية

مثاله ما وقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومئة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري قلمح إفريقية مع حنظلة بن صفوان والي إفريقية فكانت الغلبة للاول واستأثر بالسلطة على البلاد وحبست إفريقية مستقلة عن الخلافة الأموية حتى قيام الدولة العباسية

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف السحيقة ولا يخفى ما في هذا من الوهن والخطر على المملكة

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحربية القائمة لا تزال في أفق مجدها مادامت على الخشونة وما دام الراعي والرعية مترفعين عن الانقياس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة . قد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والا سكندر (أي البطالسة) والرومان حتى لقد قال مونتسكيو في تاريخه أسباب صعود الرومان وهبوطهم : ان دخول الرومانين الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطا على أهلها وملوكها من الرخاوة والترف ٥

والدولة الأموية انما هلكت في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل ٥ وبعد أن حافظت على خشوتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تنحط عن خشوتها التي عرفت بها واخذت الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعا لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي عجلت على دولتهم يضاف اليه انقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مضرية ويمانية وتنازع رؤسائهم على الولاية في ابان استفحال الدعوة

مثاله ما وقع بين الحارث بن سريج والكرماني وبين هذا وقحطبة وبينهما وبين نصر بن سيار حتى ملت نفوس العرب هذه الحلال وسئمت ممارسة الحرب ورأوا أنفسهم تباع ضحايا لقحطان وعدنان وتزهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال قائلهم :

تولت قريش لذة العيش واتقت بنا كل فج من خراسان أغبرا
فلت قريشا أصبحوا ذات ليلة يعمون في لج من البحر اخضرا
لاجرم أن الذي بث روح الشقاق بين العرب في خراسان اتاهم أهل الدعوة
الهاشمية من ملوئين وعباسيين والذي أنجح قصد أبي مسلم في نشر الدعوة العباسية
وقلب الدعوة الأموية تواطؤ مكان البلاد الأصليين على قهر الأمويين وقتل عصبيتهم
العربية وقد عرف إبراهيم الامام منازع الفرس وعلم أن دولته تقوم بغير العرب من
التأقين منهم وأن العرب شديدو العصبية للأمويين لا صوابا غمهم بالصيغة العربية انطالصة
فكتب فيما كتب الى أبي مسلم أن لا يبقى في خراسان ان استطاع فجعل رجال الدعوة
يفسرون العرب بعضهم ببعض لان قسما كبيرا منهم ممن تم من الأمويين كاتهم
في صدر الكلام قبل الدعوة وصار من التآمين بها العاملين على تشييد دعائهم ابتداء واعتقادا
هكذا أمر الفرس الديني الذي غرسه قبل ذلك بقرن ابن سبأ واضرا به من
الموالي التأقين من الدولة السائدة واستحال على العرب في المشرق استبقاء السلطة
خالصة لهم من دون الامم الاخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا المجري
في كثير من الامم من قبل

قال مونتسكيو: اقتضت الحكمة الالهية أن يكون للمالك حدود طبيعية تمسك
بأعنة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعمدي بعضهم على بعض ولما تجاوز هذه الحدود
الرومانيون أهلكتهم البرث أي قدماء الفرس وبددوا شملهم ولما تجاوزها البرث
أنفسهم اضطروا لا أول أمرهم للرجوع الى أراضيهم
وأقول إن العرب أصيبوا بما أصيب به الرومان والبرث وطبائع الاجتماع تعذر
أولئك الاقوام على ما فعلوه مع العرب وحسب العرب أن نشروا بينهم دين الاسلام
فلا مؤاخنة ولا ملام ولا سيما أن الاسلام يرمي بطبيعته الى محو الحدود والسياسة
الجنسية بين الشعوب كما ترمي الى مثل هذا مبادي جماعات السوسباليست أو
الاشتراكيين أو الاجتماعيين لهذا العهد

ورب قائل يقول ان هذا الانقلاب أي انقلاب الدولة الأموية الى عباسية

لم تكن نتيجة كلها كما يريد أولئك الاقوام المفلوون للعرب إذ دولة الامويين عربية قرشية ودولة العباسيين كذلك

الجواب عن هذا يأتي من وجهين : الوجه الاول ان أم المشرق لذلك العهد قلما كانت تقدر قيمة الحرية الكاملة لفنائها في وجود زعماء الاجتماع الشرقي أو كما قال مونتسكيو « ان أم آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كبل أم أوروبا اليها اليوم - أي لعدم ميلهم على الخروج من الأمر والاستعداد وانما كان ميلهم الى تغيير الملك ولا صبر لهم على بقائه طويلا »

وسواء صحت هذه النظرية أو لم تصح فإنه يجوز لنا تطبيقها على الام التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعا فلافق هذا القوم وغيرهم أن يكون الخليفة أو الملك عربيا أو غير عربي مادام الملك آتلا الى تغيير الدولة التي قمعوا منها وما دام مصير أكبر السلطة اليهم بعد قل هذا المصيبة العربية التي كانت قائمة في دولة الامويين متسلطة بقوتها على كل شيء

وقد كان ما أرادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم وهي مصطنعة بالصيغة الاعجمية مشتبكة مع العناصر الاخرى بالنسب والصبر مشاركة لهم بمصالح الدولة كما نطمون

هذا الوجه الاول ، أما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي أن اصطناع الدولة أو الامة السائدة بصيغة اهل البلاد يحيلها مع الزمن الى عنصر هذه الصيغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطنعوا بصيغة العرب بعد الفتح فاندمجوا فيهم ومن الشعوب من اصطنع العرب بصيغتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على اقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية دينا المختلفة جنسا قد عادت الى أصلها وهي قائمة الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منيرة الجانب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها أو باسمها تلك الدماء الغزيرة صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكانا واجنودا

يحفظ بيضة الخلافة ولم يمنع الدين أن تكون إليها الخلافة كما لم يمنع أن تكون فيمن
يقم عليه اختيار الأمة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم
والتاريخ يعيد نفسه

هذا ما أمكنتي إيراد من اسباب انحطاط الدولة الأموية ثم اقراضها تلوثه
عليكم أيها السادة بوجه الاختصار لأن الاستقصاء والتتبع وبسط كل الاسباب
والنتائج لا تقوم به خطبة لأنه تاريخ دولة بأكملها

أما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الأموية ويعزي إليه دمارها فبالغ
فيه وما كان منه صحيحا فهو في نظري ثانوي بالنسبة للأسباب التي ذكرتها وتكاد
تكون نتائجها طوعية وليس من دولة في الأرض قائمة بالعدل المحض حتى الدول
المقيدة تاهلك بالمطقة

ومن قال إن دولة الأمويين كانت ظالمة وإن ظلمها هو الذي جر عليها الدمار
فجاهل بأحوال الاجتماع أو متعصب لدولة أخرى ولو طواب بالدليل على أن الدول
التي قامت دولة الأمويين على اقتاضها كفرنس والروم والقوط وغيرهم كانت أعدل
منها لما استطاع اليه سبيلا

والحقيقة أن اطفال الأمويين كانوا أشداء على خصومهم دون سائر الناس
وكانوا في منزلة من العناية والرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من
الحكومات المطلقة وحسبك أن أشدهم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل
وصيته لابنه الوليد حين الاختصار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن أخلفك فيهم !
والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلا فتوحها
المظلمة التي سودت دين العرب ولسانهم على أحسن أجزاء المصور إلى اليوم وتلك
الأيام نداولها بين الناس

وبعد فاني لست في مقام الجرح أو التعديل وإنما أنا باحث في التاريخ أقول
ما تبادر إلى فهمي وما بلغ اليه علمي من غير أن أقصد التعيز إلى فئة دون أخرى أو
شخص دون آخر وكل ما بسطته لديكم لم أرد به غير الوجهة التاريخية فأرجو من الصنف
عما إذا كان ذل لساني مجتأ صحتهم إذ الإنسان محل الخطأ والسيان والسلام عليكم

المطبوعات الجديدة

كانت كثرة مواد أجزاء المار في هذا العام تحول دون ذكر المطبوعات التي أهديت إليه ، وإن سنة المار في هذا الشأن عسى لا تتفق مع سنة المصنف الأخرى فالمار لا يبدى رأيه في المطبوعات إلا بعد تلاوتها وإذا لم يتسن له ذلك أشار إلى موضوعاتها بالجملة

ونحن اتباعا لهذه السنة وجربا على هذا السنن نذكر الكتب المهداة بالاختصار ، والرجاء أننا نوفق لقراءة ما يستحق العناية والاعتبار ، فنكتب عنه في العام القابل للمار

الكتب

بلاغة العرب

يكاد يكون هذا الكتاب جديدا في موضوعه فلقد عمد محمد كامل أفندي حجاج من موظفي المحكمة المختلطة بمصر إلى اختيار قطع ونقرا من أحسن كلام مشهوري رجال القلم في فرنسا كوجو (Hugo) ولامارتين (Lamartine) وراسين (Racine) وأضرابهم وترجمها بالعربية ترجمة ممتازة بالأسلوب البليغ مع المحافظة على الأصل جهدا لائقا فجاء ذلك كتابا شعريا في مثنى صفحة مطبوعا طبعا متقنا على ورق جيد وهو يطلب من مؤلفه ومن المكتبات المشهورة في مصر

تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين

هذا الكتاب فريد في بابه ، فريد في طبعه والعناية به ، جميل بصوره ورسومه جمع فيه مؤلفه شكري أفندي صادق ناموس نادي الفنون الجميلة المصرية ما وعاء التاريخ أقدماء المصريين من العناية بالنقش والحفر والموسيقى وأثبت فيه رسوم كثير من الآثار التي لم تقو عوادي الأيام على محوها ، فجدير بهشاق الفنون الجميلة اقتناء هذا الكتاب ، والتوفر على مطالعته . وهو يباع بمكتبة المعارف بالقجاية ومعه ١٥ قرشا

روح الاجتماع

مؤلفه الدكتور جوستاف لوبون من مشهورى علماء فرنسا ، وقد عني بترجمته
بالعربية احمد قنحي باشا زغلول وكيل نظارة الخزانة المشهور بتأليفاته النافعة ، وحسن
اختياره لترجمة الكتب المفيدة ، وهذا الكتاب يعد منها ، ومثل هذا الكتاب جدير
بأن يفرده فصل خاص وهذا ما ستقوم به في احد اجزاء السنة القابلة للنار
وما رأيت فيما رأيت من المطبوعات العربية كتابا أتقن منه طبعا أو أجود ورقا
فكان بذلك طابعه خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب خليقا بالشكر
والثناء . ويبيع بمكتبة الشعب وإدارة المنار ومثله عشرون قرشا وأجرة البريد قرشان

فك التقليد

كتاب في علم الصرف يقع في نصف ومئتي صفحة مطبوع طبعا نظيفا مضبوط
كله بالشكل وهو تأليف صديقنا جبر أفندي ضووط و بولس أفندي الخولي من
أساتذة كلية الأمريكان في بيروت المشهورين بمخدمتهما للغة العربية
والاول منهما معروف عند قراء المنار بما ذكر له فيه من التأليفات المفيدة وقد
تصفحنا صفحات من هذا الكتاب فرجعناه من أحكم كتب هذا الفن وضما وأجمعها
مادة وأسهلها أسلوبا ، ونتمنى أن يتاح لنا قراءته فنكتب فيه كلمة قد كنا نرغب اليها
مؤلفاه الفاضلان

كتاب الفوائد

هذا الكتاب « المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » من تأليفات الامام ابن
قيم الجوزية وكفى بذلك تعريفا بمكانة الكتاب ودلالة على نفعه وقد طبعة محمد
أفندي الخالجي الكتبي وهو يطلب منه بشارع الخالجي بمصر

الاسمات الطبية

كتاب يقع في ٢٧٠ صفحة بالقطع الصغير ، يصف فيه مؤلفه الادوية اللازمة
للادواء الطارئة بأسلوب سهل ، ورسوم كثيرة تعين على الفهم ، وقد استهله بكلام
في وظائف الاعضاء (physiologie) والتشريح وهو من خيرة الكتب في هذا

الموضوع بل انه لا نظيره في بابہ ، وهذا النوع من الكتب من الضروريات لكل منزل فتنني على مؤلفه الدكتور محمد بك رشدي رئيس حكام محافظة مصر أطيح الشاء ، ونحث قراء المأرج على اقتنائه

زهرة الصبا

مجموع مقالات وقصائد لمبدع العزيز أفندي صبري من شبان مصر الأذكياء أكثرها في الوصف وبيان بعض وظائف الأعضاء وما يفتابها من الاعراض ، والالام بذكر أسباب ذلك ، وصفحات الكتاب ٢٢١ بالقطع الصغير وهو يباع بخمسة قروش في سائر المكتبات

أثر حسن

هو مجموع تأيين وروثاء في الدكتور سليمان الخوري الحمصي المتوفى من بضع سنين مع ترجمة حافلة له واثبات شهادات رجال الطب والحكومة بمحذقه ومكانته من الاطباء لجامعه رزق الله أفندي نعمة الله عبود أحد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص وهذا العمل من أسطع دلائل البر وأحسن الوسائل لتخليد الذكر

الدواوين الشعرية والقصص والرسائل

خمسة دواوين العرب

عنيت المكتبة الاهلية في بيروت بطبع المأثور من شعر النابغة الذبياني وعروة ابن الورد والفرزدق وحاتم الطائي وعلقمة الفحل وجمعت شعرهم في كتاب واحد سمته خمسة دواوين العرب

وكل واحد من هؤلاء غني بشهرته من التقرير ، ولا سيما بعد أن طبعتم كتب الأدب - منذ اشتغل مؤلفوا العرب بوضفها - بذكرهم ، وتخليد مقدرتهم في شعرهم ، ومنهم مثل النابغة الذي فضل شعره كثير من آفة الأدب على كل شعر قبل ، في كل زمن وجيل ، وهو زعيم سوق عكاظ الذي كان يجلس فيه من الشعراء مجلس الرئيس المقدم والطيم المحكم ، ومنهم مثل الفرزدق وهو من فحول الشعراء الاسلاميين الذي قيل فيه : لولا شعره لذهب ثلث آفة العرب ،

و ديوان النافذة أثبت في طبعه شرح البطليوسي المشهور فزاد ذلك في حسنه
وكذلك ديوان عروة قد طبع بشرح ابن السكيت وكلا الشارحين من أئمة الأدب
ويباع الكتاب بمائة قروش صحيحة بإدارة المنار وبالمكتبة الأهلية في بيروت
وأجرة البريد قرش ونصف وعن كل ديوان على حدة قرشان الا ديوان الفرزدق
والنافذة فثن كل واحد منهما ثلاثة

بياتم الشعر في الحاسة والفخر

كتاب يقع في ٢٥٤ صفحة بالقطع الصغير لجامعه بشير افندي رمضان من مشهور دي
أدباء بيروت وهو مجرع القصائد التي وقع عليها اختياره مما قبل في الحاسة والفخر من
الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وقد علق عليه الشيخ عبد الرحمن سلام
حواشي حل بها غريبه وأوضح مبهمه فجاء كتابا جديرا بالاقبال عليه من الادباء
والاعلى ذوق بياضه في الشعر وحسن اختياره للحاسة والفخر والمرء يعرف باختياره
كما يعرف بنظيره وتآثره كما قال الشاعر

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلنا على الليب اختياره

وعنه ثمانية قروش صحيحة ويطلب من جميع المكتبات المشهورة

مناجاة الحبيب في الغزل والنسيب

هذا الكتاب هو منو بدائع الشعر في حجبه وعدد صفحاته وكون جامع
فأنك هو جامع هذا الا ان هذا خاص بالنسيب والغزل واذا كان ذلك ممتازا بالبلاغة
ولجزالة فان هذا ممتاز بالركة والسلاسة ومن دلائل الاقبال عليه انه صار مطبوعا
مخمس مرات وهو يباع بخمسة قروش بساتر المكتبات

ديوان عبد الرحمن شكري

طبع عبد الرحمن افندي شكري شعره في كتيب بلغت صفحاته الثمانين بالقطع الصغير
وهو في اغراض مختلفة كترها في الغزل والوصف وقد قال فيه حافظ افندي ابراهيم مرقظا :

شهدت بأن شعرك لا يهلى وزيت الشهادة بغيراني

كشف الغمة في مدح غير الامة

كان المرحوم محمود سامي باشا البارودي أمير الشعر امفي هذا العصر غير منازع، وأقترعهم على القفن في مناحي الشعر غير مدافع، ولقد كان الادباء ومازالوا أسفين لجرماتهم من مأثور منظومه وبدائع آياته، متمنين ان يمثل ديوانه للطبع نعم بالفائدة والنعم، ولقد طبع له في هذا العام قصيدته الميمية المشهورة « راجع (ص ٢٨٩م ٧) من المنار » وهي تتضمن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذاعن سيرة ابن هشام، وانها لمن الشعر الذي لا يطاول بلاغة وجزالة، ولا يتحدى اسلوباً ومنعياً، وقد عني بتصحيحها وحل غريبها الشيخ ياقوت الرسي « كاتب يد الناظم في سنيه الاخيرة » والقصيدة تطلب من ادارة الجريدة بمصر وصفحاتها ٤٨

مقالات النديم

انتخب « ابن متصر ! » بضع مقالات من مجلة « الاساذ » التي كان يكتبها فقيد الصحافة المرحوم عبد الله النديم وطبعها في كتيب صغير والمقالات في أغراض شتى سياحية واجتماعية ولا بد ان يقبل على هذه المقالات عشاق أدب النديم

كلمة حول التورى

رسالة ضمت بضع مقالات وقصيدتين للدكتور أيوب ثابت كان نشرها في جريدتي « الوطن » و « الثبات » البيروتيتين وقد جمعها منها صديقه نجيب افندي شوشاني . والدكتور صاحب هذه المقالات معروف بتحري النفع والافاضة فيما يكتب

برنامج جمعية الاعمال الخيرية الاسلامية في بيروت

أصدرت هذه الجمعية النافعة برنامجاً أودعته مقاصدها ونظامها وأعمالها وذكر رئيسها وأعضائها والمتبرعين لها، وقد بلغ مجموع نفقات ماقامت به من الاعمال الخيرية ١٢٥٤٥ قرشاً و٣٥ بارة في تسعة أشهر، وهذا المبلغ اتفق على تطبيب المرضى ودفن الموتى وإطعام المعدمين وتسفير المنقطعين وغير ذلك من صنائع البر والخير فتشكر رئيسها صديقنا الشيخ محي الدين الخياط ولاعضائها الكرام تمحضهم لهذه الخدمة العظيمة جزاهم الله افضل مايجازي به المحسنين

﴿ الجرائد ﴾

(لسان الشرق) — جريدة يومية أصدرها في مدينة حماه الشيخ احمد افندي الصابوني وهي من الجرائد المثليات في سورية ، ولها عناية خاصة بالانفكات الى تاريخ الشرق المجيد والحث على التربية والتعليم ، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في حماه وليرة عثمانية في الخارج فتسنى لها النجاح والفلاح (الاصلاح) — جريدة اسبوعية لمنشئها الشيخ كرامة يلدرم في ستافورة ولم تصدر قبلها جريدة عربية هنالك فيما نعلم ولذلك جعلها الادباء ميدانا تتسابق فيه قرائهم ولقد سرورنا سرورا عظيما بصدر هذه الجريدة العربية في تلك الاصقاع فسي أن يكسر مشركوها وينمي قارئوها (الحرية) — جريدة اسبوعية أنشأها في بيروت صديقتنا داود افندي مجاصص ، وقد دلت أعدادها التي صدرت منها على انها حرة باسمها وما أقل الحريات بين الرصيفات ! ونحن نقول اننا عرفنا داود افندي حراً من صميم الاحرار في الزمن الذي كان كثير من احرار اليوم يتجسسون علينا أو يثرون منا ! فلا غرو اذا اقبل على الكتابة فيها الادباء وتهاافت على طلابها القراء وقيمة اشتراكها ثمانية فرنكات في الخارج

حسين وصفي رضا

(جم الثنائس) — لم يتسم هذا الجزء لا ببناء رأينا في هذه الرسالة وموعدها « ج ١ م ١٢ »

تصحيح — في (س ٢٣ ص ٧٤٠) كلمة « بالدخول فيهن » وهي زائدة يجب ترميها

﴿ الفرق والخلاف بين المسلمين في ستافورة ﴾

الحمد لله ، الى حضرة أخي العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأت بمناورك الاغر في العدد الاخير المحرر آخر شعبان رسالة مصطفية من يتاوى يقول كاتبها في اثناها انبا نبغت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب الى أن قال وقد غاظ أمرهم هذا أناساً عاشوا بترويج الرابطة والتوجه وآخريين جمدوا على ما قاله بعض مصنفي المتأخرين كابن حجر المكي فتخذوهم أرباباً من دون الله الى آخره . فيا أيها السيد رشيد اني سأخبرك بالحق والواقع ان ذلك الكلام لا وجود له مطلقاً بهذه الديار والناس في جهل لا يبرهنون معنى التقليد ولا الاجتهاد وانما ظهر واحد جاهل مبتدع فجعل يتذرع بذكر الكتاب والستة كذبا وما ذلك الا ليظن على المصلحين . اني لا أعرف أحداً بهذه الديار يعرف الشيخ ابن تيمية وأولئك الذين يدعون بفضل ابن تيمية هم اول من يرمون بقوله عرض الحائط فيما اذا لم يوافق هواهم واني شارح في جمع رسالة اعتمدت فيها على ما يقوله ابن تيمية مما هم مجاهرون باقوال لا يرضى ابن تيمية بها وهاهنا الحثك فن ادعونا واعترفوا وسلموا لا قوال ابن تيمية وحفظه ونقله عرفنا ان سائلهم المشودة الحق والاقليات ما يقولونه واستمع به . تأمل أيها الاخ أولئك الذين يدعون انهم يذبون عن ابن تيمية ونحن نعترف بجلالة ابن تيمية والذي اعتقده انهم جعلوا ذنبهم عن ابن تيمية ذريعة للطعن على من يذب عن معاوية وكل منبهل جدير بأن يذب عنه ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أولى بالذب ان كانوا عبيداً للحق ونحن لا نرضى لهم أن يلبسوا على صاحب المنار فان السائل

(المجلد الثاني عشر)

(١٢٠)

(المنارج ١٢)

أسير المسؤل « ؟ » ليس هنا شيء مما يزعمونه إلا الطعن على معاوية وجواز لعنه وسبه بل كفره ولم يعرضوا بالشيخ ابن حجر إلا لأجل كتابيه تطهير الجنان والصواعق المحرقة. هذا هو الحق الذي تدعين الله به وترفعه إلى صاحب المنار لينشره على صفحات المنار وأعلمه للحق وإن لم يكن ما أقوله فليتنصلوا وليدينوا ما هي المسائل التي اتخذنا فيها ابن حجر رباً سبحانه هذا جهتان عظيمتان وأنه لا يجوز التلاعب بالدين والتفريز بالمسلمين ليظفروا على ابن حجر ولا ابن تيمية ولا غيرهم والسكلي ليسوا بمعصومين من الخطأ ولو عرف حقيقة مغزى ذلك الكاتب أخونا السيد محمد رشيد لما أجابه مطلقاً وأتى له أن يعرف ذلك وها أنا أشرح باسمي أسفل ما أكتبه لمرفقي بيضاغتي . حسن بن علوي بن شهاب

(المنار) جاءنا من هذا الكاتب رسالة أخرى في هذا الموضوع أيضاً أسهب فيها بما لا يخرج عن معنى رسالته هذه فاختارنا المختصرة . ومما صرح به في الأخرى أنه لا غرض لمن كتبوا إلينا ما كتبوا إلا الاحتجاج بقول المنار على عدم الاعتماد على كلام ابن حجر لأجل كتابيه اللذين ذكرهما لا لأجل الاتصاف بالكتاب والسنة قال « وقد أطال صاحب المنار في الرد ظناً بأن الحرب قائمة على قدم وساق في المباحث العلمية العملية النافعة المفيدة وأضاعوا عليه وقته وإن كان كلامه لا يخرج من فائدة » ثم قال « إن تطويله وتعريفه في محله ولكن أولئك يتخذونه حجة على لمن معاوية وسبه فقط فلا علم ولا بحث ولا خالد ولا بكر إلا معاوية فقط » وطلب أن يبينوا مسألة غلط فيها ابن حجر فخالف الكتاب أو السنة وقلدوه فيها . فظهر أنه من الذين يعرضون فيهم وطلب منا فصل النزاع في ذلك . وذكر أن الذي قوى الخوض في هذه المسألة كتاب النصائح الكافية لمن يقول معاوية الذي ألفه ونشره صديقه وصديقنا السيد محمد بن عقيل

أما ما كتبناه في منار شعبان فلا وجه فيه للاحتجاج على لمن معاوية فهو يعلم أنهم كانوا استفتونا في لمن معاوية فلم نفت بالجواز ولم نرض تلك الفتوى السيد محمد بن عقيل وربما كانت من أسباب تأليفه لذلك الكتاب الذي لم ندرغ لقراءته لكثرة الأعمال والأسفار ونحن من أولياء علي عليه السلام والرضوان لا من أولياء معاوية وفتته الباغية عليهم من الله ما يستحقون ، ولكننا لسنا بسبابين ولا لعانين كما ورد في وصف المؤمنين وقد ذكرت في ترجمة الوالد رحمه الله تعالى من المجلد الثامن أنه كان يقول « لا نحب معاوية ولا نسبه » وكيف نحب من بنى على جدنا وخرج عليه وكان سبياً في تلك الفتن التي كانت نكبة صوفاء في تاريخ عصر النور وهو القرن الأول لنور الإسلام ،

وبه تحول شكل الحكومة الإسلامية عن القاعدة التي وضعها لها الله تعالى في كتابه بقوله في المؤمنين (٤٢: ٣٧) وأمرهم شورى بينهم) إلى حكومة شخصية استبدادية جعلت مصالح الأمة كالمال يرثه الأقرب فالأقرب إلى المالك وإن كرهت الأمة كلها، فكان هذا أصل جميع مصائب الأمة الإسلامية في دينها ودنياها

وأما الذي انصح به الآن لأخواني المسلمين في سنغافورة وجاوة وحضر موت كما انصح به لسائر الناس: فهو أن لا يفرقوا ولا يتعادوا لأجل الاختلاف في هذه المسألة ولا في غيرها، وأن يتأدب بعضهم مع بعض في الخطاب والكتاب، وأن يعلموا أن التفرق والتعادي أشد ضرراً في الدين والدنيا من الخطأ الذي يفرقون ويتعادون لأجله، وأن المخلص في بحثه عن الحق وبيانه له لا يعادي أخوانه الذين لم يظهر لهم ما ظهر له بل يعذرهم ويرفق بهم وإنما يؤذي ويعادي صاحب الهوى، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره التفرق والخلاف أشد من كراهته لسائر المعاصي حتى أنه كان يريد أن يرشد أصحابه إلى شيء فيتركه إذا رآهم تماروا واختلقوا كما فعل يوم خرج ليعين لهم ليلة القدر، ويوم أراد أن يكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده، والحديثان في صحيح البخاري. واني لا أخشى أن تزيد الرسالة التي يؤلفها أخونا السيد حسن بن شهاب هذا الخلاف والشقاق لأن الغرض منها هو الإخام والالزام وقد ذكر السيد حسن في هامش رسالته السيد عثمان بن عقيل وأثنى عليه بالدين والتقوى وحسن النية على كونه من المقلدين. وهذا ما أشرنا إليه في جزء شعبان فأننا شممنا وأثمة الاخلاص مما رأينا من رسائله فرجنا حسن الظن فيه شلى ما كتب اليانمارا منذ سنين من الطمن فيه بكونه آله في يد الحكومة أو حسامات قابل به المسلمين من طريق الاسلام نفسه ولذلك لم ننشر شيئاً من تلك المطاعن الكثيرة، ولكن لا يجوز لنا السكوت عنه اذا هو قوم دعوة الاصلاح ونهر المسلمين من المنار ومن كتب ابن تيمية على الإطلاق. واول كان يخطتنا أو يخطي، ابن تيمية في مسألة أو مسائل معينة بأن يطلع على المسألة في كلامنا أو كلامه وعلى دليلها ثم يقرع الدليل بالدليل لا احترامنا قوله مطلقاً فان رأينا صواباً اذعنا له وان رأينا خطأً بينا ذلك بالدليل مع الادب والثناء

رحلت هذا العام الى القسطنطينية

(١)

رحلت في العام الماضي — وهو العام الاول للدستور — الى الديار السورية لصلة الرحم التي قطعها الاستبداد على احدى عشرة سنة، ولاختبار حال البلاد، بعدما عانت به فيها حكومة الاستبداد، وللوعظ والارشاد، والحث على الاتفاق والاتحاد، وبيان مزايا الدستور وفوائده، وما يجب على الامة من العمل للتقدم في عهده، وقد نشرت في المنار ملخص تلك الخطب والدروس فقرأها قراؤه

ورحلت في هذا العام — وهو العام الثاني للدستور — الى القسطنطينية عاصمة الدولة لاسعى في امرين عظيمين أحدهما وهو أجلهما خدمة الدين الاسلامي وجميع المسلمين وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة والضمير الامة العثمانية الكيرين

اما الاول فهو انشاء معهد ديني علمي في العاصمة لتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالنزاهة آداب الاسلام العالية واخلاقه الفاضلة وعبادته المطهرة للارواح من الفرائض والنوافل كالقيام والصيام وكثرة ذكر الله عز وجل — والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامي الذي يكون وسيلة لسعادة الدنيا والآخرة كال تفسير والحديث والتوحيد وحكمة التشريع والاخلاق والسيرة النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وأصول الفقه وفروعه ووسائل ذلك من اللغة وفنونها وكافنون الرياضة والطبعية والصحية والاقتصادية التي هي وسائل عمران الدنيا وتقوية الملة والدولة

من منافع المههد الاسلامي تعزيز دولة الخلافة وتأيدها بجعل عاصمتها ينبوعا للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه — ومنها تخرج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذي كان يدافع به الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) مثل (رنان) و(هانوتو) وما أشد الحاجة الى مثل هذا الدفاع في عهد الحرية

والدستور - ومنها تخرج الدعاة إلى الخير والمرشدين لئلا يضلوا الذين يقومون بما فرضه الله تعالى على المسلمين من الدعوة والإرشاد وحرمة عليهم من التفرق في مثل قوله عز وجل (٣: ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وأقرب فوائد المرشدين إرسالهم إلى البلاد التي فتا فيها الجهل وكثرت المشاغبات (كالبحرين والعراق والافاضول) للوعظ والإرشاد الذي ينفر عن الشرور والفتن ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويرغب في البر والتعاون بين جميع أهل الوطن ، والاختلاص للدولة العلية في السر والعلن ، وتعليم أحكام الدين بأسلوب يكون في منتهى السهولة ، مع مبادئ حفظ الصحة والثروة ، فهو علاء الوعاظ الذين يمكن تخرج طائفة منهم في مدة أربع سنين أو خمس سنين هم الذين يطهرون البلاد بتأثير الدين من اثورات والتقاليد ، ويؤلفون بين جميع الطوائف والعناصر ، ويفعلون بالتصرف في القلوب والسرائر ، ما يعجز عن بعضه من التأثير لهم إلا في الظواهر ، كأصحاب الجرائد والحكام والعساكر ،

ليس الغرض الذي أسعى إليه أن تكون الحكومة العثمانية هي التي تقضي هذا المعهد الإسلامي فإن الحكومات تعجز عن مثل هذه الأعمال ، وإن كانت قادرة على بذل المال واستخدام الرجال ، لأن الأحكام رسميون فأعمالهم كلها رسوم لا يمس شي منها سواد القلوب ، ولأن ما تقوم به الحكومة تدخل فيه السياسة والسياسة ما دخلت في شيء إلا أفسدته كما قل الأستاذ الأمام وإنما الغرض أن تقوم بهذا العمل جمعية من محبي الإصلاح العلماء الصالحين وأن تساعد الحكومة بما يمكن من الأوقاف الخيرية وغير ذلك كاستئثار طلاب العلم من الخدمة العسكرية بتأخذ الوعاظ منهم بالمرتبات الشهرية عرضت هذا المشروع على رئيس حكومتنا الصدر الأعظم حسين حلي باشا وعلى بعض أعضاء وزارته وعلى بعض الكبراء والعلماء هنا ومنهم محمود شوكت باشا وعلى بعض أعضاء مجلس الأئمة المعروفين من الأعيان والبيروثيين وعلى أشهر رجال جمعية الاتحاد والترقي فكلمهم أظنوا الاستجاب به والاعتراف بفوائدهم منافع وشدة الحاجة إليه وقال بعضهم إنه قد كان مثله من قبل وكذلك قال من ذكرتم فيه بعض

وسورية وقد وعدت بالمساعدة الممكنة من كثيرين وسأين ذلك في وقته ان شاء الله تعالى
وأما الامر الثاني الذي سميت اليه فهو ازالة ما وقع أخيرا من سوء التفاهم بين
عنصري الدولة الاكبرين - العرب والترك - وقد شرحت هذا في مقال مطول
مؤلف من ست نبد أو فصول نشرت في جريدة (إقدام) مترجمة بالتركية فصادفت
استحسانا عند فضلاء الترك، وسيراه قراء المنار مجموعا في الجزئين الاخيرين - ١١ و ١٢
المشهور عندنا عن سياسة الترك انهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة
عربية أو خلافة عربية في جزيرتهم وان هذا الخوف قديم فيهم ولكن ليس قد مرت
القرون ولم تظهر من زعمائهم الدعوة الى ذلك حتى في الازمنة الاخيرة التي كاد اليأس
من الدولة يستولي فيها عليهم؟ بلى! فأبي حجة لهم على استمرار هذا الخوف والحذر وبناء
الاعمال عليه وكثرة الكلام فيه؟

يقول بعضهم ان هذا غير ممكن ولذلك لم يتشبثوا به ولم يحاولوا تنفيذه ونرد عليهم
بأن العرب اذا كانوا يعلمون ان هذا غير ممكن فكيف يريدونه والارادة لا تتعلق
بالحال كما هو معلوم واذا كانوا لا يعلمونه فلماذا لم يسعوا اليه سعيه؟

هذه وساوس وأوهام يجب أن لا تذكر ولا يبنى عليها قول ولا عمل في هذا
العصر لتلا بصير الوهم حقيقة! وان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معي
على وجوب تدارك ما قوي الآن من سوء التفاهم ولما جئت الاستانة رأيت كثيرا
من عقلاء الترك يميلون الى هذا ولكن العقلاء من الفريقين يرتابون في سياسة بعض
الزعماء في العاصمة!

بلغ من سوء ظن بعض سياسة الترك بالعرب ما أشرت الى بعضه في المقالات
التي نشرناها هنا مترجمة بالتركية ولأسيما مسألة الشام. وهناك أمور كثيرة لم نكتب
فيها شيئا كاهتمام الكثيرين بحجج الخديو، وما يتعجب المصريون من ادخاله في باب
السياسة كحضور عزت العابد دعوة الشيخ علي يوسف اليوم الاربعين لافته الجديدة
و بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لي اكثر من واحد من أذكائهم وأهل الرأي
فيهم بمصر والاستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقي لا يقدرون
على عمل الاصلاحين حتى قدروا على ان يعرفوا ان قيمة الخلافة في

فيما لانك عربي . . . فلما رأيت من عناية بعض الوزراء ولا سيما رئيسهم الصدر الأعظم وعناية كبراء ورجال الجمعية ما رأيت وسمعت من الوعود المؤكدة منهم ما سمعت ذكرت ذلك لبعض الظانين غنى السوء فقالوا ان الاعمال بالخواتيم وسبى هل أنت الخطي أم نحن المصيبون ، وإني لأرجو أن تطيش هذه الأوهام بما أنتظر من محاسن الاعمال ، وعلى الله الاتكال في تصديق الآمال

صاحب جريدة وطن الهندية وتفسير القرآن

جری ذکر صاحبنا (مولوي محمد إنشاء الله) صاحب جريدة (وطن) الهندية في بعض المجالس فرأيت القوم يسيئون به الظن فذكرت لهم ما أعرف من فضله وغيرته على الاسلام ودولته وأهله ، حتى اني ذكرت للصدر الأعظم وبعض الكبراء وأصحاب الجرائد انه لم يدفعه الى جمع تلك الاموال الكثيرة للسكة الحجازية إلا غيرته وان من دلائل غيرته الدينية انه كتب الي قبل الدستور كتابا قال فيه ان هذا التفسير الذي تنشرونه في المنار هو أنفع ما كتب للمسلمين وانه لا شيء يرشدهم الي ما يحبيهم مثله فأقترح عليكم أن تتركوا كل عمل وتصرفوا همتكم الى ما بهو أنا أرتب على نفسي مساعدة مائة أقدامها نكم في كل شهر الي أن يتم التفسير هذا معنى ما كتبه فأنجبه يأتي لأقبل على خدمة الدين مالا من أحد وإني أجتهد في إتمام التفسير ما استطعت . فكتب الي ثانيا يشكرني ذلك ويطلب الاشتراك بمئة نسخة من كل جزء يصدر من التفسير يجلد ويوزع على المساجد في البلاد العربية لأجل أن يرشد الخطباء والمدرسون الأمة به ، ويطلب أيضا أن يرسل اليه عدة نسخ من كل جزء لأجل أن ينشرها في الهند ويبيعها لك . وقد أرسل عدة حوالا ت مالية من ثمن التفسير التي اشترك فيها

ذكرت هذا للصدر الأعظم ولغيره فأمجبوا بفضل الرجل وشيخه وتبرعوا به . . . شأن الانقلاب العثماني ومخبرهم الأيلام أكثر من ذلك من غير الناس . كلهم اصلا من الحكومة الدستورية للدولة العلية مع مخالفتها على الدين الإسلامي بأمره مقام خلافة الاسلامية على ما قرره القانون الاسامي

﴿ خاتمة السنة الثانية عشرة ﴾

قد تمت السنة الثانية عشرة لمانار بتوفيق الله تعالى وعنايته فله الحمد والشكر والثناء الحسن أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ونسأله تعالى أن يوفقنا دائماً لأعمالنا ويهبنا الحكمة والسداد فيه كان من قضاء الله وقدره أن كتبت الأجزاء الأولى والأخيرة من منار هذا العام في السفر فني أوله كنا في سورية، ويرى القارىء في جزئي الحزم وصغر شيئاً يتعلق بأهلها وحكمائها وفي آخره صرنا إلى القسطنطينية، ويرى القارىء في جزئي ذي الغدنة وذوي الحجة كلاماً في سياستها ومكومتها والسكلام في سياسة الدولة وشؤون كثير في منار الأجزاء، فانتفضية من النصيحة طيبة الانقلاب، (المشركون) لا يزال المنون من المشتركين يلوون ويمطون كاتسودوا وقد بينادر جيبهم في المقل والوفاء من قبل، فلا يزال جمهور أهل القطر التركي أشد عطلاً من غيرهم بل زادهم قاذياً فيه عدم وجود وكيل يتقاضيهم على انماوا وكانوا كلاً منهم ووفاء الحساسات حتى الوكيل الأخير على مكانته في الأدب، ومنهم أفرادهم خير الناس وفاءً وأحسنهم أداءً «كلاً فضل عبد الجليل تراوش وتهدى بن أخوجه في الحاضرة ومحمد المزبوني سناقس وحمود بونقي في قنصه» — ولا يزال العرب في جزيرتهم وفي جاوة وسنغافورة والجزائر وأفريقيا القصير في الذروة العليا من الوفاء فاما من منهم قليل ولكن مسلمي روسيا قد نزلوا إلى الدرجة التي ينكر فيها الماطلون، وأما أهل البلاد السورية فكان أحسنهم وفاءً في هاتين السنتين أهل حمص فاشرفهم ولو كلاً، الكعبة النضال الأول في ذلك وسنتين درجت سائر البلاد في ذلك بعد

(الانتقاد على المنار) صرنا ما انتقد بعض القراء على المنار ومما كان الانتقاد هو جهالينا كانتقاد احمد بدوي اذ في يوم ما كان مع جهالينا الى كلام نصر تام لغيرنا كانتقاد الاستاذ اليافعي على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي، وفي منه شيء في كثيره فقد بعث اليينا ادارة المجلة بانتقاد لبعض أصداننا من علماء تونس على ما كتبته في تفسير الآية الأولى من سورة النساء في أبوة آدم عليه السلام، وانتقاد لبعض أصداننا في مكة انكرتة على ما كتبناه منذ بضع سنين في مسألة الملائكة، فاما هذا الانتقاد فقلنا ودع في رسالة طويلة جداً والمسألة لا تحتل ذلك كله، فجزء من الانتقاد لم نجد وقتاً لنرد عليه لسكرونا غفلنا في الاستاذة ونحن قد صرنا الى ما يتصور بعض هذه المسألة في هامش الصفحة ١٠٨ من السكسات التي فيها قد تمكنا من المناورات وسأرد ذلك بياناً في تفسير «ما استغنم به منون» إلا أن قد نرد عليه في تفسير قل لا تكلموا لمن يغتصبكم منكم فليخضعوا وسأرد ذلك بياناً في صفحة ١٠٨ من هامش

في هامش ١٠٨ من السكسات التي فيها قد تمكنا من المناورات وسأرد ذلك بياناً في تفسير «ما استغنم به منون» إلا أن قد نرد عليه في تفسير قل لا تكلموا لمن يغتصبكم منكم فليخضعوا وسأرد ذلك بياناً في صفحة ١٠٨ من هامش

الانتقاد على المنار في بعض كلام المجلد الثالث والاصح في سورته منار
 ومنار الانتقاد على مسألة أبوة آدم فكتبته في هامش هامش من الأجزاء الأولى من منار هذا العام
 في هامش ١٠٨ من السكسات التي فيها قد تمكنا من المناورات وسأرد ذلك بياناً في تفسير «ما استغنم به منون» إلا أن قد نرد عليه في تفسير قل لا تكلموا لمن يغتصبكم منكم فليخضعوا وسأرد ذلك بياناً في صفحة ١٠٨ من هامش

الانتقاد على المنار في بعض كلام المجلد الثالث والاصح في سورته منار